العلاقة بين التشيع والتصوف

عرض ونقد

تأليف فضيلة الشيخ أ. د.
فلاح بن إسماعيل مندكار
أستاذ العقيدة في كلية الشريعة بجامعة الكويت

العلاقة بين التشيع والتصوف

العلاقةُ
بينَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

العلاقةُ
بينَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ

عَرضٌ ونَقْدٌ

رسالة دكتوراه

تأليف
د. فلاح بن إسماعيل مندكار
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة
كلية الشريعة جامعة الكويت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أصلُ هذا الكتابِ رِسالةٌ عِلميّةٌ تقدّمَ بها الباحثُ إلى قسمِ العقيدةِ بكُلّيّةِ الدّعوةِ وأُصولِ الدِّينِ «بالجامعةِ الإسلاميَّةِ بالمدينةِ النّبَويّةِ».

بعنوانِ:

«العلاقةُ بينَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ»

لنيلِ درجة (العَالِمِيّة العَالِيَة = الدكتوراه)، وقد نُوقِشَتْ بتاريخِ (١/٥/١٤١٢هـجريًّا) مِن قِبلِ اللّجنةِ المكوّنةِ مِن:

١ ـ الشّيخ: عَبْد الله بن مُحَمَّدٍ الغنيمان.

٢ ـ الشيخ الدكتور: صالح بن سعدٍ السّحيميّ.

٣ ـ الشيخ الدكتور: أحمد النّاصر الحمد.

وقد أُعْلِنَ على إثْرِها مَنْحُ الباحثِ درجةَ **(الدكتوراه)** في العقيدةِ الإسلاميَّةِ بتقديرِ (**مَرْتَبَةِ الشّرفِ الأولَى**) ولِلَّهِ تعالَى الحَمْدُ والمِنَّة.

وقد زِدْتُ في العنوانِ فصارَ: «**العلاقةُ بينَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ عَرضٌ ونَقْدٌ**»

مقدمة المعتني بالكتاب

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، **وبعد:**

فإن الله سبحانه قد أنعم علينا بنعم عظيمة لا تُحصى فـ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، فمن أجلّ نعمه أن هدانا لدينه القويم، وأوضح لنا صراطه المستقيم، فجعل الإسلام لعباده ديناً، ولم يرض منهم عنه بديلاً، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ١٩﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران].

ومن أعظم نعمه أيضاً جلَّ ثناؤه، بعثه أفضل رسله وخاتمهم محمداً ﷺ، فكانت له سبحانه به المنة عليهم في الآخرة والأولى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فكان من ذلك أن استوفى الله برسوله ﷺ نظم عقد الرسل، وأكمل به دينه: عقيدة وشريعة، وأتمَّ به النعمة، مختاراً لنا به دين الفطرة واليُسر والسعادة الحقيقية.

فما مات ﷺ إلا وقد أوضح الحجة، وأقام المحجة، وبلَّغ السنة، وحذر وحاذر من البدعة، تاركاً من بعده على البيضاء الواضحة المستقيمة، مُستوياً ليلها ونهارها. فقال سبحانه في اليوم العظيم، وفي الشهر العظيم، وفي الموقف العظيم، وفي المشهد العظيم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. وما كان ذلك كله إلا: ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

ومضى على ما كان عليه الرسول ﷺ خير القرون، وهم الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، يوصي به الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، لم يؤثر عنهم أي خلاف في شيء من أمور الاعتقاد، بل كانوا جميعاً على منهج واحد، وسبيل واضح، هو ما تركهم عليه رسول الله ﷺ.

ثم إن الفتن بعده ﷺ رفعت رأسها رويداً رويداً، وشيئاً فشيئاً، لتنال من أصول الدين قبل فروعه، ومن عقائده قبل شرائعه، إمضاءً لسنته سبحانه في الابتلاء والامتحان ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال].

فظهرت بدعة الخوارج فالرفض، ثم الإرجاء والقدر، ظهرت بدع الجهمية المعطلة في أوائل المائة الثانية. وما تشعب منها بعد ذلك من فرق وطوائف؛ لتتحقق آية من آيات النبي ﷺ في افتراق أمته كالأمم قبلهم. ثم إنه تنوعت بدع التعطيل في التجهم، ثم ورثه الاعتزال.

وفي المائة الثالثة فالرابعة تولَّد عن بدعتي التجهم والاعتزال بدعة أخرى، تمثلت في بدعة الكُلابية، أتباع أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ومن تلقَّف بدعته من بعده، وهما الطائفتان الكبيرتان: الأشاعرة والماتريدية.

والسنة الحقة في ذلك ماضية وثابتة، في خضم هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن والبدع من لدن الصحابة رضي الله عنهم، وبعدهم كبار التابعين، فالتابعون فتابعوهم بإحسان إلى أن يشاء الله. على جادة واحدة، وطريقة واضحة، متمثلة فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قال ابن القيم رحمه الله: «**ومضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور لم تطفئه عواصف الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقهم، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة، ومع هذا لم يفارقوه بالكلية، بل كانوا للنصوص معظمين، وبها مستدلين، ولها على العقول والآراء مقدمين، ولم يدَّع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها والاستبداد بما ظهر لهم منها، دون من قبلهم ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم.**

فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر، ورموهم بالعظائم، وتبرؤوا منهم، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير، وكانوا لا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة، وهو أكثر

من أن يذكر هاهنا...»[1] وبعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين حدثت البدع، وظهرت الأهواء، فأطل التعطيل برأسه على الأمة الإسلامية لما عربت كتب الأعاجم، وتظاهر بالإسلام الطاعنون من أرباب: الديانات المخالفة، وظهر لهم في ديار الإسلام أتباع وأعوان، ولقد لبَّس أرباب: الأهواء والبدع على أمة محمد ﷺ في أعظم باب: في أبواب عقيدتها وهو باب: الأسماء والصفات، بما أحدثوه من الشبه والقواعد العقلية الفاسدة.

وفي هذه الأَزمنة المتأخرة التي حدثت فيها الغِيَرُ، وتزينت الدُّنيا لخُطَّابها، كشف أَهلُ الأَهواء عن أَقنعتهم، وانتشرت بدعُهم، وأُحْيِيتْ مذاهبُ أَسلافهم بعد أَن كانت بائدة، ونُبِشَتْ كتب لهم كانت منسية، وظهرت أَفكار جديدة، وبرزت جماعات معاصرة متباينة في مقاصدها، مختلفة في توجهاتها، متناقضة في غاياتها ووسائلها، كلما خرجت جماعة أَو فرقة لعنت أُختها، وتطاول أُناسٌ علىٰ قامة التوحيد والسُّنَّة، ولوَّثُوا أفكار النَّاس، وأَفسدوا عليهم عقائدهم، وهوَّنوا عليهم أَمر الشرك، ورفعوا أَعلام الفتن، ونازعوا ذوي السلطان في سلطانهم، وشاقُّوا الرَّسول من بعد ما تبيَّن لهُم الهُدىٰ، واتبعوا غيرَ سبيل المؤمنين.

ممَّا يوجب على الغيورين من علماء الأُمَّة ودعاة السُّنَّة المقتفين للأَثر؛ القيام بواجب الإبانة عن أُصول الدِّيانة، وتبيين معالم منهج السَّلف، وإيضاح سبيله، وتقريب كتب أَئمَّة الهُدىٰ، وإبرازها بالتحقيق وشرح عبارات الأَئمَّة، وبيان مقاصدهم والعناية بأَمر التوحيد والمنهج في دروسهم وخطبهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم، وإرشاد العباد إلى اتباع خطى النَّبي ﷺ ولزوم سُنَّته، والسَّير علىٰ أَثر أَصحابه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٩ ـ ١٠٧٠).

ومن هنا تأْتي أَهميَّة العناية بهذا الأَمر، وتربية الناشئة عليه، وتصحيح مسيرة الصحوة إليه؛ حتىٰ لا تتشعب بها السُّبل، فتضل في متاهات الأَهواء والفتن، وقد وفَّق الله ﷻ عدداً من مشايخنا وعلمائنا ونفراً من طلبة العلم المخلصين إلىٰ الاهتمام بهذا الموضوع العظيم تدريساً وتحقيقاً وتأليفاً وكان منهم: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور **فلاح بن إسماعيل مندكار** في كتابه الكبير الماتع: «العلاقة بين التشيع والتصوف عرض ونقد»، وفقّه الله وبارك في علمه وعمله. وهو كتابٌ نفيس فيه تأصيل بديع وتوجيهات رصينة، لا يستغني عنه طلاب العلم ولا يشبع منه العلماء، وقد جاءت هذه الطبعة فظهرت مصححة ومنقحة مستدركاً فيها المؤلف ما فاته في سابقتها من ملحوظاتٍ يسيرة.

وإنَّ هذا الكتاب وأمثاله لَمِمَّا تقرُّ به عيون الموحدين وتفرح به قلوبهم، وتشرَق به حلوق المناوئين وتضيق به صدورهم: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

نسأل الله جلّت عظمته أن ينفع به عموم المسلمين؛ وأن يجزي المؤُلف على هذا الجهد المبارك، ويمتعه بالصحة والعافية، ويبارك له في عمره وعلمه وعمله، كما أسأله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مقرباً إليه نافعاً لعباده، إنه سميع مجيب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

كتبه
الفقير إلى عفو ربه ورحمته
عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
a.J.majid@hotmail.com

شُكْرٌ وتقديرٌ

أشكرُ اللهَ تباركَ وتعالَى وأَحمدُهُ ﷻ علَى توفيقهِ إيَّايَ أوّلًا، ثُمَّ علَى مَنْحِهِ إيَّايَ شَرَفَ الانتسابِ إلى طلبِ العلمِ الشَّرْعيِّ علَى مَنهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في هذهِ الجامعةِ المباركةِ، في مَدينةِ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ أتقدَّمُ بالشُّكرِ الجزيلِ لجميعِ أَساتذتِي ومَشايخي الأفاضلِ، الذين كان لهم دورٌ وفضلٌ في غَرْسِ مَحبَّةِ العلمِ وأَهلِهِ في نفسي، ومَن كان له إسهامٌ جميلٌ في مُساعدتي لِتحقيقِ هذا الجُهدِ وإخراجهِ كَرِسَالةٍ عِلْميّةٍ.

وأَخُصُّ بالشُّكرِ شيخي وأستاذي فضيلةَ الدكتور **(مُحَمّد أَمَان بنَ عليٍّ الجَامِيَّ)** رَحِمَهُ اللهُ تعالَى الذي أَشرفَ على هذه الرِّسالةِ منذُ بدايةِ عَملي فيها، وحتى انتهاء عملهِ في الجامعةِ، فَجزَاهُ اللهُ عنِّي وعنِ المسلمين كُلَّ خَيْرٍ، ثُمَّ أشكرُ فضيلةَ شيخي وأُستاذي الشَّيْخَ **(عبدَ الله الغنيمانَ)** الذي تَولَّى الإشرافَ بعدَه وحَرِصَ حفِظَهُ اللهُ ووفَّقَهُ كُلَّ الحرصِ على إخراجِ هذه الرِّسالةِ بالصُّورةِ اللائقةِ وبذلَ في ذلك مِن وَقْتهِ الكثيرَ علَى الرَّغْمِ مِن أَعمالهِ وإدارتهِ لقسمِ (الدِّراسَاتِ العُلْيا)، فاللهَ تعالَى أسألُ أن يُجزلَ لهُ الثَّوابَ والأجرَ، إنه وَلِيُّ ذلك والقادِرُ عليهِ.

وأشكرُ جميعَ القائمينَ علَى قسمِ (الدِّراسَاتِ العُلْيا)، والمُخلصينَ في هذه الجامعةِ مِن أساتذةٍ وإداريينَ وغيرِهم، مِمَّن يبذلونَ وسعَهم لرفعةِ مُستوى هذه الجامعةِ في جميعِ جوانبِها.

وأخيرًا أشكرُ كُلَّ مَن ساعدني أو سهَّلَ لي أمرًا خِلالَ عَملي هذا مِن إخواني وزُملائي، فجزاهمُ اللهُ عنِّي خيرَ الجزاءِ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على عَبْدِهِ ورَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وعلَى آلهِ وصَحْبهِ أجمعينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعينُهُ ونَستغْفِرُهُ، ونَعوذُ بِاللهِ مِنْ شُرورِ أَنفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لهُ، وأَشهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لهُ، وأَشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ. وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قالَ اللهُ تَعالَى في مُحكَم كتابهِ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. في هذه الآيةِ الكريمةِ يَمْتَنُّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عِبادِهِ المؤمنينَ بإكمالِ دِينِهِمْ وشَرْعِهِمْ، ويُخبِرُهُمْ بارتِضَائِهِ لَهمْ مَسْلَكًا ومَنهجًا في حَياتِهِمْ. وفيها أيضًا شَهادةٌ مِنَ اللهِ تَعالَى لِرَسُولِهِ ومُصطفَاهُ ﷺ بِقيَامِهِ بواجِبِهِ وأدائِهِ لِمهَمَّتِهِ على خَيْرِ وَجْهٍ كما أراده فيه مولاه تبارك وتعالى. وتَتضَمَّنُ الآيةُ أيضًا الشَّهادَةَ لِصحَابته رضي الله عنهم.

فقَدْ أَخَذَ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ هذا الدِّينَ غَضًّا طَرِيًّا مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَخذوا مَا أَتَاهُمُ اللهُ تعالَى بِقُوَّةٍ وأَمَانَةٍ وصِدْقٍ، وضَربُوا أَروعَ الأَمثلةِ في امْتِثالِ أَمْرِ اللهِ تَعالَى وأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ في دِينِهِمْ ودُنياهُمْ، وفي حُبِّ اللهِ تَعالَى وحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ، وتقديمِهما على المالِ والنَّفْسِ والوَلَدِ، وفي بَذْلِ الأَمْوالِ والأَرْواحِ رَخيصةً في سَبيلِ هذا الدِّينِ وإعْلاءِ كَلِمَتِهِ، حتَّى أَعجزوا البَاحثينَ في تَاريخِ البَشَرِيَّةِ أَنْ يَجِدوا لذلكَ الجِيلِ مَثِيلًا. كيفَ لَا يكونُ ذلك وقَدْ شَهِدَ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِمْ وصِدْقِهِمْ في آياتٍ كَثيرةٍ، ويَكْفِيهِم أَنَّ مَوْلَاهُمْ قَدْ شَهِدَ بِصِدْقِهِمْ فيمَا عَاهَدُوا اللهَ عليهِ في الالْتِزَامِ بِشَرْعِهِ والجِهادِ في سَبيلِهِ.

إنّهم قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وخَليلهِ ﷺ، وإِقَامَةِ دِينِهِ وشَرْعِهِ في زَمَنٍ طَغَتْ فيهِ المُنْكراتُ والضَّلالَاتُ، وكَثُرَ فيهِ الشَّرُّ والفَسَادُ، وقَدْ وَصَفَ حَالَهُمُ الصَّحابِيُّ عبدُ اللهِ بْنُ مَسْعودٍ رضي الله عنه فقالَ: «**إِنَّ اللهَ تعالَى نَظَرَ في قُلُوبِ العِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ. ثُمَّ نَظَرَ في قُلُوبِ العِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَجَعَلَهمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ على دِينِهِ**»(١).

عَاشَ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ مِنْ رجال هذه الأُمَّـةِ العَظيمةِ وسَلَفُهَا الصَّالِحُ قَلبًا واحِدًا، عَاضِّينَ على دِينِهِمْ بالنَّواجِذِ، بَاذِلِينَ في سبيلِ طَاعةِ اللهِ تَعَالَى ورَسُولِهِ ﷺ ومَرْضَاتِهما كُلَّ مَا يَمْلِكونَ، مُلْتَفِّينَ حَوْلَ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ ﷺ التِفَافًا، لَمْ يَجعلِ اللهُ تَعَالَى فيهِم ولَا بَيْنَهُمْ مَنْفَذًا للشَّيْطانِ لِينَالَ مِنِ الْتِفَافِهِمْ

(١) **أثرٌ صحيحٌ**: رواه الإمامُ أحمدُ في «المُسنَدِ» (ط. الميمنية: ١/ ٣٧٩)، وقال مُحقِّقُهُ العلَّامةُ أحمد شاكر (رقم: ٣٦٠٠): «إسنادُهُ صحيحٌ». وقال المُحَدِّثُ الألبانيُّ في (تخريج الطّحاويّةِ: ص٤٧٠): «حسَنٌ مَوقوفًا، أخرجَهُ الطَّيالِسيُّ وأحمدُ وغيرُهما بسَندٍ حَسنٍ، وصَحَّحَهُ الحاكِمُ ووافقَهُ الذَّهبِيُّ، واشتهرَ علَى الألْسِنَةِ مَرفوعًا وفي سَندِهِ كَذَّابٌ، والصّحيحُ وَقْفُهُ، وهما [المرفوعُ والموقوفُ] مُخرَّجَانِ في السّلسلةِ الضّعيفةِ (٥٣٢، ٥٣٣)».

وتَمَسُّكِهِمْ وحُبِّهِمْ لرَسُولِ اللهِ ﷺ، الأمرُ الذي كَافأَهُمُ اللهُ تَعالَى عليهِ؛ فَألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وأنْزَلَ السَّكِينَةَ عَليهِم، فكانوا إخوانًا مُتَحابِّينَ لَمْ تُفَرِّقْ بينَهُمُ الأَنسَابُ والألوانُ والأَعْرَافُ ولَا غَيْرُها مِنْ عَصَبيَّاتِ الجَاهليَّةِ.

عَاشَ المُسلِمونَ الأوائِلُ حَياةً خَالِيَةً مِنَ الفُرْقَةِ، وحتى الاختِلافاتِ التي مِنْ شَأْنِها إيجادُ الفُرْقَةِ وتكَوّنُ الفِرَقِ والأحزابِ والمَذاهِبِ. عَاشُوا حَوْلَ إِمَامِ الهُدَى والرَّحمةِ ﷺ أُمَّةً واحِدةً وكَلِمةً واحدةً. نَعَمْ كَانتْ تَطْرَأُ بعضُ الاختِلافاتِ في بَعضِ المَسائلِ، ولكِن سُرعانَ ما كانت تَتلاشَى بِرجُوعِهِمْ إلى نَبِي الرحمة ﷺ وامتثالِ حُكمِهِ فيما اختلفوا فيه.

هكذا عاشَ سَلَفُ هذه الأُمَّةِ ـ رضي الله عنهم ورَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى ـ بِهذه الرُّوحِ الطَّيّبةِ النَّقِيَّةِ، وقَدْ جَاءتْ آياتٌ وأحاديثُ كَثيرةٌ تَشْهَدُ لَهمْ بالفَضْلِ والمَنْزِلَةِ الرَّفيعةِ؛ لِواقِعِ حَالِهِمْ وحُسْنِ امْتِثالِهِمْ وصِدْقِ إيمانِهِمْ وعَظيمِ تَضْحِيَتِهِمْ في سبيلِ هذا الدِّينِ، حتَّى شَهِدَ اللهُ تَعالَى بالرِّضَى عَنهُمْ، وقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهو عنهُمْ رَاضٍ.

وإنَّ مِمَّا يَشْهَدُ على صِدْقِ إيمانِهِمْ وبَذْلِهِمْ وتَحقِيقِهِمْ مُرادَ رَبِّهِمْ في أُخُوَّتِهِمْ واتِّحادِهِمْ ونَبْذِ عَصَبيَّاتِ الجَاهِليَّةِ؛ أنْ جَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأُولَئِكَ الرِّجالِ جُيوشًا إيمانيَّةً، تَرفعُ أَلْوِيَةً رَبَّانِيَّةً، قَليلةَ العَدَدِ والعُدَدِ المادِّيّةِ، لِمواجهةِ قُوى الكُفْرِ والطُّغيانِ بأعدَادِها وعُدَدِها العظيمةِ، فَخرجُوا مُجاهدينَ لِيَنشُروا دِينَ اللهِ في أرضِ اللهِ، هَجَروا الأهلَ والأوْطَانَ، وجَابُوا البَراريَ والقِفارَ، وتَحمَّلوا الصِّعابَ والمَشَاقَّ؛ إرضَاءً لِمَوْلاهُمْ وخَالِقِهم ﷻ. وقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى صِدْقَهُمْ فَصدَقَهُمْ، وأَخضعَ لَهُمُ الجَبابرَةَ والمُلُوكَ، وانْهزَمتْ جُيوشُ الكُفْرِ، وانتَصرَ الحَقُّ وأَهلُهُ، وفتَحوا البِلادَ، وأخرجوا العِبادَ مِنْ عِبادَةِ العِبَادِ والأوْثَانِ إلى عِبادةِ المَلِكِ الدَّيَّانِ، ودَانَتْ لَهُمُ الدُّنيا شَرْقُها وغَربُها وشَمالُها وجَنوبُها، ومَكّنَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ إقامَـةِ أعظَمِ دَوْلَةٍ وأَقوَى مَمْلَكَةٍ تُحكِّمُ كِتابَ اللهِ تَعَالَى وشَرْعَهُ، وتُرَفْرِفُ عليها سَحائِبُ العَدْلِ والأمانِ.

اِستَمَرَّ السَّلَفُ على تلكَ الحالِ الصَّافِيَةِ النَّقِيَّةِ مِنْ كُلِّ شَوائِبِ الفُرْقَةِ والاختِلافِ والبُغْضِ والكَراهِيَةِ طِيلَةَ أيَّام خَلِيفَةِ رَسُولِهِمْ **أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه، الذي حملَ اللِّواءَ، وسارَ بِالرَّكْبِ على نَهْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وسِيرَتِهِ، فما كادَ خِلافٌ يَنشَبُ ويَظْهَرُ حتَّى يُسَوَّى في مَهْدِهِ.

وإنَّ أَعظَمَ ما يُدَنْدِنُ بعضُ النَّاسِ حَوْلَهُ إلى يَومِنا هذا زَاعِمينَ أنّهُ خِلافٌ - وهو مَا جرَى حَوْلَ الإمَامَةِ والخِلافةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ - فإنّهُ مِنْ أَعظَمِ الكَذِبِ والتَّزْوِيرِ في تاريخِ هذه الأُمَّـةِ. ولقد علم الله تَعَالَى والمؤمنونَ جَميعًا أنَّ ما طُرِحَ مِنْ آراءٍ عَنِ الإمَامـةِ يومَ السَّقِيفَةِ(١) - وإنْ سُمِّيَ خِلافًا أو نِزَاعًا -؛ لَمْ يَبْقَ ولَمْ يَستَمِرَّ، بلْ سُوِّيَ في مَهْدِهِ، فما كادَ يَصِلُ أَبُو بَكرٍ وعُمَرُ وأبو عُبَيْدَةَ رضي الله عنهم إلى مكانِ الاجتِماعِ حتَّى سُوِّيَ الأمرُ واتّفقَ المُسلِمونَ وأجْمعوا على أَمرِهِمْ، والفضلُ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ثُمَّ لِجُهودِ أُولَئِكَ الرّجالِ المُخلِصينَ الذين خَلَّفَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِقيادةِ هذه الأُمَّـةِ وسَائرِ أُمَمِ الأرضِ.

ثُمَّ جاءَ الخليفةُ الثَّانِي **عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ** رضي الله عنه والأُمَّةُ كُلُّها على اتِّفاقٍ لَا اختِلافَ بينَها ولَا فُرْقَةَ، واستمرُّوا كذلكَ فَتْرَةَ خِلافَتِهِ حتَّى انتقلَ إلى جِوارِ رَبِّهِ تَعَالَى، بَعْدَ أنْ قَادَ الأُمَّةَ وسارَ بِها على سُنَّةِ رسُولِهِ ونَبِيِّهِ ﷺ وَهدْيِهِ وعلى نَهجِ سَلَفِهِ **الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه، وكما أراد الله منه.

ثُمَّ جاءَ الخليفةُ الثَّالِثُ **عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ** رضي الله عنه فانتَهجَ نَهْجَ سَلَفَيْهِ السَّابِقَيْنِ **أبِي بَكرٍ وعُمَرَ** رضي الله عنهما على وَفْقِ سِيرةِ رَسُولِ الهُدَى ﷺ، فما زَاغَ عَنْ ذلك كُلِّهِ قِيدَ أَنْمُلَةٍ ولَا غَيَّرَ ولَا بَدَّلَ، بلْ سَلَكَ بالأُمَّةِ المَسْلَكَ القَويمَ على الرَّغْمِ مِنْ كَثْرةِ الفِتَنِ، ولَا سيما في أُخرَياتِ أيّامهِ حينَ لَاحَتْ بَوادِرُ الفُرْقَةِ

(١) هي (سَقِيفَةُ بني سَاعدةَ): مكانٌ بالمدينَةِ، ظِلّةٌ كانوا يَجلسونَ تحتَها، فيها بُويعَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مِن أهلِ الحَلِّ والعَقدِ. «مُعجم البلدان» (٣/٢٢٨).

والاختِلافِ في حَياةِ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ، وارتَفعتْ أَصواتُ أهلِ الشَّرِّ والفَسَادِ. فقَدْ عَمِلَ أولئك المُجرمون ضِدَّ الإسلام مُنْذُ أيّام الفُتُوحاتِ الإسلاميَّةِ التي أَخضَعتْ رِقَابَهُمْ وأذَلَّتْ سَلاطِينَهُمْ وبَدَّدَتْ دُوَلَهُمْ، ومَزَّقَتْ جُموعَهُمْ، وحَطَّمَتْ أَصنامَهُمْ وأَوْثَانَهُمْ؛ لأنَّ هذا الفَتْحَ العظيمَ أَقْلَقَ أهلَ الشَّرِّ مِنْ أهلِ تلكَ النِّحَلِ والملل وسَيْفَ الإسلامِ أرْعَبَهُمْ، فأظهروا لِدَوْلة الإسلام والمُسلِمينَ خِلافَ ما كانوا يُبْطِنونَهُ مِنَ الكُفْرِ والنِّفَاقِ حَقْنًا لِدِمَائِهِمْ وحِفاظًا على أَرواحِهِمْ. هكذا عَاشَ هذا الصِّنْفُ الخَبيثُ في صُفوفِ المُسلِمينَ، وأَخذوا يَعمَلونَ في ظَلامِ اللَّيلِ مَا يَكيدونَ بهِ هذا الدِّينَ العظيمَ وأهلَهُ بِدافعٍ مِنَ الحقْدِ والحسَدِ والبغضاءِ.

ولمّا فَشَلَتْ سُيوفُهُمْ وجُنودُهُمْ، ولمّا رَأوْا قُوَّةَ الإسلامِ؛ اتَّجهوا بِسِهامِهِمْ ومَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ إلى جَوانِبِ الإسلامِ العِلْمِيَّةِ والاعتِقادِيَّةِ لإفسَادِها، فاتَّجوا إلى كِتابَ اللهِ تَعالَى وسُنَّةَ نَبيِّهِ ﷺ بأنواعِ مِنَ المَكْرِ والكَيْدِ، ولكن يأبَى اللهُ إلَّا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهِ الكافرونَ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]. فكَمْ زَعَمُوا في آياتِ القُرآنِ مِنْ تَناقُضٍ وتَعارُضٍ وتَحريفٍ وتَبْديلٍ ونَقصٍ؟! إلى غَيْرِ ذلك مِنْ مَزاعِمَ شَيْطانيَّةٍ يُلْقِيها عَليهِم **إبْلِيسُ**.

وكما قالوا في كِتابِ اللهِ تَعالَى؛ قالوا مِثْلَهُ وأكثرَ منهُ أَضعافًا في سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، ومَا عَلِمَ أُولَئِكَ الأَقْزَامُ أنَّ اللهَ تَعالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِحفظِ دِينِهِ مِنْ أيْدِي العَابِثينَ ومَكْرِ الماكرينَ مِنَ الكَفَرةِ والزَّنَادِقَةِ المُلحِدينَ، ومَنْ نَحا نَحوَهُمْ مِنَ المُبتدِعَةِ والمُفسدينَ، قال اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وكُلَّما فَشَلَ إفسادُهُمْ في جَانبٍ مِنْ جَوانبِ هذا الدِّينِ؛ لَجأوا إلى أُسلوبٍ آخرَ وسِلاحٍ جديدٍ لمقاومةِ هذا الدِّينِ وهذا المَدِّ الإسلاميِّ العظيمِ، فتعَدَّدَتْ أَسلِحَتُهُمْ، وكَثُرَتْ أَسالِيبُهُمُ المَاكرةُ التي استعملوها، ورأوا أنهم قد

وجدوا بُغيتهم في أسلوب جَابهوا بِه هذا الدِّينَ وحاربوه به، وهو مُحَاربةِ الدِّينِ مِنْ دَاخِلِهِ، وذلكَ بِتَبَنِّي بعضِ مبادئِهِ وعَقَائِدِهِ وسُلوكِيَّاتِهِ، والتَّظاهرِ بِها، والعَملِ تَحتَ شِعارِها، والتَّحَمُّسِ لها والدَّعوةِ إليْها، مع تَجاوزِ الحَدِّ الشَّرْعيِّ فيها باسمِ الدَّعوةِ إليْها؛ بِحُجَّةِ هَجْرِ النَّاسِ لَها وإنكَارِها والبُعْدِ عنها.

إنَّ هذا الأُسلوبَ كانَ وما زَالَ مِنْ أخطَرِ أساليبِ هَدْمِ الإسلامِ والفَتْكِ بأهلِهِ، وقَدْ وَجَدَ الأقزَامُ المُنحرفونَ فيه بُغْيَتَهُمْ وضالَّتَهمْ. وقَدِ استطاعت حَركَةُ الغُلُوِّ هذه بهذا الأُسلوبِ الخبيثِ الصُّمودَ ومُواصلة مَعركَتِها مع الحَقِّ وأهلِهِ، في حينِ سقطَ الكثيرُ مِنَ الأساليبِ والحركاتِ الأُخْرَى؛ ذلك لأَنَّ الغُلُوَّ لَا يُظْهِرُ مُعَارَضَتَهُ للإسلامِ، وإنَّما يَسيرُ مع مَبادئِهِ وعَقائِدِهِ مُتظاهرًا بالحِرْصِ عليهِ والرّجوعِ إلى أُصُولِهِ.

وبهذا استطاعَ الغُلَاةُ في أَواخِرِ أيّامِ الخليفةِ الثَّالثِ **عُثْمانَ بنِ عفّانَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنْ يُحَقِّقوا بعضَ أهدافِهِم، فأَحدثُوا فِتْنَةً عَظيمةً أَمسَى الحَلِيمُ فيها حَيْرانًا، وقَدِ اختَارَ **الخليفةُ** عَدَمَ مُقَاوَمَتِهِمْ، مُؤْثِرًا اعتِزالَ الفِتْنَةِ ولُزومَ الصَّمتِ والصَّبْرِ؛ رَغبةً منهُ في حَقْنِ دِمَاءِ المُسلِمينَ، وحُبًّا في أنْ تَنقضِي أيَّامُهُ وهو على طَريقِ مَنْ سَبَقَهُ وأنْ تَتَحقَّقَ فيهِ بِشَارةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لهُ بالشَّهادَةِ[1].

(١) ثبتَ عن أَبِي موسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استأذَنَ على النَّبيِّ ﷺ، فقال ﷺ: «**ائْذَنْ لهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**». مُتّفقٌ عليهِ: «صحيح البخاريِّ»، كتاب فضائل أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب مناقب عُثمانَ (الفتح: ٧/ ٥٣ رقم: ٣٦٩٥)، و«صحيح مُسلم»، كتاب فضائل الصحابةِ، بَاب مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ (٤/ ١٨٦٧ رقم: ٢٤٠٣/ ٢٨). وثبت عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه صَعدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ جبلَ أُحُدٍ فرجَفَ بِهِمْ، فقالَ ﷺ: «**اُثْبُتْ أُحُدُ فإنَّما عليْكَ نَبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهيدَانِ**». أخرجه «البخاريُّ»، كتاب فضائل أصحاب النَّبِيِّ ﷺ (الفتح: ٧/ ٢٢ رقم: ٣٦٧٥). وانظرِ المزيدَ من فضائلِ أميرِ =

واستَمرَّتِ الفِتْنَةُ، فَظَهرَ بَيْنَ المُسلِمينَ بعضُ دُعَاةُ الشَّرِّ والفُرْقَةِ، فواصلوا عَمَلَهُمْ وجُهدَهُمْ في بَثِّ رُوحِ الفُرْقَةِ، ونَشْرِ الفِتَنِ باسمِ المصلحةِ الدِّينيَّةِ والسّياسةِ الشَّرعيَّةِ، وغَيْرِها مِنَ الشِّعاراتِ الدِّينيَّةِ التي ستَروا بِها كُفْرَهُمْ وحِقْدَهُمْ على الإسلامِ والمُسلِمينَ، ثُمَّ ازدَادَ أَمرُهُمْ وخَطَرُهُمْ وعَمَّتْ فِتْنتُهُمْ، حتَّى استُشهدَ فيها عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(١)] ولَحِقَ بالنَّبيِّ ﷺ ورَفِيقَيْهِ في رِضوانِ اللهِ تَعَالَى.

ثُمَّ بَدأَتِ الفُرْقَةُ والاختِلافاتُ تَدُبُّ بَيْنَ المُسلِمينَ؛ فظَهرتِ الفِرَقُ والأحزابُ الواحدَةُ تِلْوَ الأُخْرَى، وتَشَيَّعَ لِكُلٍّ منها طَائفةٌ مِنْ أهلِ القبلَةِ، وأظهرتْ بعضُ تلكَ الفِرَقِ أفكارًا وعَقائِدَ تُخالِفُ في جُملتِها ما كان عليهِ سَلَفُ هذه الأُمَّـةِ.

وكانَ مِنْ أوّلِ ما حَدَثَ في هذه الأُمَّةِ مِنْ هذه الفِرَقِ: فِرقَتَانِ، تَشَيَّعَ لِكُلٍّ منهما جَماعةٌ مِنْ أهلِ القبلَةِ وهُما: **فِرْقَةَ الخَوارِجِ** و**فِرْقَةُ الشِّيعَةِ** وكانتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مَحَلًّا ومَوْطِنًا لأنواعٍ مِنَ البِدَعِ والمُنْكراتِ، وعَمِلوا جَميعًا مُتستّرينَ بظِلِّ الغُلُوِّ ومجاوزة الحد؛ فغَلَا **الخوارجُ**

= المؤمنينِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في: كتابِ «عَقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الصّحابةِ الكِرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» لنَاصرِ الشيخِ (١/ ٢٥٩ ـ ٢٧٤). وغيرَ ذلك من مباحثِ الكتابِ المذكور في فضلِ الصّحابةِ عامّةً.

(١) انظر: لمعرفةِ الرّوايةِ الصّحيحةِ لأحداثِ استشهادِ الخليفةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ودَحضِ ما افتراهُ عليهِ أعداءُ الأمَّةِ والإسلامِ مِنَ المُنافقينَ والمجوسِ السَّبئيَّةِ وغيرِهم؛ انظُرها في الكُتُبِ الآتيةِ: «عقائد الثلاث والسبعين فِرْقة» لأبي مُحمدٍ اليَمنيِّ (١/ ١٤٨)، و«عبد الله بن سبأٍ وأَثرُه في أحداثِ الفِتْنةِ» لسُليْمانِ بن حمد العودةِ (الباب الثالث: ص: ١١١ ـ ١٥٩)، و«عَقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الصّحابةِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» لناصرِ الشيخِ (٣/ ١٠٥٠)، و«عصر الخلافة الراشدة» لأكرَم العُمري (ص: ٤١٥ ـ ٤٤٧)، و«تحقيق موقف الصحابة في الفتنة» لمُحمد أمحزون (١/ ٢٦٧ ـ ٤٦٥ و٢/ ٥ ـ ٤٣)، و«استشهاد عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ووقعَة الجَمل» لخالد الغيث.

النَّواصِبُ في بُغْضِ عَلِيٍّ بنِ أبي طَالِبٍ وتَكْفِيرِهِ[١]، وغَلَتِ **الشِّيعَةُ الرَّافِضَةُ** في حُبِّهِ وَوِلَايَتِهِ وحتَّى نُبُوَّتِهِ وأُلُوهِيَّتِهِ. وكانتْ الفِرقَتانِ مُتقابلتيْنِ في جميع أفكارِهما وعَقائِدِهما؛ فلَا يَزْعُمُ هؤلاءِ قولًا إلَّا ويَدَّعِي أُولَئِكَ ضِدًّا لهُ[٢].

واستَمرَّ **الشِّيعَةُ** في غُلُوِّهِم؛ فتظاهروا بِحُبِّ آلِ البيْتِ، وسَتَروا تَحتَهُ غُلُوَّهُمْ في **عَلِيٍّ، وفَاطِمَةَ، والحَسَنِ، والحُسَيْنِ، وأولَادِ الحُسَيْنِ من ابنةِ يزدجردَ**.

وبدأوا يُوجِّهونَ سِهامَ كُفْرِهِم لِهذا الدِّينِ مِنْ هذا المُنطَلَقِ الذي جَذبُوا إليْهِ عَاطِفةَ فِئَةٍ مِنَ المُسلِمينَ، فطعَنُوا في الصَّحَابةِ طُعونًا عَظيمةً تَحُزُّ واللهِ! في نُفوسِ أهلِ الإيمانِ، وتَذُوبُ لَها قُلُوبُهُمْ كَمَدًا وحَزَنًا، وتَثورُ فيها الآلامُ والشُّجُونُ، وتَزدادُ حَسْرَتُهُمْ، ويَتولَّوْنَ وأَعيُنُهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ ألَّا يَجِدوا مَا يَقْمَعوا بِهِ تلك الأصواتَ الخبيثةَ الفاجرةَ الصّادرةَ مِنْ تلكَ الحناجرِ النَّتِنَةِ[٣].

إنَّ بِدْعَتَهُمْ وغُلُوَّهُمْ ما زالَ يَفتِكُ بالإسلامِ وأَهلِهِ مُنْذُ أكثر مِنْ **أربعةَ**

---

(١) الخوارجُ طَائفةٌ أَخبرَ بظهورِها النَّبيُّ ﷺ، ظهرتْ في أيّامِ الإمامِ عَلِيِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، ثُمّ خرجَتْ عليه وفارقتْ جَيشَهُ بعدَ (مَسألة التّحكيم)، والتحمُوا معه في مَعركةِ النَّهروانِ، وناصبوه وأهلَ بيتِهِ العداءَ وكفَّروهُ، وبعضُهم فسَّقَهُ، وأهمُّ سماتِهِمْ تكفيرُ أهلِ القبلةِ بكبائرِ الذنوبِ. (انظرْ: كتب ومصادر الفرق).

(٢) انظر ذلك هنا في: (ص: ٧٩).

(٣) أجمعَ أهلُ العلمِ على (**كُفْرِ**) مَنْ كَفَّرَ وسَبَّ صحابةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولا مِريةَ في ذلك؛ لأنَّ تكفيرَ الصّحابةِ الذين شَهِدَ لهم اللهُ تَعَالَى في مُحكم كتابهِ ـ ورسُولُهُ ﷺ فيما صحَّ عنه ـ بالإيمانِ والجنَّةِ والرِّضَى عنهم؛ يُعَدُّ تكذيبًا للهِ تَعَالَى ولرسُولِهِ ﷺ، ومَنْ كذَّبَ اللهَ تَعالَى ورسُولَهُ ﷺ فقد (**كَفَرَ**). اُنظرْ: «عَقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الصّحابةِ» لناصرٍ الشيخِ (٢/٨٥٦).

عَشْرَ قَرْنًا، مُستخدِمينَ أخبثَ ما عَرفَتْهُ البشَريَّةُ في تاريخِها مِنْ فُنونِ المكرِ والكَيدِ والدَّسِّ والتَّزويرِ والتَّشْويهِ، وغيرِ ذلك مِنْ أنواعِ التّآمُرِ مَا تَتزَلْزَلُ لهُ الجِبالُ الرَّاسياتُ. ولولَا وَعْدُ اللهِ تَعَالَى بِحفظِ هذا الدِّينِ وبَقائِهِ وأهلِهِ إلى يومِ الدِّينِ؛ لكانَ الإسلامُ مُنْذُ قُرونٍ خَبَرًا مِنَ الأخبارِ المُدوَّنَةِ في كُتُبِ التّاريخِ أو رُسومًا في مَتاحفِ الشَّرقِ والغربِ؛ ذلك لأنّهُ لَمْ يَتَعرّضْ دِينٌ قَطُّ مِنَ الأديانِ إلى مُحاولاتِ التَّشويهِ والتَّزويرِ كمَا تَعرَّضَ لهُ هذا الدِّينُ، مع قِلَّةِ مَانِعيهِ وضَعْفِ أهلِهِ وعَجزِهِم عَنِ الذَّبِّ عنهُ.

ولكن على الرَّغْمِ مِنْ كَثْرةِ قُوى الشَّرِّ والعُدْوانِ، وقُوّةِ حِيلَتِهِمْ في حَربِهِمُ الإسلامَ بِمبادِئِهِ ومِنْ داخلِهِ بِسلاحِ الغُلُوِّ؛ فقدَ قَيَّضَ اللهُ تَعالَى رِجالًا مؤمنينَ عُلماءَ عاملينَ أَمَدَّهُمْ بتوفيقِهِ، وأعانَهُمْ على قُوى الشَّرِّ والفسَادِ، فقاموا بِواجِبِ الذَّبِّ عَنْ دِينِ اللهِ وشَرْعِهِ، وعَنِ الأَعلامِ الشَّامخينَ مِنْ أوائلِ هذه الأُمَّةِ، وإنَّ جهودَهم المُباركةَ التي بَدأتْ مُبَكِّرةً مُنْذُ ظُهورِ البِدَعِ تُمثِّلُ صُورةً مُشرقةً مِنْ صُوَرِ حِفظِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى لدينِهِ.

وما زالَ هؤلاءِ الأعلامُ يَتعاقبونَ على مَرِّ القُرُونِ يَذُبُّونَ عَنْ دِينِ اللهِ تَعالَى ما يَنتَحِلُهُ المُجرمونَ، ويَستَمِرُّ هؤلاءِ في جِهادِهِمْ مَا دَامتِ المعركةُ قَائِمةً بَيْنَ الحَقِّ والضَّلالِ حتَّى يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليهَا، يَتصدّونَ لِكُلِّ زَيْفٍ وبَاطِلٍ وتَحريفٍ وتَأويلٍ، ولم يَمنَعْهُم خوفُ سُلطانٍ أو بَطْشُ جبّارٍ، فكَمْ مِنْ مَرَّةٍ ضَحُّوا لِهذه المهمَّةِ العظيمةِ بأوقَاتِهمْ وجُهودِهِمْ، وأحيانًا بأرواحِهِمْ؟ وكَمْ بَذَلُوا للهِ تَعَالَى حتَّى وَصَلَ إليْنَا هذا الدِّينُ العظيمُ وهذه النّعمةُ العظيمةُ كما أَنزلَها ربُّنَا تَبارَكَ وتَعالَى، وها هي مُؤلَّفَاتُهُمْ لَا تَكادُ تُعَدُّ ولَا تُحصَى خِدمةً للهِ تَعالَى ولِدِينِهِ الحَنيفِ.

فَرحِمَهُمُ اللهُ رحمةً واسِعةً، وجَعَلَنَا مِنَ الذينَ يَعرِفونَ حَقَّهُمْ وفَضْلَهُمْ،

ويَسلُكونَ مَسْلَكَهُمْ، ويُكمِّلونَ مَسيرتَهُمُ المباركةَ في الدِّفاعِ عَنْ هذا الدِّينِ، وعَنْ حَمَلَتِهِ الأوائلِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم وأرضَاهم؛ تَحقيقًا لِوَعْدِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى القائلِ في مُحْكَمِ كتابهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].



سببُ اختيارِ هذا الموضوعِ وأهمّيّتُهُ

إنَّ مِنْ أُصُولِ عَقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ؛ أَنَّهُمْ يَشهدونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسَالةَ رَبِّهِ وأَدَّى أَمَانتَهُ، وأنّهُ نَصَحَ الأُمَّـةَ، ومِنْ كَمالِ نُصْحِهِ لَهمْ ﷺ أنّهُ ما تَركَ خيرًا إلّا ودَلَّـهُـمْ عليهِ، ولَا شَرًّا إلّا وحَذَّرَهُمْ منهُ، وإنَّ مِمَّا حَذَّرَهُمْ منهُ ﷺ الغُلُوَّ في جميعِ صُورِهِ وأَشكالِهِ، سواءٌ في عَقائِدِهِمْ وعِبادَاتِهمْ وحتَّى آدَابِهِمْ وسُلوكِهِمْ.

ولِعِظَمِ أَمرِ الغُلُوِّ وشِدَّةِ خَطرِهِ على الأَدْيانِ؛ أنزَلَ اللهُ تَعالَى في شَأْنِهِ آياتٍ كَثيرةً؛ تحذيرًا لِهذِهِ الأُمَّةِ مِنْ رُكوبِ هذه المَطِيَّةِ، ومِنَ السَّيْرِ في هذا المُنْزَلقِ الخَطِرِ؛ فقال تباركَ وتَعالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]. وقال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].

في هذه الآياتِ الكريمةِ يُعاتِبُ المَوْلَى تَبارَكَ وتَعالَى **أهلَ الكِتابِ** في غُلُوِّهِمْ في دِينِهِمْ، واتِّباعِهِمُ الأهواءَ، ويُحذِّرُ أُمَّـةَ القُرآنِ مِنِ اتِّباعِ سَنَنِ مَنْ قَبْلَهُمْ وأهوائِهِمْ.

وقَدْ أَخبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَّ الغُلُوَّ مَا حَلَّ في أُمَّـةٍ إلَّا كان سَببًا لِهلاكِها، وذلك أثناءَ بَيانِهِ مِقْدَارَ ما يَجِبُ أنْ يكونَ عليهِ قَدْرُ حَصَى رَمْيِ الجَمَراتِ، وتحذيرِهِ الصَّحابةَ مِنَ الغُلُوِّ حتَّى في قَدْرِ حَصَياتِ الرَّمْيِ، فقالَ ﷺ: «**أَمْثَالَ هؤلاءِ فَارْمُوا** ـ ثُمَّ قَالَ ـ: **يا أَيُّهَا النَّاسُ! إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ في**

الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[(١)].

كما نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَصحَابَهُ عَنْ إِطْرَائِهِ والمُبالغةِ في ذلك؛ خَشْيَةَ وقُوعِهِمْ في الغُلُوِّ، وحمايةً لِاستِقامتِهمْ على المنهجِ الحقِّ، وتحذيرًا مِنْ مُشابَهةِ النَّصارَى في غُلُوِّهِمْ في نَبِيِّهِم عِيسَى عليه السلام حتّى جعلوه إلٰهًا يُعْبَدُ مِن دونِ اللهِ تَعالَى، فقال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[(٢)].

ذلك لأنَّ الغُلُوَّ مَطِيَّةُ الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى، وهو أعظمُ ما عُصِيَ اللهُ بِهِ، ولقَدْ أهلكَ اللهُ تعالَى القُرونَ الأولَى والأُمَمَ السّابقةَ كَقَومِ نُوحٍ عليه السلام وغيرِهِمْ لِغُلُوِّهِمْ في صَالِحيهِم حتَّى وَقَعُوا في الشِّرْكِ[(٣)].

---

(١) حديث صحيح رواه النّسَائِيُّ في «سُننِه»، كتاب المناسك، باب التقاط الحصَى (٥/ ٢٦٨)، وابنُ مَاجَه في «سُننِه»، واللفظُ لهُ، كتاب المناسك، باب قدر حصَى الرّمي (٢/ ١٠٠٨ رقم: ٣٠٢٩). وصحَّحَهُ ابنُ خُزَيْمَةَ في «صحيحِهِ» (٤/ ٢٧٤ رقم: ٢٨٦٧)، وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِهِ» (٩/ ١٨ رقم: ٣٨٧١)، والحاكمُ في «مُستدركِهِ» (١/ ٤٦٦). وقال النَّوَوِيُّ في «المجموع» (٨/ ١٧١): «رَواهُ النَّسَائِيُّ بإسنادٍ صحيحٍ علَى شَرْطِ مُسْلِمٍ». وكذا قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ في «الاقتضاء» (١/ ٢٨٩). وانظرِ: «السلسلةَ الصَّحيحة» (رقم: ١٢٨٣) للمحدِّثِ الألبانيِّ.

(٢) رواه البخاريُّ في «صحيحهِ»، كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (الفتح: ٦/ ٤٧٨ رقم: ٣٤٤٥).

(٣) كانتِ البشريّةُ مُنذُ أُنزِلَ آدمُ عليه السلام على التّوحيدِ الخالصِ إلى أنْ وقعَ الشِّركُ في قوم نُوحٍ ﷺ بسببِ الغُلُوِّ في بعضِ الصّالحينَ. روى الإمامُ البُخاريُّ في «صحيحِهِ» (الفتح: ٨/ ٦٦٧ رقم: ٤٩٢٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «.. الأَوْثَانُ التي كَانَتْ في **قَوْمِ نُوحٍ** ـ... **وَدٌّ**.. **سُوَاعٌ**.. **يَغُوثُ**.. **يَعُوقُ**... **نَسْرٌ** ـ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ (انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ). فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ؛ عُبِدَتْ». وروى الحاكمُ وصحّحهُ في «المستدرك» (٢/ ٥٤٦) بإسنادِهِ إلى ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كانَ بينَ نُوحٍ وآدمَ عشَرةُ قُرونٍ كلُّهم على شَريعةٍ مِنَ الحقِّ، فاختلفوا، فبعثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ». الرّوايتانِ لهما حُكْمُ المرفوعِ عنِ النّبيِّ ﷺ.

والمُتأمِّلُ في التَّاريخِ الإسلاميِّ يَجِدُ أنَّ الغُلُوَّ على الرَّغْمِ مِنِ اتّضاحِ المنهجِ وصراحةِ النُّصوصِ في التَّحذيرِ منهُ؛ فقَدْ وقعَ مُبكِّرًا في هذه الأُمَّةِ، يُشَوِّهُ صَفَاءَ دِينِها، ويَنخَرُ في حَنيفِيَّتِها، ويَصرِفُها عَنِ اعتِدالِها ذاتَ اليَمينِ وذاتَ الشّمال، وعنِ استِقامتِها على مَنهجِ اللهِ تَعَالَى وصِراطِهِ المستقيمِ إلى تلك السُّبُلِ المُتعدِّدَةِ التي انحرفَتْ عنهُ.

وقَدْ رَأيتُ أنَّ أعظمَ ما حُورِبَ بِهِ المُسلِمونَ في دِينِهِمْ؛ أنْ فُتِحَ لَهمْ بابُ الغُلُوِّ في قِيَمِهِ وآدابِهِ وحتَّى عَقائِدِهِ. وتُبَيِّنُ كُتُبُ الفِرَقِ والعقائدِ أنَّ أكثرَ انحرافاتِ الفِرَقِ الإسلاميَّةِ والمنتسبِينَ إليها كانَت بِسببِ الغُلُوِّ.

ورَأيتُ أنَّ فِرْقَةَ الشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ ما استطاعتْ أنْ تُحَقِّقَ شيئًا مِنْ أهدافِها في مُحارَبَتِها هذا الدِّينَ وأهلَهُ إلَّا بَعْدَ أنِ استغلّتْ هذا المبدأَ الخبيثَ **الغُلُوَّ**، واجتهدتْ في بَثِّهِ بَيْنَ النَّاسِ.

وكان التَّصوُّفُ والدَّعوةُ إلى التَّزَهُّدِ والتَّنَسُّكِ مِنْ أَهَمِّ المَطَايَا التي امتطتْها الرَّافِضَةُ في سبيلِ تَحقيقِ مآرِبِها، ففَتَحوا أعظمَ أبوابِ الغُلُوِّ في هذا الدِّينِ وعباداتِهِ وعَقائِدِهِ باسمِ التَّزَهُّدِ والتَّنَسُّكِ والتَّصوُّفِ والتَّجَرُّدِ إلى اللهِ تَعَالَى وحدَهُ، إلى غيْرِ ذلك مِنَ الشِّعاراتِ الإسلاميَّةِ التي فَتكَتْ بِهذه الأُمَّةِ مُنْذُ قُرُونٍ وما زَالتْ، وما زالَ فِئَامٌ عَظيمةٌ مِنَ النَّاسِ مخدوعينَ بِهذه البِدْعَةِ الخَبيثَةِ.

كما رأيتُ أنَّ مَنِ انخَدَعَ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ بالتَّصَوُّفِ ـ فانحرفَ عَنِ الجادّةِ القَويمةِ بِسببِهِ ـ أَعْظَمَ عَدَدًا مِمَّنِ انخدعَ بالتَّشَيُّعِ فانحرفَ عَنْ دِينِهِ بِسببِهِ؛ وذلكَ لأنَّ **التَّشَيُّعَ** قَدْ بَايَنَ مَذْهبَ أهلِ الحقِّ مُبَايِنَةً لَمْ يَعُدْ بعدَها قَادرًا على إنفاذِ حِيَلِهِ ومَكْرِهِ، فلَمْ يَستطيعوا أنْ يَخدعوا إلَّا أُولَئِكَ الغارقينَ في ظُلمَاتِ الجهلِ، أوِ المنتَفعينَ الذينَ بَاعُوا دِينَهُمْ بِدُنيَاهم فأخذوا يُرَدِّدونَ بَيْنَ الفَيْنَةِ والأُخْرَى شِعاراتِ الرَّافِضَةِ، كالتَّقارُبِ بَيْنَ المذاهبِ والوحدةِ الإسلاميَّةِ وغيرِها، وعَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ كاذِبونَ.

وأمَّا **التَّصَوُّفُ**؛ فقَدْ نَجحَ الأعدَاءُ في زَرْعِهِ شَوْكَةً عَظيمةً في جَسَدِ هذه الأُمَّةِ، ودَاءً عُضَالًا في قَلْبِها، حتَّى إنَّ بعضَ أهلِ العِلْمِ والفَضْلِ قَدِ انخدَعَ بالتَّصَوُّفِ والصُّوفِيَّةِ، فتَراهُ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِمْ وبِطُقُوسِهِمْ وعِبادَاتِهِمْ وعَقائِدِهِمْ وحتَّى شَطَحَاتِهِمْ ومُنكَراتِهِمْ، فيسْعَى جَاهِدًا في تأْويلِها وحَمْلِها على بَعضِ وُجُوهِ الخيْرِ، بَاحِثًا عَنْ وجُوهٍ مِنَ المعاذيرِ لتلكَ الشَّطَحَاتِ القَوليَّةِ والفِعليَّةِ التي يَرفُضُها الدِّينُ الحقُّ والفِطَرُ السّليمةُ والعُقولُ الواعيةُ. وممّا يَزِيدُ مِنَ الألَمِ ويَحُزُّ في النّفسِ أنَّ تلكَ المعاذيرَ قَدِ اتَّكَأَ عليها المُتَصَوِّفَةُ المُنحرِفونَ وتمسّكوا بِها، واتّخذوها شَهاداتٍ يَعتزُّون بِها، ووَسيلَةً تُعينُهُمْ على إضلالِ الخلْقِ عَنِ المنهجِ الحقِّ، وتَدْفَعُهُمْ إلى سُبُلِهِمُ التي قَعَدُوا عليها دُعاةً إلى نَارِ جَهنَّمَ.

لذا كان كشفُ **العلاقةِ** بينَ هاتيْنِ الفِرقَتَيْنِ، والرّبطُ بَيْنَ بِدْعَةِ **التَّصَوُّفِ** وبَيْنَ أَهَمِّ أُصُولِها، أَعنِي: **التَّشَيُّعَ** ـ الذي كان حظيرةَ هذه البدعةِ ومَزرعتَها حيثُ سَاهمَ الرّافضةُ في نَشْأَتِها وتَربيتِها وتَغْلغُلِها في صُفوفِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ـ كان ذلك مِنْ أَهمِّ الدّوافعِ لاختياري هذا الموضوعَ. ثُمَّ تبيانًا للحقِّ، ودِفاعًا عَنْ صَحابةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ورَضِيَ اللهُ عنهم، أُولَئِكَ الأبطالُ وعمالِقةُ التَّاريخِ، الذين ما زالَ يَتطاولُ على مَقامِهِمْ هؤلاءِ الأَقْزَامُ الأَدْعِياءُ أَبنَاءُ المُتْعَةِ وأحفادُ المجُوسِ. راجِيًا أنْ أكونَ مِنَ الذَّابِّينَ عَنْ دِينِ اللهِ ﷻ، السّالكينَ مَسْلَكَ السّلفِ الكرامِ في مَسيرتِهِمُ العظيمةِ لِإحقاقِ الحقِّ وإزهاقِ الباطلِ، إنَّ الباطلَ كانَ زَهوقًا.



خُطَّةُ البَحْثِ

قَسّمْتُ الرِّسالةَ إلى: مُقدّمةٍ، وثلاثةِ أبوابٍ، وخاتِمةٍ، وأخيرًا الفهارس.

المُقدّمة؛ وتشتملُ على:

- سببُ اختيارِ هذا الموضوعِ وأهمّيّتُه، وقد تقدّمَ.
- خُطَّةُ البَحْثِ.
- منهجُ تخريجِ الرّواياتِ والآثارِ وعزوِ النُّصوص.
- ذكرُ بعضِ التّنبيهاتِ الهامّة.

البابُ الأوّلُ: التَّشيُّعُ؛ وفيه فَصْلانِ:

(*) **الفصلُ الأوّلُ: معاني الشِّيعةِ والتَّشَيُّع؛** وفيه أربعةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: الشِّيعةُ في اللُّغَةِ.
- المبحثُ الثاني: الشِّيعةُ في القُرآنِ.
- المبحثُ الثالثُ: الشِّيعةُ في السُّنَّةِ.
- المبحثُ الرابعُ: الشِّيعةُ في الاصطلاحِ.

(*) **الفصلُ الثاني: تاريخُ الشِّيعةِ والتَّشَيُّع؛** وفيه مبحثٌ واحدٌ:

- مبحثُ: نَشْأَةُ التَّشَيُّعِ وتطوّرُهُ.

وهو مبحثٌ تاريخيٌّ يَبحثُ في تاريخِ التَّشيُّعِ، وتطوّرِ أفكارِهِ وعَقائِدِهِ، ومَيْلِهِ وانحرافِهِ عَنْ جادّةِ الحقِّ والصّوابِ على مرِّ التّاريخِ.

البابُ الثّانِي: الـتَّـصَـوُّفُ؛ وفيه فَصْلانِ:

(*) **الفصلُ الأوّلُ: معاني التَّصَوُّفِ؛** وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: التَّصَوُّفُ في اللُّغَةِ والاصطلاحِ.
- المبحثُ الثاني: أصلُ كلمةِ «التَّصَوُّفِ» واشتِقاقه.
- المبحثُ الثالثُ: تعريفُ التَّصَوُّفِ.

(*) **الفصلُ الثاني: تاريخُ التَّصَوُّفِ؛** وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: نشأةُ التَّصَوُّفِ.
- المبحثُ الثاني: تطوّرُ التَّصَوُّفِ.
- المبحثُ الثالثُ: مَراحِلُ التَّصَوُّفِ، وهي ثلاثُ مراحلَ:
  - المرحلةُ الأولى: التَّصَوُّفُ في (المائةِ الثانيةِ) هجريًّا.
  - المرحلةُ الثانيةُ: التَّصَوُّفُ في (المائةِ الثالثةِ) هجريًّا.
  - المرحلةُ الثالثةُ: التَّصَوُّفُ في (المائةِ الرابعةِ) هجريًّا.

البابُ الثالثُ: العلاقةُ بَيْنَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ؛ وفيه فَصْلانِ:

(*) **الفصلُ الأوّلُ: وِحْدَةُ المَنْشَأِ؛** وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: أوائلُ الصُّوفِيَّةِ.
- المبحثُ الثاني: أعلامُ الصُّوفِيَّةِ وعلاقتُهم بالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ.
- المبحثُ الثالثُ: الشِّيعَةُ وعلاقتُهم بالتَّصَوُّفِ. يَسبقُهُ تمهيدٌ في التّعريفِ بأربعةٍ مِن أئمّةِ الشّيعةِ الاثني عشرَ الذين تدّعي (الفِرقتانِ) كذبًا وزورًا انتسابَهم إليهم وأخذَهم عنهم أُصولَ بِدَعِهم، وهم مِن ذلك برءاء.

(*) **الفصلُ الثاني وِحْدَةُ المناهجِ التّعليميَّةِ والتَّربويَّةِ؛** وفيه سبعةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: تَقسيمهُمُ الدِّينَ إلى ظاهرٍ وباطنٍ؛ وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:

- التمهيدُ: الظاهرُ والباطنُ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ.
- المطلبُ الأوّلُ: تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ عندَ الرَّافِضَةِ.
- المطلبُ الثاني: تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ عندَ الصُّوفِيَّةِ.

■ المبحثُ الثاني: العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ؛ وفيه: تمهيدٌ، ومطلبانِ:
- التمهيدُ. العِلمُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.
- المطلبُ الأوّلُ: العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ عندَ الشِّيعةِ.
- المطلبُ الثاني: العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ عندَ الصُّوفِيَّةِ.

■ المبحثُ الثالثُ: مَوْقِفُهُمْ مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ؛ وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:
- التمهيدُ: القُرآنُ والسُّنَّةُ في الإسلامِ ومَوْقِفُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ منهما.
- المطلبُ الأوّلُ: مَوْقِفُ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ.
- المطلبُ الثاني: مَوْقِفُ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

■ المبحثُ الرابعُ: التَّقِيَّةُ؛ وفيه: تمهيدٌ، ومطلبانِ:
- التمهيدُ: تعريفُ التَّقِيَّةِ لُغَةً واصطلاحًا، وموقفُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ منها.
- المطلبُ الأوّلُ: التَّقِيَّةُ والكِتْمَانُ عندَ الشِّيعةِ.
- المطلبُ الثاني: التَّقِيَّةُ والكِتْمَانُ عندَ الصُّوفِيَّةِ.

■ المبحثُ الخامسُ: الإمامةُ والوِلايَةُ؛ وفيه أربعةُ مَطالبَ:
- المطلبُ الأوّلُ: الإمامةُ لُغَةً واصطلاحًا.
- المطلبُ الثاني: الوِلايَةُ لُغَةً واصطلاحًا.
- المطلبُ الثالثُ: الإمامةُ الشِّيعِيَّةُ والوِلايَةُ الصُّوفِيَّةُ.
- المطلبُ الرابع: خَصائصُ الإمامةِ والوِلايةِ عِندَ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ.

- المبحثُ السّادسُ: تَقديسُ القُبورِ والأضْرِحَةِ؛ وفيه تمهيدٌ وثلاثة مطالب:

- التمهيدُ: توحيدُ اللهِ ﷻ في رُبُوبيَّته وأُلوهيّتِهِ.
- المطلبُ الأوّلُ: الغُلُوُّ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفِيَّةِ في المتبوعينَ والأتباعِ.
- المطلبُ الثاني: الشُّفَعَاءُ والوُسَطَاءُ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ.
- المطلبُ الثالث: تَعْظِيمُ القُبورِ وعِبَادتُها عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ.

- المبحثُ السّابعُ: الحُلُولُ والاتِّحادُ؛ وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:

- التمهيدُ: في بيانِ حقيقةِ التّوحيدِ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ وغيرهِم من أهلِ البدعِ، مع التعريفِ بمعنى الحُلُولِ والاتِّحادِ.
- المطلبُ الأوّلُ: الحُلُولُ والاتِّحادُ عندَ الصُّوفِيَّةِ.
- المطلبُ الثاني: الحُلُولُ والاتِّحادُ عندَ الشِّيعةِ.

الخاتِمةُ

أمَّا الخاتِمةُ فقَدْ ضَمّنتُها أَهمَّ النّتائجِ التي ظهرتْ لي وتَوصّلتُ إليها مِن خلالِ البحثِ في هَاتيْنِ الفِرْقَتيْنِ **الشِّيعَةِ والصُّوفِيَّةِ**، وكشفِ ما بينهما مِنْ علاقةٍ وصِلَةٍ. ثُمَّ ذَيّلتُ **الخاتمةَ بنصيحةٍ** لأهلِ السُّنّةِ وخاصّةً طُلّابَ العلمِ والكُتّابَ منهم.

هذا؛ وقَدْ بَذلتُ جهدي في هذه الرّسالةِ، ولم أدّخرْ وسعًا في ذكرِ مَذاهبِ وعَقائِدِ هاتيْنِ الفِرقتيْنِ الضّالّتينِ مِنْ مَراجعِهِمُ المعتمدةِ وأُصُولِهِمُ المُعتَبَرةِ عِنْدَهُمْ، وحاولتُ أنْ أَرْبِطَ أقوالَ المتأخّرينَ منهم وحتَّى المُعاصرينَ بأقوالِ المُتقدّمينَ مِنْ أئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمُ الموْثوقِ بِهِمْ عِنْدَ أَهْلِ نِحْلَتِهِمْ؛ ذلك لِأُبَيِّنَ أنَّ مُتأخّرِيهِم صُورةٌ ونُسْخَةٌ مِنْ مُتقَدِّميهِمْ، يعتقدون جميعَ مُعتقداتِهِمْ

ويَتبَنَّوْنَ كُلَّ ضَلالاتِهمْ وانحرافاتِهمْ، ورَدًّا على المَزاعِمِ التي تُحاوِلُ تَخفيفَ حِدَّةِ الكُفْرِ والنِّفاقِ، وتُجاملُ أهلَ البِدَعِ والأهواءِ على حِسابِ دِينِنَا ومَذهبِنا بِحُجَّةِ **وِحْدَةِ الصَّفِ والتّقريبِ المزعوم**. فكلَّما أظهرَ اللهُ تَعالَى مِنْ فَضائحِ أئِمَّتِهمْ وأساطينِ مَذهبِهِمْ على أيدِي عُلَماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ؛ فإذا بدُعاةِ **التّقريبِ**(١) يَزعمونَ أنَّ ذلك مِنْ مَذاهبِ قُدمَائِهِمْ ومُتطرِّفيهم وغُلاتِهمْ. .إلخ، ويقولون: «**إِنَّهُمْ أُمَّـةٌ قَدْ خَلَتْ**»، مُتظاهرينَ بأنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَقلُّ شَرًّا وغُلُوًّا، وإنَّهُمْ لكاذبونَ.

الفهارس

١ ـ فهرسُ الآياتِ القُرْآنِيَّةِ الكريمةِ على ترتيبِ سُورِ وآياتِ المُصْحَفِ الشّريفِ.

٢ ـ فهرسُ الأحاديثِ النّبويَّةِ الصّحيحةِ والضّعيفةِ والموضوعةِ.

٣ ـ فهرسُ الآثـارِ.

٤ ـ فهرسُ الشِّعرِ.

٥ ـ فهرسُ الأعلامِ.

٦ ـ فهرسُ الأمكنةِ والبُلدانِ.

٧ ـ فهرسُ الكتبِ الواردةِ في المَتْنِ.

٨ ـ فهرسُ الفِرَقِ والطَّوائفِ.

٩ ـ فهرسُ المراجعِ والمصادرِ، مع تَمييزِ ما يَخصُّ **أهلَ السُّنَّةِ والجَماعةِ** بالرمزِ (❊)، و**الشِّيعَةَ الرّافضةَ** بالرمز (●)، و**الصُّوفيَّةَ الخُرافيّةَ** بالرمزِ (■).

١٠ ـ وأخيرًا: فهرسُ الموضوعاتِ العامَّـةِ للكتابِ.

---

(١) انظر: للوقوفِ على بعضِ أقوالِ هؤلاءِ ومواقفِهم وأسمائِهم؛ هنا في (ص: ٦٨٠) تحت عنوان (النصيحة).

منهجُ تخريجِ الرّواياتِ والآثارِ وعزوِ النُّصوص

أ ـ مَا يَتعلّقُ بأحاديثِ ومرويّاتِ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ:

ـ اعتمدتُ في غالبِ ما ذكرتُهُ على «**صَحيحَي الإمامَيْنِ البُخَارِيِّ ومُسْلِم**» أو «**أحدِهما**» رَحِمَهُما اللهُ تعالَى؛ لأنَّ الاستشهادَ بمَروِيّاتِهما في كافّةِ أُمورِ الشّريعةِ **عقيدةً وأحكامًا وسيرةً وتاريخًا** هو المُتعَيَّنُ عِنْدَ أهلِ الحَقِّ، حيثُ إنّ منهجَهما هو أصحُّ ما يُوجَدُ في الدُّنيا لإثباتِ تعاليمِ هذا الدّينِ الحنيفِ بعدَ القُرآنِ.

ـ إذا ذَكرتُ حديثًا مِنَ «**الصَّحِيحَيْنِ**» أو مِن «**أحدِهما**»؛ أكتفيتُ بعزوِهِ إليهما أو إليهِ، مع الاكتفاءِ أيضًا بذكرِ مَوْضعٍ واحدٍ فَقَطْ إذا كان الحديثُ تكرّرَ فيهما.

ـ إذا دَعَتِ الحاجةُ لذكرِ بعضِ الأحاديثِ مِن غَيْرِ «**الصَّحِيحَيْنِ**» مثل «**السُّنَنِ الأربعةِ**» و«**المسانيدِ**» وغيرِها؛ فإني أفعلُ بشرطِ الصّحّةِ والقَبولِ، مُلتزمًا بذكرِ أحكامِ العُلماءِ على الحديثِ باختصارٍ، ثُمّ أُحيلُ القارئَ على أَوْعَبِ كِتابٍ حوَى دراسةَ وتخريجَ هذا الحديثِ، وغالبًا ما يَكونُ أَحدَ كُتُبِ مُحَدِّثِ العَصْرِ الإمام المُجدِّدِ **مُحمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الألبانيِّ**؛ لِجُهودِهِ الحثيثةِ في الذَّبِّ عَنْ دينِ ربِّ العالمينَ وسُنَّةِ الرَّسُولِ الكريم ﷺ، وكَثْرةِ الرّواياتِ التي حَقَّقَها طيلةَ **ستّة عُقودٍ** مِن سِنيِّ حياتِه، وعِنايتِهِ المُبكّرةِ بالكَشْفِ عَنْ مَرويّاتِ أهلِ البِدَعِ المكذوبةِ الموضوعةِ والضّعيفةِ، التي يستدِلُّونَ بها على تقريرِ بَاطِلِهِمْ ونشرِهِ بينَ النّاسِ لإضلالِهم، ووَفْرَةِ تُراثِهِ وانتشارهِ في بقاعِ المعمورةِ وسُهولةِ الاطّلاعِ عليه، فرَحِمَهُ اللهُ تعالَى رَحمةً واسعةً ورفعَ درجتَهُ في عِلِّيّينَ.

ب ـ مَا يَتعلّقُ بأحاديثِ ومرويّاتِ أهلِ البِدْعَةِ والفُرقَةِ:

ـ على الرَّغْمِ مِنْ كونِ أحاديثِ ومَرويّاتِ **الشّيعةِ والصُّوفيّةِ** ـ التي

يستدلّونَ بها على بَاطلِهِمْ وبدَعِهِمْ ـ **مُتَحَقِّقٌ فيها الاخْتِلَاقُ والكَذِبُ مِنْ جِهَةِ السّندِ والمَتْنِ جميعًا ومُخالَفتُها للمُقرَّرِ شَرْعًا وعَقْلًا**[1]؛ إلَّا أنّي الْتزمتُ ذِكْرَ أحكامِ أهلِ الحديثِ وحُفّاظِهِ على هذه **الأكاذيبِ** تأكيدًا وتدليلًا على اختِلاقِها، حيثُ رَصَدَها عُلماؤنا في مَهْدِها وقَيّدوها في كُتُبِ **المرويّاتِ الموضوعةِ والضّعيفةِ** مع ذكرِهم أسماءَ مَنِ اختلَقها مِنَ الوضّاعينَ والكَذبةِ، والأسبابَ التي دَفعتْهُمْ للكَذبِ على الرّسُولِ ﷺ وعلى آلِ البيتِ والصّحابةِ وغيرِهم مِنَ المرموقينَ في هذه الأُمَّةِ؛ وفي ذلك إظهارٌ لجُهودِ أهلِ الحقِّ في التّصَدّي لأهلِ البِدَعِ ومُحدَثَاتِهِمْ وما اختلَقُوهُ مِنْ هذه الأكاذيبِ والتُرَّهاتِ ورَكّبوا له الأسانيدَ.

ـ أمَّا الأكاذيبُ والأساطيرُ التي رَوَوْها **دونَ إسنادٍ** ـ وهي التي يَحكُمُ عليها العُلماءُ بقولِهِمْ: «**لا أصلَ لها**»[2] ـ فهذه يَكفي في بيانِ كَذِبِها وبُطلانِها أنّها تُروَى في مصادرِ أهلِ البِدَعِ بغيرِ إسنادٍ، ومع ذلك فقد رَصدَ المُحَدِّثُونَ منها قدرًا كبيرًا، وأودَعوه في كُتُبٍ معروفةٍ. وبالتّأكيدِ لا يَرفعُ مِنْ شَأْنِ هذه **المرويّاتِ المكذوبةِ اللَّقيطةِ** كَثْرةُ ترديدِها وتَناقُلها في كُتُبِ القومِ، ولا يُسَوّغُ قَبُولَها ما ابتدعوه مِنْ قواعِدَ باطلةٍ لتمريرِها مما سأذكرهُ في مَوْضِعِهِ المُناسبِ إنْ شاءَ اللهُ تعالَى. علمًا بأنَّ هذا **المنهجَ** هو نفسُهُ الذي يستخدمُهُ النُّقَّادُ فيما يَنْسُبُهُ بعضُ المُنحرفينَ مِن أهلِ السُّنّةِ إلى الرّسُولِ ﷺ دونَ إسنادٍ، فمِنْ بابِ الأوْلَى تطبيقُ هذا **المنهجِ** على ما يُنْسَبُ إلى مَنْ هو دونَ

---

(١) أمّا ما ثبتَ صحّتُهُ على قِلّتهِ مما يَروونهُ في ذكرِ فضائلِ بعضِ آلِ البيتِ ـ وليس كُلِّهم ـ فقد أَوّلُوهُ بـما يتعارضُ مع حقيقتهِ في اللُّغةِ والشَّرعِ، وحمّلوهُ ما لا يَحتملُ؛ ليتماشَى مع بِدَعِهِم وخُرافاتِهِم التي ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطانٍ. وسيأتي بيانُ ذلكَ «هنا» في موضعهِ المناسبِ إن شاء اللهُ تعالَى.

(٢) هذا هو المرادُ بقولِ العلماءِ في كُتبِ الأحاديثِ الموضوعةِ المكذوبة: «لا أصلَ له». وهناك بعضُ العلماءِ يُطلقُ هذا المصطلحَ على (الحديثِ المُسنَدِ) المنكرِ الذي تفرّد به أحدُ الرّواةِ ولا يُتابعُ عليهِ.

الرَّسُولِ ﷺ، سواءٌ كان مِنْ آلِ البيْتِ أَمْ مِنَ الصّحابةِ أَمْ مِنَ العُلماءِ والمتبوعينَ وغيرِهم ﷺ.

ج ـ الْتَزمتُ في الرَّدِّ على هاتيْنِ **الفِرقتيْنِ الضَّالتينِ** وبيانِ الحقِّ وتقريرِ منهجِ واعتقادِ أَهلِ التّوحيدِ والسُّنّةِ؛ الْتَزمتُ في ذلك ذكرَ الرّواياتِ الصّحيحةِ الصّريحةِ والحُجَجِ العقليّةِ الرّجيحةِ، دونما غُلُوٍّ أوِ اتِّباعٍ للهوى، خلافًا لمسلَكِ أهلِ البدْعَةِ والفُرقَةِ عامّـةً، ومسلكِ هاتيْنِ **الفِرقتيْنِ الضَّالتينِ** خاصّةً.

د ـ لَـمْ يَمنَعْني انتمائي لأهلِ السُّنّةِ والجماعةِ مِنَ الاهتمامِ بِنُصُوصِ أهلِ البِدَعِ ـ التي نَقلتُها في هذا الكتابِ ـ بالضَّبطِ وتوزيعِ عَلاماتِ التّرقيم.. إلخ؛ وذلك حرصًا على الأمانةِ العِلْميَّةِ، وتبيانًا لمعاني هذه النُّصوصِ لِيَظهرَ ما فيها مِنَ الباطلِ، وخدمةً للقارئِ، وعونًا للباحثِ عنِ الحقِّ والحقيقةِ أيًّا كانَ.

هـ ـ وأُنَبِّهُ على أنَّ كُتُبَ هاتيْنِ **الفرقتينِ الضَّالتَيْنِ** التي اعتمدتُ عليها في هذا البحثِ أو نقلتُ منها نصًّا؛ قد غلبَ عليها التّحريفُ والأخطاءُ المطبعيّةُ والرّكاكةُ الظّاهرةُ؛ لجهلِ أكثرِهم باللُّغةِ العربيّةِ ـ لُغَةِ الإسلامِ والوَحْيَيْنِ ـ تَعمُّدًا وتعصُّبًا وبُغْضًا وإهمالًا، وقد أَبقيتُها على ما هي عليهِ وأشرتُ في الحاشيةِ إلى الصّوابِ غالبًا.

و ـ فيما يتعلَّقُ بنقلِ النُّصوصِ عامّـةً:

ـ عِنْدَ الاقتصارِ على ذكرِ جُزءٍ مِنَ الآيةِ الكريمةِ؛ فإني أشيرُ إلى ذلكَ بقولي: «**مِنَ الآيةِ...**»؛ وذلكَ مُراعاةً لمقامِ كتابِ اللهِ الكريم.

ـ التزمتُ في **النّقلِ الحرفيِّ للنُّصوصِ** عَدَمَ التَّصرُّفِ فيها، مع إحاطتِها بهذيْنِ القوسيْنِ «»؛ تَمسُّكًا بالأمانةِ العِلميّةِ. وإذا دَعتِ الحاجةُ إلى إقحامٍ أو زيادةِ حرفٍ أو كلمةٍ أو جملةٍ للإيضاحِ والبيانِ...؛ فأقومُ بوضعِ ذلك بَيْنَ

هَذيْنِ القوسينِ المعكوفين [...] المتعارفِ عليهما الدّالّانِ على الإقحامِ والزيادةِ.

ـ أمَّا في **النّقلِ بالمعنَى للنُّصوصِ**؛ فقد تَوخّيتُ التّعبيرَ الصَّادقَ الدَّالَّ على حقيقةِ النّصُوصِ ودَلالتِها الصّريحةِ دونَ تَحامُلٍ أو تَعسُّفٍ.

ـ وَثَّقتُ النُّصوصَ بعزوِها إلى مصادرِها مع ذكرِ **رقمِ الجُزءِ والصّفحةِ** للطّبعةِ التي اعتمدتُ عليها، **ورقمِ الحديثِ** إذا كانتِ الأحاديثُ مُرقّمةً. وذكرتُ **اسمَ الكتابِ والبابِ** إنْ وُجِدَ؛ ليسهلَ الكَشْفُ عنها في أيِّ طبعةٍ وإنْ تعدَّدتْ؛ وذلك حرصًا على الأمانةِ العلميّةِ، وقطعًا لطريقِ الإنكارِ والكَذِبِ والتَّفلُّتِ على الذينَ استحلُّوا الكَذِبَ والتّزويرَ واتّخذوه دِينًا.

ـ أَبرزتُ بالخطِّ الأسودِ السّميكِ: الأحاديثَ النّبويّةَ وبعضَ الآثارِ سواء المقبولة منها أوِ المردودة، والعناوينَ، وبعضَ الجُمَلِ والكلماتِ والأسماءِ.

ذكرُ بعضِ التّنبيهاتِ الهامّة

١ ـ هذا الكتابُ رسالةٌ عِلْميّةٌ تقدّمتُ بها عامَ **(١٤١١هـ)** لنيلِ درجةِ **العالمِية العاليَة الدكتوراه**، ولَمْ يَشَأِ اللهُ تعالَى أنْ يُطْبَعَ إلَّا في هذا العامِ **(١٤٢٩هـ)**؛ أيْ: بَعْدَ **(١٨)** عامًا تقريبًا مِنْ تأريخِ تأليفهِ، وفي هذه الفتْرةِ خضعَ الكتابُ لمزيدٍ مِنَ العنايةِ، من ذلك:

ـ زِدْتُ في عنوانِ الكتابِ جملةَ: **عرضٌ ونَقْدٌ**؛ إمعانًا في الدّلالةِ على محتوى الكتابِ ومباحثهِ، فصارَ: «**العلاقةُ بَيْنَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ عَرْضٌ ونَقْدٌ**».

ـ نَقّحْتُ مادّةَ الكتابِ بالإضافةِ والحذفِ والاختصارِ بما يتّفقُ مع مصلحةِ البحثِ.

ـ أتممتُ التّعريفَ بالأعلامِ مع الإحالةِ على مواضعِ تراجِمِهم في

أقربِ المصادرِ، وقدْ أهملتُ التّعريفَ بالمشاهيرِ وأهلِ اللُّغَةِ(١)؛ لسهولةِ الوقوفِ على تراجِمهم.

- استفدتُ مِن بعضِ الدّراساتِ القائمةِ على منهجِ المُحدّثينَ النَّقديِّ التي صَدرتْ لاحقًا وطُبعتْ حديثًا، ولم أقفْ عليها إبّانَ إعدادِ هذه الرّسالةِ، وقد أحلتُ عليها في بعضِ المسائلِ والقضايا؛ اختصارًا وهربًا منَ الإطالةِ، ولِيَرجِعَ إليها مَنْ أرادَ الزّيادةَ والتّوسّعَ في الوقوفِ على الحقِّ والحقيقةِ بأدلّتهِ التّفصيليّةِ.

- ضَبطتُ الكتابَ كُلَّهُ تقريبًا بالعلاماتِ لتنضبطَ المعاني ويرتفعَ اللّبسُ.

- نظّمْتُ ورتّبتُ النَّصَّ مثل: تخصيصُ (**الرّافِضَةِ**) عندَ سَردِ أقوالِهم ونُصوصِهم بهذه الدائرة: (●)، وتخصيصُ نُصوصِ (**الصُّوفيَّةِ**) بهذا المربع: (■)؛ وذلك لِيَسْهُلَ على القارئِ مُتابعةُ أقوالِ أيٍّ مِنَ الفِرْقَتَيْنِ وإنْ طالتْ، وتمييزُها والتّعرفُ عليها. كما ميّزتُ أقوالَهم بهذه العلاماتِ في الفهارسِ أيضًا.

- لم أُفرّقْ في الحاشيةِ - عندَ الإحالةِ المتكرّرةِ على الكُتبِ - بين المصدرِ والمرجعِ، فعَبّرتُ عنِ الكُلِّ بـ«المصدرِ». فأقولُ: «المصدر السابق..» أو: «المصدر نفسه..».

٢ - ذكرتُ في **الرِّسالة** (**بعضَ أهلِ السُّنّةِ**) ممنْ تَلبَّسَ بشيءٍ مِنَ

(١) أَحلتُ كثيرًا في التعريفِ ببعضِ الأعلامِ على «سير أعلام النبلاءِ» للذهبيِّ و«الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ؛ لاحتواءِ حاشيةِ الكتابيْنِ على الكثيرِ منَ المصادرِ التي ترجمتْ للعَلَمِ المذكورِ. وأُنبّهُ هنا على أمرٍ هامٍّ وهو: أنّه لا يَلزمُ من كلمةِ الأعلامِ أو النبلاء أو بعضِ الألفاظِ التي يُطْلِقُها الذهبيُّ كقولهِ: «العلّامة» «المُفسّر»...إلخ، لا يَلزمُ من ذلكَ التّزكيةُ أو المدحُ والتّعديلُ للمُبتدِعةِ المذكورين؛ فإنّ بقيّةَ كلامهِ فيهم - سواءٌ في هذا الكتابِ أم في غيرِه مِن كُتبهِ - فإنه يحتوي على الإشارةِ إلى بدعِهم وضلالِهم. غاية ما هنالك أنّه أرادَ أن يُعرِّفَ في كتابهِ بالمشهورينَ بمذهبٍ أو تأليفٍ أو طريقةٍ أو مقالةٍ.. أمّا أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ فإنّهمُ الأعلامُ النُّبلاءُ بحقٍّ، المقصودون بكتابهِ أصالةً.

المُخالفاتِ، وقد رجعَ إلى الحقِّ في نهايةِ أمرِهِ، ولكنَّ هذا الرجوعَ لا يَمنعُ مِنَ التّحذيرِ من هذه المخالفاتِ والمُحدَثَاتِ المنسوبةِ إليهم أوِ المذكورةِ في كُتُبِهم؛ لكونها انتشرتْ واعْتُمِدَ عليها في نَشْرِ البِدَعِ والمُنْكراتِ ومُخالفةِ سَبيلِ المؤمنينَ. فَمِن هؤلاءِ الذين رجعوا إلى الحقِّ: **أبو نُعَيْمٍ الأصبهانيُّ، وأبو حامدٍ الغَزاليُّ رَحِمَهما اللهُ تعالَى**:

ـ **أمّا أبو نُعَيْمٍ الأصبهانيُّ**: فكان فيه مَيْلٌ ظاهرٌ للمُتَصَوِّفةِ؛ لانتشارِ ثقافةِ التَّصوُّفِ في عصرِهِ واختلاطِهِ بِهم، وله بعضُ الأقوالِ التي مِن أجلِها نَسبَهُ الرَّافضَةُ إليهم، والعاصمُ هو اللهُ ﷻ. لكنه نصرَ السُّنّةَ بالمُصنّفاتِ الكثيرةِ النّافعةِ، وكتابُهُ «**مَعرِفَةُ الصّحابةِ**» أصلٌ ومَرجعٌ في مَعرفةِ الصّحابةِ وسيَرِهم والثّناءِ عليهم وإبرازِ مكانتِهم العاليَة، وقد رَدَّ على **الرَّافِضَةِ** في غيرِ مَوضعٍ مِن كُتبهِ، بلْ خصَّهُمْ بغيرِ كتابٍ مثل «**كتاب الإمامةِ والرّدّ على الرّافضةِ**» و«**فضائل الخلفاء الأربعة وغيرِهم**»[(١)].

ـ **أمّا أبو حامدٍ الغَزاليُّ**: فقد تلبّسَ بكثيرٍ منَ المُخالفاتِ، وثبتَ رُجوعُهُ إلى مذهبِ أهلِ الحديثِ والسُّنّةِ كما أخبرَ بذلك الثِّقاتُ؛ يقولُ **شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ: «**تبيّنَ له في آخرِ عُمرِهِ أنَّ طريقَ الصُّوفيّةِ لا تُحصِّلُ مَقصودَهُ، فطلبَ الهُدَى مِن طريقِ الآثارِ النَّبَويَّةِ، وأخذَ يَشتغلُ بالبُخاريِّ ومُسْلِمٍ، وماتَ في أثناءِ ذلكَ على أحسنِ أحوالِهِ، وكانَ كارِهًا ما وقعَ في كُتُبِهِ مِنْ نَحوِ هذهِ الأُمورِ ما أنكرَهُ النَّاسُ عليهِ**»[(٢)].

---

(١) طُبعَ كتابُ «الإمامةِ» بتحقيقِ: الشيخِ الدكتورِ عَليِّ الفقيهيِّ بمكتبة العلوم والحكم، وطبعَة أخرى باسم «تثبيتِ الإمامةِ وترتيبِ الخلافةِ». وأمّا كتابُ «فضائلِ الخلفاءِ» فطُبعَ بتحقيقِ: صالحِ العقيلِ بدارِ البخاريِّ بالمدينةِ.

(٢) «شرح العقيدةِ الأصفهانيّةِ» (ص: ١٧٣). وانظرْ لأخطاءِ أبي حامدٍ الغزاليّ كتابَ: «العقيدة السلفيّة في مسيرتِها التاريخيّةِ وقدرتِها على مواجهةِ التّحديات» للدكتور مُحمدٍ المغراويِّ، نشر دار المنار بالرياض.

٣ ـ أَلْفِتُ عنايةَ القراءِ الكرامِ إلى ما يلي:

ـ استخدمتُ في الرّسالةِ لفظةَ **الشّيعةِ** بمعنى **الرّافِضةِ** وبالعكسِ.

ـ **إنّ** استخدامي لِلألقابِ التي يُطلِقُها المُبْتدِعَةُ على مَنْ يَتّبعونَهم ـ مثل: «**الأئمّة**» عندَ الرّافِضَةِ، و«**الشيخ والوَلِيّ والمُريد**» عندَ الصُّوفيّةِ ـ؛ فإنّ استخدامي لهذه الألقابِ هو مِن بابِ تحديدِ المُصطلحاتِ، وليس من بابِ الإقرارِ والموافقةِ أوِ التّزكيَةِ والمدحِ والثَّناءِ. وهذا لا يعني الطّعنَ على مَنْ ثبتَ فضلُهُ لا سيما آلَ البيتِ وأئمّةَ الهُدَى ﵃ وغيرَهم مِن أهلِ الصّلاحِ والعبادةِ.

ـ إنّ ما وَردَ في كُتُبِ **الرَّافِضَةِ** مَنسوبًا إلى **أهلِ البيتِ** مِنْ كُفريّاتٍ وشِرْكٍ: كادّعاءِ الغَيْبِ، والتّصرّفِ في الكونِ، أوِ ادّعاءِ صفاتٍ وأفعالٍ هي مِن صفاتِ اللهِ تباركَ تعالَى وأفعالِهِ، وسؤالِ غيرِ الله في الشّدائدِ والحوائجِ، والتّشكيكِ في القرآنِ بدعوى النّقصِ والتّحريفِ والتّبديل، وما أنكروه مِن ضَروريّاتِ دينِ رَبِّ العالمينَ، أو ما نسبوهُ إليهم مِنْ لَعْنٍ وتكفيرِ الصّحابةِ وأهلِ السُّنّةِ وسَبِّهم والتّحريضِ على استحلالِ دِمائِهم وأعراضِهم وأموالِهم، وغيرِ ذلك مِنَ البدعِ والضّلالاتِ مما سيأتي ذكرُه في الكتابِ؛ فإنَّنا أهلَ السُّنَّةِ نعتقدُ اعتقادًا جازِمًا أنَّ ذلك كُلَّهُ مِنَ الكَذبِ والافتراءِ على **أهلِ البيْتِ** الأتقياءِ، وأنّهم منه بَراءٌ، وهو مِن اختلاقِ أعداءِ الأمّةِ الذينَ اخترعوا مذهبَ **الرّفضِ** البغيض.

ـ إنّ كلَّ ما وَردَ في كُتُبِ **الرّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ** على لِسانِ **بعضِ الصّحابةِ والصّالحينَ مِنَ التّابعينَ وغيرِهم ممّنْ هُم مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ** مِن مخالفاتٍ للشَّرعِ الصحيحِ؛ فهو أيضًا مِنَ الكذبِ والافتراءِ عليهم.

٤ ـ جاء ذكرُ **المهديِّ المُنتَظَرِ** كثيرًا في هذه **الرّسالةِ**، في التُّراثِ الشّيعيِّ، والصُّوفيِّ، باعتبارِ أنه **الإمامُ الثّاني عَشرَ** عندَ الرّافضةِ ومَنْ وَافقَهم مِنَ الصُّوفيّةِ. ومما يجبُ التّنبُّهُ له ضَرورةُ التّفريقُ بينَ **مَهديِّهم المزعومِ**

المُجرمِ السّفّاحِ كما سيأتي، وبينَ **المَهديِّ الحقِّ** الذي أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنه سيظهرُ في آخرِ الزّمانِ ـ قُبيْلَ خروجِ **الدَّجّالِ** ونزولِ **عيسَى** عليه السلام كعلامةٍ مِن علاماتِ السّاعةِ الكُبرَى ـ ليملأَ الأرضَ عَدلًا بعدَ أنْ مُلِئَتْ جَوْرًا وظُلمًا، واسمُهُ يُطابقُ اسمَ النَّبيِّ ﷺ واسمَ أبيهِ، فهو: **مُحَمّدُ بنُ عبدِ الله**، ومِن وَلَدِ **الحَسَنِ** على المشهورِ، وليس مِن وَلَدِ **الحُسَيْنِ** رضي الله عنهما.

أمّا ما يَزْعُمُهُ أهلُ الباطلِ مِن كونهِ دخلَ **سِردابَ أبيهِ في بَلدةِ سَامرّاءَ بالعراقِ** قبلَ أكثرِ مِن **ألفِ ومائتي عام**، وما زال حَيًّا إلى هذه السّاعةِ، وأنه مِن وَلَدِ **الحُسَيْنِ**، وأنّ اسمَهُ **مُحمّدُ بنُ الحَسَنِ العسكريُّ**، وتَتلخّصُ وَظائفُهُ في قَتْلِ **أهلِ السُنَّةِ والجماعةِ والعَرَبَ** وتخريبِ دِيارِهم، ونبشِ قُبورِ خيارِ الأُمّـةِ:

أبي بكرٍ الصّدّيقِ: والفاروقِ عُمرَ بنِ الخطّابِ، وأُمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ، وغيرِهم رضي الله عنهم **جميعًا**، وترويعِ أهلِ الإيمانِ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الفسادِ العظيمِ؛ فأينَ هذا **المُجرمُ الإرهابيُّ السّفّاح** مِنْ **مَهديِّ العَدلِ والرّحمةِ والإصلاح**.



الباب الأول

التَّـشَـيُّـعُ

وفيه فَصْلانِ:

- الـفـصـل الأول: معاني الشِّيعةِ والتَّشَيُّعِ.
- الفصل الثاني: تاريخُ الشِّيعةِ والتَّشَيُّعِ.

الفصل الأول

معاني الشِّيعةِ والتَّشَيُّعِ

وفيه أربعةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأولُ: الشِّيعةُ في اللُّغَةِ.
- المبحث الثاني: الشِّيعةُ في القُرآنِ.
- المبحث الثالث: الشِّيعةُ في السُّنَّةِ.
- المبحث الرابعُ: الشِّيعةُ في الاصطلاحِ.

المبحثُ الأوّلُ

الشِّيعَةُ في اللُّغَةِ

ـ قال الخليلُ بنُ أحمدَ: «**والمُشَايَعَةُ**: مُتَابَعَتُكَ إنسانًا على أَمْرٍ. **والشِّيعَةُ**: قَوْمٌ يَتَشَيَّعونَ أي: يَهوَوْنَ أَهْواءَ قَوْمٍ ويُتابِعُونَهُمْ. **وشِيعَةُ الرَّجُلِ**: أَصحابُهُ وأَتْباعُهُ. وكُلُّ قَوْمٍ اجْتَمعوا على أَمْرٍ فَهُمْ شِيعَةٌ»(١).

ـ وقال ابنُ دُرَيدٍ: «**الشِّيَعُ**: الفِرَقُ مِنَ النَّاسِ. **وشَيَّعْتَ** الرَّجُلَ على الأمرِ **تَشْيِيعًا**: إذا أَعَنْتَهُ عليهِ. وفُلَانٌ مِنْ **شِيعَةِ** فلانٍ؛ أيْ: مِمَّنْ يَرَى رَأْيَهُ. والجَمْعُ: **أَشْيَاعٌ**»(٢).

ـ وقال الفارابيُّ: «**شِيعةُ الرَّجُلِ**: أَنصارُهُ وأتبَاعُهُ»(٣). قال: «**شَايَعَهُ**: مِنَ الشِّيعَةِ، كمَا تَقولُ: وَالَاهُ مِنَ الوَلِي»(٤). وقال: «**تَشَيَّعَ**؛ أي: ادَّعَى دَعْوَى الشِّيعةِ»(٥).

ـ وقال الأَزْهَرِيُّ: «**الشِّيعَةُ**: أَنصارُ الرَّجُلِ وأَتبَاعُه. وكُلُّ قَوْمٍ اجْتَمعُوا على أَمْرٍ فَهُمْ **شِيعَةٌ**. والجَمَاعَةُ: **شِيَعٌ، وأَشْيَاعٌ**»(٦).

ـ وقال ابنُ فَارسٍ: «**الشِّيعَةُ**: الأَعْوانُ والأَنصَارُ»(٧).

ـ وقال ابنُ سيده: «**الشِّيعَةُ**: القَوْمُ يَجتمِعون على الأمرِ. **الشِّيعَةُ**: أتبَاعُ الرَّجُلِ وأنصَارُهُ. وجَمْعُها: **شِيَعٌ. وأَشْيَاعٌ**: جَمعُ الجَمْعِ. **والشِّيعَةُ**:

---

(١) «كتاب العيْن» (٢/ ١٩٠).
(٢) «جَمهرة اللُّغة» (٣/ ٦٣).
(٣) «ديوان الأدب» (٣/ ٣٢٩).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٤٤٢).
(٥) المصدر نفسه (٣/ ٤٥٧).
(٦) «تَهذيب اللغة» (٣/ ٦١).
(٧) «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٢٣٥).

فِرْقَةٌ. **والشِّيعَةُ**: يَرونَ رَأْيَ غَيْرِهِم. **وشَايَعَهُ**؛ أيْ: تَابَعَهُ»(١).

ـ وقال الجَوهَرِيُّ: «**شِيعَةُ الرَّجُلِ**: أَتبَاعُهُ وأنصَارُهُ. يُقَالُ: **شَايَعَهُ**. كَمَا يُقَالُ: وَالاهُ مِنَ الوَلِي. **وتَشَيَّعَ الرَّجُلُ**: إذا ادَّعَى دَعْوَى الشِّيعَةِ. **وتَشَايَعَ القومُ**: مِنَ الشِّيعةِ. وكُلُّ قَومٍ أَمرُهُمْ واحدٌ يَتبعُ بَعضُهُمْ رَأْيَ بَعضٍ فَهُمْ **شِيَعٌ**»(٢).

ـ وقال الفيْروزآبادي: «**شِيعَةُ الرَّجُلِ**: أتبَاعُهُ وأنصَارُهُ... ويَقعُ على الواحدِ والاثنينِ، والجَمعِ، والمُذَكَّرِ والمؤنَّثِ»(٣).

ـ وزَادَ الزَّبيدِيُّ: «كُلُّ قَومٍ اجْتَمَعُوا على أمْرٍ فَهُمُ **الشِّيعَةُ**. وكُلُّ مَنْ عَاوَنَ إنسَانًا وتَحَزَّبَ لهُ فَهوَ **شِيعَةٌ** لهُ. وأصلُهُ مِنَ **المُشَايَعَةِ**، وهيَ المُطَاوَعَةُ والمُتَابَعَةُ»(٤).

ـ وفي «المُعْجَمِ الوَسيطِ»: «**الشِّيعَةُ**: الفِرْقَةُ والجَمَاعةُ. وفي التَّنْزيلِ: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ [مريم: ٦٩]. **والشِّيعَةُ**: الأتْبَاعُ والأنصَارُ. وفي التَّنْزيلِ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. ويُقَالُ: هُمْ **شِيعَةُ** فُلانٍ **وشِيعةُ** كذا مِنَ الآراء... وتُجْمَعُ على **شِيَعٍ وأَشْيَاعٍ**»(٥).

فالشِّيعةُ والتَّشَيُّعُ والمُشَايَعَةُ في اللُّغَةِ تَدورُ حولَ معنَى المُتابعةِ والمُناصرةِ والموافقةِ، وتُطْلَقُ على **الجماعةِ** ويُرَادُ بِها الفِرْقَةُ مِنَ النَّاسِ. وتُطلقُ على **الأفرادِ** بِمعنَى: الأنصارِ والصَّحْبِ والأتْباعِ والأعوانِ. كما أنها تُطلقُ على **المُفردِ، والمُثَنَّى، والجَمْعِ والمُذكَّرِ، والمؤنَّثِ** بلفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ.

(١) «المحكم والمحيط الأعظم في اللغة» (٢/ ١٥٤).
(٢) الصِّحاح» (٣/ ١٢٤٠).
(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٣٥).
(٤) «تاج العروس» (٥/ ٤٠٥).
(٥) «المعجم الوسيط» (١/ ٥٠٣).

المبحثُ الثاني

الشِّيعَةُ في القُرآنِ

جَاءَتْ هذه اللَّفْظَةُ في عِدَّةِ مَواضِعَ مِنَ «القُرْآنِ الكريمِ» بمعانٍ مختلِفةٍ، وعلى عِدَّةِ اشتِقاقاتٍ:

• جاءتْ بمعنى: الأنصارُ والأتبَاعُ في المِلَّةِ والدِّينِ والمِنهَاجِ:

ـ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

ـ ومِثْلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

ـ ومِثْلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ [الصافات: ٨٣].

• وجاءتْ بمعنى: الفِرْقَةُ والطّائفةُ المُتعاونةُ فيما بينها والمُتشيّعُ بعضُها لبعضٍ، أَوِ الفِرَقُ والطوائفُ والأحزابُ:

ـ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾ [مريم: ٦٩].

ـ ومِثْلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ [الحجر: ١٠].

ـ ومِثْلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ـ وقولُهُ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ـ وقولُهُ تعالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤].

ـ ومِثْلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الروم: ٣٢].

• وجاءتْ بمعنى: الأَشْبَاهُ والأمثالُ والنّظائِرُ في الكُفْرِ والتّكذيبِ:

- قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾ [القمر: ٥١].

- ومثْلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

فالمعنَى يَدورُ حَوْلَ المُشَايَعَةِ والمطاوعةِ والاتّفاقِ في الرّأْيِ أَوِ المِلَّةِ بَيْنَ شَخْصٍ وآخرَ أَوْ بَيْنَ جماعةٍ وأُخْرَى. فيكونُ بعضُهُمْ يَتْبَعُ بعضًا، ويُناصرُهُ ويُعاونُهُ؛ للاتّفاقِ والتّشابُهِ الفكريِّ أَوِ الدّينِيِّ الذي يَربِطُ بينهم في غَالبِ أمرِهِم وَحالِهِمْ.



المبحثُ الثالث

الشِّيعَةُ في السُّنَّةِ

وَرَدَتْ كَلِمَةُ **الشِّيعَةِ** في عِدَّةِ أحاديث مَرفوعةٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَذْكُرُ منها ما تَمكَّنتُ مِنَ الوقوفِ عليهِ فيما توفّرَ لَديَّ مِنْ مَصادرِ السُّنَّةِ المطهّرةِ، **فمِن ذلك:**

- حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما في قِصَّةِ **ذِي الخُويْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ** الذي زَعَمَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْدِلْ، فَهَمَّ عُمَرُ رضي الله عنه بِقَتْلِهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **دَعُوهُ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ في الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا منه كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**...»[1].
- وحديثُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما في قصّةِ **الدَّجَّالِ**، وفيهِ يقولُ الرَّسُولُ ﷺ: «... **ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ المُسلِمينَ عليهِ فيقتُلونَهُ ويقتُلونَ شِيعتَهُ**...»[2].

في هذه الأحاديثِ تَعنِي كَلِمةَ **الشّيعةِ** الأَتْباعَ والأنصارَ؛ **فشِيعةُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّميميِّ** هُمُ الذين أَطاعوهُ في بِدْعَتِهِ في الدِّينِ ونَاصروهُ في مَذهبِهِ ومِلَّتِهِ وتَعمُّقِهِ الذي أدّى بِهِ وبأتباعِهِ إلى الانحرافِ التَّامِّ والخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ الحقِّ. **وكذلك شِيعةُ الدَّجَّالِ** فهُمْ أَتباعُهُ الذين يَصْحَبُونَهُ، ويُطيعونَ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ فيما يَأمرُهُمْ وينهَاهُمْ، وهُمْ أنصارُهُ الذين يُناصرونَ دَعوتَهُ ومِلَّتَهُ.

---

(١) **صحيحٌ**: رواه الإمامُ أحمدُ في «المسند» (٢/ ٢١٩)، وقال العلامةُ أحمدُ شاكر في تحقيقهِ للمُسندِ (١٢/ ١٣ رقم: ٧٠٣٨): «إسنادُهُ صحيحٌ».

(٢) **صحيحٌ**: المصدر السابق (٢/ ٦٧)، وقال أحمدُ شاكر (٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨ رقم: ٥٣٥٣): «إسنادُهُ صحيحٌ».

• ومن هذه الأحاديثِ أيضًا حَديثُ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: رَاقَبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في لَيلَةٍ صلَّاهَا... وفيه يقولُ ﷺ: «... **وسَأَلْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وتَعالَى أَنْ لَا يَلْبِسَنَا شِيَعًا؛ فَمَنَعْنِيها**...»(١).

• وحديثُ أَنَسِ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه قال: رأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في سَفرٍ صَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ.. وفيه يقولُ ﷺ: «.. **وسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا فَأَبَى عَلَيَّ**»(٢).

• **وحديثُ** شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ ـ** عز وجل **ـ زَوَى لِيَ الأرضَ حتَّى رأيتُ مَشَارِقَها ومَغَارِبَها ... وأنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا...**»(٣).

• **وحديثُ** ثَوْبَانَ رضي الله عنه مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهو بِنحوِ حديثِ شَدَّادٍ المتقدِّمِ(٤).

---

(١) **صحيحٌ**: رواه النَّسَائيُّ في «سننه» واللّفظُ لهُ، كتاب قيام الليل وتطوع النّهار، باب إحياء الليل (٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧). والتِّرْمِذِيُّ في «سننه»، كتاب الفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَاب مَا جَاءَ في سُؤَالِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا في أُمَّتِهِ (رقم ٢١٧٥)، وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ». وصَحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيحيْ سُننِ النَّسَائيِّ والتِّرْمِذِيِّ»، وخرّجهُ مطوّلًا في كتابِ «صِفةِ صلاةِ النبيِّ ﷺ» الكبير (٢/ ٥٣٢).

(٢) رواه الإمامُ أحمدُ في «المسند» (٣/ ١٤٦ ـ ١٥٦)، ورجالُهُ ثِقاتٌ إلَّا الضَّحّاكَ بنَ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيَّ، ولَمْ يُذْكَرْ فيه جرحٌ. والحديثُ صحّحهُ الإمامُ ابنُ خُزَيْمةَ في «صحيحهِ» (٢/ ٢٣٠ رقم: ١٢٢٨)، والحاكمُ في «المستدرك» (١/ ٣١٤)، وضعّفه الألبانيُّ بالضّحّاكِ في (تعليقِهِ علَى صحيح ابنِ خُزَيمة)، لكن هذا (المقطعَ المذكورَ أعلاه) صحيحٌ عنده كما يظهرُ من تخريجهِ لطُرقِ هذا الحديثِ في بعضِ تحقيقاتهِ.

(٣) **صحيحٌ**: رواه الإمامُ أحمدُ في «المسند» (٤/ ١٢٣)، والإسنادُ رجالُهُ كلُّهُمْ ثِقاتٌ، والحديثُ أصلُهُ في «صحيح الإمامِ مُسلِم»، كتاب الفِتَنِ وأشراط السّاعة، باب هلاك هذه الأُمَّةِ بعضها ببعض (٤/ ٢٢١٥ رقم: ٢٨٨٩). إلَّا أنّه ليسَ فيهِ لفظ (شِيعًا).

(٤) **صحيح**: رواه ابنُ مَاجَهَ في «سننه»، كتاب الفِتَنِ، باب ما يكون مِنَ الفتن (٢/ ١٣٠٤ رقم: ٣٩٥٢)، وإسنادُهُ ضَعيفٌ؛ فيه سَعيدُ بنُ بَشيرٍ، ولكن يَشهدُ له حديث شدّادٍ المتقدمُ. وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألبانيِّ (٤/ ٢٥٢).

فمعنَى الشِّيَعِ في هذه الأحاديثِ: الفِرَقُ التي يَجتمعُ أفرادُها على رأيٍ أو أَمرٍ، وغَالبًا ما يَتْبعُ بَعضُهُمْ بَعضًا، ويُناصِرُ بَعضُهُمْ بعضًا.

فالحاصلُ؛ أنَّ كلمةَ **الشِّيعةِ** في اللُّغَةِ وفي النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ ـ قُرآنًا وسُنَّةً ـ يَدورُ معنَاها حَوْلَ المُتابعةِ، والمُناصرةِ، والتّحَزُّبِ حَوْلَ مِلَّةٍ أو مَذهبٍ، أو حَوْلَ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ يُتَّخَذُ إمامًا ويَتبعُهُ الأفرادُ في الأمرِ والنَّهيِ والنُّصْرةِ. فالمَدلولُ اللُّغَويُّ مُوافقٌ للمدلولِ الشّرعيِّ تمامًا.



المبحثُ الرابعُ

الشِّيعَةُ في الاصطِلاحِ

قال الأزْهَرِيُّ ـ بَعْدَ تعريفِهِ للشِّيعةِ لُغَةً ـ: «**الشِّيعةُ**: قومٌ يَهوَوْنَ هَوَى عِتْرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ويُوالُونَهُمْ»(١).

وقال ابنُ مَنْظُورٍ: «غَلَبَ هذا الاسمُ على مَنْ يَتوَلَّى عَلِيًّا وأهلَ بَيْتِهِ، حتَّى صارَ اسْمًا خاصًّا... فإذا قِيلَ: **فُلانٌ مِنَ الشِّيعةِ**؛ عُرِفَ أنّهُ مِنهم. **وفي مَذهبِ الشِّيعةِ كذا**؛ أيْ: عِندَهُمْ»(٢).

وقال أبو الحسنِ الأشْعَرِيُّ: «وإنَّما قِيلَ لَهُمْ: **الشِّيعَةُ**؛ لأنّهم شَايعُوا عَلِيًّا رِضوانُ اللهِ عليهِ، ويُقدِّمُونَهُ على سَائرِ أصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٣).

وقال الشَّهرستَانِيُّ: «**الشِّيعةُ**: هُمُ الذين شَايعوا عَلِيًّا رضي الله عنه على الخُصوصِ، وقالوا بإمامتِهِ وخِلافتِهِ نَصًّا ووَصِيَّةً، إمَّا جَلِيًّا وإمَّا خَفِيًّا، واعتقدوا أنَّ الإمامةَ لَا تَخرجُ مِنْ أولادِهِ، وإنْ خرجَتْ فَبِظُلْمٍ يكونُ مِنْ غَيْرِهِ أو بتَقِيَّةٍ مِنْ عِنْدِهِ»(٤).

وقال ابنُ حَزْمٍ: «مَنْ وَافقَ الشِّيعةَ في أنَّ عَلِيًّا أفضلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأحقُّهُمْ بالإمامةِ، ووَلَدُهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ فهو شِيعيٌّ وإنْ خَالفَهُمْ فيما عَدا ذلك فيما اختلفَ فيهِ المُسلِمونَ. فإنْ خالفَهُمْ فيما ذكرنَا فليسَ شِيعيًّا»(٥).

---

(١) «تَهذيب اللغة» (٣/ ٦١). (عِتْرَةُ الرّجُلِ)؛ أي: نَسْلُهُ ورَهطُهُ الأدْنَوْنَ.

(٢) «لسان العرب» (٨/ ١٨٩).

(٣) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٦٥).

(٤) «المِلَل والنِّحَل» (١/ ١٤٦).

(٥) «الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل» (٢/ ٢٧٠).

تَبيَّنَ ممّا سبقَ أنَّ **التَّشَيُّعَ لُغَةً** يَتضمَّنُ في مَعناهُ ومَدلُولِهِ النُّصْرَةَ والصُّحْبَةَ والاتِّباعَ مِنْ قَومٍ وجماعةٍ لِرَجُلٍ مِنَ النَّاسِ عَامَّةً، فيكونون عَوْنًا لهُ على ما يُريدُ، ويَتحزَّبونَ لهُ، ويَبذلونَ جهدَهُمْ في مشايعته ومُطاوعتِهِ ومُتابعَتِهِ.

وأمَّا **التَّشَيُّعُ في مَدلُولِهِ الاصطلاحِيِّ** ـ كما نصَّ عليهِ عُلمَاءُ اللُّغَةِ والمقالاتِ في كُتُبِهِمْ ـ: فإنّه أَخَصُّ مِنَ المدلُولِ اللُّغَويِّ؛ حيثُ تَختصُّ المُشَايَعَةُ والمطاوعةُ والمتابعةُ بمَنْ تَحزَّبَ وصَحِبَ عَلِيًّا رضي الله عنه خاصّةً. فالمَدلُولُ اللُّغويُّ أَعَمُّ مِنَ المدلُولِ الاصطِلاحِيِّ.

وظهرَ مِـمّـا سبقَ أنَّ ما ذكرَهُ العُلَمـاءُ في تعريفِهِمُ الاصطلاحيِّ للشِّيعةِ ـ وهو تَقديمُهُمْ لِعَليٍّ على سَائِرِ الصّحابةِ ـ قيدٌ يَخرجُ بِـهِ الشِّيعةُ الأوائلُ مِنْ شِيعةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه؛ لأنّهم كانوا يُقدِّمونَ أَبـا بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما **على عَلِيٍّ** رضي الله عنه، **فهؤلاءِ يَصْدُقُ وَصْفُهُمْ بأنّهم شِيعةُ عَلِيٍّ** رضي الله عنه؛ **لأَنَّهُمْ تَابعوهُ وطاوعوهُ وشَايعوهُ فيما يَعتَقِدُ ويَرَى مِنِ اعتقاداتٍ وآراءٍ في دِينِ اللهِ تَعَالَى، فقَدَّموا مَـنْ كان يُقدِّمُهُ مِنْ صَحابةِ رَسُولِ اللهِ** ﷺ، **ولَـمْ يَقولوا في أَحَدٍ منهم إلَّا ما كان يَقولُـهُ عَلِيٌّ** رضي الله عنه.

روَى ابنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ رحمه الله بسندِهِ إلى **عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ** رضي الله عنه؛ أنّهُ جمعَ النَّاسَ في الكُوفَةِ فخطبَهُمْ، فذكرَ الجاهِليَّةَ وشَقاءَها، والإسلامَ وسَعادتَهُ، ثُمَّ إنْعَامَ اللهِ تَعَالَى على الأُمَّةِ بالجماعةِ بالخليفةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ الذي يَليهِ، ثُمَّ حَدَثَ هذا الذي جَرَّهُ على هذه الأُمَّـةِ **أَقوامٌ طَلبُوا هذه الدُّنيا**[١].

ويَقصدُ **عَلِيٌّ** رضي الله عنه بالأقوامِ هنا: **قَتَلَةَ عُثْمَانَ** رضي الله عنه ـ وأخزاهُمُ اللهُ تعالَى ـ؛ بدليل ذكرَ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله أنَّ **عَلِيًّا** قامَ خَطيبًا فقالَ: «إنَّ اللهَ أَعزَّنَا بالإسلامِ، ورَفعَنَا بِهِ، وجعلَنَا بِهِ إخوانًا... فجَرَى النَّاسُ على ذلك ما

(١) «تاريخ الطبريّ» (٣/ ٣٢).

شاءَ اللهُ، الإسلامُ دِينُهُمْ، والحقُّ قَائِمٌ بَينهُمْ، والكِتابُ إمامُهُمْ، **حتَّى أُصيبَ هذا الرَّجُلُ بأيدِي هؤلاءِ القومِ الذين نَزَغَهُمُ الشّيطانُ لِيَنْزَغَ بَيْنَ هذه الأمّةِ**... ثُمَّ قال: ألَا وإنَّ هذه الأُمَّةَ سَتفترقُ على ثَلاثٍ وسَبعين فِرْقَةٍ، **شَرُّها فِرْقَةٌ تُحِبُّنِي ولَا تَعْمَلُ بعملِي**، وقَدْ أدرَكْتُهُمْ ورأيتُهُمْ، فالْزَمُوا دِينكُم واهتدوا بِهَدْيِي؛ فإنّهُ هَدْيُ نَبيِّكُمْ»[(١)].

وذكرَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ **عَلِيٍّ** رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ لمّا ظَهرَ على النَّاسِ ـ أنّهُ قال: «**يَا أيّها النَّاسُ! إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إليْنَا في هذهِ الإمارَةِ شيئًا، حتَّى رأيْنَا مِنَ الرَّأْيِ أنْ نَستَخْلِفَ أبَا بَكْرٍ، فأقامَ واستَقامَ حتَّى مَضَى لِسبيلِهِ، ثُمَّ إنَّ أبَا بَكْرٍ رَأى مِنَ الرَّأْيِ أنْ يَستخلِفَ عُمَرَ، فأقامَ واستَقامَ حتَّى مضى لسبيلِهِ**...»[(٢)].

وروى ابنُ سَعْدٍ بسندِهِ إلى **عَلِيٍّ** رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنّهُ سُئِلَ عَنْ أبِي بَكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا جميعًا، فقالَ: «**كانا إمَامَيْ هُدى رَاشِدَيْنِ مُرْشَدَيْنِ مُصْلِحَيْنِ مُنْجِحَيْنِ خَرجَا مِنَ الدُّنيا خميصَيْنِ**»[(٣)].

يقولُ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وكان السَّلفُ مُتَّفقِينَ على تقديمِهما ـ أيْ: أبا بَكْرٍ وعُمَرَ ـ حتَّى شِيعةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ». ثُمَّ نقلَ شيخُ الإسلامِ عَنِ **ابنِ بَطّةَ** بسندِهِ إلى حُدَيْرٍ[(٤)] قال: «قَدِمَ أبو إسحاقَ السَّبيعيُّ الكُوفَةَ، فقالَ لنَا شِمْرُ بنُ عَطِيَّةَ: قومُوا إليْهِ. فجَلسنَا إليهِ، فتحدَّثوا، فقال أبو إسحاقَ: خَرجْتُ مِنَ **الكُوفَةِ** وليس أَحدٌ يَشُكُّ في فَضلِ أبِي بكرٍ وعُمَرَ وتقديمِهما، وقَدِمْتُ الآنَ وهُمْ يَقولونَ ويقولونَ، ولَا واللهِ! مَا أَدري ما يقولونَ».

ثُمَّ ذكرَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ لَيْثِ بنِ أبِي سُلَيْمٍ قولَهُ: «**أدركتُ الشِّيعةَ الأُولَى وما يُفضِّلونَ على أبِي بكرٍ وعُمَرَ أحدًا**».

---

(١) «البداية والنِّهاية» (٧/ ٢٥٦).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٢٨٢).
(٣) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٢١٠).
(٤) قال مُحقِّقُ كتابِ «منهاج السُّنّةِ النَّبويَّةِ»: «لعلّه حُدَيْرُ بنُ كُريبٍ الحضرميُّ».

ثُمَّ قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ مُعقِّبًا: «وكيف لَا تُقدِّمُ الشِّيعةُ الأولَى أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ؛ وقَدْ تَواترَ عَنْ أميرِ المؤمنينَ عَليِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قال: «**خيْرُ هذه الأُمَّـةِ بَعْدَ نبيِّها أبو بَكرٍ ثُمَّ عُمَرُ**»، وقَدْ رُوِيَ هذا عنهُ مِنْ طُرُقٍ كثيرةٍ قِيلَ: إنّها تَبلُغُ ثَمانينَ طريقًا ثم قال: وقَدْ رواه البخاريُّ عنهُ في «**صحيحِهِ**» ـ مِنْ حديثِ الهَمْدَانيّينَ الذينَ هُمْ أَخَصُّ النَّاسِ بِعَلِيٍّ ـ مِنْ حديثِ سُفيانَ الثَّوريِّ، عَنْ مُنذرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحنَفِيَّةِ؛ قال: «**قُلْتُ لأبِي: يا أَبَتِ! مَنْ خيرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فقال: يا بُنَيَّ! أَوَمَا تعرِفُ؟ فَقُلْتُ: لَا. قال: أبو بَكْرٍ. فَقُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: عُمَرُ**»[(١)].

ثُمَّ قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ مُعَقِّبًا ـ: «هذا يَقولُهُ لابنهِ [مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ]، بَينَهُ وبينَهُ، ليس هو مِمّا يَجوزُ أنْ يَقولَهُ تَقِيَّةً»[(٢)].

ثُمَّ قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ: «ولِهذا كانتِ الشِّيعَةُ المُتقدِّمونَ الذين صَحِبوا عَلِيًّا أو كانوا في ذلك الزّمانِ؛ لَمْ يَتنازعوا في تَفضيلِ أبِي بكرٍ وعُمَرَ، وإنَّما كانَ نِزاعُهُمْ في تَفضيلِ عَلِيٍّ وعُثمانَ. وهذا مِمَّا يَعترِفُ بِهِ عُلَماءُ الشّيعةِ الأكابرُ مِنَ الأوائلِ والأواخرِ، حتَّى ذكرَ مثلَ ذلك أبو القاسِمِ

---

(١) ساقَ شيخُ الإسلامِ هذه الرّوايةَ باختصارٍ، وهي في «صحيحِ البخاريِّ»: كتاب فضائل الصّحابة، باب فضل أبي بكر بعدَ النَّبيِّ ﷺ (فتح الباري: ٧/ ٢٠ رقم: ٣٦٧١) ـ ونصُّها هكذا: قال البخاريُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى [هو مُنذرٌ]، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ [هو ابنُ عَلِيٍّ مِن غيرِ فاطمةَ]؛ قَالَ «قُلْتُ لأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. [قال ابْنُ الحَنَفِيَّةِ]: وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ «عُثْمَانُ». قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ. قَالَ [عَليٌّ]: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ». اهـ. وما بين هذيْنِ القوسيْنِ زيادةٌ بقلمي للإيضاحِ.

(٢) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٦/ ١٣٥ ـ ١٣٧) باختصارٍ، وما بين الأقواسِ للإيضاحِ. للوقوفِ علَى ما جاء عن عَليٍّ في تفضيلِهِ لأبي بكرٍ وعُمرَ، انظر: «فضائل الصّحابة» للإمام أحمدَ: باب سُئِلَ عن قولِ عَليٍّ وغيرِهِ: «خيرُ هذه الأُمَّةِ..» (٩٠ ـ ١١٦). و«السُّنَّة» لابنِ أبي عاصم، بتخريج الألبانيِّ، باب ما روِيَ عن عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من تفضيلِهِ أبي بكرٍ وعُمرَ، وإيمائهِ إلى عُثمانَ بنِ عَفّانَ ثالثِهم في الفضلِ (ص: ٥٥٥ ـ ٥٦١، رقم: ١٢٠٠ ـ ١٢٢١).

البَلْخِيُّ، قال: سَأَلَ سَائِلٌ شَرِيكَ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ أبِي نَمِرٍ[(١)]، **فقال لهُ: أيّهما أفضلُ، أبو بَكر أو عَلِيٌّ؟ فقال لهُ: أبو بكرٍ. فقال لهُ السّائلُ: أتقولُ هذا وأنتَ مِنَ الشِّيعةِ؟ فقال: نَعَمْ؛ إنّما الشِّيعيُّ مَنْ قالَ مثلَ هذا ـ (وفي روايةٍ قالَ: نَعَمْ، مَنْ لَمْ يقُلْ هذا فليسَ بِشِيعيٍّ) ـ واللهِ! لقَدْ رَقَى عَلِيٌّ هذه الأعوادَ، فقال: (أَلَا إنَّ خيرَ هذه الأُمّـةِ بَعْدَ نبيِّها أبو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ)**. أَفَكُنَّا نَرُدُّ قولَهُ؟ أَكُنّا نُكذِّبُهُ؟ واللهِ! ما كانَ كذَّابًا»[(٢)].

ويقولُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وقَدْ ثبتَ عنهُ بالتَّواترِ أنّهُ خطبَ بالكُوفَةِ في أيّامِ خِلافتِهِ ودَارِ إمارَتِهِ فقال: **(أيّها النَّاسُ! إنَّ خيرَ هذه الأُمّـةِ بَعْدَ نَبِيِّها: أبو بَكرٍ ثُمَّ عُمَرُ. ولَوْ شِئتُ أنْ أُسَمِّيَ الثَّالثَ لَسَمَّيْتُ)**. وعنهُ أنّهُ قال وهو نازلٌ مِنَ المنبرِ: **ثُمَّ عُثْمَـانُ، ثُمَّ عُثْمَـانُ**»[(٣)].

وقال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وثبتَ عنهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أنّهُ قال: **(إنّي لأرجو أنْ أكونَ أنا وعُثْمَانُ مِمّنْ قال اللهُ تعالَى فيهم:** ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]). وقال عنهُ أيضًا: **(كان عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَيْرَنا، وأَوْصَلَنَا للرَّحِمِ، وأَشَدَّنا حَياءً، وأَحسَنَنا طَهورًا، وأتْقانَا للرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ)**»[(٤)].

هذه مَواقفُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأقوالُهُ في إخوانهِ واضحةٌ لَا لَبسَ فيها ولَا غُموضَ، وهذا هو الظَّنُّ بهِ وبجميعِ الصّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، لَا يُقدّمون بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالَى ورَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا ولَا فعلًا؛ لأنَّ غَايتَهُمْ في هذه الدُّنيا مَرضاةُ اللهِ تَعالَى، وهَدَفُهُمْ هو نَشْرُ دِينِ اللهِ بَيْنَ عِبادِهِ، وقَدِ اختارهُمُ اللهُ تَعالَى لِصُحبةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولِهذه المَهمّةِ العظيمةِ لما عَلِمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ صِدْقِ سَرائرِهِمْ. فلَا يُظَنُّ

---

(١) ليس هو القاضي النّخعيّ، بل هو أحدُ رجالِ الكتبِ السّتّة له ترجمةٌ في «التهذيب»، ماتَ في حُدودِ أَرْبَعينَ ومائة.

(٢) وذلك في «مِنهاج السُّنَّة» (١/ ١٣ ـ ١٤)؛ أيضًا بعدَ أنْ ساقَ روايةَ البخاريِّ السابقةَ.

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٢).

بأحدٍ منهم ـ فضلًا عَنْ فُضلائِهِمْ ـ أنْ يَشْهدَ على أحدٍ مِنْ أهلِ الإسلامِ والإيمانِ بغيرِ الحقِّ، أو يقولَ فيه قولًا بِلا عِلْمٍ. فكيف يُظَنُّ بعَلِيٍّ أنْ يَقولَ في الشَّيْخَيْنِ شيئًا لَا يُرْضي اللهَ تَعَالَى، حاشاهُ ذلكَ رضي الله عنه وعنهمُ جميعًا.

فَمَن كان مُتَشَيِّعًا لعَليِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه؛ لَا يَجوزُ لهُ أَنْ يُخالِفَهُ في مُعتقَدِهِ في أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ وسائرِ الصّحابةِ رضي الله عنهم، بلْ يَجِبُ أَنْ يَتولَّاهُمْ ويُحبَّهُمْ ويَترحَّمَ عَليهِم ويَترضَّى عنهم، مُتَابِعًا في ذلك كُلِّهِ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، ومُوافِقًا لِمَا كانَ عليهِ سَلَفُ هذه الأُمَّـةِ.

ويُؤَكِّدُ هذه الحقيقةَ **أبو سَعيدٍ نَشْوانُ الحِمْيَريُّ** وهو مِنَ الشِّيعَةِ الزَّيْدِيَّةِ[(١)]، يقولُ بَعْدَ تعريفِهِ للشّيعةِ: «وكانتِ الشّيعةُ الذين شَايعوا عَلِيًّا ـ على قِتالِ طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وعَائِشَةَ ومُعَاوِيَةَ والخوارجِ في حياةِ عَليٍّ ـ ثلاثَ فِرَقٍ: **فِـرْقَـةٌ** منهم، وهُمُ الجمهورُ الأعظم: يَروْنَ إمامَةَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ...

وفِـرْقَـةٌ منهم أقلُّ مِنْ أُولَئِكَ عَدَدًا: يَروْنَ الإمامَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عَلِيًّا، ولَا يروْنَ لعُثْمَانَ إمامةً...

وفِـرْقَـةٌ منهم يَسيرةُ العَدَدِ جدًّا: يَروْنَ عَلِيًّا أَوْلَى بالإمامةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ثم قال: ولَمْ تَزَلِ الشّيعةُ على هذه الأقوالِ الثلاثةِ إلى أنْ قُتِلَ الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ»[(٢)]. اهـ.

وأمَّا تعريفُ **الشّهرستانِيِّ** للشِّيعةِ فإنّهُ مِمَّا فَرِحَتْ بِهِ الرَّافِضَةُ وطَرِبَتْ لهُ؛ لموافقتهِ هَواهُمْ وبَاطلَهمْ في أنَّ الخلافةَ نَصٌّ ووَصِيَّةٌ، وأنَّ مَنْ عَطَّلَها ظَالِمٌ، وأنَّ التَّقِيَّةَ حَقٌّ، إلى غَيْرِ ذلك مِنْ مَزَاعِمِ الرَّافِضَةِ وباطِلِهِمْ. والشَّهرستانِيُّ إنْ لَمْ يَكُنْ شِيعيًّا فإنَّهُ مُدَاهِنٌ لَهمْ، يقولُ عنهُ **شيخُ الإسلامِ**

---

(١) (ت: ٥٧٣هـ) له ترجمةٌ في «الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٨/ ٢٠).
(٢) «الحور العين» (ص: ٢٣٢ ـ ٢٣٥).

ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «**يُظْهِرُ المَيْلَ إلى الشِّيعةِ إمَّا بباطِنِهِ وإمَّا مُدَاهنةً لَهمْ؛ فإنَّ هذا الكتابَ المِلَلَ والنِّحَلَ صَنَّفَهُ لرئيسٍ مِنْ رُؤسائِهِمْ**»[(١)]. وهو بِهذا التَّعريفِ يُوافِقُ ما يَزْعُمُهُ **أهلُ الرَّفْضِ** في تَعريفِهِمْ لباطِلِهِمْ وتَزْيينِهِ للنَّاسِ والعَامّـةِ.

يقولُ شَيخُهُمُ **المُفيدُ**[(٢)] في تَعريفِهِ للفظِ الشّيعةِ الاصطلاحيِّ: «هو على التَّخصيصِ لَا مَحالةَ لأَتْبَاعِ أميرِ المؤمنينَ، على سَبيلِ الوَلاءِ والاعتِقادِ لإِمَامتِهِ بَعْدَ الرّسُولِ ـ صَلواتُ اللهِ عليهِ وآلِهِ ـ بِلَا فَصْلٍ، ونَفْيُ الإمامةِ عمّنْ تَقدَّمَهُ في مَقامِ الخِلَافةِ وجَعْلُهُ في الاعتقادِ مَتْبوعًا لَهمْ غيرَ تَابعٍ لأحدٍ منهم على وجْهِ الاقتِداءِ»[(٣)].

وقد شَرحَ د. **القفاريُّ** هذا التّعريفَ الذي اعتراهُ بعضُ الغُموضِ، فقال: «لا نَجدُ في تعريفِ المُفيدِ هذا ذِكرًا للإيمانِ بإمَامةِ وَلَدِ عَلِيٍّ، مع أنَّ مَنْ لَمْ يُؤمِنْ بهذا فَليسَ مِنَ الشِّيعةِ عندَهم. كما أنَّ هذا التَّعريفَ أغفلَ التَّصريحَ ببعضِ الجوانبِ الأساسيّةِ في التَّشَيُّعِ ـ والتّي يَربِطُ الشِّيعةُ وَصْفَ التَّشَيُّعِ بها ـ كمسألةِ النَّصِّ، والعِصْمَةِ وغيرِها مِن أُصولِ الإمَامِيَّةِ...».

ثُمَّ قال د. القفاريُّ: «أمَّا قَولُهُ [يعني: المُفيد] في التَّعريفِ: **وجَعْلُهُ في الاعتقادِ مَتْبوعًا لَهمْ غير تَابعٍ لأحدٍ منهم على وجْهِ الاقتِداءِ**؛ فهذا إشارةٌ إلى أَصلٍ مِن أُصولِ الاعتقادِ عِندَهم وهو التَّقِيَّةُ، فعَلِيٌّ عندَ الشِّيعةِ في

(١) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٦/ ٣٠٦).

(٢) هو: الرَّافِضيُّ مُحَمّدُ بنُ مُحَمّدِ بنِ النُّعْمَانِ المُلَقَّبُ بالمُفيدِ، نالَ في زَعمِهم شرفَ مُكَاتَبةِ مَهدِيهم المُنتَظرِ، له قَريبٌ من مائتيْ مُصَنَّفٍ (ت: ٤١٣هـ)؛ قالَ الخطيبُ البغداديُّ في (تاريخهِ: ٣/ ٢٣١ رقم: ١٢٩٩): «شيخُ الرّافضةِ.. صَنّفَ كُتبًا كثيرةً في ضَلالاتِهم والذّبِّ عنِ اعتقاداتِهم ومَقالاتِهم والطّعنِ على السّلفِ الماضينَ منَ الصحابةِ والتابعينَ وعامّةِ الفُقهاءِ المجتهدينَ، كان أحدَ أئمّةِ الضَّلالِ، هلكَ به خَلْقٌ مِنَ الناسِ إلى أنْ أراح اللهُ المسلمينَ منه». اهـ.

(٣) «أوائل المقالات» (ص: ٤٢).

الظّاهرِ تَابعٌ للخُلفاءِ الثّلاثةِ وفي البَاطِنِ مَتْبُوعٌ لَهم، فاتّباعُهُ للخُلفاءِ في نَظَرِ المُفيدِ وشيعته ليس على وَجْهِ الاقتداءِ وإنّما على وَجْهِ التَّقِيَّةِ، وليس على وَجْهِ الاعتقادِ وإنّما على وَجْهِ الموافقةِ في الظّاهرِ فقط».

ثُمَّ قال د. القفاريُّ: «**أمَّا قَولُهُ: (والاعتِقادِ لإمَامتِهِ بَعْدَ الرّسُولِ ـ صَلواتُ اللهِ عليهِ وآلِهِ ـ بِلَا فَصْلٍ**)؛ فهذا مَبنيٌّ على إنكارِ الشِّيعةِ لِصِحَّةِ خِلافةِ الخُلفاءِ الثّلاثةِ. وقد شرحَ **مُفِيدُهم** هذه الجملةَ وفصَّلَ القولَ فيها في كتابٍ آخرَ لهُ[(١)]؛ حيثُ قال: «وكانت إمامةُ أميرِ المؤمنينَ بعدَ النّبيِّ ﷺ ثلاثينَ سنةً، منها أربعٌ وعشرونَ سَنةً وسِتّةُ أشهرٍ ممنوعًا مِنَ التّصرُّفِ في أحكامِها مُستَعْمِلًا للتَّقِيَّةِ والمداراةِ، ومنها خمسُ سِنينَ وسِتّةُ أشهرٍ مُمتَحَنًا بجهادِ المُنافقينَ مِنَ النّاكثينَ والقاسطينَ والمارقينَ[(٢)]، ومُضْطَهدًا بِفِتَنِ الضّالّينَ، كما كان رَسولُ اللهِ ﷺ ثلاث عشر [كذا] سنةً مِن نُبوَّتِهِ مَمنوعًا مِن أحكامِها، خائفًا ومحبوسًا هاربًا ومطرودًا، لا يَتمكّنُ مِن جهادِ الكافرينَ، ولا يستطيعُ دَفعًا عَنِ المؤمنينَ، ثم هاجرَ وأقامَ بعدَ الهجرةِ عشرَ سنينَ مُجاهدًا للمشركينَ مُمتحَنًا بالمنافقينَ، إلى أن قَبضَهُ اللهُ جَلَّ اسمُهُ إليه، وأسكنَهُ جَنّاتِ النَّعيمِ»[(٣)].

ثُمَّ قال د. القفاريُّ: «فوَصْفُ التَّشَيُّعِ لا يَصْدُقُ في نظرِ المُفيدِ إلَّا على مَنِ اعتقدَ خِلافةَ عَلِيِّ بنِ أبي طَالبٍ رضي الله عنه مُمْتَدَّةً من حينِ الْتِحاقِ الرّسُولِ ﷺ

(١) هو كتابُ «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، أحدُ المصادرِ المعتمدة عندَ علماءِ (الإثني عشريّةَ الإماميّةِ) المتقدمينَ والمتأخرين، واعتبروه من أهمِّ المصادرِ في موضوعهِ، وأعاروه عنايةً فائقةً وأهمّيّةً كبرى.

(٢) وَرَدَ في كتاب «معاني الأخبار» (ص: ٢٠٤) لشيخهم ابنِ بابويه القُمّيِّ: «أن المرادَ بالناكثين: الذين بايعوا بالمدينةِ ونكثوا بيعتَه بالبصرةِ. والقاسطين: مُعاويةُ وأصحابُه من أهلِ الشامِ. والمارقين: أصحابُ النهروانِ».

(٣) «الإرشاد» (ص: ١٢).

بالرّفيقِ الأعلَى إلى أنْ تُوفِيَّ عَلِيٌّ[١]، ولا صِحّةَ لخلافةِ الخلفاءِ الثّلاثةِ. فلا يَصْدُقُ حسبَ تعريفهِ وَصْفُ التَّشَيُّعِ بعدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ إلّا على ثلاثةٍ مِنَ الصّحابةِ، وباقي الصّحابةِ هم في نظرِ الشِّيعةِ كُفّارٌ كالمشركينَ الذين عاصَرَهم الرّسُولُ ﷺ، والحكومةُ كافرةٌ، وعَلِيٌّ يَعيشُ بينهم مُتَسَتِّرًا بالتَّقِيَّةِ والنِّفَاقِ. فأيُّ إساءةٍ إلى عَليٍّ رضي الله عنه، وإلى صَحابةِ رَسُولِ الله ﷺ رِضوانُ الله عليهم، وإلى الإسلامِ أبلغُ مِن هذا؟!»[٢].

ثُمَّ يَزِيدُ **المُفيدُ** في بيانِ اعتِقادِهِ المُنحرفِ فيقولُ: «كـمَـا يَستحقُّ اسمَ التَّشَيُّعِ ويَغلبُ عليهِ: مَنْ دَانَ بِإمامةِ أميرِ المؤمنينَ على حسبِ مَا قَدَّمْنَاهُ، وإنْ ضَمَّ إلى ذلِكَ مِنَ الاعتقادِ ما يُنكِرُهُ كثيرٌ مِنَ الشِّيعةِ ويَأْبَاهُ»[٣].

إنَّ مَا ذكرَهُ **الشَّهْرَستانِيُّ، والمُفِيدُ** مِنْ شُروطٍ وقُيودٍ في تَعريفِ التَّشَيُّعِ والشِّيعةِ؛ أُمُورٌ لَمْ يَعْلَمْها حتَّى عَليُّ بنُ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه نفسُهُ؛ لأنّهُ بَايعَ أبا بَكْرٍ كمَا بايعَ النَّاسُ عَامّةً، بلْ قَدْ نَصَّ ـ كما سَبقَ ـ على أنَّ استِخلافَ أبِي بَكْرٍ كانَ رَأْيًا رَآهُ هو والصَّحابةُ رضي الله عنهم[٤].

روَى **الطَّبَرِيُّ** رحمه الله بِسندِهِ عَنْ حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيِّ حديثًا طويلًا في اجتِماعِ الأنصارِ في **السَّقِيفةِ**، وخُطْبَةِ أبِي بَكْرٍ فيهم، ثُمَّ بَيْعَةِ عُمَرَ لأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قال: «فبايعَ النَّاسُ واستَثْبَتُوا لِلْبَيْعةِ»[٥].

---

(١) ونَجِدُ شيخَهم (عبدَ الله شبر) يُؤكّدُ في تعريفهِ للشّيعةِ على هذا المعنى فيقولُ: «اِعلمْ أنّ لفظَ الشّيعةِ يُطلقُ على مَن قال بخلافةِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام بعدَ النبيِّ ﷺ بلا فَصْلٍ». اهـ. «حق اليقين» (١/ ١٩٥).

(٢) انتهى هنا كلامُ الدكتورِ القفاريِّ مع اختصارٍ طفيفٍ من كتابهِ الماتع النافع: «أُصول مذهبِ الشَّيعةِ الإماميّةِ الإثنَي عشريّةِ» (١/ ٥٠ ـ ٥٢)، والتعليقاتُ على النَّصِّ هي له أيضًا.

(٣) «أوائل المقالات» (ص: ٤٥).

(٤) الشهرستاني (ص: ٤٤)، المفيد (ص: ٥٠).

(٥) «تاريخ الطبريّ» (٢/ ٢٣٤).

وروى أيضًا بسندِهِ عَنْ عَمْرِو بنِ حُرَيْثٍ أنّهُ قال لِسعيدِ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنه: «أَشَهِدْتَ وَفَاةَ رسُولِ اللهِ ﷺ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَمتَى بُويعَ أبو بَكْرٍ؟ قال: يومَ ماتَ ﷺ كَرِهوا أنْ يَبقَوْا بَعضَ يوم وليسوا في جَماعةٍ. قال: فخَالفَ عليهِ أَحدٌ؟ قال: لَا، إلَّا مُرتَدٌّ، أو مَنْ كَادَ أنْ يَرتَدَّ لولَا أنَّ اللهَ عز وجل يُنقذُهُمْ، مِنَ الأنصارِ. قال: فهلْ قَعدَ أَحَدٌ مِنَ المهاجرينَ؟ قال: لَا، تَتابعَ المهاجرونَ على بَيْعَتِهِ مِنْ غيْرِ أنْ يَدْعُوَهُمْ».

وروَى أيضًا بِسنَدِهِ عَنْ حَبيبِ بنِ أَبِي ثَابتٍ قال: «كانَ عَلِيٌّ في بيْتِهِ إذْ أُتِيَ، فقِيلَ لهُ: قَدْ جَلسَ أبو بَكْرٍ لِلبَيْعةِ. فخرجَ في قَميصٍ مَا عليهِ إِزَارٌ ولَا رِدَاءٌ عَجِلًا؛ كَراهيةَ أنْ يُبْطِئَ عنها حتَّى بَايَعَهُ، ثُمَّ جَلسَ إليْهِ وبَعَثَ إلى ثَوْبِهِ، فأتَاهُ فتجَلَّلَهُ ولَزِمَ مَجْلِسَهُ»[(١)].

وذكرَ **ابنُ كَثيرٍ** رحمه الله مَا رواه أبو سَعيدٍ الخُدْرِيُّ في قِصَّةِ بَيْعَةِ أبي بَكْرٍ، وفيه بَيْعَةُ الزُّبَيْرِ وعَلِيٍّ لأبِي بَكْرٍ[(٢)] ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ ثُمَّ قولُهما: «ما غَضِبْنَا إلَّا لِأنَّا أُخِّرْنَا عَنِ المَشُورةِ، وإنَّا نَرَى أنَّ أبَا بَكْرٍ أَحقُّ النَّاسِ بِها، وإنّه لَصاحبُ الغَارِ، وإنَّا لَنَعْرِفُ شَرَفَهُ وخَبَرَهُ، ولقدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ وهو حَيٌّ»[(٣)].

ثُمَّ قال **ابنُ كَثيرٍ** عَقِبَ حديثِ أَبِي سَعيدٍ رضي الله عنه: «وفيهِ فائدةٌ جَليلةٌ: وهي مُبايعَةُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ إمَّا في أوّلِ يَومٍ أو في اليوم الثَّاني مِنَ الوَفاةِ وهذا حَقٌّ؛ فإنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ لَمْ يُفارِقِ الصِّدِّيقَ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ، ولَمْ يَنقطعْ في صَلاةٍ مِنَ الصَّلواتِ خَلْفَهُ وخرجَ معهُ إلى ذِي القَصَّةِ[(٤)] لمّا خَرجَ الصِّدِّيقُ شَاهِرًا سَيْفَهُ يُريدُ قِتالَ أهلِ الرِّدَّةِ».

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٣٦).
(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٠)، وقال الإمامُ ابنُ كثيرٍ: «**هذا إسنادٌ صحيحٌ محفوظٌ**».
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٢٨١)، وقال الإمامُ ابنُ كثيرٍ: «**هذا إسنادٌ جَيِّدٌ**».
(٤) (ذو القَصَّةِ): «بفتحِ أوّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ؛ مَوْضِعٌ في طريقِ العراقِ مِنَ المدينةِ، علَى بريدِ =

وقال أيضًا عَقِبَ قولِ عَلِيٍّ والزُّبَيْرِ رضي الله عنهما: «ومَنْ تَأَمَّلَ مَا ذكرناه؛ ظَهرَ لهُ إجْمَاعُ الصَّحَابةِ ـ المهاجرينَ منهم والأنصارِ ـ على تَقديمِ أبي بَكْرٍ».

وها هو عَلِيٌّ في طَاعةِ أبي بَكْرٍ والعملِ بأمرِهِ؛ روَى **الطّبريُّ** بِسندِهِ إلى القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ قال: «إنَّ أبَا بَكْرٍ جَعلَ على أنقَابِ المدينةِ نَفَرًا: عَلِيًّا والزُّبَيْرَ وطَلْحَةَ وعبدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ»[(١)]. جَعلَهُمْ في حِراسةِ مَداخِلِ المدينةِ مِنْ خَطَرِ القبائلِ المُرْتَدَّةِ أنْ تُغِيرَ عليها.

وذكرَ **ابنُ كَثيرٍ** خُروجَ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه في الجُيوشِ الإسلاميَّةِ شَاهِرًا سَيْفَهُ خَارجًا إلى ذي القَصَّةِ، وعَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه يَقودُ رَاحِلَةَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، ثُمَّ أَخَذَ بِزِمَامِها، وقالَ: «إلى أَيْنَ يَا خَليفَةَ رَسُولِ اللهِ؟... فواللهِ! لَئِنْ فُجِعْنَا بِكَ؛ لَا يكونُ للإسلامِ نِظامٌ أبدًا». ثُمَّ أَلَحَّ عليهِ عَلِيٌّ والصَّحابةُ رضي الله عنهم أنْ يَرجِعَ، فأجابَهُمْ إلى ذلك[(٢)].

هذه مَواقِفُ عَلِيٍّ رضي الله عنه مِنْ خَليفَةِ رَسُولِ اللهِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فقَدْ بايَعَهُ يومَ بَايعَ النَّاسُ وظَلَّ فَتْرةَ خِلافَتِهِ قريبًا منهُ، في طَاعتِهِ وأَمْرِهِ، مُحِبًّا لهُ، ونَاصِحًا مَا استطاعَ إلى ذلك سبيلًا حتَّى بَعْدَ وفَاتِهِ؛ حيثُ بَايعَ طَائِعًا رَضيًّا مَنِ استخلَفَهُ بَعْدَهُ، فبايعَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ دونَ تَلَكُّؤٍ أو تَرَدُّدٍ، وعَاشَ مع الخليفةِ الثَّانِي قَريبًا منهُ في أُمُورِ الدّولةِ والرَّعِيَّةِ، فمِنْ ذلكَ:

- ما روَى **ابنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ** رحمه الله بسندِهِ إلى سَالِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ في قِصَّةِ الصَّحَابةِ الذين اجْتمعوا واتَّفقوا على زِيَادَةِ فَرْضِ عُمَرَ رضي الله عنه مِنْ بَيْتِ المَالِ لمّا رَأَوْا شِدَّةَ حَاجَتِهِ، وفيهم عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه الذي قالَ لَهمْ: «**وَدَدْنَا قَبْلَ ذلك**»؛ أيْ: لَو زِدْنَا لهُ في رِزْقِهِ قَبْلَ الآنَ، ولكنَّ عُمَرَ رضي الله عنه رَفضَ قَبولَ تلكَ الزِّيَادةِ[(٣)].

= المدينةِ، سُمّيَ بذلكَ لِقَصّةٍ في أرضهِ، والقَصّةُ: الجَصُّ». اهـ. (معجم ما استعجم: ٣/ ٣١٥).

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٣) «تاريخ الطبريّ» (٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤).

• وروَى **الطّبريُّ** قِصَّةَ كِتابةِ **التَّأريخِ الهِجْريِّ**؛ وفيها: أنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استشارَ الصَّحابةَ: مِنْ أيِّ يَومٍ يكونُ البَدْءُ؟ فأشارَ **عَلِيٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيومِ الهِجْرةِ، ففَعَلَهُ عُمَرُ[(١)].

• ولمّا أرادَ عُمَرُ وَضْعَ **الدِّيوانِ** قال لهُ عَلِيٌّ وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: «ابْدَأْ بِنفسِكَ قال: (لَا، بلْ أبدَأُ بِعَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ الأقربِ فالأقربِ...). ثُمَّ أَلْحقَ بِأهلِ بَدْرٍ أربعةً مِنْ غَيْرِ أهلِها: الحَسَنَ، والحُسَيْنَ، وأَبَا ذَرٍّ، وسَلْمَانَ»[(٢)]. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

• وروَى **ابنُ جَريرٍ** بسندِهِ عَنْ قَيْسٍ العِجْليِّ في قُدوم كُنوزِ كِسْرَى وسَيْفِهِ إلى عُمَرَ، فقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ قَومًا أَدَّوْا هذا لذوو أمانةٍ. فقال لهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرَّعِيَّةُ»[(٣)]. **هكذا كانَ عَلِيٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَريبًا مِنَ الخَليفةِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُحِبًّا لهُ، مُتَّبِعًا هَدْيَهُ، مُتَأَسِّيًا بِهِ حتَّى بَعْدَ وَفاتِهِ.

• وروَى **ابنُ جَريرٍ** بسندِهِ عَنِ المُغيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لمّا مَاتَ عُمَرُ بَكَتْهُ ابنةُ أبِي حَثْمَةَ، فقالتْ: واعُمَراه! أَقامَ الأَوْدَ، وأبْرأَ العمدَ، أَماتَ الفِتَنَ، وأَحيَا السُّنَنَ، خرجَ نَقيَّ الثَّوبِ بريئًا مِنَ العَيْبِ». وروى أيضًا بسندِهِ إلى المُغيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَليِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «يرحَمُ اللهُ ابنَ الخطّابِ! لقَدْ صَدَقَتِ ابْنَةُ أبِي حَثْمَةَ؛ لقَدْ ذهبَ بِخيرِها ونَجا مِنْ شَرِّها، أَمَا واللهِ! مَا قالتْ ولكنْ قُوِّلَتْ»[(٤)].

• وروَى البُخارِيُّ مِنْ حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: **وُضِعَ عُمَرُ على سَريرِهِ... فَإِذَا عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ على عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ! إنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ معَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ:**

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٧٦).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٤٥٢).
(٣) «تاريخ الطبريّ» (٢/ ٤٦٦).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٥٧٥).

«ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». ويُعَلِّقُ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فيقولُ: «إِنَّ عَلِيًّا كانَ لَا يعتَقِدُ أَنَّ لأحَدٍ عَمَلًا في ذلِكَ الوَقْتِ أفضلَ مِنْ عَمَلِ عُمَرَ»[١].

• وقَدِ انتظمَ **عَليٌّ** في الشُّورَى التي أشارَ بِها **عُمَرُ** في الخليفةِ مِنْ بَعْدِهِ، وبايعَ **عُثْمانَ** كمَا بَايَعَهُ النَّاسُ عَامّةً.

• وقَدْ زَوَّجَ عَليٌّ ابنتَهُ ـ مِنْ فاطِمةَ ـ أُمَّ كُلْثُومٍ مِنْ عُمَرَ سَنَةَ (١٧) مِنَ الهجرةِ[٢].

• ولمّا دخلَ عَليٌّ الكُوفَةَ بَعْدَ **وَقْعَةِ الجَمَلِ**[٣]؛ قِيلَ لهُ: اِنْزِلِ الْقَصْرَ الأبيضَ. فقال: «**لَا، إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ كان يَكرَهُ نُزُولَهُ، فأنَا أَكْرَهُهُ لذلكَ**». فنزَلَ الرَّحْبَةَ[٤].

وكذلكَ كان عُمَرُ رضي الله عنه مُحِبًّا لأهلِ بيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقَرابتِهِ رضي الله عنهم.

ولَا تَستقيمُ هذه السِّيرةُ مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه مع عِلْمِهِ واعتِقادِهِ بأنَّ مَنْ سَبَقَهُ إلى الخِلافةِ ظَالِمٌ مُغْتَصِبٌ لِحَقِّهِ الشَّرْعِيِّ ومُخَالِفٌ لِوصيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأمْرِهِ.

بلْ قَدْ جَاءَتْ نُصوصٌ كثيرةٌ عن **عَلِيٍّ** رضي الله عنه تُبيّنُ كَذِبَ هذه الدَّعاوَى التي يَزْعُمُها الرَّافِضَةُ ومَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ **فَقَدْ نَصَّ عَلِيٌّ في خُطْبَةٍ لهُ**

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ (الفتح: ٧/ ٤١ ـ ٤٢ رقم: ٣٦٨٥).

(٢) زواجُ عُمَرَ الفاروقِ مِنِ ابنةِ عَلِيٍّ قد تفنّنَ الرّافِضةُ في إخفائِهِ وتأويلِهِ. سيأتي بيانُ ذلكَ هنا في (ص: ١٢١).

(٣) وَقعةُ الجَمَلِ كانت سنةَ (٣٦هـ)؛ يأتي ذكرُها هنا في (ص: ٧٧).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٦). أمّا الرَّحْبَةُ: مَكانٌ بالكُوفَةِ، وهي بِفَتْحِ الرَّاءِ وَ[الحاءِ] المُهْمَلَةِ وَ[الباءِ] المُوَحَّدَةِ: المَكَانُ المُتَّسَعُ، وَالرَّحْبُ بِسُكُونِ المُهْمَلَةِ: المُتَّسَعُ أَيْضًا. قاله الحافظُ في (الفتحِ: ١٠/ ٨١ شرح الحديث: ٥٦١٥).

على أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَـمْ يَعْـهَدْ إِلَـيْهِم في هذه الإِمَارَةِ شَيـئًا[١]. وذلكَ؛ لِيقطَعَ مَا كانَ يَتردَّدُ مِنْ مَزَاعِمَ وأكاذيبَ بَيْنَ شِيعتِهِ حَوْلَ الوَصِيَّةِ وغَيْرِها، التي كانَ يَذِيعُها بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ والمُلْحِدينَ ويَتنَاقَلُهَا عنهم بَعْضُ أهلِ السَّذَاجَةِ مِنْ شِيعتِهِ.

روَى **ابنُ جَرِيرٍ** رَحِمَهُ اللهُ بسندِهِ عَنْ **مُحَمَّدِ ابنِ الحنفيَّةِ** ـ وهو أحدُ أبناءِ عَليٍّ ـ في قُدُومِ أصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى **عَلِيٍّ** في مَنْزِلِهِ لِيُبَايعوهُ بالخِلافةِ، فقالَ لَهمْ: «**لَا تَفعلوا؛ فإنّي أكونُ وَزِيرًا خيرٌ مِنْ أنْ أكون أَميرًا**. فقالوا: لَا، واللهِ! مَا نَحنُ بفاعِلينَ حتَّى نُبَايِعَكَ. قال: **ففي المَسجدِ؛ فإنَّ بيعَتِي لَا تكونُ خفيًا، ولَا تكونُ إلَّا عَنْ رِضَا المُسلِمينَ**»[٢].

وروَى أيضًا بِسندِهِ إلى أبي بَشِيرٍ العابديِّ في قِصَّةِ اجْتِماعِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ وفيهم طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ ـ إلى عَلِيٍّ لِيُبايعوهُ، فقال **عَلِيٌّ**: «**لَا حَاجةَ لِي في أَمرِكُمْ، أنَا مَعكُمْ، فَمَنِ اختَرْتُمْ؛ فقَدْ رَضِيتُ بِهِ**». وذكرَ تَرَدُّدَ المُهاجرينَ والأنصارِ إليهِ مِرارًا حتَّى رَضِيَ، فصعِدَ المِنْبَرَ، وقال: «**إنِّي قَدْ كنتُ كَارِهًا لأمرِكُمْ، فأَبَيْتُمْ إلَّا أنْ أكونَ عَليْكم**»[٣].

وروَى بِسندِهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحوَهُ، وفيه يقولُ **عَلِيٌّ** لَهمْ: «**لَا تَعْجَلوا! فإنَّ عُمَرَ كانَ رَجُلًا مُباركًا، وقَدْ أَوصَى بِها شُورَى، فأَمْهِلوا؛ يَجتَمع النَّاسُ ويتشاورونَ**»[٤].

وذكرَ ابنُ كثيرٍ أنّهُ «لمّا طُعِنَ عَليٌّ جعَلَتْ أُمُّ كُلْثُوم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقولُ: مَا لِي ولِصَلاةِ الغَدَاةِ **قُتِلَ زَوْجِي عُمَرُ أميرُ المؤمنينَ** صَلاةَ الغَدَاةِ، **وقُتِلَ أَبِي أميرُ المؤمنينَ** صَلاةَ الغَدَاةِ». وقيلَ لِعَلِيٍّ: أَلَا تَستخلفُ؟ **فقال**: «**لَا، ولكنّي أترُكُكُم كمَا تَركَكُم رَسُولُ اللهِ ﷺ، فإنْ يُرِدِ اللهُ بِكم خَيْرًا يَجمَعْكُم على**

---

(١) تقدّمَ ذكرُه في (ص: ٤٧).
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٩٦).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٩٦ ـ ٦٩٧).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٠٠).

خَيْرِكُم كمَا جمعَكُم على خَيرِكُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(١)] .

وذكرَ **ابنُ كَثيرٍ** حديثَ البَيْهَقِيِّ عَنْ أَبِي وَائِلٍ بِنحوِهِ، ثُمَّ قال: «**إسنادُهُ جَيِّدٌ**»[(٢)] .

وذكرَ **ابنُ جَريرٍ وابنُ كَثيرٍ** مَا رَوى جُنْدُبُ بنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه؛ أنّهُ دخلَ على عَلِيٍّ رضي الله عنه في مَرضِهِ بَعْدَ طَعْنِهِ، فسأَلَهُ: يَا أميرَ المؤمنينَ! إنْ فَقَدْنَاكَ ـ ولَا نَفقِدُكَ ـ فنبايع الحَسَنَ؟ فقال: «**مَا آمركُم ولَا أَنْهَاكُم، أنتُم أَبصرُ**»[(٣)] .

إنَّ في هذه الأدِلَّةِ كِفايةً لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى إلى اعتِقادِ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ في الصَّحَابةِ رضي الله عنهم، فهذا **عَلِيٌّ** رضي الله عنه يُحاولُ دَفْعَ المهاجرينَ والأنصارِ عَنْ مُبايَعَتِهِ، وعندَما اضطرُّوه لذلك؛ اشترطَ أنْ تَكونَ بيْعَتُهُ في المسجدِ وعَنْ رِضَا المُسلِمينَ، ويُعْلِنُ أنّهُ لَمْ يَقْبَلِ البَيْعَةَ إلَّا بَعْدَ إصرارِهِمْ وهو كَارِهٌ لذلك، ويُوصِيهِمْ أنْ تكونَ شُورَى بَيْنَ المُسلِمينَ.

ونَسألُ العُقلاءَ: أهذا شَأنُ مَنْ يَرَى أَنَّ خِلافتَهُ نَصٌّ ووَصِيَّةٌ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ؟!

إنَّ الرَّافِضَةَ بِزَعْمِهِمْ هذا يَقدَحونَ في عَلِيٍّ رضي الله عنه، **ويُسيئونَ إليهِ أَعظَمَ إساءَةٍ؛ إذْ لماذا بَايعَ مَنْ كانَ قَبْلَهُ؟! ولماذا دفعَ الخِلَافةَ عَنْ نَفسِهِ دفعًا؟! ثُمَّ لماذا لَمْ يُوصِ بالخلافةِ للحَسَنِ مِن بعدِهِ؟! وهلْ بَلغَتْ مُخالفتُهُ لأمرِ اللهِ تَعالَى ورَسُولِهِ ﷺ هذه الدَّرجَةَ؟!**

والحقُّ أنَّ القولَ بالنَّصِّ والوِصَايَةِ ودعوى أنها **تَكليفٌ إلٰهيٌّ ثابتٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ** ﷺ مِنْ أقبحِ ما يَزْعُمُهُ **الرَّافِضَةُ**؛ إذْ بهذا القولِ والادّعاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ وأئِمَّتَهُمْ قَدْ عَلِموا شَيْئًا مِنَ الدِّينِ كان قَدْ جَهِلَهُ سَائرُ الصَّحابةِ حتَّى **عَلِيٌّ** رضي الله عنه نفسُهُ، **أوْ يكونُ قَدْ عَلِمَهُ عَلِيٌّ** رضي الله عنه **وجَبُنَ عَنْ تَنفيذِ الأمرِ الإلٰهيِّ**

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٤).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٨٢).
(٣) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٥٧)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٥٧).

ووَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وحاشَاهُ؛ فقَدْ ثَبتَ أنّهُ لمّا بُويعَ لهُ بالخِلَافةِ ـ بَعْدَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ جَرَّدَ سَيْفَهُ وشَهَرَهُ في وجوه المعترضين له في أي حق من حقوق خلافته وقاتلَ في سَبيلِ تثبيتِ أمرِ خِلافتهِ، ثبتَ ذلك فيما **رواه الطَّبَرِيُّ** بِسندِهِ عَنْ **عَلِيٍّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّهُ قال لابنِهِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**فأنَا مُقاتِلُ مَنْ خَالفَنِي بِمَنِ اتَّبَعَنِي حتَّى يَحكُمَ اللهُ وهو خَيْرُ الحاكمينَ**»[(١)].

أفلَا يُظَنُّ بِعَلِيٍّ الذي حَمَلَ السَّيْفَ وقاتَلَ في سَبيلِ أمرٍ نَالَهُ بِبَيْعَةِ المُسلِمينَ واختيارِهِمْ لهُ؛ أنْ يَحمِلَ السَّيْفَ أو يُحاوِلَ في سبيلِ أمرٍ أَوْصَى لهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فلَوْ عَلِمَ بهذه الوَصِيَّةِ المزعومةِ؛ فإنَّ سِيرَتَهُ ودِينَهُ وتَقواهُ تَمنعُهُ أنْ يَتأخَّرَ لَحظَةً عَنْ أَخذِهَا بالسَّيْفِ والقُوَّةِ على الرَّغْمِ مِنْ مُعارضيهِ. وإنَّ في مُبايعتِهِ بِالخِلَافةِ لأبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لَحُجَّةً قَاطِعةً لِرَدِّ أقوالِهِمْ ودَحْضِ باطلِهِمْ.

ولَا يَجوزُ لِمُسْلِمٍ صَادقٍ أنْ يَظُنَّ أنَّ **عَلِيًّا** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهو الصّحابيُّ الشُّجَاعُ الجسورُ ـ قَدْ تَأَخَّرَ في تَنفيذِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بلْ لَا يَجوزُ بِحالٍ أنْ يَظُنَّ السُّوءَ بِأحدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وهُمُ الرِّجالُ الذينَ أَثْنَى اللهُ تَعالَى عَليهِم ورَضِيَ عَنهم، ورَضِيَ عنهم رَسُولُهُ ﷺ، وما كانوا يُقدِّمونَ قولَ أحدٍ على قولِ اللهِ تَعالَى وقولِ رَسُولِهِ ﷺ، وهُمُ الذينَ قدَّموا مَحبَّةَ اللهِ تَعالَى ومَحَبَّةَ رَسُولِهِ ﷺ على كُلِّ أحدٍ حتَّى على النَّفسِ والوَلَدِ.

فلَا يَجوزُ لِمَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخرِ أنْ يَظُنَّ بِهؤلاءِ الأتقياءِ الأوفياءِ أَيَّ سوءٍ مَهْمَا دَقَّ أو صَغُرَ؛ لأنَّهُمْ في جُملَتِهِمْ صَفْوَةُ الخَلْقِ بَعْدَ الرُّسُلِ والأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَضْلًا عَنْ أنْ يَظُنَّ بِهِمُ التَّواطؤَ والاتِّفاقَ على مُخالفةِ الرَّسُولِ ﷺ ومَعْصيتِهِ فيمَا أَوْصَى وأمَرَ.

كَيف يُظَنُّ بِهِمْ هذا الظَّنُّ؛ وقَدْ رأينَاهم يَنقادونَ لِوَصِيَّةِ أبِي بَكْرٍ

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١١ ـ ١٢).

بِالخِلافةِ لِعُمَرَ انقيادًا تَامًّا، ثُمَّ يَنقادونَ لِوَصِيَّةِ عُمَرَ بالشُّورَى في الخِلَافةِ مِنْ بَعْدِهِ، إنّهم واللهِ! لَمْ يَنقادوا لِخُلَفَائِهِمْ طَمَعًا في الدِّينارِ والدِّرْهَم ومَتاعِ الدُّنيا. ومِمَّا لَا يَشُكُّ فيهِ عَاقِلٌ مُنْصِفٌ مُتَدَبِّرٌ لِسيرَتِهِمْ ـ فضلًا عَنْ مُسْلِمٍ مُؤمنٍ باللهِ تَعالَى ـ أنّهمُ انقادوا طَمَعًا في مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، وحِرصًا على اجْتِماعِ كَلِمَةِ المُسلمينَ.

أفلَا يُظَنُّ بِهؤلاءِ أنْ يَكونوا أَشدَّ انقيادًا ومُتابعةً في تَنفيذِ أَمْرِ رَسُولِهِمْ وَوَصِيَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ؟ بلى واللهِ! لَا يَشُكُّ بِهذا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالَى، وعَلِمَ قَدْرَ الصَّحابَةِ ﷺ، وحَفِظَ لَهمْ مَنْزِلَتَهُمُ التي أنزَلَهُمْ إيَّاهَا اللهُ تَعالَى في كِتابِهِ الكَريمِ، ورَسُولُهُ ﷺ في سُنَّتِهِ المُطَهَّرةِ.

يقولُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في رَدِّهِ على الرَّافِضَةِ في مَسألةِ الوِصَايَةِ: «**ولَوْ كان الأمرُ كمَا زَعموا؛ لَمَا رَدَّ ذلِكَ أحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فإنَّهُمْ كانوا أَطوعَ للهِ، ولرَسُولِهِ في حياتِهِ وبَعْدَ وفاتِهِ مِنْ أنْ يَفْتَاتوا عليهِ، فيُقدِّموا غَيْرَ مَنْ قدَّمَهُ، ويُؤخِّروا مَنْ قدَّمَهُ بِنَصِّهِ، حَاشَا وكلَّا، ومَنْ ظَنَّ بالصَّحابَةِ رِضْوانُ اللهِ عَليهِم ذلك؛ فقَدْ نَسَبَهُمْ بِأجْمَعِهِمْ إلى الفُجُورِ، والتَّواطُؤِ على مُعَانَدَةِ الرَّسولِ ﷺ، ومُضادَّتِهِمْ في حُكْمِهِ ونَصِّهِ، ومَنْ وَصَلَ إلى هذا المقامِ فقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ، وكَفَرَ بِإجْماعِ الأَئِمَّةِ الأعَلامِ، وكانتْ إرَاقَةُ دَمِهِ أَحَلَّ مِنْ إرَاقَةِ المُدَامِ**»(١).

فالحاصلُ: أنَّ القولَ بِالوِصَايَةِ، أو بتقديمِ عَلِيٍّ على أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لَمْ يَكُنْ مَعروفًا لدَى **الشِّيعَةِ الأوائِلِ** الذين كانوا شِيعةً لِعلِيٍّ يُتابعونَهُ فيمَا يَعتَقِدُ، ويُطاوعونَهُ فيما يَرَى مِنَ الآراءِ والأقوالِ. فمَنِ اعتقدَ بِالوَصِيَّةِ، أوْ قَدَّمَ عَلِيًّا على أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فإنّه ليسَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإنْ زَعَمَ ذلك، بلْ هو مِنْ شِيعَةِ عبدِ اللهِ بنِ سَبأٍ الذي أَحْدَثَ

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٢) باختصارٍ طفيفٍ. (المُدَام)؛ أي: الخَمر.

بِدْعَةَ الوَصِيَّةِ، وقَدَّمَ عَلِيًّا على سَائرِ الصَّحابةِ، وأَظهرَ البَراءَةَ مِنَ الشَّيْخيْنِ وغَيْرِهِما مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لأَنّهُ ليسَ مِنَ العَدْلِ أنْ يُنسَبَ هؤلاءِ السَّبَئِيَّةُ إلى **عَلِيٍّ** رضي الله عنه ـ فيقالُ: إنّهم مِنْ شِيعتِهِ ـ وهُمْ لهُ مُخالفونَ في المِلَّةِ والاعتِقادِ. فتعريفُ **الشَّهرستانِيِّ وغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الرَّفْضِ** لِلتَّشَيُّعِ والشِّيعةِ إنّما هو **تَعريفٌ لِلرَّفْضِ والرَّافِضَةِ**، وليسَ لِلتَّشَيُّعِ والشِّيعةِ؛ لأنَّ العِبْرَةَ ليستْ بالأسماءِ وإنمّا بِحقائقِ الألفاظِ ومعانيها. وسيأتِي مَزيدُ تفصيلٍ لِهذه المسألةِ في المبحثِ التَّالي: **نَشْأةِ التَّشَيُّعِ وتَطوّرِهِ**.



الفصل الثاني

تاريخُ الشِّيعةِ والتَّشَيُّعِ

وفيه مبحثٌ واحدٌ:

■ نَشْأَةُ التَّشَيُّعِ وتطوّرُهُ. وهو مبحثٌ تاريخيٌّ يَبحثُ في تاريخِ التَّشيُّعِ، وتطوّرِ أفكارِهِ وعَقائِدِهِ، ومَيْلِهِ وانحرافِهِ عَنْ جادّةِ الحقِّ والصّوابِ على مرِّ التّاريخِ.

مبحث

نَشْأَةُ التَّشَيُّعِ وتَطَوّرُهُ

عاشَ المُسلِمونَ في حياةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ولَمْ يَعرِفُوا اختِلافًا يُؤدِّي إلى الفُرْقَةِ فيمَا بينَهُمْ؛ فقَدْ كانوا يَعرِضونَ أُمورَهُمْ وأحوالَهُمْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولَا يَنفَضُّونَ مِنْ حَوْلِهِ إلَّا وقَدِ اتَّفقُوا وزَالَتْ عنهم كُلُّ اختِلافاتِهِمْ في كُلِّ مَسائِلِهم وأَحوالِهِمْ. مِن ذلك تَنازُع **المُسلِمينَ يَومَ بدْرٍ** في الأَنفَالِ، واختلفَ الأنصارُ فيمَا بينَهُمْ في **قِصَّةِ الإفْك** حتَّى هَمُّوا بالِاقْتِتَالِ، ولكنْ لَمْ تَكنْ مثل هذه الاختلافاتُ والنِّزاعاتُ تَستَمرُّ أوْ حتَّى تَبْقَى ولَوْ بعضَ يومٍ؛ فقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفُضُّهَا، ويَنصَرِفُ الصَّحابةُ وقَدْ زَالتْ عنهم حتى آثارُ هذه النِّزاعاتِ والاختلافاتِ مِنْ شَحْنَاءَ وبَغضَاءَ وغيرِها.

ثُمَّ استَمَرُّوا على هذه الحالِ العظيمةِ مِنَ الوِفَاقِ والاتِّفَاقِ حتَّى أواخرِ عَهْدِ **عُثْمَانَ** رضي الله عنه، حينَما كَثُرَتِ الفِتَنُ وانْتَشَرَ أهلُ الشَّرِّ والفَسَادِ في صُفوفِ الأُمّةِ، جَاهِدينَ أنفسَهُمْ في تَبدِيلِ حَالِ المُسلِمينَ وتَغيِيرِ دِينِهِمْ، مُستَغِلِّينَ أحْدَاثًا تَاريخِيَّةً وأفرادًا سُذَّجًا لِتَحقيقِ غَايَتِهِم التي هي النَّيْلُ مِنْ هذا الدِّينِ الذي حَطَّمَ آمَالَهُمْ وأمانيَّهُمْ وبَدَّدَ دُوَلَهُمْ وسَلاطِينَهُمْ ـ بالحقِّ لَا بالعُدْوانِ ـ طَاعةً للهِ الواحدِ الدَّيّانِ. ومع كَثْرَةِ هذه المحاولاتِ ظَهرتْ أَحدَاثٌ وأُمُورٌ اختلَفَ فيها المُسلِمونَ وتبَايَنَتْ فيهَا آراؤُهُمْ، الأمرُ الذي أَدَّى إلى افْتِراقِهِم وتَنازُعِهِمْ، وتَكَوُّنِ الفِرَقِ التي تَعَصَّبَ لِكُلٍّ مِنها طَائفةٌ وجَماعةٌ. وهكذا كان مَبْدَأُ انقِسامِ هذه الأُمَّةِ إلى فِرَقٍ وشِيَعٍ استَغَلَّها أهلُ الشَّرِّ والفسَادِ أَسْوأَ استِغلالٍ؛ لِتبديدِ جُهودِ هذه الأُمَّةِ في الدَّعوةِ والجِهادِ، وإعمَالِ السَّيْفِ والبأْسِ فيها.

روَى **الإمامُ أحمدُ** بسندِهِ إلى أبِي سَهْلَةَ مَوْلَى عُثْمَانَ ﵁ عَنْ أُمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ ﵂؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طُلِبَ لهُ عُثْمَانُ يومًا وأَسَرَّ لهُ بحديثٍ... وفي آخِرِهِ يقولُ أبو سَهْلَةَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا؛ قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: «**لَا؛ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عليهِ**»[(١)]. قال أبو سَهْلَةَ: فيَرَوْنَ أَنَّهُ ذلك اليَوْمُ.

وروَى أيضًا بسندِهِ إلى أَبي حَبِيبَةَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ ﵁؛ أَنّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثْمَانُ ﵁ مَحْصُورٌ فِيهَا، وأَنّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﵁ يَسْتَأْذِنُ عُثْمَانَ في الْكَلَامِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عليهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا**، أَوْ قَالَ: **اخْتِلَافًا وَفِتْنَةً**». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ**». وَهُوَ يُشِيرُ إلى عُثْمَانَ بِذَلِكَ[(٢)].

وروَى **الإمامانِ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ** مِنْ حَديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أنه قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[(٣)].

وروَى **الإمامُ مُسْلِمٌ** مِنْ حديثِ أبِي بَكْرَةَ ﵁ بنحوِهِ، وزَادَ: «... **أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ يعني: الفتنَ؛ فَمَنْ كَانَ لهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ**

(١) **صحيحٌ**: «المُسند» (١/ ٥٨، ٦٩)، والحاكِمُ في «المستدرك» (٣/ ٩٩) وصَحَّحَهُ، ووافقهُ الذَّهبيُّ في «تلخيص المستدرك»، والألبانيُّ في (ظلال الجنّة في تخريجِ كتاب السُّنَّةِ ـ لابن أبي عاصم ـ رقم: ١١٧٥).

(٢) **صحيحٌ**: «المُسند» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، ورواه الحاكِمُ في «مستدركه» (٣/ ٩٩ و٤/ ٤٣٣) وصَحَّحَهُ في المَوْضِعيْن. انظر: (السلسلة الصحيحة للألبانيِّ: ٧/ ٥٧٢ رقم: ٣١٨٨).

(٣) **مُتّفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاريّ» ـ واللفظ لهُ ـ، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير مِنَ القائم (الفتح: ١٣/ ٢٩ ـ ٣٠ رقم: ٧٠٨١)، و«صحيح مُسْلِم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/ ٢٢١١ ـ ٢٢١٢ رقم: ٢٨٨٦/ ١٠).

كَانَتْ لهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ...» الحديثَ[(١)].

وروى **الإمامُ أحمدُ** مِنْ حديثِ أُمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ ﵂؛ أنّها كانتْ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ ﷺ ـ يتمنَّى ـ: «**لَوْ كانَ عِندَنَا رَجُلٌ يُحَدِّثُنَا!**». فقيلَ لهُ أنْ يَبعثُوا إلى أبِي بَكْرٍ أو عُمَرَ، ثُمَّ إنَّهُ أرسلَ مَنْ يَطلُبُ لهُ **عُثْمَانَ** حتَّى جَاءَهُ، فأَكبَّ أحدُهما على الآخرِ، وكان مِنْ آخرِ كَلامِهِ ﷺ: «**يَا عُثْمَانُ! إنَّ اللهَ ﷻ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ على خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي يَا عُثْمَانُ**». يقولُها ﷺ ثلاثًا[(٢)].

نَجِدُ في هذهِ الأحاديثِ مَا أخبرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الفِتَنِ التي ستكونُ بَعْدَهُ في أَواخِرِ عَهْدِ عُثْمَانَ. وقَدْ أَوصَى ﷺ عُثْمَانَ بوصَايَا، مِنها: عَدَمُ خَلْعِهِ الإمارةَ والخِلافةَ عَنْ نَفسِهِ، كمَا أوصَاهُ ﷺ وأَوْصَى المُسلِمينَ عَامّةً بِمَا هو خَيْرٌ لِلْمَرْءِ في الفِتْنَةِ؛ فقالَ ﷺ: «**القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ**». ثُمَّ نَدَبَهُمْ إلى اعْتِزَالِها بقولِهِ ﷺ: «**مَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا؛ فَلْيَعُذْ بِهِ**». وأَكَّدَهُ ﷺ بِمَا جاءَ في حديثِ أبِي بَكْرَةَ ﵁ بأنَّ «**مَنْ كَانَ لهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**».

فالشَّاهِدُ أنَّ الفِتْنَةَ أوّلُ مَا تكونُ في عَهْدِ عُثْمَانَ ﵁، ويُؤَكِّدُ هذا مَا رواهُ **عمر ابنُ شَبَّةَ** بسندِهِ عَنْ زَيْدِ بنِ وَهْبٍ قال: قالَ لَنا حُذَيْفَةُ بنُ

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/٢٢١٢ رقم: ٢٨٨٧).

(٢) **صحيحٌ**: «المُسند» (٦/ ٧٥، ٨٦ ـ ٨٧، ١١٤، ١٤٩)، وأخرجه التِّرْمِذِيُّ: مَنَاقِب عُثْمَانَ بن عَفَّانَ ﵁ باب ٦٢ (ح٣٧٠٥) وقال: «حَسَنٌ»، وابنُ مَاجه: المقدّمة، بَابُ فَضْلِ عُثْمَانَ ﵁ (رقم ١١٢). وصَحَّحَهُ ابنُ حِبَّانَ (٦٩١٥)، والحاكِمُ (٣/ ٩٩)، وابن شبه في تاريخ المدينة (٣/ ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧)، والألبانيُّ في (ظِلالِ الجنّةِ في تخريجِ السُّنَّةِ رقم: ١١٧٢ و١١٧٣).

اليَمَانِ رضي الله عنه: «**أيُّ الفِتَنِ تَعُدُّونَ أوّلَ؟**» فَسَكِتْنَا، فقالَ: «**أوَّلُ الفِتَنِ الدَّارُ، وآخرُها الدَّجّالُ**»(١). قُلتُ: هذا ليسَ مِمَّا يُقَالُ بِالرَّأيِ والاجتِهادِ كما هو مَقرَّرٌ، فهو مَرفوعٌ حُكْمًا معَ كونِهِ مَوْقُوفًا سَنَدًا، ثُمَّ حُذَيْفَةُ هو الصَّحابِيُّ الذي كان لهُ اهتِمامٌ بِأحاديثِ الفِتَنِ والشَّرِّ الذي سيقعُ في هذه الأُمَّـةِ.

وكان ابْتِدَاءُ أَمْرِ هذه الفِتْنَةِ كما روَى **الطَّبريُّ** رحمه الله بِإسنادِهِ إلى يَزِيدَ الفقعسيِّ(٢) قال: «كان عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ يَهودِيًّا مِنْ أهلِ صَنْعَاءَ، أُمُّهُ سوداء، فأسلمَ زمانَ عُثْمَانَ، ثُمَّ تَنَقَّلَ في بُلدَانِ المُسلِمينَ يُحاوِلُ ضَلالَتَهُمْ فبدأَ بِالحِجازِ ثُمَّ بِالبَصْرَةِ ثُمَّ بِالكُوفَةِ ثُمَّ بِالشَّامِ فَلَمْ يَقْدِرْ على مَا يُرِيدُ عِنْدَ أحدٍ مِنْ أهلِ الشَّامِ. فأخرجُوهُ حتَّى أتَى مِصْرَ فاعتَمَرَ فيهِم فقالَ لَهمْ فيما يقولُ: (**لَعَجَبٌ مِمَّنْ يَزْعُمُ أنَّ عِيسَى يَرجِعُ ويُكَذِّبُ بأنَّ مُحَمَّدًا يَرجِعُ؛ وقَدْ قال اللهُ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، **فَمُحَمَّدٌ أحَقُّ بِالرُّجُوعِ مِنْ عِيسَى**). فَقُبِلَ ذلك عَنْهُ. ووضَعَ لَهمُ **الرَّجْعَةَ** فتكلَّمُوا فيهَا. ثُمَّ قال لَهمْ بَعْدَ ذلك: **إنّه كانَ ألفُ نَبِيٍّ، ولِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ، وكانَ عَلِيٌّ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ**. ثُمَّ قال: **مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الأنبياءِ وعَلِيٌّ خاتَمُ الأوصياءِ**. ثُمَّ قال بَعْدَ ذلكَ: **مَنْ أظلمُ مِمّنْ لَمْ يُجِزْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ووَثَبَ على وَصيِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟.. وأنَّ عُثْمَانَ أخذَها بغيرِ حَقٍّ**.. ثُمَّ أظهرَ التَّكَلُّمَ في الخُلَفاءِ والصَّحابَةِ والطَّعنَ في عُثْمَانَ، وحرَّضَهُمْ على الخروجِ عليهِ قائلًا: **فانْهَضُوا في الأمرِ فحَرِّكوهُ، وابدأوا بِالطَّعْنِ على أُمرائِكم، وأَظهِروا الأمرَ بِالمعروفِ والنَّهيَ عَنِ المُنكرِ؛ تَستَميلوا النَّاسَ، وادْعُوهُمْ إلى هذا الأمرِ**»(٣).

وذكرَ **ابنُ كثيرٍ** رحمه الله هذا اليَهوديَّ الذي أظهرَ الإسلامَ لِيَكيدَ أهلَهُ،

(١) «تاريخ المدينة» لعُمرَ بن شبّةَ (٤/ ١٢٤٧).
(٢) بحثتُ عنه فلم أعثُرْ له على ترجمةٍ، ولعلّهُ مُحرّفٌ. واللهُ تَعالَى أعلمُ.
(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٤٧) في أحداثِ سنة (خمسٍ وثلاثين).

وقالَ فيهِ بِنَحوِ مَا قالَ الطَّبريُّ[(١)]. وزاد: «تَكاتَبَ أهلُ مِصْرَ والكُوفَةِ والبَصْرَةِ وتراسَلوا، وزُوِّرَتْ كُتُبٌ على لِسَانِ الصَّحابَةِ الذينَ بِالمدينةِ، وعلى لِسَانِ عَلِيٍّ وطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ، يَدْعونَ النَّاسَ إلى قِتَالِ عُثْمَانَ ونَصْرِ الدِّينِ وأنّهُ أكبرُ الجِهادِ... وخَرجوا فيمَا يظهرونَ للنَّاسِ حُجَّاجًا ومعهُمُ ابنُ السَّوداءِ»[(٢)].

وقالَ الطَّبريُّ: «وكانَ معهُمُ ابنُ سَبأٍ»[(٣)].

ثُمَّ إنَّهُمْ جاؤوا إلى المدينَةِ، فنَزَلَ أهلُ البَصْرَةِ **ذَا خُشُبٍ**، ونَزَلَ أهلُ الكُوفَةِ **الأعوصَ**، ونَزَلَ أهلُ مِصْرَ **ذا المروةِ**. ثُمَّ إنَّ أهلَ مِصْرَ أَتَوْا **عَلِيًّا**، وأهلُ البَصْرَةِ أَتَوْا **طَلْحَةَ**، وأهلُ الكُوفَةِ أَتَوْا **الزُّبَيْرَ**؛ يَدْعُونَهُمْ إلى الخلافَةِ، ويَعرضونَ عَليهِمُ الأمرَ. وإنَّ كُلًّا مِنْ عَليٍّ وطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ قالوا لِلثُّوَّارِ قولًا وَاحِدًا: «**لَقدْ عَلِمَ المؤمنونَ أنَّ جيشَ ذي المروةِ وذي خُشُبٍ والأعوصِ مَلعونونَ على لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ**»، وطَرَدُوهم[(٤)].

الحاصِلُ: أنَّ هؤلاءِ الأحزابَ قدِ اجتَمعوا وكانوا نَوَاةَ الفِتْنَةِ التي نَتَجَ عنها تَفَرُّقُ المُسلِمينَ شِيَعًا وأحزَابًا، وكانَ دُعَاةُ الفِتْنَةِ مِنْ أهلِ النِّفَاقِ والكُفْرِ كَما جاءَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فيما رواه أحمد وابن شبه[(٥)]، ومِنَ الملعونينَ كمَا قال **عَليٌّ، وطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ** فيما تقدَّمَ؛ لأنَّه ثبَتَ عَنْ النَّبيِّ ﷺ أنّهُ قال: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ... مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ**

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٣).
(٢) المصدر السابق (٧/ ١٩٠).
(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٥٣)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٩١).
(ذو خُشُبٍ): وَادٍ على مَسيرةِ ليلةٍ مِنَ المدينةِ. (مُعجم البلدان: ٢/ ٣٧٢). (الأعوص): مَوضعٌ قربَ المدينةِ (مُعجم البلدان: ١/ ٢٢٣). (ذو المروةِ): قريةٌ بوادي القرَى. (مُعجم البلدان: ٥/ ١١٦).
(٥) انظر هنا: في قولِه ﷺ: «**يَا عُثْمَـانُ!.. فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي يَا عُثْمَـانُ**».

وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ»(١).

ومعلومٌ أنَّ الذي تولَّى كِبْرَ هذهِ الفِتْنَةِ هو **ابنُ السّوداءِ عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ اليهوديُّ** الذي تَستَّرَ بالإسلامِ، وكانَ يَدُسُّ أفكارَهُ الخبيثَةَ الهَدَّامةَ ويَنشُرُها لإشَاعَةِ الفسَادِ العقائديِّ والفكريِّ والفُرْقَةِ بَيْنَ المُسلِمينَ، وقَدْ تَمكَّنَ بَعْدَ انتِقالِهِ بَيْنَ الأمصارِ الإسلاميَّةِ مِنْ تكوينِ فِرْقَةٍ تُؤمِنُ بأفكارِهِ وعَقائِدِهِ، واستطاعَ ـ بِهِمْ وبِمَنِ انخدعَ بِالشِّعاراتِ الدّينيَّةِ التي كانَ يُظْهِرُها ويُشيعُها بَيْنَ العَامَّةِ والخَاصَّةِ كَحُبِّ آلِ البيتِ، وزَعْمِهِ أنَّهُمْ ظُلِمُوا، وأنّهُ يَجِبُ نَصْرُهُمْ ورَفْعُ الظُّلْمِ عنهم، وغَيرِ ذلكَ ـ واستطاعَ بعد استمالة عدد كبير من العامة بالشعارات التي روجها بينهم أنْ يُسيِّرَ جُمُوعًا كبيرَةً مِنْ عِدَّةِ أمصارٍ إلى **المدينَةِ النّبويّةِ**، ثُمَّ حاصروا الخَليفَةَ **عُثْمَانَ** رضي الله عنه في دَارِهِ، ثُمَّ قتلوهُ بَعْدَ ذلك.

هذا مُلَخَّصٌ لِمَا جاءَ في «المصادرِ التَّاريخيَّةِ» التِي أكَّدَتْ أنَّ (ابنَ سَبأٍ اليهوديَّ) هو أَوَّلُ مَنْ أَظهرَ القَوْلَ بِالوِصَايَةِ والطَّعنَ على الخُلَفاءِ والصَّحابَةِ. وليسَ هذا في مصادرِ التَّاريخِ السُّنِّيَّةِ فَقَطْ، بَلْ قد جاء أيضًا في مصادرِ التَّاريخِ الشِّيعيَّةِ، فمِن ذلك:

• يقولُ **سَعدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القُمِّيُّ**(٢) ـ بَعْدَ أنْ ذكـرَ عَبْدَ اللهِ بنَ سَبأٍ ـ: «كانَ أوّلَ مَنْ أظهَرَ الطَّعْنَ على أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ والصَّحَابَةِ وتَبرَّأَ منهُمْ، وادَّعى أنَّ عَلِيًّا أَمَرَهُ بِذلكَ». وأضَافَ أنَّ **عَلِيًّا** رضي الله عنه أَرَادَ قَتْلَهُ، ثُمَّ نَفَاهُ إلى المَدَائِنِ. ثُمَّ قالَ: «وحَكَى جَماعةٌ مِنْ أهلِ العِلمِ أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ سَبأٍ كانَ يَهودِيًّا فأسْلَمَ ووَالَى عَلِيًّا، وكان يَقولُ وهو على يَهودِيَّتِهِ في يُوشعِ بنِ

(١) **مُتّفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاريِّ»، كتاب فَضَائِلِ المَدِينَةِ، بَابُ حَرَمِ المَدِينَةِ (٤/ ٨١ رقم: ١٨٧٠)، «صحيح مُسْلِم» كتاب الحجِّ، بَابُ فَضْلِ المَدِينَةِ (٢/ ٩٩٤ ـ ٩٩٨ رقم: ١٣٧٠/ ٤٦٧) من حديثِ عَليٍّ رضي الله عنه.

(٢) رافضيٌّ، تُوفِّيَ بعدَ (٣٠١هـ)، ترجمَ له الرّوافضُ كالطّوسيِّ في «الفهرست»، والأردبيليِّ في «جامع الرواة».

نون: «وَصِيُّ مُوسَى». فقالَ في إسلامِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ في عَليٍّ بِمثلِ ذلك، وهو أوَّلُ مَنْ شَهِدَ بِالقولِ بِفَرْضِ إمَامَةِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وأظهرَ البَرَاءَةَ مِنْ أعدائِهِ، وكاشَفَ مُخالفيهِ وأكفَرَهُمْ»[(١)].

• ويقولُ **الحسَنُ بنُ مُوسَى النُّوبَخْتِيُّ**[(٢)] في ذِكْرِهِ السَّبَئِيَّةِ بِنَحوِ قولِ القُمِّيِّ، ويَنُصُّ على أنَّ الجماعةَ مِنْ أهلِ العلمِ الذينَ وَصَفُوا ابنَ سَبَأٍ، أنَّهُمْ مِنْ أصحابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه[(٣)]. **والقُمِّيُّ والنُّوبَخْتِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ الأوائلِ الثِّقاتِ عِندَهم** الذينَ صَنَّفوا في الفِرَقِ والمقالاتِ في المذهبِ الشِّيعيِّ، وهما مِنْ عُلمائِهِمْ في القَرْنِ الثَّالثِ الهجريِّ.

• ويقولُ **مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ الكَشِّيُّ**[(٤)] ـ أحدُ عُلَماءِ الشِّيعَةِ في القَرْنِ الرَّابعِ الهجريِّ ـ في «**كتابِهِ**» الذي صَنَّفَهُ على الطَّبَقاتِ بَدْءًا بِأصحابِ عَلِيٍّ وانتِهاءً بِأصحابِ الحَسَنِ العَسْكَرِيِّ، وقَدْ ذكرَ ابنَ سَبَأٍ في الطبقةِ الأولَى، وأوردَ في عِدَّةِ رِوايَاتٍ بِأسانيدِهِ عَنِ ابنِ سَبَأٍ **أنّهُ ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وزَعَمَ أنَّ عَلِيًّا هو اللهُ، وأنَّ عَلِيًّا استَتَابَهُ ثُمَّ أَحرَقَهُ بِالنَّارِ**. ثُمَّ قال **الكَشِّيُّ** بَعْدَ ذلك: «وذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ سَبَأٍ كانَ يَهودِيًّا فأَسْلَمَ ووَالَى عَلِيًّا». ثُمَّ ذكرَ نحوَ مَا ذكرَهُ القُمِّيُّ والنُّوبَخْتِيُّ[(٥)].

• وذَكَرَهُ **الطُّوسِيُّ** ـ وهو مِنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ في القَرْنِ الخامسِ الهجريِّ[(٦)] ـ في طَبقةِ الرِّجَالِ الذينَ رَوَوْا عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فقالَ: «عَبدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ الذي **رَجَعَ إلى الكُفْرِ، وأَظهرَ الغُلُوَّ**»[(٧)].

---

(١) كتاب «المقالات والفرق» (ص: ١٩ ـ ٢١).
(٢) رافضيٌّ معتزليٌّ، تُوفِّيَ بعدَ (٣٠٠هـ)، له ترجمةٌ في «لسان الميزان» (٢/٢٥٨).
(٣) «فرق الشِّيعة» (ص: ٢٢ ـ ٢٣).
(٤) رافضيٌّ؛ (ت: ٣٤٠هـ) أو (٣٥٠هـ)، له ترجمةٌ في «الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٦/٣١١).
(٥) «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ١٠٦ ـ ١٠٨).
(٦) رافضيٌّ؛ تُوفِّيَ (٤٦٠هـ)، له ترجمةٌ في «لسان الميزان» (٥/١٣٥).
(٧) «رجال الطوسيّ» (ص: ٥١).

هذا مَا نَصَّ عليهِ عُلَمَاءُ الرَّافِضَةِ المتقدِّمونَ، فإنَّهُمْ أثبَتوا وُجُودَ ابنِ سَبَأٍ اليَهودِيِّ ونَصُّوا على أنّهُ أوَّلُ مَنْ أَحدَثَ القولَ بِفَرْضِيَّةِ إمَامَةِ عَلِيٍّ وبِالوَصِيَّةِ، وأنّهُ أوَّلُ مَنْ طَعَنَ في الخُلَفاءِ والصَّحابَةِ وأظهرَ البَرَاءَةَ منهم. إذنْ فلا عِبْرَةَ بِمَا يُرَدِّدُهُ المتأخِّرونَ مِنْ كُتَّابِ الرَّفْضِ وأئِمَّتهِ ـ ومَنْ وَافقَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ـ مِنْ مَقالاتٍ يُحاولونَ بِها نَفْيَ وُجُودِ هذه الشَّخصيَّةِ اليَهودِيَّةِ، فيطعنونَ في جميعِ الرِّواياتِ التَّاريخيَّةِ التي نَقلَها عُلماءُ أهلِ السُّنَّةِ وأئِمَّةُ الرَّفْضِ المتقدِّمونَ، يُريدونَ بذلِكَ تبْرِئَةَ مَذهَبِهِم وستر عوارهم مِن دَنَسِ المؤامراتِ اليَهودِيَّةِ.

ومِنْ غَريبِ مَا ذكرَهُ **الشَّهْرَستانِيُّ** عَنِ ابنِ سَبَأٍ قولهُ: «إنَّهُ أوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ القولَ بِالنَّصِّ بِإمَامَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، ومِنهُ انشَعَبَتْ أَصنَافُ الغُلَاةِ»[(١)]. مع أنّهُ لمّا عَرَّفَ التَّشَيُّعَ والشِّيعَةَ نَصَّ على أنَّهُمُ القائلونَ بِإمَامَةِ عَلِيٍّ وخِلافَتِهِ نَصًّا ووَصِيَّةً. مُشِيرًا أنَّ النَّصَّ والوَصِيَّةَ كانتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم[(٢)]، وهو هنَا يُحَدِّدُ أنَّ **ابنَ سَبَأٍ** هو أوَّلُ مَنْ قالَ بِالنَّصِّ والوَصِيَّةِ! وفي هذا تَخليطٌ واضحٌ وعَدَمُ تَحقيقٍ واتِّبَاعٌ للهَوَى والعِياذُ باللهِ تَعَالَى.

وكمَا ذَكرَ المؤرِّخونَ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ **ابنَ سَبَأٍ**؛ فقَدْ ذَكرَهُ أيضًا عُلَمَاءُ الفِرَقِ والمقالاتِ في كُتُبِهِم ومُصَنَّفَاتِهِمْ. ويَكادُ يَتَّفِقُ الجَميعُ على أنّهُ كانَ يَهودِيًّا، وأنّهُ أوَّلُ مَنْ أظهرَ القولَ بِالوَصِيَّةِ والرَّجْعَةِ والبَرَاءَةِ؛ يقولُ **شَيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ** رحمه الله: «كانَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ ـ شَيخُ الرَّافِضةِ ـ لمّا أظهرَ الإسلامَ أرَادَ أنْ يُفْسِدَ الإسلامَ بِمَكرِهِ وخُبْثِهِ، كمَا فعلَ بولصُ بِدينِ النَّصارَى... أظهرَ الغُلُوَّ في عَلِيٍّ والنَّصَّ عليهِ؛ لِيَتَمَكَّنَ بذلِكَ مِنْ أغراضِهِ... وخَبَرُهُ مَعروفٌ، وقَدْ ذَكرَهُ غيرُ واحِدٍ مِنَ العُلَمَاءِ»[(٣)].

هكذا ظهرَ **ابنُ سَبَأٍ اليهوديُّ** الحاقدُ بَيْنَ المُسلِمينَ، وأظهرَ مَقالاتِهِ

---

(١) «المِلَل والنِّحل» (١/ ١٧٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٤٦).
(٣) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٨/ ٤٧٩).

الفاسدةَ التي تُعْتبَرُ البَذْرَةَ الأُولَى للتَّشَيُّعِ الرَّافضيِّ الاصطلاحيِّ الذي تقدَّمَ تَعريفُهُ وتَفصيلُهُ، **وكان الشِّيعةُ الذينَ آمنوا بأفكارِهِ مِنَ المنافقينَ الملعونينَ على لِسانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**، وعَمِلُوا جَميعًا على تَفريقِ كلِمةِ المُسلِمينَ ووِحْدَتِهِمْ. شَأْنُ المنافقينَ المعَانِدينَ مُنْذُ أيامِ الإسلامِ الأولَى في عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الذين كانوا حَرْبًا على الوِحْدَةِ والأُلْفَةِ التي حَقَّقَها رَسُولُ الإخاءِ والمودّةِ ﷺ بَيْنَ أصحابِهِ، وحاولوا جهدَهُمْ الإيقاعَ بَيْنَ المهاجرينَ والأنصارِ وإشعالَ نَارِ الفِتْنَةِ متَى وَجدوا إلى ذلك سبيلًا، ولكنَّ اللهَ تَعالَى كانَ يَرُدُّ كَيْدَهُمْ في نُحُورِهِمْ. وبفضلِ اللهِ تَعالَى وَحْدَهُ ثُمَّ بِحِلْمِ الرّسُولِ ﷺ وحِكْمَتِهِ وسَماحتِهِ وبِقُوَّةِ إيمـانِ الصَّحَابَةِ ﭫ؛ مَاتَ النِّفاقُ وخَمدَتْ نَارُهُ وفِتْنَتُهُ في تلكَ الأيّامِ.

فالسَّبَئِيَّةُ امتدادٌ لأُولَئِكَ المنافقينَ الذينَ عَاصروا النَّبيَّ ﷺ، وعاصروا أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﭬ في حُروبِ الرِّدَّةِ التي أخْمدَ اللهُ تَعالَى فيها الفِتْنَةَ والعَصبِيَّةَ، وأظهرَ أهلَ الحقِّ ونَصرَهُمْ على أعدائِهِمْ. وقَدِ استمرّوا في خَفَائِهِمْ تَحتَ الظَّلامِ يَنتظرونَ الفُرْصةَ للنَّيلِ مِنَ الإسلامِ وأهلِهِ، وشاءَ اللهُ تَعالَى أنْ تكونَ لَهُمُ الشَّوْكَةُ في أواخرِ أيامِ عُثْمَانَ ﭬ، وأَمكنَهُمُ اللهُ تَعالَى لِحكمةٍ يَعلَمُها مِنْ قَتْلِ الخليفةِ وفتحِ بابِ الفِتْنَةِ والفُرْقَةِ بَيْنَ المُسلِمينَ وذلكَ بَعْدَ أنْ أَقْسَمَ عُثْمَانُ على الصَّحابةِ الذينَ كانوا في الدَّارِ للدِّفاعِ عنهُ أنْ يَتركوهُ ويَنصرفوا إلى مَنازلِهِمْ وألَّا يَرفعوا سِلاحًا، كمَا ذَكرهُ خليفةُ بنُ خيّاطٍ في «تاريخِهِ»(١).

قال **ابنُ كَثيرٍ**: «وسببُ ذلك؛ أنهُ رأى في المنَامِ رُؤيا دَلَّتْ على اقترابِ أَجلِهِ، فاستسلمَ لأمرِ اللهِ رجاءَ مَوْعُودِهِ وشَوْقًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) (ص: ١٧٣ ـ ١٧٤) بأسانيدَ رجالُها ثِقاتٌ. وانظر: كتابَ «عصر الخلافة الراشدة» (ص: ٤٢٤ ـ ٤٢٦ و٤٣٠ ـ ٤٣٨) لأكرم العمري، وكتابَ «تحقيق موقف الصحابة في الفتنة» (١/ ٤٦٧ ـ ٤٧٣) و(٢/ ١٤ ـ ٤٢) لمحمد أمحزون، وكتابَ «استشهاد عُثمـانَ ﭬ ووقعة الجَمل» (ص: ١٢١) لخالد الغيث.

وليكونَ خَيْرَ ابْنَيْ آدَمَ»[١].

وقَدْ كان رَأْيُ الصَّحابةِ ﵃ في هؤلاءِ القَتَلَةِ ـ مِنَ الخوارجِ والمنافقينَ ـ واضحًا أشدَّ الوضُوحِ[٢]؛ بِما ثبتَ لَدَيْهِم مِنْ أحاديث عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في فَضلِ عُثْمَانَ ﵁، وما بَشَّرَهُ بِهِ، وبما ثَبتَ في حقِّ هؤلاءِ المُنافقينَ، وها هي طائفةٌ بما جاء فيهم:

• روَى **ابنُ جَرِيرٍ** بسندِهِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أنّها قالتْ: «**يا أيُّها النَّاسُ! إنَّ الغَوغاءَ مِنْ أهلِ الأمصارِ وأهلِ المياهِ وعَبيدِ أهلِ المدينةِ اجتمعوا**». ثُمَّ ذَكرتْ مَا نَقَموهُ على عُثْمَانَ، فقالتْ: «هي أُمورٌ قَدْ سُبِقَ بِها، لَا يَصلُحُ غَيْرُها، فَتابعَهُمْ ونزَعَ لَهمْ عنها استصلاحًا لَهمْ، فلمَّا لَمْ يَجدوا حُجَّةً ولَا عُذْرًا؛ خَلجوا وبَادوا بالعُدْوانِ، ونَبَا فِعْلُهُمْ عَنْ قَولِهِمْ، **فسفكوا الدَّمَ الحرامَ، واستَحلّوا البلدَ الحرامَ، وأخذوا المالَ الحرامَ، واستَحلّوا الشَّهرَ الحرامَ. واللهِ! لأصبعُ عُثْمَانَ خَيْرٌ مِنْ طِباقِ الأرضِ أمثالِهم**»[٣].

• وذكرَ **ابنُ جَرِيرٍ وابنُ كثيرٍ** عَنِ هؤلاءِ الثُّوَّارِ أَنَّهُمْ كانوا طُلَّابَ دُنيا؛ فقَدِ انتَهَبُوا مَا في بيتِ عُثْمَانَ ﵁، حتَّى إنَّهُمْ تَناولوا مَا على النِّساءِ، ثُمَّ تَنادوا وأسرعوا إلى بيتِ المالِ فانتَهَبُوهُ.

• وقَدْ وَصَفَهُمْ عَلِيٌّ ﵁ بأنَّهُمْ **قومٌ يُريدونَ الدُّنيا**[٤].

• وقال الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ ﵄ فيهم: «**لَا دِينُهُمْ دِينِي ولَا أَنا منهم**»[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٩).
(٢) لَمْ يَكُنِ الصّحابةُ مِنَ المتآمرينَ على عُثمانَ كما صوّرهُم الكَذَبَةُ الفجرَةُ مِنَ الإخباريينَ وغيرِهم، انظرْ بعضَ الأمثلةِ: مِن هذا الافتراءِ وأدلَّةَ بُطْلانِهِ وردّه في كتابِ «تحقيق موقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ١٤ ـ ١٨) لمُحمد أمحزون.
(٣) «تاريخ الطبري» (٣/ ٦ ـ ٧).
(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٧٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٧).
(٥) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٧٤).

• ورَوَى **عُمَرُ بنُ شَبَّةَ** بسندِهِ إلى الحَسَنِ بن عَلِيٍّ رضي الله عنهما أنَّهُ قَامَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وقال لِلقَتَلَةِ: «**لَا مَرحبًا بالوجُوهِ ولَا أهلًا، مَشَائِمُ هذه الأمَّةِ، مَنْ فَتَقَ فيهَا الفَتْقَ العظيمَ. أمَا واللهِ! لولَا عَزَمَةُ أميرِ المؤمنينَ عَلَينا؛ لكانَ الرَّأيُ فيكم ثابتًا**»(١).

• ورَوَى أيضًا بسندِهِ عَنْ عَائِشَةَ والحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهم **أنَّهما يَلْعَنانِ قَتَلَةَ عُثْمَانَ**(٢).

• وكذلكَ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه(٣).

• ورَوَى عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّهُ خطبَ بالبَصْرَةِ فذكرَ عُثْمَانَ فعظَّمَ أمرَهُ وقال: «**لَوْ أنَّ النَّاسَ لَمْ يَطلبوا بِدَمِهِ؛ لأَمْطَرَ اللهُ عَليهِم حِجارةً مِنَ السَّماءِ**»(٤).

هذه هي حقيقةُ أَتباعِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَبَأٍ وشِيعَتِهِ، إنَّهُمُ الذينَ يَصدُقُ فيهم تَعريفُ التَّشَيُّعِ الاصطلاحِيِّ، وهذه آراءُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم فيهم؛ فقَدْ لَعنُوهُمْ وتبَرَّأوا منهم، وعَزَموا على قِتَالِهِمْ لولَا أنْ أقسمَ عَليهِمُ الخليفةُ الشَّهيدُ رضي الله عنه بتركِ قِتَالِهم. فهل يَجوزُ بَعْدَ ذلك أنْ يُوصَفوا بأنَّهُمْ شِيعةُ عَلِيٍّ رضي الله عنه؟ كلَّا، بلْ واللهِ! إنّهم أَعداؤهُ وخُصومُهُ، ولَا يَجوزُ أنْ يُطلقَ عَليهِمُ اسمٌ أو وَصْفٌ غيرَ: شِيعَةِ ابنِ سَبَأٍ اليَهوديِّ؛ لأنَّهُمْ شَايعوهُ ونَاصَروهُ وآمنوا بِهِ وبأفكارِهِ، وتَابعوهُ على مِلَّتِهِ ومَذهبِهِ. أوِ الرَّافِضَةِ؛ لِرفْضِهِمُ الدِّينَ والإيمانَ والحقَّ الذي آمنَ بِهِ الصَّحَابةُ والسَّلفُ الكرامُ رضي الله عنهم.

هذا مَبْدأُ نَشْأَتِهِمْ، أمَّا تطوُّرُهُمْ وانتشارُ مَذهبِهِمْ؛ فإنَّ أَحداثًا تَاريخِيَّةً ووَقائعَ كثيرةً في تاريخِ المُسلِمينَ كان لها دَوْرٌ وأهمّيَّةٌ في تطوّرِ هذه العقائدِ والأفكارِ المُنحرفةِ واشتهارِها، حتَّى أصبحتْ تُشكِّلُ خَطرًا عظيمًا على

(١) «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٣١).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٢٤٤ ـ ١٢٤٥).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ١٢٦٢).
(٤) المصدر نفسه (٤/ ١٢٥٤ ـ ١٢٥٥).

الإسلامِ وأهلهِ. **فبَعْدَ مَقْتَلِ الخليفةِ عُثْمَانَ** رضي الله عنه **انقسمَ المُسلِمونَ إلى شِيعَتَيْنِ وفِرْقَتيْنِ عَظيمتيْنِ**:

ـ **الأولَى شِيعَةُ عُثْمَانَ** رضي الله عنه: وهُمُ المُطالِبونَ بإقامةِ الحدِّ والقَصَاصِ على قَتَلَتِهِ.

ـ **الثانيةُ شِيعَةُ عَلِيٍّ** رضي الله عنه: وهُمُ المُطالِبونَ بإخضاعِ جميعِ أجزاءِ الدّولَةِ الإسلامِيَّةِ للخلافةِ الجديدةِ قَبْلَ إقامةِ الحدِّ والقَصَاصِ على قَتَلَةِ عُثْمَانَ وقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ.

إذنْ؛ كان اختلافُ الفِرقَتَيْنِ في الرّأيِ والأولويّاتِ ولَمْ يَكُنْ في شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ والعقائدِ.

فظهرتْ حينئذٍ كَلِمةُ **شِيعَةٍ** بَيْنَ المُسلِمينَ، وكانتْ تُضافُ إلى الفَريقَيْنِ على السَّواءِ، فكان يُقَالُ: «**شِيعَةُ عُثْمَانَ**»، و: «**شِيعَةُ عَلِيٍّ**». ولَمْ يَعْرِفِ المُسلِمونَ هذه الكَلِمةَ قَبْلَ ذلك، ولَمْ يَكُنْ أحدٌ يَتسَمَّى **بالشِّيعَةِ** في خِلافةِ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ رضي الله عنهم، فَضْلًا عَنْ أنْ تُعرَفَ في أيّامِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فالمُسلِمونَ كانوا كَلِمةً واحدةً لَا فُرْقَةَ بينهم ولَا اختلافَ، ولكن لمّا افترقوا بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ احتاجَ الأمرُ إلى تَعريفِ كُلِّ فَريقٍ منهم وتَمييزِهِ عَنِ الآخرِ، فقِيلَ لهؤلاءِ: «**شِيعَةُ عُثْمَانَ**»، ولِأُولَئِكَ: «**شِيعَةُ عَلِيٍّ**».

روَى **الإمامُ مُسْلِمٌ** وغَيْرُهُ؛ أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ في سَبِيلِ اللهِ، فَقَدِمَ المَدِينَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا، فَيَجْعَلَهُ في السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ، وَيُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّى يَمُوتَ... وفيه: أنّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فأَمَرَهُ أنْ يَأْتِيَ عَائِشَةَ رضي الله عنها يسألها؛ لأَنَّها أعلمُ أهلِ الأرضِ بذلكَ ثُمَّ يُخبرُهُ بِرَدِّهَا. فقال: «فَانْطَلَقْتُ إليها فَأَتَيْتُ على حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ فَاسْتَلْحَقْتُهُ إِلَيْهَا. فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا؛ لأَنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ في **هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ** شَيْئًا، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا. قَالَ: فَأَقْسَمْتُ عليهِ

فَجَاءَ فَانْطَلَقْنَا..»[(١)].

والمرادُ **بالشِّيعَتَيْنِ**: شِيعَةُ عُثْمَانَ، وشِيعَةُ عَلِيٍّ. ولَـمْ يَكُنْ لهذه الكَلمةِ دَلَالةً خاصَّةً سِوَى مَا هو مَعروفٌ في اللُّغَةِ والشَّرعِ. وكانتِ **الشِّيعتَانِ** على دِينٍ ومُعتَقدٍ واحدٍ، ولَمْ يَكُنْ هناك أيُّ انحرافٍ أو ضَلالٍ في أُمُورِ الدِّينِ، ولَمْ تكنْ **شِيعَةُ عَلِيٍّ** على المَعنَى الاصطلاحِيِّ **المُستَشْنَعِ** المتقدِّمِ ذِكرُهُ، وإنّما كانوا كإخوانِهِمْ في تَفضيلِ الصَّحَابَةِ، وفي سَائرِ أُمُورِ الدِّينِ كما تقدّمَ. ولَا يَضُرُّ وُجودُ **ابنِ سَبَأٍ** ومَنْ كان على فِكْرِهِ ومَنهجِهِ المُنحرفِ في صُفُوفِ **شِيعَةِ عَلِيٍّ** رضي الله عنه **الأوائلِ**؛ لِقِلَّتِهِمْ وحَقارةِ شأْنِهِمْ في ذلك الوقتِ، ولِعَدَمِ مَعرفةِ شِيعَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بتلكَ الأفكارِ المُنحرفةِ والعقائدِ الفاسدةِ التي كان يَحمِلُها **السَّبَئِيُّونَ** لأنّهم قَدْ سَتروها عَنْ عامّةِ النَّاسِ.

هكذا تَمكَّنَ هؤلاءِ المنافقونَ مِنَ العملِ بَيْنَ **شِيعَةِ عَلِيٍّ** رضي الله عنه حتَّى عَمَّتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ المُسلمينَ، ووَجدَ الصَّحَابَةُ أنفسَهُمْ في مَقْتَلَةٍ عظيمةٍ بَيْنَ أهلِ الإسلامِ والتوحيدِ. إنّها الفِتَنُ التي جَعلَتْهم في حِيرةٍ مِنْ أَمرِهِمْ، وهُمُ الرِّجالُ الذين اختارهُمُ اللهُ عز وجل لحملِ هذا الدِّينِ ونَشْرِهِ بَيْنَ أهلِ الأرضِ كافّةً. تَفرّقوا واختلفوا، **فطائفةٌ** اعتزلَتْ، و**طائفتانِ** اقْتتَلتَا في ظُلْمَةِ الفِتَنِ قِتالًا عظيمًا كما أخبرَ بذلك رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهما وَاحِدَةٌ**»[(٢)].

هكذا تَمكَّنَ **شِيعَةُ ابنِ سَبَأٍ** مِنْ إِثَارَةِ الفِتَنِ وبَثِّ رُوحِ الفُرْقَةِ والاختلافِ

(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنهُ أو مرض (١/ ٥١٢ ـ ٥١٤ رقم: ٧٤٦). وجاءَ (أنه طلّقَ امرأتَهُ ثُمَّ ارتحلَ إلَى المدينةِ ليبيعَ عَقارًا لهُ) كما في «مسند أحمدَ» (٦/ ٥٣ ـ ٥٤) و«سنن الدَّارِمِيِّ» كتابِ الصّلاة، باب صفة صلاة رَسُولِ اللهِ ﷺ (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاري»، كتاب الفتن ـ واللفظُ لهُ ـ (الفتح: ١٣/ ٨١ رقم: ٧١٢١)، و«صحيح مُسْلِم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٤/ ٢٢١٤ رقم: ١٧/ ١٥٧).

بَيْنَ المُسلِمينَ. ومَعلومٌ لَدَى **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** أنَّ **السَّبَئِيِّينَ** هُمُ الذين أَنشبوا الحربَ يومَ **الجَمَلِ** بَعْدَ أنْ كادَ النَّاسُ يَفترقونَ على الصُّلْحِ ويعودونَ إلى أَمصارِهِمْ، فقد روى **ابنُ جَريرٍ** بسندِهِ **أنَّ عَلِيًّا أرسلَ القَعْقَاعَ إلى طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ يَدْعُوهُمْ إلى الصُّلْحِ فأجابوه، وفَرِحَ المؤمنون مِنَ الشِّيعَتَيْنِ وأشرفوا على الصُّلْحِ**، كَرِهَ ذلك مَنْ كَرِهَهُ ورَضِيَهُ مَنْ رَضِيَهُ[(١)]. وروى أيضًا عَنْ **تَراسُلِ الفَرِيقيْنِ في شَأْنِ الصّلحِ حتَّى اطْمَأَنَّ النَّاسُ واتّفقوا على وَضْعِ الحربِ والعَوْدَةِ**، ويقولُ: «**وباتَ الذين أَثاروا أَمْرَ عُثْمَانَ بِشَرِّ لَيلةٍ بَاتوها قَطُّ، قَد أشرفوا على الهلَكَةِ، وجعلوا يَتشاورون لَيْلَتَهُمْ كلَّها حتَّى اجتمعوا على إنشابِ الحربِ في السِّرِّ**»[(٢)].

ويُفَصِّلُ **ابنُ جَريرٍ** هذا الاجتماعَ بروايةٍ أُخْرَى؛ يَذكرُ النَّفَرَ الذين اجتمعوا وفيهُمُ **ابنُ السّوداءِ ابنُ سَبَأٍ** والأَشْتَرُ الذي قال: «أَمَّا طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ فقَدْ عَرَفْنا أَمرَهما، وأمَّا عَلِيٌّ فلمْ نَعْرِفْ أَمرَهُ حتَّى كان اليوم، ورَأْيُ النَّاسِ فينا واللهِ واحدٌ، وإنْ يصطلحوا فعلَى دِمَائِنا». ثُمَّ أشارَ عليهِم بقتلِ عَلِيٍّ إشاعةً للفِتْنَةِ والفوضَى وإضاعةً للحُقوقِ. فقال لهُ **ابنُ السّوداءِ**: «بِئْسَ الرَّأْيُ رأيتَ». ثُمَّ أشارَ عَليهِم بمُخالطةِ النّاسِ ومُصَانَعَتِهِمْ فيما هُمْ فيه، وإنشابِ القتالِ عِنْدَ اللِّقَاءِ بَغْتَةً حتَّى لَا يَتفرّغَ أحدٌ للنّظرِ[(٣)].

وهذه المعركةُ كان لها دَوْرٌ في تَطوّرِ **السَّبَئِيَّةِ**؛ لأنها تَمكّنَتْ مِنْ تقسيمِ المُسلِمينَ إلى فِئَتَيْنِ، تَتعَصّبُ إحداهُما إلى عَلِيٍّ رضي الله عنه وترَى رَأيَهُ وتَلْتَفُّ حَوْلَهُ. وهذه الظّروفُ استغلّها المنافقون في إشاعةِ الفسادِ الفكريِّ والعقائديِّ ببَثِّ سُمُومِ الغُلُوِّ في شَخْصِ عَلِيٍّ رضي الله عنه والطَّعْنِ على عُثْمَانَ رضي الله عنه وشِيعَتِهِ وعلى سَائرِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم. ثُمَّ استمرّتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ المُسلِمينَ حتَّى كانتْ مَعركةُ **صِفِّينَ** بَيْنَ شِيعَةِ عَلِيٍّ وشِيعَةِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، ثُمَّ راجَ إطْلاقُ هذيْنِ

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٩).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٢ ـ ٣٣).

الاسْمَيْنِ واشتَهرا، فمَنْ كان تابعًا لِعَلِيٍّ ومُوافقًا لهُ في رَأيِهِ ونُصْرَتِهِ يُسمَّى: **بِشِيعَةِ عَلِيٍّ**، ومَنْ كان مع مُعَاوِيَةَ في رَأيِهِ ونُصرتهِ يُقَالُ لهُ: **شِيعَةُ مُعَاوِيَةَ**.

وكان الفريقانِ على دينٍ واحدٍ وعقيدةٍ واحدةٍ، ولَمْ تَخرُجْ كَلِمةُ **شِيعَةٍ** في مَدلُولِها عَنِ الأصلِ الذي دَلَّتْ عليهِ اللُّغَةُ العَربيَّةُ والنُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ المتقدِّمَةُ، ويُؤكِّدُ هذا قولُ عَلِيٍّ رضي الله عنه في **كِتابِهِ** الذي كَتبهُ لأهلِ الأمصارِ؛ مُبَيِّنًا لَهمْ مَا جرَى بينهُ وبَيْنَ أهلِ صِفِّينَ وفيه: «**ولَا نَستزيدُهُمْ في الإيمانِ بِاللهِ والتّصديقِ برَسُولِهِ ﷺ ولَا يستزيدوننا**»[(١)].

وذَكرَ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله مَا رُوِيَ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَنْ أبيهِ قال: سَمِعَ عَليٌّ يومَ الجَمَلِ أو يومَ صِفِّينَ رَجُلًا يَغلُو في القولِ، فقال: «**لَا تقولوا إلَّا خَيْرًا** إنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعمُوا أنّا بَغَيْنا عَليهِم، وزَعَمْنَا أنّهم بَغَوْا علينا فقاتَلْنَاهم». وذكرَ أيضًا عن مَكْحُولٍ قولَه: «إنَّ أصحابَ عَلِيٍّ سَألوهُ عَمَّنْ قُتِلَ مِنْ أصحابِ مُعَاوِيَةَ مَا هُمْ؟ قال: **هُمْ مُؤمِنونَ**». وذكرَ أيضًا أنّهُ لمّا مَرَّ على قَتْلَى صِفِّينَ، فإذا حابسٌ اليمانيُّ مَقتولٌ، فقال الأشْتَرُ: «إنا للهِ وإنا إليهِ راجعونَ! هذا حابسٌ اليمانيُّ مَعهم يَا أميرَ المؤمِنينَ، عليهِ عَلامةُ مُعَاوِيَةَ، أمَا واللهِ! لقَدْ عَهدتُهُ مُؤمِنًا. قال عَلِيٌّ: **والآنَ هو مُؤمِنٌ**»[(٢)].

هذا مَا يراه عَلِيٌّ رضي الله عنه في شِيعَةِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه مِنْ حيثُ الإيمانُ، فمَنْ كان مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ لَا يَسَعُهُ إلَّا هذا المُعتقَدُ، وأمَّا مَنِ اعتقدَ غَيْرَ ذلك فلا شَكَّ أنّهُ ليس مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ، بلْ هو مِنْ شِيعَةِ **ابنِ سَبَأٍ** الذي نَشَرَ شَرَّهُ وفسَادَهُ، مُستغِلًّا هذه الحوادثَ والفِتَنَ بَيْنَ المُسلِمينَ في تَفريقِ وِحْدَتِهِمْ وكَلِمَتِهِمْ وإفسادِ عَقائِدِهِمْ بالغُلُوِّ في مَحبَّةِ فَرِيقٍ وبالغُلُوِّ في البُغْضِ والتَّكفيرِ للفريقِ الآخرِ.

(١) «نهج البلاغة» (٣/ ١١٤ ـ ١١٥).
(٢) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

الحاصلُ: أنَّ كَلِمةَ **الشِّيعَةِ** في أيّامِ **الخليفةِ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ** كانت تُطلَقُ على الفَرِيقيْنِ على السَّواءِ، فشِيعَةُ عَلِيٍّ رضي الله عنه في مُقابلِ شِيعَةِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، ومَدلولَها في الفَرِيقيْنِ وَاحِدٌ، كما تَدُلُّ النُّصوصُ التَّاريخيَّةُ على ذلك.

ولَا يُلتفتْ إلى مُحاولةِ بعضِ الرَّافِضَةِ مِنْ تَزويرِ هذه الحقيقةِ وتغييرِها لِيُثبتوا أنَّ التَّشَيُّعَ الاصطلاحِيَّ المُنْحَرِفَ كان قديمًا في الإِسْلامِ، وأنَّ كَلِمَةَ **التَّشَيُّعِ** اشتهرَ بِهَا أنصارُ عَلِيٍّ دونَ غَيْرِهِمْ، فيَزْعُمُونَ كَذِبًا أنَّ مَنْ كان في مُعَسكَرِهِ في صِفِّينَ كان يُلَقَّبُ بالشِّيعِيِّ، وأمَّا مَنْ كان مِنْ أتباعِ مُعَاوِيَةَ فإنَّهُ كان يُلَقّبُ بالسُّنِّيِّ. يُريدونَ أنَّ لفظةَ **الشِّيعِيِّ** كانت تُقابِلُ **السُّنِّيَّ**، وأنَّ هذه المقابلةَ بَيْنَ اللَّفْظَتيْنِ كانت مَشهورةً أيّامَ الصَّحَابَةِ(١). وهذا كذبٌ وافتراءٌ تكذبه الحقائقُ التَّاريخيَّةُ مِنِ اجتماعِ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ في الدِّينِ والإيمانِ، وتُكذِّبُهُ النُّصوصُ التي أَوْرَدْتُها عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه مِنْ كُتُبِهِمْ ومُؤلَّفَاتِهِمْ فَضْلًا عَنْ مُؤلَّفَاتِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ؛ يقولُ اليعقُوبيُّ المؤرِّخُ الشِّيعِيُّ: «ووَجَّهَ مُعَاوِيَةُ بُسْرَ بنَ أبي أَرْطَاةَ ـ وقيل: ابنَ أرطاةَ العامريَّ مِنْ بني عَامرِ بنِ لُؤَيٍّ ـ في ثَلاثةِ آلافِ رَجُلٍ، فقال لهُ: سِرْ حتَّى تَمُرَّ بالمدينةِ... ثُمَّ امْضِ حتَّى تأتيَ صَنْعَاءَ فإنَّ لنا بِهَا **شِيعَةً**»(٢).

ثُمَّ انتهتْ **مَعركةُ صِفِّينَ** بمسألةِ **التَّحكيمِ** التي نتجَ عنها انقسامُ جَيْشِ عَلِيٍّ رضي الله عنه إلى فِرْقَتَيْنِ:

• **فِرْقَةٌ**: انْحرَفَتْ عنهُ وأَنكرَتْ عليهِ أَمرَ التَّحكيمِ، ثُمَّ نَابذوهُ العداءَ وطَعنوا فيه طَعْنًا شَديدًا لمُوافقَتِهِ على التَّحكيمِ والتَّفاوضِ والنُّزُولِ على حُكْمِ البَشَرِ، زَاعمينَ أنه لَا حُكْمَ إلَّا للهِ، فانشقَّ هؤلاءِ عنه، واجتمعوا في قَرْيَةِ

(١) «روضات الجنات في أحوال العُلَماءِ والسادات» (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).
(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٩٧).

حَرُوراءَ، وانتخبوا رَئيسًا لَهمْ خَليفةً عَليهِم، وخرجُوا وثَاروا على عَلِيٍّ والمُسلِمينَ ثَوْرةً عظيمةً، وَعَظُمَتْ بِهِمُ الفِتنةُ واشتدَّ بِهِمُ الخطَرُ، فقاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهَزَمَهُمْ، ولكن بَقِيتْ منهم بَقِيَّةٌ.

• **وأمَّا الفِرْقَةُ الأُخْرَى**؛ فقَدْ بَقِيَتْ معهُ مُبايِعَةً لهُ على الأمرِ تُقاتِلُ معهُ وهُمْ شِيعَتُهُ وفيهم **شِيعَةُ ابنِ سَبَأٍ**، وقد أَفادَتْهُمْ حادثةُ انشقاقِ **الخوارِجِ** في نَشْرِ غُلُوِّهِم وبَاطِلِهِمْ بَيْنَ شِيعةِ عَلِيٍّ، حتَّى اشتهرَتْ تلك العَقائِدُ المُنحرفةُ وانتشرَتْ. يَظهرُ ذلك واضحًا بمُقَارَنةِ أفكارِ **السَّبَئِيَّةِ** بأفكارِ **الخوارجِ** الذين أعلَنوا أفكارَهُمْ وعَقائِدَهُمْ وأشاعُوها بَيْنَ النَّاسِ، وهي تُمثِّلُ رَدَّةَ فِعْلٍ قَوِيَّةٍ على الأفكارِ السَّبَئِيَّةِ:

- **فالغُلُوُّ** في عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ وأهلِ البَيْتِ مِنْ جانبِ السَّبَئِيَّةِ؛ قَابَلَهُ **الطَّعْنُ** فيه **وتكفيرِه** مِنْ قِبَلِ الخوارجِ.

- **والعِصْمَةُ المُطْلَقَةُ** لِعَلِيٍّ مِنْ جانبِ السَّبَئِيَّةِ؛ قَابَلَها **تَخْطِئَةُ** عَلِيٍّ خَطَأً يُؤدِّي إلى الكُفْرِ والخُروجِ عَنِ المِلَّةِ عِنْدَ الخوارجِ.

- **والطَّاعةُ المُطْلَقَةُ** لِعَلِيٍّ في خُصُومِهِ وأنَّهُ المُصيبُ بعَيْنِهِ مِنْ جانبِ السَّبَئِيَّةِ؛ قابَلَها **الخُروجُ عليهِ** ومُقَاتَلَتُهُ مِنْ جانبِ الخوارجِ.

- **والقولُ بالوِصَايَةِ لِعَلِيٍّ بالخلافةِ نصًّا** مِنْ جانبِ السَّبَئِيَّةِ؛ قَابلَهُ الخوارجُ **بأنَّ الخلافةَ تكونُ في أيِّ رَجُلٍ مِنَ الأُمَّةِ** يُبَايَعُ بالمشورةِ والانتخابِ. إلى غَيْرِ ذلك مِنَ الأُمُورِ التي تُبَيِّنُ أنَّ الفكرَ الخارجيَّ جاءَ مُقَابِلًا للفكرِ الشِّيعِيِّ الاصطلاحِيِّ الممقوتِ.

المهِمُّ أنَّ هذه الأحداثَ استفادَ منها **ابنُ سَبَأٍ** وأَتباعُهُ في نَشْرِ دِينهِمُ المُنحرفِ حيثُ أشاعَ مَبْدَأَ الغُلُوِّ وبالغَ فيه، مُستغلًّا خُروجَ الخوارجِ وتكفيرَهُمْ عَلِيًّا، وقَدْ ساعدته الظروف في استمالةِ عَدَدٍ كَبيرٍ مِنْ عَوامِّ شِيعَةِ عَلِيٍّ إلى آرائهِ ومَبادِئِهِ. ومِمَّا يَدُلُّ على كَثْرةِ أتباعِهِ وأنصارِهِ في شِيعَةِ عَلِيٍّ؛

مَا جاءَ في مَصادِرِهِمْ: أنَّ عَلِيًّا سألَ ابنَ سَبَأٍ عَنْ آرائِهِ المُنكَرَةِ فأقرَّ بِهَا، فأَمَرَ بقَتْلِهِ، فصاحَ النَّاسُ إليه مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ: «يَا أميرَ المؤمِنينَ! أَتقْتُلُ رَجُلًا يَدْعُو إلى حُبِّكُمْ أهلَ البَيْتِ وإلى ولايتِكَ والبَراءةِ مِنْ أعدَائِكَ». فَسيَّرَهُ إلى المَدَائِنِ(١).

وقال عَبْدُ القَاهِرِ البَغْداديُّ: «ثُمَّ إنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه خافَ مِنْ إحراقِ الباقينَ منهم شَمَاتَةَ أهلِ الشَّامِ، وخافَ اختلافَ أصحابِهِ عليهِ، فنفَى ابنَ سَبَأٍ إلى ساباط المَدَائِنِ»(٢).

الحاصلُ: أنَّ الفِتْنَةَ عَظُمَتْ بَعْدَ صِفِّينَ، وافترقتِ الأُمَّةُ إلى شِيَعٍ وأحزابٍ، وأَعمَلَ المُسلِمونَ سُيوفَهُمْ في أنفُسِهِمْ، وقُتِلَ منهم خَلْقٌ عَظيمٌ، مِمَّا أدَّى إلى ضَعْفِ الإسلامِ وأهلِهِ. في هذه الأجواءِ نَشِطَ هذا الفكرُ الشِّيعِيُّ السَّبَئِيُّ المُنحرفُ، ووَاصَلَ جُهودَهُ في إضلالِ المُسلِمينَ وتغييرِ دِينِهِمُ الحقِّ وتفريقِ جَمعِهِمْ، حتَّى شاءَ اللهُ تَعَالَى أنْ يَفترِقَ النَّاسُ في عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إلى ثلاثِ فِرَقٍ:

- **الأولى السَّبَئِيَّةُ**: أَفرَطوا في حُبِّهِ وغَلَوْا فيه غُلُوًّا شديدًا حتَّى وصل الأمر ببعضهم أن جعله أعلى منزلة من الأنبياء؛ وزاد البعض في غلوه حتى جعلوه إلهًا يُعبد من دون الله تعالى.

- **والثانيةُ الخوارجُ**: الذينَ قابلوا **السَّبَئِيَّةَ**، فأَبغضوهُ، وأفرَطوا في ذلك وغَلَوْا حتَّى وصلَ الأمرُ ببعضِهِمْ أنْ كَفَّروهُ.

- **والثالثةُ أهلُ السُّنَّةِ والجمَاعَةِ**: وهم أهلُ الحقِّ الذين الْتَزَمُوا حُدودَ الشَّرْعِ في حُبِّهِ ومُوالاتِهِ، وجَانبوا الغُلُوَّ، وأنقذَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الإفراطِ والتَّفريطِ.

---

(١) «المقالات والفرق» (ص: ٢٠)، و«فرق الشِّيعَة» (ص: ٢٢).

(٢) «الفَرْق بين الفِرَقِ» (ص: ٢٣٣).

هكذا تَمكَّنَتِ **السَّبَئِيَّةُ** مِنْ تفريقِ هذه الأُمَّةِ إلى هذه الفِرَقِ التي انحرفَتْ إلى الإفراطِ والتّفريطِ، وغَدَتِ النَّواةَ الرّئيسةَ للافتراقِ العظيمِ الذي حَلَّ بهذه الأُمَّةِ مُنْذُ ذلك الوقتِ حتَّى يَومِنا هذا وإلى ما شاءَ اللهُ تَعالَى.

ثُمَّ إنَّ **السَّبَئِيَّةَ** تمكَّنَتْ مِنَ التَّغلْغُلِ في صُفوفِ أهلِ الإفراطِ، وأخذَتْ تَبُثُّ مَبْدَأَ الغُلُوِّ ليس في عَلِيٍّ فحسب، بلْ في أهلِ البَيْتِ عَامَّةً، ثُمَّ كان مَقْتَلُ الخليفةِ الرابعِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأيدي **الخوارجِ** المُنحرفينَ، الأمرُ الذي استغلَّهُ أهلُ النّفاقِ في إذْكَاءِ نَارِ الفِتْنَةِ بَيْنَ المُسلِمينَ، فأشاعوا أنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وشِيعَتَهُ وراءَ تدبيرِ هذا الاغتيالِ، وصاحوا في النَّاسِ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ وتَنادَوْا إلى أخذِ الثَّأْرِ مِنْ مُعَاوِيَةَ وأهلِ الشَّامِ.

وهذا كُلُّهُ ساعدَ وسَاهَمَ في إشاعةِ الغُلُوِّ في جانبِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خاصَّةً وأهلِ البَيْتِ عَامَّةً. وعَمِلَ **الشِّيعَةُ السَّبَئِيَّةُ** المُنحرفونَ عَمَلَهُمْ حتَّى تمكّنوا مِنْ تَجهيزِ النَّاسِ إلى قِتَالِ مُعَاوِيَةَ بقيادةِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فسارَ الحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في جيشِ أهلِ العِرَاقِ حتَّى الْتَقَى بِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجيشِ أهلِ الشَّامِ، وأرادَ أهلُ النّفاقِ والشَّرِّ مَا أرادوا، ولكنَّ اللهَ غَالِبٌ على أمرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكان مِنَ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا كانَ مِنْ أَمرِ الصُّلْحِ والتّنازُلِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَغْبَةً منهُ في حَقْنِ دِمَاءِ المُسلِمينَ ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وتحقيقًا وإظهارًا لمعجزة رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ قال ـ وهو على الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إلى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إلى النَّاسِ مَرَّةً وإليهِ مَرَّةً ـ: «**ابْنِي هذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسلِمينَ**»(١).

ولكنَّ أهلَ الشِّقاقِ والنّفاقِ ساءَهُمْ أمرُ الصُّلْحِ؛ روى **الطَّبَرِيُّ**(٢) عَنْ عَوَانَةَ وذكرَ خُطبةَ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في مسجدِ الكُوفَةِ بَعْدَ تَنازُلِهِ، وذكرَ

---

(١) رواه الإمامُ البُخاريُّ في «صحيحه»، كتاب الصلح، باب قول النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ: «ابني هذا سَيِّدٌ...» (فتح الباري: ٥/ ٣٠٧ رقم: ٢٧٠٤)، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الفتح (٧/ ٩٤)، وفي كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «**إن ابني هذا سيد**» الفتح (١٣/ ٦١) من حديث الحسن البصري عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

خُروجَهُمْ إلى المدينةِ، وقال: «فَلَمّا خَرجَ إلى المدينةِ تَلقَّاهُ نَاسٌ بالقادسيَّةِ، فقالوا: **يا مُذِلَّ العَربِ!**».

وذكرَ **ابنُ كثيرٍ** عَنْ أبي العَريفِ ـ الذي ذكرَ حَالهَم وَهُمْ في مُقدّمةِ جيشِ الحَسَنِ مُستَميتينَ مِنَ الجِدِّ على قِتَالِ أهلِ الشَّامِ ـ يقولُ: «**فَلَمّا جاءَنا بِصُلْحِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ فكأنَّما كُسِرَتْ ظُهورُنا مِنَ الغَيْظِ**، فَلَمّا قَدِمَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الكُوفَةَ قال لهُ رجلٌ مِنّا: **السلامُ عليكَ يا مُذِلَّ المؤمنينَ**». ثُمَّ ذكرَ خُروجَ الحَسَنِ ومَنْ معهُ مِنْ أرضِ العِرَاقِ قاصدينَ المدينةَ النّبويَّةَ فيقولُ: «**وجعلَ كُلّما مَرَّ بِحَيٍّ مِنْ شِيعَتِهِم؛ يُبكِّتُونَهُ على مَا صنعَ مِنْ نُزولِهِ عَنِ الأمرِ لِمُعَاوِيَةَ**»[(١)].

وقال **الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ**: «وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَوْذَبٍ قال: لمّا قُتِلَ عَلِيٌّ سَارَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ في أَهلِ العِرَاقِ ومُعَاوِيَةُ في أَهلِ الشَّامِ، فَالْتَقَوْا، فَكَرِهَ الْحَسَنُ القِتَالَ وَبَايَعَ مُعَاوِيَةَ... فَكَانَ أَصْحَابُ الْحَسَنِ يَقُولُونَ لَهُ: **يَا عَارَ الْمُؤْمِنِينَ. فَيَقُولُ: الْعَارُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ**»[(٢)].

مِنْ هذه الأدِلَّةِ يتَّضِحُ مَدَى غَضَبِ المنافقينَ مِنَ **الشِّيعَةِ السَّبَئِيَّةِ** مِنَ الصُّلْحِ الذي فَرِحَ بهِ أهلُ الإيمانِ وكبَّروا اللهَ تَعَالَى وحمدُوهُ على هذه النِّعْمَةِ العظيمةِ حتَّى سُمِّيَ ذلك العامُ **عامَ الجماعةِ**؛ لاجتماعِ النَّاسِ وانقطاعِ الحربِ. وبايعَ مُعَاوِيَةَ كُلُّ مَنْ كان مُعتزِلًا كابنِ عُمَرَ وسعدِ بنِ أبي وقاصٍ وغيرِهِمْ ﵃ جميعًا.

غَضِبَ أُولَئِكَ الحاقدونَ مِنْ هذا الاتّفاقِ والاجتماعِ، مع أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَثْنَى على الحَسَنِ لِما سيقومُ بهِ مِنْ جَمْعِ كَلِمَةِ المُسلِمينَ، وهذا يَدُلُّ على أنَّ الصُّلْحَ كان أحبَّ إلى اللهِ تَعَالَى وإلى رَسُولِهِ ﷺ مِنَ القِتَالِ، ولكنّ هؤلاءِ **الشِّيعَةَ** ضَاقتْ عَليهِمُ الأرضُ بِمَا رَحُبَتْ وضاقتْ

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٢١).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٦٥).

عَليهِم أنفسُهُمْ بِمَا حَلَّ بِهِم، فحاولوا جَاهدينَ تَدارُكَ الأمرِ فطعنوا في الحَسَنِ رضي الله عنه طَعْنًا شديدًا لإثارةِ الفِتْنَةِ وإنشابِ الحربِ بَيْنَ المُسلِمينَ، ولكنَّ اللهَ تَعالَى رَدَّ كَيْدَهُمْ في نُحُورِهِم وسَادَ الهدوءُ والأمنُ بَيْنَ المُسلِمينَ، وخمدَتْ بذلك رُوحُ **التَّشَيُّعِ** في نُفوسِ أهلِ **الكُوفَةِ** وغيرِها مِنَ الأصقاعِ، واجتمعَ النَّاسُ تَحْتَ لواءِ **مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ** رضي الله عنهما الذي أعادَ إلى الإسلامِ وِحْدَتَهُ وهَيمَنتَهُ وقُوّتَهُ أمامَ كافّةِ الأعداءِ.

وعاشَ المُسلِمونَ حياةً يَسودُها التّآلفُ والاجتماعُ بَعْدَ فَتْرةٍ تَاريخِيَّةٍ حَافلةٍ بالفِتَنِ والحروبِ والاختلافِ مِنْ أواخرِ عَهْدِ عُثْمَانَ إلى عامِ الجماعةِ حين تنازلَ الحَسَنُ لِمُعَاوِيَةَ رضي الله عنهم أجمعين، ووضعَ حدًّا لتلك الحروبِ الطاحنةِ والفِتَنِ المُظلِمَةِ التي عَمِلَ فيها وتحتَها أهلُ الشَّرِّ والفسادِ عَمَلَهُمْ. وانطلقَ المُسلِمونَ يواجهون أعداءَ الإسلامِ مِنْ خارجِ الدّولَةِ الإسلامِيَّةِ، وينشرون دِينَ اللهِ تَعالَى في خَلْقِهِ، واتّسعَتْ رُقْعَةُ دَولَةِ الإسلامِ، وفُتِحَتِ العديدُ مِنَ الأمصارِ، وانتشرَ الإسلامُ بَيْنَ أهلِ الأرضِ.

ولكنْ على الرَّغْمِ مِنْ هذا كُلِّهِ فقد كان **المنافقون والدُّخَلاءُ** يَعملون خُفْيَةً في صُفوفِ المُسلِمينَ، يَدعون النَّاسَ إلى **التَّشَيُّعِ المُنْحَرِفِ**، مُحاولينَ إعادةَ الفِتْنَةِ وبَثَّ رُوحِ الفُرْقَةِ بَيْنَ المُسلِمينَ، وإنهاءَ الأُلْفَةِ والاجتماعِ الذي سادَ حياةَ المُسلِمينَ بَعْدَ ذلك التّنازُلِ الذي أبغضوهُ وكَرِهُوهُ أشدَّ الكراهيَةِ؛ لأنّهُ أَوقفَ شَرَّهُمْ وفسادَهُمْ وكشفَ باطلَهُمْ وكُفْرَهُمْ، ذلك التّنازلُ الذي اعتبرهُ أُولَئِكَ **الشِّيعَةُ** المُنحرفون خِزْيًا وعَارًا، وطعنوا بسببهِ في إمامةِ **الحَسَنِ** رضي الله عنه، ثُمَّ صَرفوا الإمامةَ ـ التي زَعموها بالنَّصِّ والوَصِيَّةِ ـ بعدَهُ عَنْ أولادِهِ عقابًا له، وجعلوها في الحُسَيْنِ وأولادِهِ. وقد واصلوا جُهودَهُمْ في إيجادِ وإشاعةِ كُلِّ مَا يُؤدّي إلى إعادةِ الفِتْنَةِ، فزعموا بَعْدَ مَوتِ الحَسَنِ رضي الله عنه مَسمومًا أنَّ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه كان وراءَ تلك الجريمةِ. وبعدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ واستخلافِ ابنهِ يزيدَ؛ دَعَوا **الحُسَيْنَ** رضي الله عنه **إمَامًا لَهمْ**، وأحاطوا عَمَلَهُمْ

بالسِّرِّيَّةِ، وأخذوا يَكتبون إلى الحُسَيْنِ الكُتُبَ الكثيرةَ التي يَزْعُمُونَ فيها أنّهم مِنْ **شِيعَتِهِم مِنْ أهلِ الكُوفَةِ**، وأنّهم لا يَقبلونَ ببيعةِ يَزيدَ، ويرغبونَ في بيْعَتِهِ ويَحثُّونَهُ على الإسراعِ إليهم لتنصيبهِ خليفةً عليهم.

ولما أكثرَ عليهِ القومُ مِنْ تلك الكُتُبِ والرّسائلِ بَعَثَ إليهم **ابنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بنَ عَقيلٍ** رَحِمَهُ اللهُ؛ لِيستطلِعَ أمرَ الشِّيعَةِ مِنْ أهلِ الكُوفَةِ، وأخذَتِ **الشِّيعَةُ** تَتوافدُ وتختلفُ إلى مُسْلِمٍ يُبايعونَهُ حتَّى اطْمَأَنَّ لحالِهِمْ وأَمْرِهِمْ، فكتبَ إلى **الحُسَيْنِ** يُخبرُهُ بِبَيْعَةِ النَّاسِ لهُ ويأمره بالقُدومِ[1]. الأمرُ الذي حملَ الحُسَيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنْ يُقَرِّرَ المسيرَ إلى الكُوفَةِ على الرَّغْمِ مِنَ النّصائحِ التي وجَّهَها إليهِ المخلصون مِنْ أهلِ الإيمانِ والإسلام كعَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ وابنِ عُمَرَ وغيرِهما بعدمِ الذّهابِ[2]؛ لأنّهم قَومُ غَدْرٍ، وأنّهم سيخذلونهُ ولَا يَنصرونهُ كما فعلوا قَبْلَ ذلك بأبيهِ عَلِيٍّ وأخيهِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

ولكنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى أنْ يُواصِلَ **الحُسَيْنُ** مَا عزمَ عليهِ، فسارَ إليهم في عِدَّةٍ مِنْ أهلِ بيتهِ مُطمئِنًّا لحالِ **أهلِ الكُوفَةِ مِنَ الشِّيعَةِ أهلِ النّفاقِ والغَدْرِ والشِّقاقِ**، حتَّى جاءَهُ الخبرُ بِمَا فعلَهُ الشِّيعَةُ المُنحرفون بمُسْلِمِ بنِ عَقيلٍ الذي أرسلَ مَنْ يَرُدُّ الحُسَيْنَ ـ بَعْدَ إلقاءِ القبضِ عليهِ مِن قِبَلِ والي الكوفةِ ـ بَعْدَ أنْ خَذَلَهُ أنصارُهُ وتركوهُ وحدَهُ وأسلموهُ للقتلِ، فَنَدَبَ مَنْ يُسْرِعُ لِيَرُدَّ الحُسَيْنَ، وكان مِمَّا قالَهُ رَحِمَهُ اللهُ: «**اِرْجِعْ بأهلِ بَيتِكَ ولَا يَغُرُّكَ**

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٧٩).

(٢) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويّةِ» (٢/ ٩٢). ومِمّنْ نصَحَهُ بِعَدَمِ المسيرِ أيضًا: عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بن العاص، وأبو سعيدٍ الخُدْريُّ، وعبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وأخو الحُسيْنِ مِن أبيهِ مُحَمّدُ ابنُ الحَنفيّةِ، وأبو بَكْرِ بنُ عبدِ الرحمن بنِ الحارثِ المخزوميُّ، وعبدُ اللهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أبِي طَالِبٍ، والفرزْدقُ الشاعرُ المشهورُ، وعبدُ اللهِ بنُ مطيع الذي قال لهُ: «فإيّاكَ أنْ تقربَ الكُوفَةَ، فإنها بلدةٌ مَشؤومةٌ، بِهَا قُتِلَ أبوكَ، وخُذِلَ أخوكَ..». وغيرُهم مِنَ النّاصحينَ. انظر: «مِنهاج السُّنَّةِ» (٢/ ٩٢)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٧، ٢٩٤ ـ ٢٩٨)، وغير ذلك مِن مصادرَ.

أهلُ الكُوفَةِ؛ فإنّهم أصحابُ أبيكَ الذي كان يَتمنّى فِرَاقَهُمْ بالموتِ أَوِ القتلِ»[(١)].

وحينَ أُخِذَ **مُسْلِمُ بنُ عَقيلٍ** ليُقْتَلَ كان يَقولُ: «**اللَّهُمَّ! احْكُمْ بيننَا وبَيْنَ قَوْمٍ غَرّونا وكَذَبُونا وأذَلُّونا**». وفي روايةٍ: «**كَذبونا وغرّونا وخذَلونا وقَتلُونا**»[(٢)].

عند ذلك ندم الحسين رضي الله عنه وانحرف عن طريق الكوفة متوجهًا يريد الشام ولكن الأشقياء من جنود عبيد الله بن زياد منعوه.

فنزلَ للصَّلاةِ ثُمَّ خَطبَهُمْ مُشيرًا إلى الكُتُبِ التي أرسلوها لهُ، فقِيلَ لهُ: «**واللهِ! مَا ندري مَا هذه الكُتُب**». فأمرَ الحُسَيْنُ رضي الله عنه **عُقْبَةَ بنَ سَمْعَانَ** أنْ يُخرِجَها، فإذا **خرجانِ مملوآنِ صُحُفًا**، فنشرَها بَيْنَ أيدِيهم. وكان مِمَّا قالَهُ الحُسَيْنُ رضي الله عنه: «**وإنْ لَمْ تفعلوا ونَقضتُمْ عَهْدَكم وخَلعتُمْ بَيْعَتي مِنْ أعناقِكم؛ فلعَمْري! مَا هي لكم بِنُكْرٍ، لقَدْ فَعلتُموها بأبي وأخي وابنِ عَمّي مُسْلِمٍ، والمَغرورُ مَنِ اغترَّ بكم**».

ثم خاطب الجنود وأخذ يناشدهم الإسلام بأن يَتركوهُ لإحدَى ثلاثٍ: أنْ يَسيرَ إلى يَزِيدَ في الشَّامِ ليُبَايعَهُ، أو إلى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ المُسلِمينَ، أَوِ

---

(١) رُوِيَ عن عَلِيٍّ رضي الله عنه أقوالٌ كثيرةٌ تشيرُ إلَى هذا مِن ذلكَ قولُه: «.. وابتلاني بكم وبمَن لا يُطيعُ إذا أمرتُ ولا يُجيبُ إذا دَعَوْتُ»، وقوله: «والمغرور واللهِ! مَنْ غررتموه.. لا أحرارَ عندَ النداءِ، ولا إخوانَ ثقةٍ عندَ النّجاءِ، إنا للهِ وإنا إليه راجعونَ، ماذا منيتُ بهِ منكم، عُمْيٌ لا تُبصرونَ، وبُكْمٌ لا تنطقون، وصُمٌّ لا تسمعون، إنا للهِ وإنا إليه راجعونَ». وقوله بعدَ أنْ ذكرَ خيانتَهُمْ وعصيانَهُمْ وغدرَهُمْ وإفسادَهُمْ في الأرضِ: «اللَّهُمَّ! سئمتُهُمْ وسئموني وكرهتُهُمْ وكرهوني، اللَّهُمَّ فأرِحْهم منّي وأَرحني منهم». ذكرَ ذلك ابنُ كثيرٍ في «تاريخه» (٧/ ٣٤٥ ـ ٣٥٥). ثُمَّ قال رحمه الله: «واستقرَّ أمرُ العراقيينَ علَى مخالفةِ عَلِيٍّ فيما يأمرُهُمْ بهِ وينهاهم عنهُ، والخروجُ عليهِ، والبعدُ عن أحكامهِ وأقوالهِ وأفعالهِ؛ لجهلِهِمْ، وقلّةِ عَقلِهِمْ، وجفائِهِمْ، وغلظتِهِمْ، وفجورِ كثيرٍ منهم».

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢).

الرُّجوعِ مِنْ حيثُ أَتَى. ولكنَّ الأشقياءَ أبَوْا عليهِ ذلك كُلَّهُ، **وقاتَلوهُ حتَّى قَتلُوهُ** رضي الله عنه **شَرَّ قِتْلَةٍ هو ونَفَرًا مِنْ أهلِ بيتهِ**[(١)].

إنَّ هذه الأدِلَّةَ التَّاريخيَّةَ تُبيِّنُ مَدَى غَدْرِ **الشِّيعَةِ** وكَذِبَهُمْ وتَزويرَهمُ الكُتُبَ والرَّسائلَ على أَلْسِنَةِ النَّاسِ؛ للوصُولِ بذلك كُلِّهِ إلى غاياتِهِم الخبيثةِ مِنْ بَثِّ رُوحِ الفِتْنَةِ والفُرْقَةِ بَيْنَ المُسلِمينَ، وإشاعةِ الفوضَى والوَهَنِ في حياتِهِمْ. وقَدْ تمكّنوا مِنَ الإغرارِ بالحُسَيْنِ رضي الله عنه فيما كَاتبوهُ بِهِ حتَّى مضَى في القدومِ إليهم، فغَدروا بهِ، وباعُوهُ بأبخسِ الأثمانِ، وتركوهُ وَحيدًا يُقاتِلُ أَعداءَهُ بل وقاتلهُ الكثيرُ منهم حتَّى استُشْهِدَ رضي الله عنه، ثم أخذوا يَصيحونَ في كُلِّ مَكانٍ يُطالبون بالثَّأْرِ لِدَمِهِ، ورَفْعِ الظُّلْمِ المزعومِ عَنْ أهلِ البَيْتِ؟!

ثُمَّ نَدِمَ طائفةٌ مِنَ الشِّيعَةِ نَدَمًا شديدًا على تَفريطِهِمْ في الدِّفاعِ عَنِ الحُسَيْنِ وأهلِ بَيتِهِ رضي الله عنهم، واجتمعَ قومٌ منهم بِزعامةِ سُلَيْمَانَ بنِ صُرَدٍ رضي الله عنه لِيُكَفِّروا عَنْ خَطيئَتِهِمْ وذَنبِهِمْ في خُذْلانِ الحُسَيْنِ رضي الله عنه وعَدَمِ نُصْرَتِهِ بعدَما بَايعوهُ وأَلحُّوا عليهِ بالقُدومِ عَليهِم ثُمَّ تركوهُ وحيدًا حتَّى قُتِلَ، وتسموا بالتوابين وتعتبر هذه أوّلَ جماعةٍ شِيعِيَّةٍ دِينيَّةٍ؛ يقولُ الرّافضيُّ عَبْدُ اللهِ فياض: «**إنَّ أوّلَ شِيعِيٍّ يَتزَعَّمُ جماعةً دِينيَّةً تُسمَّى الشِّيعَة هو سُلَيْمَانُ بنُ صُرَدٍ وكان ذلك بَعْدَ مَقتَلِ الحُسَيْنِ**»[(٢)]. وذكرَ اليَعقوبيُّ الرّافضيُّ قِصَّةَ قَتْلِ الحُسَيْنِ وقال: «وبادرَ القومُ فاحتزّوا رَأسَهُ، وبعثوا بهِ إلى عُبَيْدِ اللهِ بن زيادٍ، وانتهبوا مَضاربَهُ، وابتزّوا حَرَمَهُ وحملوهنَّ إلى **الكُوفَةِ**، فَلَمّا دَخَلْنَ إليها خرجَتْ نِساءُ الكُوفَةِ يَصْرُخْنَ ويَبْكينَ، فقال عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ: **هؤلاءِ يَبكينَ علينا! فمَنْ قتَلَنا؟!**»[(٣)].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٧).

(٢) «تاريخ الإمَاميَّةِ وأسلافهم مِنَ الشِّيعَةِ» (ص: ٥٢).

(٣) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٤٥).

هذه أدِلَّةٌ مِنْ كُتُبِهِمْ ومُصَنَّفاتِهِمْ تُؤكِّدُ جريمةَ الشِّيعَةِ المُنْكرةَ في قَتْلِ الحُسَيْنِ، ثُمَّ نَدَمِ طائفةٍ منهم وتَوبَتِهِمْ، فقَدْ أسلموهُ وآلَ بيتِهِ للقَتْلِ ثُمَّ بَكوْا عَليهِم، وما زالوا يبكونَ إلى يومِنا هذا تكفيرًا عَنْ ذَنبِهِمْ وجريمتِهِمْ في خُذلانِ آلِ البَيْتِ وعَدَمِ نُصْرَتِهِمْ.

وقَدْ ذكرَ **ابنُ جَريرٍ** عَنْ شُخوصِ التّوّابينَ إلى عُبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ للطَّلبِ بِدَمِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما في أحداثِ سنة **(٦٥هـ)**، فروَى مِنْ روايةِ **أبي مَخْنَفٍ الشِّيعِيِّ** عَنْ أبي صادقٍ قال: «لمّا انتهى سُلَيْمَانُ بنُ صُرَدٍ وأصحابُهُ إلى **قَبْرِ الحُسَيْنِ**؛ نادوا صيحةً واحدةً: (**يا ربِّ! خَذَلْنَا ابنَ بنتِ نَبِيِّكَ**، فاغفرْ لنا مَا مضَى وتُبْ علينا إنكَ أنتَ التّوابُ الرّحيمُ..). قال: فأقاموا عَنْدَهُ يومًا وليلةً يُصَلُّونَ عليهِ ويَبكونَ ويَتضرَّعونَ... وقال: فواللهِ! لقَدْ رَأيتُهُمُ ازدحموا على قَبْرِهِ أكثرَ مِنِ ازدحامِ النَّاسِ على الحجرِ الأسودِ»[(١)].

والخُلاصةُ: أنَّ هذه الحادثةَ تُعتَبرُ انطلاقةً جديدةً في الفكرِ الشِّيعِيِّ المُنْحَرِفِ حيثُ:

- استغلَّ **المنافقونَ** هذه الحادثةَ حتَّى عَظُمَتْ بِهَا الشَّحناءُ بَيْنَ المُسلِمينَ وبَذَرَتْ فيهم بُذورُ الفِتْنَةِ والشِّقاقِ.

- وتمكّن **الشِّيعَةُ السَّبَئِيَّةُ** مِنْ إذْكَاءِ نَارِ التَّشَيُّعِ في نُفوسِ الشِّيعَةِ القُدماءِ، والميلِ بِهِمْ عَنْ جَادّةِ الحقِّ إلى التَّشَيُّعِ الاصطلاحِيِّ المُنْحَرِفِ البغيضِ الشّائعِ اليومَ.

- وفشَا التَّعَصُّبُ لأهلِ البَيْتِ بِمَا خرجَ عَنْ حُدودِ الحقِّ.

- وتحالفَ أقوامٌ مِنَ **الشِّيعَةِ** على بَذْلِ نفُوسِهِمْ وأموالِهِمْ في سَبيلِ فِكْرِهِم ومُعتقَدِهِمْ ونشرِهِ بينَ النّاسِ.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤١١).

ـ واختلفتْ **مذاهبُ الشِّيعَةِ** فيما بينهم، وافترقوا حتَّى في **الإمامةِ** التي يَزْعُمُونَ أنَّها نَصٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَى ووَصيّةٌ مِن رَسُولِهِ ﷺ، فظهرتْ عِدَّةُ فِرَقٍ شِيعِيَّةٍ كُلٌّ منها قَدْ بَايعتْ سِرًّا مَنْ زَعَمَتْهُ أحقَّ بالإمامةِ وأنّهُ المَنصُوصُ عليهِ، يقولُ الرّافضيُّ عَبْدُ اللهِ فياض: «إنَّ بذورَ الفِرَقِ الشِّيعِيَّةِ أخذتْ تنمو باطِّرادٍ بَعْدَ مَقتلِ الحُسَيْنِ. فِرْقَةٌ جعلتِ الإمامةَ في **مُحَمَّدِ ابنِ الحنفيَّةِ**، وفرقةٌ قالتْ بانقطاعِ الإمامةِ بَعْدَ الحُسَيْنِ، وفرقةٌ قالت بإمامةِ **عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ** وهُمُ الإِمَامِيَّةُ»[(١)].

هكذا تَمكَّنَ **شِيعَةُ ابنِ سَبَأٍ** بحادثةِ مَقتلِ الحُسَيْنِ ـ التي اعتبروها انطلاقةً جديدةً ـ مِن تَفريقِ كَلِمةِ المُسلِمينَ وتشتيتِها، فاجتهدوا في صُفوفِ المتعاطفينَ لأهلِ البَيْتِ خَاصَّةً، وطالبوا بحَقِّهِمُ الذي زَعموهُ بالإمامةِ، وتَحرَّكَ دُعاتُهُمْ في الأمصارِ حتَّى تمكنوا مِنْ فَصْلِ المُتشَيِّعينَ لأهلِ البَيْتِ عَنِ الإسلامِ السُّنِّيِّ الصَّحيحِ فَصْلًا يَكادُ يكونُ تامًّا في الآراءِ والمعتقداتِ. وقَدِ استعانوا في دَعوتِهِمْ وعَمَلِهِمْ بالسِّرِّيَّةِ التّامّةِ خوفًا من بطش الدولة الأموية بهم فاخترعوا **مَبْدَأَ وعقيدة التَّقِيَّةِ** التي اعتقدوها ورَبطُوها بسائرِ أفكارِهِمْ ومُعتقداتِهِمْ أوثقَ ارتباطٍ؛ لِنَشْرِ فِكْرِهِمْ ودِينِهِمْ بعيدًا عَنْ بَطْشِ **الدَّولةِ الأُمَوِيَّةِ**، ولئلَّا يَطّلعَ عَليهِم أهلُ الحقِّ فيتصدَّى علماؤُهُمْ لكشفِ باطلِهِمْ والرَّدِّ عَليهِم، وهُمْ في طَوْرِ تأسيسِ مَذهبِهِمُ المُنْحَرِفِ.

هكذا انحرفتِ الشِّيعَةُ عَنِ المَنهجِ المعتدلِ الذي كان عليهِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه والشيعة الأوائلُ ممن تابع عليًا وناصره وكان على ملته ومذهبه، واشتهرَ التَّشَيُّعُ المُنْحَرِفُ الذي آمَنَ بِمَا كان عليهِ **عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ** مِنَ القولِ **بالوَصِيَّةِ، والعِصْمَةِ، والبَرَاءةِ مِنَ الصَّحبِ الكِرامِ**، ولَمْ يكونوا

(١) «تاريخ الإِمَامِيَّةِ وأسلافهم مِنَ الشِّيعَةِ» (ص: ٥٤ ـ ٥٨).

بحمدِ اللهِ فِرْقَةً واحدةً بلْ فِرَقًا كثيرة، كُلٌّ منها تَزْعُمُ أنَّها على الحقِّ وعلى وَصِيَّةِ اللهِ ورَسُولِهِ في الإمامةِ والخلافةِ، حتَّى ظهرَ فيهُمُ **المختارُ الكَذَّابُ** الذي زَعَمَ أنَّ **مُحمّدَ ابنَ الحنفيَّةِ** أرسلَهُ لأخذِ البَيْعَةِ مِنْ أهلِ العراقِ بالإمامةِ والخلافةِ لهُ وأنّهُ وَزِيرُهُ في ذلك. ثُمَّ إنّهُ اجتمعَ نفرٌ مِنْ أشرافِ **الكُوفَةِ** يتذاكرون عُيوبَ المختارِ وفيهم **شبثُ بنُ ربعي** الذي قال: «إنّهُ تَأمّرَ علينا بغيرِ رِضًا مِنّا، وزعمَ أنَّ ابنَ الحنفيَّةِ بَعثهُ إلينا، وقَدْ عَلِمْنا أنَّ ابنَ الحنفيَّةِ لَمْ يَفعلْ... **وأظهرَ هو وسَبئيّتُهُ البرَاءةَ مِنْ أسلافِنا الصالحينَ**»[١].

هذا يَدُلُّنا على انحرافِ **الشِّيعَةِ** عَمَّا كانت عليهِ واشتهارِ **مذهبِ ابنِ سَبَأٍ** فيهم، وأنَّ التَّشَيُّعَ أصبحَ مأوًى وملاذًا لِكُلِّ مَنْ أرادَ هَدْمَ الدِّينِ وبَثَّ الفسادِ الفكريِّ والعقائديِّ فيه؛ يقولُ المستشرقُ **كارل بروكلمان**: «والحَقُّ أنَّ ميتةَ الشُّهداءِ التي مَاتها الحُسَيْنُ ـ والتي لَمْ يَكُنْ لها أيُّ أثَرٍ سياسيٍّ ـ قَدْ عجّلَتْ في التّطوّرِ الدِّينيِّ للشِّيعَةِ حزبِ عَلِيٍّ، **والذي أصبحَ فيما بَعْدُ مُلتقى جميعِ النّزعاتِ المُنَاوِئةِ للعَرَبِ**»[٢].

ويُقِرُّ بهذه الحقيقةِ الكاتبُ الشِّيعِيُّ الدكتور كامل مصطفى الشيبي فيقولُ: «ويَتبيّنُ بَعْدَ ذلك أنَّ تبلْورَ الحركةِ السياسيَّةِ تحتَ اسمِ الشِّيعَةِ كان بَعْدَ مَقتلِ الحُسَيْنِ مُباشرةً، وإنْ كانتِ الحركةُ سَبقت الاصطلاحَ»[٣].

روى **الطَّبريُّ** عَنْ أبي مَخْنَفٍ الشِّيعِيِّ عَنْ انحراف الشيعة عن عَبْدِ اللهِ بنِ سعدِ بنِ نُفيلٍ قال: «كان أوَّلُ مَا ابتدعوا بهِ مِنْ أمرِهِمْ سنةَ إحدى وستينَ وهي السّنَةُ التي قُتِلَ فيها الحُسَيْنُ رضي الله عنه فَلَمْ يَزَلِ القومُ في جمعِ آلةِ الحربِ

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٥٤).

(٢) «تاريخ الشّعوبِ الإسلامِيَّةِ» (ص: ١٢٨). انظر ترجمة (كارل) في: «موسوعة المستشرقين» (ص: ٩٨).

(٣) «الصّلة بيْنَ التَّصوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (١/ ٢٧).

والاستعدادِ للقتالِ ودُعاءِ النَّاسِ في السِّرِّ مِنَ الشِّيعَةِ وغيرِها إلى الطَّلبِ بِدَمِ الحُسَيْنِ، فكان يُجيبُهُمُ القومُ بَعْدَ القومِ والنّفرُ بَعْدَ النفرِ»[(١)] .

فبدأ المنافقونَ يَدْعُونَ **شِيعَةَ عَلِيٍّ المعتدلينَ** إلى **التَّشَيُّعِ المُنْحَرِفِ** المتسترِ بالمطالبةِ بِدَمِ الحُسَيْنِ، فظهرتِ العقائدُ والأفكارُ المُنحرفةُ التي ابتدعوها، وأحاطوها بالأحاديثِ الكثيرةِ **المكذوبةِ** التي نَسبُوها إلى النَّبيِّ ﷺ لحملِ النَّاسِ على الإيمانِ بِهَا، فأظهروا الغُلُوَّ في أئِمَّتِهِمْ وما يُنسَبُ إليهم مِنْ أقوالٍ وأفعالٍ بأنها تساوي في عِصْمَتِها وحُجِّيّتِها على الخلْقِ مَا ثبتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في أُصولِ الدِّينِ، وطعنوا في الصَّحَابَةِ لِيَرِدُّوا أحاديثَهُمُ التي رَوَوْها عَنْ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِئَلَّا يَحتجَّ عَليهِم بِهَا أحدٌ أو يعترضَ على مَا نسبوهُ إلى الأئِمَّةِ زُورًا وكَذِبًا، وزَعموا أنَّ أقوالَ الأَئِمَّةِ لَا تَفتقِرُ إلى الأسانيدِ.

هكذا فتحوا لأنفسِهِمْ بابًا عظيمًا يُدْخِلُونَ فيه مَا شاءوا على أَلْسِنَةِ الأئِمَّةِ ويجعلونَهُ دِينًا للنَّاسِ، وتمكّنوا بذلك مِنْ نَشْرِ الزَّنْدَقَةِ والكُفْرِ باسمِ التَّشَيُّعِ لأَئِمَّةِ آلِ البَيْتِ. ولما ظهرَ في مذهبِهِمُ الاختلافُ والتّناقضُ في أقوالِ أَئِمَّتِهِمُ التي لَفّقُوها ونسبوها إليهم؛ ابتدعوا **مَبْدَأَ التَّقِيَّةِ** سَتْرًا لِتناقُضِهِم وكَذِبِهِمُ الذي امتلأتْ بِهِ كُتُبُهُمْ ومُؤلَّفَاتُهُمْ.

وقَدْ بلغَ أمرُهُمْ في الكَذِبِ والدَّسِّ في دِينِ اللهِ غايتَهُ وذِرْوَتَهُ في عَهْدِ **أبي عبدِ اللهِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ** (٨٠ ـ ١٤٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ، **وهو الإمامُ السادسُ المعصومُ عِنْدَهُمْ كما يزعمون**؛ حيثُ أكثروا مِنَ الكذبِ والوَضْعِ عليهِ، ونُسِبَتِ المُؤلَّفَاتُ المُنحرفةُ إليه[(٢)]، حتَّى انحرفَ **المذهبُ الشِّيعِيُّ**

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٩٤).

(٢) انظر بعضَ أسماء الكُتب المنسوبة إليه كذبًا وزورًا في حاشية الصفحة القادمة. وليعلم القارئُ أنّ (أبا عبد الله) الذي يُذكرُ في كُتبِ الرافضةِ وتُنسبُ له هذه الأقوال والأفعالِ والأحاديث المكذوبة فالمراد به (جعفر الصادق).

عَمَّا كان عليهِ مِنَ الحقِّ، وانفصلَ عَنِ الإسلامِ السني الذي جاء به الرَّسُولُ ﷺ في العقائدِ والعباداتِ والفِكْرِ والأخلاقِ. هذا يتَّضِحُ لِكُلِّ مَنْ يُطالِعُ ويَقرأُ في كُتُبِهِمْ ومُؤلَّفَاتِهِمْ، فإنَّ **مذهبَ الرَّافِضَةِ** اليومَ ودِينَهُمْ يَكادُ يكونُ في غَالبِهِ يُنْسَبُ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** سواءٌ كان في أُمُورِ الاعتقادِ أَمْ في الأحكامِ والعباداتِ أم في التفسيرِ والأخلاقِ، حتَّى إنّهُ اشتهرَ **بالمذهبِ الجعفريِّ** نسبةً إليه.

يقولُ شَيْخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَحِمَهُ اللهُ: «**فإنَّهُ مَا كُذِبَ على أحدٍ مَا كُذِبَ عليهِ حتَّى نسبوا إليه كِتَابَ (الجَفْرِ) و(البِطَاقَةِ) و(الهفت)... حتَّى زَعَمَ بعضُهُمْ أنَّ كِتابَ (رسائلِ إخوانِ الصَّفَا) مِنْ كَلامِهِ، مع عِلْمِ كُلِّ عَاقِلٍ يَفهمُها ويَعرِفُ الإسلامَ أنَّها تُناقِضُ دينَ الإسلامِ**»[(١)].

ويَقولُ الكاتبُ الرّافضيُّ مُحَمَّد جَواد مغنيةَ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَحِمَهُ اللهُ: «وتَشَيَّعَ لهُ المفكرون وحفظوا أقوالَهُ ودَوَّنوهَا، واعتبروها الفصْلَ بَيْنَ الحقِّ والباطلِ وبَيْنَ الأصيلِ والدَّخيلِ تَمامًا كأقوالِ جَدِّهِ الرَّسُولِ». ويقولُ أيضًا: «فالفضلُ في استقلالِ المذهبِ وتركيزِهِ كما هو الآنَ يَعودُ للإمامِ الصَّادِقِ بَعْدَ أنْ أَسْعفَتْهُ الظروفُ ومَهّدَتْ لهُ السَّبيلَ، ومِنْ هنا أُطلِقَ على الشِّيعَةِ لفظُ **الجعفريّينَ**، وعلى فِقْهِهِمُ **الفقْهِ الجعفريِّ**» ويقولُ: «فإنَّ مذهبَ أهلِ البَيْتِ تَبلْوَرَ واتّخذَ صُورتَهُ واضحةً جَليَّةً وثبتتْ أركانُهُ ودَعائِمُهُ في عَهْدِ الإمامِ

(١) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥). (الجفر): كتابٌ في التنبؤ بالحوادث وعلم الغيبِ. انظر: «كتبٌ حذّر منها العلماءُ» (١/ ١٠٨ ـ ١٢٣ و٢/ ٢٤٩، ٢٧٠). أما كِتَابَ (البطاقة) و(الهفت): فكلاهما مكذوبٌ على عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجعفرٍ رَحِمَهُ اللهُ. انظر: «كتبٌ حذّر..» (١/ ١١٠، ١٢٠ و٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠). أما (رسائل إخوانِ الصَّفَا) فقد صنّفها جماعةٌ إبّانَ دَولةِ بني بويه؛ أي: بعدَ موتِ الصّادقِ بأكثَرَ مِنْ مئتي سنة، وفيها مِنَ الكُفرِ والزندقةِ الشيءُ الكثير، ويوجدُ فيها ذكرُ استيلاءِ النصارى على سواحلِ الشّامِ وغير ذلكَ مِنَ الأحداثِ التي حدثتْ بعدَ المائة الثالثةِ مما يؤكّدُ كذبَ نسبةِ هذه الرسائلِ إلى جعفرٍ رَحِمَهُ اللهُ. انظر للمزيد: «كتبٌ حذّر..» (١/ ٦٧ ـ ٧٦).

الصَّادِقِ، وأصبحَ للشِّيعَةِ فِقْهُهُمُ المستقلُّ، وعُلماؤُهُمْ ورُواتهُمُ المعروفونَ، وآراؤهُمُ الخاصّةُ بالتّوحيدِ والعَدْلِ، وعِصْمَةِ الأنبياءِ وشفاعتِهِمْ، وبالجبرِ والاختيارِ وما إلى ذلك، وتميّزَ مذهبُ التَّشَيُّعِ عَنْ بَقِيَّةِ المذاهبِ تَميُّزًا تامًّا»[(١)].

هكذا أخذَ التَّشَيُّعُ شَكلَهُ النّهائيَّ وتبلورتْ مَعالمُهُ وأُصولُهُ وعَقائِدُهُ في أيامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ الذي يُنْسَبُ إليه وإلى وَالِدِهِ البَاقِرِ كُلُّ انحرافٍ وضلالٍ وكَذِبٍ على اللهِ تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ، ولَا شَكَّ في بَراءَتِهما ـ رحمهما اللهُ تعالَى ـ مِنْ هذا المَذهَبِ المُنْحَرِفِ والنِّحْلَةِ الفاسدةِ التي أحكم صنعَها وضبطها مجموعةٌ مِنَ المُنحرفينَ مِنْ أهلِ الفلسفةِ والكلامِ، وأصحابِ العقائدِ الفاسدةِ، وآكلي أموالِ النّاسِ بالباطلِ، والملْعُونينَ على لِسَانِ الأئِمَّةِ أنفسِهم، والفُسَّاقِ والضُّعفاءِ، والمجهولينَ الذين لا يُعْرَفُونَ، وغيرهِم مِمَّن يَنتَسِبُ إلى الصَّادِقِ أو أبيهِ ويَزْعُمُ أنّهُ أخذَ العِلْمَ منهما. وقد أكَّدَ هذهِ الحقيقةَ الكثيرُ مِنْ شُيوخِهم ولمْ يستطيعوا إنكارَها أوْ إخفاءَها، وها هي بعضُ أقوالِهِمْ تأكيدًا وتدليلًا:

• قال شيخُهم **الكَشِّيُّ الرَّافضيُّ**: «قال يحيى بنُ عبدِ الحميدِ الحمانيُّ ـ في كتابِهِ المؤلَّفِ في إثباتِ إمامةِ أميرِ المؤمنينَ ـ: قلتُ لِشَريكٍ: **إنَّ أقوامًا يَزْعُمونَ أنَّ جعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ ضعيفٌ في الحديثِ**. فقال: أُخْبِرُكَ القصّةَ، كان جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ رَجُلًا صالحًا مُسْلِمًا وَرِعًا، **فاكتنفهُ قومٌ جُهّالٌ، يَدخُلونَ عليهِ ويَخرجونَ مِنْ عِنْدِهِ ويقولونَ: «حدّثَنا جَعْفَرُ بنُ مُحَمّدٍ»، ويُحدِّثُونَ بأحاديثَ كُلِّها مُنكراتٍ كَذِبٍ مَوضوعةٍ على جَعْفَرٍ لِيَستأكِلُوا النَّاسَ بذلكَ ويأخذوا مِنْهُمُ الدّراهِمَ**، فكانوا يَأْتُونَ مِنْ ذلكَ بِكُلِّ مُنْكَرٍ... مثل المفضّلِ بنِ عُمَرَ، وبَيَانٍ، وعَمْرٍو النّبطيِّ وغيرِهم، ذكروا أنَّ جَعْفَرًا حدَّثَهم أنَّ (**مَعرفةَ الإمامِ تكفي مِنَ الصّومِ والصّلاةِ.. وأنَّ عَلِيًّا في السّحابِ يَطيرُ معَ الرِّيحِ، وأنّهُ كان يَتكلَّمُ بعدَ الموتِ، وأنّهُ كان يَتحرّكُ على المُغتَسلِ، وأنَّ إلَهَ السماءِ وإلَهَ**

---

(١) «الشِّيعَة في الميزان» (ص: ١٠٩، ١١١).

الأرضِ الإمامُ). فجعلوا للهِ شريكًا، جُهّالٌ ضُلّالٌ، **واللهِ! ما قال جَعْفَرٌ شيئًا مِن هذا قَطُّ**، كان جَعْفَرٌ أتقَى للهِ وأورعَ مِن ذلك، فسمعَ الناسُ ذلك فضعَّفوهُ»[(١)].

• وأقرَّ بذلكَ أيضًا **شيخُ طائِفَتِهم الطُّوسيُّ** فقال: «**إنَّ كثيرًا مِنْ مُصَنِّفي أصحابِنَا وأصحابِ الأُصولِ ينتحلونَ المذاهبَ الفاسدةَ وإنْ كانتْ كُتُبُهمْ مُعتمدةً**»[(٢)].

• واعترفَ شَيخُهُمْ **هاشم معروف الحُسَيْنِيُّ** اعترافًا جَلِيًّا مُفصَّلًا فقال: «**وبعدَ التَّتَبُّعِ في الأحاديثِ المُنتشرةِ في مجاميعِ الحديثِ كالكافي والوافي وغيرِهما؛ نَجِدُ أنَّ الغُلاةَ والحاقدينَ على الأئِمّةِ والهُدَاةِ لَـمْ يَتركوا بَابًا مِنَ الأبوابِ إلَّا ودخلوا منه لإفسادِ أحاديثِ الأئِمَّةِ والإساءَةِ إلى سُمْعَتِهِمْ، وبالتَّالي رَجعوا إلى القُرآنِ الكريمِ ليَنْفُثُوا... سُمومَهُمْ ودسَائِسَهُمْ لأنّهُ الكلامُ الوحيدُ الذي يَتحمّلُ ما لا يَتحمَّلُهُ غَيْرُهُ، ففسَّروا مئاتِ الآياتِ بما يُريدونَ وألْصَقُوها بالأئمّةِ الهُدَاةِ زُورًا وبُهتانًا وتضليلًا. وأَلَّفَ عَلِيُّ بنُ حَسّانَ وعَمُّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ كثيرٍ وعَلِيُّ بنُ أبي حَمْزَةَ البطائنيُّ كُتُبًا في التَّفسيرِ كُلُّها تخريفٌ وتحريفٌ وتضليلٌ لا تَنسجِمُ مع أُسلوبِ القُرآنِ وبلاغَتِهِ وأهدافِهِ**»[(٣)].

• وأقرَّ بِهِ الرَّافِضِيُّ **عَبْدُ اللهِ فياض** فقال: «**يبدو أنَّ عمليّةَ انتحالِ الأحاديثِ مِنْ قِبَلِ غُلاةِ الشّيعةِ القُدَامَى ودَسِّها في كُتُبِ الشِّيعةِ المُعتدلينَ لَمْ تنتهِ بمقْتَلِ المُغيرةِ بنِ سَعيدٍ سنة (١١٩هـ)... بلْ نَجِدُ إشارةً للعمليَّةِ نفسِها تعودُ إلى مَطلعِ القَرْنِ الثَّالثِ الهجريِّ ولعلَّ ذلكَ ما يَدُلُّ على عُمْقِ حركةِ الغُلُوِّ مِنْ جِهَةٍ واستمرارِها مِن جِهةٍ أُخرى**».

---

(١) «رجال الكشي» (ص: ٣٢٤ ـ ٣٢٥)، و«بحار الأنوار» (٢٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) «الفهرست» للطُّوسيِّ (ص: ٢٨ ـ ٢٩). وفي قولِهِ: «وإنْ كانتْ كُتُبُهمْ مُعتمدةً»؛ تَناقضٌ ما بعدَهُ تناقضٌ.

(٣) «الموضوعات في الآثار والأخبار» (ص: ٢٥٣).

ويزدادُ صراحةً فيقولُ: «**ومِنَ الجديرِ بالذِّكْرِ أنه لَمْ تَجْرِ عَمليَّةُ تهذيبٍ وتشذيبٍ شاملةٍ لكُتبِ الحديثِ عِندَ الشِّيعةِ الإماميَّةِ على غرارِ العمليَّةِ التي أجراها المُحدِّثُونَ عِندَ أهلِ السُّنَّةِ والتي تمخَّضَ عنها ظهورُ الصِّحاحِ السِّتَّةِ المعروفةِ، ونتجَ عَن فُقدانِ عمليّةِ التّهذيبِ لكُتُبِ الحديثِ عِنْدَ الشِّيعَةِ الإماميّةِ مُهمّتانِ هما، أولًا: بَقاءُ الأحاديثِ الضَّعيفَةِ بجانبِ الأحاديثِ المُعتبَرةِ في بعضِ المجموعاتِ الحديثيّةِ عِندَهُمْ. ثانيًا: تَسَرُّبُ أحاديثِ غُلاةِ الشِّيعَةِ إلى بعضِ كُتُبِ الحديثِ عِنْدَ الشِّيعَةِ، وقد تنبَّهَ أَئِمَّةُ الشِّيعَةِ الإماميَّةِ وعُلماؤُهم إلى الأخطارِ المذكورةِ، وحاولوا خنقَها في مَهْدِها، ولكنّ نجاحَهم لَمْ يَكُنْ كامِلًا نتيجةً لعَدَمِ قيامِ عمليّةِ تهذيبٍ شَاملةٍ لكُتُبِ الحديثِ**»[1].

• وأقرَّ بهذا أيضًا **سيد جواد مصطفوي** صاحبُ أحدِ أهمِّ شُروحِ كتابِ «الكافي» ـ وهو يُعرِّفُ في المقدّمةِ بكتابِ الكافي ومحتوياتِهِ ـ فيقولُ ما نصُّهُ: «**نحنُ نَعلمُ أنَّ مِنْ بَيْنِ الأحاديثِ والآياتِ**[2] **التي بَيْنَ أيدينا والمنسوبةِ إلى النَّبِيِّ والمعصومينَ أخبارٌ لَمْ يتفَوَّهْ بها الرّسُولُ ولا المعصومونَ، أو أنّها لَمْ تَكُنْ على صُورتِها الحاليةِ، وأنَّ الأهدافَ القَذِرَةَ وأيدي الخائنينَ والجاهلينَ والمحرّفينَ ساهمتْ في صُنْعِها وانتشارِها**»[3].

---

(١) «الإجازات العلمية عند المسلمين» (ص: ٩٨).
تَنبيهٌ: دأبَ الرّافضةُ على وَصْفِ كلِّ «الكُتبِ السّتّةِ» عندَ أهلِ السُّنّةِ بالصّحاحِ، مع علمِهم بأنّ هذا ليس معتمدًا عندَنا، والكتبُ الصحيحةُ هي «الصحيحانِ للإمامينِ البخاريِّ ومُسْلِمٍ». وأما «السُّنَنُ الأربعةُ» فلمْ يَشترطْ أصحابُها الصّحّةَ، وفيها الصّحيحُ والضعيفُ والموضوعُ. ومنَ الشواهد على ذلك أنّ الإمامَ التِّرْمِذِيَّ يُعقّبُ على أحاديثِ كتابهِ بالتّصحيحِ والتضعيفِ، وكذا يفعلُ قليلًا الإمامُ النّسائيُّ وأبو داود، وهذا لا يخفَى على القومِ ولكنّهم يشيعونَ هذا ليستدلوا لهم وعلينا ـ عِنْدَ أتباعِهم ـ بالأحاديثِ المردودةِ من «السّننِ الأربعةِ» عندَ الحاجةِ.
(٢) هذا مِنَ الأدلّةِ الواضحة على أنّ القومَ منذُ القديمِ يعبثونَ في كتابِ الله تَعالَى وحديثِ الرّسولِ ﷺ.
(٣) «شرح الكافي: المقدمة».

إنَّ هذه الأقوالَ والاعترافاتِ ـ التي يدّعي فيها الرّافضةُ الإنصافَ والنّقدَ ويُصنّفونَ بعضَهم إلى فريقينِ: غُلاةٍ **مُتطرّفينَ** وآخرينَ **مُعتدلينَ** ـ فليست إلَّا ذرًّا للرّمادِ في العيونِ، وترويجًا وتخفيفًا لباطلِهم عندَ دُعاةِ التقريبِ، وتعميةً على هذه الحقيقةِ التي قام عليها المذهبُ، **والحقُّ أنّهم كُلَّهمْ غُلاةٌ مُتطرّفونَ ولا فرقَ بين القُدامَى والمُعاصرينَ واللاحقينَ، وكلَّهم ضالعونَ في الكذبِ والتّزويرِ**، ولا سبيلَ إلى الاعتدالِ في دينِهم المُختلقِ إلّا بالرّجوعِ إلى دينِ المُسلمينَ عقيدةً وسُلوكًا ومنهجًا.

ولـمّا كانت هذه الكُتُبُ المنسوبةُ إلى **الصَّادقِ** مِن وَضْعِ واختلاقِ الكَذَبَةِ والفجَرةِ والزّنادقةِ باعترافِ الرَّافِضَةِ أَنفسِهم كما تقدّمَ بجلاءٍ؛ فإنّهُ مِنَ المُسلّماتِ أنْ يقعَ فيها التّناقضُ والاختلافُ، وقد اعترفوا بهذا أيضًا؛ فقد شكَا أحدُهم هذا التناقضَ في أحاديثِهم لشيخِ طائفتِهم **الطُّوسيِّ**، فألَّفَ كتابَهُ «**تهذيبَ الأحكامِ**»؛ ليدفعَ بهِ هذا التّناقُضَ الذي اعترفَ به في مُقدّمتِهِ قائِلًا: «**ذاكرَني بعضُ الأصدقاءِ... بأحاديثِ أصحابِنا وما وقعَ فِيهَا مِنَ الاخْتِلَافِ وَالتَّبَايُنِ وَالمُنَافَاةِ وَالتَّضَادِّ، حتَّى لَا يَكَادُ يَتَّفِقُ خَبَرٌ إِلَّا وَبِإِزَائِهِ مَا يُضَادُّهُ، ولَا يَسْلَمُ حَدِيثٌ إِلَّا وَفي مُقَابَلَتِهِ مَا يُنَافِيهِ، حَتَّى جَعَلَ مُخَالِفُونَا ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الطُّعُونِ على مَذْهَبِنَا وَتَطَرَّقُوا بِذَلِكَ إِلَى إِبْطَالِ مُعْتَقَدِنَا**»[(١)].

ثُمَّ **اعترفَ** بأنَّ هذا التّناقضَ قَدْ فاقَ ما عِنْدَ المذاهبِ الأُخرَى، مما حملَ بعضَ الرَّافِضَةِ على تركِ المذهبِ لِما رأى مِنْ هذا الاختلافِ والتّناقضِ.

وقدْ قامَ **الطُّوسيُّ** في «**كتابِهِ**» هذا بمحاولةٍ يائسةٍ لتداركِ هذا الاختلافِ وتوجيهِ هذا التّناقضِ فلَمْ يُفْلِحْ، بَلْ زادَ الطّينَ بِلَّةً؛ حيثُ علَّقَ كثيرًا مِن اختلافِ الرّواياتِ على **التَّقِيَّةِ** بِلا دليلٍ سِوَى أنَّ هذا الحديثَ أو ذاكَ يُوافقُ

(١) «تهذيب الأحكامِ» (المقدمة: ١/ ٢).

أهلَ السُّنَّةِ. ومحاولتُهُ تلك كانت في أحاديثِ الأحكامِ فَقَطْ، أمّا باقي مسائلِ المذهبِ ـ وأهمُّها مسائلُ العقيدةِ ـ فلَمْ يتعرّضْ لها، وهو بهذه المحاولةِ الفاشلةِ قدْ كرَّسَ الفُرْقَةَ وأضاعَ على كثيرٍ مِنْ طائفتِهِ سُبُلَ الهدايةِ. والدليلُ على أنَّ محاولتَهُ لَمْ تنجحْ هو استمرارُ اختلافِهم وكثرتُهُ حتَّى اشتكَى **شيخُهم الفيضُ الكاشانيُّ** ـ في القرن الحادي عَشرَ صاحبُ كتابِ «**الوافي**» وهو أحدُ الكُتُبِ الثمانيةِ المعتمَدةِ عِندَهم ـ مِنْ هذا الاختلافِ فقال: «**تراهُمْ يختلفونَ في المسألةِ الواحدةِ على عشرينَ قولًا أو ثلاثينَ أوْ أزيدَ، بل لو شئتُ أقولُ: لَمْ تَبْقَ مسألةٌ فرعيّةٌ لَمْ يختلفوا فيها أو في بعضِ مُتعلّقاتِها**»[(١)].

فالحاصلُ؛ أنَّ هذه هي حقيقةُ الذين اخترعوا هذا المذهبَ ونسبوهُ إلى جَعْفَرٍ **الصَّادِقِ وأبيهِ الباقرِ كَذِبًا وزُورًا، ورَوّجوا على عامَّةِ المُتَشَيِّعينَ لأهلِ البَيْتِ تلكَ الأُصُولَ والمعتقداتِ التي زعموا أنَّها دِينُ الأَئِمَّةِ مِنْ أهلِ البيتِ، وأنّهُ الدِّينُ الحقُّ**.

ومِن هؤلاءِ الحُذَّاقِ الذينَ فَتَقُوا الكلامَ في الإمامةِ، وهذّبوا المذهبَ، وسهّلوا طريقَ الحِجَاجِ فيه: **هِشَامُ بنُ الحَكَمِ**، ومُحَمَّدُ بنُ عَليٍّ الأحولُ شيطانُ الطَّاقِ:

• **أما هِشَامُ بنُ الحَكَمِ (ت١٩٠هـ)**؛ قال عنهُ ابنُ النَّديمِ[(٢)]: «مِنْ أصحابِ أبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرٍ، مِنْ مُتَكَلِّمِي الشِّيعَةِ، مِمَّن فَتَقَ الكلامَ في الإمامةِ وهذَّبَ المذهبَ والنَّظَرَ وكان حاذقًا بصناعةِ الكلامِ». وقال عنهُ أيضًا: «مِنْ جِلَّةِ أصحابِ أبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرٍ وهو مِنْ مُتَكَلِّمِي الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ وبَطَائِنِهِمْ، وهو الذي فتقَ الكلامَ في الإمامةِ وهذّبَ المذهبَ وسهّلَ طريقَ

(١) «أصول مذهبِ الشَّيعةِ الإماميةِ الإثنَي عشريّةِ» (١/٤٣٨) للقفاري. وقول الكاشاني في «الوافي: المقدمة» (ص: ٩).

(٢) «الفهرست» (ص: ٢٤٩).

الحِجَاجِ فيه، وكان أوّلًا مِنْ أصحابِ الجَهْمِ بنِ صَفْوانَ، ثُمَّ انتقلَ إلى القولِ بالإمامةِ بالدَّلائلِ والنّظَرِ»(١).

وذكَرَهُ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «اللِّسَانِ» وقال: «كانَ مِنْ كِبَارِ الرَّافِضَةِ ومَشاهيرِهِمْ، وكان مُجَسِّمًا»(٢).

• **وأمّا: مُحَمَّدُ بنُ عَليِّ بنِ النُّعْمَانِ أبو جَعْفَرٍ الأحولُ المُلَقَّبُ بشيطانِ الطَّاقِ، وتُلَقِّبُهُ الشِّيعَةُ بمُؤمنِ الطّاقِ (ت١٦٠هـ)**؛ قال عنهُ ابنُ النّديمِ: «مِنْ أصحابِ أبي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرٍ، وكان مُتَكلِّمًا حَاذِقًا»(٣).

فهذانِ وغيرُهما مِنْ مُتكَلِّمِي الشِّيعَةِ ـ مِمَّن تَعتبِرُهُمُ الشِّيعَةُ مِنْ تَلامِذَةِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ـ مَنْ وَضَعَ تلك الأُصُولَ الكلامِيَّةَ الفلسفيَّةَ لهذا المذهبِ ورَتّبوهُ وهَذَّبوهُ ووَضَعُوا لهُ الأَدِلَّةَ الكثيرةَ التي نَسبُوها إلى أَئِمَّتِهِمْ وإلى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَذِبًا وزُورًا.

نَعَمْ، قَدِ استقرَّ أَمْرُ الشِّيعَةِ وقامَ مَذهبُهُمْ في غَالبِهِ مُنْذُ ذلك الحينِ وإلى يومِنا هذا على تلكَ الأباطيلِ والمناكيرِ المنسوبةِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَحِمَهُ اللهُ، وهو منها بَراءٌ؛ فقَدْ كان فاضلًا عالمًا مُتّبِعًا لَا مُبتدِعًا؛ وها هي بعضُ فضائلِهِ ومواقفِهِ النبيلةِ المأثورة عنه:

ـ ذكرَ عنهُ الذَّهَبِيُّ أنّهُ قال: «**وَلَدَني أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ** مرّتيْنِ»(٤)، لأنه كان جده من جهة أمه.

ـ وقال الذَّهَبِيُّ: «**وكان يَغضَبُ مِنَ الرَّافِضَةِ ويَمْقُتُهُمْ إذا عَلِمَ أنّهم يَتعرّضونَ لِجَدِّهِ أبي بَكْرٍ**»(٥).

(١) «الفهرست» (ص: ٢٤٩)، وانظر: تكملة الفهرست في آخر الكتابِ (ص: ٧).
(٢) «لسان الميزان» (٦/ ١٩٤). (٣) «الفهرست» (ص: ٢٥٠).
(٤) «سير أعلام النبلاءِ» ترجمة جَعْفَرٍ الصَّادِقِ (٦/ ٢٥٥).
(٥) المصدر السابق (٦/ ٢٥٥).

ـ وذكرَ الذَّهَبِيُّ عن سَالِمِ بنِ أبي حَفْصَةَ أنّهُ قالَ: «سألتُ أبا جَعفرٍ [الباقرَ] وابنَهُ [الصّادقَ] عَنْ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما، فقال [البَاقرُ]: يا سَالمُ! **تَوَلَّهُما وابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِما؛ فإنّهما كانا إمامَيْ هُدًى**. ثُمَّ قال جَعْفَرٌ: يا سالمُ! **أَيَسُبُّ الرّجُلُ جَدَّهُ؟! أبو بَكْرٍ جَدِّي، لَا نَالَتْنِي شفاعةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يومَ القيامةِ إنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلَّاهُما وأَبْرأُ مِنْ عَدُوِّهِما**»[١].

ـ ورَوى الذَّهَبِيُّ بسنَدِهِ إلى عَمْرِو بنِ قَيْسٍ المُلائيِّ أنّهُ قال: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ يقولُ: «**بَرِئَ اللهُ مِمَّن تَبَرَّأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ**». ثُمَّ قال الذَّهَبِيُّ: «هذا القولُ مُتواترٌ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وأشهدُ باللهِ إنّهُ لَبَارٌّ في قولِهِ غيرُ مُنافقٍ لأحدٍ، فقبَّحَ اللهُ الرَّافِضَةَ»[٢].

ـ ورَوى أيضًا بسنَدِهِ إلى عبدِ الجَبّارِ بنِ العبَّاسِ الهَمْدانيِّ: أنَّ جَعْفَرَ الصّادقَ أتَاهُمْ وهُمْ يُريدونَ أنْ يرتحلوا مِنَ المدينةِ فقال: «إنكم إنْ شَاءَ اللهُ مِنْ صَالحي أهلِ مِصْرِكُم، فأبلِغُوهُمْ عنّي: **مَنْ زَعَمَ أني إمامٌ مَعصُومٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعةِ فأنا منهُ بَريءٌ، ومَنْ زَعَمَ أني أَبْرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ فأنا منهُ بَريءٌ**»[٣].

مِنْ هذه الأخبارِ يَتبيّنُ مَوقفُ **أهلِ البَيْتِ** مِنَ الخُلَفاءِ الراشدينَ ومِنَ الصَّحَابَةِ عامّةً رضي الله عنهم جميعًا، وأنّهم كانوا على الحقِّ والهُدَى، وأنَّ كُلَّ مَا يُنسَبُ إليهم في هذا البابِ إنَّمَا هو مِنَ الافتراءِ والكَذِبِ عَليهِم.

ويَتبيّنُ أيضًا حقيقةُ مذهبِ الرَّافِضَةِ أنّهُ مِنْ وَضْعِ أهلِ الزَّنْدَقَةِ والإلْحَادِ؛ ففي أقوالِ جَعْفَرٍ رحمه الله بيانٌ واضحُ لِنَسْفِ أُصُولِ أهلِ الرَّفْضِ في أعظمِ مَسائِلِهم وهي: **الإمامةُ، والعِصْمَةُ، والبَراءةُ مِنَ السَّلَفِ**. ويَتأكّدُ أنَّ مَا يُنسَبُ إليه رحمه الله في هذه الأبوابِ إنَّمَا هو مِمَّا افتَراهُ مُتكلّمو الشِّيعَةِ **كهِشَامِ بنِ الحكَمِ** الذي ثبتَ أنّهُ أوّلُ مَنْ فَتَقَ الكلامَ في الإمامةِ وهَذّبَ المذهبَ كما

(١) «السير» (٦/٢٥٨ ـ ٢٥٩). وذكر المحقّقُ أنّ الذهبيَّ قال في (تاريخ الإسلام ٦/٤٦): «هذا إسنادٌ صحيحٌ».

(٢) المصدر السابق (٦/ ٢٦٠).

(٣) المصدر نفسه (٦/ ٢٥٩).

تقدّمَ. والحَقُّ أنّهُ أفسدَ المذهبَ بِمَا افتراهُ مِنْ أُصُولٍ وقواعدَ جعلَها دِينًا للرَّافِضَةِ تَدِينُ بهِ وتُدافِعُ وتَذُبُّ عنهُ، بَعْدَ أنْ وضعَ لَهمْ هو وغَيْرُهُ مِنْ أهلِ الكلامِ والفلسفةِ كُتُبًا ومُؤلَّفَاتٍ اخترعَ لَهمْ فيها مِنَ الأُصُولِ والمعتقداتِ مَا يَضمنُ استقلالَهُمُ الفكريَّ والسّياسيَّ والدِّينيَّ عَنْ كُلِّ مَا جاءَ بهِ الإسلامُ الحنيفُ مِنْ فكرٍ ودينٍ.

هكذا انتشرَ مَذهبُهُمْ، واشتهرَ بَيْنَ المتعاطِفِينَ والمُتَشَيِّعينَ لأهلِ البَيْتِ ممن رَاجَتْ عَليهِم مَزاعِمُ الظُّلْمِ والاضطهادِ لِلآلِ، وصَدّقُوهُمْ فيما نَسبوهُ إلى الأئِمَّةِ، وآمنوا بتلك العقائدِ المُنحرفةِ التي أحاطوها بنُصُوصٍ كثيرةٍ باطلةٍ مَكْذُوبَةٍ نسبوهَا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وإلى الأئِمَّةِ لِتَروجَ بَيْنَ السُّذَّجِ والعامَّةِ، وأحاطوها بالطَّعْنِ في الصَّحَابَةِ الأجلّاءِ نَقَلَةِ الدِّينِ ورواةِ السُّنّةِ، ومِنْ ثَمَّ الطَّعْنُ في دِينِ اللهِ تَعَالَى وفي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وحملوا شِيعَتَهُمْ على التّصديقِ بِكُلِّ مَا جاءَ عَنِ الأئِمَّةِ المعصُومينَ - في زَعْمِهم - الذين لَهمْ حَقُّ التَّشْريعِ والنَّسْخِ في جميعِ أُمُورِ الشَّرعِ كما يفترونَ.

ومن هذا البابِ أدخلوا كُلَّ مَا زَعموا أنّهُ دينٌ وحقٌّ، وفصَلوا أتباعَهُمْ عَنِ الدِّينِ الحقِّ، ونَقلُوهم إلى الكُفْرِ والإلْحَادِ والعياذُ باللهِ تَعَالَى، وذلك بَعْدَ أنْ جعلوا لِشِيعَتِهِم أُصُولًا في كافّةِ فُروعِ الدِّينِ وعُلُومِهِ، وأَلَّفوا وكَتبوا في جميعِ عُلومِ الدِّينِ على سبيلِ المُحاكاةِ لأهلِ السُّنّةِ والجماعةِ للاستقلالِ ودفعًا للتَّعييرِ، إِذْ لَمْ يكونوا على شيءٍ في تحصيلِ العُلومِ والمرويّاتِ، فآمنَ أهلُ الجهلِ والهوى أنَّ لَهمْ تفسيرًا للقُرآنِ يَخصُّهُمْ، وقواعدَ في أَخْذِ السُّنَنِ والآثَارِ وقَبُولِ الأخبارِ تُخالفُ مَا عليهِ أهلُ الدِّينِ والإيمانِ أهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وحتَّى في العباداتِ والأخلاقِ والمعاملاتِ لَهمْ أُصُولٌ تَخصُّهُمْ، فلا يَرجعُ الشِّيعِيُّ إلى شَيْءٍ مِنْ مُؤلَّفَاتِ أهلِ الحقِّ والإيمانِ، ولَا يَقبلُ منهُمُ الأخبارَ والمرويّاتِ والسُّنَنَ، ولَا يُؤمِنُ بشيءٍ مِنْ تفسيرِهِمْ لآياتِ القُرآنِ والتّنزيلِ.

لقد جعلوا مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ أنّهم لَا يقرؤونَ ولَا يرجعون في أُمُورِ الدِّينِ إلَّا لِـمَا كَتبهُ أَئِمَّتُهُمْ مِنَ الزّنادقةِ المُلحدينَ، حتَّى آمنوا واعتقدوا بأنّهم وَحْدَهُمْ على الحقِّ ومَنْ سِواهم على الغوايةِ والضّلالِ بِمَا وضعوهُ على أَلْسِنَةِ الأئِمَّةِ مِنْ نُصُوصٍ في فضلِ التَّشَيُّعِ وغيرِهِ مِمَّا يَبْعَثُ فيهم رُوحَ الإعجابِ بالنّفسِ والإجلالَ والتعظيمَ للمنهجِ والمذهبِ.

هكذا تَمكَّنَ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ مِنْ حمايةِ مَذهبِهِمْ ومُعتقداتِهِمُ المُنحرفةِ، وضَمِنوا لها البقاءَ والاستمرارَ بِمَا زَيّنوهُ لأتباعِهِمْ مِنْ تلكَ الوعودِ والعُهودِ في الدُّنيا والآخرةِ، وتمكّنوا مِنْ إضلالِ فئةٍ عظيمةٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ دِينِ الإسلامِ وصَرْفِهِمْ إلى هذا المَذهَبِ المُنْحَرِفِ ليكونوا وسيلةً وأَداةً لهدمِ هذا الدِّينِ وإضعافهِ وإيقافِ تَقدُّمِهِ؛ قال اللهُ تَعالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

هكذا مرَّ التَّشَيُّعُ بعدّةِ أدوارٍ ومراحلَ على النّحوِ التالي:

كانت بِدايتُها على أيدي بعضِ المنافقينَ مِنْ أمثالِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَبَأٍ ومَنْ وَافقَهُ مِنْ أهلِ الأغراضِ والأهواءِ الذين دخلوا في الإسْلامِ ليكيدوا لهُ ولأهلِهِ، فاندسُّوا في صُفوفِ المُتَشَيِّعينَ المناصرينَ لآلِ البَيْتِ، تلك الأرضُ الخَصْبةُ التي بَثُّوا فيها سُمُومَهُمْ وانحرافاتِهِمْ.

ثُمَّ اشتدَّ أَمرُهُمْ بعضَ الشَّيءِ في ظلِّ الفِتَنِ التي مَرَّ بِهَا المُسلِمونَ، فاستغلُّوها لِنشْرِ باطِلِهِمْ كيومِ الجَمَلِ وصِفِّينَ وما تبعَهما مِنَ الفِتَنِ والاختلافاتِ بَيْنَ المُسلِمينَ.

ثُمَّ ضَعُفَ أمرُهُمْ وشَأْنُهُمْ بَعْدَ تَنازُلِ الحَسَنِ بن عَليٍّ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وكادَ أمرُهُمْ أن يَنتهيَ.

ثُمَّ تمكّنوا مِنْ إعادةِ الفِتَنِ في حياةِ المُسلِمينَ بالإغرارِ بالحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحمْلِهِ على الخُروجِ ثُمَّ خذلوهُ وقتلوهُ، الأمرُ الذي أشاعَ الفِتَنَ والفوضَى في

المُسلِمينَ مِنْ جديدٍ، وتمكنوا بهذه الحادثةِ مِنْ جَعْلِ التَّشَيُّعِ اتّجاهًا عَقائِديًّا يقومُ على الولاءِ والنُّصْرَةِ لأهلِ البَيْتِ والبراءةِ والانتقام مِنَ المخالفين لهم في انحرافاتِهِمْ وضَلالاتِهم، حتَّى شاعَ في المُسلِمينَ وُجُودُ الشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ التي اختلفتْ في تفكيرِها ودينِها عَنْ عامّةِ المُسلِمينَ.

ثُمَّ كان دَوْرُهُ ومرحلتُهُ الأخيرةُ في عَهْدِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حيثُ بَرزَ المذهبُ بأُصُولِهِ ومَعالِمِهِ، واشتهرت بَيْنَ العامَّةِ والخاصّةِ آراؤُهُ الكلاميَّةُ والفلسفيَّةُ وقَواعِدُهُ المنطقيَّةُ الجدليَّةُ في الحِجَاجِ والاستدلالِ مِمَّا يَنسُبُهُ الرَّافِضَةُ إلى الصَّادِقِ، وهو في حقيقتهِ مِنْ وَضْعِ المُتكلِّمينَ مِنَ الزّنادقةِ والفلاسفةِ مِمَّن تَصِفُهُمُ الرَّافِضَةُ بأنّهم تَلاميذُ الصَّادِقِ وهُمْ في الحقيقةِ تلاميذُ الزّنادقةِ والمنافقينَ.

وقَدِ اختلَفَ العُلَمَاءُ والمؤرخون فيما كَتبوه وقرّرُوهُ في نَشْأَةِ التَّشَيُّعِ وتَطوّرِهِ اختلافًا بَيِّنًا، أُجْمِلُهُ فيما يلي:

• أولًا: مَا كَتبهُ عُلَمَـاءُ أهلِ السُّنَّةِ والجَمـاعَةِ ومَنْ وافقَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ:

يَتّفِقُ عُلَمَـاءُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ أنَّ التَّشَيُّعَ إِنَّمَـا ظهرَ وانتشرَ عَقِبَ وَفاةِ النَّبيِّ ﷺ وهذا قدرٌ مشتركٌ بينهم، ثُمَّ يختلفونَ في تحديدِ بَدْءِ نشأَتِهِ. وهذا الاختلافُ راجعٌ لِتَعَدُّدِ الحوادثِ وكَثْرةِ الوقائعِ التَّاريخيَّةِ التي كان لها أثرٌ في المذهبِ الشِّيعِيِّ وفِكْرِهِ مِنْ حيثُ الاشتهارُ والانتشارُ.

إنَّ الأصلَ في نَشْأَةِ الفِرَقِ والمذاهبِ أنَّ أحداثًا ووقائعَ سياسيَّةً أوِ اجتماعيَّةً أو دِينيَّةً تَنشَأُ في حياةِ أُمّـةٍ مِنَ الأُمَـمِ، تَتباينُ فيها الآراءُ والأقوالُ، وتختلفُ مواقفُ أهلِ الحَلِّ والرّبطِ إزاءَها؛ فتتحزبُ جماعةٌ لموقفٍ مُعَيَّنٍ وتَتعصّبُ لرأيٍ مَا، فتكونُ النَّواةَ لفِرْقَةٍ أو مذهبٍ في حياةِ تلك الأُمَّـةِ. لذلك تعلّقَ كُلُّ باحثٍ أو مُؤرِّخٍ بحادثةٍ طَرأَتْ أو وَاقعةٍ حدثَتْ في حياةِ المُسلِمينَ فجعلَها مُنطلقًا لتحديدِ نَشْأَةِ التَّشَيُّعِ وابتدائِهِ. وقَدْ أخطأَ هؤلاءِ في هذه المسألةِ لسببيْنِ رئيسيْنِ:

ـ **الأوّلُ**: أنّهم نظروا إلى **التَّشَيُّعِ** المُنْحَرِفِ على أنّهُ فِرْقَةٌ دِينيَّةٌ إسلاميَّةٌ، ومِن ثَمَّ حاولوا رَبْطَهُ بحادثةٍ مِنَ الحوادثِ التي وَقَعتْ بَيْنَ المُسلِمينَ، واختلفوا فيها على أنَّها كانتْ وَلِيدةَ تلكَ الحادثةِ أَوِ الواقعةِ. إنَّ مِمّا يُؤكِّدُ هذا الخطأَ اختلافُهُمْ في تحديدِ الواقعةِ التي تَوَلَّدَ عنها هذا الفِكْرُ المُنحرفُ لأنّهُ لَو كانَ **التَّشَيُّعُ** ـ كما ظَنَّ هؤلاءِ ـ نتيجةَ اختلافٍ بَيْنَ أهلِ الحَلِّ والرّبطِ مِنَ المُسلِمينَ؛ لاتّفقَ الجميعُ على تحديدِ بِدايتِهِ ونَشأَتِهِ كما هو الشَّأْنُ في الفِرَقِ التي ظَهرتْ في الإِسْلامِ كالخوارجِ مَثلًا، فإنَّهُ مِنَ المُتّفَقِ عليهِ أنَّ عَقيدةَ الخوارجِ إِنَّما ظَهرتْ بَعْدَ التّحكيمِ بَيْنَ عَلِيٍّ ومُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما. وأمَّا **الشِّيعَةُ** فليسوا كذلك.

ـ **والثاني**: أنَّ بعضَ الباحثينَ قَلَّدوا مَنْ سَبقَهُمْ دُونَ بحثٍ مَوْضوعيٍّ ونظرةٍ فاحصةٍ نَاقِدةٍ لأفكارِ هذا المَذهَبِ المُنْحَرِفِ وعَقائِدِهِ، لذلك قرّرَ **ابنُ خلدونَ** أنَّ مَبْدَأَ **التَّشَيُّعِ** كان عَقِبَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وحادثةِ **السَّقِيفَةِ**[(١)]. ووَافَقهُ مِنَ المعاصرينَ كُلٌّ مِنْ: أحمد أمين[(٢)]، والدكتور حسن إبراهيم حسن[(٣)]، والمستشرق جولدتسيهر[(٤)].

لقد سبقَ ابنَ خلدونَ **المؤرخُ الشِّيعِيُّ الحَسَنُ بنُ مُوسَى النُّوبَخْتِيُّ** ـ أحدُ أعلامِهِمْ في القرنِ الثالثِ الهجريِّ ـ الذي زَعَمَ أنَّ الأُمَّـةَ افترقَتْ عَقِبَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إلى ثلاثِ فِرَقٍ، **فِرْقَةٌ منها سُمِّيَتِ الشِّيعَةَ**[(٥)]. ولَا شَكَّ أنَّ هذا كَذِبٌ وافتراءٌ ومحاولةٌ بَائِسةٌ مِنْ هذا الشِّيعِيِّ وغيرِهِ في جَعْلِ التَّشيُّعِ قَديمًا، ورَبْطِهِ بدَعْوةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لأنّهُ أرادَ أنْ يُرجِعَ **التَّشَيُّعَ** إلى

(١) «تاريخ ابن خلدون» (٣/ ١٧٠). (٢) «فجر الإسلام» (ص: ٢٦٦).
(٣) «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٩٤).
(٤) «العقيدة والشريعة في الإِسْلامِ» (ص: ١٧٤). ترجمة (جولدتسيهر) في «موسوعة المستشرقين» (ص: ١٩٧).
(٥) «فرق الشِّيعَة» للنُّوبَختِي (ص: ٢ ـ ٣).

هؤلاءِ الذين ظَهروا **يومَ السَّقِيفَةِ** كقوّةٍ وفِرْقَةٍ لها وُجُودُها وكَيانُها عَقِبَ وَفَاةِ النَّبيِّ ﷺ مُباشرةً، ولَهمْ وُجودٌ ودعوةٌ في حَياةِ النَّبيِّ ﷺ كما يُقَرِّرُهُ **الشِّيعَةُ** عَامَّةً. ومِنَ المعلوم أنَّ الأُمَّةَ لَمْ تَفترِقْ، ولَمْ يُطْرَح اسمُ عَلِيٍّ **يومَ السَّقِيفَةِ**، وحقيقةُ الأمرِ أنَّ الأنصارَ اختلفوا وناقشوا أَمرَ الخلافةِ الذي حُسِمَ تَمامًا بوصُولِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ إلى السَّقِيفَةِ ومُبايعةِ الصَّحَابَةِ لأبي بَكْرٍ بالخلافةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم جميعًا.

المهِمُّ أنَّ مَا زَعَمَهُ هذا **الرَّافِضِيُّ** أخذَ بِهِ بعضُ الباحثِينَ على أنّهُ حقيقةٌ في تاريخِ المُسلِمينَ. والحَقُّ أنَّ **التَّشَيُّعَ** لَمْ يَكُنْ ظُهورُهُ ونَشأَتُهُ نتيجةَ اختلافِ وتَبايُنِ آراءِ المُسلِمينَ في قضيَّةٍ أو حَدَثٍ كما يُحاولُ الشِّيعَةُ إثباتَهُ، فيربطُهُ بعضُهُمْ **بالسَّقِيفَةِ** وبعضُهُمْ بيوم **الجَمَلِ** أو **صِفِّينَ** أو يوم **الطَّفِّ**[1]. ولَا نجِدُ أحدًا منهم يُقرِّرُ أنّهُ نَشَأَ في أَواخرِ عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لأنّهُ ـ وكما سبقَ تَقريرُهُ ـ إِنَّمَا نشأَ وظهرَ نتيجةَ مُؤامرةٍ دبّرَها أعداءُ الإسلام والمُسلِمينَ الحاقدونَ في أواخرِ عهدِ عُثْمَانَ بَعْدَ الفُتُوحِ الإسلامِيَّةِ، ولكنهم أخذوا يتستّرونَ ويختفون وراءَ الأحداثِ السِّياسيَّةِ والتَّاريخيَّةِ إيهامًا منهم للعامّةِ أنَّ فِكْرَهُمْ ومُعتقداتِهِمْ إِنَّمَا هي وَلِيدَةُ تلكَ الأحداثِ.

• ثانيًا: مَا كَتبهُ الرَّافِضَةُ في مُؤلَّفَاتِهِمْ:

كَتبَ مُؤرِّخُهُم **الحَسَنُ النُّوبَخْتِيُّ** ـ وهو مِنْ أعلامِهِمُ القُدماءِ ـ: أنّهُ لما قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ افترقَتِ الأُمَّةُ ثلاثَ فِرَقٍ: **فِرْقَةٌ** منها سُمِّيَتِ الشِّيعَةَ، وهُمْ شِيعَةُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، ومِنهُمُ افترقَتْ صُنوفُ الشِّيعَةِ كلُّها. **وفِرْقَةٌ**: مِنهُمُ ادّعَتِ الإِمْرَةَ والسُّلطانَ، وهُمُ الأنصارُ، ودَعوا إلى عَقْدِ الأمرِ لِسَعدِ بنِ

---

(١) الطَّفُّ: بالطّاءِ المفتوحةِ والفَاءِ المشدّدتيْن، ما أَشْرَفَ مِنْ أرضِ العَربِ علَى رِيفِ العِراقِ. (مُعجم البلدان: ٤/ ٣٥). كانت واقعةُ الطَّفِّ عامَ (٦١هـ) بين الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأصحابِهِ، وبين جيشِ عُبيدِ اللهِ بن زيادٍ.

عُبَادَةَ الخَزْرَجِيِّ. **وفِرْقَةٌ** مَالَتْ إلى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ بنِ أبي قُحَافَةَ، وتأوّلتْ فيه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنُصَّ على خَلَفٍ بعَيْنِه...»[1].

وقال بمثلِ ذلك الرَّافِضِيُّ **حُسَيْن بخش**[2]، والرَّافِضِيُّ **مُحَمَّدْ عَلِيّ الحَسَنِيُّ**، ولكنه يَنُصُّ على أنَّ انقسامَ المُسلِمينَ كان إلى **فِرْقَتَيْنِ** وليس إلى ثلاثةٍ[3].

يُكَذِّبُ هذه الأقوالَ **النُّصوصُ النّقليَّةُ التَّاريخيَّةُ** التي ذَكَرْتُ طَائفةً منها فيما سبقَ، ويُكذِّبُهُمْ واقعُ هذه الأُمَّةِ التي عَاشَتْ في حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وفي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ ﷺ ولَمْ تَعرِفْ فُرْقَةً ولَا اختلافًا فيما بينها. وما حدثَ **يومَ السَّقِيفَةِ** أمرٌ طبيعيٌّ جدًّا، ولَا يُوصَفُ بأنّهُ اختلافٌ أو فُرْقَةٌ؛ فإنَّ الأنصارَ طَرحُوا اسمَ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ وكان ذلك قَبْلَ وُصُولِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ إليهم، ولمّا وَصَلَا سُوّيَ الأمرُ في مَهْدِهِ، واتّفقَ الصَّحابةُ وأجمعوا على مُبايعةِ أبِي بَكْرٍ، وبَايعَهُ حتَّى عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ في اليومِ التَّالي مِنَ السَّقِيفَةِ.

وقَدِ اتّفقَ **الصَّحابةُ** كلُّهُمْ على تقديمِ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما، وكان عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه كغيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ قريبًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ في خِلافتيهما، ولَمْ يُعرَفْ أو يُنْقَلْ عنهُ في أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ مَا يُخالِفُ عَقيدةَ السَّلَفِ، بلْ وردَ عنهُ أنّهُ عِنْدَ مَوْتِ عُمَرَ تَرحَّمَ عليهِ وقال: «**مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ**»[4]. إلى غيرِ ذلك مِنَ المواقفِ الكثيرةِ مِنْ عَلِيٍّ التي تَدُلُّ دَلَالَةً واضحةً على حُبِّهِ لأبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ رضي الله عنهم جميعًا، وقَدْ ذَكَرْتُ جُملةً مِنْ هذه الأدِلَّةِ فيما سبقَ.

---

(١) «فرق الشِّيعَة» للنُّوبَخْتِي (ص: ٢ ـ ٣).

(٢) كما أوردها الدكتور: مُحَمَّد يُوسُفَ النجراميّ في كتابه «الشِّيعَة في الميزان» (ص: ٤٥)، نقلًا عن حُسَيْن بخش الرَّافِضِيِّ في كتابه «إمامت وملوكيت» وهو باللُّغَةِ الأُرْدِيَّةِ (ص: ٦٦).

(٣) «في ظلالِ التَّشَيُّعِ» (ص: ٤٥ ـ ٤٦).

(٤) تقدم تخريجُه (ص: ٥٦).

هذا هو حالُ **الصَّحَابَةِ** وهذه سِيرَتُهُمْ، فأين **الفِرَقُ الثّلاثُ** التي يَذكرُها الرَّافِضِيُّ **النُّوبَخْتِيُّ**؟ ثُمَّ أين كانتِ **الشِّيعَةُ** في خِلافةِ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ؟ وماذا كانتْ رَدّةُ فعلِها تُجَاهَ الخُلَفاءِ الرّاشدينَ؟ وقَدْ عَلِمْنا أنَّ عَلِيًّا نفسَهُ قَدْ بايعَ مَنْ سَبقَهُ مِنَ الخُلَفاءِ طَائعًا مُختارًا، ولَمْ يَرْفَعْ سيفًا أو يَقُلْ كَلِمةً يُعارِضُ بها الخُلَفاءَ أو يُطالِبُهُمْ بِمَا تَزعُمُهُ الرَّافِضَةُ مِنَ الوِصَايَةِ والخلافةِ.

أمَّا **الرَّافِضِيُّ حُسَيْن بخش** فإنَّهُ يَنصُّ في كِتابهِ «أنَّ المذهبَ الشِّيعِيَّ بَدأَ مِنْ نفسِ اليومِ الذي رَفضَ فيه الإمامُ عَلِيٌّ الاستسلامَ أمامَ السُّلْطةِ وتَحدَّى شَرْعِيَّةَ السُّلْطَةِ»[1].

والحَقُّ أنّهُ لَا غرابةَ في مَقالتهِ هذه؛ لأنَّ هؤلاءِ دِينُهُمُ الكَذِبُ والتزويرُ في الحقائقِ والوقائعِ؛ لأنّهم يُخاطِبون خَلْقًا لَا عَقْلَ لهم، ويُتابِعُونَهُمْ ويؤمنون بِكُلِّ مَا يَصدُرُ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ وإنْ كان مُخالفًا للنَّصِّ والعَقْلِ ومُباينًا للواقعِ والتاريخِ. كَيف رفضَ عَلِيٌّ الاستسلامَ؟ وكيف تَحدَّى السُّلْطةَ؟ وقَدْ عَلِمَ المُسلِمونَ وغَيرُهُمْ ـ مِنْ أهلِ العَقْلِ ـ أنّهُ كانَ مِنْ أهلِ المشورةِ والحَلِّ والرَّبْطِ في سُلْطَةِ مَنْ سَبقَهُ مِنَ الخُلَفاءِ، وعَلِمُوا أيضًا أنّهُ رفضَ الإمامةَ بَعْدَ عُثْمَانَ ولَمْ يَقْبَلْها إلَّا بَعْدَ إلْحَاحٍ شديدٍ كما سبقَ ذِكْرُهُ وبيَانُهُ. ولم يُعرف عن علي رضي الله عنه إلا ما يغضب منه الرافضة والمنافقون.

أمَّا **جمهورُ الرَّافِضَةِ** مِنَ المتأخّرينَ فإنّهم أظهروا في كِتاباتِهِمْ قُبْحًا وحَماقةً رُبَّمَا خجلَ مِنَ التّصريحِ بِهَا عُلماؤهُمُ القدماءُ كالنُّوبَخْتِيِّ وغيرِهِ، فإنَّ المتأخّرينَ يَنُصُّونَ بِكُلِّ وَقَاحةٍ أنَّ **التَّشَيُّعَ** كان هو الدِّينَ الذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وهي دَعوتُهُ التي كان يَدعو بِهَا وهو مَا أَمرهُ اللهُ تَعالَى بِتبليغهِ

(١) كما في كتابه «إمامت وملوكيت» وهو باللُّغَةِ الأُرْدِيَّةِ (ص: ٦٦)، نقلًا عن «الشِّيعَة في الميزان» (ص: ٤٥) للنجراميّ.

للنَّاسِ كافّةً، وكان ﷺ يُغذِّي بأقوالِهِ وأفعالِهِ فِكْرةَ تَشَيُّعِ النَّاسِ لِعَلِيٍّ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الكَذِبِ والهراءِ الذي امتلأتْ بهِ كُتُبُ أهلِ الرَّفْضِ والنّفاقِ.

يقولُ **مُحَمَّد حُسَيْن آلْ كَاشف الغطَاءِ**: «إنَّ أوّلَ مَنْ وضعَ بذرةَ التَّشَيُّعِ في حقلِ الإسلامِ هو نفسُ صاحبِ الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ؛ يعني: أنَّ بِذرةَ التَّشَيُّعِ وُضِعَتْ مع بِذرةِ الإسلامِ جنبًا إلى جنبٍ وسواءً بسواءٍ، ولَمْ يَزَلْ غارسُها يتعاهدُها بالسّقي والعنايةِ حتَّى نَمَتْ وازدهرتْ في حياتِهِ ثُمَّ أثمرتْ بَعْدَ وفاتِهِ». ثُمَّ يَزِيدُ في وَقاحتِهِ وكَذِبهِ فيقولُ: «وهكذا كان الأمرُ فإنَّ عَددًا ليس بالقليلِ اختَصُّوا في حَيَاةِ النَّبِيِّ بِعَلِيٍّ ولَازَمُوهُ وجعلوه إمَامًا كمبلغٍ عَنِ الرَّسُولِ وشارحٍ ومُفسّرٍ لتعاليمِهِ وأسرارِ حِكَمِهِ وأحكامِهِ، وصاروا يُعرفون بأنّهم شِيعَةُ عَلِيٍّ كعَلَمٍ خاصٍّ بِهِمْ كما نَصَّ على ذلك أهلُ اللُّغةِ»(١).

والجوابُ على هذا الكَذِبِ والافتراءِ مِنْ وُجُوهٍ أربعةٍ:

ـ **الأول**: إنَّ التَّشَيُّعَ ـ فِعْلًا كما نَصَّ عليهِ هذا الرّافضيُّ ـ شَيْءٌ غيرُ الإسلامِ، فهي بذرةٌ فاسدةٌ أجنبيَّةٌ زَرَعَها في الإسْلامِ الحاقدون مِنَ اليهودِ والمنافقين.

ـ **الثاني**: إنَّ الرَّسُولَ ﷺ جاءَ بالإسلامِ والتوحيدِ كغيرِهِ مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ، فإنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يَقومُ على التّوحيدِ الخالصِ لهُ سُبْحانَهُ، وعلى المتابعةِ التّامّةِ لِرُسُلِهِ وأنبيائهِ، ولَا يكونُ المُسْلِمُ مُسْلِمًا حتَّى يُجرِّدَ التوحيدَ للهِ تَعالَى والمتابعةَ للنَّبِيِّ ﷺ، ولَمْ يأتِ نَبِيٌّ أو رَسُولٌ قَطُّ بدعوةِ التشيع والمتابعةِ والنُّصرةِ لأحَدٍ مِنَ الخَلْقِ سِوَى أنفسِهِمْ، وليس الأمرُ كما يَزْعُمُ هذا الرَّافِضِيُّ بأنَّ الرَّسُولَ ﷺ كان ذا ازدواجيَّةٍ في دَعوتِهِ بوضعِ التَّشَيُّعِ إلى جنبِ الإسلامِ والدّعوةِ إليهما سواءً بسواءٍ.

ـ **الثالث**: أمَّا مَا زَعَمَهُ هذا الأفَّاكُ مِنِ اقتداءِ بعضِ الصَّحَابَةِ بِعَلِيٍّ بنِ

(١) «أصل الشِّيعَة وأصولها» (ص: ٤٣ ـ ٤٥).

أبي طَالِبٍ رضي الله عنه واتخاذهِ إمَامًا وقُدْوةً لَهمْ؛ فإنَّ الصَّحابَةَ رضي الله عنهم أجلُّ قَدْرًا مِنْ أنْ يَقعوا فيما زَعَمَهُ هذا الكَاذِبُ، فمَنْ هذا الذي يُلازِمُ عَلِيًّا في حَياةِ النَّبِيِّ ﷺ ويَتّخِذُهُ إمَامًا لهُ؟! خابَ واللهِ وخَسِرَ مَنْ فعلَ ذلك. والصَّحَابَةُ بُرءَاءُ مِنْ هذا البُهتانِ؛ فإنّهم كانوا لَا يُقدّمون مالًا ولَا وَلَدًا ولَا أهلًا ولَا نَفْسًا على اللهِ تَعَالَى ورَسُولِهِ ﷺ، كَيف وقَدْ جعلَ اللهُ تَعَالَى ذلك شَرْطًا لِصحّةِ إيمانِهِمْ، وقَدْ كان عَلِيٌّ رضي الله عنه مِنْ خِيرةِ الصَّحَابَةِ الذين حقّقوا كمالَ المحبّةِ والمتابعةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فأيُّ مَعنًى لعاقلٍ أنْ يَقتديَ ويَأْتمَّ بِمَنْ هو في حالِ اقتداءٍ وائْتِمَام بغيرهِ. إنَّ هذا ليس لهُ وُجودٌ ولَا يُمكنُ أنْ يَتصوّرَهُ إلَّا أصحابُ النُّفوسِ المريضةِ والأذهانِ النَّتِنَةِ مِمَّن أُشْرِبَتْ قُلوبُهُمْ ونُفوسُهُمْ حُبَّ النِّفاقِ والكُفْرِ والإلْحَـادِ.

ـ **الرابع:** أمّا قولُهُ: «**كمـا نصَّ على ذلك أهلُ اللُّغةِ**»، فهو مِنَ التّدليسِ والكَذِبِ على أهلِ اللُّغَةِ؛ فإنَّهُ يُوهِمُ بأنَّ أهلَ اللُّغَةِ نَصُّوا على مَا ذَكرَهُ مِنْ مُلازمةِ بعضِ الصَّحَابَةِ في حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيًّا وجَعْلِهِ إمَامًا، وأنّهم كانوا يُعرَفونَ في حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بأنّهم شِيعَةُ عَلِيٍّ. وأهلُ اللُّغَةِ بُرَءَاءُ مِنْ هذه المقالةِ الفاسدةِ؛ فإنّهم بَعْدَ ذِكْرِهِمُ **التَّشَيُّعَ** مِنْ حيثُ اللُّغةُ يَذكرون أنّهُ أصبحَ فيما بَعْدُ يُعْرَفُ عِنْدَ إطلاقهِ بمَن تَشَيَّعَ لِعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ حتَّى أصبحَ اسمًا خاصًّا لَهمْ. ولَـمْ يُقَيّدْ أهلُ اللُّغَةِ ذلك بحِيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ لِعِلْمِهِمْ أنّهُ مُخالِفٌ للواقعِ، وقَدْ أنقذَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الوقوعِ في النِّفاقِ والكَذبِ والتزويرِ.

وبنحوِ قولِ هذا **الرَّافِضِيِّ** قال **أحمدُ الوائليُّ** فزَعَمَ «أنَّ التَّشَيُّعَ قَدْ ظهرَ مُبكّرًا في حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ حيثُ الْتَأَمَتْ جماعةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ تُفضّلُ عَلِيًّا على غَيْرِهِ وتتخذُهُ رئيسًا»(١).

(١) «هوية التَّشَيُّع» (ص: ٢٣ ـ ٢٦).

هكذا يَزْعُمُ هذا **الرَّافِضِيُّ** ويُؤمِنُ بِمَا أَملاهُ عليهِ أَئِمَّةُ النِّفاقِ، ويَكْفُرُ حتَّى بِمَـا ثبتَ عَنْ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فقَدْ تواترَ عنهُ تَفضيلُ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، وتَهديدُهُ وتَوعُّدُهُ لِمَن فَضَّلَهُ عليهما، وثبتَ عنهُ أنّهُ كان مَرؤوسًا لأَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ طائعًا مُختارًا رضي الله عنهم أجمعين، طاعةً للهِ تَعَالَى ولرسُولهِ ﷺ، وكان مُحبًّا لِمنْ سَبقَهُ، مُعظّمًا لَهمْ غايةَ التّعظيمِ، شَأْنُهُ في ذلك شَأْنُ أهلِ الإيمـانِ والإسلام، ولكن هؤلاءِ **الرَّافِضَةَ** لَا يعلمون ولَا يعقلون، فقَدْ أَبَوْا إلَّا نُصْرَةَ أهلِ الشَّرِّ والفسادِ والنِّفاقِ.

ويقولُ **مُحَمَّد حُسَيْن مظفر الرَّافِضِيُّ**: «إنَّ الدّعوةَ إلى التَّشَيُّعِ ابتدأتْ مُنْذُ اليومِ الذي هَتَفَ فيه المُنقِذُ الأعظمُ مُحَمَّدٌ صلواتُ اللهِ عليهِ بكَلمةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ في شِعَابِ مَكّةَ وجبالِها، فكانتِ الدّعوةُ للتَّشَيُّعِ لأبِي الحُسَيْنِ مِنْ صاحبِ الرّسالةِ تمشي جَنبًا لجنبٍ مع الدّعوةِ للشّهادَتَيْنِ»[(١)] . وبنحوِ هذا الكَذِبِ قال **مُحَمَّد حُسَيْن الزين**[(٢)]، **وهاشم معروف الحُسَيْنِيُّ الرَّافِضِيّانِ**[(٣)] اللّذانِ يَزْعُمَـانِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُغَذّي بأقوالهِ عَقيدةَ التَّشَيُّعِ وفِكْرَها، ويُمَكّنُها في أذهانِ المُسلِمينَ ويَأمرُ بِهَا في مواطنَ ومناسباتٍ مُختلفةٍ.

إنَّ هذا القولَ لَوْ تَدبّرَهُ أيُّ عاقلٍ لأيقَنَ أنّهُ في غايةٍ مِنَ الجهلِ والوَقاحةِ؛ لأنّهُ يُوحي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانت لهُ دَعوتانِ **دَعوةٌ عامّةٌ** وهي الدّعوةُ إلى التّوحيدِ ونَبْذِ الشِّرْكِ، **ودعوةٌ خاصَّةٌ** وهي دَعوةُ النَّاسِ إلى الائتمامِ بابنِ عَمِّهِ وزوجِ ابنتهِ فَاطِمَةَ، وجَعْلِ الإمامةِ والخلافةِ مِنْ بعدِهِ في آلِ بَيْتِهِ وذُرّيّتهِ كما هو حَالُ المُلوكِ والقياصِرَةِ.

حاشا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ هذه الازدواجيَّة في دَعوتهِ المُباركةِ، وحاشا لهُ ﷺ أنْ يسعَى لشيءٍ مِنْ حُطَامِ الدُّنيا لنفسهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِه، وهو الذي آثرَ

(١) «تاريخ الشِّيعَة» (ص: ٨ ـ ٩).
(٢) «الشِّيعَة في التاريخ» (ص: ٢٨ ـ ٢٩).
(٣) «أصول التَّشَيُّع» (ص: ١٦ ـ ١٧).

أنْ يعيشَ عَبْدًا للهِ تَعَالَى على أنْ يَكونَ مَلِكًا، وكان أكثرَ مَا يَخشاهُ على أُمّتِهِ الدُّنيا، وقَدِ انتقلَ إلى الرّفيقِ الأعلَى بَعْدَ أنْ بَلّغَ رسالةَ اللهِ تَعالَى، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأُمَّةَ، وجاهدَ في اللهِ حَقَّ جهادِهِ في دعوةِ النَّاسِ إلى التوحيدِ ونَبْذِ الشِّرْكِ وتحقيقِ العُبوديَّةِ للهِ تَعالَى.

إنّ هؤلاءِ **الرَّافِضَةَ** بِمقالاتِهِمْ هذه يُسيئُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فإنّهم يُريدونها دَعْوةً إلى عُبوديَّةِ النَّاسِ لِعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ولمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أولادِهِ وأحفادِهِ مِمَّن زَعَمُوهم أَئِمَّةً مَعصومين بالنَّصِّ والتَّعْيينِ. إنّهُم يُفَضِّلون ائتِمامَ النَّاسِ بِعَلِيٍّ حتَّى في حَيَاةِ النَّبيِّ ﷺ، ويفترون على بعضِ الصَّحَابَةِ أنّهم فعلوا ذلك، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَقرَّهُمْ عليهِ بل وأمرهم به، وأنَّ عَلِيًّا قَبِلَ ذلك ورَضِيَ بهِ؛ لِيُروِّجوا بذلك كُفْرَهُمْ وضَلالَهُمْ ويُزَيِّنُوهُ للنَّاسِ، وإلَّا **فالصَّحَابَةُ** رضي الله عنهم قَدِ امتدَحَهُمُ اللهُ تَعالَى ورَضِيَ عَنْ تمسُّكِهِمْ بهذا الدِّينِ والتّوحيدِ، وتُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم رَاضٍ لِصِدْقِ مُتابَعَتِهِمْ لهُ ﷺ. فلا يَجوزُ لمُسْلِمٍ أنْ يَتصوّرَ ائتمامَهُمْ والتفافَهُمْ حَوْلَ أحدٍ مِنَ النَّاسِ ونَبِيُّ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِم، إنّها ازدواجيَّةٌ في الحياةِ الإسلامِيَّةِ لَا يَقبلُها أحدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فضلًا عَنْ فُضَلائِهِمْ كَعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ وغيرِهِ رضي الله عنهم أجمعين، ولكن هؤلاءِ الرَّافِضَةَ لَا يعلمون حتَّى حقيقةَ مَا كَتبوهُ؛ لأنّهم أَلِفُوا الغُلُوَّ واتخذوهُ دِينًا لَهمْ، والغُلُوُّ رأسُ كُلِّ شَرٍّ في دِينِ اللهِ تَعالَى.

يقولُ **أبو حاتم أحمدُ بنُ حمدانَ الرازيُّ الشِّيعِيُّ الإسماعيليُّ** (ت٣٢٢هـ)[(١)]: «إنَّ هناك أَلقابًا قديمةً ذُكِرَتْ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وجاءتْ بِهَا الأخبارُ، وأنَّ أوّلَ تلك الألقابِ كانتِ: **الشِّيعَةَ**». وزَعَمَ أنّهُ كان لَقَبًا لِقومٍ أَلِفُوا عَلِيًّا في حياةِ الرَّسُولِ ﷺ، فكان يُقَالُ لَهمْ: «**شِيعَةُ عَلِيٍّ**

(١) ذكره ابنُ حَجَرٍ في «لسان الميزان» (١/ ١٦٤) وقال: «إنّهُ أظهرَ القولَ بالإلحادِ، وكان مِنْ دُعاةِ الإسماعيليَّةِ».

و**أصحابُ عَلِيٍّ**، ثُمَّ عَمَّ هذا اللَّقَبُ كُلَّ مَنْ قالَ بتفضيلِهِ إلى يومِنا»[(١)].

يُلْزَمُ هؤلاءِ **الرَّافِضَةُ** بحسبِ أقوالِهِمْ أنَّ دعوةَ الرَّسُولِ ﷺ لَـمْ تَلْقَ نَجاحًا وقَبُولًا إلَّا مِنْ عَدَدٍ قليلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. وقَدْ أنزلَ اللهُ ﷻ في كِتابهِ آياتٍ كثيرةً يُخبِرُ فيها عَنْ كَمالِ الدِّينِ وتَمامِهِ، وإتمامِ النِّعْمَةِ على أهلِ الإيمانِ بهذا الدِّينِ العظيم، ويَمْتَنُّ على عِبادهِ بظهورِ الحقِّ وانتصارهِ على الباطلِ، ودخولِ النَّاسِ أفواجًا في ذلك الدِّينِ الذي ارتضاهُ ﷻ لعبادهِ، والذي بلَّغَهُ رَسُولُهُ ﷺ كما أمرَهُ رَبُّهُ وأرادَ. فمِن هذه الآياتِ قولهُ وتَعالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. وقولهُ ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر].

إنَّ **الرَّافِضَةَ** لَا تُقِرُّ بتمامِ المِنّةِ وكمالِ الدِّينِ، ولَا بدخولِ النَّاسِ فيه أفواجًا، وتُكَذِّبُ بهذه الآياتِ وغيرِها، فدِينُهُمْ لَمْ يَكْمُلْ ولَـمْ يَقْبَلْهُ إلَّا نَفَرٌ يَسيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كما يَنُصُّونَ على ذلك في كُتُبِهِمْ، فالدِّينُ الحقُّ ودَعوةُ الرَّسُولِ ﷺ التي أُرْسِلَ لأجلِها ـ وهي التَّشَيُّعُ لِعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ بزَعْمِهِمْ ـ لَـمْ تَلْقَ قَبُولًا في عَهْدِ الصَّحَابَةِ.

وهُمْ بهذا القولِ يُدِينُونَ أنفسَهُمْ ويشهدون عليها شهادةً صريحةً بأنّهم لَيسوا على الدِّينِ الذي رَضِيَهُ اللهُ تَعَالَى لعبادهِ وامْتَنَّ عَليهِم بكمالِهِ وانتصارهِ وظُهورِهِ، وليسوا على دَعْوةِ الرَّسُولِ ﷺ التي بَذَلَ فيها جهدَهُ ووسعَهُ حتَّى نَصرَهُ اللهُ تَعَالَى ونصرَ دَعْوتَهُ. حيثُ إنَّ اللهَ تَعَالَى أرسلَ رَسُولَهُ ﷺ ليجمعَ القُلوبَ المتفرّقةَ، ويُؤَلِّفَ بينها بالإيمانِ باللهِ وحدَهُ، ويَنْبذَ الشِّرْكَ وأمورَ الجاهليَّةِ والعصبيّاتِ، لَا ليُفَرِّقَها شِيَعًا وأحزَابًا كما يَزْعُمُ أهلُ الرَّفْضِ، بلْ

(١) قاله في كتابِ «الزينة في الكلمات الإسلاميَّةِ العربيَّةِ» القسم الثالث (ص: ٢٥٩) وهو ملحقٌ ضمنَ كتابِ «الغُلُوّ والفِرَق الغاليَةِ».

جاءتْ نُصوصٌ كثيرةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَطْلُبُ ويُلِحُّ فيها على رَبِّهِ ومَوْلاهُ أنْ لَا يجعلَ أُمَّتَهُ مِنْ بعدِهِ شِيَعًا وفِرَقًا يُذِيقُ بعضُهُمْ بأسَ بعضٍ.

وزَعَمَ أيضًا **أحمدُ بنُ حمدانَ الرازيُّ الرَّافِضِيُّ** أنَّ سَلْمانَ وبعضَ الصَّحَابَةِ كانوا يُلَقَّبُونَ بِالشِّيعَةِ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأنّهم كانوا يُقدّمون عَلِيًّا على الصَّحَابَةِ[1].

وقَدْ روَى **ابنُ سَعدٍ** رَحِمَهُ اللهُ بسنَدِهِ إلى سَلْمَانَ الفارسيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «دَخلتُ على أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ في مَرضِهِ، فقلتُ: يا خليفةَ رَسُولِ اللهِ! اعْهَدْ إلَيَّ عَهْدًا؛ فإنّي لَا أراكَ تَعْهَدُ إلَيَّ بَعْدَ يومي هذا. قال: أجلْ يا سَلمانُ! إنّها ستكونُ فُتُوحٌ..». ثُمَّ أوصاهُ بِمَا يُصْلِحُ دِينَهُ ودُنياهُ[2]. **فهذا سَلْمَانُ** يُسَمِّي أبَا بَكْرٍ **خليفةَ رَسُولِ اللهِ**، ويستوصيهِ بِمَا يُصْلِحُ أُمُورَ دِينهِ ودُنياهُ شَأْنُهُ في ذلك شَأْنُ سائرِ إخوانهِ مِنَ الصَّحَابَةِ الكرامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

إنَّ هؤلاءِ **الرَّافِضَةَ** يُسيئونَ إلى **الصَّحابةِ** وإلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ، ويُكذِّبون مَا جاءَ في كِتابِ اللهِ تَعالَى عَنْ حالِ الصَّحَابَةِ ودَعوةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ يَقولُ اللهُ تَعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣]. فرسُولُ اللهِ ﷺ قَدِ انتصرَتْ دَعوتُهُ بالصَّحَابَةِ الذينَ أَلَّفَ اللهُ تَعالَى بَيْنَ قُلُوبِهِمْ حتَّى كانوا أُمَّةً واحدةً لَا تشوبُها الفُرْقَةُ والاختلافاتُ. وهؤلاءِ الكذّابونَ الأفّاكونَ يَزْعُمُونَ أنّهُ لَمْ يستجبْ لدعوةِ الرَّسُولِ ﷺ سِوَى النّفَرِ القليلِ، وأنَّ الصَّحابةَ افترقوا واختلفوا وكانوا شِيَعًا وأحزَابًا بمُجرّدِ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، بلْ كانوا كذلك حتَّى في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ. كُلُّ هذا الكَذِبِ وهذه الدّعاوَى والمزاعِمِ؛ لِيُثبتوا وُجُودَهُمْ وأنّهُ كان قديمًا في الإِسْلامِ، لِيَربطوا باطلَهُمْ بالإسلامِ، ويجعلوه أصيلًا قديمًا في حياةِ المُسلِمينَ.

---

(١) كتابِ «الزينة في الكلمات الإسلاميَّةِ..» القسم الثالث (ص: ٢٥٩) ملحقٌ ضمنَ كتابِ «الغُلُوّ والفِرَق الغاليَةِ».

(٢) «الطّبقات الكبرَى» لابنِ سَعدٍ (٣/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

ومما لا شَكَّ فيهِ أنَّ اتّهامَ بعضِ الصَّحَابَةِ ﭬ ووَصْفَهُمْ بأنّهم **شِيعَةٌ**؛ لهو مِنْ أقبحِ التُّهَمِ وأعظمِ الباطلِ، حاشا لأُولَئِكَ الكرامِ والأئِمَّةِ العظامِ أنْ يَتدَنّسوا ببعضِ المعتقداتِ والأفكارِ الشِّيعِيَّةِ المُنحرفةِ، كَيف يكون ذلك وقَدْ أَلَّفَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وجمعَ بينهُم على المحبّةِ والإيثارِ؟! وها هي سِيرتُهُمْ تَتلأَلأُ بأروعِ الأمثلةِ في مَيادينِ الأُلْفَةِ والمحَبّةِ والتّضحيَةِ والإيثارِ فيما بينهم، كَيف يَتبرّأُ مُسلمٌ صادقٌ مِمّن شَهِدَ اللهُ تَعالَى لهم بالخيريّةِ والفضلِ بعد نبيِّهِم ﷺ، فضلًا عَنْ سَبِّهِم ولَعْنِهِم ووَصْفِهِم بأقبحِ الأوصافِ واتّهامِهِم بأعظمِ المُنْكراتِ كما هو دِينُ الرَّافِضَةِ. إنّهم واللهِ! لَيُسيئونَ حتّى إلى مَنْ زَعَمُوهم مِنَ الشِّيعَةِ، كَيف يَتبرّأُ سَلمانُ وعَمّارٌ وغيرُهُما مِنْ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، وقَدْ كان سَلمانُ عَامِلًا لعُمَرَ على المدَائِنِ، وكان عَمّارٌ عاملًا لهُ على الكُوفَةِ.

إنَّ واقعَ حالِ الأُمَّـةِ وإجماعَ السَّلَفِ على أنَّ خيرَ هذه الأُمَّةِ بَعْدَ نبيِّها أبو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ؛ إنّهُ لحُجّةٌ قاطعةٌ على بُطلانِ هذه الدّعاوَى، ولكن هؤلاءِ الرَّافِضَةَ ينظرون إلى تاريخِ الأُمَّةِ نظرةً مِلْؤُهَا الحقْدُ والبغضُ، فيغيظُهُمْ مَا يُسْعِدُ المُسلِمينَ مِنَ الانتصاراتِ، ويَقتُلُهُمْ غيظًا مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُ المؤمنين مِنَ الفُتوحِ للبلادِ والأمصارِ، ويزيدُهُمْ ذُلًّا وخَيْبَةً مَا يُعَـزُّ بهِ أهلُ التوحيدِ مِنِ ارتفاعِ كَلِمةِ اللهِ تَعَالَى وانخفاضِ الشِّرْكِ والأوثانِ.

هذا، وهناك طائفةٌ أُخْرَى مِنَ الباحثينَ الرّافضةِ يختلفون عَنْ هؤلاءِ الذين ذَكَرْتُ مَقالاتِهمْ في فَهْمِ حقيقةِ التَّشَيُّعِ؛ فيُقرّرون أنَّ للتَّشيُّعِ مَراحلَ، وأنّهُ يَتميّزُ في كُلِّ مَرحلةٍ عَنِ الأُخْرَى بعقائدَ وأفكارٍ خاصَّةٍ، ورُبَّمَـا صَرّحَ بعضُهُمْ بذلكَ أكثرَ مِنْ غيرِهِ:

• فيقولُ **مُحَمَّد جَواد مغنية الرَّافضيُّ** بَعْدَ زَعْمِهِ كذبًا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو المصدرُ الأوّلُ للتَّشيُّعِ(١)، وأنّهُ هو الباعثُ الأوّلُ لفكرةِ التَّشَيُّعِ(٢): «**إنَّ**

---

(١) «الشِّيعَة في الميزان» (ص: ٣٠).
(٢) المصدر السابق (ص: ٦٤).

التَّشَيُّعَ مرَّ في ثلاثِ مراحلَ أو أدوارٍ»؛ الدّورُ **الأوّلُ**: يبدأُ بوفاةِ الرَّسُولِ وينتهي بانتهاءِ العصرِ الأُمَويِّ. **والثاني**: يبدأُ بعهدِ الإمامِ الصَّادِقِ. **والثالثُ**: هو عَهْدُ أَئِمَّةِ الرَّفْضِ كالشَّيْخِ المُفيدِ وتلميذِهِ الشّريفِ المرتضَى وعَلَّامةِ الرَّفْضِ الحلّيِّ. ثُمَّ يَصِفُ **الدّورَ الأوّلَ** وهو الذي يَعْنينا هنا فيقولُ: «**وكانت مظاهرُ التَّشَيُّعِ في هذا الدّورِ غايةً في الوضوحِ غايةً في البساطةِ، فلا عيدَ غديرٍ، ولَا شهادةَ أنَّ عَلِيًّا وَلِيُّ اللهِ في الأَذَانِ، ولَا شَيْءَ سِوَى الإيمانِ بأنَّ الخلافةَ بَعْدَ الرَّسُولِ حَقٌّ إِلَهيٌّ لِعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ**». ثُمَّ ذكرَ دُعاةَ التَّشَيُّعِ في هذه المرحلةِ فيقولُ: «وكان أشهرُهُمْ وأكثرُهُمْ حماسًا أربعةً: سلمانُ، وأبو ذَرٍّ، وعمّارٌ، والمِقْدَادُ»[1].

• أمّا **عَبْدُ اللهِ نعمة الرَّافضيُّ**؛ فَيَزْعُمُ أنَّ التَّشَيُّعَ مرّ بمرحلتيْنِ، **الأولى**: مرحلةُ التّكونِ والولادةِ وقَدْ طرحَ قَضيّتَها النَّبِيُّ ﷺ، **والثانية**: مرحلةُ المذهبِ والفِرْقَةِ بَيْنَ الفِرَقِ الإسلاميَّةِ لها نظرياتُها ومَفاهيمُها، وهذه يَزْعُمُ أنَّها بَرزتْ يومَ السَّقِيفَةِ كإحدى القُوى الثلاثِ ـ التي ظهرتْ على مسرحِ السّياسةِ الإسلاميَّةِ ـ: «حزبُ القُرَشِيّينَ، وحزبُ الأنصارِ، وحزبُ أهلِ البَيْتِ»[2].

• وأمَّا **الرَّافِضِيُّ عَبْدُ اللهِ فياض** فإنَّهُ يُقسّمُ التَّشَيُّعَ إلى **تَشَيُّعٍ روحيٍّ** وهو اعتقادُ إمامةِ عَلِيٍّ المفروضةِ مِنَ اللهِ تَعالَى، **وتَشَيُّعٍ سياسيٍّ** وهو الولاءُ لِعَلِيٍّ والذي ظهرَ يومَ السَّقِيفَةِ وبلغَ أقصى مَدَاهُ يومَ خلافتهِ بَعْدَ عُثْمَانَ. وأنَّ عواملَ عِدَّةً أسهمتْ في تَكوّنِ الشِّيعَةِ أهمُّها استشهادُ الحُسَيْنِ رضي الله عنه الذي أدّى إلى تَفَرُّقِ الشِّيعَةِ إلى فِرَقٍ وأحزابٍ لاختلافِهِمْ فيمَن هو أحقُّ بالإمامةِ ومَنْ هو المَنْصُوصُ عليهِ بزَعْمِهِمْ[3].

هذه هي مَزَاعِمُ هؤلاءِ **الرَّافِضَةِ**، كُلُّها تَدورُ حَوْلَ القضايا التي طَرَحَها

---

(١) المصدر نفسه (ص: ٩٦ ـ ٩٨). (٢) «روح التَّشَيُّع» (ص: ٣٠).
(٣) «تاريخ الإِمَامِيَّةِ وأسلافهم مِنَ الشِّيعَةِ» (ص: ٣٨، ٥٢ ـ ٥٤).

اليهوديُّ **عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ** في أواخرِ عَهْدِ عُثْمَانَ ﵁، وما زالَ هؤلاءِ يُردِّدُونها وإنِ اختلفتْ عِباراتُهُمْ وتغيّرتْ أَلفَاظُهُمْ وأساليبُهُمْ؛ فهاهما ذا **عَبْدُ اللهِ نعمة، وعَبْدُ اللهِ فياض**؛ يَزْعُمانِ ـ كما زَعَمَ **ابنُ سَبَأٍ** قديمًا ـ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أوصَى بالخلافةِ لِعَلِيٍّ ولكن بعباراتٍ مُختلفةٍ، يقولُ فياضٌ: «**إنّها مفروضةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى**». والتاريخُ يَشهدُ أنَّ الصَّحابةَ أجمعوا وفيهم عَلِيٌّ على الكُفْرِ بهذهِ الفريضةِ المزعومةِ، بلْ لَمْ يُعْلِمُونا بِهَا فضلًا عَنِ العملِ بِهَا.

يا أهلَ الرَّفْضِ! أَلَا يَسعُكم مَا وَسِعَ عَلِيًّا وسائرَ الصَّحَابَةِ مَا دُمْتُمْ تَزعُمون حُبَّهُ والاقتداءَ بهِ؟ فإنَّهُ قَدْ بايعَ مَنْ سَبقَهُ مِنَ الخُلَفاءِ ونَصَحَ لَهمْ في خِلافتِهمْ وتَولَّاهُمْ وتَبرّأَ مِنْ أعدائِهِمْ، فإنْ أَبَيْتُم فاعلَمُوا أنّكم مِنْ شِيعَةِ **ابنِ سَبَأٍ اليهوديِّ** الذي قَدْ فرضَ عليكم فرائضَ وسَنَّ لكُمْ سُنَنًا وشَرَائعَ، وقَدْ آمَنتم بِهَا وعَمَلْتُم بِمقْتَضاها وما زِلْتُم.

وأمَّا **مُحَمَّد جَواد مغنية**؛ فقدِ اعترفَ وأفصحَ عَنْ أُمُورٍ مُهمّةٍ، حيثُ وَصَفَ المرحلةَ الأولى مِنْ مراحلِ التَّشَيُّعِ بأنها كانت غايةً في الوضوحِ والبساطةِ، فلا أعيادَ خَاصَّةً، ولَا زياداتٍ في العباداتِ والعقائدِ.

فنقولُ لهُ: مَنِ الذي شَرّعَ فيها مَا لَمْ يَكُنْ في الدّورِ الأوّلِ؟ لَا شَكَّ أنَّ هناك مصادرَ أُخْرَى غير المصدرِ الأوّلِ الذي هو النَّبِيُّ ﷺ بزَعْمِكَ، وأنَّ هذه المصادرَ لها الحقُّ في الزّيادةِ والإضافةِ في هذا الدِّينِ وهذه النِّحْلَةِ الفاسدةِ. نعم، وإنَّ أهمَّ المصادرِ هو ذلك **المصدرُ اليهوديُّ الأَصلُ ابنُ سَبَأٍ** الذي قَبِلْتُمْ كُلَّ مَا طرَحهُ لكم مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، وقدّمتم أقوالَهُ وأفكارَهُ حتَّى على كَلامِ اللهِ تَعَالَى وكلامِ رَسُولِهِ ﷺ.

وها **أنت** ذا تَزْعُمُ كغيركَ مِنَ **الرَّافِضَةِ** بأنَّ التَّشَيُّعَ لَمْ يَكُنْ سِوَى الإيمانِ بأنَّ الخلافةَ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ حَقٌّ إِلَهيٌّ لِعَلِيٍّ بنِ أبِي طَالِبٍ، وهذه المقالةُ لَمْ تُسمَعْ مِنْ أَحدٍ قَبْلَ **عَبدِ اللهِ بنِ سَبَأٍ** وهو الذي تَولَّى كِبْرَها وطَرْحَها كما شَهِدَتْ بذلك المراجِعُ وكُتُبُ التاريخِ التي أَلَّفَها ودَوَّنَها ليس

أهلُ السُّنَّةِ الجماعةِ وحدَهم وإنّما أئِمّتُكم وعُلماؤكُمُ الأوائلُ. فها هو **سعدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القُمِّيُّ**، و**الحَسَنُ بنُ مُوسَى النُّوبَخْتِيُّ** وهما مِنْ عُلمائِكم في القرنِ الثالثِ الهجريِّ، وهذا **مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ الكَشِّيُّ** مِنْ عُلمائِكم في القرنِ الرابعِ الهجريِّ ـ ثلاثتُهم ـ؛ قَدْ أثبتوا جَميعًا في مُؤلَّفَاتِهمْ **أنَّ ابنَ سَبَأٍ أوّلُ مَنْ أحدثَ القَولَ بفرَضِيَّةِ إمامةِ عَلِيٍّ وبالوَصِيَّةِ، وأنّهُ أوّلُ مَنْ طَعَنَ في الخُلَفاءِ والصَّحَابَةِ وتبرَّأَ منهم**[(١)].

هذا مَا تَنُصُّ عليهِ مَراجِعُكُمُ المعتمدةُ، وأَقرَّهُ وأَثبتهُ عُلماؤكُمُ المعتبرون عِنْدَكُم. ثُمَّ وبلا حياءٍ تَزْعُمُ كغيرِكَ أنَّ إمامةَ عَلِيٍّ فَرَضَها اللهُ تَعَالَى ونَصَّ عليها رَسُولُهُ ﷺ؟! ولا عجبَ؛ فقَدْ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فاصْنعْ مَا شِئْتَ**»[(٢)].

إنَّ مَا طَرَحَهُ **اليهوديُّ عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأٍ** مِنْ كُفْرٍ وزَنْدَقَةٍ تُؤمِنُ بهِ وتَعتقدُهُ، ثُمَّ لَا تَقِفُ عِنْدَ هذا الحدِّ فتنسِبُ تلك المقالاتِ الفاسدةَ إلى اللهِ تَعَالَى وإلى رَسُولِهِ ﷺ.

وهناك أمرٌ آخرُ يُردِّدُهُ هو وأهلُ الرَّفْضِ، وهو اتِّهامُ بعضِ الصَّحَابَةِ بالتَّشَيُّعِ المُنْحَرِفِ. وقَدْ تَبيّنَ لنا مَوقِفُ الصَّحَابَةِ كلِّهِمْ مِنَ الخُلَفاءِ الراشدينَ، وقَدْ شَهِدَ اللهُ تَعَالَى لَهمْ بالأُلْفَةِ والمحبّةِ، وكفَى باللهِ شَهيدًا لمن كان لهُ قَلبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وهو شَهيدٌ.

• أمَّا **كامل مصطفى الشيبي الرّافضيُّ** فقد أطالَ كثيرًا في بيانِ نَشأَةِ التَّشيُّعِ مُحاولًا كغيرِهِ بَخَيْلِهِ ورَجِلِهِ رَبْطَ التَّشَيُّعِ بالإسلامِ رَبْطًا مُباشرًا، مُخفِيًا تَعصُّبَهُ للرَّفْضِ وأهلِهِ بِمَا يُردِّدُهُ في ثنايا بحثِهِ بالنّزاهةِ والموضوعيَّةِ والتَّجرّدِ

(١) راجعْ مَا تقدمَ في: (ص: ٧٠ ـ ٧٢) مِنْ نصوصهم فيما سبق.
(٢) رواه البخاريُّ في «صحيحه»، كتاب الأدبِ، باب إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فاصنعْ مَا شِئتَ، (الفتح: ١٠/٥٢٣ الحديث رقم: ٦١٢٠) مِنْ حديثِ أبِي مَسعودٍ عُقْبَةَ بنِ عَمرٍو الأنصاريِّ رضي الله عنه.

العلميِّ. ويُقرِّرُ بَعْدَ هذا الزَّعْم أنَّ التَّشَيُّعَ هو جَوْهرُ الإسلام وأنّهُ مرّ بمراحلَ فيقولُ: «وبذلك يُمكِنُنا أنْ نُلَخِّصَ هذا الفصلَ في كَلمةٍ بَيانُها أنَّ التَّشَيُّعَ كان تَكتُّلًا إسلاميًّا ظهرتْ نَزْعَتُهُ أيّامَ النَّبِيِّ، وتبلورَ اتجاهُهُ السياسيُّ بَعْدَ قتلِ عُثْمَانَ، واستقلَّ الاصطلاحُ الدَّالُّ عليهِ بَعْدَ قتلِ الحُسَيْنِ»(١).

هذا هو تجرُّدُهُ المزعومُ للبحثِ العلميِّ، فإنَّهُ يُقَرِّرُ ظُهورَ التَّشَيُّعِ في أيّامِ النَّبِيِّ ﷺ، يَصِفُ عصرَ الرَّسُولِ ﷺ بافتراقِ المُسلِمينَ إلى تَكتّلاتٍ مُختلفةٍ. واللهُ تَعَالَى يقولُ مُمْتَنًّا على أهلِ الإسلام بنعمتِهِ العظيمةِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهلْ تمامُ النّعْمَةِ وكمالُ الدِّينِ يكونُ والنَّاسُ على فِرْقَتَيْنِ أو أكثرَ؟ أوْ وَهُمْ مُتَّحِدينَ على كَلمةٍ سواءٍ مِنَ الدِّينِ والإيمانِ؟ وهلِ امتِنانُ اللهِ تَعَالَى على عبادِهِ يكونُ عِنْدَ تأليفِ قُلوبِهِمْ وجعلِهِمْ أُمَّةً واحدةً؟ أو عندما يكونون تكتلاتٍ إسلاميَّةً تُفَرِّقُها الأهواءُ وتُمزِّقُها الخلافاتُ فيَفْشَلُون وَتَذْهَبَ رِيحُهُمْ؟

إنَّ الحقَّ واضحٌ مَسلَكُهُ وطَريقُهُ، فإنْ لَمْ يَكُنْ فيكم مِنَ العقلِ واللُّبِّ؛ فقليلٌ مِنَ الحياءِ يا أهلَ الرَّفْضِ! كَيف تعتقدونَ اختلافَ الصَّحَابَةِ وتَفرُّقَهُمْ وتَكتُّلَهُمْ فيما بينهم والرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ أظهرِهِمْ يَتْلُو عَليهِم كِتابَ رَبِّهِمْ ويَتدارَسُهُ بينهم، ويُسْمِعُهُمْ وَحْيَ رَبِّهِمْ غَضًّا طَريًّا؟ واللهِ! لَمْ يختلفوا، وما كان ينبغي لَهمْ ذلك وهُمْ يسمعون قولَ اللهِ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. لقد فَهِمَ أُولَئِكَ الرِّجالُ هذه الحقيقةَ وَوَعَوْهَا فكانوا خيرَ أُمَّةٍ أُخرجَتْ للنَّاسِ، فلَمْ يكونوا ـ وهذه حالُهم ـ لِيُقَدِّموا مَنْ أَخّرَهُ اللهُ تَعَالَى ورسُولُهُ ﷺ، ولَا لِيُؤخِّروا مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ تَعَالَى ورسُولُهُ.

إنَّ مَا يتعلّقُ بهِ **الرَّافِضَةُ** مِنَ الأحاديثِ في أَحَقِّيَّةِ عَلِيٍّ بالإمامةِ

(١) «الصّلة بيْنَ التَّصوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (١/ ٢٧).

والخلافةِ ـ تلك المسألةُ التي فتحتْ لَهمْ كُلَّ أبوابِ الغُلُوِّ في الدِّينِ، وأدخلتْ عليهم العَقائِدَ الفاسدةَ حتَّى أَخرجَتْهم إلى دِينٍ آخرَ غيرِ الإسلامِ ـ فهي تنقسمُ إلى **ثلاثةِ أقسامٍ**:

ـ **الأوّلُ: مَا صَحَّ وثَبتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في حَقِّ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ**؛ فغايةَ مَا تَدُلُّ عليهِ هذه الأحاديثُ أنَّها تُبيِّنُ فَضْلَهُ ومَكانتَهُ التي نالها كغيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ بتحقيقِهِ التوحيدَ والمتابعةَ وسَبْقِهِ وتضحيتِهِ في الإِسْلامِ والإيمانِ، وليس فيها الدّعوةُ إلى التَّشَيُّعِ لهُ أَوِ النَّصُّ على خِلافتهِ بِوَجْهٍ مِنَ الوجوهِ، وهذه الأحاديثُ قَدْ ثَبتَ مثلُها عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في حَقِّ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بلْ رُبَّمَا جاءتْ في حَقِّ غيرِهِ أكثرَ مِمَّا جاءتْ في حَقِّهِ.

ـ **الثاني: مَا أَسندَهُ واختَلَقَهُ الأفّاكونَ الكذَّابونَ مِنْ أحاديثَ وأخبارٍ في فضائلهِ**، سواءٌ أكانَ مَا أسندوه منها إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أمْ إلى عَلِيٍّ، أم إلى غيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، أمْ إلى الأئِمَّةِ الذين زَعموا لَهُمُ العِصْمَةَ وحقَّ التَّشْريعِ؛ فإنّها كُلَّها مُختلَقةٌ مكذوبةٌ.

ـ **الثالثُ: مَا لَمْ يتمكّنوا مِنْ إسنادِهِ إلى أحدٍ مِنْ هؤلاءِ فدوّنوه وتناقلوهُ بِلَا إسنادٍ**، وهو ما يَحكُمُ عليه العُلماءُ بقولِهِمْ: «**لا أصلَ له**»؛ فهذه يَكفي في بيانِ كَذِبِها وبُطلانِها أنّها **تُروَى بغيرِ إسنادٍ**، ولا يَرفعُ مِنْ شَأْنِها كَثْرةُ ترديدِها وتَناقُلِها، ولا يُسَوّغُ قَبُولَها تلكَ القواعِدُ الباطلةُ التي ابتدعوها لتمريرِها. فإذا كان هذا هو المنهجُ الحقّ في التعاملِ مع ما يَنْسُبُهُ بعضُ المُنحرفينَ مِن أهلِ السُّنّةِ إلى الرّسُولِ ﷺ دونَ إسنادٍ؛ حرصًا على الشَّرعِ وصيانتهِ. فمِنْ بابِ الأَوْلَى أنْ يُطبّقَ هذا المنهجُ على ما يُنْسَبُ إلى مَنْ هو دونَ الرَّسُولِ ﷺ، سواءٌ كان مِنَ الصّحابةِ، أَمْ مِنْ آلِ البيْتِ، أم مِن العُلماءِ المجتهدينَ وغيرِهم.

فهذه **الأحاديثُ المكذوبةُ** ـ التي في القسمِ الثاني والثالثِ ـ هي عُمْدَتُهُمْ في ترويجِ مسألةِ **الإمامةِ السَّبَئِيَّةِ**، وغيرِها مِنَ الأفكارِ المُنحرفةِ والعقائدِ الفاسدةِ.

وجَوابًا على مَا يَتعلّقُ به الرَّافِضَةُ في هذه المسألةِ سنُبيِّنُ باختصارٍ وإجمالِ ما تقدّمَ تفصيلُهُ؛ ليظهرَ بُطْلَانُ مُتعلّقِهِمْ وفسادُهُ:

١ ـ أنَّ اسمَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لَـمْ يُطْرَحْ **يومَ السَّقِيفَةِ** كخليفةٍ بعدَ الرّسُولِ ﷺ.

٢ ـ أنَّ الأُمَّةَ لَمْ تختلفْ في ذلك اليومِ ولَمْ تَتفرّقْ، بلْ سُوّيَ الأمرُ بفضلِ اللهِ وحدَهُ ثُمَّ بصدقِ إيمانِ الصَّحَابَةِ وإخلاصِهِمْ لهذا الدِّينِ، وأجمعتِ الأُمَّةُ على مُبايعةِ أبِي بَكْرٍ، ثُمَّ مُبايعةِ عَلِيٍّ لأبِي بَكْرٍ وطاعتِهِ لهُ في حياتِهِ وبَعْدَ موتِهِ ببَيْعَةِ عُمَرَ الذي رَافَقَهُ فترةَ خِلافتِهِ بالحُبِّ والإخَاءِ والطّاعةِ والنُّصحِ، ثُمَّ بطاعةِ أمرِهِ بَعْدَ وفاتِهِ بالدّخولِ في الشُّورَى التي أمرَ بِهَا عُمَرُ، ثُمَّ بايعَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ طَائِعًا مُختارًا رضي الله عنهم جميعًا.

٣ ـ ومِمَّا يُؤكِّدُ فسادَ مَا تعلّقوا بهِ؛ تلكَ الحياةُ الاجتماعيَّةُ التي تَسودُها الأُلْفَةُ والمحبّةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وأولادهِ مِن جهةٍ وبَيْنَ الخُلَفاءِ الثلاثةِ وبقيّةِ الصَّحابةِ مِنْ جهةٍ أُخْرَى؛ **فقَدِ اشتهرتِ الأخبارُ عَنْ عَلِيٍّ وأبنائِهِ أنّهم سمّوا أولادَهُمْ بأسماءِ الخُلَفاءِ الثلاثةِ، وثبتَ عَنْ عَلِيٍّ أنّهُ زوّجَ ابنتَهُ ـ مِنْ فَاطِمَةَ ـ أُمَّ كُلْثُومٍ لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ**. ومما لا شَكَّ فيهِ أنَّ هذه الأحوالَ تُؤَكِّدُ حُسْنَ العلاقةِ وقوةَ الرّابطةِ والأُلْفَةَ فيما بينهم. فأين هذا مِنْ مَزَاعِمِ **الرَّافِضَةِ** الذين يُصوّرون لأتْبَاعِهِمْ أنَّ حياةَ الصّحابةِ وآلِ البَيْتِ رضي الله عنهم كان يَسودُها البُغْضُ والكراهيةُ وتكفيرُ بعضِهِمْ بعضًا؟

٤ ـ ومِمَّا يُؤَكِّدُ فسادَ مَا تعلّقوا بهِ أيضًا؛ إعراضُ عَلِيٍّ عن قَبولِ الخلافةِ بَعْدَ استشهادِ عُثْمَانَ إلَّا بَعْدَ إلْحَاحِ النَّاسِ عليهِ، وإصرارِهِ على أنْ تَكونَ بَيْعتُهُ بَيْعَةً عَامَّةً مِنْ أهلِ الحَلِّ والرَّبْطِ، **ولَوْ كان استخلافُ آلِ البَيْتِ نَصًّا مِن عندِ اللهِ تَعالَى؛ لَما جازَ لهُ رَدُّها، ولما طَلَبَ مُبايعةَ النَّاسِ لهُ، ولوجب عليه استخلاف ابنَهِ الحَسَنَ مِنْ بعدِهِ.**

٥ ـ أنَّ تَنازُلَ الحَسَنِ لِمُعَاوِيَةَ لَا يتّفقُ مع النَّصِّ والحَقِّ الإلَهيِّ

المزْعُوم على أنَّ الحَسَنَ هو الإمامُ الواجبُ تنصيبُهُ؛ **إذْ كيفَ يتَنازَلُ عن أمرٍ إلَهيٍّ ويُخالفُ ربَّهُ.**

٦ ـ أنّ الاختلافَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ أنفسِهِمْ وتَفرُّقَهُمْ إلى فِرَقٍ تُبايعُ كُلٌّ منها مَنْ تَراهُ الإمامَ الشَّرعِيَّ المَنصُوصَ عليهِ والمعصومَ؛ لَا يَتّفقُ كذلك مع زَعْمِهِمْ أنّهُ نَصٌّ إلَهيٌّ.

٧ ـ أنّ مِمَّا يُؤَكِّدُ فسادَ مُتعلَّقِهِمْ؛ مَا اعترفَ به وأثبتهُ مُؤرِّخُوهم وعُلماؤهُمُ المتقدمون مِنْ أنَّ هذه المقالاتِ الفاسدةَ مِنِ اختراعِ **اليهوديِّ عَبْدِ اللهِ بنِ سَبَأٍ**[(١)].

هذا وغيرُهُ كثيرٌ مِمَّا فيه بيانُ فسادِ مُتعلَّقِهِمْ، وأنّهُ مِنْ وَضْعِ الزّنَادِقَةِ والمنافقين الذين استباحوا الكَذِبَ في دِينِ اللهِ تَعالَى، ودَسُّوا هذه الأخبارَ والأقوالَ الباطلةَ للنّيلِ مِنَ الإسلامِ وأهلِهِ، ورَوّجُوها بَعْدَ تَزْيينِها في أقوامٍ رَاجتْ عَليهِم تلك الأكاذِيبُ والانحرافاتُ، ثُمَّ استحسنوها في دِينِهِمْ حتَّى آلَ أَمرُهُمْ إلى قَبُولِ كُلِّ باطلٍ والتَّمَسُّكِ بِهِ والمنافحةِ عنه. **ويتلخّصُ ما قاموا به في النّقاطِ التاليةِ:**

أ ـ وضعوا الكثيرَ مِنَ الأحاديثِ في فضائلِ **عَلِيٍّ، وبعضِ أولادِهِ، وبعضِ أحفادِهِ** ممن يُسمّونَهم بالأئِمَّةِ المزعومينَ مِنْ بعدِهِ، وقَبلُوها وبالغوا في قَبولِها وترويجِها.

ب ـ وَضَعُوا أيضًا أحاديثَ وأخبارًا في مَثَالِبِ **الخُلَفَاءِ الثلاثةِ وبقية الصَّحَابَةِ** والطَّعنِ عليهم عدا بضعةِ نفرٍ، وقَبلوها وبالغوا في قَبُولِها.

ج ـ لم يتركوا آيةً أو حَديثًا يَنُصُّ على فضائلِ غَيْرِ أئمَّتِهِمْ المزعومينَ إلَّا أَوّلُوهُ وحرَّفُوهُ عَنْ حقيقتِهِ وصَوّروهُ لأتبَاعِهِمْ بأنّهُ مِنَ المثالبِ لَا مِنَ الفضائلِ، ومن ذلكَ: مُرافقةُ أبي بَكْرٍ للنَّبيِّ ﷺ في الغَارِ، واستخلافُهُ في إمَامةِ الصّلاةِ؛ فكُلُّ ذلك عِنْدَهُمْ مِنَ المثالبِ والعُيوبِ. وما عجزوا عَنْ

---

(١) كما تقدم وسبق ذكره (ص: ٦٩).

تَأويلِهِ أو رَدِّهِ منها؛ اختلقوا مِثْلَهُ وزِيَادةً في حَقِّ أئمّتِهمْ على سبيلِ النِّـدِّيـَّـةِ والمُحَاكاةِ. **بلْ بلغَ بِهِمُ الأمرُ أنْ طَعنوا في نَسَبِ رُقَيَّةَ وزَيْنَبَ زَوجتَيْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ** رضي الله عنهم؛ فزَعَمَ **أبو القاسمِ الكوفيُّ (ت٣٥٢هـ) أنّهما لَمْ تكونا ابنتَيْ رَسُولِ اللهِ** ﷺ، كما نقلَ عنهُ ذلك الشّيْخُ إبراهيمُ الجبهانُ[(١)].

وطعنوا أيضًا في تَزويجِ عَلِيٍّ ابنتَه أُمَّ كُلْثُوم لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فيَزْعُمُ هذا **الرَّافِضِيُّ** أيضًا في كتابِهِ الذي سمّاهُ «**الإغاثة في بدع الثلاثة**»، وأيضًا **الكُلَيْنيُّ** فيما رواه بسنَدِهِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ قوله: «**إنَّ ذلك فَرْجٌ غُصِبْنَاهُ**»[(٢)]. حيثُ يَزْعُمُونَ أنَّ عُمَرَ قَدْ تَهدَّدَ وتَوعّدَ بقَطْعِ يَدِ عَلِيٍّ أو رَجْمِهِ أو غيرِ ذلك بَعْدَ إلْصَاقِ التُّهَمِ بهِ إنْ لَمْ يُزَوّجْهُ بأُمِّ كُلْثُومٍ.

هكذا سَاغَ لَهُمُ الكَذِبُ وصَدّقَهُمُ الغوغاءُ مِنَ **الشِّيعَةِ**؛ لأنّهم عطّلوا عُقُولَهُمْ وسلَّموا بكُلِّ مَا يَنسُبُهُ الكَذَبةُ إلى أئمَّتِهِمُ المعصومينَ زعموا.

وهكذا عَمِلَ أهلُ النّفاقِ؛ فلا يَرِدُ عَليهِم خَبَرٌ أو حَديثٌ صحيحٌ يَدُلُّ على فضلِ الخُلَفاءِ والصَّحَابَةِ ـ وفيه بيانُ كَذِبِهِمْ ـ إلَّا وَاجَهُوهُ بالتّكذِيبِ والطّعْنِ في إسنادِهِ وصِحَّتِهِ، وإنْ لَمْ يتمكنوا واجهوهُ بالتّأويلِ والتّحريفِ في معناهُ وحقيقتهِ؛ لِدَفْعِ مَا قَدْ يَظهرُ لِشِيعَتِهِم مِنَ التّناقُضِ والتَّضادِّ مِمَّا قَدْ يَدْعُوهُمْ إلى إعْمَالِ عُقُولِهِمْ والنّظرِ في حقيقةِ مَذهَبِهِمْ ونِحْلَتِهِمْ، الأمرُ الذي يَفتحُ لَهمْ بابًا للخروجِ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ.

وأذكرُ هنا مَا أوردهُ أحدُ أَئِمَّةِ الرَّفْضِ الغُلاةِ **والذي يُعَدُّ مِنْ كبارِ أهلِ العِلْمِ بالرَّفْضِ والدُّعاةِ إليه** في مسألةِ نفيِ نَسَبِ رُقَيَّةَ وأُمِّ كُلْثُوم ابنتي النَّبِيِّ ﷺ وزوجتَيْ عُثْمانَ، وفي مسألةِ تزويجِ عُمَرَ بنِ الخطّابِ مِنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ

(١) «تبديد الظلام وتنبيه النيام» (ص: ٢٦٨) نقلًا عن أبي القاسم في «الإغاثة في بدع الثلاثة».

(٢) «فروع الكافي» (٥/٣٤٦)، كتاب النكاح، باب تزويج أم كُلْثُومٍ. ونقله إبراهيمُ الجبهانُ عن صاحبِ «الإغاثة في تبديد الظلام» (ص: ٢٧٠ ـ ٢٧١).

عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ؛ لِما في مَقالتهِ مِنْ بيانِ مَنهجِ هؤلاءِ الزّنادِقةِ وأَئِمَّةِ الكُفْرِ والنِّفَاقِ مِنَ الغُلُوِّ والكَذِبِ والتزويرِ في الحقائقِ التاريخيَّةِ وواقعِ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ: فيقولُ الشَّقيُّ **نعمةُ اللهِ بنُ عَبدِ اللهِ الجزائري ت١١١٢هـ**، في كتابهِ الذي سَمّاهُ «**الأنوار النُّعْمَانِيَّة**» وهو في الحقيقةِ «**ظُلماتٌ شيطانيَّةٌ**» يقولُ ـ قَبَّحَهُ اللهُ في مسألةِ تَزوُّجِ عُثْمَانَ رَضِيَلِلَّهُعَنهُ برُقَيَّةَ ومِنْ بعدَها أُمِّ كُلْثُوم رَضِيَلِلَّهُعَنهَا ـ: «**وقَدِ اختلفَ العُلَمَاءُ [يعني: علماءَ الرّافضةِ] لاختلافِ الرّواياتِ في أنّهما هل هما مِنْ بناتِ النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مِنْ خديجةَ، أو أنّهما رَبِيبَتَاهُ مِنْ أحَدِ زَوْجَيْها الأوّلَيْنِ؟**».

ثُمَّ يقولُ مَا نَصُّهُ: «وهذا الاختلافُ لَا أثرَ لهُ؛ لأنَّ عُثْمَانَ في زَمَنِ النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَدْ **كان مِمَّن أظهرَ الإسلامَ وأبطنَ النّفاقَ**، وهو صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَدْ كان مُكَلَّفًا بظواهرِ الأُمُورِ كحالِنا نحن أيضًا، وكان يَميلُ إلى مُواصَلةِ المنافقينَ رجاءَ الإيمانِ الباطنيِّ منهم، مع أنّهُ لَوْ أرادَ الإيمانَ الباطنيَّ لكان أقلَّ القليلِ، **فإنَّ أغلبَ الصَّحَابَةِ كانوا على النّفاقِ**، لكن كانت نَارُ نِفَاقِهِمْ كَامِنةً في زَمَنِهِ، فَلَمّا انتقلَ إلى جوارِ رَبِّهِ بَرزَتْ نَارُ نفاقِهِمْ لِوَصِيِّهِ ورجعوا القهقرى. لذا قال ـ يعني: عَلِيًّا ـ: (**ارتدَّ النَّاسُ كلُّهُمْ بَعْدَ النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ إلَّا أربعةً: سَلمانَ وأبا ذَرٍّ والمِقْدَادَ وعمّارًا**). وهذا مِمَّا لَا إشكالَ فيه».

ثُمَّ يَتعرّضُ هذا **الشَّقيُّ الجزائريُّ** لمسألةِ زواجِ عُمَرَ مِن أُمِّ كُلْثُوم بنتِ عَلِيٍّ ـ رَضِيَلِلَّهُعَنهُمْ ـ فيقولُ: «وإنّما الإشكالُ في تَزويجِ عَلِيٍّ أُمَّ كُلْثُوم لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وقتَ تخلُّفِهِ ـ أي وقت خلافة عمر ـ؛ لأَنّهُ قَدْ ظهرتْ منهُ المناكيرُ، **وارتدَّ عَنِ الدِّينِ ارتدادًا أعظمَ مِنْ كُلِّ مَنِ ارتدَّ**، حتَّى إنّهُ قَدْ وردتْ في رواياتِ الخاصّةِ ـ [يعني بالخاصّةِ: الرَّافِضَةَ، ويعنون بالعامَّةِ: أهلَ السُّنَّةِ] ـ أنَّ الشَّيْطَانَ يُغَلُّ بسبعينَ غِلًّا مِنْ حديدِ جهنّمَ ويُساقُ إلى المَحْشَرِ، فينظرُ ويَرى رَجُلًا أمامهَ تَقودُهُ مَلائكةُ العذابِ وفي عُنقِهِ مائةٌ وعشرون غِلًّا».

ثُمَّ يقولُ قَبَّحَهُ اللهُ: «فإذا ارتدَّ على هذا النَّحوِ مِنَ الارتدادِ؛ **فكيف**

ساغَ في الشَّريعةِ مُناكَحتُهُ وقَدْ حَرّمَ اللهُ تَعَالَى نِكَاحَ أهلِ الكُفْرِ والارتِدادِ، واتّفقَ عليهِ عُلَماءُ الخاصّةِ؟». ثُمَّ يُجيبُ المُجْرِمُ الكَذَّابُ عَن هذا الإشكالِ الذي أوردَه بجوابينِ:

ـ **الجوابُ الأوّلُ:** وهو مَشهورٌ عِنْدَ أهلِ الرَّفْضِ عَامَّـةً، وهو ما عبَّرَ عنهُ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ كما زَعَموا بأنّهُ «**أَوّلُ فَرْجٍ غُصِبْنَاهُ**»، ثُمَّ يُوردُ عليهِ شُبهةً أُخْرَى كونَ عُمَرُ زَانِيًا، ثُمَّ يَردُّهُ؛ لأنّهُ لَا يُقْبَلُ ـ ليس مُراعاةً لمقامِ عُمَرَ طَبعًا، بلْ مراعاةً لأُمِّ كُلْثُومٍ ـ لأنّهُ دخولٌ تَرتّبَ على عَقْدٍ بإِذْنِ الوَلِيِّ الشَّرعِيِّ [عَلِيٍّ]، ثُمَّ يَستدرِكُ على نفسِهِ فيقولُ: «وأمَّا في الواقعِ وفي نفسِ الأمرِ؛ **فعليهِ عَذَابُ الزِّنَى**، بلْ عَذابُ كُلِّ أهلِ المساوئِ والقبائحِ».

ـ **الجوابُ الثاني** ـ وهو الذي يرويهِ ويَقبلُهُ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ ـ فيقولُ مَا نَصُّهُ: «وأمَّا الثاني وهو الوجهُ الخاصُّ». ثُمَّ روى إسنادَهُ ـ إجازةً عَنْ شَيْخِهِمْ مُحَمَّدِ بنِ النُّعْمَانِ المُفيدِ وهو مِنْ أَئِمَّةِ أهلِ الرَّفْضِ المشهورين وطَواغيتِهِمْ ـ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ الذي يقولُ فيما زَعَمَهُ هؤلاءِ: «إنَّ النَّاسَ يَحتجُّون عَلينا أنَّ أميرَ المؤمِنينَ زَوّجَ فُلانًا ابنتَهُ أُمَّ كُلْثُوم. وكان مُتّكِئًا فجلسَ وقال: أتقبلونَ أنَّ عَلِيًّا أنكحَ فلانًا ابنتَهُ؟ إنَّ قومًا يَزْعُمُونَ ذلك، مَا يهتدون إلى سواءِ السبيلِ ولَا الرّشادِ» [إلى أنْ يَقولَ]: «فَلَمّا رأى أميرُ المؤمِنينَ مَشقّةَ كلامِ الرجلِ على العبّاسِ، وأنّهُ سيفعلُ معهُ مَا قال، **أرسلَ إلى جِنّيّةٍ مِنْ أهلِ نجرانَ يَهوديَّةٍ يُقَالُ لها: سحيفةُ بنتُ حريرية فأمرَها، فتمثّلتْ في مِثَالِ أُمِّ كُلْثُوم، وحجبَتِ الأبصارَ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِهَا، وبَعَثَ بِهَا إلى الرّجُلِ [أي: عُمَرَ] فلمْ تَزَلْ عِنْدَهُ**»[(١)].

وقَدْ أَوْرَدْتُ نَصَّ كَلامِهِ؛ لبيانِ بعضِ مَا في مَناهجِ هؤلاءِ مِنَ الكَذِبِ والغُلُوِّ في الأئِمَّةِ والطَّعْنِ في سَلَفِ هذه الأُمَّـةِ.

---

(١) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة في معرفة النشأة الإنسانية» (١/ ٨٠ ـ ٨٤).

والطّريفُ في أمرِهِمْ في هذه المسألةِ أنَّ الرّوايتيْنِ المتناقضتيْنِ في مسألةِ زواجِ أُمِّ كُلْثُوم وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تُنسبَانِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَحِمَهُ اللهُ، ولكن وكما سبقَ القولُ إنّهم أُمَّةٌ لَا يعرفون للحياءِ مَعنًى. فيقولُ هذا **الجزائريُّ** في هذا الصّدَدِ: «وعلى هذا فحديثُ **أوّلُ فَرْجٍ غُصِبْنَاهُ** مَحمولٌ على التَّقِيَّةِ والاتّقَاءِ مِنْ عَوامِّ الشِّيعَةِ كما لَا يَخفَى».

هكذا لَا تُعييهُمُ النُّصوصُ والأخبارُ مهما تعارضتْ وتناقضتْ؛ لأنّهم قَدْ وَضَعوا لأنفسِهِمْ خُطوطَ رَجْعةٍ لَا تُعَدُّ ولَا تُحصَى، ومنها **التَّقِيَّةُ** التي يَفزعونَ إليها وَقْتَ الحاجةِ، لِتُنقِذَهُمْ مِنْ كُلِّ وَرْطَةٍ مع جماهيرِهِمُ الغوغائيَّةِ مِنَ الهمجِ والرّعاعِ الذين يُصدّقُونَهُمْ ويُتَابِعُونَهُمْ بِلَا إِعمالِ عَقْلٍ ولَا فَهْمٍ لما يُرَادُ بِهِمْ مِنَ الشَّرِّ والفسادِ.



الباب الثاني

التَّصَوُّفُ

وفيه فَصْلانِ:

❑ الفصل الأول: معاني التَّصَوُّفِ.

❑ الفصل الثاني: تاريخُ التَّصَوُّفِ.

الفصل الأول

معاني التَّصَوُّفِ

وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

- المبحث الأوّلُ: التَّصَوُّفُ في اللُّغَةِ والاصطلاحِ.
- المبحث الثاني: أصلُ كلمةِ التَّصَوُّفِ واشتِقاقهِ.
- المبحث الثالث: تعريفُ التَّصَوُّفِ.

المبحثُ الأولُ

التَّصَوُّفُ في اللُّغَةِ والاصطلاحِ

• قال الخليلُ بنُ أحمدَ: «**الصُّوفُ** لِلضَّأْنِ وشبهِهِ، وزَغَبَاتُ القَفَا تُسَمّى صُوفَةَ القَفَا. **والصُّوفَانَةُ**: بَقْلَةٌ زَغْبَاءُ قَصيرةٌ. **وصُوفَةُ**: اسمُ حَيٍّ مِنْ تَميمٍ، وآلُ صوفان: الذين كانوا يُجيزُونَ الحُجَّاجَ مِنْ عَرفاتٍ»[(١)].

• وقال ابنُ دُرَيْدٍ: «**الصُّوفُ** مَعروفٌ؛ يُقَالُ: أخذَ بصُوفةِ قَفَاهُ إذا أخذَ بالشّعرِ السّائلِ في نُقْرَتِهِ. **وصُوفةُ**: قومٌ كانوا في الجاهليَّةِ يَخدمونَ الكَعْبَةَ ويُجيزونَ الحَاجَّ[(٢)]».

• قال ابن فارس: «وحُكِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ؛ أَنَّهُمْ أَفْنَاءُ القَبَائِلِ تَجمّعوا فتشَبَّكوا كما يَتشبَّكُ الصُّوفُ»[(٣)].

هذه دَلَالاتُ واستعمالاتُ هذه الكَلِمَةِ في مَعاجمِ اللُّغَةِ العَربيَّةِ.

وقَدِ استعملَ **المُتَصَوِّفَةُ** جميعَ هذه المعاني والدَّلَالاتِ عِنْدَ بَيانِ اشتقاقِ التَّصَوُّفِ وسَببِ إطلاقِ هذا الاسم عَليهِم كما سيتَبيّنُ تفصيلُ ذلك.

وقَدْ أغفلَ جميعُ **المُتَصَوِّفَةِ** دَلَالةً واحدةً مِنْ دَلَالاتِ هذه الكَلِمةِ؛ فكَلِمةُ **صُوفٍ** تُطْلَقُ في بعضِ دَلالتِها بِمعنَى: **المَيْلِ والعَدْلِ**، يُقَالُ: «**صَافَ السَّهْمُ عَنِ الهدفِ**»؛ أيْ: مالَ عنهُ. ويُقَالُ: «**صَافَ عَنِ الشَّرِّ**» إذا عَدَلَ عنهُ. **والذي يَظهرُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّهُمْ لَمْ يذكروا هذا المَعنَى وهذه الدَّلَالةَ؛ سِتْرًا لِتَصَوُّفِهِمْ وما فيه مِنْ مَيْلٍ وعَدْلٍ عَنِ الدِّينِ الحَقِّ وشَرائعِ الإسلامِ.**

(١) «كتاب العين» (٧/ ١٦١ ـ ١٦٢).
(٢) «جمهرة اللغة» (٣/ ٨٣).
(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٣٢٢)، بنحوِ هذه الأقوالِ قال الأزْهَرِيُّ في «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٤٧)، والجوهريُّ في «الصحاح» (٤/ ١٣٨٨ ـ ١٣٨٩)، والفيروزآبادي في «القاموس» (٣/ ١٦٩).

المبحثُ الثاني

أصلُ كَلِمَةِ التَّصوُّفِ واشتقَاقِهِ

▪ يقولُ الدكتورُ **عبدُ الحليمِ محمود إمامُ المُتَصَوِّفَةِ الأكبرُ في هذا العصرِ** فيما ينقلُهُ بالمَعنَى عَنْ بَعضِ الصُّوفِيَّةِ: «إنَّ طَائفةَ الصُّوفيَّةِ لَوْ تَنزَّهتْ عَنِ الفَرْدِيَّةِ والشَّخصيَّةِ؛ لَنَزَّهَهُمُ اللهُ عَنِ التّسميَةِ تَنزيهًا مُطْلقًا. ولكنْ لمّا شَابَتِ الفرديَّةُ أعمالَ بعضِهِمْ؛ وُضِعَ لَهُمْ اسمٌ، واندرجوا تحتَ عنوانِ الصُّوفيَّةِ». ثُمَّ يقولُ: «وسُئِلَ الشِّبْليُّ [وهو كَبيرُهُمْ مِنَ المتقدِّمينَ][1] ـ: لِمَ سُمِّيَتِ الصُّوفيَّةُ بهذا الاسمِ؟ فقال: هذا الاسمُ الذي أُطْلِقَ عَليهِم؛ اخْتُلِفَ في أَصلِهِ وفي مَصدَرِ اشتقَاقِهِ». ثُمَّ يُعَقِّبُ الدكتورُ فيقولُ: «**ولَمْ يَنتَهِ الرّأيُ فيه إلى نَتيجةٍ حاسمةٍ بَعْدُ**»[2].

يُريدُ المُتَصَوِّفَةُ المتقدّمون منهم والمتأخّرونَ عَدَمَ إخضاعِ التَّصَوُّفِ ـ كُلِّهِ سواءً اسمه وما اشْتُقَّ منهُ أم علومه وفنونه ـ إلى القواعدِ المصطَلَحِ عليها عِنْدَ أهلِ العِلْمِ في تعريفِ العُلومِ والفُنونِ أَوِ القواعدِ الشَّرعِيَّةِ في الحُكْمِ على مَا تَتضمَّنُهُ تلك العلومُ والفنونُ. فقد قَرّرَ الشِّبْليُّ أنَّ الاسمَ مَحَلُّ اختلافٍ في أَصلِهِ وفي مَصدرِ اشتقاقِهِ؛ فتتابعَ عُلَماءُ التَّصَوُّفِ بَعْدَهُ يُؤكِّدونَ هذا الاختلافَ غيرَ عَابِئينَ بأبسطِ قَواعدِ اللُّغَةِ العربيَّةِ في التَّصريفِ والاشتقاقِ، ولَا يزالون حتَّى يومِنا مُختلفينَ. وفي الحقيقةِ إنَّهُمْ يُريدون هذا الاختلافَ ويقصدونَهُ؛ تَسويغًا لِبِدْعَتِهِم ومُنكَرَاتِهِمْ.

---

(١) أبو بكر الشِّبْليُّ البغداديُّ، اسمُهُ: دُلْفُ بنُ جَحْدر. وقيل: جَعفر بن يُونُس. وقيل: جعفرُ بنُ دُلْف. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٦٧).

(٢) انظر: المجموعة الكاملة لعبدِ الحَليمِ محمود، «أبحاث في التَّصَوُّفِ» (ص: ١٥٣).

وهذا **الدكتورُ** يُقَرِّرُ ـ مُتأَلِّمًا ـ أنَّهُمْ اندرجوا تحتَ اسمِ التَّصَوُّفِ كعقوبةٍ على ذَنبٍ ارتكبوهُ أَوِ ارتكبَهُ بَعضُهُمْ، ولكنَّ العِقَابَ قَدْ عَمَّهُمْ جَميعًا. ولَا أدري كَيف يُنَزِّهُهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنِ التّسميَةِ وقَدْ سَمَّى ﷻ مَنِ اصطفاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ وطَهّرَهُمْ وزَكَّاهُمْ بالرُّسُلِ والأنبياءِ، وسَمَّى مَنِ اصطفاهُمْ لطاعتِهِ وعَصَمَهُمْ عَنْ مَعصيتِهِ بالملائكةِ؟

■ وهذا **أبو نصرٍ السّرّاجُ الطُّوسِيُّ ت٣٧٨هـ** وهو أقدمُ مُؤرّخٍ للتَّصَوُّفِ؛ بَوّبَ في كتابِهِ «**اللُّمَعِ**» الذي يُعتَبرُ أقدمَ مَرجعٍ للتَّصَوُّفِ بابًا بعنوانِ الكشف عَنِ اسمِ الصُّوفيَّةِ ولِمَ سُمُّوا بهذا الاسمِ. ثُمَّ يقولُ: «إنْ سأَلَ سائلٌ فقال: قَدْ نَسَبْتَ أصحابَ الحديثِ إلى الحديثِ، ونسبتَ الفقهاءَ إلى الفِقْهِ؛ فلِمَ قُلْتَ: «الصُّوفيَّة» ولَمْ تَنسبْهُمْ إلى حالٍ ولَا إلى عِلْمٍ؟ فيقالُ لهُ: لأنَّ الصُّوفيَّةَ لَمْ يَنفردوا بِنَوعٍ مِنَ العِلْمِ دونَ نَوعٍ، ولَمْ يترَسَّموا برسمٍ مِنَ الأحوالِ والمقاماتِ دونَ رَسْمٍ؛ وذلكَ لأنّهم مَعْدِنُ جَميعِ العُلوم، ومَحَلُّ جميعِ الأحوالِ المحمودةِ، والأخلاقِ الشّريفةِ سَالفًا ومُستأنفًا، وهُمْ مع اللهِ تَعَالَى في الانتقالِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ مُستجلبينَ للزّيادةِ، فَلَمّا كانوا في الحقيقةِ كذلك؛ لَمْ يكونوا مُستحقّينَ اسمًا دونَ اسمٍ.. فَلَمّا لَمْ يَكُنْ ذلك؛ نَسَبْتُهُمْ إلى ظاهرِ اللّبسةِ؛ لأنَّ لُبْسةَ الصُّوفِ دَأْبُ الأنبياءِ عليهم السلام، وشِعارُ الأولياءِ والأصفياءِ»[1].

فالسّرّاجُ الصُّوفِيُّ يَنُصُّ على أنَّ اسمَ الصُّوفيَّةِ مُشْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ، ويُعَلِّلُ ذلك بأنّهم لَمْ يَنفردوا بنوعٍ مِنَ العِلْمِ، بلْ هُمْ مَعْدِنُ جميعِ العُلومِ. هكذا يَزْعُمُ هذا الصُّوفِيُّ، وقَدْ عَلِمَ المُسلِمونَ ـ قديمًا وحديثًا ـ أنَّ الصُّوفيَّةَ لَمْ يَتْرُكُوا تُرَاثًا عِلْمِيًّا، سِوَى تلك الكُتُبِ والأوراقِ التي مَلؤُوها بالظُّلماتِ والخيالاتِ الفاسدةِ، التي كانت ولَا تَزالُ سَببًا في صَدِّ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى، وصَرفِهِمْ عَنِ المنهجِ الحَقِّ.

(١) «اللُّمَع» للطوسي (ص: ٤٠).

▪ ثُمَّ جاءَ (**أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ الكلاباذيُّ ت٣٨٠هـ**) وجعلَ البابَ الأوّلَ في كتابِهِ «**التَّعَرُّف**» في (سَببِ تَسْمِيَةِ الصُّوفيَّةِ صُوفِيَّة)، فذكرَ أنَّ هذا الاسمَ مُشْتَقٌّ عِنْدَ طائفةٍ مِنَ (**الصَّفَاءِ**)، وعندَ آخرينَ مِنَ (**الصَّفِّ الأوّلِ**)، وأنّهُ مُشْتَقٌّ عِنْدَ قوم مِنَ (**الصُّفَّةِ**) التي بُنِيَتْ في مُؤخِّرَةِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وعندَ آخرينَ مِنَ (**الصُّوفِ المعروفِ**). ثُمَّ أخذَ يُوجِّهُ هذه الأقوالَ بأنَّ مَنْ نَسَبَهُمْ إلى الصُّوفِ والصُّفَّةِ؛ فإنَّهُ عَبَّرَ عَنْ ظَاهرِ أحوالِهِمْ، (**فالصُّوفُ**): قَدِ اتخذوه اختيارًا منهم لِلْغَليظِ والخَشِنِ ولأنّهم لَا يَلْبَسونَ لِحُظُوظِ النّفْسِ مِمَّا لَانَ حِسُّهُ وحَسُنَ مَنظرُهُ، ولأنَّ الصُّوفَ لِباسُ الأنبياءِ وزِيُّ الأولياءِ بزَعْمِهِ. وأمَّا (**الصُّفَّةُ**): فلِقُرْبِ أوصافِهِمْ مِنْ أوصافِ أهلِ الصُّفَّةِ، مِنْ لباسٍ وخُروجٍ عَنِ الدّيارِ والأموالِ. ثُمَّ يقولُ: «وأمَّا مَنْ نَسَبَهُمْ إلى (**الصَّفَاءِ**) و(**الصَّفِّ الأوّلِ**) فإنَّهُ عَبَّرَ عَنْ أَسرارِهِم وبَواطِنِهِمْ وأنَّ مَنْ صَفَا سِرُّهُ وطَهُرَ قَلْبُهُ فهو في الصَّفِّ الأوّلِ مع السابقينَ».

ثُمَّ إنَّهُ يُصَحِّحُ جميعَ هذه النِّسَبِ والمعاني؛ لأنَّ جميعَ هذه الأوصافِ مَوجودةٌ في القَومِ كما يَزْعُمُ، وأنَّ هذه الألفاظَ وإنْ كانت مُتغيّرةً في الظَّاهِرِ فإنها مُتّفِقَةٌ في المعاني. ثُمَّ كأنّهُ يُرَجِّحُ النِّسْبَةَ إلى الصُّوفِ المعروفِ بقولِهِ: «وإنْ جعلَ مَأْخَذَهُ مِنَ الصُّوفِ استقامَ اللَّفظُ وصَحَّتِ العبارةُ مِنْ حيثُ اللُّغَةُ»[(١)].

▪ ثُمَّ جاءَ (**أبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ ت٤٣٠هـ**)؛ وأَلَّفَ للصُّوفيَّةِ كتابًا كبيرًا هو «**حِليةُ الأولياءِ وطبقاتُ الأصفياء**» جمعَ فيه الكثيرَ مِنْ خَيالاتِهِمْ وأقوالِهِمُ الفاسدةِ التي يَسوقُها على أنَّها حِكَمٌ وأَمثالٌ، بلْ على أنَّها أُصُولُ الدِّينِ والإيمانِ، كما شَحَنَ كتابَهُ بالكثيرِ مِنْ شَطَحَاتِهِمْ وأَفعالِهِمُ المُنْكرةِ المخالفةِ لصريحِ شَرائعِ الإسلامِ وعَقَائِدِهِ. **ورَحِمَ اللهُ الإمامَ ابنَ الجَوْزِيِّ** حيثُ يقولُ

---

(١) انظر: «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٢٨ ـ ٣٤).

عَنْ أبي نُعَيْم: «**وذكرَ في حُدودِ التَّصَوُّفِ أشياءَ مُنكرةً قَبيحةً، ولَمْ يَسْتَحِ أنْ يَذكُرَ في الصُّوفيَّةِ أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِيًّا وساداتِ الصَّحَابَةِ**»[(١)].

يقولُ أبو نُعَيْم: «فأمَّا (**التَّصَوُّفُ**): فاشتقاقُهُ عِنْدَ أهلِ الإشاراتِ والمُنْبِئِينَ عنهُ بالعباراتِ مِنَ (**الصَّفاءِ والوَفَاءِ**). واشتقاقُهُ مِنْ حيثُ الحقائقُ التي أوجبتِ اللُّغةُ؛ فإنَّهُ تَفعَّلَ مِنْ أَحَدِ أربعةِ أشياءَ». ثُمَّ ذكرَ أنَّها مِنَ (**الصُّوفانةِ**)، أو مِنْ (**صُوفَةٍ**) القَبيلةِ الجاهليَّةِ، أو مِنْ (**صُوفَةِ القَفَا**)، أو مِنَ (**الصُّوفِ**) المعروفِ على ظُهورِ الضَّأْنِ. ثُمَّ أخذَ يُعَلِّلُ معانيَ هذه الاشتقاقاتِ بفلسفةٍ صُوفِيَّةٍ بَاردةٍ، ويذكرُ لكلٍّ منها أحاديثَ وأخبارًا باطلةً؛ ترويجًا للتَّصَوُّفِ وبِدَعِهِ الكثيرةِ.

▪ وأمَّا إمامُهُمْ **عَبْدُ الكَريمِ القُشَيْرِيُّ (ت٤٦٥هـ)**؛ فقَدْ أدركَ ضَعْفَ هذه الاشتقاقاتِ والمعاني، فكتبَ في «**رسالتِهِ**» يقولُ: «وليس يَشهدُ لهذا الاسمِ مِنْ حيثُ العربيَّةُ قياسٌ ولَا اشتقاقٌ، والأظهرُ فيه أنَّهُ كاللَّقَبِ. فأمَّا قولُ مَنْ قال: إنَّهُ مِنَ الصُّوفِ ولهذا يُقَالُ: (**تَصَوَّفَ**) إذا لبسَ الصُّوفَ. كما يُقَالُ: (تَقَمَّصَ) إذا لبسَ القميصَ فذلك وَجْهٌ. ولكنَّ القومَ لَمْ يَختصُّوا بلبسِ الصُّوفِ». ثُمَّ رَدَّ الأقوالَ الأُخْرَى التي تَنْسِبُ التَّصَوُّفَ إلى (**صُفَّةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**) أَوِ (**الصَّفَاءِ**) أَوِ (**الصَّفِّ الأوّلِ**). ثُمَّ يقولُ: «إنَّ هذه الطائفةَ أَشهرُ مِنْ أنْ يُحتاجَ في تَعيينِهِمْ إلى قياسِ لفظٍ واستحقاقِ اشتقاقٍ»[(٢)].

لقَدْ أدركَ **القُشَيْرِيُّ** عَدَمَ استقامةِ الاشتقاقِ مِمَّا زَعَمَهُ مَنْ سَبقَهُ مِنْ عُلَماءِ التَّصَوُّفِ كما أدركَ صِدْقَ نسبتِهِمْ إلى الصُّوفِ، ولكنّهُ حَادَ عَنْ تَرجيحِهِ لمّا عَلِمَ أنَّ (**الصُّوفَ**) ليسَ فيه مزيَّةٌ ولَا فضيلةٌ، ثُمَّ رَجَّحَ أنَّ **التَّصَوُّفَ** لَقَبٌ خَاصٌّ غيرُ مُشْتَقٍّ، وأنَّ **الصُّوفيَّةَ** أشهرُ مِنْ أنْ يُبْحَثَ لَهمْ عَنْ أصلٍ في الاشتقاقِ. إلى غيرِ ذلك مِنْ هُراءِ المُتَصَوِّفَةِ المُنحرفةِ ومُحاولاتِهِمُ

(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٤).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١).

اليَائسةِ لِسَتْرِ الباطلِ وتزيينهِ. **والقُشَيْرِيُّ** قَدْ مَلَأَ «**رِسالتَهُ**» بعجائبِ الكلامِ والنَّقْلِ والرّواياتِ في مَسائلِ الفَنَاءِ والبَقَاءِ، والغَيْبَةِ والحُضُورِ، والصَّحوِ والسُّكْرِ إلى غيرِ ذلك مِنْ مَسائلِ الصُّوفيَّةِ ومَقاماتِهِمُ الزّائفةِ، ومَقَالاتِهِمُ المُنحرفةِ.

▪ وجاءَ **عمرُ بنُ مُحَمَّدٍ السّهرورديُّ (ت٦٣٢هـ)** فعقدَ بابًا في كتابهِ «**العوارف**» في سَببِ تَسْمِيَةِ الصُّوفيَّةِ بهذا الاسمِ، وذكرَ أَنَّهُمْ نُسِبُوا إلى **الصَّفِّ الأوّلِ** لإقبالِهِمْ على اللهِ أو أنَّهُمْ كانوا يُسَمَّوْنَ صَفَوِيَّةً مِنَ **الصَّفَاءِ** ثُمَّ قُلِبَتْ صُوفِيَّةً لاستثقَالِها، أو نسبةً إلى **صُفَّةِ المسجدِ** فإنَّهُ صحيحٌ مِنْ حيثُ المَعنَى، على الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ استقامتهِ مِنْ حيثُ الاشتقاقُ اللُّغَويُّ لمُشَاكَلَةِ حالِ الصُّوفيَّةِ كما يَزْعُمُ بحالِ الصَّحَابَةِ ﵃، لاجتماعِهِمْ في المسجدِ كاجتماعِ الصُّوفيَّةِ في الزّوايا والرّبطِ وعَدَمِ رُجُوعِهِمْ إلى زَرْعٍ أو ضَرْعٍ أو تجارةٍ، وكان الرَّسُولُ ﷺ يُواسيهم ويُجالِسُهُمْ ويُؤاكلِهُمْ لأنّهُ ﷺ قَدْ عُوتِبَ فيهم بِقُرآنٍ يُتْلَى.

وذكرَ أيضًا نِسبتَهُمْ إلى **الصُّوفِ** وقال: «وهذا الاختيارُ يُلائِمُ ويُنَاسِبُ مِنْ حيثُ الاشتقاقُ»[(١)]، وأنَّهُمُ اختاروا هذه اللُّبْسَةَ لأنّها لباسُ الأنبياءِ والصَّحَابَةِ، ولأنّهُ أَلْيَقُ وأقْرَبُ إلى التَّوَاضُعِ، وأنَّهُمْ إنَّمَا نُسِبُوا إلى ظَاهرِ اللُّبْسَةِ لِتَقَلُّبِهِمْ في الأحوالِ ودَوامِ ارتقائِهِمْ إلى العُلُوِّ. وحيثُ إنَّ بَواطِنَهُمْ مَعْدِنُ الحقائقِ ومجمعُ العُلومِ؛ فإنَّهُ لَا يُقيّدُهُمْ وَصْفٌ ولَا يَحبسُهُمْ نَعْتٌ. إلى غيرِ ذلك مِنَ الباطلِ المُزخرفِ الذي شَابَهَ بهِ قولَ السّرّاجِ **الطُّوسِيِّ** في «**اللُّمَعِ**» كما تقدم ذِكْرُهُ وبيانُهُ[(٢)].

▪ ثُمَّ جاءَ **ابنُ خلدون (ت٨٠٨هـ)** وتَكَلّمَ في هذه المسألةِ ولكنّهُ

---

(١) انظر: «عوارف المعارف» (ص: ٦٠ ـ ٦٥).
(٢) راجع هنا (ص: ١٣٠).

اختلفَ قَوْلُهُ فيها وتناقضَ، ففي «**مُقدِّمَتِهِ**»(١) يَذكُرُ مَقالةَ **القُشَيْرِيِّ** الذي يُرجِّحُ عَدَمَ الاشتقاقِ وأنّهُ كاللَّقَبِ، ثُمَّ يَرُدُّ عليهِ ويُرجِّحُ اشتقاقَ الاسم مِنَ **الصُّوفِ**، ويَزِيدُ في رَدِّهِ على زَعْمِهِ بأنَّ الصُّوفيَّةَ لَمْ يختصُّوا بلبسِ الصُّوفِ بقولِهِ: «وهُمْ في الغالبِ مُختصّونَ بلبسهِ».

ونَجِدُهُ في «**شِفاءِ السّائلِ**»(٢) يُرجِّحُ أنَّ اسمَ التَّصوُّفِ لَقَبٌ لَهمْ وعَلَمٌ خاصٌّ بِهِمْ. ثُمَّ يقولُ: «وقَدْ تَكَلَّفَ بعضُهُمْ فيه الاشتقاقَ ولَمْ يُساعِدْهُمُ القياسُ». ثُمَّ ذكرَ اشتقاقَهُ مِنَ **الصُّوفِ** ورَدَّهُ بأنَّ القومَ لَمْ يَختصُّوا في تَصوُّفِهِمْ بلباسٍ دونَ لباسٍ، ثُمَّ ذكرَ **الصُّفَّةَ** و**الصَّفَاءَ** وردَّهُما مِنْ حيثُ المَعنَى وقياسُ اللُّغَةِ، ثُمَّ يقولُ: «فلَمْ يَبْقَ إلَّا أنّهُ لَقَبٌ وُضِعَ لهذه الطائفةِ عَلَمًا يَتميّزونَ بهِ، ثُمَّ تَصرَّفوا في ذلك اللَّقَبِ بالاشتقاقِ منهُ فقيلَ: **متصوف وصُوفِيٌّ**، والطريقةُ: **تَصَوُّفٌ**، والجماعةُ: **مُتَصَوِّفونَ وصُوفِيُّونَ**».

فهو يَرفضُ اختيارَ **القُشَيْرِيِّ** ويَرُدُّ عليهِ في «**المُقدّمةِ**» وأمَّا في «**الشِّفاءِ**» يُوافقُهُ ويُؤيِّدُهُ.

هذه هي مَقالاتُ المتقدِّمينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ، وأمَّا المعاصرونَ:

■ فيرى **الدكتورُ عبدُ الحَليم محمود** أنَّ اختلافَ المذاهبِ في أَصلِ **التَّصَوُّفِ** مِنْ تَوفيقِ اللهِ لهذه النِّحْلَةِ؛ حيثُ إنَّ هذا الاختلافَ أَدَّى إلى بيانِ ومَعرفةِ الكثيرِ مِنْ مَعاني ومَظاهرِ التَّصوُّفِ. ويَرى أيضًا أنَّ كُلَّ ما قِيلَ في أَصلِ التَّصَوُّفِ واشتقاقِهِ؛ يَدُلُّ على مَعانٍ وثيقَةِ الصِّلَةِ بِهِ كـ: **الصَّفَاءِ والصَّفِّ الأوّلِ وصُفَّةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ والصِّفَةِ الجميلةِ** وحتَّى **سوفيا اليونانية** التي تَدُلُّ على مَعرفةِ الغَيْبِ بِزَعْمِهِ، مع أنّهُ يُرجِّحُ نسبتَها إلى الصُّوفِ، وأنّها كَلِمةٌ مُوفّقةٌ كُلَّ التّوفيقِ(٣).

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» (٢/ ٥٨٤). (٢) «شفاء السائل» (ص: ١٥ ـ ١٨).

(٣) «أبحاث في التَّصوُّفِ» ضمن المجموعة الكاملة لمُؤلَّفات عبدِ الحَليمِ محمود (ص: ١٥٧ ـ ١٥٩).

▪ ويقولُ **الدكتورُ زكي مُبارك** عَنِ اشتقاقِ كَلِمَةِ **تَصَوُّفٍ** أنَّها تَحتملُ أربعةَ فُروضٍ:

ـ **الأوّلُ**: أنْ يكونَ مَنسوبًا إلى **صُوفَةِ الجاهليِّ**، ويَزْعُمُ أنَّ التَّصَوُّفَ والتَّنَسُّكَ كان مَعْروفًا في الجاهليَّةِ باسمهِ ورَسْمِهِ ثُمَّ كانت لهُ رَجْعةٌ في الإسْلامِ، وأنَّ هذا قَدْ حصلَ في كَثيرٍ مِنَ الآراءِ الأدبيَّةِ والدِّينيَّةِ والاجتماعيَّةِ.

ـ **الثاني**: أنْ يكونَ مَنسوبًا إلى **الصُّوفِ**، وهو أَصَحُّ الفُروضِ عِنْدَهُ بَعْدَ التَّعَقُّبِ والدِّراسةِ. وقَدْ أَتعَبَ نَفسَهُ مُحاولًا استقصاءَ جميع الآثَارِ والرِّواياتِ التي وَردتْ فيها كَلِمَةُ الصُّوفِ، فجمعَ مَقالاتِ النَّصارَى، وما نُقِلَ عَنْ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ﷺ، وعَنْ غيرِهِ مِنْ رُهْبَانِ النَّصارَى، ثُمَّ مَقالاتِ أهلِ الجاهليَّةِ، ثُمَّ مَا نقَلَهُ عَنِ المتقدِّمينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ في الرّواياتِ المَكْذُوبةِ والضّعيفةِ في فضائلِ لُبْسِ الصُّوفِ وانتشارِهِ مِمَّا يُسْنَدُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ كروايةِ: «**البسوا الصُّوفَ وشمّروا، وكُلوا في أنصافِ البُطونِ؛ تدخلوا في ملكوتِ السّماءِ**»(١)(٢)، وغيرِ ذلك مِمَّا أَسندُوهُ إلى الصَّحابةِ والتَّابعينَ مِنَ الكَذِبِ الواضحِ تَزْيينًا منهم لهذه البدعةِ.

ـ **الثالثُ**: أنْ يكونَ مَنسوبًا إلى **الصَّفَاءِ**، ورَدَّهُ؛ لأنّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ النَّصارَى وأهلِ الجاهليَّةِ مَا يُؤيِّدُ هذا المَعنَى وهذا القولَ.

ـ **الرابعُ**: أنْ يَكونَ مَنسوبًا إلى **سوفيا اليونانية**، وَرَدَّ هذا الفرضَ بفلسفةٍ صُوفِيَّةٍ؛ حيثُ يَفترِضُ أنَّ كَلِمةَ **سوفيا اليونانية** قَدْ رَحَلَتْ إلى مَعابدِ

---

(١) «قوت القُلوب». الفصل التاسع والثلاثون. في ذِكْرِ رياضة المُريدينَ في المأكولِ وفضلِ الجوعِ (٢/١٦٧).

(٢) **ضعيفٌ**: ذكرَ أبو طَالِبٍ أنَّ الحديثَ مِنْ روايةِ الحَسَنِ عن أبِي هُرَيْرَةَ يَرفعُهُ. وقد ذكرَهُ الغزاليُّ في «الإحياءِ»، وقال العراقيُّ في (تخريج الإحياء ٣/٧٩): «رواه أبو مَنصورٍ الدّيْلَمِيُّ في (مُسندِ الفِرْدوسِ) بسندٍ ضعيفٍ».اهـ.

اليونانِ عَنْ كَلِمَةِ **صُوفٍ** العربيَّةِ الأصلِ؛ لأنَّ التَّصَوُّفَ قديمٌ جدًّا عِنْدَ العَرَبِ.

ثُمَّ ذكرَ بَقِيَّةَ الفُروضِ التي تَنْسِبُ التَّصَوُّفَ إلى **الصَّفِّ الأوّلِ وصُفَّةِ المسجدِ والصِّفَةِ الجميلةِ** ورَدَّها بقولِهِ: «إنّها فروضٌ لَا تَقْوَى على احتمالِ البحثِ، وأنّها لَمْ تُعْرَفْ إلَّا بَعْدَ الصَّدْرِ الأوّلِ حين استقلَّ الصُّوفيَّةُ نسبتَهُمْ إلى الصُّوفِ»[1]. ويَعنِي بالصّدرِ الأوّلِ: صَدْرَ الصُّوفيَّةِ.

ويُقَرِّرُ حقيقةً تُسوِّغُ مَدَى إطالتهِ في استقصاءِ كَلِمَاتِ المدحِ والثناءِ على مادَّةِ الصُّوفِ واتخاذِ الصُّوفِ؛ لأنّهُ قَدِ اتّضَحَ لهُ عَدَمُ مَحبّةِ المُتَصَوِّفَةِ نسبتَهُمْ إلى الصُّوفِ.

▪ وأمَّا المُتَصَوِّفُ **عبدُ القَادِرِ أحمد عطا**؛ فإنَّهُ يَرفُضُ نِسْبةَ التَّصَوُّفِ إلى الصُّوفِ ويَرُدُّهُ، ثُمَّ يُرَجِّحُ انتسابَ التَّصَوُّفِ إمَّا إلى **الصُّوفَةِ**؛ أَيْ: الخِرْقَةِ الملْقَاةِ؛ فالصُّوفِيُّ كالخِرْقَةِ الملقاةِ لَا تَدبيرَ لهُ مع اللهِ. وإمّا إلى **صُفَّةِ المسجدِ**؛ للتّشابُهِ بَيْنَ المُتَصوِّفَةِ وبَيْنَ أهلِ الصُّفَّةِ في الطّبائعِ والوظائفِ بِزَعْمِهِ[2].

يَتحصّلُ مِنْ مجموعِ مَقالاتِ هؤلاءِ المُتَصَوِّفَةِ وغيرِهِمْ في التَّصَوُّفِ الآتي:

ـ أنَّ التَّصَوُّفَ مُشْتَقٌّ مِنَ **الصَّفَاءِ والوفاءِ والصَّفْوَةِ**؛ لأنّهم صَفوةُ الخَلْقِ، وأَصْفَاهُمْ قُلُوبًا وسَرَائرَ.

ـ أو أنّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ **الصَّفِّ** بفتحِ الصّادِ أوِ **الصُّفَّةِ** بضَمِّها أوِ **الصِّفَةِ** بكسرِها.

ـ أو مُشْتَقٌّ مِنَ **الصُّوفِ** المعروفِ.

---

(١) «التَّصَوُّف الإسلاميّ في الأدب والأخلاق» (١/ ٤٠ ـ ٥٢).

(٢) «التَّصَوُّف الإسلاميّ بيْنَ الأصالةِ والاقتباسِ» (ص: ١٨٠ ـ ١٨٣).

- أو مِنْ **صُوفةٍ**: وهي القبيلةُ الجاهليَّةُ.

- أو أنّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ **الصوفانة**، وهي البَقْلَةُ المعروفةُ.

- أو مِنْ **سوفيا اليونانيَّة** التي تَدُلُّ على مَعرفةِ الغَيْبِ.

- أو أنَّ **التَّصَوُّف** اسمٌ جامدٌ غير مُشْتَقٍّ، وُضِعَ كاللَّقَبِ والعَلَمِ على المُتَصَوِّفَةِ.

هذا، وقَدْ تَناولَ كَثيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى هذه المقالاتِ وكَتبوا في الرَّدِّ عليها وبَيانِ بُطلانِها مِنْ حيثُ الاشتقاقُ والمَعنَى، ورجّحَ أكثرُهُمْ أنَّ نسبةَ التَّصَوُّفِ واشتقاقَهُ لَا يَصِحُّ إلَّا إلى الصُّوفِ المعروفِ. ولَمْ أر حاجةً لذكرِ تلكَ الرُّدودِ خشيةَ الإطالةِ أوّلًا، ثُمَّ إنَّ أَعلَامَ التَّصَوُّفِ غَيْرُ مُتّفِقينَ، فنَجِدُ أنَّ كُلَّ مَا ذُكِرَ في أصلِ التَّصَوُّفِ واشتقاقِهِ مَردودٌ ومَرفوضٌ منهم أنفسِهِمْ أو مِنْ أكثرِهِمْ، وهذا الأمرُ يُريحُنَا مِنْ مُناقشتِهِمْ لأنَّ اختلافَهُمْ ورَدَّ بعضِهِمْ على بعضٍ يُؤكِّدُ عَدَمَ صِحّتِها، وأنّها في الحقيقةِ ليست إلَّا عباراتٍ دعائيَّةً يقصدونَ بِهَا نشرَ هذا الباطلِ وترويجِهِ. وقَدْ أصابَ بعضُهُمْ في ترجيحِ انتسابِهِمْ إلى الصُّوفِ، وأدركوا عَدَمَ صحّةِ النسبةِ إلى غيرِهِ، وممّنْ أدركَ ذلك **الدكتورُ زكي مبارك** الذي تحمّسَ فأخذَ يُحاولُ عَبَثًا جَعْلَ الصُّوفِ مِنْ أُصُولِ الدِّياناتِ والشَّرَائِعِ ومِنَ الفضائلِ التي دَعَا إليها الأنبياءُ والأولياءُ والصالحون.

والحَقُّ الذي لَا مِرْيَةَ فيه: أنَّ التَّصَوُّفَ مُشْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ، وهو القولُ الرّاجِحُ الذي لَا يَلتَفِتُ مَنْ وفَّقَهُ اللهُ تعالَى إلى غيرِهِ. وقَدْ رَجّحَهُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ أنْ ضَعّفَ كُلَّ الأقوالِ لأنَّ النّسبةَ إلى الصُّوفِ هو المعروفُ[1]، ولأنّهم أُضيفوا إليه لِكونهِ ظاهرَ حَالِهِمْ في لِبْسِهِم[2]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «واسمُ الصُّوفيَّةِ هو نِسبةٌ إلى لباسِ الصُّوفِ، وهذا

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٦).

(٢) المصدر السابق (١١/١٦).

هو الصحيحُ»[١].

كما رَجَّحَ هذا القولَ كَثيرٌ مِمَّن كَتَبَ في التَّصَوُّفِ مِنْ **عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ وغيرهِم** مِمَّن وَافقَهُمْ، كالمُستَشْرِقِ **نيكلسون** الذي ذكرَ أنَّ لباسَ الصُّوفِ اتّخذَهُ الزُّهَّادُ مُتشبِّهينَ **بِرُهْبانِ النَّصَارَى**[٢]، والمستشرقِ **كارل بروكلمان** الذي يُقَرِّرُ أنَّ الصُّوفيَّةَ استعاروا مِنْ **رُهْبانِ النَّصَارَى** أَرْدِيَتَهُمُ الصُّوفيَّةَ التي بِسببها عُرِفُوا بالصُّوفيَّةِ[٣]. وقَدْ تقدّمَ أنّ هذا هو مَا رجّحَهُ **الكلاباذيُّ، والسّرّاجُ الطُّوسِيُّ، والسهرورديُّ** مِنْ مُتقَدِّمِيهم، و**الدكتورُ عبدُ الحَليمِ محمود، والدكتورُ زكي مبارك** مِنْ مُتأخِّرِيهم.

وبهذا يكونُ هؤلاءِ قَدْ بَنَوْا بُنيانَهُمْ ومَذهبَهُمْ على الباطلِ؛ إذْ ليسَ في لبسِ الصُّوفِ فَضيلةٌ شَرعيَّةٌ، وليس في الانتسابِ إليه شرفٌ ولَا رِفْعَةٌ ولَا كَرامةٌ، لَا شَرْعًا ولَا عَقْلًا عِنْدَ مَنْ أَنعَمَ اللهُ تَعالَى عَليهِم بالعِلْمِ والعَقْلِ الصّحيحِ. وقَدْ جاءَ في «**الصَّحيحَيْنِ**» بالإسنادِ عَنْ قَتَادَةَ، قال: «**قُلْنَا لأنسِ بنِ مَالِكٍ: أيُّ اللِّباسِ كان أحبَّ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ أَعْجَبَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قال: الحِبَرةُ**»[٤]. قال **الإمامُ النّوويُّ** شارحًا (**الحِبَرَة**): «بكَسْرِ الحاءِ وفتحِ البَاءِ، وهي ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ أو قُطْنٍ، (**مُحَبَّرةٌ**)؛ أيْ: مُزَيّنةٌ، و(**التّحبيرُ**): التَّزيينُ والتَّحسينُ»[٥]. وقال **الحافظُ ابنُ حجرٍ**: «قال

---

(١) المصدر نفسه (١١/ ١٩٥).

(٢) «الصُّوفيَّة في الإِسْلامِ» (ص: ٣ ـ ٤). ترجمة: (نيكلسون) في «موسوعة المستشرقين» (ص: ٥٩٣).

(٣) «تاريخ الشّعوبِ الإسلاميَّة» (٢/ ٨٣).

(٤) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريِّ»، كتاب اللباس، باب البرُودِ والحِبَرَةِ والشَّمْلَةِ (الفتح ١٠/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ رقم: ٥٨١٣)، «صحيح مُسْلِم»، كتاب اللباس والزينة، باب فضل لباس ثياب الحِبَرَةِ (٣/ ١٦٤٨ رقم: ٢٠٧٩/ ٣٢).

(٥) «شرح صحيح مُسْلِمٍ» (١٤/ ٥٦)، وعنه نقلَ محمد فؤاد عبد الباقي في حاشية طبعته لمسلمٍ (٣/ ١٦٤٨).

ابْنُ بَطَّالٍ: هِيَ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ تُصْنَعُ مِنْ قُطْنٍ، وَكَانَتْ أَشْرَفَ الثِّيَابِ عِنْدَهُمْ»[(١)].

وفي «**سنن أبي داود**» عنْ **عَائِشَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالتْ: «**صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللهِ** ﷺ **بُرْدَةً سَوْدَاءَ فَلَبِسَهَا، فَلَمَّا عَرَقَ فِيهَا وَجَدَ رِيحَ الصُّوفِ فَقَذَفَهَا... وَكَانَ تُعْجِبُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ**»[(٢)]. وعند الإمام أحمد من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «أنها جعلت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف.....فلبسها. فلما عرق وجد ريح الصوف قذفها، وكان يحب الريح الطيبة»[(٣)].

هذا بعضُ مَا رواه الأَئِمَّةُ الأعلامُ في «**الصِّحَاحِ**» و«**السُّنَنِ**» و«**المسَانيدِ**» مِمَّا يَتبيّنُ بهِ هَدْيُ رَسُولِ الهُدَى ﷺ في الثِّيابِ وأَحبُّهُ وأعجبُهُ إليه، ويَتّضِحُ به مَدَى بُعْدِ المُتَصَوِّفَةِ عَنِ التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حتَّى في لِباسِهِمْ وثِيابِهِمْ، ويَتأكّدُ بِهِ مَدَى تَشبُّهِهِمْ بأهلِ الضّلالِ مِنْ **رُهْبانِ النَّصَارَى** وغيرِهِمْ مِنَ المُتنسِّكينَ قَبْلَ الإسلامِ. وقَدْ أَقَرَّ بهذه الحقائقِ كَثيرٌ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ الذين مَلؤوا مُؤلَّفَاتِهِمْ بِذِكْرِ النَّصَارَى وأحوالِهِمْ وأقوالِهِمْ، مُظْهِرِينَ إعجابَهُمْ بِهِمْ، دَاعينَ إلى التَّأَسِّي بهم؛ يقولُ **الدكتورُ زكي مبارك**: «**إنَّ لُبْسَ الصُّوفِ كان مِنْ تقاليدِ النّصرانيَّةِ، وهي في أصلِها تَصَوُّفٌ ورَوحانيَّةٌ**»[(٤)].

فالقومُ لَمْ يقتصروا على تَرْكِ التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، بلْ رَاحوا يَتأَسَّوْنَ بغيرِ المُسلِمينَ، ويَتشبّهون بأهلِ الجاهليَّةِ والدِّياناتِ الأُخْرَى؛ إمعانًا منهم في مُخالفةِ هَديِ هذه الأُمَّةِ حتَّى في مَظهرِها الخارجيِّ. وقَدْ عَلِمَ

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٢٧٧).
(٢) **صحيحٌ**: رواه أبو دَاوُدَ «السُّنَن» واللّفظُ لهُ، كتاب اللباس، باب في السواد (٤/ ٣٣٩ ح٤٠٧٤)، والنَّسائيُّ «السُّنَن الكبرى»، كتاب الزينة، باب لبس الصوف (٨/ ٣٨٩ رقم: ٩٤٨٨)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في (الصحيحة ح٢١٣٦).
(٣) صحيح، المسند (٦/ ١٣٢، ١٤٤، ٢١٩، ٢٤٩).
(٤) «التَّصوُّف الإسلاميّ في الأدبِ والأخلاقِ» (١/ ٤٩).

المُسلِمونَ أنَّ مِنْ وَسَائلِ التّقرُّبِ إلى اللهِ تَعَالَى: التَّأسِّي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ومُخالفةَ هَدْيِ الكافرينَ مِنْ أهلِ الشِّرْكِ والأوثانِ حتَّى في لباسِهِمْ وزِيِّهِمْ.

ولَمْ يَقِفِ **المُتَصَوِّفَةُ** عِنْدَ هذا الحَدِّ، ولكنهم كعادتِهِمْ وعادةِ إخوانِهِمُ **الرَّافِضَةِ** لَا تعييهُمُ النُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ فيما يذهبونَ إليه ويدَّعون؛ وذلك لأنّهم مَعْدِنُ الكَذِبِ، وأصلُ الوَضْعِ والتّزويرِ، فذهبوا يختلقونَ النُّصوصَ والأحاديث وينسبونَها إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أو إلى الصَّحابةِ والأعلامِ مِنْ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ دونَ خجلٍ أو حياءٍ، فأوردَ **أبو بَكْرٍ الكلاباذيُّ**[(١)] **والسَّهرورديُّ**[(٢)] الكثيرَ مِنَ الرّواياتِ المُصطَنعةِ والمكذُوبةِ في فضائلِ الصُّوفِ ولبسهِ، وزادَ عليهما وأربَى في الافتراءاتِ **الدكتورُ زكي مبارك** الذي مَلأَ كتَابَهُ بالظُّلماتِ والطَّامّاتِ لِيَصِلَ إلى تلك النّتيجةِ الكاذبةِ وهي أنَّ «النَّبِيَّ مُحَمَّدًا كان يَستحِبُّ لُبْسَ الصُّوفِ تواضعًا، وأنَّ النَّبِيَّ عِيسَى كان يَستحبُّ لبسَهُ كذلك تواضعًا، وأنَّ الرُّهْبانَ في المسيحيَّةِ والزُّهَّادَ في الإِسْلامِ كانوا يستحبّون لُبْسَ الصُّوفِ»[(٣)].

وليس بمستغربٍ هذا الأسلوبُ وهذا المنهجُ مِنِ اختلاقِ النُّصوصِ وتزويرِها؛ لأنّهُ دَأْبُ أهلِ البِدَعِ عَامَّةً في مُحاولاتِهِمُ اليائسةِ المكشوفةِ في ربطِ مذاهبِهِمْ وما هُمْ عليهِ من الباطلِ بالإسلامِ وشَريعتِهِ وبسَلَفِ هذه الأُمَّةِ؛ تَزْيينًا لباطِلِهم لِيَروجَ بَيْنَ النَّاسِ، **ورَحِمَ اللهُ تعالَى الزَّبِيديَّ** حيثُ يقولُ ـ بَعْدَ تَرجيحهِ اشتقاقَ التَّصَوُّفِ مِنَ الصُّوفِ ـ: «**ومِنْ أَمثالِ العامَّةِ: لَوْ كانتِ الوِلايَةُ بالصُّوفِ لطَارَ الخروفُ**»[(٤)].



(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٢٩ ـ ٣١).
(٢) «عوارف المعارف» (ص: ٦٠ ـ ٦٢).
(٣) «التَّصَوُّف الإسلاميّ في الأدبِ والأخلاقِ» (١/ ٥١)، وانظر فيه أيضًا: (١/ ٤٢ ـ ٥١).
(٤) «تاج العروس مِنْ جواهر القاموس» (٦/ ١٧٠).

المبحثُ الثالث

تَعريفُ التَّصَوُّفِ

على الرَّغْمِ مِنْ كَثْرةِ أقوالِ الصُّوفيَّةِ في التَّصَوُّفِ ومَاهيّتِهِ؛ فإنَّ القارئَ والباحثَ لَا يكادُ يَصِلُ إلى تعريفٍ جَامعٍ مَانعٍ في حَدِّ التَّصَوُّفِ والصُّوفِيِّ. وقَدْ أدركَ هذا المُتَصَوِّفَةُ أنفسُهُمْ، ولكنهم يُعلِّلونَ ذلك ويُرْجِعُونَهُ إلى عَظيمِ قَدْرِ التَّصَوُّفِ والصُّوفِيِّ، حيثُ يَزْعُمونَ أَنَّ التَّصَوُّفَ لَا تُدْرَكُ جَوانبُهُ وجزئياتُهُ إِذْ إِنَّهُ مَعْدِنُ جميعِ العُلومِ والفُنونِ، وإِنَّهُ يَفوقُ الحُدودَ والإحاطةَ وإِنَّهُ لَا يمكنُ لأحَدٍ مهما بلغَ في التَّصَوُّفِ أنْ يجمعَ كُلَّ جَوانبِ التَّصَوُّفِ في أَلْفَاظٍ قليلةٍ. بلْ إِنَّ غايةَ أَمرِ القائلِ أنّهُ يُعَبِّرُ عَمَّا أَدْرَكَهُ هو في التَّصَوُّفِ، أو عَمَّا رَآهُ مِنْ مَقاماتٍ وأحوالٍ وغيرِها، فكلٌّ يُعَبِّرُ عَنْ حَالِهِ وذَوْقِهِ ومَقامِهِ وغيرِ ذلك مِنْ آفاقِ التَّصَوُّفِ كما يَزْعُمُهُ أَهلُهُ، وإلا فما هو إِلَّا آفاتٌ تَفْتِكُ بأهلِها وبالإسلامِ عَامّةً.

فالصُّوفيَّةُ لَا يُريدونَ أنْ يَكونَ التَّصَوُّفُ مِمَّا يُحَدُّ بحدودٍ مُعيّنةٍ مَعلومةٍ تُفصِحُ عن حقيقتهِ ومعناهُ، بلْ يُريدونهُ مَسالِكَ وطُرُقًا لَا تُعَدُّ ولَا تُحصى، إنْ كرِهَ النَّاسُ مَسلكًا أو طَريقًا منهُ لبُعْدِهِ عَنِ الشَّرعِ؛ فتحوا مَسالِكَ أُخْرَى وسَنُّوا طُرُقًا جديدةً تُساهِمُ في صَدِّ النَّاسِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى وعَنْ شرعِهِ الحنيفِ.

وقَدْ عَبَّرَ **ابنُ خُلْدونَ** عَنْ هذه الحقيقةِ الصُّوفيَّةِ بقولِهِ: «**إنَّ الطُّرُقَ إلى اللهِ تَعَالَى عَدَدَ أنفاسِ الخلائقِ أجمعينَ، وكُلَّ سَالِكٍ لهُ طَريقٌ يُناسبُهُ وتَربيَةٌ تَخُصُّهُ، وكما اختلفَتْ طُرُقُ السُّلوكِ فتختلفُ العِلَلُ والأحوالُ والوَارِداتُ باختلافِها**»(١).

(١) «شفاء السائل» (ص: ٨٧ ـ ٨٩).

والاختلافُ في تعريفاتِهِمْ قَدْ يَصْدُرُ أحيانًا مِنْ الشَّخصِ الواحدِ منهم، كما يتّضِحُ ذلك لِمنْ تَتبّعَ أقوالَ أَئِمَّتِهِمْ في كُتُبِهِمْ، ويُعلِّلونَ ذلك بأنَّ المُتَصَوِّفَ يَنتقلُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، ومِنْ مَقامٍ إلى آخرَ، فيُعَبِّرُ بِمَا يَنفَعِلُ بهِ حَالُهُ، أو يَستقرُّ بهِ مَقامُهُ ذلك.

▪ يقولُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**: «وقَدْ أَجابَ عَنِ التَّصَوُّفِ جماعةٌ بأجوبةٍ مختلفةٍ منهم إبراهيمُ بنُ المولدِ الرَّقِّيُّ، قَدْ أُجاب عنها بأكثَرَ مِنْ مائةِ جوابٍ»(١). وقَدْ جَمعَ في كتابِهِ نحوًا مِنْ ثلاثينَ تعريفًا للتَّصَوُّفِ(٢).

▪ وأمَّا **مُحَمَّدٌ الكلاباذيُّ** فإنَّهُ جمعَ مَا يزيدُ عَنِ العشرينَ تعريفًا مِنْ أقوالِ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ(٣)، كما عقدَ بابًا في شرحِ أركانِ التَّصَوُّفِ العشرةِ(٤)، وهي: (**تجريدُ التوحيدِ، فَهْمُ السَّماعِ، حُسْنُ العِشْرةِ، إيثَارُ الإيثارِ، تَرْكُ الاختيارِ، سُرْعَةُ الوَجْدِ، الكَشْفُ عَنِ الخواطرِ، كَثْرَةُ الأسْفَارِ، تَرْكُ الاكْتِسَابِ، تَحريمُ الادِّخَارِ**).

▪ ويقولُ **أبو نُعَيْمِ الأصْبَهانِيُّ**: «وذَكَرْنَا في غيرِ هذا الكتابِ كثيرًا مِنْ أَجوبةِ مَشيخَتِهِمْ في التَّصَوُّفِ، واختلافِ عباراتِهِمْ، وكُلٌّ قَدْ أَجابَ عَنْ حَالِهِ»(٥).

وذكرَ في مَوضعٍ آخرَ أنَّهُ جمعَ أجوبةَ أهلِ الإشارةِ في مَاهِيَّةِ التَّصَوُّفِ في غيرِ هذا الموضعِ، ثُمَّ يقولُ: «وأقربُ مَا أَذْكرُهُ مَا حُدِّثْتُ عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ أنّهُ قال: **مَنْ عَاشَ في ظَاهِرِ الرَّسُولِ فهو سُنِّيٌّ، ومَنْ عَاشَ في بَاطِنِ الرَّسُولِ فهو صُوفِيٌّ**»(٦).

---

(١) «اللُّمَع» (ص: ٤٧).
(٢) انظر: «اللُّمَع»، باب التَّصَوُّف مَا هو نعتُه وماهيته، وباب صفة الصُّوفيَّةِ ومَن هُمْ. (ص: ٤٥ ـ ٤٨).
(٣) «التَّعرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٤ ـ ٣٥، ١٠٩ ـ ١١٠).
(٤) المصدر السابق، الباب الثاني والثلاثون (ص: ١٠٨).
(٥) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ٢٣).
(٦) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ٢٠).

ولَا أدري أين جمعَ أقوالَ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ، مع أنّهُ قَدْ شَحَنَ كتابَهُ «**الحِلْيَةَ**» بأقوالِهِمُ المُنْكرةِ وأفعالِهِمُ القَبيحةِ وأحوالِهِمُ الشَّيْطَانيَّةِ، حتَّى أنَّهُ جعلَ مِنْ أحاديثِ الرَّسُولِ ﷺ وأحوالِ الصَّحَابَةِ الكرامِ وأقوالِهِمْ أَدِلَّةً للتَّصَوُّفِ وأهلِهِ؛ فنراه يروي بسنَدِهِ إلى مُعَاذِ بنِ جَبلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنّهُ قال: «**يا مُعَاذُ! إنَّ المؤمنَ لدَى الحَقِّ أَسِيرٌ، يَعلَمُ أنَّ عليهِ رَقِيبًا على سَمْعِهِ وبصرِهِ ولسانِهِ...**»[(١)(٢)]. يُفيدُ الحديثُ على افتراضِ صِحَّتِهِ ـ ولا يَصِحُّ قطعًا ـ أنْ يُراقِبَ المؤمنُ اللهَ تَعَالَى في جميعِ أَفعالِهِ وجَوارحِهِ، وأنْ يقومَ بحقوقِ اللهِ وطَاعتهِ. ثُمَّ روى حديثَ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ...**»[(٣)].

ثُمَّ يقولُ بَعْدَ هذيْنِ الحديثيْنِ: «فقَدْ ثبتَ بِمَا روينا مِنْ حديثِ مُعَاذِ بنِ جَبلٍ وغيرِهِ أنَّ التَّصَوُّفَ أحوالٌ قاهرةٌ وأخلاقٌ طاهرةٌ، تَقهرُهُمُ الأحوالُ فتأسِرهُمْ... سلكوا مسلكَ الصَّحَابَةِ والتابعينَ ومَنْ نَحَا نحوَهُمْ مِنَ المُتَقشِّفينَ والمتحقِّقينَ العالمينَ بالبقاءِ والفناءِ.. والعارفينَ بالخطرةِ والهمّةِ والعزيمةِ والنِّيَّةِ، والمحاسبينَ للضَّمائرِ، والمحافظين للسَّرائرِ... لَا يستهينُ بحُرمَتِهِمْ إلَّا مَارِقٌ، ولَا يدَّعي أحوالَهُمْ إلَّا مَائقٌ، ولَا يَعتَقِدُ عقيدَتَهُمْ إلَّا فائقٌ، ولَا يَحِنُّ إلى مُوالاتِهِمْ إلَّا تَائقٌ، فهم سُرُجُ الآفاقِ، والممدودُ إلى رؤيتِهِم بالأعناقِ، بِهِمْ نقْتدي، وإيّاهُم نُوالي إلى يومِ التَّلاقِ»[(٤)].

وكذلك يفعلُ في تراجمِ الصَّحَابَةِ، فيقولُ مثلًا في ترجمةِ أَبِي بَكْرٍ

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٧) و(١٠/ ٣١).

(٢) **ضعيفٌ**: عن مُعاذٍ رضي الله عنه مِنْ طريقين. وقد ذكره المُحدِّثُ الألبانيُّ في (السلسلة الضعيفة: ١٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ رقم: ٥٦٨٥) وحكمَ على طَريقيْهِ بالضَّعْفِ.

(٣) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاريّ»، كتاب الإيمَانِ، بَابُ حَلَاوَةِ الإيمَانِ، (الفتح: ١/ ٦٠ رقم: ١٦)، و«صحيح مسلم»، كتاب الإيمَانِ، بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ (١/ ٦٦ رقم٤٣/ ٦٧).

(٤) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ٢٦ ـ ٢٨).

الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: «كان مِنْ أحوالِهِ العزوفُ عَنِ العاجلةِ، والأزوفُ إلى الآجلةِ، وقَدْ قيلَ: إنَّ التَّصَوُّفَ تطليقُ الدُّنيا بتاتًا، والإعراضُ عَنْ مَنالِها ثباتًا»[١]. فهو يُحمِّلُ النُّصوصَ مَا لَا تحتملُ، ويَتكلّفُ ـ تَكلُّفًا ظاهرًا ـ في جعلِ الأحاديثِ والآثارِ المرفوعةِ والموقوفةِ أَدِلَّةً على صِحَّةِ هذا المذهبِ الفاسدِ. وقَدْ ذكرَ في «**مُقدّمةِ كتابِهِ**» نحوًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ تعريفًا على سبيلِ المثالِ؛ لأنّهُ قَدْ ملأَ «**كتابَهُ**» بأقوالِ المُتَصَوِّفَةِ فهو يَذكرُ في ترجمةِ كُلِّ رجلٍ قولًا مِنْ أقوالِهِ أو حالًا مِنْ أحوالِهِ، ويَربطُهُ بالتَّصوُّفِ بقولِهِ: «وقَدْ قِيلَ: إنَّ التَّصَوُّفَ كذا وكذا».

▪ وأمّا **القُشَيْرِيُّ**؛ فقد جمعَ نحوًا مِنْ ستّينَ تعريفًا، ويُعَبِّرُ عَنِ اختلافِهِمْ وكَثْرةِ أقوالِهِمْ «بأنَّ كلًّا قَدْ عَبَّرَ بِمَا وقعَ لهُ»[٢].

▪ ويقولُ **السَّهرورديُّ**: «وأقوالُ المشايخِ تَتنوّعُ مَعانيها؛ لأنّهم أشاروا فيها إلى أحوالٍ في أوقاتٍ دونَ أوقاتٍ». ويقولُ أيضًا: «وأقوالُ المشايخِ في مَاهيَّةِ التَّصَوُّفِ تَزيدُ على أَلْفِ قولٍ، ويَطولُ نقلُها». وقَدْ ذكرَ أكثرَ مِنْ ثلاثينَ تعريفًا عَنِ المُتَصَوِّفَةِ[٣].

▪ ويقولُ **ابنُ خلدون**: «وقَدْ حاولَ كثيرٌ مِنَ القومِ العبارةَ عَنْ مَعنَى التَّصَوُّفِ بلفظٍ جامعٍ يُعطي شرحَ مَعناهُ، فلم يَنُصَّ بذلك قولٌ مِنْ أقوالِهِمْ». ثُمَّ يُعَلِّلُ سببَ ذلكَ؛ بأنَّ منهم مَنْ عَبَّرَ بأحوالِ البدايةِ، ومنهم مَنْ عَبَّرَ بأحوالِ النهايةِ، ومنهم مَنْ عَبَّرَ بعلامةٍ مِنْ عَلاماتِ التَّصَوُّفِ، ومنهم مَنْ عَبَّرَ بأُصولِهِ ومَبانيهِ.

ثُمَّ يقولُ: «وأمثالُ هذه العباراتِ كثيرٌ، وكُلُّ واحدٍ منهم يُعَبِّرُ عَمَّا وَجَدَ، وينطقُ بحسبِ مَقامِهِ، والحقُّ أنَّ التَّصَوُّفَ لَا يَنطبقُ عليهِ حَدٌّ واحدٌ».

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٠).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥٧).
(٣) «عوارف المعارف» (ص: ٥٤ ـ ٥٩).

ويُعَلِّلُ هذه الصّعوبةَ بأنَّ المُتَصَوِّفَةَ ينقسمونَ في مُجاهداتِهِمْ، فمنهم مَنْ يَتخلّقُ بمُجاهدةِ الاستقامةِ طلبًا للسَّعادةِ بَعْدَ الموتِ لَا غيرَ، ومنهم مَنْ يتخلّقُ بمجاهدةِ الكَشْفِ طلبًا لكشفِ الحجابِ في الحياةِ الدُّنيا، وإنَّ الاختلافَ بينهما كبيرٌ بحيث إنَّهُ يَعْسُرُ اندراجُهما في حَدٍّ واحدٍ، مع أنَّ الكلَّ تَصوُّفٌ(١). ثُمَّ ذَكَرَ عِدَّةَ أقوالٍ عَنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ.

والحَقُّ أنَّ مَا نقلَهُ هؤلاءِ المُتَصَوِّفَةُ في كُتُبِهِمْ مِنْ أقوالِ مشايخِهِم على أنَّها تعريفاتٌ للتَّصَوُّفِ ليستْ إلَّا أدِلَّةً ناطقةً ـ لمنْ كان لهُ قَلبٌ أوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهو شَهيدٌ ـ على بُعْدِ هذا المذهبِ عَنِ الشّريعةِ والمنهجِ الحَقِّ الذي بيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وعَبَّرَ عنهُ بأنّهُ سبيلُ اللهِ وصِراطُهُ المستقيمُ(٢). وتُوضِّحُ تلك الأقوالُ وتُبَيِّنُ أنَّ التَّصَوُّفَ وطُرُقَهُ الكثيرةَ ومَناهجَهُ المُتعدِّدَةَ ليست إلَّا بعضَ تلك السُّبُلِ التي أخبرَ عنها رَسُولُ اللهِ ﷺ، والتي على رأسِ كُلٍّ منها شيطانٌ يدعو إليها. وأذكرُ هنا بعضَ أقوالِ أئمَّتِهِمْ لبيانِ هذه الحقيقةِ:

- يقولُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**: «قيلَ لبعضِهِمْ: مَنْ أَصْحَبُ مِنَ الطّوائفِ؟ قال: اِصْحَبِ الصُّوفيَّةَ، **فإنَّ للقبيحِ عِنْدَهُم وُجُوهًا مِنَ المعاذيرِ**»(٣).

- أمَّا **أبو بَكْرٍ الكلاباذيُّ** فقَدْ نَسَبَ هذا القولَ إلى **ذي النُّونِ** و**سَهْلٍ التُّستَرِيِّ**، يقولُ: «قال يُوسُفُ بنُ الحُسَيْنِ: سألتُ ذا النُّونِ مَنْ أَصْحَبُ؟ فقال: **مَنْ لَا يَملِكُ ولَا يُنْكِرُ عليك حالًا مِنْ أحوالِكَ**». ويقولُ: «قال رجلٌ

---

(١) «شفاء السائل» (ص: ٤٨).

(٢) عَن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قالَ: «**هذا سَبِيلُ اللهِ**». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قالَ ﷺ: «**هذهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**». ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. الحديثُ رواه الإمامُ أحمدُ في «المُسندِ» (١/ ٤٣٥ و٤٦٥) بإسنادٍ حَسَنٍ. انظر: (ظلال الجنة تخريج، كتاب السُّنَّة للألباني رقم: ١٧).

(٣) «اللُّمَع» (ص: ٤٦). وذكره أيضًا السهرورديُّ في «عوارف المعارف» (ص: ٥٧).

لسَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ: مَنْ أَصْحَبُ مِنْ طوائفِ النَّاسِ؟ فقال: عليك بالصُّوفيَّةِ؛ **فإنَّهُمْ لَا يَستكثرونَ ولَا يستنكرونَ شَيئًا، ولِكُلِّ فِعْلٍ عِنْدَهُمْ تأويلٌ، فهم يَعذرونكَ على كُلِّ حَالٍ**»(١).

▪ ويقولُ **القُشَيْرِيُّ**: «قال حمدون القَصّارُ: **اِصْحَبِ الصُّوفيَّةَ؛ فإنَّ للقبيحِ عِنْدَهُم وُجُوهًا مِنَ المعاذيرِ**»(٢).

يَذكرونَ هذه المقالاتِ في تعريفاتِهِمْ للتَّصَوُّفِ! **فهذا هو التَّصَوُّفُ عِنْدَ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ، فذو النُّونِ** قَدْ تُوفِّيَ سنةَ **(٢٤٥هـ)، والقَصَّارُ** كانت وَفاتُهُ سنة **(٢٧١هـ)، والتُّسترِيُّ** وَفَاتهُ سنةَ **(٢٨٣هـ)**، فهُم مِنَ **القرنِ الثالثِ الهجريِّ**، ودَعوتُهُمُ التي تَلقَّفَها عنهم أَذنابُ التَّصَوُّفِ صريحةٌ في مُخالفةِ مَا كان عليهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وصَدرُهُ الأوّلُ. فالتَّصَوُّفُ ليس فيه إنكارٌ لمُنكَرٍ؛ لأنّهم قَدْ جعلوا مِنْ أُصولِهِمْ تَعَدُّدَ الطُّرقِ والأحوالِ والأخلاقِ في دينِهِمْ ومذهبِهِم.

وتأكيدًا لهذا الأصلِ الفاسدِ يقولُ **حمدون القصّارُ**: «**إذا رأيتَ سَكْرانًا؛ فتَمَايَلْ**» لِتُوافِقَهُ في حَالِهِ ولَا تُخالِفْهُ، فَضلًا عَنْ أنْ تُنكِرَ عليهِ وترفعَ أمرَهُ إلى السُّلْطانِ. ثُمَّ يُعَلِّلُ هذا الزُّورَ والهراءَ بقولِهِ: «**حتَّى لَا تَبغي عليهِ**». فالصُّوفِيُّ عِنْدَهُمْ إنْ أنكرَ المنكرَ كما أمرَهُ ربُّهُ ولَمْ يتمايلْ فهو باغٍ ومُتَعَدٍّ والعياذُ باللهِ. وانظرْ لهذا الأفّاكِ! كيف يُراعي الفاسقَ المُجاهرَ بفسقهِ، ولا يُراعي حقَّ اللهِ تباركَ وتعالَى الذي حرّمَ هذا المنكرَ وحرّمَ السُّكوتَ عليهِ حالَ القدرةِ. ويقولُ أيضًا: «**مَنْ ظَنَّ أنَّ نفسَهُ خيرٌ مِنْ نفسِ فِرْعَوْنَ؛ فقَدْ أظهرَ الكِبْرَ**»(٣). **فالمُسْلِمُ عِنْدَهُمْ لَا يَنبغي أنْ يَعتَقِدَ أنّهُ أفضلُ بإيمانِهِ وإسلامِهِ مِنْ أهلِ الكُفْرِ والشِّرْكِ؛ لأنَّ الكُلَّ عِنْدَهُمْ سواءٌ، والقبائحَ لها عِنْدَهُمْ وُجُوهٌ مِنَ المعاذيرِ. وقولُ القصّارِ هذا هو قليلٌ مِن كثيرٍ مِنْ قبائِحِهِ وقبائِحِ أهلِ نحلتهِ التي شحنوا بِهَا مُؤلَّفَاتِهم.**

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٥).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٣).
(٣) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ١٣٠).

▪ وقال **أبو يَزِيدَ البِسْطَامِيُّ (ت٢٦١هـ)**[(١)] في تعريفِهِ للصُّوفيَّةِ: «**الصُّوفيَّةُ أطفالٌ في حِجْرِ الحَقِّ**»[(٢)]. وقال هذه المَقالةَ المُنْكرةَ **الشِّبْليُّ**[(٣)] **(ت٣٣٤هـ)** مُقَلِّدًا إمامَهُ وأُستاذَهُ في التَّصَوُّفِ. وهذا قولٌ في غايةِ القُبْحِ وسوءِ الأدبِ في حَقِّ اللهِ تعالَى، ولكنَّ الصُّوفيَّةَ ليس عِنْدَهُمْ قَبيحٌ، فقَدْ تَناقلَها المُتَصَوِّفَةُ وما زالوا إلى اليومِ في كُتُبِهِم ومُؤلَّفَاتِهم.

▪ أمَّا **الجُنَيْدُ ت٢٩٧هـ**[(٤)] سَيِّدُ الطّائفةِ عِنْدَهُمْ؛ فلهُ أقوالٌ كثيرةٌ في التَّصَوُّفِ وأهلِهِ، منها قولُهُ ـ لما سُئِلَ عَنِ التَّصَوُّفِ ـ: «**أنْ تَكونَ مع اللهِ بِلَا علاقَةٍ** »[(٥)].

وهذا القولُ فيه مِنَ الغموضِ مَا لَا يخفَى إنْ أحسنَ القارئُ الظَّنَّ بهِ وبقائلِهِ، وإلَّا فكيف يكونُ العبدُ المخلوقُ مع اللهِ بِلَا علاقةٍ؟ وقَدْ أنزلَ ﷻ الشَّرائعَ وأَرسلَ الرُّسُلَ بيانًا وتحديدًا وتوضيحًا للعلاقةِ بَيْنَ الخالقِ والمخلوقِ.

ومنها قولُهُ: «**التَّصَوُّفُ: ذِكْرٌ مع اجتماعٍ، ووَجْدٌ مع استماعٍ، وعَمَلٌ مع اتِّباعٍ**»[(٦)].

أَمّا قولُهُ: «**ذِكْرٌ مع اجتماعٍ**»؛ فهذه مِنْ أُصولِهِم في اجتماعاتِهِم ورَقْصِهِمْ. وأَمّا قولُهُ: «**وَجْدٌ مع استماعٍ**»؛ فهو مَا أحدثوهُ مِنَ السَّماعِ لأَوْرَادِهِمْ وأَشعارِهِمُ السّاقطةِ والهابطةِ التي أَحَلُّوها مَحَلَّ القُرآنِ. ثُمَّ مَا هو

---

(١) ترجمته في «سير الأعلام»: (١٣/ ٨٦).
(٢) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١١٠).
(٣) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٥٥٤).
(٤) أبو القاسم الجُنَيْدُ بنُ مُحمدٍ النّهاونديُّ: ترجمته في «السير»: (١٤/ ٦٦)، و«الطبقات» (ص: ١١٢) لابنِ المُلَقِّنِ.
(٥) «اللُّمَع» (ص: ٤٥)، و«الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٥٥٢)، و«عوارف المعارف» (ص: ٥٤).
(٦) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٥٥٣)، و«عوارف المعارف» (ص: ٥٨).

الوَجْدُ الذي يدعو إليه **الجُنَيْدُ**؟ ثُمَّ يَختمُ مقالتَهُ بقولِهِ: «**عَملٌ مع اتِّباعٍ**»؛ ذَرًّا للرَّمَادِ في عُيونِ السُّذَّجِ مِنْ أهلِ الإسلامِ، وتَزيينًا لمذهبِهم، وإلَّا؛ فأينَ اتّباعُ السّلفِ في الوَجْدِ والاستماعِ والاجتماعِ؟

ومِنْ أقوالِهِ أيضًا: «**الصُّوفِيُّ كالأرضِ؛ يُطرَحُ عليهِ كُلُّ قَبيحٍ، ولَا يَخرجُ منها إلَّا كُلُّ مَليحٍ**»[1]. وهذا يُؤكِّدُ أَصلَهُمْ في قَبولِ القبائحِ والمُنْكَراتِ الشَّرعِيَّةِ، وهو بِدورِهِ يَتلقَّاها بالقَبولِ والرِّضَى، ولَا يَعترضُ ولَا يُنْكِرُ، بلْ يُوافِقُ ويَبحثُ عَنِ المعاذيرِ.

▪ ويقولُ **سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ التُّستَرِيُّ (ت٢٨٣هـ)**: «**الصُّوفِيُّ مَنْ يَرى دَمَهُ هَدْرًا، ومُلْكَهُ مُباحًا**». إنَّ الهَدْرَ والإباحةَ حُكْمُ الزَّنادقةِ والمُرتدّينَ، وهذا الصُّوفِيُّ لَا يَعني بقولِهِ هؤلاءِ، ولكنه يُؤسّسُ مَذْهَبًا يقومُ على أنَّ أفرادَهُ يكونون مع شُيوخِهِمْ وأَئِمَّتِهم في حالةٍ مُطلقةٍ مِنَ الاستسلامِ والانقيادِ والطّاعةِ والمذلّةِ، فالإمامُ يَتصرّفُ في أموالِهِمْ وأعراضِهِمْ ودِمائِهِمْ ولَا يَحِقُّ للمُريدينَ الاعتراضُ، بلْ عَليهِم أنْ يَفرحوا ويرضوا بِكُلِّ مَا يَفعلُهُ الإمامُ والشّيْخُ.

▪ ويقولُ **مُظفرٌ القِرْميسينِيُّ** ـ وهو مِنْ أصحابِ **عَبْدِ اللهِ الخزّازِ** الهالكُ قَبْلَ سنةَ (٣١٠هـ) ـ: «**الفقيرُ: هو الذي لَا يَكونُ لهُ إلى اللهِ حَاجةٌ**»[2]. فالفقيرُ عندَه هو الصُّوفِيُّ، وقَدْ جعلَ هذا الصُّوفِيُّ المُنحرفُ عَدَمَ الافتقارِ إلى الخالقِ أصلًا مِنْ أُصولِهِمْ.

وقَدْ عَلِمَ أهلُ الإيمانِ أنَّ مِنْ أُصُولِ الأديانِ والشَّرَائعِ كُلِّها؛ تأصيلَ مَبدإِ افتقارِ المخلوقِ إلى الخالقِ، واللُّجُوءَ إليه ﷻ، والتّوكُّلَ عليهِ في جميعِ الأُمُورِ. ثُمَّ يقولونَ عَنْ تَصَوُّفِهِمْ إنَّهُ «عَملٌ مع اتِّباعٍ»، وإنّهُ رُوحُ الإسلامِ ولُبُّهُ!

▪ ويقولُ **أبو عَلِيٍّ الدَّقّاقُ** ـ وهو مِنْ شُيوخِ الشِّبْليِّ ـ: «أحسنُ مَا قِيلَ

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٣).
(٢) «عوارف المعارف» (ص: ٥٤).

في هذا البابِ قولُ مَنْ قال: **هذا طريقٌ لَا يَصلُحُ إلَّا لأقوامٍ قَدْ كَنَسَ اللهُ بأرواحِهِمُ المزَابِلَ**». ثُمَّ قال **الدَّقَّاقُ** ـ مُؤيِّدًا ومُعلِّقًا على هذا القولِ ـ: «**لَوْ لَمْ يَكُنْ للفقيرِ إلَّا روحٌ فعرضَها على كِلابِ هذا البابِ؛ لَمْ يَنظرْ كلبٌ إليها**»[١]. هكذا يجعلون مِنَ المُريدِ مَحَلًّا لِكُلِّ مَا هو مُستحقرٌ ومُهَانٌ، مع أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ كرَّمَ بني آدَمَ عامةً والمُسلمَ خاصةً.

ثُمَّ إنَّ أقوالَهُمْ هذه **رُمُوزٌ وأَلْغَازٌ لمعانٍ باطِنيَّةٍ خَبيثةٍ**، يَفهمُ منها **المُتَصَوِّفَةُ** مَا يَقصدُهُ هؤلاءِ المُنحرفون مِنْ مُخَطَّطَاتٍ لهدمِ أركانِ هذا الدِّينِ وصَدِّ النَّاسِ عنهُ. فعِنْدَهُم أنَّ المُتَصوِّفَ أرفعُ مَقامًا وأعظمُ حالًا مِنَ الفقيرِ، لذا فإنَّ الفقيرَ لَوْ عَرَضَ رُوحَهُ على كِلابِ المُتَصَوِّفَةِ كما يقولُ الدّقّاقُ فإنّهم يَرفضُونها، فكيف إذا عَرَضَ رُوحَهُ على أكابرِ المُتَصَوِّفَةِ مِمَّن قَدِ انتقلَ مِنْ مَقامِ الكِلابِ إلى ما هُمْ أرفعُ؟ ذلك لأنَّ الفقيرَ عندَهم هو الذي رَضِيَ بفقرِهِ بِهَدَفِ الدّخولِ إلى الجَنَّةِ قَبْلَ الأغنياءِ، فهو رَاضٍ بفقرِهِ لينالَ عِوَضًا عنهُ في الآخرةِ. وأمَّا **الصُّوفِيُّ** فإنَّهُ لَا يُريدُ عِوَضًا لَا في الدُّنيا ولَا في الآخرةِ، وذلك كما قرّرَ **القِرْميسينيُّ** لعدمِ حاجتِهِ إلى رَبِّهِ والعياذُ بِاللهِ. إنَّ انحرافَهُمْ هذا ليس بمُستغربٍ أمامَ مَهارَتِهِمْ وخُبثِهِمْ في تزيينِ الباطلِ وتحسينِهِ وإظهارِهِ بأسلوبٍ يَقْبَلُهُ النَّاسُ إلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، وكذا تَفنُّنُهُمْ ومَكرُهُمْ في تقبيحِ الحَسَنِ وتشنيعِهِ حتَّى على أهلِهِ.

▪ ويقولُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**: «قلتُ **للحُصَريِّ** (ت٣٧١هـ): مَنِ الصُّوفِيُّ عِندكَ؟ قال: **الذي لَا تَقلُّهُ أرضٌ ولَا تَظلّهُ سماءٌ**». ثُمَّ يُعقِّبُ **الطُّوسِيُّ** ـ بِلَا حياءٍ ولَا خجلٍ كالمُستدِلِّ لهُ بالأَثَرِ ـ بقولِهِ: «وعَنْ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ كان يَقولُ: أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إذا قُلْتُ في كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ برَأْيِي»[٢].

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٦).

(٢) «اللُّمَع» (ص: ٤٨). أثرُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكرهُ ابنُ كثيرٍ في مُقدّمةِ «تفسيرِهِ»، وعند تفسيرِ =

■ وذكرَ **القُشَيْريُّ** هذه المقالةَ ثُمَّ عَقَّبَ قائلًا: «إِنَّمَا أشارَ إلى حالِ المَحْوِ»(١).

إِنَّ أئِمَّةَ التَّصَوُّفِ يُطلقون إشاراتٍ غَامِضَةً مُبْهمةً يَفهمُها الأتْباعُ والأذنابُ، فقَدْ فَهِمَ **القُشَيْريُّ** مُرادَ **الحصريِّ** بأنّهُ حالٌ مِنْ حالاتِ التَّصَوُّفِ المُنْحَرِفِ، وهو حالُ المحوِ الفاسدِ، الذي جَعلوهُ مِنْ أُصُولِ التَّصَوُّفِ وغاياتِهِ العُظْمَى، وهو بابٌ مِنْ أبوابِ الفسادِ الذي يُؤدّي بصاحبهِ إلى **عَقيدةِ الاتحادِ** والعياذُ بِاللهِ.

■ ويقولُ **أحمدُ بنُ يَحْيَى بنِ الجلاءِ** لما سُئِلَ: مَا مَعنَى قولِهِمْ صُوفِيٌّ؟ قال: «ليس نَعرِفُهُ في شرطِ العِلْمِ، ولكن نَعرِفُ أنَّ مَنْ كان فقيرًا مُجرّدًا مِنَ الأسبابِ، **وكان مع اللهِ تَعَالَى بِلَا مكانٍ، ولَا يَمنعُهُ الحَقُّ سُبْحانَهُ عَنْ عِلْمِ كُلِّ مكانٍ؛ يُسمّى صُوفِيًّا**»(٢).

نَعَمْ، الأمرُ كما قال إنَّ التَّصَوُّفَ ليس داخلًا في العِلْمِ ولَا في شُروطِهِ؛ لأنَّ العِلْمَ يدعو إلى مَخافةِ اللهِ وحِفْظِ حُقوقِهِ. وأمَّا التَّصَوُّفُ ـ كما يقولُ هذا الصُّوفِيُّ ـ فإنَّهُ الجرأةُ على اللهِ تَعَالَى وعلى مَحارمِهِ، فالتّجَرّدُ مِنَ الأسبابِ قَدْحٌ في الشَّرْعِ وإهدارٌ للعقلِ. وأمَّا كَوْنُ الصُّوفِيِّ مع اللهِ بِلَا مكانٍ، ولَا يَمنعُهُ الحَقُّ سُبْحانَهُ عَنْ عِلْمِ كُلِّ مكانٍ؛ فإنَّهُ مِنْ طلاسمِ المُتَصَوِّفَةِ وألغازِهِم، مِمَّا يَدُلُّ حتَّى على فسادِ عُقُولِهِم ومَنطِقِهِمْ.

والأقوالُ في هذا البابِ كثيرةٌ جدًّا لَا يَدري المُسْلِمُ مَا يَنقُلُ منها وما

= ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عَبَس: ٣١]، بلفظ: «... إنْ قُلْتُ في كتابِ اللهِ ﷻ ما لا أعلمُ». وحكمَ عليهِ بالانقطاعِ بين إبراهيمَ التّيميِّ وأبي بكرٍ الصّدّيقِ. وذكرَهُ الحافظُ في (فتح الباري ١٣/ ٢٧١ شرح الحديث ٧٢٩٣) من طريقِ إبراهيمَ النَّخَعِيِّ، وقال: «وهذا مُنْقَطِعٌ بَيْن النَّخَعِيِّ وَالصِّدِّيقِ»، ثُمّ ذكرَ الحافظُ أنَّ (عَبْدَ بْنَ حُمَيْدٍ) أَخْرَجه أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيم التَّيْمِيِّ أبي بكرٍ، ثُمّ قال: «وَهُوَ مُنْقَطِعٌ أَيْضًا لَكِنَّ أَحدهمَا يُقَوِّي الآخَرَ». اهـ.

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٥).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٥٦).

يَذَرُ، ولكن أختمُ هذه الأقوالَ بِمَا نقلَهُ إمامُهُمُ **القُشَيْرِيُّ** يقولُ: «وقال بعضُهُمْ: **التَّصَوُّفُ إسقاطُ الجَاهِ وسَوادُ الوجهِ في الدُّنيا والآخرةِ**»(١). إنها كلمةٌ إنْ خلتْ مِنَ الرّمزيَّةِ؛ فإنها تَصِفُ التَّصَوُّفَ وَصْفًا بليغًا، ولعلَّ اللهَ تَعالَى أنطقَهُمْ بمآلِهِمْ ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾ [الزمر: ٦٠]. إنَّ مذهبَهُمْ يَقودُ إلى الخسرانِ في الدُّنيا والآخرةِ لِما فيه مِنَ المخالفةِ الصّريحةِ لدينِ الإسلامِ.

هذا؛ وقَدْ حاولَ بعضُ المتقدمين مِنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ والمتأخرين أنْ يَضَعَ ضابطًا أو قاعدةً يجمعُ فيها مَا تفرَّقَ مِنْ تعريفاتٍ وأقوالٍ في التَّصَوُّفِ والصُّوفيَّةِ. **فمِنَ المتقدّمينَ**:

■ **السَّهْرَورْدِيُّ** الذي ذكرَ أنَّ الأقوالَ تزيدُ على ألفِ قولٍ، وأنّهُ يطولُ نقلُها، ثُمَّ يقولُ: «ونذكرُ ضابطًا يجمعُ جُلَّ مَعانيها، فإنَّ الألفاظَ وإنِ اختلفتْ مُتقاربةُ المعاني، فنقولُ: الصُّوفِيُّ هو الذي يكونُ دائمَ التّصفيَةِ، لَا يزالُ يُصفّي الأوقاتَ عَنْ شوائبِ الأكدارِ بتصفيَةِ القَلبِ عَنْ شَوْبِ النَّفْسِ، ويُعينُهُ على هذه التّصفيَةِ دوامُ افتقارِهِ إلى مَولاهُ، فبدوامِ الافتقارِ يُنَقَّى مِنَ الكدرِ، وكلمّا تحرّكتِ النفسُ وظهرتْ بصفةٍ مِنْ صفاتِها أدركَها ببصيرتهِ الناقدةِ وفَرَّ منها إلى ربِّهِ، فبدوامِ تصفيتهِ جمعيَّتُهُ، وبحركةِ نفسهِ تفرقَتُهُ وكدَرُهُ، فهو قائمٌ بربِّهِ على قَلبِهِ وقائم بقَلبهِ على نفسِهِ، قال تَعالَى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [المائدة: ٨]، وهذه القوّاميَّةُ للهِ على النَّفسِ هو التّحقّقُ بالتَّصَوُّفِ»(٢).

■ وحاولَ **ابنُ خلدون** تعريفَ التَّصَوُّفِ فقال في «**المقدمة**»: «وأَصْلُ التَّصَوُّفِ: العكوفُ على العبادةِ، والانقطاعُ إلى اللهِ تَعالَى، والإعراضُ عَنْ

(١) المصدر السابق (٢/٥٥٦).
(٢) «عوارف المعارف» (ص: ٥٨ ـ ٥٩).

زُخْرفِ الدُّنيا وزينتِها، والزُّهْدُ فيما يُقبِلُ عليهِ الجمهورُ مِنْ لَذَّةٍ ومالٍ وجَاهٍ، والانفرادُ عَنِ الخلْقِ في الْخَلْوَةِ للعبادةِ»[١]. ويعرّفهُ في «**شفاءِ السّائلِ**» بقولِهِ: «التَّصَوُّفُ: رعايةُ حُسْنِ الأدبِ مع اللهِ في الأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ، بالوقوفِ عِنْدَ حدودِهِ، مقدمًا الاهتمامَ بأفعالِ القُلوبِ، مراقبًا خفاياها، حريصًا بذلك على النجاةِ»[٢].

وهذه التعريفاتُ لَا تُعَبِّرُ عَنِ التَّصَوُّفِ، غاية مَا فيها أنْ تَصِفَ حالةَ الزُّهْدِ في الدُّنيا، والزُّهْدُ غَيْرُ التَّصَوُّفِ حتَّى عِنْدَ المُتَصَوِّفَةِ الذين يَرَوْنَ أنَّ الصُّوفِيَّ أعلَى درجةً وأعظم مقامًا مِنَ الزّاهدِ؛ لطمع هذا الزَّاهدِ في النّجاةِ مِنْ عذابِ اللهِ والفوزِ بالجَنَّةِ، وأمَّا الصُّوفِيُّ فإنَّهُ لَا يُقيمُ وَزْنًا لجنَّةٍ ولَا نَارٍ.

▪ ومِنَ المتأخرين **الدكتورُ عبدُ الحَليم محمود** الذي استعرضَ التّعريفاتِ ودَرَسَها، ثُمَّ قَسَّمَها بحسبِ اتجاهاتِ القائلينَ، فالكثيرُ يَتّجِهُ في تعريفِ التَّصَوُّفِ إلى الجانبِ الأخلاقيِّ، واتجاهٌ آخرُ أكثرُ شُيوعًا هو تعريفُ التَّصَوُّفِ بالزُّهْدِ، وهناكَ قسمٌ يَخلطُ بَيْنَ التَّصَوُّفِ والعبادةِ. وعِندَهُ أنَّ الأخلاقَ مِنْ أُسُسِ التَّصَوُّفِ، وهو في أسمَى صُورِهِ ثمرةٌ مِنْ ثمارِ التَّصَوُّفِ لَا أكثرَ وكذا الزُّهْدُ، فالتَّصَوُّفُ فيه الزُّهْدُ وزيادةٌ، فالصُّوفِيُّ زاهدٌ عابدٌ، ولكن شَتَّانَ بَيْنَ زُهْدِ الصُّوفِيِّ وعبادتِهِ وزُهْدِ غيرِهِ وعبادتِهِ.

والتّفرقةُ إِنَّمَا هي في الهدفِ: **فغيرُ الصُّوفِيِّ** يهدفُ مِنْ زُهْدِهِ وعبادتِهِ الاستمتاعَ في الآخرةِ ودخولَ الجَنَّةِ، فهو يَعملُ في الدُّنيا لأُجْرَةٍ يأخذُها في الآخرةِ. وأمَّا **الصُّوفِيُّ**؛ فإنَّهُ يَتزهّدُ ويتعبّدُ على الأصلِ الذي وضَعَهُ أئِمَّةُ التَّصَوُّفِ وعَبَّرَتْ عنهُ **رَابِعةُ العَدويَّةُ** بقولِها: «**اللَّهُمَّ! إنْ كُنتَ تَعلمُ أني أَعبدُكَ خوفًا مِنْ نارِكَ فأَلْقِني بِهَا، وإنْ كنتُ أَعبدُكَ طَمعًا في جَنّتِكَ فاحْرِمْنيهَا**».

(١) «المقدمة لابنِ خلدون» (٢/ ٥٨٤).
(٢) «شفاء السائل» (ص: ١٨).

فالخلاصةُ عِنْدَ هذا **الدكتورِ الصُّوفِيِّ**: أنَّ التَّصَوُّفَ «يَتضمّنُ الخُلُقَ الكريمَ، والزُّهْدَ الرّفيعَ، والعبادةَ المتجرّدةَ، وهو معَ كُلِّ ذلك شَيْءٌ آخرُ»[١]. لقد صَدقَ هذا الصُّوفِيُّ في قولهِ: «**وهو مع كُلِّ ذلك شَيْءٌ آخرُ**»؛ **فالخلقُ الكريمُ** عندَهم يَتمثَّلُ في الانقيادِ والخضوعِ للشّيْخِ في مَالِهِ وعرضِهِ ودَمِهِ! **والزُّهْدُ الرّفيعُ** في قَتْلِ الجانبِ الإنسانيِّ، وفي هَدْرِ كرامتهِ التي يَزْهَدُ فيها إرضاءً لأئمَّتهِ! **والعِبادةُ المتجرّدةُ** في عِبادتِهِمْ أولياءَهُمْ وأئمّتَهُمْ واتّخاذِهم أربابًا مِنْ دونِ اللهِ!

وخلاصةُ القولِ: إنَّ مَا يَتناقلُهُ المُتَصَوِّفَةُ المتقدمون منهم والمتأخرون ويَزْعُمُونَ أنَّها تعريفاتٌ؛ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا قائلُوها تعريفَ التَّصَوُّفِ تعريفًا علميًّا دقيقًا بحيثُ يستوعبُ كُلَّ جُزئيّاتهِ ومتعلقاتهِ، بلْ إنَّ العارفَ منهم قَصَدَ التّمويهَ والتّضليلَ والتّشتيتَ حتَّى يَصْعُبَ على المعترضين بيانُ فسادِ التَّصَوُّفِ كُلِّهِ، بلْ غاية الأمرِ إنِ اعترضَ مُعترضٌ أنْ يَقولوا مُسوّغينَ باطلَهُمْ بأنَّ التَّصَوُّفَ غيرُ ذلك، وأنَّ الإنكارَ مُتَّجِهٌ إلى حالٍ مِنْ أحوالِ أَحَدِ المُتَصَوِّفَةِ الذين قَدْ مَلكتْهُمْ أحوالُهُمْ، فصدرتْ عنهم أقوالٌ وأفعالٌ ظاهِرُها مُستبشعٌ وباطِنُها غيرُ ذلك. وأمَّا غيرُ العارفينَ بحقيقةِ هذا الأمرِ ومخالفتهِ للإسلامِ فإنّهُمُ اغترّوا بِمَا زَيَّنَ بهِ أئمّتُهُمْ باطِلَهُمْ وآمنوا وصدَّقوا جهلًا منهم بحقيقةِ التَّصَوُّفِ؛ لأنّهم أوّلُ مَا عملوهُ فيهم أنَّهُمْ صَدّوهم عَنِ العِلْمِ وأهلِهِ وأوقعوهم في ظُلماتِ الجَهْلِ والابتداعِ. فهؤلاءِ يريدون التَّصَوُّفَ مَذْهَبًا حُرًّا لَا يَتقيّدُ بقيودِ الشَّرعِ في الأُصُولِ والفروعِ، ومِنْ ثَمَّ فإنَّهُ لَا يَنضبطُ تحتَ قواعدِ النَّقدِ العلميِّ، ولَا يدخلُ في أبوابِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عَنِ المُنْكرِ.

فالتَّصَوُّفُ مِنْ خلالِ تعريفاتِ أَهلِهِ وواقعِ حَالِهِمْ؛ هو جملةٌ مِنَ

---

(١) أبحاث في التَّصَوُّفِ ضمن «المجموعة الكاملة» للدكتور عبدِ الحَليمِ محمود (ص: ١٦٠ ـ ١٦٨).

الرياضاتِ النّفسيَّةِ والعمليَّةِ، التي يُقصَدُ بِهَا قَتْلُ النَّفسِ وما فُطِرَتْ عليهِ بالمخالفةِ، وحملُها على المكروهاتِ الدّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، للوصولِ بهذه النفسِ إلى جُملةٍ مِنَ العقائدِ والطُّقُوسِ التي تَفتحُ لهُ بابًا مِنَ الخيالاتِ الفاسدةِ، والاتصالِ بالشياطينِ التي تُوحِي إليه أنّهُ يُشَاهِدُ مَا يَزْعُمُونَهُ بالحَضْرَةِ الإلٰهيَّةِ، والدخولِ في بَحْرِ المناجاةِ، ثُمَّ التَّرَقِّي في المقاماتِ، حتَّى يَصِلَ في النهايةِ إلى درجةِ الاتحادِ مع اللهِ تَعَالَى بِزعْمِهِمْ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

يقولُ المستشرقُ **نيكلسون**: «والتعاريفُ المتعدّدةُ للصُّوفيَّةِ التي وَردَتْ في الكُتُبِ العَربيَّةِ والفارسيَّةِ، وإنْ كانتْ ذاتَ فائدةٍ تَاريخِيَّةٍ، فإنَّ أهمّيّتَها الرئيسيَّةَ في **أنَّها تعرضُ الصُّوفيَّةَ على أنَّها غيرُ مُمكنٍ تحديدُها**». ويقولُ: إنّها تفيدُ أيضًا في بيانِ صُعوبةِ رَسْمِ مَعالمِ التَّصَوُّفِ الرئيسيَّةِ؛ لأنها لَا تُمثّلُ طَابعًا مُعيّنًا، وليستْ هي فِرْقةٌ، ولَمْ يَكُنْ لها مذهبٌ مرسومٌ في العقائدِ، وأنَّ طُرُقَهُمُ التي يبحثون بِهَا عَنِ اللهِ مُتعدّدةٌ تَعَدُّدَ أرواحِ الخلائقِ، وأنّها تختلفُ إلى غيرِ نهايةٍ[١].

ويقولُ **جولدتسيهر**: «والتَّصَوُّفُ ليس نظامًا مُتجانسًا مَحدودًا مِنْ حيثُ نظريّاتُهُ أو طُقُوسُهُ، بلْ لَا يُوجَدُ تعريفٌ مضبوطٌ مُجمعٌ على قَبولِهِ تَندرجُ تحتَهُ اتجاهاتُ التَّصَوُّفِ العامَّةُ، فهناك على الأخصِّ فُروقٌ لَا حصرَ لها في تفصيلاتِ أفكارِهِ ووقَائِعِهِ». ويقولُ أيضًا: «ومِنَ الطبيعيِّ أنْ يُقَابِلَ هذا التَّبَايُنَ في الفكرةِ الأساسيَّةِ للتَّصَوُّفِ فُرُوقٌ كثيرةٌ في الفروعِ والتفصيلاتِ»[٢].

والذي يَأْسَفُ لهُ المُسْلِمُ في هذا البابِ هو قَبولُ بعضِ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ هذه الأقوالَ أو على الأقلِّ عَدَمُ رفضِها؛ استنادًا منهم ورُكونًا إلى

(١) الصوفية في الإسلام (ص: ٢٩).
(٢) العقيدة الشريعة في الإسلام (ص: ١٤٧).

القاعدةِ الخبيثةِ التي يُدَندِنُ حولَها المُتَصَوِّفَةُ قديمًا وحديثًا وهي: أنَّ عُذْرَهُمْ في هذا الاختلافِ أنَّ التَّصَوُّفَ مُتَضَمِّنٌ لأحوالٍ ومقاماتٍ واجتهاداتٍ لَا تُعَدُّ ولَا تُحْصَى، وأنَّ البعضَ قَدْ عَبَّرَ عَنِ التَّصَوُّفِ وهو في بداياتِ الطريقِ، والبعضَ قَدْ عَبَّرَ وهو في أواسطِ الطريقِ، والبعضَ قَدْ عَبَّرَ وهو في نهايةِ الطريقِ، وغَيْرَهُ قَدْ عَبَّرَ بَعْدَ بُلوغِ الغايةِ، وأنَّ أقوالَهُمْ هذه تَعبيراتٌ عَنْ مَواجِيدِهِمْ في حالاتِهِمْ ومَقامَاتِهِمْ، وأنَّ كُلَّ واحدٍ منهم يُعَبِّرُ عَمَّا وَجَدَ لَا غيرَ.

أقولُ: إنَّهُ مِنَ المؤسِفِ أنْ يُرَدِّدَ هؤلاءِ نحوَ هذه المقولاتِ الفاسدةِ التي يُرَادُ منها قبولُ التَّصَوُّفِ على الرَّغْمِ مِنِ انحرافاتهِ، وإلَّا فالإسلامُ لَمْ يَتركِ الإنسانَ - في عِبادَتِهِ لخالِقِهِ وفي علاقتهِ مع رَبِّهِ ﷻ - يَعتمِدُ على الخيالاتِ والمناماتِ والمواجيدِ والأذواقِ الإنسانيَّةِ، بلْ جعلَ لذلك أُصولًا وقواعدَ وشرائعَ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا والْتَزَمَها فازَ، ومَنْ زاغَ عنها خابَ وخَسِرَ.



الفصلُ الثاني

تاريخُ التَّصَوُّفِ

وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: نشأةُ التَّصَوُّفِ.
- المبحثُ الثاني: تطوّرُ التَّصَوُّفِ.
- المبحثُ الثالثُ: مَراحِلُ التَّصَوُّفِ، وهي ثلاثُ مراحلَ.

المبحث الأوّلُ

نَشْأَةُ التَّصَوُّفِ

أَرسَلَ اللهُ ﷻ الرُّسُلَ والأنبياءَ وأنزلَ الكُتُبَ على خَلْقِهِ تِبْيانًا لَهمْ وتفصيلًا لِما فيه صَلاحُهُمْ في مَعاشِهِمْ ومَعَادِهِمْ، ثُمَّ جعلَ ﷻ بِعْثَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وإنزالَ القُرْآنِ الكَريمِ خَتْمًا لهذه المَهَمّةِ المباركةِ في تَوجيهِ الخَلْقِ ورعايتِهِمْ، فجاء دينُ الإسلامِ بالحنيفيَّةِ السَّمْحَةِ والمنهجِ الوَسَطِ بَيْنَ الأديانِ والرسالاتِ، يُمارِسُ الإنسانُ في ظِلِّ هذا الدِّينِ فِطْرَتَهُ الخَلْقِيَّةَ وغَرائزَهُ وشَهواتِهِ المشروعةَ التي أَودعَها اللهُ ﷻ فيه، مع إحياءِ الجانبِ الرُّوحيِّ فيهِ وتَنميتِهِ، فالإسلامُ مَنهجُ اعتدالٍ وتوسُّطٍ في جميعِ الأُمُورِ، ومتكامل لا نقص فيه.

وقد جاءتِ التكليفاتُ الشَّرعِيَّةُ في الإسْلامِ على قسميْنِ:

ـ **الأولُ:** يَتَعَلَّقُ بالقَلْبِ وأعمالِ الجوارحِ الباطنةِ كالإيمانِ باللهِ والإخلاصِ لهُ ومَخافَتِهِ والتَّوكُّلِ عليهِ وغير ذلك مِنَ الأعمالِ والصِّفَاتِ والأحوالِ التي مَحلُّها القَلبُ والباطنُ.

ـ **الثّاني:** يَتعلَّقُ بأعمالِ الجوارحِ الظاهرةِ: كالشّهادتيْنِ وسائرِ العباداتِ وأعمالِ البِرِّ والمعاملاتِ.

وقَدِ اهتمَّ الإسلامُ بكِلا القسمينِ اهتِمامًا عظيمًا، مع التّأكيدِ والأولويَّةِ للقِسْمِ الأوّلِ، حيثُ جعلَ صلاحَ القَلبِ والباطنِ شَرْطًا لقَبولِ الأعمالِ الظاهرةِ وصَلاحِها.

روى **الشَّيْخَانِ** في «**صَحيحَيْهِما**» مِنْ حديثِ النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ ﵁ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ... ـ [إلى أنْ قال ﷺ] ـ أَلَا وَإِنَّ في

الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

فهذا الحديثُ فيه تعظيمُ قَدْرِ **القَلبِ** بالنسبةِ لسائرِ الأعضاءِ والجوارحِ، ففي صَلاحِهِ صَلاحُها، وفي فسادِهِ فسادُها. فالقَلبُ والباطنُ أصلٌ في التَّقْوَى والاستقامةِ، وأصلٌ في الصَّلاحِ أَوِ الفسادِ لجميعِ الأعمالِ.

وروَى **الإمامُ مُسْلِمٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ حَديثِ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ، ولَا إلى صُوَرِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ**». وأشارَ بأَصَابِعِهِ إلى صَدْرِهِ. وفي روايةٍ أُخْرَى عنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوَالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ**»(٢).

وهذا الحديثُ بروايتيْهِ يَدُلُّ على أنَّ الأَصْلَ في قَبولِ الأعمالِ بَعْدَ صَوابِها هو صلاحُ القَلبِ والباطنِ، مِنْ صِدْقٍ وإخلاصٍ في التَّوَجُّهِ والقَصْدِ. ومِنْ هنا كان الإيمانُ باللهِ تَعالَى والرِّضا بهِ رَبًّا ومعبودًا رأسَ جميعِ الأعمالِ والطاعاتِ الظاهرةِ والباطنةِ.

وقَدْ أدركَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هذه الحقائقَ الشَّرعِيَّةَ التي كانوا يَتلقَّوْنَها عَنْ الرَّسُولِ ﷺ، فانصرفوا بهمّةٍ عاليةٍ ـ بِمَا وَقَرَ في نفوسِهِمْ مِنْ نورِ الإيمانِ والإخلاصِ، وبما هداهُمُ اللهُ تَعالَى إليه ووَفَّقَهُمْ لهُ ـ إلى إصلاحِ قُلوبِهِمْ ومقاصدِهِمْ. والرَّسُولُ ﷺ يتعاهَدُهُمْ ويَرعاهم بِمَا يكفلُ صلاحَ باطِنِهِمْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وقَدْ وفقهُمُ اللهُ تَعالَى بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ، ثُمَّ بِمَا بَذلُوهُ مِنْ أسبابٍ

(١) **مُتّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريّ»، كتاب الإيمان، باب فضل مَنِ استبرأ لدينه (الفتح ١/ ١٢٦ رقم: ٥٢)، و«صحيح مُسْلِم» واللفظ لهُ، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩ ـ ١٢٢٠ رقم: ١٥٩٩/ ١٠٧).

(٢) رواهما الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٤/ ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ رقمي: ٢٥٦٤/ ٣٣، ٣٤).

ومُجاهداتٍ، فبلغوا أَعْلَى مراتبِ الإيمانِ والإحسانِ، وبلغوا أعظمَ الغاياتِ في جميع الأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ، فتوكّلوا على رَبِّهِمْ حَقَّ التَّوكُّلِ، وزَهدُوا في هذه الدُّنيا حَقَّ الزُّهْدِ، مع قيامِهِمْ بعِمَارتِها، ونشرِ دينِ اللهِ تَعَالَى في الأرضِ ببذلِ المالِ والنفسِ في جَهادِهِمْ في سبيلِ اللهِ.

لقد جمع الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم بَيْنَ أعلَى مقاماتِ العبادةِ في عُبوديَّتِهِمْ للهِ تَعالَى، وبَيْنَ إقامةِ أحكامِ اللهِ تَعالَى في أرضِهِ وخلقِهِ، حتَّى وَرَّثَهُمُ اللهُ تَعالَى الأرضَ ومَنْ عليها. ومالتْ إليهِمُ الدُّنيا بِزُخْرُفِها وزينتِها فجعلوها في أيديهم، وأَدّوا حَقَّ اللهِ تَعَالَى وحَقَّ العبادِ فيها ولَمْ يَكُنْ لها في قُلوبِهِمْ وبواطنِهِمْ محلًّا ولَا أثرًا.

وكانوا رضي الله عنهم - على الرَّغْمِ مِنْ قيامِهِمْ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَى - على خَوفٍ ووَجَلٍ مِنْ تَغَيُّرِ القُلوبِ، معَ استقامةِ أحوالِهِمْ وأعمالِهِمُ الظاهرةِ، وانقيادِهِمُ التَّامِّ لأمرِ اللهِ تَعالَى وأمرِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم. فهذا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَدْ أكثرَ مِنْ مُساءَلَةِ حذيفةَ بنِ اليَمانِ رضي الله عنه في أمرِ باطنهِ، وهل هو في عِدَادِ مَنْ عَدَّهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّن قَدْ فسدتْ بواطنُهُمْ مع مَا يظهرُ للنَّاسِ مِنْ صلاحِ ظواهِرِهِم[(١)]. هكذا كان عُمَرُ رضي الله عنه خليفةُ المُسلِمينَ وإمامُ المتقينَ في وَقْتِهِ على هذه الدّرجةِ العظيمةِ مِنَ الخوفِ والحذرِ الشّديدِ مِنَ الخفايا التي تَهدِمُ الباطنَ وتفسدُهُ.

ولَمْ تكن هذه الحالُ خَاصَّةً بِعُمَرَ رضي الله عنه وحدَهُ بَلْ هي حالُ الصَّحَابَةِ عَامَّةً رضي الله عنهم؛ يقولُ ابنُ أبي مُلَيْكَةَ رحمه الله: **«أدْرَكْتُ ثلاثين مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ على نَفْسِهِ»**[(٢)].

---

(١) «سير الأعلام» (٢/ ٣٦٤)، و«كنز العمال» (١٣/ ٣٤٤) عن زَيْدِ بنِ وَهْبٍ، معزوًّا إلَى رستة في كتابِ «الإيمان».

(٢) **ذكره البُخاريُّ مُعَلَّقًا بصيغةِ الجَزمِ والاحتجاجِ** في «صحيحهِ»، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن مِنْ أنْ يحبط عمله وهو لاَ يشعر (الفتح: ١/ ١٠٩ قبيل الحديث رقم: ٤٨).

كَيف لَا يتخوّفونَ وقَدْ سَمِعوا رَسُولَ اللهِ ﷺ في دُعَائِهِ وأَيْمَانِهِ يَتخوَّفُ مِنْ تَقلُّبِ القُلوبِ؛ روَى **الإمامُ البُخاريُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما قال: كثيرًا مَا كان النَّبيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «**لَا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ!**»(١). وروى **الإمامُ أحمدُ عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها قالت: دَعَوَاتٌ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ**»(٢).

هكذا عاشَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم حياةً إسلاميةً متكاملةً، تجمعُ بَيْنَ سُلوكِ الطريقِ الأمثلِ لمرضَاةِ اللهِ تَعالَى، وبَيْنَ القيامِ بدَورِهِمْ في الحياةِ الدُّنيا بمُمَارسةِ السُّلوكِ السَّويِّ والمنهجِ الوسطِ في جميعِ الجوانبِ الاجتماعيَّةِ والنفسيَّةِ الفِطْريَّةِ، فأَعْطَوْا كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ دونَ إفراطٍ أو تفريطٍ.

وكان الرَّسُولُ ﷺ يتعاهدُهُمْ ويَرعاهُمْ، فإذا مَا أخطأَ أحدُهُمْ ـ في اجتهادٍ أو رَأْيٍ أو سُلوكٍ أو أخطأَ في تَطبيقِ بعضِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ ـ صَحَّحَ لهُ ذلك الخطأَ، وأعادَهُ إلى الجادّةِ القويمةِ والحنيفيَّةِ السَّمْحةِ بأسلوبٍ نَبويٍّ رَحيمٍ لَا فضاضةَ فيه ولَا غِلْظَةَ، فكانوا يَتلقّونَها بالاستسلامِ والإذعانِ المطلقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمْ وأرضاهم، مِمَّا يَدُلُّ على صدقِهِمْ فيما عاهدوا اللهَ تَعالَى عليهِ في سَمْعِهِمْ وطَاعتِهِمْ للهِ تَعالَى ولرَسُولِهِ ﷺ، ولذلك وَرَدَتْ آياتٌ وأحاديثُ كثيرةٌ في الثَّناءِ عَليهِم وبيانِ صِدْقِهِمْ وإخلاصِهِمْ.

وخيرُ مثالٍ على هذا؛ **قِصَّةُ الثلاثةِ الذين تَقَالُّوا عِبادَةَ النَّبِيِّ ﷺ**، فقرّرَ

---

(١) «صحيح البُخاريّ»، كتاب القدر، باب ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ الفتح (١١/ ٥١٣)، وفي كتاب الأيمان والنذور، باب كَيف كان يمين النَّبيِّ ﷺ (الفتح: ١١/ ٥٢٣ رقم: ٦٦٢٨)، وفي كتاب التوحيد باب مقلب القلوب وقول الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] الفتح (١٣/ ٣٧٧).

(٢) **حَسَنٌ لغيرِهِ**: رواه الإمامُ أحمدُ «المسند» (٦/ ٩١) بإسنادٍ حسنٍ لغيرِهِ، انظر: «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٢٦ رقم: ٢٠٩١) وتَتمّةُ الحديثِ؛ قالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُو بِهذا الدُّعاءِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ قَلْبَ الآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ** عز وجل، **فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ**».

أحدُهُمْ أنْ يُصَلِّيَ اللّيلَ كُلَّهُ، والثاني أنْ يَصُومَ الدَّهْرَ كُلَّهُ، والثالثُ أنْ يَتَبَتَّلَ فلا يَتزوجُ النّسَاءَ. قَرّروا بَعْدَ نَظَرٍ منهم واجتهادٍ شخصيٍّ هذه القراراتِ التي تمثلُ الانحراف والميل عن الصراط والغُلُوَّ الذي يَهدِمُ الحنيفيَّةَ السّمحةَ التي جاءَ بِهَا هذا الدِّينُ، اجتهادٌ يَتعارضُ حتَّى مع الفِطْرةِ التي فطرَ اللهُ النَّاسَ عليها، إنَّهُ الإفراطُ والغُلُوُّ في الجانبِ التّعبُّديِّ، والتّفريطُ والإهمالُ في الجانبِ الفِطْريِّ. هكذا يُزَيِّنُ الشَّيْطَانُ أبوابَ الشَّرِّ والفِتْنَةِ في الدِّينِ بزينةِ التّقوَى، ويصبغُها بصبغةِ الخشْيَةِ. فأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هذا الموقفَ، وعَلِمَ الدَّاءَ، فخاطبَهُمْ بقولِهِ ﷺ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ! إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

هذه سُنَّتُهُ ﷺ، وهذا صِراطُ اللهِ تَعَالَى، فيه البُعْدُ عَنِ الغُلُوِّ، والسّلامةُ في القصدِ والتّوسُّطُ في الأُمُورِ. هذا هو الدِّينُ الوسَطُ الذي يدعو إلى التَّوسُّطِ في العباداتِ والأخلاقِ، ويدعو إلى حياةٍ طبيعيّةٍ لَا تَكَلُّفَ فيها ولَا تَصَنُّعَ.

لقد طَبَّقَ الصَّحَابَةُ ﭫ هذا المنهجَ القويمَ، وعَضُّوا عليهِ بالنَّوَاجِذِ، فأدَّى كُلٌّ منهم دَوْرَهُ في هذه الحياةِ الدُّنيا مع زُهْدِهِمْ فيها، حتَّى أهلُ الصُّفَّةِ ﭫ لَمْ يقعدوا أو يلتزموا صُفَّةَ المسجدِ باختيارٍ منهم، وإنّما الحاجةُ هي التي أقعدَتْهم، ولَمْ يَكُنْ أحدٌ منهم أو غيرُهُمْ يرَى أنَّ المُكْثَ على صُفَّةِ المسجدِ أفضلُ وأقربُ إلى اللهِ تَعالَى، حاشاهم أنْ يخالفوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ أنْ أخذوا منهُ المنهجَ وعَقلُوه عنهُ. لذا فقَدْ كان أحدُهُمْ إذا مَا وجدَ عملًا تركَ الصُّفَّةَ ومضَى إلى سبيلِهِ، مِمَّا يَشهدُ على استقامَتِهِمْ في إسلامِهِمْ وجَمْعِهِمْ بَيْنَ العِلْمِ والعملِ وبَيْنَ الزُّهْدِ والكَسْبِ وبَيْنَ العبادةِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ تَعالَى.

---

(١) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريّ»، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (الفتح: ٩/ ١٠٤ رقم: ٥٠٦٣)، و«صحيح مُسْلِم»، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح (٢/ ١٠٢٠) من حديث أنس ﭬ.

ثُمَّ جاءَ التّابعونَ يتلَقَّوْنَ منهجَ التَّوَسُّطِ والاعتدالِ عَنِ الصَّحَابَةِ الذين أَدّوا الأمانةَ وبلَّغُوا مُرادَ اللهِ ﷻ، وواصلوا المسيرةَ المباركةَ مِنْ غيرِ تَحريفٍ ولَا تبديلٍ، وكانوا يَتصدّوْنَ للأخطاءِ والانحرافاتِ تصحيحًا وتعديلًا؛ جاءَ بعضُهُمْ إلى **عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما يستفتونهُ في **مَقَالِةِ مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ** في القَدَرِ، التي كانتِ ابتداعًا في مسائلِ الإيمانِ، وانحرافًا عَنِ الصِّرَاطِ، وإفسادًا للأعمالِ الباطنةِ، فتبرأ ابن عمر منهم وأجابهم رضي الله عنه بقولِهِ: «.. **فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ! لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ؛ مَا قَبِلَ اللهُ منهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ..**»(١). هكذا بَيَّنَ رضي الله عنه المنهجَ الذي تَلقَّاهُ عَنْ رَسُولِ الهُدَى ﷺ، وحذَّرَ مِنْ فَسَادِ القَلبِ والباطنِ الذي بفسادهِ لَا تصلحُ الأعمالُ الظاهرةُ مِنْ إنفاقٍ وبَذْلٍ مهما عَظُمَ حَجْمُهُ وقَدْرُهُ.

ثُمَّ بدأَتْ الانحرافاتُ تَظْهَرُ في أَوَاخرِ عَصْرِ التّابعينَ بِظُهورِ الفِرَقِ المخالفةِ لمنهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ووُجِدَتْ بعضُ مظاهرِ الغُلُوِّ في بعضِ العباداتِ المشروعةِ، وكُلَّما بَعُدَ العَهْدُ عَنْ زَمَنِ النُّبُوّةِ وقَلَّ عَدَدُ الصَّحَابَةِ وعَزَّ وُجُودُهُمْ كلَّما ازدادَ النَّاسُ في زمن التابعينَ ومِمَّنْ جاءَ بعدَهُمْ في زمن أتباعِ التابعينَ في مَظاهرِ الانحرافِ والإفراطِ والتفريطِ.

وفي تلك الحُقْبَةِ ظهرتْ طَبَقةٌ مِنَ العُبَّادِ والزُّهَّادِ، منهم مَنْ تَميَّزَ بكثرةِ العبادةِ والاجتهادِ في الطاعاتِ، ومنهم مَنْ تَميَّزَ بالزُّهْدِ والتَّقشُّفِ، وغلبَ على بعضِهِمُ الورَعُ والتقوى، وعلى البعضِ الآخرِ شِدَّةُ الخوفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وغيرُ ذلك مِنَ التَّمَيُّزِ في بعضِ النَّواحي مِنَ الآدابِ والأخلاقِ الشَّرعِيَّةِ، مع التزامِهِمْ بالمنهجِ الحَقِّ والصِّرَاطِ المستقيم، فلَمْ يُحْدِثُوا في دِينِ اللهِ مَا ليس منه مِنْ أعمالٍ غيرِ مشروعةٍ، أو أقوالٍ وأحوالٍ لَمْ يَتكلَّمْ بِهَا

---

(١) رواه مُسلِمٌ في «الصحيح»، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله (١/٣٦).

الأوَّلونَ، بلِ الْتَزموا منهجَ الرَّسُولِ ﷺ، واقْتَفوا أَثَرَ الصَّحَابَةِ ﷺ في تطبيقِ ذلك المنهجِ في حَياتِهمُ العِلْميَّةِ والعَمَلِيَّةِ والرُّوحيَّةِ.

هؤلاءِ هُمُ الزُّهَّادُ والعُبَّادُ والنُّسَّاكُ مِنَ التابعينَ وأتباعِهِمْ، مِمَّن غلبَ عَليهِمُ الزُّهْدُ والورعُ والخشيةُ، مع فضلِهِمْ وعِلْمِهِمُ الغزيرِ بالسُّنَنِ والآثارِ. وقَدْ ذُكِرَ عَنْ بعضِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى - زيادةٌ في عباداتِ النَّوافلِ على كثيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، مِنْ صَلاةٍ وصِيَامٍ وذِكْرٍ، حتَّى إنَّهُ قَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعضِهِمْ أحوالٌ اقترنتْ في بعضِ عِباداتِهِمْ، كالغشي والصَّعْقِ وحتَّى الموتِ عِنْدَ سماعِ القُرآنِ، أو حالٌ مِنْ شِدَّةِ البُكَاءِ والخوفِ الذي يَتركُ في صَاحبِهِ أَثرًا ظاهرًا، مِمَّا لَمْ يَكُنْ قَدْ وقعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وصحابتِهِ مِنْ بعدِهِ.

هذه الأحوالُ قَدْ حُكِيَتْ عنهم ونُقِلَتْ إلينا عَمَّن رَآهُمْ، ولَمْ يَدَّعُوها لأنفُسِهِمْ أو يَزْعُمُوا أنَّها قَدْ وقعَتْ لَهمْ. يقولُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هؤلاءِ وأحوالِهِمْ: «إذا كانت أسبابُها مَشْروعةً وصاحبُها صَادِقًا عَاجزًا عَنْ دَفْعِها؛ كان مَحمُودًا على مَا فَعَلَهُ مِنَ الخيرِ وما نَالَهُ مِنَ الإيمانِ، معذورًا فيما عجزَ عنهُ وأصابهُ بغيرِ اختيارهِ... ولكن مَنْ لَمْ يَزُلْ عَقْلُهُ مع أنّهُ قَدْ حصلَ لهُ مِنَ الإيمانِ مَا حصلَ لَهمْ أو مثلهُ أو أكملُ منهُ؛ فهو أفضلُ منهم، وهذه حالُ الصَّحَابَةِ، وهو حالُ نَبِيِّنا ﷺ»[(١)].

وهؤلاءِ لَا يُظَنُّ فيهم إلَّا الصدقُ والأمانةُ واتّباعُ الأسبابِ المشروعةِ في عباداتِهِمْ وأخلاقِهِمْ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، **خَاصَّةً وأنَّ أحوالَهَم تلك قَدْ نُقِلَتْ وحُكِيَتْ عنهم مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أهلِ العِلْمِ والفضلِ، ولَمْ يذكروها هُمْ أنفُسُهُمْ على سبيلِ الفخْرِ ونيلِ المكانةِ والمنزلَةِ بَيْنَ النَّاسِ**، خلافَ حالِ مَنْ بعدَهُمْ مِنْ أهلِ البِدَعِ والأهواءِ مِنَ المتزَهّدينَ والمتعبدينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ.

وعلى الرَّغْمِ مِنْ هذا فقَدْ تَصَدَّتْ **طَائفةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وكبارِ التابعينَ**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٢).

بالإنكارِ على أُولَئِكَ، منهم: **أسماءُ بنتُ أبِي بَكْرٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ، ومُحَمَّدُ بنُ سيرينَ**، ونحوهُمْ رضي الله عنهم كما ذكره شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله[(١)].

وعَن **عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ** رضي الله عنه قال ـ يُخاطِبُ هؤلاءِ مِنْ أصحابِهِ ـ: **«أنتم أكثرُ صَومًا وصلاةً مِنْ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُمْ كانوا خيرًا مِنكم». قالوا: لِـمَ يا أبا عبدِ الرَّحْمَنِ؟ قال: «لأنّهم كانوا أَزْهَدَ في الدُّنيا وأرغبَ في الآخرةِ»**[(٢)].

فالخيريَّةُ والأفضليَّةُ لتفوّقِهِمْ في الأعمالِ القَلبيَّةِ الباطنةِ.

ويقولُ رضي الله عنه أيضًا ـ مُبيِّنًا سبيلَ سُلوكِ المنهجِ الحقِّ ـ: **«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ الحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عليهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا أَفْضَلَ هذه الأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرَفُوا لَهم فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ في آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا على الهُدَى المُسْتَقِيم»**[(٣)].

إِنَّ هذا الإنكارَ والبيانَ مِنَ الصَّحَابَةِ وأعلامِ التابعينَ رضي الله عنهم إِنَّمَا يَدُلُّ على حِرْصِهِمْ في المحافظةِ على بقاءِ الهَدْيِ النبويِّ نَقِيًّا مِنْ كُلِّ شَائبةٍ تُكَدِّرُ صَفْوَهُ وصَفاءَهُ، وعلى نَبْذِ كُلِّ دَخيلٍ مهما بَدا وظهرَ في صُوَرٍ مِنَ البرِّ والصلاحِ والخيرِ، لقَدْ بذلوا مَا في وسعِهِمْ وجهدِهِمْ في الذَّبِّ عَنْ هذا المنهجِ الحَقِّ، فرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمْ وأرضاهم.

وخلاصةُ مَا تقدّمَ مِن أحوالِ زُهَّادِ السَّلَفِ؛ أنّهم:

ـ سلكوا مَسلَكَ الصَّحَابَةِ في طَرِيقِهِمْ إلى اللهِ تَعَالَى فكانوا أربابًا للقُلوبِ.

---

(١) المصدر السابق (١١/ ٧).

(٢) المصدر نفسه (٢٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧ رقم: ١٨١٠) قال الألبانيُّ في (المشكاة ١٩٣): «إسنادُهُ مُنقطِعٌ بينَ قَتادةَ وابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه». اهـ. ورواه الحسنُ البصريُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه في (الحِلْيَةِ ١/ ٣٠٥) والحسنُ مدلّسٌ وقَدْ عنعنَ.

- ملكوا الدُّنيا ولَمْ تملِكْهُمْ.

- كانوا رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى هُدَاةً دُعاةً إلى اللهِ تَعَالَى واتّباعِ هديِ رَسُولِهِ ﷺ.

- لَمْ يكونوا مُتصوّفةً في تَعبُّدِهِمْ وتَزهُّدِهِمْ أو في شَيْءٍ مِنْ أخلاقِهِمْ.

- تَجنّبوا البِدَعَ والمُحدَثاتِ بِمَا عَصمهُمُ اللهُ تَعَالَى بهِ مِنْ توفيقهِ، ثُمَّ باتّباعِهِمُ السُّنَنَ والآثَارَ.

- قاموا بواجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكرِ.

يقولُ **الإمامُ الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ في ترجمةِ أحدِ هؤلاءِ: «كان زُهَّادُ السَّلَفِ وعُبَّادُهُمْ أصحابَ خَوْفٍ وخُشوعٍ وتَعبُّدٍ وقُنوعٍ، ولَا يَدخلون في الدُّنيا وشَهواتِها، ولَا في عِباراتٍ أَحدَثَها المتأخرونَ مِنَ الفناءِ والمحْوِ والاصطِلام والاتحادِ، وأشباهِ ذلك مِمَّا لَا يُسَوِّغُهُ كِبارُ العُلَمَاءِ، فنسألُ اللهَ التّوفيقَ والإخلاصَ ولُزومَ الاتّباعِ»(١).

وأمَّا التَّصَوُّفُ؛ فقَدْ نشأَ وترعرعَ في صُفوفٍ مِنَ المتعبّدينَ والمتزهّدينَ الذين خلطوا عَملًا صالحًا وآخرَ سيّئًا، واتّصفوا بشيءٍ مِنَ الغَفْلةِ أَوِ السَّذَاجةِ أحيانًا مع بعضِ الجهلِ في السُّنَنِ والآثارِ، وإنْ كانوا في الجُملةِ مُحِبّينَ للخيرِ راغبينَ فيما عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، مع خَطَئِهِمْ في سُلوكِ المنهجِ والسَّبيلِ، وفي تطبيقِ شَرعِ اللهِ تَعَالَى. ولَعَلَّ أنْ يشفعَ لَهمْ صِدْقُ تَوجُّهِهِم، ومُجاهَدَتُهُمْ ومُكابدتُهُمْ في الطاعاتِ وسائرِ العباداتِ، مع حُسْنِ نَواياهُمْ وطويّاتِهِمْ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلمُ بهم وبأحوالِهِمْ.

الحاصلُ: أنَّ هؤلاءِ فتحوا في الإسْلامِ مدخلًا عظيمًا وَلَجَتْ منهُ طَائفةٌ مِنْ أهلِ البِدَعِ والأهواءِ الذين تستّروا بإصلاحِ ظَواهِرِهِمْ، وشِدَّةِ العنايةِ بِهَا، مع إخفاءِ حَقيقةِ مَقاصدِهِمْ وأهدافِهِمْ وراءَ شعاراتٍ مُزخرَفةٍ بزخَارفِ القولِ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٨٦).

والفعلِ. كما وَلَجتْ مِنْ هذا المدخلِ بَعْدَ ذلك طَائفةٌ مِنْ أهلِ الشَّرِّ والفسادِ الذين اندسُّوا في صُفوفِ هؤلاءِ المتعبّدينَ والمتزهّدينَ يُردِّدونَ أقوالَهُمْ ويتظاهرون بِصفاتِهِمْ؛ ليكونوا مَقبولينَ في العامَّةِ مِنَ النَّاسِ، وهُمْ قَدْ حملوا على ظُهورِهِمْ وأكتافِهِمْ مَعَاوِلَ الهدْمِ للإسلامِ وأهلِهِ.

وأمَّا عَنْ مَبدأِ نشأةِ التَّصَوُّفِ؛ فإنَّهُ مَحَلُّ خِلَافٍ ليس بَيْنَ العُلَمَاءِ والمؤرِّخينَ فحسبُ، بلْ حتى بَيْنَ المتصوّفِينَ المنتسبينَ إلى العِلْمِ مِمَّن كتبَ في تاريخِ التَّصَوُّفِ وفكرِهِ قديمًا وحديثًا، فاختلفوا في مَبدئِهِمْ مِنَ الناحيةِ التَّاريخيَّةِ، وفي مكانِ نشأتِهِمْ أيضًا.

ولَعَلَّ سببَ هذا الاختلافِ أنَّ الصُّوفيَّةَ في مَبدئِهِمْ كانوا أفرادًا وأوزاعًا ينتشرون هنا وهناك في أطرافِ البلادِ الإسلامِيَّةِ، لَا تَربطُهُمْ رَابطةٌ ولَا تجمعُهُمْ ضوابطُ سُلوكيَّةٌ أو عِلميَّةٌ أو أخلاقيَّةٌ، ولَا يضمُّهُمْ مكانٌ أو مَرجعٌ يَؤولونَ إليه؛ لأنَّ التَّصَوُّفَ كان في بدايتهِ لَا يَزيدُ على التَّزَهُّدِ والتَّعَبُّدِ ومخالفةِ عامّةِ النَّاسِ في تركِ المباحاتِ مِنَ المطاعمِ والملابسِ والمساكنِ، الذي وافقَ قِلَّةَ عِلْمِهِمْ بالسُّنَنِ والآثَارِ وجهلَهُمْ ببعضِ الأحكامِ الشَّرعِيَّةِ، مِمَّا أوقعَهُمْ في شَيْءٍ مِنَ الغُلُوِّ في بعضِ الجوانبِ مِنَ العباداتِ والأخلاقِ.

وبِتَتَبُّعِ واستِقْراءِ النُّصوصِ التَّاريخيَّةِ؛ وَجَدَ كَثيرٌ مِنَ الباحثينَ أنَّ اسمَ **التَّصَوُّفِ** أُطْلِقَ في أوّلِ الأمرِ على أفرادٍ مُعَيّنينَ في **النِّصْفِ الثاني مِنَ القرنِ الثاني الهجريِّ**، ثُمَّ شاعَ استعمالُهُ بَعْدَ ذلك بفَتْرةٍ مِنَ الزَّمَنِ. وقَدْ ذكرَتِ المصادرُ **ثلاثَةَ أسماءٍ** باعتبارِهِمْ أوّلُ مَنْ أُطْلِقَ عَليهِم اسمُ الصُّوفيَّةِ وعُرِفُوا به، وهُمْ: **أبو هَاشم الكوفيُّ (ت١٥٠هـ)، وجَابرُ بنُ حَيّانَ (ت٢٠٠هـ، أو ت٢٠٨هـ)، وعَبْدَكُ الصُّوفِيُّ (ت٢١٠هـ).**

- **أَمَّا أبو هَاشِمٍ: فقَدْ ترجَمَ لهُ أبو نُعَيْمٍ في «الحِلْيَةِ»**[1] على أنّهُ مِنَ

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٢٢٥).

الأولياءِ مِنْ أهلِ الزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ في حين أنَّ المصادرَ الشِّيعِيَّةَ تَذْكرُهُ بالطَّعْنِ والتّجريحِ الشَّديدينِ.

▪ **وأمَّا جابرُ بنُ حيّانَ**: فإنَّ الشِّيعَةَ تَعُدُّهُ مِنْ كِبارِهِمْ، وأنّهُ أحدُ الأبوابِ مِنْ أصحابِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وأنّهُ كان يَخدمُهُ، ويَتعلّمُ منهُ، وأنّهُ أَلَّفَ في الزُّهْدِ والمواعظِ، كما أَلَّفَ في التَّشَيُّعِ وعُلُومِهِ.

▪ **وأمَّا عَبدكُ**: فقَدْ كان زاهدًا مُتصوّفًا، وكان شِيعِيًّا غَاليًا في التَّشَيُّعِ.

وسيأتي ذكرُ هؤلاءِ **الثلاثةِ** مع شَيْءٍ مِنَ التفصيلِ في المبحثِ الأوّلِ مِنَ البابِ الثالثِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وجاءَ في «دائرةِ المَعارفِ الإسلامِيَّةِ» ذِكْرُ هؤلاءِ الثلاثةِ على أنَّهُمْ مِنْ أوائلِ مَنْ عُرِفُوا باسمِ التَّصَوُّفِ في التّاريخِ الإسلاميِّ[(١)].

ويَذكرُ **مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ الكِنْدِيُّ ـ المتوفَّى بَعْدَ (سنةِ ٣٥٥هـ) ـ** الصُّوفيَّةَ، فيقولُ: «**وظهرتْ بالإسكندريَّةِ طَائفةٌ يُسَمَّوْنَ الصُّوفيَّةَ، يَأمرونَ بالمعروفِ فيما زَعموا، ويُعارضونَ السُّلْطانَ في أَمرِهِ، فترأَّسَ عَليهِم رَجلٌ منهم يُقَالُ لهُ: أبو عبدِ الرَّحْمَنِ الصُّوفِيُّ**». ثُمَّ يَذْكُرُ أنَّ ذلك كان في سنةِ **٢٠٠** هِجريًّا، ويقولُ: «**فولَّوْها أبا عبدِ الرَّحْمَنِ الصُّوفِيَّ، فبلغَ مِنَ الفسادِ بالإسكندريَّةِ والقَتْلِ والنَّهْبِ مَا لَمْ يُسْمَعْ بمثلِهِ**»[(٢)].

وفي «**دائرةِ المَعارفِ الإسلامِيَّةِ**»: أنَّ **عبدكَ** هو أوّلُ مَنْ لُقِّبَ بالصُّوفِيِّ، وكان اللفظُ يومئذٍ يَدُلُّ على بعضِ زُهَّادِ الشِّيعَةِ بالكُوفَةِ، وعلى رَهْطٍ مِنَ الثّائرينَ بالإسكندريَّةِ[(٣)].

---

(١) «دائرة المَعارفِ الإسلامِيَّةُ» (٥/ ٢٦٦).
(٢) كتاب «الولاة والقضاة» (ص: ١٦٢ ـ ١٦٤).
(٣) «دائرة المَعارفِ الإسلامِيَّةُ» (٥/ ٢٧٧).

ويَنصُّ **الإمامُ ابنُ الجَوْزِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ أنَّ اسمَ التَّصوُّفِ قَدْ ظهرَ قَبْلَ سنة (٢٠٠هـ)[١].

ويقولُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ لفظَ الصُّوفيَّةِ لَمْ يَكُنْ مشهورًا في القرونِ الثلاثةِ، وإنّما اشتهرَ التَّكلُّمُ بهِ بَعْدَ ذلك»[٢]. ويقولُ أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّهُ في أثناءِ (المائةِ الثانيةِ) مِنَ الهجرةِ عَبَّرَ البعضُ عَنِ الزُّهْدِ بالتَّصوُّفِ، وأُطْلِقتْ كَلِمةُ الصُّوفِيِّ على بعضِ المتزهِّدينَ؛ لأنَّ لُبسَ الصُّوفِ قَدْ كَثُرَ فيهم»[٣].

والحاصلُ مِمَّا تقدم: أنَّ التَّصوُّفَ أُطْلِقَ على بعضِ الأفرادِ في أثناءِ القرنِ الثاني الهجريِّ، ولكن اشتهارَ اللفظِ والتّوسُّعَ في إطلاقهِ لَمْ يَكُنْ إلَّا بَعْدَ انقضاءِ القرونِ الثلاثةِ الأولى منَ الهجرةِ.

فالتَّصوُّفُ لَمْ يُعْرَفْ في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ولا في زَمنِ صَحابتهِ الكرامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولَا في زَمنِ التابعينَ وأتباعِهِمْ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى. وأوائلُ المُتَصَوِّفَةِ الذين اشتهروا بهذا الاسمِ ولَقَّبَهُمُ النَّاسُ بِهِ هُمْ مِنْ أهلِ الانحرافِ المطعونِ في دِينِهِمْ وأمانتِهِمْ، وكُلُّهُمْ مِنْ أهلِ الكُوفَةِ، وهي بَلَدُ التَّشَيُّعِ والرَّفْضِ والغُلُوِّ.

وهذا الرّأيُ في تحديدِ نشأتِهِمْ وظُهورِهِمْ هو قولُ الباحثينَ مِنْ أهلِ العِلْمِ والمستشرقينَ، إلَّا مَنْ شَذَّ مِنَ المُنحرفينَ المُتَصَوِّفَةِ الذين دَأبوا وما زالوا يحاولونَ يائسينَ رَبْطَ هذه البدعةِ بعصرِ النَّبِيِّ ﷺ:

- **فالسّرّاجُ الطُّوسِيُّ (ت٣٧٨هـ)**؛ عقدَ في «اللُّمَع» بابًا «للرَّدِّ على مَنْ قالَ: لَمْ نسمَعْ بِذكرِ الصُّوفيَّةِ في القديمِ وأنّهُ اسمٌ مُحْدَثٌ»[٤]، وبيّنَ فيه أنَّ الاسمَ كان معروفًا قَبْلَ الإسلامِ، وكان يُنْسَبُ إليه أهلُ الفضلِ والصلاحِ، ثُمَّ

(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠١).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥).
(٣) المصدر السابق (١١/ ٢٩).
(٤) «اللُّمَع» (ص: ٤٢ ـ ٤٣).

ظهرَ في الإِسْلامِ بَعْدَ زَمَنِ التابعينَ. وأمَّا اختفاؤهُ زَمَنَ الصَّحابَةِ، وعَدَمُ تَسْمِيَةِ الصَّحَابَةِ بالصُّوفيَّةِ؛ فإنما هو لِحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وشَرَفِها، فإنّهم نُسِبُوا إلى الصُّحْبَةِ التي هي أَجَلُّ الأحوالِ.

▪ وأمَّا **أبو بَكْرٍ الكلاباذيُّ (ت٣٨٠هـ)**؛ فقَدْ كان أكثرَ جُرْأَةً مِنْ سَلَفِهِ الصُّوفِيِّ السّابقِ، فإنَّهُ ربطَ الصُّوفيَّةَ والتَّصَوُّفَ بالصَّدْرِ الأوّلِ المباركِ مِنْ هذه الأُمَّةِ، فيقولُ في وَصْفِ الصَّحَابَةِ ﭬ: «فَهِمُوا عَنِ اللهِ، وساروا إلى اللهِ، وأعرضوا عَمَّا سِوَى اللهِ، خَرَقَتِ الحُجُبَ أنوارُهُمْ، وجَالتْ حَوْلَ العرشِ أبصارُهُمْ، فهم أجسامٌ روحانيون وفي الأرضِ سماويون». ثُمَّ يقولُ: «آذانُهُمْ واعيةٌ، وأسرارُهُمْ صافيةٌ، ونُعوتُهُمْ خافيةٌ، صَفَويَّةٌ صُوفِيَّةٌ، نُوريَّةٌ صفيَّةٌ، وودائعُ اللهِ بَيْنَ خليقتهِ، وصَفوتُهُ مِنْ بريّتهِ، ووصاياهُ لنَبِيِّهِ، وخَباياهُ عِنْدَ صَفِيِّهِ، هُمْ في حياتهِ أهلُ صُفَّتِهِ، وبَعْدَ وفاتهِ خيارُ أُمّتهِ»[(١)].

هكذا يَزعُمُ هذا الصُّوفِيُّ ويُزوّرُ الحقائقَ، فيَنْسُبُ الصَّحَابَةَ إلى هذه البدعةِ التي أَطَلَّتْ برأسِها بَعْدَ الصَّحَابَةِ بزمنٍ بَعيدٍ، ويكْذِبُ في قولِهِ أنَّ أهلَ الصُّفَّةِ كانوا خيارَ الأُمَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ. وهذا قولٌ مُخَالِفٌ لما عليهِ أهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في تفضيلِ الصَّحَابَةِ ﭬ.

▪ وأمَّا **أبو نُعَيْم**؛ فقَدْ صَرّحَ في **«مُقدّمةِ حِلْيَتِهِ»** قائلًا: «كتابٌ يَتضمّنُ أسامِيَ جماعةٍ وبعضَ أحاديثِهِمْ وكلامِهِمْ، مِنْ أعلامِ المتحقِّقينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ وأئمَّتِهِمْ، وترتيبِ طبقاتِهِمْ مِنَ النُّسَّاكِ ومَحجَّتِهِمْ، مِنْ قَرْنِ الصَّحَابَةِ والتابعينَ وتابعِيهِم، ومَنْ بعدَهُمْ مِمَّن عَرَفَ الأدِلَّةَ والحقائقَ، وباشرَ الأحوالَ والطَّرائقَ»[(٢)]. فرَحِمَ اللهُ ابنَ الجوزيِّ الذي قال عَنْ أبي

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصوُّفِ» (ص: ٢٦ ـ ٢٧).
(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/٣ ـ ٤).

نُعَيم: «ولَمْ يَستَحِ أنْ يَذْكُرَ في الصُّوفيَّةِ أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِيًّا وساداتِ الصَّحَابَةِ»[(١)].

ولا أدري لِمَ لَمْ يذكر معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ لعلهما لم يعرفا الأدلة والحقائق، ولم يباشرا الأحوال والطرائق مع أنه أتعب نفسَهُ وغَيْرَهُ في ذكرِ تراجمِ السَّاقطينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ المُنحرفينَ، ونلاحظُ أنّهُ في تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بالغَ في ذِكْرِ الأحاديثِ الموضوعةِ التي تَفوحُ منها رَائِحَةُ الغُلُوِّ في فَضَائِلِهِ ومَكانتِهِ وعُلومِهِ، وغيرِ ذلك، ولَا أدري؛ هل استفادَها مِنَ الرَّافِضَةِ، أم أفادَهُمْ هو وأَتحفَهُمْ بتلك الآثَارِ المرفوعةِ والموقوفةِ التي يَستندونَ إليها في ذكرِ فضائلِ عَلِيٍّ رضي الله عنه؟

■ وأمَّا **القُشَيْرِيُّ**؛ فيَزْعُمُ أنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَتسمَّوا بغيرِ الصَّحَابَةِ لِشَرَفِ هذا الاسمِ وفضْلِهِ وكذا التابعينَ وأتباعِهِمْ، وبَعْدَ ذلك اختلفَ النَّاسُ فقيلَ للخواصِّ منهم: «الزُّهَّادُ والعُبَّادُ»، ثُمَّ ظهرتِ البِدَعُ والفِرَقُ، وحَصَلَ التَّداعي، فادَّعتْ كُلُّ فِرْقَةٍ أنَّ فيهُمُ الزُّهَّادَ والعُبَّادَ، فيقولُ: «فانفردَ خَواصُّ أهلِ السُّنَّةِ ـ المراعونَ أنفاسَهُمْ مع اللهِ، الحافظون قُلوبَهُمْ عَنْ طَوارقِ الغفلةِ ـ باسمِ **التَّصَوُّفِ**، واشتهرَ هذا الاسمُ لهؤلاءِ الأكابرِ قَبْلَ المائتين مِنَ الهجرةِ»[(٢)].

تقدّمَ أنَّ اسمَ **التَّصَوُّفِ** قَدْ ظهرَ قَبْلَ المائتينِ، والظهورُ غيرُ الشُّهرةِ التي يَزْعُمُها **القُشَيْرِيُّ**.

كانت هذه أقوالَ المتقدمينَ مِنْ كُتَّابِ المُتَصَوِّفَةِ. وأمَّا المتأخّرونَ؛ فإنّهم فاقوا أسلافَهُمْ في قِلَّةِ الحياءِ والكَذِبِ والتَّزويرِ:

■ فيقولُ **الدكتورُ زكي مبارك**: «ويمكنُ الحكمُ بأنَّ أقدمَ الآثَارِ الصُّوفيَّةِ هو «**سِفْرُ أَيّوبَ**» الذي شرحَ البلايا الإنسانيَّةَ، وصَوّرَ حِيرةَ المرءِ بَيْنَ السّعادةِ والشّقاءِ، والهُدَى والضَّلالِ، **وأقربُ الآثَارِ الصُّوفيَّةِ إلى أذهانِ**

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٤).

(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٦١).

النَّاسِ هو القُرآنُ، ذلك الكتابُ الذي أطالَ في وَصْفِ الدُّنيا وذَمِّها وثَلْبِها وتحقيرِها». حتَّى يَقولَ: «**القُرآنُ هو أقربُ الآثَارِ الصُّوفيَّةِ إلى أذهانِ النَّاسِ وإنْ جهلوا ذلك، هُمْ يَعدُّونَهُ كتابَ تَشريعٍ، ونراه كتابَ تَصَوُّفٍ**». ثُمَّ يُضِيفُ إلى جَهْلِهِ ووقَاحتِهِ قولَهُ: «**وكان الرَّسُولُ يَتقشَّفُ تَقشُّفًا صُوفِيًّا**». ويقولُ: «وهو نفسُهُ [أي: الرَّسُولَ ﷺ] **قَدْ عاشَ في بيئةٍ صُوفِيَّةٍ**، يَدُلُّ على ذلك نَهْيُهُ عَنِ الرَّهبانيَّةِ وعَنْ مُواصَلةِ الصَّومِ وهو لَمْ يَرغَبْ في الزَّواجِ إلَّا لأنّهُ رأى ناسًا يتبتَّلونَ». ويقولُ: «وأوّلُ مَنْ تَلَفَّتَ النَّاسُ إلى كلامِهِ في المعاني الوجدانيَّةِ وأسرارِ القُلوبِ هو **حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ** . . . وقَدْ قيلَ لهُ: نراكَ تَتكلّمُ في هذا العِلْمِ بكلامٍ لَا نسمعُهُ مِنْ أحدٍ مِنْ أصحابِ رَسُولِ اللهِ فمِنْ أينَ أخذتَهُ؟ فقال: خَصَّني بهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ». ثُمَّ يَزْعُمُ كاذبًا: «**أنَّ الرَّسُولَ كان يَكتُمُ أسرارَ التَّصَوُّفِ ولَا يَمنحُها غيرَ الخواصِّ**»(١).

إنَّ عَدَمَ الرّدِّ على مثلِ هذا الكذبِ والوقاحةِ المتناهيةِ خيرٌ مِنَ الاشتغالِ بهِ؛ فإنَّهُ لَا يَخفَى على عاقلٍ أنّها مُجَرّدُ دعاوى كاذبةٍ لَا تَستنِدُ إلى دَليلٍ أو بُرهانٍ.

- وأمَّا **الدكتورُ عبدُ الحَليم محمود** ـ وقَدْ كان شيخًا للأزهرِ ـ فإنَّهُ يقولُ: «إنَّ الشيءَ قَدْ يُوجدُ قَبْلَ اسمِهِ الخاصِّ، سواءٌ وُجِدَ تحتَ اسم آخرَ، أو وُجِدَ ولَمْ تَكُنْ هناك الحاجةُ لتسميتِهِ». ويقولُ: «إنَّ الشريعةَ والحقيقةَ كِلَيْهما يَنبعانِ مُباشرةً مِنْ تعليماتِ الرَّسُولِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ». ويقولُ: «والحَقُّ إنَّ التَّصوُّفَ عَربيٌّ إسلاميٌّ كما أنَّ القُرآنَ الذي يَستمِدُّ التَّصَوُّفُ أُصولَهُ منهُ مُباشرةً عَربيٌّ إسلاميٌّ. . . وإذا كان التَّصَوُّفُ يَستمِدُّ أُصولَهُ مِنَ القُرآنِ فمِنَ الطبيعيِّ ألَّا يوجدَ قَبْلَ أنْ يُفهمَ القُرآنُ ويُفَسَّرَ ويُتدبرَ تدبرًا تَتفجّرُ عنهُ يَنابيعُ الحقائقِ التي هي في الواقعِ معناه العميقُ، ولقَدْ فُسِّرَ

(١) «التَّصَوُّف الإسلاميّ في الأدبِ والأخلاقِ» (٢/ ٧ ـ ١٠).

القُرآنُ أوّلًا لُغويًّا ومَنطقيًّا وكلاميًّا، ولكنَّ تَفسيرَهُ صُوفِيًّا اقتضَى مرورَ زمَنٍ لِتأمُّلِهِ في عُمقٍ وشُمولٍ»[(١)].

هكذا يُلبِّسُ أهلُ الكلامِ والفلسفةِ على النَّاسِ، فالدكتورُ الصُّوفِيُّ وضَعَ عِدَّةَ مُقدِّماتٍ هي:

ـ أنَّ الشيءَ قَدْ يُوجَدُ قَبْلَ اسمِهِ. ولَـمْ يَقُلْ إنَّهُ يُوجَدُ الشيءُ ثُمَّ يُحرَّفُ ويُغَيَّرُ فيه حتَّى يَكونَ لهُ اسمًا آخرَ.

ـ ويقولُ عَنِ الحقيقةِ: إنّها تَنبعُ مِنَ السُّنَّةِ. وهي كَلِمةُ حَقٍّ يُريدُ بِهَا الباطلَ والفسادَ، إنَّهُ وسَائرَ المُتَصَوِّفَةِ يُفرقون بَيْنَ الحقيقةِ والشّريعةِ، ويُريدون بالحقيقةِ تَصَوُّفَهُمُ المُنحرفَ المخالفَ لأُصُولِ جميعِ الشرائعِ والأديانِ التي نَبعتْ مِنْ مصادرَ شَتَّى لَا تَمتُّ إلى الإسلامِ بصلةٍ، كالنصرانيَّةِ واليهوديَّةِ والمجوسيَّةِ والهندوسيَّةِ واليونانيَّةِ، وما فيها مِنِ انحرافاتٍ وفلسفاتٍ مُخالفةٍ للإسلامِ والفِطْرةِ التي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عليها.

ـ ثُمَّ مَا مَعنَى **كون التَّصَوُّف عربيًّا إسلاميًّا**؟ وهل كُلُّ شَيْءٍ يَتَّصِفُ بالعُروبةِ والإسلامِ أو يَصِفُهُ أهلُهُ بذلك يكونُ صحيحًا مَقبولًا في الدِّينِ الإسلاميِّ؟ فالفِرَقُ المُنحرفةُ والبدعُ والأهواءُ قَدْ ظهرتْ على يَدِ مَنْ يَنتسِبُ إلى العُروبةِ والإسلامِ. كما أنَّ مُجرّدَ النِّسْبةِ إلى الإسلامِ لَا يَلزمُ مِنها أنْ يكونَ المنتسِبُ مُسلِمًا فقَدْ يتسمَّى ويتَّصِفُ بالإسلامِ وهو مُتلَبِّسٌ بفعلِ مَا يَهدمُ هذه النسبةَ ويُبطُلُها، فالعبرةُ بحقائقِ الأشياءِ وجوهرِها لَا بأسمائِها ونسبتِها.

ـ ولَيْتَهُ حَدَّدَ الزّمنَ الذي اقتضَى مُرورُهُ لتفسيرِ القُرآنِ تفسيرًا صُوفِيًّا، أو ذكرَ أسماءَ الذين قاموا بهذا العملِ الصُّوفِيِّ الذي لَمْ يتمكّنْ مِنَ التَّصدّي لهُ أحدٌ مِنَ الصَّحابَةِ أَوِ التّابعينَ، ولَعَلَّهُ يريدُ المفسِّرَ الصُّوفِيَّ أبا عبدِ الرَّحْمَنِ

(١) أبحاث في التَّصَوُّفِ، ضمن «المجموعة الكاملة» لمُؤلَّفاته (ص: ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

السُّلَمِيَّ[(١)] الذي قال عنهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «في تصانيفهِ أحاديثُ وحكاياتٌ موضوعةٌ، وفي حقائقِ تفسيرهِ أشياءُ لَا تَسوغُ أصلًا عَدَّها بَعضُ الأَئِمَّةِ مِنْ زَنْدَقَةِ الباطنيَّةِ»[(٢)].

■ وأمَّا الصُّوفِيُّ **عبدُ القَادِرِ أحمد عطا**؛ فإنَّهُ يَزْعُمُ أنَّ التَّصَوُّفَ أصيلٌ في الإِسْلامِ، وأنّهُ يَضرِبُ بجُذورهِ إلى أهلِ الصُّفَّةِ، وأنَّ عناصرَ التَّصَوُّفِ تعودُ إلى رسالاتِ الرُّسُلِ جَميعًا. ثُمَّ ذكرَ آياتٍ كثيرةً يَزْعُمُ أنَّها شواهدُ قرآنيَّةٌ تَدُلُّ على أَصالةِ التَّصَوُّفِ. وذكرَ أنَّ خَلْوةَ الرَّسُولِ ﷺ في غَارِ حِرَاءَ تُؤكِّدُ هذه الأصالةَ، ويَزْعُمُ أنَّ نُزولَ القُرآنِ عليهِ في خَلْوتِهِ دَليلٌ على أنَّ التَّصَوُّفَ ظاهرةٌ إسلاميَّةٌ قرآنيَّةٌ[(٣)]، إلى غيرِ ذلك مِنَ الهُراءِ الذي قَدْ مَلأَ المُتَصَوِّفَةُ بِهِ كُتبَهُمْ قديمًا وحديثًا، ويَتناقلُهُ لَاحِقُهُمْ عَنْ سَابقِهِمْ على أنّهُ العِلْمُ والحقيقةُ، ولكنَّ اللّاحقَ منهم أَشَدُّ في تَصَوّفِهِ وانحرافهِ بِمَا يَتعمّدُهُ مِنَ الكذبِ والتّلبيسِ على العَامّةِ.

■ وأمَّا **عبدُ القَادِرِ عِيسَى الصُّوفِيُّ**؛ فإنَّهُ يقولُ: «فالصَّحَابَةُ والتابعون ـ وإنْ لَمْ يَتسمّوْا باسمِ المتصوِّفينَ ـ كانوا صُوفِيِّينَ فعلًا، وإنْ لَمْ يكونوا كذلك اسمًا»[(٤)].

ثُمَّ يَنقُلُ فتوَى **للغُماريِّ الصُّوفِيِّ**[(٥)] الذي سُئِلَ عَنْ أوّلِ مَنْ أَسَّسَ

(١) تُوفِّيَ السُّلَمِيُّ سنة (٤١٢هـ). ترجمتُه في: «سير أعلام النبلاء»: (١٧/ ٢٤٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥٢).
(٣) «التَّصَوُّف الإسلامِيّ بيْنَ الأصالةِ والاقتباسِ» (ص: ١٨٧).
(٤) «حقائق عَنِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٢٠).
(٥) الغُماريُّ هذا هو **مُحَمّدُ بنُ الصّدّيقِ** (ت١٣٥٤هـ)، ترجمتُه في: (الأعلام للزِّرِكْلِيِّ ٦/ ٢٢) ـ أحدُ مُبتدعةِ هذا الزّمانِ، المتصوّفُ هو وأولادُه **(أحمدُ، وعبدُ اللهِ، وعبدُ العزيزِ)** على الطريقةِ الشّاذليّةِ، والأولاد يُوصفونَ بـ(الحفظِ والنّقدِ) على لسانِ المروّجِ لبدعِهم الرافضيِّ القبوريِّ المُتستّرِ **محمود سعيد ممدوح**، وهُم في الحقيقةِ لَمْ يستطيعوا أنْ (يحفظوا) دِينَهم مِن لَوْثةِ البِدَعِ وأهلِها، أو (يَنقُدوا) المُحدثاتِ والبِدَعَ التي حذَّرَ منها رَسُولُ اللهِ ﷺ الذي ينتسبونَ إليهِ ويدّعونَ قرابتَه. =

التَّصَوُّف، فأجابَ: «أَمَّا أوّلُ مَنْ أَسَّسَ الطريقةَ، فلْتَعْلَمْ أنَّ الطريقةَ أسَّسَها الوَحْيُ السّماويُّ في جُملةِ مَا أسَّسَ مِنَ الدِّينِ المحمديِّ»(١).

هذا هو دَأْبُ المُتَصَوِّفَةِ، وهذا هو عِلْمُهُمُ الذي يَصفونَهُ بالحقيقةِ، وما هو إلَّا الكذبُ وتزويرُ الحقائقِ وتَسْمِيَةُ الأشياءِ بغيرِ اسمِها تَرويجًا لبدعَتِهِمُ المُنْكرةِ.

وأنقلُ هنا كلامَ **مستشرقٍ** خدمَ التَّصَوُّفَ ونشرَ مُؤلَّفَاتِهِمُ القديمةَ حيثُ يقولُ: «والظاهرُ أنَّ استعمالَها قَدْ شاعَ آخرَ القرنِ الثاني الهجريِّ؛ أيْ: في عصرِ الانتقالِ مِنْ دَوْرِ الزُّهْدِ إلى دَورِ التَّصَوُّفِ الحقيقيِّ، ولَا عبرةَ بالأخبارِ الضعيفةِ التي يُرادُ الدَّلالةُ بِهَا على أنَّ الكلمةَ كان لها وجودٌ في عصرِ النَّبيِّ أو قَبْلَ الإسلامِ، فإنَّ **مُتَصَوّفَةَ القرنينِ الثالثِ والرابعِ** الذين اعتبروا أنفسَهُمُ الورثةَ الرّوحيّينَ للنَّبيِّ لَـمْ يَتردَّدُوا في اصطناعِ الأدِلَّةِ التي تُؤيّدُ دَعواهُمْ»(٢).

هكذا أدركَ هذا **المُستشرقُ** حقيقةَ **الصُّوفيَّةِ** في تَعَمُّدِهِمُ الكذِبَ لإلْصَاقِ هذه البدعةِ بالصَّدْرِ الأوّلِ مِنْ هذه الأُمَّـةِ، وبالقَرْنِ المبَاركِ مِنْ حياةِ هذه الأُمَّـةِ. تَمامًا كمـا فعلَ إخوانُهُمُ **الرَّافِضَةُ** في إثباتِ أَصالةِ نِحْلَتِهِمْ وكُفْرِهِمْ بِمَـا اخترعُوهُ واصطنعوهُ مِنْ أَدِلَّةٍ ظَنُّوا أنَّها تُؤَيِّدُ دَعاوَاهُمْ الباطلةَ.

= وقد تجرّأَ أحدُهم وهو (عبدُ اللهِ) فزعمَ لنفسهِ رُتبةَ الاجتهادِ دونَ حياءٍ.
والمطّلعُ على (تُراثِهم) يُدرِكُ أنَّ (الغُماريّةَ) مِن كبارِ مَعاولِ الهدم للسُّنّةِ في هذا العصرِ؛ ولا ينفي عنهم هذه الأوصافَ انتسابُهم للرَّسُولِ الكريم ﷺ، أوِ اشتغالُهم بعُلوم السُّنّةِ، أوْ بجِهادِ الكفارِ، أو بالرّدِّ على زَاهدٍ الكَوْثَريِّ الجَهميِّ الشُّعوبيِّ الحاقدِ على الإسلامِ والمُسلمينَ كما فعل (أحمدُ الغماريُّ)؛ فإنّ ذلكَ من بابِ إهلاكِ الظّالمينَ بالظّالمينَ.
فليتَهم كانوا من عَوامِّ النَّاسِ الخاملِ ذكرهُم مع صَوابِ الاعتقادِ وحُسْنِ الانقيادِ.
كما أنَّ الجَدَّ الأعلَى لِلْغُماريِّ مِن جِهةِ أبيهِ وأُمِّـهِ هو **(ابنُ عَجيبةَ أحمدُ بنُ مُحمدِ بنِ مهدي)** ـ ترجمتُه في (الأعلام للزِّرِكْلِيِّ ١/ ٢٤٥) ـ هو صاحبُ كتابِ «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» المذكورُ هنا في مباحثِ الصُّوفيّةِ لا كثَّرهمُ اللهُ تَعالَى. انظر هنا: (فهرسَ الأعلامِ).
فالغماريّةُ وأحوالُهم كما نرى ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. والحمدُ للهِ على العافيةِ.

(١) «حقائق عَنِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٢٢).

(٢) «التَّصَوُّف الإسلامِيّ» لنيكلسون (ص: ٦٨).

المبحث الثاني

تَطوُّرُ التَّصَوُّفِ

إنَّ الباحثَ في تاريخِ الفِرَقِ التي ظَهرتْ في الإِسْلامِ يَجِدُ أنّها تَنشأُ في أوّلِ أمرِها مُتسترةً بمظهرٍ مِنْ مظاهرِ الشَّرْعِ أوْ بأصلٍ مِنَ الأُصُولِ الدّينيَّةِ أو بِخُلُقٍ مِنَ الأخلاقِ الإسلامِيَّةِ الرّفيعةِ، ثُمَّ تَبدأُ مَظاهرُ الغُلُوِّ في هذا المظهرِ أَوِ الأَصلِ أَوِ الخُلُقِ، ثُمَّ يَزدادُ الانحرافُ شَيئًا فشيئًا حتَّى تكونَ في نهايةِ أَمرِها **فِرْقَةً مبتدِعةً** تَستقلُّ بمجموعةٍ مِنَ الأُصُولِ والفُروعِ والأخلاقِ، مُخالفةً في كُلِّ ذلكَ أو بعضِهِ مَا عليهِ أهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ.

وقَدِ ارتبطَ **التَّصَوُّفُ** في مَراحلِهِ المُبكّرةِ ارتباطًا وَثيقًا بغَايةٍ عَظيمةٍ مِنْ غاياتِ هذا الدِّينِ الحنيفِ وهو الزُّهْدُ في هذه الدُّنيا وزَخارِفِها.

وتَسَتَّرَ **المُتصوّفونَ** وراءَ الرجالِ المخلصينَ الذين كانوا ينشدونَ الكمالَ الدِّينيَّ والخُلُقيَّ بزُهْدِهِمْ وعِبادَتِهِمْ للهِ تَعَالَى بإخلاصِ نِيَّةٍ واتباعٍ لآياتِ الكتابِ واقتداءٍ بالرَّسُولِ ﷺ. نعم تَسَتَّرَ المُتصوّفونَ بهؤلاءِ وتظاهروا بأخلاقِهِمْ وصِفاتِهِمْ، وأضافوا على الكمالِ الدِّينيِّ والخُلُقيِّ المنشودِ إضافاتٍ غَريبةً عَنِ الإسلامِ وجَوهرِهِ، وكانتْ هذه الإضافاتُ الغريبةُ والدَّخيلةُ تَزدادُ مع ازديادِ عَدَدِ المُنحرفينَ أَوِ الجاهلينَ بأُمُورِ الدِّينِ الذين يدخلونَ في هذا التَّيَّارِ، وتَزدادُ كذلك كلمَّا ابتعدَ الزّمانُ عَنِ الصَّدْرِ الأوّلِ وقَلَّ رِجَالُهُ المُخلصونَ، وتزدادُ مع تَوسُّعِ الفُتُوحِ وكَثْرةِ الداخلينَ في هذا الدِّينِ بِمُخلفاتِهِمُ المختلفةِ والمتعدّدةِ مِنْ ثقافاتٍ ودياناتٍ وعاداتٍ وتقاليدَ.

وقَدْ كتبَ العُلَمَاءُ والباحثون في تَطوّرِ التَّصَوُّفِ، وجعلوه مراحلَ وأقسامًا بحسبِ مظاهرِ الغُلُوِّ والانحرافِ في العقائدِ والسُّلُوكِ، ورأيتُ أنَّ

كثيرًا منهم خلطَ بَيْنَ الزُّهْدِ الإسلاميِّ الأصيلِ وبَيْنَ التَّصَوُّفِ الدّخيلِ: فبعضُهُمْ جعلَ طَبقةَ الزُّهَّادِ مِنْ أوائلِ المُتصوّفينَ، بل قَدْ غَلا بعضُهُمْ بأنْ جعلَ الصَّحَابَةَ مِنَ المُتصوّفينَ. والبعضُ الآخرُ جعلَ أوائلَ المُتصوّفينَ مِنَ الزُّهَّادِ الذين كانوا على السُّنَّةِ والصِّرَاطِ المستقيمِ، مع إنَّهُ قَدِ اشتهرَ عنهم بعضُ الأقوالِ المُنحرفةِ التي تخالفُ السُّنَّةَ وما كان عليهِ سَلَفُ هذه الأُمَّةِ.

والحَقُّ؛ أنَّ الزُّهْدَ غيرُ التَّصَوُّفِ، والزُّهَّادَ والعُبَّادَ غيرُ المُتصوّفينَ، وإنْ كان أوائلُ المُتصوّفينَ زُهَّادًا وعُبَّادًا؛ إلَّا أنَّهُمْ قَدْ تميَّزوا بأشياءَ أُخْرَى زيادةً على الزُّهْدِ والعبادةِ. يقولُ **الإمامُ ابنُ الجَوْزِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ: «**فالتَّصَوُّفُ مَذْهَبٌ مَعروفٌ يَزِيدُ على الزُّهْدِ، ويَدُلُّ على الفَرْقِ بينهما أنَّ الزُّهْدَ لَمْ يَذُمَّهُ أحدٌ، وقَدْ ذَمُّوا التَّصَوُّفَ**»[١].

والمُتَصَوِّفَةُ يَعتبرون الزُّهْدَ مَقامًا مِنْ مَقاماتِ التَّصَوُّفِ؛ **فالسّرّاجُ الطُّوسِيُّ** بَعْدَ أنْ بَيَّنَ التَّصَوُّفَ وعَرّفَهُ وذكرَ أقوالَ النَّاسِ فيه؛ عَقَدَ كِتابًا للمقاماتِ والأحوالِ، وفَسَّرَ المقاماتِ بأنها العباداتُ والمجاهداتُ والرياضاتُ التي يقومُ بِهَا المُتَصَوِّفَةُ. ثُمَّ ذكرَ هذه المقاماتِ، وذكرَ منها الزُّهْدَ، وبَيَّنَ أنّهُ أوّلُ طريقِ القاصدينَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّ مَنْ لَمْ يُحْكِمْ هذا الأساسَ لن يُصبحَ لهُ شَيْءٌ مِمَّا بَعْدَهُ مِنَ التَّصَوُّفِ[٢].

ويُصَرّحُ المُتَصَوِّفَةُ المعاصرونَ بهذا الاختلافِ:

- فيقولُ **الدكتورُ زكي مبارك**: «الزُّهْدُ: هو تركُ الدُّنيا خوفًا مِنَ الحسابِ، والتَّصَوُّفُ: هو الإقبالُ على صَفاءِ النفسِ لِتتّصِلَ باللهِ، فغايةُ الزّاهدينَ هي السّلامةُ، وغايةُ الصُّوفيَّةِ هي الوصولُ. فالزّاهِدُ يَخافُ الدُّنيا لأنّها قَدْ تُبعِدُهُ عَنِ الجَنَّةِ، والصُّوفِيُّ يخافُ الدُّنيا لأنّها قَدْ تُشغِلُهُ عَنِ اللهِ»[٣].

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٤).
(٢) «اللُّمَع»، كتاب المقامات والأحوال، باب الزُّهْد (ص: ٧٢).
(٣) «التَّصَوُّف الإسلامِيّ» لزكي مبارك (٢/ ٢١).

• ويقولُ **الدكتورُ عبدُ الحَليمِ محمود**: «إنَّ الزُّهْدَ في الدُّنيا شَيْءٌ، والتَّصَوُّفَ شَيْءٌ آخرُ، ولَا يلزمُ مِنْ كونِ الصُّوفِيِّ زاهدًا أنْ يَكونَ التَّصَوُّفُ هو الزُّهْدَ». ويقولُ: «والكُلُّ يَتّفقُ على أنَّ زُهْدَ غيرِ الصُّوفِيِّ إنَّمَا هدفُهُ الاستمتاعُ في الآخرةِ، فهو نوعٌ مِنَ المعاملةِ، كأنه يشتري بمتاعِ الدُّنيا متاعَ الآخرةِ». ويقولُ: «فالتَّصَوُّفُ وإنْ كان مُتضمّنًا للزُّهْدِ الرفيعِ فإنَّهُ مع ذلك شَيْءٌ آخرُ»[(١)].

إنَّ الزُّهَّادَ الصادقينَ انطلقوا في حَياتِهمُ الرُّوحيَّةِ مِنْ مُنطلقِ **القُرْآنِ الكريمِ** الذي وَضَعَ الأُسُسَ والمقوّماتِ للزُّهْدِ الإسلاميِّ الذي فيه مَرضاةُ الرَّبِّ ﷻ، ومِنْ مُنطلقِ الاقتداءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وصحابتِهِ الكرامِ ﷿ الذين ضربوا أروعَ أمثلةِ الزُّهْدِ والوَرَعِ والعبادةِ.

فالزُّهْدُ الرّفيعُ: هو زُهْدُ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ، ومَنِ اتَّبَعَ غيرَ هذا السبيلِ فمحالٌ أنْ يَبلُغَ مَبلغَهُمْ، أو أنْ يصلَ إلى مَا وصلوا إليه مِنْ مَرضاةِ الرَّبِّ تباركَ وتَعَالَى.

لقد عَرَفَ أُولَئِكَ الزُّهَّادُ رَبَّهُمْ حَقَّ المعرفةِ وصَدقُوا في مَحبَّتِهمْ لهُ وخَشيتِهمْ إيَّاهُ، فتقرّبوا إليه بِمَا شَرعَ لَهمْ مِنَ العباداتِ والأذكارِ، وكانتْ أَلْسِنتُهُمْ تَلْهَجُ بذكرِ الجَنَّةِ وما أعدَّ اللهُ فيها لأوليائهِ مِنْ أَنواعِ الكراماتِ وقلُوبُهُمْ تَتطلّعُ للفوزِ بِهَا والتَّنَعُّمِ فيها. وكانوا أيضًا يُكثرونَ مِنْ ذِكْرِ النَّارِ وأنواعِ العذابِ فتبكي قلُوبُهُمْ وتَدْمَعُ أَعينُهُمْ خوفًا منها. لقَدْ كان ذِكرُهُمْ لِلْجَنَّةِ والنَّارِ هو الزَّادُ الذي يَستمدّونَ منهُ قُوَّةً في زُهْدِهِمْ وعِبادتِهمْ وتقرُّبِهِمْ إلى اللهِ تَعَالَى، وصَبرِهِمْ على كُلِّ مَا أَمرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بهِ ونَهاهُمْ عنهُ، فأكثروا مِنَ العباداتِ رجاءَ الجنّةِ ونعيمِها ورَهَبًا مِنَ النَّارِ وعذابِها. ولَمْ يمنعْهُمُ انقطاعُهُمْ للهِ تَعَالَى مِنْ وَاجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عَنِ المُنْكرِ

---

(١) أبحاث في التَّصَوُّفِ، ضمن «المجموعة الكاملة» لمُؤلَّفَات عبدِ الحَليمِ محمود (ص: ١٦٢ ـ ١٦٤).

الذي بهِ قوامُ المجتمعِ الإسلاميِّ، ولَا مِنْ واجبِ الجهادِ لِنَشْرِ كَلمةِ الحَقِّ والعَدْلِ والدِّفَاعِ عَنِ الإسلامِ والمُسلِمينَ.

وأمَّا التَّصَوُّفُ؛ فإنَّهُ زُهْـدٌ مِنْ نوعٍ آخرَ، حيثُ:

- إنَّ أوّلَ مَا يَزْهَدُ فيهِ المُتَصَوِّفُ هو: العِلْمُ، وملازمةُ العُلَمَاءِ، ومُكَابَدَةُ طَلَبِهِ، والاشتغالُ بـهِ؛ لأنَّ العِلْمَ ـ كمـا يَزْعُمُ أَربابُ التَّصَوُّفِ ـ يَشغَلُ المُرِيدَ عَنِ الوصولِ إلى الأحوالِ والمُكاشفاتِ. هكذا يَزْهَدُ الصُّوفِيُّ بالعُلومِ الشَّرعِيَّةِ؛ لِيتسنَّى لهُ السفرُ والسياحةُ في البلادِ.

- ثُمَّ يَزْهَدُ في المالِ، ولكنَّ هذا الزُّهْدَ لا يُقْعِدُهُ عَنِ الكَسْبِ فحسبُ، بلْ ويُحَرِّمُهُ عليهِ؛ لِيَلْتزِمَ المساجدَ والرُّبطَ، ومِنْ ثَمَّ يَعْتَمِدُ على أوساخِ النَّاسِ وصَدقَاتِهِمْ باسمِ التَّوَكُّلِ على اللهِ تَعَالَى.

- ثُمَّ يَزْهَدُ في النِّكاحِ وطَلَبِ الوَلَدِ؛ لأنّهُ يُشْغِلُهُ ويَحجُبُهُ عَنِ **الوصولِ** بزعمِهِ، ثُمَّ يَستبدِلُ بهِ مُصاحبةَ الأَحْدَاثِ والمرْدَانِ، والاختلاطِ بالنِّساءِ الأجنبياتِ.

- ثُمَّ يَزْهَدُ في أُمُورٍ مِنَ الواجباتِ أَوِ المندوباتِ أَوِ المباحاتِ؛ تَوَرُّعًا وتَذَلُّلًا للهِ تَعَالَى بزعمِهِ فيعذِّبُ جَوارِحَهُ وجَسَدَهُ، في حين أنّهُ يَركَبُ أنواعَ المطَايَا التي تَحمِلُهُ إلى الابتداعِ في الدِّينِ، فيُشرِّعُ مِنَ العباداتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بهِ اللهُ، ويَنغمسُ في أنواعِ الملاهي والملذَّاتِ باسمِ الشَّطحاتِ والدعاوَى الكاذبةِ والكراماتِ والسَّماعِ والرَّقْصِ، وغيرِ ذلك مِنَ المُنْكراتِ.

هكذا يَزْهَدُونَ في المُباحاتِ ويرتكبون المُحرّماتِ باسمِ العبادةِ والتَّقرُّبِ، فكَمْ تركوا مِنَ الأطعمةِ والمأكولاتِ وأنواعِ الملابسِ، حتَّى النومِ، في الوقتِ الذي نصبوا فيه أنفسَهُمْ لآياتِ اللهِ تَعَالَى وأحاديثِ رَسُولِهِ ﷺ بالتّفسيرِ والشَّرحِ والتأويلِ الباطنيِّ، والقَوْلِ على اللهِ تَعَالَى ورَسُولِهِ ﷺ بِلَا علمٍ، حتَّى الكذبِ المتعمّدِ مِنْ بعضِهِمْ على اللهِ تَعَالَى وعلى

رَسُولِهِ ﷺ. فأين هذا الزُّهْدُ الصُّوفيُّ المنحرفُ مِنْ زُهدِ السّلفِ المحمودِ؟

وهذا الزُّهْدُ يَصِفُهُ **الدكتورُ عبدُ الحَليمِ محمود** بأنّهُ رَفيعٌ، ويَسخرُ هو وإخوانُ بدعتهِ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ ـ قديمًا وحديثًا ـ مِنْ زُهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، والصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وسَلَفِ الأُمَّـةِ؛ إذْ يسخرون مِمَّن أرادَ بزُهْدِهِ طلبَ الجنَّةِ والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ. وقَدْ روى جماعةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سألَ رجلًا: «**كَيْفَ تَقُولُ في الصَّلَاةِ؟**» قال: أَتشَهَّدُ وأقولُ: **اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّـةَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ**. أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»[(١)].

إنَّ الآياتِ القُرآنِيَّةَ التي تُبَشِّرُ المُتَّقِينَ بالجَنَّةِ وما أَعَدَّهُ اللهُ فيها لَهمْ، والآياتِ التي تُحَذِّرُ مِنْ عَذابِ اللهِ ونارِهِ وما أَعَدَّهُ اللهُ فيها لأهلِ نقْمَتِهِ لَا تكادُ تُحْصَى، والأحاديثَ التي جاءتْ في وَصْفِ الجَنَّةِ ونعيمِها وَوَصْفِ النَّارِ وعذابِها هي أيضًا لَا تكادُ تُحْصَى. وليس هذا فحسبُ، بلِ قَدْ جاءت آياتٌ كثيراتٌ تَصِفُ الجَنَّـةَ وما فيها وَصْفًا دَقيقًا، حتَّى ذكرتْ أنهارَها وثِمَارَها وطعامَها وآنِيَتَها وأبنيتَها حتَّى ملابسَ أهلِ الجَنَّةِ وحُلِيَّهُمْ.

والمُتَصَوِّفَةُ لَا تَعبأُ ولَا تُقيمُ وَزْنًا لجميعِ هذه الآياتِ وتلكَ الأحاديثِ، بلْ إنَّهُمْ يُقلّلونَ مِنْ شَأنِ الجَنَّـةِ والنَّارِ ويسخرونَ مِنْ ذِكْرِهِما، والعياذُ بِاللهِ تَعَالَى.

▪ فها هو إمامُهُمْ **أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ**[(٢)] يُقَرِّرُ هذا المبدأَ المُنحرفَ، ويحاولُ تَصحيحَهُ وتزيينَهُ بِمَا أُوتيَ مِنْ عَقلٍ وذَكاءٍ تَرويجًا لِمَذْهَبِهِ ونِحْلَتِهِ،

---

(١) **صحيحٌ**: رواه أبو دَاوُدَ في «سننه»، كتاب الصّلاة، باب في تخفيف الصّلاة (١/ ٥٠١ رقم: ٧٩٢)؛ وأخرجَهُ المُحَدِّثُ الألبانِيُّ في (صحيح سُنَنِ أبي دَاودَ الكبير ـ ط غراس ـ: ٣/ ٣٧٧ رقم: ٧٥٧) وقال: «إسنادُهُ صحيحٌ».

(٢) هو: مُحمدُ بنُ مُحمدِ بنِ محمد بن أحمدَ الطُّوسيُّ الغزاليُّ، (ت: ٥٠٥هـ). انظر ترجمته: «سير الأعلام» (١٩/ ٣٢٢ ـ ٣٤٦).

فيقول: «**ولهذا قال أبو سُلَيْمَانَ الدَّارانِيُّ**[١]: **إنَّ للهِ عبادًا ليس يَشغَلُهُمْ عَنِ اللهِ خوفُ النَّارِ ولَا رجاءُ الجَنَّةِ، فكيف تشغَلُهُمُ الدُّنيا عَنِ اللهِ؟**». ثُمَّ ذكرَ مَا تَبَجَّحَ بهِ **عَلِيُّ بنُ المُوفَّقِ**[٢] مِنْ أنّهُ رأى في المنام أنّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ فرأى **إمامَ أهلِ السُّنَّةِ أحمدَ بنَ حَنبلٍ** والملائكةَ تُناولُهُ الطّيباتِ مِنَ المطاعمِ والمشاربِ، ثُمَّ تَجاوزَ إلى مَا أسمَاهُ بحظيرةِ القُدْسِ فرأى في سُرادقِ العرشِ رَجُلًا قَدْ شخصَ ببصرهِ يَنظرُ إلى اللهِ تَعَالَى لَا يطرفُ، فسألَ رضوانَ[٣] عنهُ، فقال لهُ إنَّهُ: **مَعروفُ الكَرْخيُّ**[٤]، عَبَدَ اللهَ لَا خوفًا مِنْ نَارهِ ولَا شَوقًا إلى جَنَّتِهِ بلْ حُبًّا لهُ؛ فأباحَهُ النَّظَرَ إليه إلى يوم القيامةِ». ثُمَّ يُعَلِّقُ **الدّارانيُّ** فيقولُ: «مَنْ كان اليومَ مشغولًا بنفسِهِ فهو غدًا مشغولٌ بنفسهِ، ومَنْ كان اليومَ مشغولًا بِرَبِّهِ فهو غدًا مشغولٌ بِرَبِّهِ».

ثُمَّ ذكرَ **أبو حَامِدٍ** أنَّ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ رحمه الله تعالى سألَ **رَابِعَةَ**

---

(١) قيل: هو عبدُ الرحمٰنِ بنُ أحمدَ. وقيل: عبدُ الرحمٰنِ بنُ عطيّةَ، وقيل: غير ذلك. تُوفِّيَ سنة (٢١٥هـ) وقيل (٢٠٥). ترجمته في «السير» (١٠/ ١٨٢). وليس هو أبو سليمان الداراني المُحدّثُ المتوفّى سنة (نيف وتسعين ومائة هجري).

(٢) تُوفِّيَ سنة (٢٦٥هـ) تُرجمَ له في «طبقات الأولياء» (ص: ٢٩٧) لابنِ المُلَقّن.

(٣) قال الدكتور مُحمد العقيل في كتابهِ: (معتقد فرق المسلمين.. في الملائكة المقربين ص٤٧): «قال ابنُ كثيرٍ في «البداية والنهاية» [١/ ٤٥ ط. دار الكتب العلمية]: «خازنُ الجنّةِ مَلَكٌ يقالُ له رِضوانُ، جاء مُصرّحًا به في بعضِ الأحاديثِ». فعقَّبَ الدكتور على ابنِ كثيرٍ بقولهِ: «ولعلّهُ واللهُ أعلمُ يُشيرُ إلى حديثِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وفيه قال جبريلُ للنّبيِّ ﷺ: (يا مُحمد! أبشرْ هذا رِضوانُ خازِنُ الجنّةِ). وهو حديثٌ ضعيفٌ، ولذلك لا يثبتُ هذا الاسمُ». اهـ. ثُمّ بيّنَ الدكتورُ في الحاشيةِ أنّ الحديثَ فيه إسحاقُ بنُ بشرٍ أبو حُذيفة النجاريُّ؛ قال الذهبيُّ فيه: «تركوهُ؛ متّهمٌ بالكذبِ». وفيه جبيرُ بنُ سعيدٍ؛ قال ابنُ معينٍ فيه: «ليس بشيءٍ».

(٤) مَعروفُ بنُ فيروز الكَرْخيُّ أبو مَحفوظٍ البغداديُّ (ت٢٠٠هـ)، ترجمته في: «سير الأعلام» (٩/ ٣٣٩ ـ ٣٤٥).

(٥) رَابِعةُ بنتُ إسماعيلَ العدوِيَّةُ (ت: ١٣٥ وقيل: ١٨٠، وقيل غير ذلك). انظر: «سير الأعلام» (٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٣).

العدويَّةَ[١] عَنْ حقيقةِ إيمانِها؟ فقالت: «**مَا عَبدتُهُ خَوفًا مِنْ نَارهِ ولَا حُبًّا لجَنَّتِهِ فأكونَ كالأجيرِ السُّوءِ، بلْ عَبدتُهُ حُبًّا لهُ وشَوقًا إليه**». **ثُمَّ قالت**:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الهوَى ... وحُبًّا لأنكَ أَهْلٌ لِذَاكا
فأمَّا الذي هو حُبُّ الهوى ... فشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سواكا
وأمَّا الذي أنتَ أَهْلٌ لهُ ... فكشفُكَ للحُجْبِ حتَّى أراكا
فلا الحمدُ في ذَا ولَا ذاكَ لي ... ولكن لكَ الحمدُ في ذا وذاكا

ثُمَّ يُعَلِّلُ **الغَزاليُّ** هذه الأقوالَ والأبياتَ السّاقطةَ فيقولُ: «لَعلَّها أرادتْ بِحُبِّ الهوَى: حُبَّ اللهِ؛ لإحسانهِ إليها وإنعامِهِ عليها بحُظوظِ العاجلةِ. وبحُبِّهِ لما هو أهلٌ لهُ: الحُبَّ؛ لجمالهِ وجلالهِ الذي انكشفَ لها... وهي التي عَبَّرَ عنها رَسُولُ اللهِ ﷺ حيثُ قال حاكيًا عَنْ رَبِّهِ تَعالَى: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ: مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ**»[٢].

ثُمَّ يقولُ: «**وإذا بلغَ الرّجلُ في هذا العِلْمِ الغايةَ رَمَاهُ الخَلْقُ بالحجارةِ؛ لخروجِ كَلامِهِ عَنْ حَدِّ عُقولِهِمْ، فيرَوْنَ مَا يَقولُهُ جُنونًا أو كُفْرًا**».

ثُمَّ يُبَيِّنُ حالةَ الصُّوفيَّةِ إذا بَلغوا هذه الغايةَ المزعومةَ مِنَ العِلْمِ والكَشْفِ بأنَّها حَالةٌ يصيرُ فيها «**القَلْبُ مُستغرِقًا بنعيمِها فلو أُلْقِيَ في النَّارِ لَمْ يَحسَّ بِهَا لاستغراقِهِ، ولَوْ عُرِضَ عليهِ نَعيمُ الجَنَّةِ لَمْ يَلتَفِتْ إليه لكمالِ نَعيمِهِ وبلوغهِ الغايةَ التي ليس فوقَها غايةٌ**»[٣].

هكذا يُقَرِّرُ **الغَزاليُّ** مناهجَ الصُّوفيَّةِ في عَقائِدِهِمْ وعِباداتِهِمْ مع احتقارِ شأْنِ الجَنَّةِ والنَّارِ، ويُظهِرُ إساءَةَ الأدبِ والتَّهَكُّمَ بعُلَماءِ أهلِ السُّنَّةِ **كأحمدَ بْنِ**

---

(١) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريّ»، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٦/٣١٨ رقم: ٣٢٤٤)، و«صحيح مُسلم»، كتاب الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا (٤/ ٢١٧٤ رقم: ٢٨٢٤/٢).

(٢) «إحياء علوم الدِّين» (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

حَنبلٍ والثَّورِيِّ، وتعظيمَ شأنِ الصُّوفيَّةِ المُنحرفينَ **كمعروفِ الكَرْخيِّ ورَابِعةَ**.
ثُمَّ لَمْ يستحِ مِنَ الاستشهادِ بحديثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لتصحيح مَقالَةِ رابعة وأبياتِها. وهذا واللهِ! هو الضَّلالُ واتّباعُ الهوى الذي جعلَ **الغَزاليَّ** وغَيْرَهُ يَتغنَّى بِكُلِّ انحرافٍ ومَيْلٍ عَنِ الصِّراطِ المستقيم، وبُعْدٍ عَنِ المنهج الحَقِّ، ويُسمُّونَهُ بالزُّهْدِ، والتّقوى، والتّجرّدِ للهِ تَعالَى، والغايةِ في حُبِّهِ سُبْحانَهُ. تَعَالَى اللهُ العظيمُ عَمَّا يقولون فيه عُلُوًّا عظيمًا.

وقَدْ قسَّمَ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ الزُّهْدَ إلى قِسمينِ:

الأوّلُ: زُهْدٌ مَشروعٌ، وهو تَركُ مَا لَا ينفعُ في الدَّارِ الآخرةِ.

والثاني: زُهْدٌ غيرُ مشروعٍ، وهو تَركُ شَيْءٍ مِمَّا يُستعانُ بهِ على طاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[(١)].

يُريدُ رَحِمَهُ اللهُ **بالقسمِ الأوّلِ**: الزُّهْدَ الذي دعَا إليهِ الدِّينُ الحنيفُ. **وبالثاني**: الزُّهْدَ الذي هو مِنْ مَقاماتِ وأحوالِ المتصوّفَةِ؛ لأنّهم قَدْ تَركوا أشياءَ كثيرةً مِمَّا يُستعانُ بِها على طاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأعظمُ شَيْءٍ تركوه وحاربوه هو تَعَلُّمُ العُلوم الإسلاميَّةِ التي زَعموا أنَّها العِلْمُ الظاهرُ، وركضوا خلفَ شعاراتٍ مُزخرفةٍ كَاذبةٍ لتوصِّلَهُمْ بزعمِهِمْ إلى العِلْم اللّدُنِّيِّ، والعِلْمِ الباطنِ، والحقيقةِ، والكَشْفِ، والمشاهداتِ وغيرِ ذلك مِمَّا أَوْحَى بهِ إليهم إبليسُ تزيينًا لهذه البدعةِ.

- يقولُ **القُشَيْرِيُّ**: «سمعتُ الأستاذَ أبَا عَلِيٍّ الدّقّاقَ يقولُ: **الزُّهْدُ أنْ تتركَ الدُّنيا كما هي، لَا تقولُ أَبْنِي بِهَا رباطًا أوْ أُعَمِّرُ مسجِدًا**»[(٢)].

هذا هو الزُّهْدُ عِنْدَهُمْ، وهذا قَليلٌ مِنْ كَثيرٍ مِمَّا يُمْليهِ أساتذةُ التَّصَوُّفِ على مُريدِيهم، رَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإسلامِ لقَدْ وَصَفَ زُهْدَهُمْ وَصْفًا دقيقًا فكم تركوا مِنْ أُمُورٍ يَستعينُ بِهَا العاقلُ على طِاعَةِ اللهِ تعالَى.

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ٢٢٠).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة»، باب الزُّهْد (١/ ٣٦٧).

وخلاصةُ القولِ: إنَّهُ ليسَ في الإسْلام تَصَوُّفٌ، لَا في اسمِهِ ولَا في رَسْمِهِ. ومِنْ ثَمَّ فلا يَصِحُّ قولُ القائلينَ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ للتَّصَوُّفِ وأقسامِهِ بوجودِ مَا أَسمَوْهُ «بالتَّصَوُّفِ السُّنِّيِّ»؛ فالتَّصَوُّفُ أمرٌ مُخالفٌ ومُقابلٌ للسُّنَّةِ تَمامًا.

ومِنْ ثَمَّ فإنَّهُ لَا يَصحُّ تَسْمِيَةُ الزُّهّادِ والعُبَّادِ مِنَ الصَّحابَةِ والتابعينَ ﭫ بأوائلِ المُتَصَوِّفَةِ، أو شُيوخِهِمْ، أو قُدوتِهمْ، فإنَّ في هذا إساءةً عظيمةً إلى سَلَفِ هذه الأُمَّـةِ مِنَ الرّجالِ الذين صَدقوا مَا عَاهدُوا اللهَ عليهِ، وإساءةً إلى الإسلامِ ورَسُولِ الإسلامِ ﷺ.

والفَرْقُ بَيْنَ أُولَئِكَ الزُّهَّادِ مِنَ الصَّحَابَةِ والتابعينَ ﭫ ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ، وبَيْنَ المتصوّفةِ الذين نشأوا في النِّصْفِ الثاني مِنَ القرنِ الثاني الهجريِّ، ثُمَّ اشتهرَ أَمرُهُمْ وانتشرتْ دَعوتُهُمْ بَعْدَ القرنِ الثالثِ أقولُ: الفَرْقُ بَيْنَ أُولَئِكَ الأعلامِ وهؤلاءِ المُنحرفينَ، كالفَرْقِ تَمامًا بَيْنَ الشِّيعَةِ الأوائلِ الذين شَايعوا عَلِيًّا ﭬ يومَ كان التَّشَيُّعُ بمعناهُ اللُّغَويِّ، وبَيْنَ الشِّيعَةِ المُنحرفينَ مِنْ أتباعِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَبَأٍ يومَ أصبحَ للتَّشَيُّعِ مَعنًى اصطلاحيًّا مُنحرفًا.

والتَّصَوُّفُ قَدْ تَأَثَّرَ خلالَ مَسيرتهِ بمؤثراتٍ عَديدةٍ، ومَرَّ بمراحلَ عِدّةٍ، وتطوّرَ خِلالَها مِنْ حيثُ مظاهرُ الغُلُوِّ والانحرافِ في أُمُورٍ كَثيرةٍ، بدءًا بالسُّلوكِ والأخلاقِ، وانتهاءً بالأُصُولِ والعقائدِ.

وذلك لأنَّ **التَّصَوُّفَ والمُتَصَوِّفَةَ** لَـمْ يَكُنْ لَهمْ ضوابطُ سلوكيَّةٌ ولَا قواعدُ أُصوليَّةٌ ومنهجيَّةٌ يلتزمُونَها في مَذْهَبِهِمْ. وكان التَّصَوُّفُ في بدايةِ أمرهِ عبارةً عَنِ استحساناتٍ في السُّلوكِ، وزياداتٍ في بعضِ الطاعاتِ الْتَزَمَها بعضُ الزُّهَّادِ والعُبَّادِ، ولمْ يَلتزموا بما جاءَ بِهِ الشَّرْعُ مِنَ الطاعاتِ والأذكارِ. وذلك إمَّا جهلًا منهم بالسُّنَنِ والآثَارِ، أَوِ استحسانًا لتلكَ الأحوالِ؛ لأنّها في ظاهرِها مَا هي إلَّا مُجاهداتٌ وأحوالٌ تَقبَلُها النُّفوسُ وتُقْبِلُ عليها لِما فيها مِنْ مظاهرِ الزُّهْدِ والوَرعِ والتَّعَبُّدِ، وهي في حقيقتِها بابٌ عظيمٌ مِنْ أبوابِ الفِتْنةِ والشَّرِّ.

المبحث الثالث

مَرَاحِلُ التَّصَوُّفِ

قَسّمتُ التَّصَوُّفَ إلى ثلاثِ طبقاتٍ أو مراحلَ:

ـ **المرحلةُ الأولى:** تَضُمُّ الصُّوفيَّةَ الذين كانتْ وَفَيَاتُهُمْ في أثناءِ **المائةِ الثانيةِ** مِنَ الهجرةِ.

ـ **المرحلةُ الثانيةُ:** تَضمُّ مَنْ كانت وَفَيَاتُهُمْ في أثناءِ **المائةِ الثالثةِ** مِنَ الهجرةِ.

ـ **المرحلةُ الثالثةُ:** تَضمُّ مَنْ مَاتَ في أثناءِ **المائةِ الرابعةِ** أو بعدَها.

وقَدِ اخترتُ طائفةً مِنْ أقوالِ مَشايخِ الصُّوفيَّةِ وأئمَّتِهِمْ في كُلِّ **مرحلةٍ** من هذه المراحلِ الثلاثةِ؛ لمعرفةِ أَهَمِّ مَا تَتميّزُ بِهِ كُلُّ مَرحلةٍ مِنْ حيثُ الانحرافُ والغُلُوُّ والبُعْدُ عَنِ الصِّرَاطِ المستقيمِ، ولبيانِ أنَّ الغُلُوَّ الشديدَ والانحرافَ الذي بلغَ الكُفْرَ والزَّنْدَقَةَ في المراحلِ المتأخرةِ على أيدي بَعضِ الصُّوفيَّةِ مِنْ أهلِ **القرنِ الرابعِ** الهجريِّ وما بَعْدَهُ مَا هو إلَّا تطوّرٌ لبعضِ الأفكارِ المُنحرفةِ التي أنشأَها **صُوفِيَّةُ المرحلةِ الأولى**. هذا شأْنُ الشَّرِّ والفسادِ والانحرافِ؛ فإنَّهُ يَظهرُ أولًا بصورةٍ قَدْ تروجُ على كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ فيَقبلونها، ولكنّها تَزْدَادُ في انحرافِها مع مَرِّ الزَّمَنِ وتَقادُمِ العَهْدِ حتَّى تَصِلَ إلى الكُفْرِ والمُرُوقِ مِنَ الدِّينِ، والعِياذُ بِاللهِ تَعَالَى.

والآنَ فإلى بيانِ هذه المراحلِ الثلاثةِ.

المرحلةُ الأولى

أَمَّا المرحلةُ الأولى: فقَدْ كان الصُّوفيَّةُ فيها يَتميّزونَ بالزُّهْدِ والتّقشُّفِ ومُخالفةِ المألوفاتِ، وتركِ كثيرٍ مِنَ المباحاتِ والتّوسُّعِ في المطاعمِ والملابسِ والمساكنِ، والبُعْدِ عَنِ النَّاسِ ومُخالطتِهمْ تجنُّبًا للانغماسِ في الشَّهواتِ والملذّاتِ، وآثَروا الخلواتِ ومفارقةَ الأوطانِ، واشتهروا بكثرةِ العبادةِ مِنْ صَلاةٍ وصِيامٍ ومُداومةِ قراءةِ الأذكارِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الأُمُورِ المحمودةِ التي اجتهدوا فيها وصبروا عليها.

ولكنهم في مُقابلِ هذا الإحسانِ وقعوا في أُمُورٍ غيرِ مَحمودةٍ، إمَّا جهلًا منهم بالسُّنَنِ والآثَارِ، وإمَّا استحسانًا منهم لتلك الأُمُورِ لِما في ظَاهرِها مِنَ الخيرِ والصّلاحِ. ثُمَّ كانت هذه أبوابًا لِمُتصوّفةِ المراحلِ التّاليةِ حيثُ أَوْقَعَتْهُمْ في كَثيرٍ مِنَ البِدَعِ والشِّرْكِ. وأَهمُّ هذه الأُمُورِ هو نَبْذُ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ للعِلْمِ الشَّرعِيِّ، وتحذيرُهُمْ أتباعَهُمْ ومُريديهِم مِنَ العُلَمَاءِ ومجالِسِهم.

▪ فها هو **الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ**[(١)] يقولُ لبعضِ تَلاميذِهِ: «**تَبَاعَدْ عَنِ القُرَّاءِ [يَعني: العلماءَ] جهدَكَ؛ فإنّهم إنْ أَحبُّوكَ مَدحوكَ بِمَا ليسَ فيكَ، وإنْ غضبوا عليك شَهدوا عليك زُورًا وقُبِلَ ذلك منهم**». ويقولُ أيضًا مُنفّرًا النَّاسَ مِنَ العِلْمِ والعُلماءِ: «**الغِيبَةُ فَاكِهةُ القُرَّاءِ**». ويقولُ: «**عَالِمُ الآخرةِ عِلْمُهُ مَستورٌ، وعَالِمُ الدُّنيا عِلْمُهُ منشورٌ**». ويقولُ: «**مَنْ فَهِمَ القُرْآنَ استغنَى عَنْ كِتابةِ الحديثِ**»[(٢)]. ويقولُ أيضًا: «**إنّي لأَسمعُ صوتَ أهلِ الحديثِ فيأخذني البولُ فَرَقًا منهم**»[(٣)].

---

(١) تُوفّيَ سنةَ (١٨٧هـ) كما في «طبقات الأولياء» لابنِ الملقن (ص: ٢٢٩)، وله ترجمة في: «سير الأعلام» (٨/ ٤٢١).

(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٦٨ ـ ٦٩).

(٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (٨/ ٩٤).

▪ **وقِيلَ لإبراهيمَ بنِ أَدْهَمَ**[(١)]: إِنَّ فُلانًا يَتعلَّمُ النَّحْوَ. فقال: «**هو إلى أنْ يَتعلَّمَ الصَّمْتَ أَحوجُ**»[(٢)].

وقَدْ بالغوا في مُفارقةِ العُلَمَاءِ والمُحَدِّثينَ، وإمعانًا منهم في هذه الآفَةِ أكثروا مِنَ النَّظَرِ في كُتُبِ أهلِ الكِتَابِ وغَيْرِهِمْ مِنْ غيرِ المُسلِمينَ، وجالسوا الرُّهْبَانَ والنُّسَّاكَ في أَدْيِرَتِهمْ وكنائِسِهم، حتَّى كَثُرَ في أقوالِهِمُ العباراتُ التاليةُ: «**قَرَأْتُ في الحِكْمَةِ**»، «**قرأتُ في التَّوراةِ**»، «**قرأتُ في الإنجيلِ**»، «**قرأتُ في زَبُورِ دَاوُدَ**»، «**بلغَني عَنْ عِيسَى**»، «**أوحَى اللهُ إلى مُوسَى**». إلى غيرِ ذلك مِمَّا يَدُلُّ على كَثْرَةِ مُجالسَتِهِمْ لغيرِ المُسلِمينَ، وقِراءةِ كُتُبِهِمْ ومُؤلَّفَاتِهِمْ، والنَّقْلِ عنها والتأثُّرِ بِهَا.

▪ يقولُ **إبراهيمُ بنُ أَدْهَمَ** عَنْ نفسهِ: «**تعلّمتُ المعرفةَ مِنْ رَاهِبٍ يُقَالُ لهُ: أبا سمعانَ، دخلتُ عليهِ في صَوْمَعَتِهِ**... ـ [ثُمَّ يقولُ]: ـ **فَوَقَرَ في قَلبي المعرفةُ**»[(٣)].

▪ ويقولُ **شَقيقٌ البَلْخيُّ**[(٤)]: إنَّهُ كان تاجرًا، وفي إحدى رحلاتهِ أَوَاهُ المبيتُ في **بيتٍ للأصنامِ فدخلَ، فإذا أناسٌ عاكفون على أصنامِهِمْ**، فتكَلَّمَ مع كبيرِهِمْ تلك الليلةَ ثُمَّ يَذْكُرُ أنّهُ تعلَّمَ المعرفةَ والزُّهْدَ منهُ، ثُمَّ خرجَ مِنْ ثَرْوَتِهِ، وقَسَّمَ أَموالَهُ، وتركَ التّجارةَ، وتزَهَّدَ وتَنَسَّكَ.

هذه هي أحوالُ وأقوالُ أَئِمَّةِ الصُّوفيَّةِ في **المرحلةِ الأولى**، وقَدْ تطوّرتْ هذه الآفةُ في المراحلِ التّاليةِ حتَّى بلغتْ مَبلغًا عظيمًا في نَبْذِ العُلَمَاءِ والعُلومِ الشَّرعِيَّةِ، وتقسيمِ الشّريعةِ الإسلاميَّةِ إلى **ظَاهرٍ مَنبوذٍ** يعنونَ: مَا عليهِ أهلُ العِلْمِ والفضلِ، **وبَاطنٍ مَزعوم** وهو مَا عليهِ المُتَصَوِّفَةُ. وقد تمكّنوا بذلك مِنْ تفريقِ كلمةِ المُسلِمينَ، وإشغالِهِمْ بأنفسِهِمْ

---

(١) تُوفِّيَ سنةَ (١٦٢هـ)، ترجمته في: «سير الإعلام» (٧/ ٣٨٧).
(٢) «حِلْيَة الأولياء» (٨/ ١٦).
(٣) المصدر السابق (٨/ ٢٩).
(٤) المصدر نفسه (٨/ ٥٩). تُوفِّيَ شَقيقٌ سنة (١٩٤هـ)، ترجمته في: «سير الأعلام» (٩/ ٣١٣).

عَنْ مُجاهدةِ الكُفْرِ وأهلِهِ. كما أنَّ تقديرَ أوائِلِهِمْ لزُهَّادِ الكُفَّارِ ونُسَّاكِهِمْ أَدَّى إلى القولِ بوِحْدةِ الأديانِ التي تَبَنَّاها فيما بَعْدُ أئِمَّةُ التَّصَوُّفِ والزَّنْدَقَةِ في المراحلِ المتأخرةِ حيثُ بلغَ التَّصوُّفُ ذِرْوَتَهُ في الانحرافِ والانحلالِ عَنِ الدِّينِ الإسلاميِّ.

والحَقُّ إنَّ موقفَ الأوائلِ مِنَ العِلْمِ وأهلِهِ هو البابُ الذي انفتحَ للتَّصَوُّفِ بسائرِ ضَلالاتِهِ وانحرافاتِهِ؛ لأنَّ الحَقَّ لَا يُعْرَفُ ولَا يُمكنُ تمييزُهُ عَنِ الباطلِ إلَّا بالعِلْمِ الشَّرعِيِّ، وهو العِلْمُ بالكتابِ والسُّنَّةِ والآثَارِ الصّحيحةِ.

يقولُ **سُفْيَانُ الثَّورِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ ـ وقَدْ أدركَ أقوالَ الصُّوفيَّةِ وأحوالَهُمْ ـ: «**ينبغي على الرّجلِ أنْ يُكْرِهَ وَلَدَهُ على طَلَبِ الحديثِ فإنَّهُ مَسؤولٌ عنهُ**»[(١)]. يحثُّ النَّاسَ على طَلبِ العِلْمِ والعملِ بِهِ لِما فيه مِنَ العِصْمَةِ عَنِ الوقوعِ في البِدَعِ ومُتابعةِ الأهواءِ والضّلالاتِ.

وروَى **ابنُ سَعدٍ** رَحِمَهُ اللهُ بسنَدِهِ إلى **الشِّفاءِ ابنةِ عَبْدِ اللهِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّها رأتْ فِتيانًا يقصدونَ في المَشْيِ ويتكلّمون رُويدًا فقالت: مَا هذا؟ فقالوا: نُسَّاكٌ. فقالت: **كان واللهِ! عُمَرُ إذا تكلَّمَ أسمعَ، وإذا مشَى أسرعَ، وإذا ضربَ أوجعَ، وهو النَّاسِكُ حقًّا**[(٢)].

هكذا بدأَ **الصُّوفيَّةُ الأوائلُ** يستحسنونَ بعضَ الأُمُورِ ويلتزمونَها جهلًا منهم بأحوالِ السَّلَفِ مِنَ الزُّهَّـادِ والعُبَّادِ والنُّسَّاكِ. يقولُ **ابنُ الجوزيِّ** رَحِمَهُ اللهُ ـ بَعْدَ أنْ ذكرَ حالَ أوائلِ المُتَصوِّفَةِ وزُهْدَهُمْ وورَعَهُمْ ومُداومتَهُمْ على الصِّدْقِ ـ: «**وعلى هذا كان أوائلُ القومِ، فلبّسَ إبليسُ عَليهِم في أشياءَ، ثُمَّ لبّسَ على مَنْ بَعدَهُمْ مِنْ تَابعيهِمْ، فكلَّما مضَى قَرْنٌ زادَ طمَعُهُ في القرنِ**

(١) «حِلْيَة الأولياء» (٦/ ٣٦٥).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» لابنِ سَعدٍ (٣/ ٢٩٠).

الثاني، فزادَ تَلبيسُهُ عَليهِم إلى أنْ تَمكَّنَ مِنَ المتأخرينَ غايةَ التّمكُّنِ. وكان أصلُ تَلبيسهِ عَليهِم أنّهُ صَدَّهُمْ عَنِ العِلْم، وأراهم أنَّ المقصودَ العملُ، فَلَمّا أطفأَ مِصْباحَ العِلْمِ عِنْدَهُمْ تخبّطوا في الظُّلماتِ»[١].

نعم، إنَّ أعظمَ مَا وقعوا فيه هو البُعْدُ عَنِ العِلْمِ وأهلِهِ، حتَّى تَفَنَّنَ الصُّوفيَّةُ بَعْدَ ذلك في تَوسعةِ الخلافِ والفُرْقَةِ بينهم وبَيْنَ العِلْمِ وأهلِهِ لِيَتمكّنوا مِنْ مُريدِيهم، فاخترعوا **المعرفةَ** وهي عِنْدَهُمْ غيرُ العِلْمِ، ولَا تُنَالُ بالكَسْبِ والطَّلَبِ وإنّما بالرّياضةِ والفَتْحِ والمُكاشفةِ. ثُمَّ اخترعوا **الظاهرَ والباطنَ** لِسَدِّ بابِ الإنكارِ عَليهِم وعَدَمِ كَشْفِ بَاطِلِهِمْ وضَلالِهِم.

وقَدْ وقعَ مُتَصوّفةُ المرحلةِ الأولى في أُمُورٍ أُخْرَى كثيرةٍ مِنَ المُنْكراتِ، منها:

• أولًا: مُنكراتُهم في بابِ العقائدِ:

ـ أسَّسُوا مَبدأَ الجُرْأَةِ على اللهِ تَعالَى؛ يقولُ **مَعروفٌ الكَرْخيُّ** لتلميذِهِ السَّري السَّقطيِّ[٢]: «**إذا كانت لك حاجةٌ إلى اللهِ فأقْسِمْ عليهِ بِي**»[٣]. وهذه تطوّرَتْ حتَّى وصلَ تعظيمُ الشيوخِ عندَهم إلى عِبادتِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعالَى.

ـ كما اخترعوا فِكْرةَ **الاسمِ الأعظمِ** التي زَعَمَ بعضُ أئمّتِهِمْ مَعرفتَها[٤]، ثُمَّ تطوّرتْ هذه إلى الاعتقادِ في الشيوخِ، وأنَّهُمْ يتصرفونَ في الأكوانِ.

(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٢).
(٢) تُوفِّيَ السَّري السَّقطيّ سنة (٢٥٣هـ). وقيل: (٢٥١). وقيل: (٢٥٧)، ترجمته في: «سير الأعلام» (١٢/ ١٨٥).
(٣) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (١/ ٧٥).
(٤) هو: إبراهيمُ بنُ أدهمَ الذي يَزْعُمُ أنَّ دَاوُدَ البلخيَّ قد علَّمَهُ ذلك الاسمَ كما في «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٤٤ ـ ٤٥).

ـ وتوسعوا كثيرًا في بابِ الكراماتِ وادِّعاءِ الدّعاوَى.

ـ كمَا تكلَّمَ الأولونَ في مَحبَّةِ اللهِ ﷻ وبالغوا، وصَوّروا أنَّ حُبَّ اللهِ تَعَالَى لَا يَصحُّ مِمَّن يُحِبُّ الأولادَ، وتَصوّروا أنَّ عبادةَ اللهِ تَعَالَى لَا تَصِحُّ إذا كان العابدُ محبًّا للْجَنَّةِ أو خائفًا مِنَ النَّارِ. يقولُ **الفضيلُ بنُ عياضٍ**: إنَّهُ «زارَ ابنةً لهُ كانت مريضةً فدخل عليهما ابنهُ ولهُ ثلاثُ سنينَ فقَبَّلَهُ وضَمَّهُ إلى صدرِهِ، فسألتهُ بقولِها: سَألتُكَ بِاللهِ! أَتُحِبُّهُ؟ فقلتُ: إيْ واللهِ! يا بُنَيّة إني لَأُحِبُّهُ. فقالت لي: سَوءة لك يا أبتِ، إني ظننتُ أنّك لَا تُحِبُّ مع اللهِ غيرَ اللهِ. فقلتُ لها: أيْ بُنَيّهْ، أَوَ لَا تُحبُّونَ الأولادَ؟ فقالت: المَحَبَّةُ للخالقِ، والرحمةُ للأولادِ. قال: **فلطَمَ الشّيْخُ رأسَ نفسِهِ وقال: يا ربِّ! هذه ابنتي هجنتني في حُبِّها وحبِّ أخيها، وعِزَّتِكَ! لَا أَحبَبْتُ مَعكَ أحدًا حتَّى ألقاكَ**»[(١)]. ويقولُ إبراهيمُ بنُ أدهمَ: «**إنْ كنتَ تُحِبُّ أنْ تكونَ وَلِيًّا للهِ وهو لك مُحبًّا؛ فَدَعِ الدُّنيا والآخرةَ ولَا ترغبنَّ فيهما**»[(٢)].

ثُمَّ اشتهرت أقوالُ الصُّوفيَّةِ في عدمِ مَحبَّتِهِمْ للْجَنَّةِ أو خوفِهِمْ مِنَ النَّارِ باسمِ مَحبّةِ اللهِ تَعَالَى. ولمّا قِيلَ **لرابعةَ العَدَوِيَّةِ**: مَا حقيقةُ إيمانِكِ؟ قالتْ: «**مَا عَبدْتُهُ خوفًا مِنْ نارهِ ولَا طمعًا في جَنَّتِهِ... عَبدتُهُ حبًّا لهُ وشوقًا إليه**. وكانت تنشِدُ:

«إني جَعلتُكَ في الفؤادِ مُحَدِّثِي ... وأَبَحْتُ جِسمي مَنْ أرادَ جُلُوسي
فالجسمُ منِّي للجليسِ مُؤانسٌ ... وحَبيبُ قَلبي في الفؤادِ أَنيسي»

ويذكرون أنَّها سمعَتْ قارئًا يَقرأُ: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ

---

(١) «الجامع لشُعَب الإيمان» للبَيْهَقِيِّ، رسالة ماجستير لمؤلف هذا الرسالة تحقيق: شعبة المَحَبَّة (ص: ٤٣٤) لم تُطبعْ الرسالة؛ وقد أفردت البحث الخاص بالمحبة وطبعته في رسالة خاصة بعنوان «المحبة».

(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٨٢).

فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ [يس: ٥]، فقالت: «**مساكينُ أهلِ الجَنَّةِ؛ في شُغُلٍ هُمْ وأزواجُهُمْ**»[(١)].

وقَدْ تطورتْ هذه المحَبَّةُ المزعومةُ، وكانت فيما بَعْدُ مِنَ الأُسُسِ التي اعتمدَها الصُّوفيَّةُ في عِشْقِهِمْ وهيامِهِمْ، حتَّى قالوا ـ وبكُلِّ وقَاحةٍ ـ الأشعارَ والقصائدَ الغزَلِيَّةَ في ذَاتِ اللهِ تَعَالَى والتي يستحي المرءُ العاقلُ مِنْ سمَاعِها وقِراءَتِها، كما كانت هذه المحَبَّةُ المُنحرفةُ مِنْ أُسُسِ الصُّوفيَّةِ في مَذْهَبِهِمْ في الحُلولِ والاتّحادِ والعياذُ بِاللهِ تَعَالَى.

• ثانيًا: مَا وقع فيه مُتَصوِّفَةُ المرحلةِ الأولى مِنِ انحرافاتٍ في بابِ العباداتِ:

فقد زعمُوا لأنفسِهِمْ وشُيوخِهِمْ أَوْرَادًا وصلواتٍ لَا يَطيقُها البَشَرُ، ولَا تَسَعُها ساعاتُ الليلِ والنهارِ، فيَزْعُمُونَ:

ـ أنَّ **ضَيْغَمَ بنَ مَالِكٍ الرَّاسبيَّ** كان يُصَلِّي في اليومِ والليلةِ أربعمائةَ ركعةٍ[(٢)].

ـ وأنَّ **إبراهيمَ بنَ أدهمَ** مكثَ صائمًا في شهرِ رمضانَ لَا ينامُ اللّيلَ ولا النَّهارَ[(٣)].

ـ وأنَّ **عَبدَ الواحدِ بنَ زَيْدٍ** كان يُصَلِّي الصُّبحَ بوضوءِ العِشَاءِ أربعينَ سنةً؛ أي: إنَّهُ يقومُ الليلَ كُلَّهُ[(٤)].

ثُمَّ إنَّهُمْ في هذه **المرحلةِ** اتخذوا أماكنَ خَاصَّةً للذِّكرِ والعبادةِ،

---

(١) «الكواكب الدرية في تراجم الصُّوفيَّة» (ص: ١٠٩)، وانظر: «إحياء علوم الدِّين» (٤/ ٢٦٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١). تُوفِّيَ ضَيْغَمُ سنة (١٨٠هـ) وترجمته في: المصدر نفسه والصفحة.

(٣) «الحِلْية» (٧/ ٣٧٨).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٧٩). تُوفِّيَ عبدُ الواحدِ بعد سنة (١٥٠هـ) وترجمته في: المصدر نفسه.

وهجروا المساجدَ والجماعاتِ ليتمكنوا مِنْ مُمارسةِ تلكَ العباداتِ والأذكارِ والطُّقوسِ المبتدعةِ بعيدًا عَنِ انتقاداتِ أهلِ العِلْم وجمهورِ المُسلِمينَ، وقَدْ أوقفَ **أحمدُ بنُ عطاءٍ الهُجَيْمِيُّ البَصْرِيُّ** دارًا في **بَلْهُجَيْم** للمُتَعبِّدينَ والمُريدين، وكان يَقصُّ عَليهِم فيها[١].

ومثل هذه الانحرافاتِ قَدْ تطورتْ في المراحلِ التاليةِ للتَّصَوُّفِ، حتَّى أنشأَ كُلُّ شيخٍ مِنْ شُيوخِهِمْ أورادًا خَاصَّةً وطريقةً لمُريديهِ، حتَّى كَثُرَتِ الطُّرُقُ الصُّوفيَّةُ في العالمِ الإسلاميِّ، ولكلِّ طريقةٍ أنواعٌ مِنَ الطُّقوسِ والعباداتِ والأذكارِ تختلفُ عَنْ غيرِها مِنَ الطُّرُقِ، وكَثُرَتْ مَعابدُهُمْ ودُورُهُمُ التي أقاموها لإحياءِ حفلاتِ السّماعِ والرّقصِ والغناءِ، وغيرِ ذلك مِنَ المُنْكراتِ والضلالاتِ.

• ثالثًا: انحرافاتُ مُتَصوِّفَةِ المرحلةِ الأولى في بابِ الآدابِ والأخلاقِ:

وهذا البابُ حصلَ فيه مِنَ الشَّرِّ والفِتْنَةِ التي أضَرّتْ بالإسلام وأهلِهِ أيَّما ضَرَرٍ، وشَوّهتْ صُورةَ الشَّرْعِ والدِّينِ ومَا فيه مِنْ مكارمِ الأخلاقِ والفضائلِ. وقَدِ استغلَّ هذا البابَ أعداءُ الإسلام أبشعَ استغلالٍ في صدِّ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ الإسلاميِّ، حيثُ **فتحَ أوائلُ المُتَصَوِّفَةِ بابَ شَرٍّ عظيمٍ؛ فزعموا أنَّهُمْ يَلْتَقُونَ بالملائكةِ وبالخَضِرِ، وأنَّهُمْ يسمعون الهواتفَ في يَقظَتِهِمْ ومَنامِهِمْ، وأنَّ الحُورَ تَتراءَى لهُمْ وتُكَلِّمُهُمْ، وزعموا لأنفسِهِمْ وشُيوخِهِمْ مَا زعموهُ مِنَ الكراماتِ والخوارقِ، فمن ذلك:**

ـ زَعَمَ **مَالِكُ بنُ دِينارٍ**[٢] أنّهُ رأى مَلَكَيْنِ مِنَ الملائكةِ يكتبون أسماءَ المُحِبِّينَ للهِ، فسألهما أنْ يَكتُبَاهُ فلمْ يفعلا، ثُمَّ إنَّهُ انصرفَ عنهما وجاءَهُ

(١) المصدر السابق (٩/ ٤٠٨).
(٢) تُوفِّيَ مَالِكٌ سنة (١٢٧هـ) وقيل: (١٣٠). ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٢).

رَسُولٌ في مَنامِهِ يُخْبِرُهُ بأنّهُ قَدْ كُتِبَ منهم(١).

ـ وزَعَمَ **إبراهيمُ بنُ أدهمَ** أنّهُ رأى في المنامِ جِبْرِيلَ وقَدْ نزلَ إلى الأرضِ لِيكتُبَ أسماءَ المُحِبِّينَ، فطلبَ منهُ أنْ يَكْتُبَهُ، وبينما هما يتحاورانِ ويتذاكرانِ، يَزْعُمُ أنَّ الوحيَ نزلَ قائلًا لجبْرِيلَ: اُكتُبْهُ أوَّلَهُمْ(٢).

ـ ويَزْعُمُونَ أنَّ **إبراهيمَ بنَ أدهمَ** كان في سفينةٍ، فعصَفَتِ الريحُ بهم، فخافَ الرُّكابُ جميعًا وأَشرفُوا على الغَرَقِ والهلاكِ، ثُمَّ سمعوا جميعًا هاتفًا قَويًّا يقولُ: أتخافونَ وفيكم فلانٌ؟ وذكرَ الهاتِفُ اسمَ الصُّوفِيِّ؛ يعني: إبراهيمَ(٣).

ـ ويَزْعُمُ **عبدُ الواحدِ بنُ زَيْدٍ** أنّهُ نامَ عَنْ وِرْدِهِ فإذا حُوريَّةٌ مِنَ الجَنَّةِ تُناديهِ وتدعوهُ إليها، فقامَ وقرَّرَ ألَّا ينامَ أبدًا(٤).

وهذه الأمورُ قَدْ توسَّعَ فيها مُتصوِّفةُ المراحلِ التاليةِ وبالغوا فيها، حتَّى زَعَمَ المتأخرون حُضورَ النَّبيِّ ﷺ والصَّحَابَةِ مَجالِسَهُمْ، ولَمْ يَقِفُوا عِنْدَ هذا الحدِّ بلْ زَعَمَ بعضُهُمْ حُضورَ الرَّبِّ ﷻ والْتِقاءَهُمْ بِهِ ومُحادثَتَهُمْ لهُ، تَعالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ الكافرون عُلُوًّا كبيرًا.

وأمَّا مسألةُ الكراماتِ والخَوارِقِ؛ فقَدْ طَفَحَتْ بِهَا كُتُبُهُمْ واستعملوها سِلاحًا لَهمْ في استعبادِ المُريدينَ وتخويفِ العَامّةِ مِنَ التَّكَلُّمِ والتَّعَرُّضِ للمشايخِ والأولياءِ المزعومينَ.

ومِنِ انحرافاتِهِمْ في بابِ الآدابِ والأخلاقِ دَعوتُهُمْ لِتَرْكِ التّزوّجِ:

ـ فيذكرون أنَّ **دَاوُدَ بنَ نُصَيْرٍ الطَّائِيَّ**(٥) لَمْ يَتزوّجْ، ولما قِيلَ لهُ في

---

(١) «شُعَب الإيمان» للبَيْهَقِيِّ، رسالة ماجستير لمؤلف هذا الرسالة. تحقيق: شعبة المَحبَّة (ص: ٤٤١) ـ لم تُطبعْ ـ.

(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (٨/ ٣٤ ـ ٣٥).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٦).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ١٥٧).

(٥) تُوفِّيَ دَاودُ سنة (١٦٢هـ)، وقيل: (١٦٥). ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٢).

ذلك، قال: «كَيف بقَلبٍ ضَعيفٍ ليس يقومُ بِهَمِّهِ يجتمعُ عليهِ هَمَّانِ»[(١)].

ـ **وإبراهيمُ بنُ أدهمُ** يقولُ: «مَنْ أحبَّ اتّخاذَ النِّساءِ لَمْ يُفلِحْ». ولما قِيلَ لهُ: لِـمَ لَا تتزوجُ؟ قال: «لَا حاجةَ لي في النِّساءِ»[(٢)].

ـ وقال **مالكُ بنُ دِينارٍ**: «لَا يبلغُ الرجلُ منزلةَ الصّدّيقينَ حتَّى يَتركَ زوجتَهُ كأنّها أَرملَةٌ ويأوي إلى مزابلِ الكلابِ». وقَدْ تركَ هذا الشّيْخُ التّزوّجَ والنساءَ وقِيلَ لهُ: ألَا تتزوج؟ قال: «لَوِ استطعتُ لطلّقتُ نفسي»[(٣)].

وقَدْ تطورَ هذا الأمرُ وأدَّى بكثيرٍ مِنَ الصُّوفيَّةِ إلى ارتكابِ المُحرّماتِ مِنْ مُخالطةِ الأحدَاثِ والمُردَانِ حتَّى النساءِ الأجنبياتِ، وظهورِ الرَّهبَنَةِ التي أَوقَعَتْهم في الفواحشِ والرّذائلِ. ويدخلُ في هذا البابِ مَا قَرَّرَهُ الأوائلُ مِنْ تَعذيبِ أجسادِهِمْ بالسَّهَرِ وتَرْكِ النومِ، وتَرْكِ الأطعمةِ المباحةِ، وأَكْلِ الطِّينِ والرِّمَالِ؛ إمعانًا منهم في مُخالفةِ النفسِ والإضرارِ بالبدنِ بحُجّةِ تصفيةِ الرُّوحِ التي مَا كانتْ تَزدَادُ إلّا خُبثًا وفُجورًا.

وكذلك اتّخاذُهُمْ لباسَ الصُّوفِ، وما خَشُنَ مَسُّهُ، وتَرْكُ التَّكَسُّبِ، ولزومُ الزوايا والرّبطِ بِحُجّةِ التَّفرُّغِ للعبادةِ، والتّجرُّدِ في التّوكُّلِ على اللهِ تَعَالَى، وغيرُ ذلك مِنَ الأُمُورِ الأخلاقيَّةِ التي انحرفَ فيها المُتَصَوِّفَةُ الأوّلونَ، وطوّرها المتأخّرونَ فاخترعوا مِنَ الآدابِ والأخلاقِ الصُّوفيَّةِ الشَّيءَ الكثيرَ؛ لِيُحْكِموا قَبْضةَ الشيوخِ على الأتباعِ، وتجعلَهُمْ يسيرون كالبهائم لَا تدري مَا يُرادُ بِهَا، حتَّى آلَ أمرُهُمْ إلى اتخاذِ الشيوخِ آلهةً يَصْرِفُونَ لَهمْ مِنَ العباداتِ والطاعاتِ، وأربابًا بِمَا اعتقدوه فيهم مِنَ التّصَرُّفِ بالأكوانِ والأقدارِ والحياةِ الدُّنيا والآخرةِ، وأنّهُ لنْ يَدخلَ أحدٌ الجَنَّةَ إلَّا بإذنِ أُولَئِكَ الشيوخِ والأئمَّةِ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ الزَّنَادِقَةِ المُلحدينَ.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٤٩، ٣٥٦). (٢) المصدر السابق (٨/ ١١، ٢١).

(٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (٢/ ٣٥٩، ٣٦٥).

هذا بعضُ مَا تسبَّبَ بهِ **مُتَصَوّفةُ المرحلةِ الأولى** في نشرِ هذه البدعةِ التي فَرَّقَتْ جمعَ المُسلِمينَ وشَتَّتَتْ كَلِمَتَهُمْ بِمَا استحسنوه مِنْ أعمالٍ وعِباداتٍ وأذكارٍ وأحوالٍ وأخلاقٍ لَمْ يَكُنْ عليها الصَّدْرُ الأوّلُ مِنْ هذه الأُمَّةِ، وبما خالفوا فيه سُنَنَ الهُدَى بِجهلِهِمْ بِالنُّصوصِ والآثَارِ التي تمسَّكَ بِهَا الرّجالُ الأوائلُ مِنْ هذه الأُمَّةِ في القُرونِ المفضّلةِ، والتي بِهَا سَادوا العالَمَ وحَكمُوا الأُمَمَ.

وهذه الأقوالُ التي نَقَلْتُها آنفًا كانت **لمُتَصَوّفةِ المرحلةِ الأولى** مِمَّن كانتْ وَفَيَاتُهُمْ في خلالِ **المائةِ الثانيةِ** مِنَ الهجرةِ المباركةِ.

المرحلةُ الثانيةُ

أمّا هذه المرحلةُ الثانيةُ؛ فقد اجتمعَ فيها عَددٌ كبيرٌ مِنْ أساطينِ الفكرِ الصُّوفِيِّ الذين كانتْ أقوالُهُمْ وأحوالُهُمُ الأُسُسَ والقواعدَ التي اعتمدها المُؤلِّفونَ فيما بَعْدُ في إحْكَامِ مَذْهَبِ التَّصَوُّفِ مِنْ حيثُ العقيدةُ والشّريعةُ بَعْدَ تطويرِ كثيرٍ منها.

وفي هذه المرحلةِ أيضًا ابتُلِيَ الإسلامُ والمُسلِمونَ بحركةِ التّرجمةِ التي عُنِيَتْ بترجمةِ عُلومِ الفلسفةِ اليونانيَّةِ والرّومانيَّةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وقَدْ عُهِدَ بالتّرجمةِ لِأُناسٍ لَا يؤمنون بِاللهِ واليومِ الآخرِ مِنَ النَّصَارَى وغيرِهِمْ ممّنِ امتلأتْ قُلوبُهُمْ حَسدًا وحِقدًا على الإسلامِ والمُسلِمينَ، فنَقَلوا إلى العربيَّةِ وَثَنِيّاتِ الأُمَمِ الكافرةِ وفلسفاتِهِمْ، وشِرْكِيّاتِ الفلاسفةِ التي عَكَّرتْ صَفْوَ الدِّينِ الإسلاميِّ بضلالاتِ اليهودِ والنَّصَارَى، وسفسطةِ الفلاسفةِ المُلحدينَ، وتُرّهَاتِ الهنودِ والمجوسِ، وخُزَعبِلاتِ الإغريقِ والرّومانِ وغيرِهِمْ.

وقَدْ تَأَثَّرَ **صُوفِيَّةُ هذه المرحلةِ** بحركةِ التّرجمةِ تَأثُّرًا عظيمًا، أدّى

بكثيرٍ منهم ـ مثلَ **دَاوُدَ بنِ نُصَيْرٍ الطَّائِيِّ، وأحمدَ بنِ أبي الحَوَارِيِّ**[١]، **وضَيْغَم بنِ مَالِكٍ الرَّاسبيِّ** وغيرِهِمْ ـ إلى إحراقِ ودَفْنِ وإتلافِ مَا جمعوه مِنَ الكُتُبِ الإسلامِيَّةِ[٢]، وإلى إيثارِ العُزلةِ، واستخدامِ الرّموزِ الغامضةِ في أقوالِهِمْ، والشَّطَحَاتِ القوليَّةِ والفعليَّةِ لَدَى كثيرٍ منهم، حتَّى إنَّ **الحارثَ المُحَاسِبِيَّ**[٣] الذي يُعَدُّ أوّلَ مَنْ كَتبَ وأَلَّفَ في أحوالِهِمْ وعُلومِهِمْ قَدْ تأثَّرَ بالكلامِ وعُلومِهِ، الذي دخلَ على المُسلِمينَ مِنْ بلاءِ التّرجمةِ.

وقَدِ استمرَّ أئِمَّةُ التَّصَوُّفِ في مُحاربتِهِمُ العِلْمَ وأهلَهُ بشتَّى الطُّرُقِ والوسائلِ، حتَّى نشأَ الصِّراعُ بَيْنَ عُلَماءِ وفقهاءِ أهلِ السُّنَّةِ وبَيْنَ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ، فمِن ذلك:

- نَسَبَ **الصُّوفيَّةُ** إلى **أبي سُلَيْمَانَ الدَّارانِيِّ** أنّهُ قال: «**إذا طلبَ الرجلُ الحديثَ أو تزوّجَ أو سافرَ في طلبِ المعاشِ؛ فقَدْ ركنَ إلى الدُّنيا**»[٤].

- ونسبوا إلى **الجُنَيْدِ البغداديِّ** قولَهُ: «**المُريدُ الصَّادِقُ غَنِيٌّ عَنْ عِلْمِ العُلَمَاءِ، وإذا أرادَ اللهُ بالمُريدِ خيرًا أوقعَهُ إلى الصُّوفِيَّةِ ومنعهُ صُحْبَةَ القُرَّاءِ**»[٥].

- وهذا **مضاءُ بنُ عِيسَى**؛ يَزْعُمُ أنَّ حُبَّ اللهِ تَعالَى يُلْهِمُ المُحِبَّ

(١) تُوفِّيَ أحمدُ سنة (٢٤٦هـ). ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٨٥).
(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (٧/ ٣٣٦) و(١٠/ ٦). وانظر في: «سير الأعلام» (٧/ ٤٢٣) و(١٢/ ٨٨) و(٨/ ٤٢١).
(٣) تُوفّي المُحَاسِبِيُّ سنةَ (٢٤٣هـ). ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٠).
(٤) «قوت القُلوب»، الفصل الحادي والثلاثون في ذِكْرِ العِلْم وتفضيله وأوصاف العُلَمَاء (١/ ١٣٥)، والفصل الخامس والأربعون في كتابِ ذِكْرِ التزويج (٢/ ٢٤٧). تقدّم التعريفُ بالدارانيّ في (ص١٨١، حاشية ١).
(٥) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٥).

العملَ للهِ بِلَا دليلٍ[(١)].

■ ويقولُ **أبـو يَزِيدَ البِسْطَامِيُّ** ـ مُحتقِرًا شَأْنَ أهلِ العِلْمِ وفضلَهُمْ ـ: «**أخذتُمْ عِلْمَكُم مَيِّتًا عَنْ مَيِّتٍ، وأخذنا عِلْمَنا عَنِ الحَيِّ الذي لَا يَموتُ، يقولُ أمثالُنا: حَدَّثَني قَلبي عَنْ ربِّي. وأنتم تقولونَ: حدّثني فلانٌ، وأينَ هو؟ قالوا: مَاتَ. عَنْ فلانٍ، وأين هو؟ قالوا: ماتَ**»[(٢)].

وبِمِثْلِ هذه الأقوالِ والأحوالِ الشَّيْطَانيَّةِ ـ وغيرِها كثير ـ حَجَبَ شيوخُ التَّصَوُّفِ مُريديهم وأتباعَهُمْ مِنَ العِلْمِ وأهلِ العِلْمِ، فوقعوا في المُنْكراتِ والشّرْكِيّاتِ التي أدَّتْ إلى الصّراعِ بَيْنَ أهلِ العِلْمِ والفضلِ وبَيْنَ هؤلاءِ في هذه المرحلةِ وما بعدَها مِنَ المراحلِ.

ذكرَ **الخطيبُ البغداديُّ** رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أبي **القاسمِ النصراباديِّ** قال: «بلغني أنَّ **الحارثَ [المُحاسِبِيَّ]** تكلّمَ في شَيْءٍ مِنَ الكلامِ، **فهجرهُ أحمدُ بنُ حَنبلٍ**، فاختفَى في دَارِهِ ببغدادَ، وماتَ فيها، ولَمْ يُصلِّ عليهِ إلَّا أربعةُ نَفَرٍ»[(٣)].

وذكرَ أيضًا أنَّ **أبا زُرْعَةَ** رَحِمَهُ اللهُ سُئِلَ عَنِ الحارثِ وكُتُبِهِ؟ فقال: «**إيّاكَ وهذه الكُتُبَ؛ هذه كُتُبُ بِدَعٍ وضَلالاتٍ، عليك بالأثرِ** فإنّكَ تَجِدُ فيه مَا يُغنيكَ عَنْ هذه الكُتُبِ». قِيلَ لهُ: في هذه الكُتُبِ عِبْرَةٌ. قال: «**مَنْ لَمْ يَكُنْ لهُ في كِتابِ اللهِ عِبْرَةٌ، فليسَ لهُ في هذه الكُتُبِ عِبْرَةٌ. بَلَغَكُمْ أنَّ مَالِكَ بنَ أنسٍ وسُفْيَانَ الثَّوريَّ والأوزاعيَّ والأئمَّةَ المتقدمينَ صَنّفوا في هذه الخطراتِ والوساوسِ وهذه الأشياءِ؟! هؤلاءِ قومٌ خالفوا أهلَ العِلْمِ**.... [ثُمَّ قال]: **مَا أسرعَ النَّاسِ إلى البِدَعِ**»[(٣)].

---

(١) «شُعَب الإيمان» للبَيْهَقِيِّ، رسالة ماجستير لمؤلف هذا الرسالة. تحقيق: شعبة المَحَبَّة (ص: ٤٢٢) ـ لم تُطبعْ ـ. وقد ترجم الذهبيُّ لمضاء بن عيسى في «تاريخ الإسلامِ» (وَفَياتِ سنة: ٢٠١ ـ ٢١٠هـ: ص: ٣٨٩ برقم: ٣٦٩).

(٢) «الفتوحات المكية» (١/ ٣٦٥).

(٣) «تاريخ بغداد» (٨/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

رَحِمَ اللهُ أبا زُرعةَ وعُلَماءَ السَّلَفِ! هذا مَوقفُهُمْ في بيانِ الحَقِّ وإنكارِ البِدَعِ.

وقَدْ كان للعُلَماءِ والقُضاةِ في هذه المرحلةِ رُدودُ فعلٍ تُجَاهَ هذا التَّيَّارِ الصُّوفِيِّ وما اشتهرَ بهِ مِنَ الشَّطَحَاتِ والمُنْكراتِ، فقَدِ اجتمعوا في بلادٍ مختلفةٍ على تكفيرِ وطَردِ كَثيرٍ مِنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ بَعْدَ أنْ حكموا عَليهِم بالكُفْرِ أَوِ الزَّنْدَقَةِ أَوِ الدّعوةِ إلى البِدَعِ. وقَدْ ذكرَ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**[١] شَيئًا مِنْ هذا، وزادَ عليهِ **الشَّعرانيُّ**[٢] فذكرَ عددًا كبيرًا مِنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ مِمَّن تَكَلَّمَ فيهم عُلَماءُ عَصْرِهِمْ ومِصْرِهِمْ وحكموا عَليهِم أحكامًا مختلفةً.

ويقولُ **الإمامُ الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ ذكرِهِ قولَ **أبي زُرْعَةَ**: «فكيف لَوْ رأى أبو زُرعةَ تصانيفَ المتأخرينَ **كالقُوتِ** لأبِي طَالِبٍ... **وحقائقِ التفسيرِ** للسُّلَميِّ؛ لَطَارَ لُبُّهُ! كَيف لَوْ رأى تصانيفَ أبِي حَامِدٍ الطُّوسِيِّ ـ أي الغزالي ـ في ذلك على كَثرةِ مَا في **الإحياءِ** مِنَ الموضوعاتِ! كَيف لَوْ رأى **الغُنْيَةَ** للشّيْخ عبدِ القَادِرِ ـ أي الجيلاني ـ! كَيف لَوْ رأى **فُصُوصَ الحِكَمِ** و**الفُتوحاتِ المكيَّةَ** ـ لابن عربي ـ! بلى لما كان **الحارثُ** لسانَ القومِ في ذاكَ العَصْرِ؛ كان مُعَاصِرُهُ أَلْفَ إمامٍ في الحديثِ، فيهم مثل **أحمدَ بنِ حنبلٍ وابنِ رَاهويه**»[٣].

وأقولُ: كَيف لَوْ رأى الذَّهَبِيُّ مَا صَنَّفَهُ **الجيليُّ، والشَّعرانيُّ، والنَّبَهَانِيُّ، والمنوفيُّ**! وكيف لَوْ رأى حالَ الصُّوفيَّةِ اليومَ وانتشارَهُمْ في بلادِ الإسلامِ! وقَدْ شَيَّدوا القبورَ والأضرحةَ، وأقاموا الأوْثَانَ الكثيرةَ تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ، فإنا للهِ وإنا إليه راجعونَ.

---

(١) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ٤٩٢ ـ ٥٠٢).
(٢) «الطبقات» للشعراني (١/ ١٥ ـ ١٧).
(٣) «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣١).

□ منكرات مُتصوِّفةِ المرحلةِ الثانية في بابِ العقائدِ:

▪ فمنها مَا أحدثَهُ **أبو سعيدٍ أحمدُ بنُ عِيسَى الخَرَّازُ**(١) مِنْ هَذَيَانٍ أَسمَاهُ بِعِلْمِ **الفناءِ والبقاءِ**. يقولُ عنهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أنّهُ قَدْ: «وَلَّدَ [مِنْ هذا العِلْمِ] أمرًا كبيرًا تشبّثَ كُلُّ اتّحاديٍّ ضَالٍّ بهِ». وذكرَ أيضًا أنَّ أهلَ مِصْرَ وعُلَماءَها قَدْ كفَّروه وأخرجوهُ مِنْ مِصْرَ؛ لأنّهُ تَلفّظَ بألفاظٍ تَدُلُّ على الحُلُولِ(٢).

▪ وقَدِ اشتهرَ القولُ عَنْ **مُتَصَوِّفَةِ هذه المرحلةِ** بالمبالغةِ والغُلُوِّ في أقوالِهِمْ في مَحبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، **وأنَّهُمْ يعبدونَ اللهَ حُبًّا فيه وشوقًا إليه، ولَا يريدون جَنَّةً، ولَا يخافونَ نارًا**(٣). **ويظهرُ أنَّهم أخذوا هذه البدعةَ مِنْ بَعضِ النَّصَارَى؛ حيثُ يقولُ أحمدُ بنُ أبي الحَوارِيِّ**: «إنَّ عِيسَى مرَّ على قومٍ عُبَّادٍ فسألهم، فقالوا: إنَّ عبادَتَهُمْ لخوفِهِمْ مِنَ النَّارِ. فتركَهُمْ قائلًا: أمخلوقًا خُفْتُم؟ ثُمَّ مرَّ على قومٍ يعبدون اللهَ شَوقًا إلى الجَنَّةِ، فتركهم قائلًا: أمخلوقًا اشتقْتُم؟ حتَّى مَرَّ على قومٍ يعبدون اللهَ حُبًّا فيه، فقال: أنتم المقربون، أنتم المقربون. فلزمَهُمْ»(٤).

▪ وقَدْ نقلَ **السُّلَمِيُّ** عَنْ **سمنونُ بنُ حمزةَ المشهورُ بالمحبِّ الكَذّابِ** أشعارًا قَبيحةً في حُبِّ اللهِ تَعَالَى والتّغزُّلِ بِهِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمون عُلُوًّا كبيرًا(٥).

▪ وهذه البدعةُ والوقاحةُ قَدْ تطورتْ لدَى **مُتصوِّفةِ المرحلةِ الثالثةِ**

---

(١) تُوفِّيَ أبو سعيدٍ سنة (٢٨٦هـ) وقيل: (٢٧٧)، ترجمته في: «سير الأعلام» (١٣/ ٤١٩).
(٢) «سير الأعلام» (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).
(٣) نُقِلَ عن الدارانيِّ في: «الحِلْيَةِ» (٩/ ٢٥٧)، و«طبقات» الشَّعرانيّ (١/ ٧٩)، وفي «تفسير الرِّضا»، وفي «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٤٢٥)، وعن ذي النون في «الحِلْيَة» (٩/ ٣٦٦) و(١٠/ ٢٣، ٣٧).
(٤) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٧ ـ ٨).
(٥) «طبقات الصُّوفيَّة» للسلميّ (ص: ١٩٥ ـ ١٩٩).

تطورًا بلغتِ بهِ الذِّرْوةَ في سُوءِ الأدبِ مع اللهِ تباركَ وتَعَالَى باسمِ الحُبِّ وباسمِ العِشْقِ فيَزْعُمُ **طيفورُ البِسْطَاميُّ** قائلًا: «رأيتُ رَبَّ العزةِ في النومِ، فقلتُ: يا ربِّ! كَيف أَجِدُكَ؟ فقال: فارقْ نفسَكَ وتعالَ إليَّ»[(١)]. ويقولُ فيما نقلَهُ عنهُ **أبو نُعَيْم**: «دَعوْتُ نفسي إلى اللهِ فأبتْ عَلَيَّ واستصعبتْ، فتركتُها ومَضيْتُ إلى اللهِ». وزعمَ أنّهُ يعرفُ **الاسمَ الأعظمَ**، وقَدِ اشتهرَ بالغُموضِ والشَّطَحَاتِ في أفعالِهِ وأقوالِهِ، واستعمالِ الرّموزِ في ألفاظِهِ التي كانت بابًا **لمتصوّفَةِ المرحلةِ الثالثةِ** في الحلولِ والاتحادِ. وذكرَ **أبو نُعَيْم** عنه أنّهُ قِيلَ لهُ: «إنّكَ مِنَ الأبدالِ السبعةِ الذين هُمْ أوتادُ الأرضِ، فقَال: **أنا كُلُّ السّبعةِ**». وفي نهايةِ ترجمتهِ يقولُ أبو نُعَيْم ـ بَعْدَ أنْ ذكرَ أقوالَهُ المُنحرفةَ وما فيها مِنَ الوقاحةِ وسوءِ الأدبِ مع اللهِ تَعَالَى والجرأةِ عليهِ مِمَّا لَا مزيدَ عليهِ ـ: «اقتصرنا على هذا القَدْرِ مِنْ كلامهِ لِما فيه مِنَ الإشاراتِ العميقةِ التي لَا يَصِلُ إلى الوقوفِ على مودِعها إلَّا مَنْ غَاصَ في بَحْرِه، وشَرِبَ مِنْ صَافي أمواجِ صَدرهِ، وفهِمَ نافثاتِ سِرِّهِ المتولّدةِ المنتشرةِ مِنْ سُكْرِهِ»[(٢)].

□ منكرات مُتصوّفةِ المرحلةِ الثانية في بابِ العباداتِ:

قرّروا بدعةَ العُزلةِ، وتَرْكَ الجماعةِ، والانقطاعَ في الخلواتِ والكُهوفِ:

▪ فذكروا عَنْ **حَاتم الأَصَمِّ** أنّهُ اعتزلَ النَّاسَ في قُبَّةٍ لهُ أكثرَ مِنْ ثلاثينَ سنةً لَا يُكَلِّمُ النَّاسَ ولَا يَنزلُ إليهم[(٣)].

▪ وأكثروا عَنْ أَحَدِ أقطابِهِمْ وأئمّتِهمْ وهو **ذو النون الِمْصريُّ** مِنَ السياحةِ في الصحاري، والتقائهِ بالنّساءِ المنقطعاتِ في البراري، وما يَصِفُهُنَّ بهِ مِنْ عُلُوِّ المنزلةِ وعلمِ الغيبِ والتّجرّدِ، تقريرًا وتأكيدًا منهُ ومنهم لمبدإِ العُزْلةِ وعدمِ مُخالطةِ النَّاسِ حتَّى في مَساجدِهِمْ[(٤)]. **ويُلاحظُ أنَّ أكثرَ لقاءاتِه**

(١) «طبقات» الشَّعرانيّ (١/ ٧٦).
(٢) «حِلْيَة الأولياء» (١٠/ ٣٦ ـ ٤١).
(٣) المصدر السابق (٨/ ٧٣ ـ ٨٤).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٣٤٠ ـ ٣٥٥).

كانت بالنّساءِ المُتصوِّفَاتِ وأنّهُ كان يَختلي بِهِنَّ ليلًا في الظُّلماتِ حيثُ يقضي مَعهُنَّ أوقاتَهُ في الشِّعرِ والحديثِ عَنْ عُلومِهِمُ الخاصّةِ.

▪ ويذكرُ **المُتَصَوِّفَةُ** أنَّ **سمنونَ بنَ حمزةَ** ـ وهو أحدُ أَئمّتِهِمْ في هذه المرحلةِ ـ كان وِرْدُهُ في اليومِ والليلةِ خمسمائةَ ركعةٍ[(١)]. إلى غيرِ ذلك مِنَ المبالغاتِ والكَذِبِ الذي يَهدفُ إلى تعظيمِ المشايخِ، والاقتداءِ بهم فيما يقولونَ ويفعلونَ.

□ منكرات مُتصوّفةِ المرحلةِ الثانيةِ في بابِ الأخلاقِ والآدابِ:

مَجَّدوا التَّبَتُّلَ وتَرْكَ سُنَّةِ النِّكاحِ، وتوسّعوا في بابِ المناماتِ ورؤيةِ الحُوريّاتِ والخَضِرِ يقظةً ومنامًا، وحصولِ الكراماتِ والخوارقِ، وبالغوا في مُحاربةِ المألوفاتِ، وتعذيبِ الأبدانِ بعَدَمِ النومِ، وعدمِ الأكلِ، فمن ذلك:

▪ زعمَ المُتَصَوِّفَةُ أنَّ **بشرَ بنَ الحارثِ** امتنعَ عَنْ أَكْلِ السّمكِ والخبزِ بقولِهِ: «واللهِ إني لأشتهيهِ مُنْذُ خمسٍ وعشرينَ سنةً، وما كانَ اللهُ ليراني أرجعُ في شَيْءٍ تركتُهُ لهُ» ثُمَّ إنَّهُ رُؤِيَ مُتغيرًا، فقِيلَ لهُ في ذلك؟ فقال: «أنا مُنْذُ أربعينَ يومًا آكلُ الطينَ في الصّحراءِ»[(٢)].

▪ وذكرَ **الهُجْويريُّ الصُّوفِيُّ المُنْحَرِفُ** عَنْ **إبراهيمَ الخوَّاصِ** أحدِ أَئِمَّةِ المُتَصَوِّفَةِ في هذه المرحلةِ: أنّهُ دخلَ معبدًا للأولياءِ، فرأى شيخًا وشيخةً في غُرفةٍ، كُلٌّ منهما في زاويةٍ يَتعبّدَانِ، وكانا كالغريبينِ، ثُمَّ سأَلَهما؟ فقالَ الشّيْخُ: إنّها ابنةُ عَمِّهِ وزوجتُهُ، وإنهما يشكرانِ اللهَ مُنْذُ خمسٍ وستينَ عامًا على مَا أنعمَ اللهُ بِهِ عليهِما مِنَ الاجتماعِ والنِّكاحِ، وأنّهُ لَمْ يَقرَبْها اشتغالًا بالعبادةِ والشُّكْرِ[(٣)].

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ١٣٠).
(٢) «حِلْيَة الأولياء» (٨/ ٣٥٣).
(٣) «كشف المحجوب» (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩).

يُقَرِّرُ بهذه القصةِ مَبدأَ التبَتُّلِ ومبدأَ العُزلةِ بِمَا يُسَمِّيهِ **معبدَ الأولياءِ**.

▪ وها هو إمامُهم الصُّوفِيُّ **إبراهيمُ الخوّاصُ** يزعُمُ لنفسهِ كراماتٍ كثيرةً، منها: أنّهُ سافرَ إلى الحجِّ، فالتقى **بِرضوانَ خازنِ الجَنَّةِ**، الذي أردفَهُ وأوصلَهُ إلى المدينةِ، وطلبَ منه أنْ يقرأَ سلامَهُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ نيابةً عنهُ[1]. ويقولُ عَنْ نفسهِ فيما نقلَهُ الشَّعرانيُّ: «**لقيتُ الخَضِرَ في باديةٍ فسألني الصُّحْبَةَ، فخشيتُ أنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ تَوكُّلي بالسُّكونِ إليه، ففارقتُهُ**»[2]. وهذا القولُ قَدْ تطورَ فيما بَعْدُ حتَّى زَعَمَ بعضُ المُتَصَوِّفَةِ أنّهم أفضلُ مِنَ الأنبياءِ.

▪ ويَزْعُمُ **أبو الحُسَيْنِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ النُّوريُّ**: أنَّ نفسَهُ طالبتهُ بالتَّمْرِ، فدافعَها، وأَبَتْ عليهِ حتَّى اشترَى التَّمْرَ وأكلَ، ثُمَّ إنَّهُ قال لها أنْ تقومَ فتُصَلّي فأبتْ، فأقسمَ ألَّا يَقْعُدَ أربعينَ يومًا، فما قعدَها. ويَزْعُمُ أنّهُ أقسمَ على اللهِ تَعَالَى بقولِهِ: «وعِزّتِكَ! لَئِنْ لَمْ تُخرِجْ لي سَمكةً فيها ثلاثةُ أرطالٍ لأُغْرِقَنَّ نفسي. قال: فخرجتْ لي سمكةٌ فيها ثلاثةُ أرطالٍ»[3].

ومثلُ هذه الأقوالِ تطورتْ؛ فازدادَ سوءُ أدبِ المُتَصَوِّفَةِ فيما بَعْدُ مع اللهِ تَعَالَى وجرأتُهُمْ عليهِ سُبْحانَهُ.

▪ ونقلَ المُتَصَوِّفَةُ عَنْ بعضِ أَئِمَّةِ هذه المرحلةِ مثل **السَّريِّ السّقَطيِّ** (ت/ ٢٥١) **والجُنَيْدِ البغداديِّ** (ت/ ٢٩٧) أنَّهُمْ لَا يفضّلونَ أنفسَهُمْ على أحدٍ أبدًا حتَّى على المُخَنّثِينَ، وأنَّ مَنْ فضّلَ نفسَهُ فقَدْ تكَبَّرَ[4].

▪ كما نقلوا عَنْ **حمدونَ القصّارِ** (ت/ ٢٧١) ـ وهو أحدُ شيوخِهِمْ ـ أنّهُ قال: «**مَنْ ظَنَّ أنَّ نفسَهُ خيرٌ مِنْ نفسِ فِرْعَوْنَ؛ فقَدْ أظهرَ الكِبْرَ**»[5].

---

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢). (٢) «طبقات» الشَّعرانيّ (١/ ٩٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٧١ ـ ٧٢).

(٤) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ١٢٤)، و«طبقات» السلمي (ص: ٤٩ ـ ٥٠).

(٥) «طبقات الشعراني» (١/ ٨٤).

وقَدْ تطورتْ مثلُ هذه الألفاظِ حتَّى دخلتْ في انحرافاتِهِمُ العقائديَّةِ، حيثُ زَعَمَ بعضُهُمْ فيما بَعْدُ إيمانَ فِرْعَوْنَ وتصويبَ أمرِهِ، وما كان منهُ ومِن إبليسَ كذلك ـ كما سيأتي ـ.

المرحلةُ الثالثةُ والأخيرةُ

أمّا هذه المرحلةُ الثالثةُ؛ فقدِ اكتملَ فيها التَّصَوُّفُ ونضجَ تَمامًا بظهورِ المُؤلَّفَاتِ الكثيرةِ التي حدَّدَتْ مَنهجَهُ في التّلقي والتّفكيرِ والتَّعَلُّمِ، حيثُ:

ـ إنّهم يتلقَّوْنَ عَقائِدَهُمْ وشرائعَهُمْ عَنِ اللهِ مُباشرةً، أو عمَّنْ يُرْسِلُهُمُ اللهُ تَعَالَى إليهم مِنَ الملائكةِ، أَوِ بواسطةِ الهواتفِ التي يُسمِعُهُمُ الحَقُّ إيَّاها.

ـ وكذلك تفكيرُهُمْ وعِلْمُهُمْ؛ فإنَّهُ يقومُ على الوارداتِ، والرّؤَى، والمناماتِ التي اعتبروها مِنْ أُصُولِ التّشريعِ والتَّلقي.

ـ كما حَدَّدَتْ مُؤلَّفاتُهُمْ في هذه المرحلةِ القواعدَ والأُسُسَ التي اعتمدوها في فَهْمِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ وطُرُقِ استنباطِ الأحكامِ، وبَيّنوا مَيْلَهُمْ إلى التّأويلِ والأخذِ بِطُرُقِ المُتكلِّمينَ والفلاسفةِ في تَصوُّفِهِمْ وفي سائرِ العُلومِ الشَّرعِيَّةِ حتَّى الغَيْبِيّاتِ.

ـ كما انتقدوا المنهجَ الذي يقومُ على النَّصِّ والأثرِ بأنّهُ قاصرٌ، وأنّهُ لَا يُمكِنُ لهذا المنهجِ أنْ يُدْرِكَ **بَاطِنَ الشّريعةِ، وعِلْمَ الحقيقةِ، والمعرفةَ** على تقسيمِهِمُ البدعيِّ للشَّرعِ والدِّينِ الإسلاميِّ.

ـ ثُمَّ إنّهم زادوا على المُتكلِّمينَ والفلاسفةِ باعتمادِ الأذْواقِ والمواجيدِ، وحتَّى الخيالاتِ الفاسدةِ في تَصوُّفِهِمْ ومَذْهَبِهِم.

ـ كما اخترعوا في هذه المرحلةِ الطُّرُقَ الصُّوفِيَّةَ التي انتشرتْ في الأُمَّةِ انتشارًا سريعًا ثُمَّ جعلوا لكُلِّ طَريقةٍ شيخًا ينتهي نَسَبُهُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَذِبًا وبُهتانًا.

ـ كما أنّهم مَيَّزوا كُلَّ طَريقةٍ بأذكارٍ وأَوْرَادٍ تَخصُّهُمْ دونَ غيرِهِمْ، ولِكُلِّ طَريقةٍ أَتْباعٌ مخصوصونَ، يتميّزون عَنْ غيرِهِمْ بعلامةٍ في اللّباسِ أَوِ المظهرِ أو غيرِ ذلك مِنْ بِدَعِ الصُّوفِيَّةِ.

□ منكرات مُتصوّفةِ المرحلةِ الثالثةِ في بابِ العقائدِ:

أظهرَ أئِمَّةُ التَّصَوُّفِ ـ مِمَّن هلكوا في المائةِ الرابعةِ مِنَ الهجرةِ ـ مَذْهَبَ الحلولِ الذي يَنقُضُ التّوحيدَ الذي جاءتْ بِهِ الرُّسُلُ جَميعًا:

▪ وقَدْ تَولّى كِبْرَ هذه الزَّنْدَقَةِ إمامُهُمْ في الكُفْرِ والشِّرْكِ **الحَلَّاجُ الحُسَيْنُ بنُ مَنصورٍ**، فأظهرَ مَذْهَبَهُ، وصَرَّحَ بهِ في كُتُبِهِ ومُؤلَّفَاتهِ وأقوالِهِ، واستشهدَ بإبليسَ وفِرْعَوْنَ في صِحَّةِ دَعواهُ، وسمَّاهما «**صَاحبيَّ وأُستاذيَّ**»[(١)]. وأقرَّهُ على مَذْهَبِهِ مَنْ عَاصَرَهُ مِنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ[(٢)]، ودافعَ عنهُ المتأخرون دفاعَ الأبطالِ، واعتبروهُ قُدوةً وشهيدًا للحُبِّ الإلٰهيِّ المزعومِ، على الرَّغْمِ مِنْ إجماعِ العُلَمَاءِ في عصرهِ على كُفْرِهِ وزَندقَتِهِ، فقُتِلَ وصُلِبَ وأُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ في سنةِ (٣٠٩هـ)، عليه من الله ما يستحق.

▪ وسُئِلَ أبو **بَكْرٍ الشِّبْليُّ** عَنِ التوحيدِ فأجابَ: «**ويحكَ! مَنْ أجابَ عَنِ التوحيدِ بالعبارةِ فهو مُلْحِدٌ، ومَنْ أشارَ إليه فهو ثنويٌّ، ومَنْ أومأَ إليه فهو عابدُ وَثَنٍ، ومَنْ نطقَ بِهِ فهو غافلٌ، ومَنْ سكتَ عنهُ فهو جاهلٌ**»[(٣)]. ومِنْ أقوالِهِ أيضًا: «**التوحيدُ حجابُ المُوَحِّدِ عَنْ جمالِ الأَحَدِيَّةِ**»[(٤)]. ويقولُ أيضًا: «مَنِ اطَّلعَ على ذَرّةٍ مِنْ عِلْمِ التوحيدِ؛ حملَ السمٰواتِ والأرضينَ على

---

(١) «الطواسين» المطبوع ضمن «أخبار الحَلَّاج» (ص: ١٠٠).

(٢) مثل أبي العَبَّاسِ أحمدَ بنِ عطاءٍ الأدمي كما في «البداية والنهاية» (١١/ ١٦٢)، و«طبقات السلمي (ص: ٢٦٥).

(٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٣٧٦).

(٤) «كشف المحجوب» للهجويريّ (٢/ ٥٢٦).

شَعرةٍ مِنْ جَفْنِ عَيْنَيْهِ»(١).

■ إنَّ توحيدَ الصُّوفيَّةِ تطورَ حتَّى بلغَ ذِرْوتَهُ في هذه المرحلةِ؛ فعبَّروا عنهُ بالحُلولِ أوّلًا، ثُمَّ بالوحدةِ: فقَدْ جاءَ **ابنُ عَرَبِيٍّ** فزادَ على الحَلَّاجِ في مَذْهَبِهِ حتَّى وصلَ بهِ إلى وِحْدَةِ الوجُودِ، كما زادَ على الحَلَّاجِ الذي زَعَمَ أنّهُ «**لَمْ يَكُنْ في أهلِ السماءِ مُوَحِّدٌ مثلُ إبليسَ**»(٢) فزادَ عليهِ حتَّى زَعَمَ وحدةَ الأديانِ.

■ وزادَ على ابنِ عَرَبِيٍّ؛ **عبدُ الكَريمِ الجيليُّ** الذي بَلْوَرَ هذا المَذْهَبَ الفاسدَ حتَّى زَعَمَ في كتابهِ «**الإنسانِ الكاملِ**» تساوي الفضيلةِ والرّذيلةِ، والجَنَّةِ والنَّارِ، وعبادةِ اللهِ تعالَى وعبادةِ الأوثانِ.

■ ويقولُ **أبو العَبَّاسِ أحمدُ بنُ عطاءٍ الأدميُّ** ـ وهو أحدُ أئمّتِهِمْ وكان مُوافقًا لِلْحَلَّاجِ على الرَّغْمِ مِنْ مُعاقبةِ الحاكمِ لهُ وتعذيبِهِ وضربهِ حتَّى ماتَ في سبيلِ دفَاعِهِ عَنِ المُلْحِدِ الحَلَّاجِ ـ يقولُ في تَفسيرِ قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾ [العلق: ١٩]: «**أي: اقْترِبْ مِنْ بساطِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ نعتِقَكْ مِنْ بساطِ العُبوديَّةِ**»(٣). وقد اعتمدَ هذا القولَ مَنْ جاءَ بعدَهُ في الخروجِ عَنِ الشريعةِ ورفعِ التكاليفِ عَنِ المخلوقينَ. وهذا الصُّوفِيُّ يَصِفُهُ **السُّلَمِيُّ** في ترجمتهِ فيقولُ: «**لهُ لِسانٌ في فَهْمِ القُرآنِ**». نعم هو الفَهْمُ الباطنيُّ الخبيثُ الذي يَهْدِمُ الشرائعَ والأديانَ السماويَّةَ، لِيُقَرِّرَ مَذْهَبَ الكفرةِ والملاحدةِ.

□ منكرات مُتصوّفةِ المرحلةِ الثالثةِ في بابِ الأخلاقِ والآدابِ:

■ ذكروا عَنْ **أبِي بَكْرٍ الشِّبْليِّ** وقَدْ ماتَ ابنٌ لهُ فجَزَّتْ أُمُّهُ شَعْرَها عليهِ، فقامَ هو وحَلَقَ لِحْيَتَهُ جميعَها، ولما قِيلَ لهُ في ذلك أجابَ: «جَزَّتْ

---

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٣٧٠).
(٢) «الطواسين» المطبوع ضمن «أخبار الحَلَّاج» (ص: ٩٦).
(٣) «طبقات الشعراني» (١/ ٩٥)، وترجمته في: «البداية والنهاية» (١١/ ١٦٢)، و«طبقات السلمي (ص: ٢٦٥).

هذه شعرَها على مَفقودٍ، فكيفَ لَا أحلقُ لحيتي أنا على مَوجودٍ»[(١)].

▪ وعن **أبِي بَكْرٍ الزّقّاقِ** أنّهُ بقي بمكةَ عشرينَ سنةً يشتهي اللَّبَنَ، فخرجَ إلى عسفانَ، ووقفَ على جَاريةٍ جميلةٍ، فنظرَ إليها بعينهِ اليُمْنَى، ثُمَّ تكلمَ معها... ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ قلعَ عَيْنَهُ التي نظرَ بهَا إليها، ثُمَّ رجعَ إلى مكةَ، فطافَ ثُمَّ رأى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في المنامِ، وتَكَلَّمَ معهُ، فاستيقظَ، فإذا عَينُهُ المقلوعةُ صحيحةً[(٢)].

▪ ويَزْعُمُ **عَلِيُّ بنُ المُوفَّقِ** أنّهُ حجَّ نيفًا وخمسينَ حَجَّةً، وجعلَ ثوابَها للنَّبِيِّ ﷺ والصَّحَابَةِ ولأبَوَيْهِ، حتَّى بقيتْ حَجَّةٌ واحدةٌ فيقولُ: «فنظرتُ إلى أهلِ الموقفِ بعرفات وضجيجِ أصواتِهم، فقلتُ: اللَّهُمَّ إنْ كان في هؤلاءِ أحدٌ لَمْ تَقبلْ منهُ حَجّتَهُ فقَدْ وَهَبْتُ هذه لهُ. ثُمَّ نامَ ورأى ربَّهُ، فقال لهُ: يا فلانَ ابنَ فلانٍ! عَلَيَّ تَتَسَخّى؟ قَدْ غفرتُ لأهلِ الموقفِ ومثلِهِمْ وأضعافِ ذلك، وشفّعتُ كُلَّ رَجُلٍ منهم في أهلِ بيتِهِ وخَاصّتِهِ وجيرانهِ، وأنا أهلُ التقوى وأهلُ المغفرةِ»[(٣)].

دعاوَى كاذبةٌ بِلَا حَياءٍ ولَا خَجلٍ، وقَدِ اعتمدها مَنْ جاءَ بعدَهُمْ، فتوسّعوا في ذكرِ الكراماتِ والجُرْأَةِ على اللهِ تَعالَى.

هذا؛ وقَدْ ظهرتْ في المائةِ الرابعةِ مُؤلَّفَاتٌ في التَّصَوُّفِ، أهمُّها «اللّمَعُ» للسّرّاجِ الطُّوسِيِّ، و«التّعرُّفُ لمَذْهَبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» لأبِي بَكْرٍ الكلاباذيِّ، و«قوتُ القُلوبِ» لأبِي طَالِبِ المَكِّيِّ، وقَدِ اجتهدوا في تأسيسِ قواعدَ للتَّصَوُّفِ، وتصحيحِ مَذْهَبِهِمْ، وتأويلِ شَطَحَاتِهِمْ ومُنكراتِهِمْ.

وفي **المائةِ الخامسةِ** ظهرتْ مُؤلَّفَاتُ **أبي عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ** (ت٤١٢) الذي صَنَّفَ في عُلُومِ الصُّوفيَّةِ وتُرَّهاتِهِمْ سبعمائةَ جُزءٍ، وقَدْ عَمِلَ

---

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٣٧٠).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٣٤٤).

(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣١٢).

دُوَيْرةً لِلصُّوفيَّةِ، وصنَّفَ لَهمْ سُنَنًا وتفسيرًا. وذكرَ **الذَّهَبِيُّ عَنِ ابنِ الصلاحِ في «فتاويهِ»** أنّهُ وجدَ عَنِ **الإمامِ الواحديِّ المفسِّرِ** أنّهُ قال: «صَنَّفَ أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ «حقائقَ التفسيرِ» فإنِ اعتقدَ أنَّ ذلك تفسيرٌ فقَدْ كفرَ». كما ذكرَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ القطّانِ قولَهُ: «كانَ أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ غيرَ ثِقَةٍ، وكان يَضَعُ للصُّوفيَّةِ الأحاديثَ». ويقولُ الذَّهَبِيُّ: «وفي الجملةِ ففي تصانيفهِ أحاديثُ وحكاياتٌ موضوعةٌ، وفي «حقائقِ تفسيرهِ» أشياءُ لَا تَسُوغُ أصلًا، عَدَّها بعضُ الأَئِمَّةِ مِنْ زَنْدَقَةِ الباطنيَّةِ، وعَدَّها بعضُهُمْ عِرفَانًا وحقيقةً، نعوذُ بِاللهِ مِنَ الضّلالِ ومِنَ الكلامِ بهوى»[1].

وظهر أيضًا كتابُ «**حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ» لأبِي نُعَيْم الأَصْبَهانِيِّ** (ت/ ٤٣٠)، و«**الرِّسالةِ القُشَيْرِيَّةِ» لعبدِ الكَريمِ القُشَيْرِيِّ** (ت/ ٤٦٥)، وفيهما مِنَ الضَّلالِ والكَذِبِ الشيءُ الكثيرُ.

ثُمَّ كَثُرَتِ المُؤلَّفَاتُ في التَّصَوُّفِ وأخبارِ شُيوخِهِمْ وأحوالِهِمْ، وليس فيها مِنَ العِلْمِ الذي يُقَرِّبُ العبدَ إلى رَبِّهِ إلَّا اليسيرَ النادرَ، وغايةُ مَا فيها حكاياتٌ وآثَارٌ ودعاوَى تلقّفوها عَنْ بعضِهِمْ بالتّصديقِ، وزادوا عليها وآمَنوا بِهَا وسَمَّوْها بالحقائقِ، وهي خاليةٌ مِنْ ذِكْرِ السُّنَنِ والآثَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلَّا ما يشهدُ لهم في تَصوُّفِهِمْ كما يَدّعونَ وقَدْ كذبوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ وعلى الصَّحَابَةِ كثيرًا؛ لتأسيسِ وتصحيحِ بِدَعِهِمْ وانحرافاتِهِمْ وضَلالاتِهِمْ.

وقَدْ وَصَفوا أنفُسَهُمْ في تلك المُؤلَّفَاتِ بـ: **أهلِ الكَشْفِ والحقيقةِ، وعُلَماءِ الباطنِ، والعارفينَ، وأهلِ الأذواقِ** وغيرِ ذلك، في حين أنَّهُمْ يصفونَ عُلَمَاءَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ بأهلِ الظاهرِ والرّسُومِ، ويُسمُّونَهُمْ أحيانًا العَامَّةَ والعوامَّ.

ثُمَّ ظهرَ التَّصَوُّفُ في صُورتهِ النهائيَّةِ بظهورِ الفلاسفةِ المُتصوّفينَ مثل:

- ابنِ عَـرَبِـيٍّ (ت٦٣٨هـ).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٤٧ - ٢٥٥).

- **والششتريِّ** (ت٦٦٨هـ).

- **وابنِ الفَارضِ** (ت٦٦٩هـ).

- **وابنِ سَبعينَ** (ت٦٧٣هـ).

- **والقونويِّ** (ت٦٧٣هـ).

- **والتّلمسانيِّ** (ت٦٩٠هـ).

وقَدْ سَاهمتْ مُؤلَّفَاتُ المُلْحِدِ **ابنِ عَرَبِيٍّ** في رَسْمِ التَّصَوُّفِ الذي وضعَ قَواعدَهُ **مُتَصَوّفَةُ المائةِ الثالثةِ والرابعةِ**؛ فأظهرَ التَّصَوُّفَ كما أرادهُ الأولونَ مِنَ الالتقاءِ بأُصُولِ وعَقائِدِ المُلْحِدينَ.

وكذلك **ابنُ الفارضِ** الزنديقُ الذي أطلقَ على نفسِهِ لَقَبَ **سُلطانَ العاشقينَ**، وأقرَّهُ مَنْ جاءَ بعدَهُ على هذا اللَّقَبِ، وأظهرَ في أشعارهِ مَذْهَبَ أهلِ الزَّنْدَقَةِ والاتحادِ ووحدةِ الأديانِ، وتَغزَّلَ قَبَّحَهُ اللهُ في ذَاتِ اللهِ ﷻ، ووَصْفِ عِشْقِهِ وزَنْدَقَتِهِ.

وكان هؤلاءِ أصرحَ مِمَّن كانَ قبلَهُمْ؛ لِقِلَّةِ العُلَمَاءِ والمُحَدِّثينَ في زَمانِهِمْ، وقِلَّةِ ناصريِهِمْ. وكما **قال الذَّهَبيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «لما كان **الحارثُ** لسانَ القومِ في ذاكَ العَصرِ؛ كان مُعَاصِرُهُ أَلْفَ إمامٍ في الحديثِ، فيهم مثل **أحمدَ بنِ حنبلٍ وابنِ راهويه**»(١).

ولما قَلَّ العُلَمَاءُ الربّانيّونَ في القُرونِ المتأخرةِ، وفشَا أمرُ الصُّوفيَّةِ وانتشروا في البلادِ والعبادِ، وخضعَ لَهُمْ بعضُ الحكامِ؛ ظهرَ أمرُهُمْ على حقيقتهِ، فكشفوا عَنْ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ، فإنّا للهِ وإنا إليه راجعونَ، وإليه المُشتكى.



(١) «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣١).

الباب الثالث

العلاقةُ بَيْنَ التَّشَيُّعِ والتَّصوُّفِ

وفيه فَصْلانِ:

- الــفــصــل الأول: وِحْدَةُ المَنْشَأ.
- الفصل الثـاني: وِحْدَةُ المناهجِ التّعليميَّةِ والتَّربويَّةِ.

الفصلُ الأولُ

وِحْدَةُ المَنْشَأِ

وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

- المبحثُ الأوّلُ: أوائلُ الصُّوفِيَّةِ.
- المبحثُ الثانِي: أعلامُ الصُّوفِيَّةِ وعلاقتُهم بالشِّيعَةِ والتّشيُّعِ.
- المبحثُ الثالثُ: الشِّيعَةُ وعلاقتُهم بالتَّصَوُّفِ. يَسبقُهُ تمهيدٌ في التّعريفِ بأربعةٍ مِن أئمّةِ الشّيعةِ الاثني عشرَ المزعومين، الذين تدّعي الفِرقتانِ كذبًا وزورًا انتسابَهم إليهم وأخذَهم عنهم أُصولَ بِدَعِهم.

المبحثُ الأولُ

أوائلُ الصُّوفيَّةِ

تَبيّنَ مِمَّا سبقَ أنّهُ لَمْ يَكُنْ في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَشَيُّعٌ ولَا تَصوُّفٌ، وأنَّ **التَّشَيُّعَ** سبقَ **التَّصَوُّفَ** في نَشأتِهِ وظُهورِهِ على يَدِ **ابنِ سَبَأٍ اليهوديِّ** الحاقدِ الذي اندَسَّ في صُفوفِ شِيعَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأتباعِهِ مُظهرًا مَا يَميلونَ إليه مِنْ حُبِّ أهلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ وتقديرِهِمْ، ومُبطِنًا أفكارَهُ وسُمومَهُ التي كان يَبثُّها بَيْنَ الفترةِ والأُخْرَى، حتَّى تَمكَّنَ هو وجنودُهُ مِنَ المَيْلِ بِالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ مِنْ معناهُ اللُّغويِّ إلى المَعنَى الاصطلاحِيِّ المُنْحَرِفِ. وأمَّا **التَّصَوُّفُ** فقَدْ ظهرَ ونشأَ في صُفوفِ الزُّهّادِ والعُبَّادِ.

وقد عَرَفَ المُسلِمونَ الزُّهْدَ والتّعَبُّدَ في هَدْيِ الرَّسُولِ ﷺ وحياتِهِ العَمليَّةِ، ثُمَّ في تعاليمِ الصَّحابَةِ وسيرتِهِمْ، وكذا مَنْ تبعَهُمْ. وكان زُهْدُهم لَا يخرجُ عَنْ خُلاصةِ المَنهجِ الإسلاميِّ والأخلاقِ السّاميَةِ التي يدعو إليها. وقد اندس المنحرفون في صفوف أهل الزهد والعبَّاد، لبث ونشر مذاهبهم وانحرافاتهم لما رأوا من ميل الناس عَامَّةً إلى الزُّهّادِ والعُبَّادِ وتقديرِهِمْ ومحاولةِ الاقتداءِ بهم وكسبِ مَودَّتِهِمْ، وخَاصَّةً بَعْدَ عصرِ الانفتاحِ المادّيِّ وانغماسِ كثيرٍ مِنَ الولاةِ والحُكّامِ في مَلاذِ الدُّنيا والتوسّعِ في زينتِها وزُخْرُفِها.

وكلَّما كَثُرَ في المجتمع طلابُ الدُّنيا وتوسعَ الحُكّامُ والولاةُ في دنياهم وعزَّ وجودُ الزُّهّادِ والعُبَّادِ وقَلَّ عَددُهُمْ؛ كلما ازدادَ حبُّ النَّاسِ وميلُهُمْ إلى الزُّهْدِ والزُّهَّادِ لِمَا في سيرتِهِمْ مِنْ صُورةٍ صادقةٍ مِنْ حياةِ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ. لذلك اندسَّ المُنحرفون في صُفوفِ الزُّهّادِ والعُبَّادِ والنُّسَّاكِ مُظهرينَ التَّزَهُّدَ والتَّعبُّدَ، ومُبطنينَ انحرافاتِهِمْ ومذاهبَهِمُ المختلفةَ وراءَ هذه الأخلاقِ والصّفاتِ التي تقبّلَها عَامّةُ النَّاسِ.

وكان **الرَّافِضَةُ المُنحرفون** مِمَّن اندسَّ في صُفوفِ الزُّهّادِ بَعْدَ حياةٍ حافلةٍ بالعُنفِ والثَّوراتِ والخروجِ على الحُكَّامِ لإقامةِ دَولَةٍ لَهمْ. فإنّهم لمّا رأوْا فشلَهُمْ وبطشَ الحُكَّامِ بهم؛ لجؤوا إلى الزُّهْدِ واندسُّوا في صُفوفِ الزُّهّادِ لِبَثِّ سُمُومِهِمْ ورَفضِهِمْ بَيْنَ عامَّةِ النَّاسِ. **يؤكّدُ** ذلك الحقائقُ التَّاريخيَّةُ التي بَيّنتْ أوائلَ الصُّوفيَّةِ ومدَى اتصالِهِمْ بالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ، **ويؤكّده** أيضًا المَيْلُ بالزُّهْدِ بمعناهُ الصحيحِ إلى الانحرافِ الذي انتهى إليه زُهْدُ المُتَصَوِّفَةِ، واستقلالُ التَّصَوُّفِ بزُهْدٍ مُنحرفٍ وبعُلومٍ تَخُصُّهُ وطُقُوسٍ تُميِّزُهُ عَنِ الإسلامِ وأهلِهِ، **ويؤكّده** الاتّصالُ والاتفاقُ في هذه العُلومِ والطُّقُوسِ بَيْنَ الصُّوفيَّةِ والشِّيعَةِ.

أَمَّا **أوائلُ الصُّوفيَّةِ** الذين ظهرَ **وَصْفُ التَّصَوُّفِ** مُقترنًا بأسمائِهِمْ لأوّلِ مرةٍ في تاريخِ المُسلِمينَ، فهم ثلاثةُ نفرٍ:

■ الأولُ: أبو هاشمٍ الكُوفيُّ (ت١٥٠هـ):

ترجمَ لهُ **أبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ**، وعَدَّهُ مِنَ الأولياءِ ووَصَفَهُ بالزُّهْدِ، ونقلَ بعضَ أقوالِهِ وأحوالِهِ، ولَمْ يذكرْ لهُ اسمًا ولَا نَسَبًا سِوَى **أبو هاشمٍ الزَّاهدُ**، كما لَمْ يذكرْ سنةَ وفاتِهِ(١).

وترجمَ لهُ **عَبدُ الرّحمَنِ الجاميُّ الصُّوفِيُّ** في كتابِ «**نفحاتِ الأُنسِ**» وهو بالفارسيَّةِ وقال: «إنَّ أبا هاشم الكوفيَّ أولُّ مَنْ دُعِيَ بالصُّوفِيِّ، ولَمْ يُسَمَّ أحدٌ قبلَهُ بهذا الاسمِ». وذكرَ أنَّهُ كان مُعاصرًا لسُفْيَانَ الثَّورِيِّ الذي قال فيه: «لولا أبو هاشمٍ مَا عرفتُ دَقائقَ الرّياءِ»(٢).

وقَدْ ذكرتْهُ «**المصادرُ الشِّيعِيَّةُ**» ووَصفَتْهُ بأنّهُ مُخترِعُ التَّصوُّفِ، وأنّهُ أوّلُ مَنْ سُمّيَ بهذا الاسمِ، وأنّهُ ابتدعَ هذا المذهبَ لإخفاءِ عقيدتِهِ الخبيثةِ

---

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٢٢٥).

(٢) نَقلَهُ مُعرّبًا عَنِ اللُّغَةِ الفارسيَّةِ الشّيْخُ إحسَان إلَهِي ظَهير رَحِمَهُ اللهُ في «التَّصوُّفِ» (ص: ٤١)، والدكتور كامل الشيبي في «الصّلة بيْنَ التَّصوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

ولإثارةِ الاضطرابِ في الدِّينِ الإسلاميِّ. ثُمَّ يطعنونَ فيه ويَتّهمُونَهُ بأنواعِ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ كالحلولِ والاتحادِ، وأنّهُ كان أُمَويًّا وجَبْرِيًّا في الظّاهِرِ، وباطِنيًّا ودَهْرِيًّا في الباطنِ، وأنّهُ وردتْ عنهُ أحاديثُ كثيرةٌ يطعنُ فيها على الأئمَّةِ المعصومينَ[(١)]. ويذكرونَ أنَّ إمامَهُمُ الصَّادِقَ قَدْ سُئِلَ عَنْ حالِه، فقال: «إنّهُ فاسدُ العقيدةِ جدًّا، وهو الذي ابتدعَ مَذْهَبًا يُقَالُ لهُ: التَّصَوُّفُ، وجعلَهُ مَقَرًّا لعقيدتهِ الخبيثةِ». وفي روايةٍ: «وجعلَهُ مَقرًّا لنفسهِ الخبيثةِ»[(٢)].

ويَنُصُّ **مُحَمَّد باقر الخوانساريُّ الشِّيعِيُّ الصُّوفِيُّ** على «أنَّ أوّلَ مَنْ أبدعَ التَّصَوُّفَ هو أبو هاشمٍ الكوفيُّ، ووضعَ طريقةَ التَّصَوُّفِ، وبنَى الخانقاهَ للصُّوفيَّةِ».

فاستعملَ لفظَ **الإبداعِ**؛ لميْلِهِ العظيمِ إلى التَّصَوُّفِ، ليجمعَ بَيْنَ شرَّيْنِ عظيمينِ ونِحْلَتيْنِ فاسدتينِ **التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ**. وقَدْ ذكرَ **أبا هاشم** في مَعرضِ المدحِ والثّناءِ، وذلك أثناءَ ذكرِهِ نبذةً مِمَّا جمعَهُ مِنْ كُتُبِ الأوائلِ، وما وقفَ عليهِ مِنَ الأوّليّاتِ مِنْ كُتُبِ الأخبارِ والتواريخِ المعتبرةِ. فذكرَ **أبا هاشمٍ** على أنّهُ أوّلُ مَنْ أبدعَ التَّصَوُّفَ[(٣)].

ويظهرُ لي واللهُ أعلمُ أنَّ **الشِّيعَةَ** قَدِ اختاروا **أبا هاشم المجهولَ** هذا؛ ليجعلوا منهُ مُخترِعَ التَّصَوُّفِ ووَاضِعَ مذهبِهِمْ تبرئةً لأنفسِهِمْ وأسلافِهِمْ مِنْ أنْ يُوصَفوا بذلك وتَقِيَّةً منهم وتمويهًا على النَّاسِ. وإلّا **فالشِّيعَةُ** يَذكرون في مشايخِهِمْ وعلمائِهِمْ مَنْ كان مُتصوِّفًا ومَنْ كَتَبَ في التَّصَوُّفِ، ويُعظّمُونَهُمْ ويُقدّرونَهم بِلَا أيِّ تحرّجٍ مِنْ هذا الوَصْفِ ـ كما سيأتي ـ.

كما يظهرُ لي أيضًا أنَّ سببَ اختيارِهِمْ **لأبي هاشم** واتّهامِهِ بالكُفْرِ وأنواعِ الزَّنْدَقَةِ؛ لأنّهُ كان سُنِّيًّا مُتعصّبًا، ورُبَّمَا كان مُعاديًا للشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ

---

(١) انظر: «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع» (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).
(٢) «الإثنا عشرية في الرّدِّ علَى الصُّوفيَّةِ» للحُرِّ العامليِّ (ص: ٣٣).
(٣) «روضات الجنات في أحوال العُلَمَاءِ والسادات» (٤/ ١٨٣).

كما أشاروا إليه، ولأنّهم قَدْ وَصَفوهُ بأنّهُ كان أُمَويًّا. ومِنَ المعلوم أنَّ **الأُمَوِيَّةَ** لَمْ تَكُنْ مَذْهَبًا دِينِيًّا حتَّى يُوصَفَ أهلُها بالزَّنْدَقَةِ والكُفْرِ والإلْحَادِ وغيرِ ذلك. ولكنّ **الرَّافِضَةَ** يُسمُّونَ أهلَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ بالأُمَوِيِّينَ تارةً، وبالعُثْمانِيِّينَ تارةً أُخْرَى، إلى غيرِ ذلك مِنَ الألقابِ التي اخترعوها وأطلقوها على مَنْ خالفَهُمْ مِنْ أهلِ الحقِّ في رَفْضِهِمْ وكُفرِهِمْ.

■ الثاني: جَابِرُ بنُ حَيَّانَ الكوفيُّ (ت٢٠٨هـ):

مَعدودٌ مِنَ الشِّيعَةِ بلْ مِنْ كِبارِهِمْ وأعلامِهِمْ، فهو تلميذٌ لإمامِهِمُ السادسِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وأحدُ أبوابِهِ لمُصاحبتهِ إيّاهُ وخدمتِهِ وتَعلُّمِهِ منهُ. وقَدْ ألّفَ في التَّشَيُّعِ والزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ والفلسفةِ.

ذكرَهُ **ابنُ النّديم** فقال: «هو أبو عَبْدِ اللهِ جابرُ بنُ حَيّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ الكوفيُّ المعروفُ بالصُّوفِيِّ، واختلفَ النَّاسُ في أَمرِهِ، فقالتِ الشِّيعَةُ: إنّهُ مِنْ كِبارِهِمْ وأحدُ الأبوابِ». ثُمَّ ذكرَ اختلافَ النَّاسِ فيه وادِّعاءَ كُلِّ طائفةٍ بأنّهُ منهم، كالفلاسفةِ، وأهلِ الصناعةِ وغيرِهِمْ، حتَّى عَدَّهُ البعضُ بأنّهُ لَا أصلَ لهُ ولَا حقيقةَ. ثُمَّ ذكرَ فيه رأيَهُ فقال: «والرجلُ لهُ حقيقةٌ، وأمرُهُ أظهرُ وأشهرُ، وتَصنيفاتُهُ أعظمُ وأكثرُ، ولهذا الرجلِ كتبٌ في مذاهبِ الشِّيعَةِ أنا أُورِدُها في مواضعِها...»[(١)]. فابنُ النديمِ يُرَجِّحُ كونَ ابنِ حَيَّانَ مِنَ الشِّيعَةِ المُتَصَوِّفَةِ مِمَّن لهُ تأليفاتٌ في فُنونٍ مُتعدّدَةٍ سِوَى التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ.

وذكره **القفطيُّ في تاريخه** فقال: جابرُ بنُ حَيّانَ الصُّوفِيُّ الكوفيُّ.. كان مُشرفًا على كثيرٍ مِنْ عُلومِ الفلسفةِ، ومُتقلِّدًا للعِلْمِ المعروفِ بِعِلْمِ الباطنِ، وهو مذهبُ المتصوِّفينَ مِنْ أهلِ الإسلامِ كحارثٍ المُحَاسِبِيِّ، وسَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ، ونُظرائِهِمْ[(٢)].

---

(١) «الفهرست» لابن النديم (ص: ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

(٢) «تاريخ الحكماء» للقفطي (ص: ١٦٠).

وقَدْ ذكرَهُ الشِّيعَةُ في مُصنَّفَاتِهِمْ وطبقاتِهِمْ، ووَصَفوهُ بالتَّصَوُّفِ والتَّشيُّعِ مع تعظيمِهِ وإجلالِهِ، فمِن ذلك:

ترجمَ لهُ **مُحَمَّدْ باقر الخوانساريُّ** بقولهِ: «الشّيْخُ النبيلُ جابرُ بنُ حَيّانَ الصُّوفِيُّ الطرسوسيُّ». ووَصَفَهُ بأنّهُ مِنْ مشاهيرِ قُدماءِ العُلَمَاءِ في عُلوم كثيرةٍ ذكرَ منها: (عُلومَ السِّرِّ، والجَفْرَ الجامعَ)، كما ذكرَ لهُ مُصنفاتٍ كثيرةً منها كتابٌ «يشتملُ على ألفِ ورقةٍ تتضمنُ رسائلَ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ»، وذكرَ أنّهُ كان تلميذًا لإمامِهِمُ الصَّادِقِ[(١)].

وترجمَ لهُ **مُحْسِن أَمين** ترجمةً واسعةً، وعَدّهُ مِنْ أعيانِ الشِّيعَةِ الإمَامِيَّةِ، وقال عنهُ: «المعروفُ بالصُّوفِيِّ». وذكرَ أنّهُ ألّفَ في الزُّهْدِ والمواعظِ، وكانَ مِنْ أصحابِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وأحدَ أبوابِهِ، ومِنْ كِبارِ أعيانِ الشِّيعَةِ، وأنّهُ اشتهرَ بتَشَيُّعِهِ، وعلمِهِ، وتصوِّفِهِ، وفلسفتهِ، وتَلمذَتِهِ للصّادقِ، وذكرَ لهُ مُؤلَّفَاتٍ في مختلفِ الفنونِ[(٢)].

إذنْ يَتبيّنُ مِنْ هذه التراجمِ أنَّ **جابرَ بنَ حَيّانَ** مِنْ أعلامِ التَّشَيُّعِ؛ فالشِّيعَةُ تُعظِّمُهُ وتُقدِّرُهُ، وتَفتخرُ بِهِ كشخصيةٍ علميَّةٍ شِيعِيَّةٍ، وتعتزُّ بِهِ، على الرَّغْمِ مِنِ اشتهارِهِ أيضًا بالتَّصَوُّفِ، وتَصْنيفِهِ في عُلومِ التَّصَوُّفِ.

في حينِ أنَّ غيرَ **الشِّيعَةِ** مِنَ **الصُّوفيَّةِ** قَدْ أغفلوا ذكرَهُ في طبقاتِ ورجالِ التَّصَوُّفِ؛ ذلك ـ واللهُ أعلمُ ـ لأنَّ الرّجلَ كان شِيعِيًّا رافِضِيًّا، ولَمْ يَكُنْ مِنْ أهلِ الزُّهْدِ والتّنسُّكِ، ولعلَّ مَا تذكرُهُ الشِّيعَةُ عَنْ تصوُّفِهِ وكتابتِهِ في التَّصَوُّفِ هو مِنْ بابِ الإفسادِ على غيرِ الشِّيعَةِ دِينَهُم ومَذهبَهُم. حيثُ إنّهم قَدْ ذكروا وبالغوا في ذكرِ مُصَنَّفاتِهِ في مُختلفِ العُلومِ والفُنونِ لدرجةِ أنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ شَكُّوا في وُجُودِهِ وحقيقتهِ. وكذلك ادّعاءُ كلِّ أهلِ فَنٍّ أنّهُ

(١) «روضات الجنات في أحوال العُلَمَاءِ والسادات» (٢/ ٢١٨).
(٢) «أعيان الشيعة» لمحسن أمين (٤/ ٣٠ ـ ٣٩).

منهم، حتَّى الفلاسفةُ وأهلُ الصناعةِ والكيمياءِ والطّبِّ والفلكِ وغيرُهم مِنْ أَربابِ العُلومِ الدُّنيويَّةِ وغيرِها، فاشتهارُهُ بِكُلٍّ هذه الفنونِ لَا تتّفِقُ مع كونهِ صُوفِيًّا مُنقطِعًا.

▪ الثالثُ: عَبدُ الكَريمِ الصُّوفِيُّ المشهورُ بعَبْدَك (ت٢١٠هـ):

ذكرَ **السّمعانيُّ** بأنّهُ مِنَ الشِّيعَةِ، وأنَّ اسمَهُ عبدُ الكَريم، وذكرَ أنَّ حفيدَهُ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيِّ بنِ عَبْدكَ كان إمَامًا لأهلِ التَّشَيُّعِ بجُرْجَانَ[١].

وذكرَهُ **عَيْنُ القُضاةِ الهمذانيُّ الصُّوفِيُّ ـ المقتولُ بتهمةِ التَّشَيُّعِ وغيرِها مِنَ البدعِ سنةَ (٥٢٥هـ)** ـ فقال: «ولَمْ يَكُنِ السّالكونَ لطريقِ اللهِ في الأعصارِ السَّالِفَةِ والقرونِ الأولى يُعرَفونَ باسمِ التَّصَوُّفِ، وإنّما الصُّوفِيُّ: لَفظٌ اشتهرَ في القرنِ الثالثِ، وأوّلُ مَنْ سُمِّيَ ببغدادَ بهذا الاسم: عَبْدَكُ الصُّوفِيُّ، وهو مِنْ كبارِ المشايخِ وقُدمائِهم، وكان قَبْلَ بِشْرِ بنِ الحارثِ الحافي، والسَّريِّ بنِ المغلسِ السَّقَطيِّ»[٢].

وذكرَهُ **الشِّيعَةُ** في مُؤلَّفَاتِهِمْ على أنّهُ منهم، ووصَفُوهُ بالزُّهْدِ واعتزالِ النَّاسِ، وأنّهُ كانَ مِنْ أهلِ الكُوفَةِ ثُمَّ انتقلَ إلى بغدادَ، وأنّهُ كان يُلقَّبُ بالصُّوفِيِّ[٣].

وترجمَ **مُحسِن أَمين** لحفيدِهِ **مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ عَبْدَكَ الجُرْجَانيِّ**، ونقلَ فيه أقوالَ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ حيثُ ذكروا أنّهُ جليلُ القدرِ مُتكلِّمٌ مِنْ أعيانِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ، وأنّهُ مُقدّمُ الشِّيعَةِ وإمامُهُمْ في جُرْجَانَ، ومِن كبارِ المُتكلِّمينَ في الإمامةِ، ولهُ تصانيفُ كثيرةٌ[٤].

---

(١) «الأنساب» (٩/ ١٨٥).
(٢) «رسالة شكوى الغريب» (ص: ١٧ ـ ١٨).
(٣) راجع: «التَّصوُّف» لإحسان إلهي ظَهير (ص: ١٤٣ ـ ١٤٤)، و«الصلة» للشيبي (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).
(٤) «أعيان الشِّيعَةِ» (٩/ ٤٣٧).

وهذا يَدُلُّ على مَدَى تَشَيُّعِ هذا الصُّوفِيِّ وإمامتهِ للشِّيعَةِ، حتَّى قَدْ آلَ أمرُ الشِّيعَةِ في جُرْجَانَ إلى حفيدِهِ المذكورِ.

هؤلاءِ الثلاثةُ هُمُ الذين جاءَ ذِكرُهُمْ في المصادرِ التَّاريخيَّةِ وكُتبِ التّراجمِ والطّبقاتِ على أنّهم أوائلُ الصُّوفيَّةِ. وجاءَ ذِكرُهم في «دائرةِ المَعارفِ الإسلامِيَّةِ» عَنْ مجموعةٍ مِنَ المؤلفينَ المستشرقينَ وغيرِهِمْ مِمَّن كانت لَهمْ عنايةٌ ودراسةٌ في التَّصَوُّفِ والصُّوفيَّةِ، ونصَّ أكثرُهُمْ ورجّحَ وَصْفَ جابرِ بنِ حَيّانَ وعَبْدَكَ بالصُّوفِيِّ(١).

ويَظهرُ مِنْ هذه النُّقولِ السّابقةِ في هذه الشّخصيّاتِ الثلاثةِ عِدّةُ حقائقَ:

ـ **أولًا**: أنَّ **أبا هاشم الكوفيَّ** ليس مِن أوائلِ **الصُّوفيَّةِ** كما يَزْعُمُ **الشِّيعَةُ**؛ لأنّهُ لَوْ كان أوّلَ صُوفِيٍّ؛ لَما كان كِتابٌ مِنْ كُتبِ التَّصَوُّفِ وطَبقاتِهم يخلو مِنْ ذِكْرِهِ وأخبارِهِ والغُلُوِّ في أحوالِهِ وكراماتِهِ، خَاصَّةً وأنَّ الصُّوفيَّةَ قديمًا وحديثًا لَا يأبهونَ كثيرًا بِمَا ذكرَهُ **الشِّيعَةُ** في هذه الشّخصيَّةِ مِنْ طَعْنٍ وتجريحٍ في دِينهِ ومذهبِهِ، بلْ إنّهم يعتزّونَ بشهاداتِ الطّعنِ والتّجريحِ والتّكفيرِ على أنَّها مِنَ الكراماتِ، وبُرهانٍ على صِحَّةِ تَحقُّقِ التَّصَوُّفِ فيه؛ لِمَا زَعَموهُ بأنَّ التَّصَوُّفَ أحوالٌ وراءَ العقلِ والنقلِ، وكلما ارتقَى المُتَصَوِّفُ في المقاماتِ وبلغَ الغايةَ والمنتهَى في التَّصَوُّفِ؛ كلمّا ازدادَ إنكارُ النَّاسِ والعامَّةِ عليهِ.

ثُمَّ إنَّ **أبا هاشم** المذكورَ في **كُتبِ الشِّيعَةِ** لَمْ يَذكرْهُ مِنْ أهلِ التَّصَوُّفِ إلَّا **أبو نُعَيْم** ولَمْ يَنُصَّ على أنّهُ كُوفيٌّ أوْ صُوفِيٌّ، ولَمْ يذكرْ فيه سِوَى أنّهُ **(أبو هاشم الزّاهِدُ)**، وذكرَ فيه أَسطرًا معدودةً، فلا يُعلَمُ هل هو مَنْ تَعنيهِ الشِّيعَةُ، أوْ هو غيرُه.

ـ **ثانيًا**: أنَّ **جابرَ بنَ حَيّانَ وعَبْدَكَ** شِيعِيَّانِ بإثباتِ وإقرارِ **الشِّيعَةِ**

---

(١) «دائرة المَعارفِ الإسلامِيَّة» (٥/ ٢٦٦).

وغيرِهِمْ، بلْ هما مِنْ أعيانِهِمْ وأئمّتِهِمُ المشهورينَ، ويَترجّحُ عندي أنَّ أوّلَ مَنْ لُقِّبَ بوَصْفِ **أوّلُ صُوفيٍّ** منهما وكان جديرًا به هو **عَبْدَك**، وإنْ كانت وفاتُهُ عَقِبَ وَفَاةِ جابرٍ، وذلك:

- لِما تقدّمَ ذِكرُهُ مِنْ أنَّ **جابرًا** وإنْ كان قَدْ وُصِفَ ولُقِّبَ بالصُّوفِيِّ؛ فإنّ سِيرتَهُ لَمْ تَكُنْ كالصُّوفيَّةِ مِنْ حيثُ التَّزَهُّدُ والتَّنَسُّكُ والخمولُ والانقطاعُ كما هو المشهورُ عَنِ الصُّوفيَّةِ، ثُمَّ أنّهُ لَمْ يَرِدْ ذِكرُهُ في كُتبِ غيرِ الشِّيعَةِ، وأمرٌ مهمٌّ وهو أنَّ اشتهارَهُ بالعُلومِ الأُخْرَى وتَصنيفَهُ فيها كان أكثرَ مِنِ اشتهارِهِ وتصنيفِهِ في التَّصَوُّفِ.

- ولأنَّ **عَبْدَك** كان رأسًا في التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ، وذُكِرَ أنّهُ كان على رأسِ جماعةٍ شِيعِيَّةٍ صُوفِيَّةٍ، وكان إمَامًا لتلكَ الجماعةِ وشيخًا لها[١]. وقَدْ كان لَفْظُ التَّصَوُّفِ يُطلقُ في ذلك الوقتِ على بعضِ زُهَّادِ الكُوفةِ وعلى رَهطٍ مِنَ الثائرينَ بالإسكندريَّةِ[٢]. وقَدْ ذكروا أنَّ **عَبْدَك** كان يَقولُ: «**إنَّ الإمامةَ بالتّعْيينِ**»، وكان أيضًا لَا يأكلُ اللَّحْمَ، مِمَّا يَدُلُّ على غُلُوِّهِ في التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ، ونَصَّ على ذلك الشِّيعَةُ وغيرُهُمْ[٣].

يَتبيّنُ مِمَّا تقدمَ أنَّ عَبْدَكَ هو أوّلُ مَنِ اشتهرَ باسمِ الصُّوفيِّ، وأنّهُ كان يُطلَقُ على جماعةٍ مِنَ الشِّيعَةِ مِنْ أهلِ الكُوفةِ، والكُوفَةُ هي مَوْطِنُ التَّشَيُّعِ والغُلُوِّ والرَّفْضِ. وهذا يُؤكِّدُ وحدةَ المنشأِ بَيْنَ الشِّيعَةِ وبين الصُّوفيَّةِ الذين تلقَّوا هذا المذهبَ عَنْ هؤلاءِ الرَّافِضَةِ الذين وَجدوا في التّستُّرِ بالزُّهْدِ والعبادةِ بابًا عظيمًا ومَدخلًا رَحبًا لتفريقِ كلمةِ المُسلِمينَ، وبَثِّ الفُرْقَةِ والاختلافِ بينهم، وإضعافِ مُقاومتِهِمْ للرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ.

---

(١) «التَّصَوُّف» للشّيْخِ إحسان (ص: ١٤٣ ـ ١٤٤)، و«الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ» للشيبي (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٢) «الولاة والقضاة» للكندي (ص: ١٦٢ ـ ١٦٤)، و«دائرة المَعارفِ الإسلامِيَّةُ» (٥/ ٢٧٧).

(٣) راجع: «التَّصَوُّفَ» للشّيْخِ إحسان (ص: ١٤٣)، و«دائرة المَعارفِ الإسلامِيَّةُ» (٥/ ٢٦٦).

وقَدْ تمكّنوا مِنْ كَسْبِ كثيرٍ مِنْ **أهلِ السُّنَّةِ** الذين دخلوا في التَّصَوُّفِ، وجَعلوهُم في جانبِهِمْ في نَشْرِ التَّشَيُّعِ ومبادئِهِ، ومُحاربةِ دَولَةِ الإسلامِ، والسَّعْيِ في إقامةِ دَولَةِ الرَّفْضِ. ومَنْ لَمْ يتمكّنوا مِنْ كَسْبِهِ ـ ليعملَ معهم في مُخطّطاتِهِمْ ـ فقَدْ أَمِنوا جانِبَهُ، فلا يُعادِيهم فضلًا عَنْ أنْ يُحارِبَهُمْ أو يُنكِرَ عَليهِم رَفْضَهُمْ وتَشَيُّعَهُمْ ومذاهبَهُمْ؛ لأنَّ دُخولَهُمْ في التَّصَوُّفِ؛ يَعني: اشتغالَهُمْ بأنفسِهِمْ وإصلاحِ بواطِنِهِمْ، وزَعموا أنَّ ذلك لَا يتأتّى إلَّا باعتزالِ النَّاسِ وعَدَمِ مُخالطتِهِمْ، أو على الأقلِّ عدمِ الاشتغالِ بهم فيما هُمْ فيه مِنْ مذاهبَ وأحوالٍ. وبذلك عَطّلوا الأمرَ بالمعروفِ، والنّهيَ عَنِ المُنْكرِ، وفتحوا المجالَ لكُلِّ صاحبِ شَرٍّ أوْ بِدعةٍ أنْ يَبُثَّ مَا عِندَهُ بَيْنَ المُسلِمينَ.



المبحثُ الثاني

أعلامُ الصُّوفيَّةِ وعلاقتُهُمْ بِالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ

أذكرُ في هذا المبحثِ بعضَ المُتَصَوِّفَةِ الذين اشتهروا بتصوُّفِهِمْ، والمذكورين في طبقاتِ الصُّوفيَّةِ المعتمدةِ عِنْدَهُمْ، مع ذكرِ بعضِ مَا يَدُلُّ على علاقتِهِمْ واتّصالِهِمْ بِالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ، وأذكرُهُمْ حسبَ ترتيبِهِمُ الزّمنيِّ لِوَفَيَاتِهِمْ وهم **(أربعةَ عشرَ)** نفسًا:

١ ـ إبراهيمُ بنُ أَدْهَمَ (ت ١٦٢هـ)

تَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ الشِّيعِيُّ** ووَصَفَهُ بقولِهِ: «السُّلْطانُ العارفُ، شيخُ المشايخِ بهاءُ المِنّةِ والحقِّ والدِّينِ، الصُّوفِيُّ المشهورُ، جَوْهرةُ العارفينَ، كان مِنْ زَهَدَةِ أبناءِ المُلُوكِ، ورؤساءِ أربابِ السيرِ والسُّلوكِ». وذكرَ قصصًا في سببِ توبتِهِ وبدايةِ أمرِهِ منها: أنّهُ كان في طَلَبِ صَيْدٍ وإذا بِهاتِفٍ يَهتِفُ بِهِ عدّةَ مرّاتٍ قائلًا: «يا إبراهيمُ أَلِهذا خُلِقْتَ؟ أم بهذا أُمِرْتَ؟ فأجابَ إبراهيمُ قائلًا: انتبهتُ، انتبهتُ، جاءني نذيرٌ مِنْ ربِّ العالمينَ، واللهِ! مَا عصيتُ اللهَ بَعْدَ يومي هذا مَا عصمَني ربّي».

وذكرَ عنهُ أنّهُ انتهى في أيّامِ سياحتِهِ إلى خدمةِ **البَاقِرِ** بمكّةَ، «وأخذَ عَنْ بركاتِ أنفاسِهِ الشّريفةِ مَا أخذَ وروى عنهُ». **وذكرَ أنّهُ أدركَ صُحبةَ ثلاثةٍ مِنْ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ المعصُومينَ: البَاقِرِ، والصَّادِقِ، والسَّجَّادِ، وأنّهُ كان مِنْ شِيعَتِهِم**(١).

وذكرَهُ **عَبَّاسُ القُمِّيُّ**، وترجمَ لهُ، ووَصَفَ زُهْدَهُ وتَرَهُّبَهُ وخُروجَهُ عَنْ

(١) «روضات الجنات في أحوال العُلَمَاءِ والسادات» (١/ ١٣٩ ـ ١٤٥).

مُلْكِهِ، وذكرَ عَنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ أنّهم عَدّوهُ مِنَ الشِّيعَةِ، وأنّهُ ومَالِكُ بنُ دينارٍ كانا مِنْ غِلمانِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وتلاميذِهِ[١].

يَتبيّنُ مِمَّا تقدمَ أنَّ **الشِّيعَةَ** قَدْ تَلقّوهُ بالقَبُولِ والرِّضَى، وبالغوا في الثّناءِ عليهِ؛ لأنّهُ كما زعموا قَدْ أخذَ عَنْ بركاتِ أنفاسِ الأَئِمَّةِ، وروى عنهم، وقضَى مُدّةً في خِدمتِهِمْ.

ويَزْعُمُونَ وتَزْعُمُ **الصُّوفِيَّةُ** كذلك أنّهُ بلغَ مَا بلغَهُ مِنْ مَقامِ القُرْبِ بإِلْهَامٍ مُباشرٍ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وبهاتفٍ رَبّانيٍّ يُناديهِ ويَلِحُّ عليهِ بالتّوبةِ والرُّجوعِ. فالتَّصَوُّفُ لَا يُدْرَكُ بالأسبابِ الشّرعيَّةِ والأعمالِ الصّالحةِ، وإنّما هو اصطفاءٌ واختيارٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

ثُمَّ يَذكرُ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** في قصّةِ توبتِهِ مسألةَ العِصْمةِ والحفظِ عَنِ الوقوعِ في المعاصي والذُّنوبِ، كما هو مَقرّرٌ ومَعلومٌ في مذَاهبِهِمْ.

٢ ـ شَقيقُ بنُ إبراهيمَ البَلْخيُّ (ت ١٩٤هـ)

تَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** وقال عنهُ: «المعروفُ بالتَّصَوُّفِ بَيْنَ كُلِّ فريقٍ، كان مِنْ تَلامذةِ الإمامِ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ الكَاظِمِ، ولهُ روايةٌ عنهُ، وكان جامعًا للعُلومِ الرّسميَّةِ الشّرعيَّةِ، والمعارفِ الكشْفيَّةِ الذّوقيَّةِ، وكان أُستاذًا للأَصَمِّ، ومُصاحبًا لابنِ أدهمَ، واستشهدَ في بلادِ مَا وراءِ النّهرِ بتُهْمَةِ الرَّفْضِ»[٢].

ويَذكرُ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** عَنْ سببِ توبتِهِ وزُهْدِهِ بَعْدَ أنْ كان ذا ثَرْوةٍ عظيمةٍ أنّهُ في أثناءِ تجارتهِ وسَفَرِهِ دخلَ بيتًا للأصنامِ في بِلادِ التُّرْكِ، وإذا قومٌ يَعبدونَ أصنامًا، فتحدّثَ مع عَالِمهِم، فخرجَ وقَدْ تعلّمَ المعرفةَ، ثُمَّ خرجَ مِنْ ثَرْوَتِهِ وتزَهّدَ وتَصَوَّفَ[٣].

---

(١) «الكنى والألقاب» للقُمِّيِّ (١/ ٣٨١). (٢) المصدر السابق (٢/ ٣٥).

(٣) «روضات الجنات» (٤/ ١٠٧)، «الكنى» للقُمِّيِّ (٢/ ٣٥)، «الرِّسالة القشيريّة» (١/ ٩٦)، «الحِلْيَة» (٨/ ٥٩).

وذكرَ **الخوانساريُّ** أنَّ شقيقًا مِنَ الإمَامِيَّةِ المخلصينَ. وذكرَ أيضًا أنّهُ صَحِبَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ، وسألَهُ جَعْفَرٌ عَنِ الفُتُوَّةِ، وأنهما تحدَّثَا في ذلك[(١)].

وقال **نعمةُ اللهِ الجزائريُّ الشِّيعِيُّ** أثناءَ ذكرِهِ كراماتِ الأَئِمَّةِ وطرائفَ أحوالِهِمْ: «ومِنَ الأخبارِ الرّقيقةِ المروِّحةِ خبرُ شَقيقِ البلخيِّ»، ثُمَّ ذكرَ خروجَهُ للحجِّ فالْتَقَى بشابٍّ حَسَنِ الوجْهِ، فأساءَ بهِ الظَّنَّ، ظنًّا منهُ أنّهُ شابٌّ مِنَ الصُّوفيَّةِ يُريدُ أنْ يَكونَ كلًّا على النَّاسِ فجاء لِيُوبِّخَهُ، فبادرَهُ الشَّابُّ قائلًا: «يا شقيقُ! ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]» فقرّرَ مُصاحبَتَهُ **لأنّهُ عَلِمَ مَا في نفسِهِ**. ثُمَّ رآه يُصَلِّي ويبكي، فجاء يَسْتَحِلُّهُ مِنْ ظنّهِ بهِ، فبادرَهُ الشّابُّ أيضًا قائلًا: «يا شقيقُ! اتلُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه: ٨٢]». ثُمَّ رأى لهُ كراماتٍ أثناءَ الطّريقِ كارتفاعِ ماءِ البِئْرِ، وتحوّلِ الماءِ إلى سَويقٍ وسُكّرٍ، وهكذا حتَّى وصلَ إلى مكةَ، فرأى الْتِفَافَ النَّاسِ حولَهُ والسلامَ عليهِ، فَعَلِمَ أنّهُ مُوسَى بنُ جَعْفَرٍ ـ سابعُ الأَئِمَّةِ عِنْدَ الشِّيعَةِ ـ فقال: «عجبتُ أنْ تكونَ هذه العجائبُ إلَّا لمثلِ هذا السّيّدِ»[(٢)].

٣ ـ مَعروفُ بنُ فيروز الكَرْخيُّ (ت ٢٠٠هـ)

تَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** وقال عنهُ: «الشّيْخُ العَارِفُ، نُسِبَ إليه بَوّابيَّةُ مَوْلَانا الرِّضَا». وذكرَ جملةً مِنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ الذين ذكروه وأَثنَوْا عليهِ، ونَصُّوا على أنّهُ أسلمَ على يَدِ عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا، وأنّهُ روى عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وأخذ عنهُ كثيرًا، ولهُ روايةٌ طويلةٌ مُتضمّنةٌ لأسرارِ مناسكِ الحجِّ يرويها مَعروفٌ عَنِ الصَّادِقِ، وذكروا أنَّ **الجُنَيْدَ** لبسَ الخِرْقَةَ الصُّوفيَّةَ مِنْ يَدِ خالِهِ **السَّرِيِّ السَّقطيِّ**، وهو لبسَها مِنْ **مَعروفٍ الكَرْخيِّ**، وهو مَنْ يَدِ **إمامِهِمُ الحُجَّةِ عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا**[(٣)].

(١) «روضات الجنات» (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٨).　　(٢) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (٤/ ٨٥ ـ ٨٧).
(٣) «روضات الجنات» للخوانساري (٨/ ١٣٤ ـ ١٣٨).

ويَذكرُ الصُّوفيَّةُ في كُتُبِهِمْ إسلامَهُ على يَدِ عَلِيٍّ بنِ مُوسَى الرِّضَا ثامِنِ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ، وأنّهُ كان حَاجِبًا لهُ بَعْدَ إسلامِهِ. ويذكرون عنهُ زَعْمَهُ أنّهُ تَزهّدَ وتابَ واتّعظَ بموعظةِ ابنِ السّمّاكِ فيقولُ: «فأقبلتُ على اللهِ تَعَالَى، وتركتُ جميعَ مَا كنتُ عليهِ إلَّا خدمةَ مولايَ عَلِيٍّ بنِ مُوسَى الرِّضا». ويذكرون أنَّ **الرِّضَا** هو الذي شجّعَهُ على الزُّهْدِ، وأنّهُ ماتَ وهو يَحجُبُ الإمامَ حيثُ ازدحمَ الشِّيعَةُ يومًا على بابِ إمامِهِم فوطأوه فكُسِرتْ أضلاعُهُ فماتَ[1]. وهذه الأخبارُ تُبيّنُ مَدَى علاقةِ هذا الصُّوفِيِّ بِالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ بإقرارِ وشهادةِ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ على السَّواءِ.

ويَذكرُ الصُّوفيَّةُ في ترجمتهِ ظُهورَ قَبْرِهِ وزِيَارَةَ النَّاسِ لهُ للاستشفاءِ والاستسقاءِ؛ يقولُ **القُشَيْرِيُّ**: «كانَ مِنَ المشايخِ الكبارِ، مُجَابَ الدّعوةِ، يُستشفَى بقبرهِ». ويقولُ البغداديونَ: «قَبْرُ مَعروفٍ ترياقٌ مُجرّبٌ».

وذكروا عنهُ قولَهُ لتلميذهِ السَّريِّ السّقطيِّ: «إذا كانت لك حاجةٌ إلى اللهِ فأَقْسِمْ عليهِ بي»[2]. ومسألةُ الإقْسَامِ على اللهِ تَعَالَى بهِ ذَكَرَها **الشِّيعَةُ** أيضًا، وذكروا أنّهُ استفادَها ببركةِ الإمامِ الرِّضَا[3]. فالصُّوفيَّةُ تُقِرُّ مَا عليهِ الشِّيعَةُ مِنَ التّوسلِ بالأئِمَّةِ، والإقسامِ بهم على اللهِ تعالَى، وتعظيمِ القُبورِ، والاستشفاءِ والاستسقاءِ بِهَا.

ويَزْعُمُ **الصُّوفيَّةُ** «أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ وابنَ معينٍ كانا يختلفانِ إليه يَسألانه، ولَمْ يَكُنْ في عِلْمِ الظّاهرِ مثلَهما، فيقالُ لهما: مِثْلُكما يفعلُ ذلك؟ فيقولانِ: كَيف نفعلُ إذا جاءنا أَمرٌ لَـمْ نَجِدْهُ في كِتابِ اللهِ، ولَا في سُنَّةِ

(١) «طبقات الصُّوفيَّةِ» للسلمي (ص: ٨٥)، و«الرِّسالة القُشَيْريَّة» (١/ ٧٤ ـ ٧٧)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، و«الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٧٢).

(٢) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (١/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٣) «روضات الجنات» للخوانساري (٨/ ١٣٧).

رَسُولِ اللهِ، وقَدْ قال المصطفى ﷺ: «**سَلوا الصَّالحينَ**»[(١)(٢)]. هكذا يكذبونَ ـ قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى ـ على اللهِ تعالَى وعلى رَسُولِهِ وعلى المؤمنينَ، ويُقلّلونَ مِنْ شَأْنِ العِلْمِ والعُلَمَاءِ؛ ترويجًا لِغُلُوِّهِمْ في مشايخِهِمْ، وأنّهم يعلمون كُلَّ شَيْءٍ بِمَا أُوتُوهُ مِنْ عِلْمٍ لَدُنِّيٍّ وكشفٍ، شأنُ الرَّافِضَةِ في أئمّتِهِمْ.

٤ ـ بِشْرُ بنُ الحارثِ الحافيُّ (ت٢٢٧هـ)

تَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** وقال فيه: «الشّيْخُ العَارِفُ الكاشفُ المُتَصَوِّفُ الصّافي، أحدُ أركانِ رجالِ الطّريقةِ، ووَاحدُ فرسانِ مجالِ الحقيقةِ، مِنَ الذين هُمْ على الطبقةِ الأولى، وفي الدرجةِ العُليا مِنْ مَقاماتِ العارفينَ ومنازلِ السائرينَ، مُشتهرًا في الزُّهْدِ، والوَرَعِ، والتّقوى، والدِّينِ، والمعرفةِ، واليقينِ».

وذكرَ عَنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ أنّهم ذكروا أنْ توبتَهُ كانتْ على يَدِ الإمامِ **مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ الكَاظِمِ سابعِ أئمّتِهِمْ** حين مَرّ على بابِ دارِهِ وهو على مَائِدَةِ سُكْرِهِ ولَهوِهِ وغنائِهِ، فوعظَهُ، فخرجَ مِنْ دارِهِ حَافِيًا حتَّى لقيَ الكَاظِمَ فتابَ على يَدِهِ واعتذرَ وبكَى.

ويذكرون أنّهُ رأى رَسُولَ اللهِ ﷺ في المنامِ، فذكرَ لهُ مِنْ أسبابِ رَفْعِهِ بَيْنَ أقرانِهِ: «خدمتُهُ للصالحينَ، ومَحبّتُهُ لأهلِ بَيْتِ النَّبِيِّ».

ويذكرون أنّهُ كان يرى عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ في المنامِ، إلى غيرِ ذلك مِمَّا يَعتبرُهُ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ مِنَ الكراماتِ.

ويقولُ الخوانساريُّ في آخر ترجمتِهِ: «أنَّ مِنْ أَسباطِهِ الشّيْخَ

---

(١) «الكواكب الدرية في تراجم الصُّوفيَّةِ» (ص: ٢٦٨).

(٢) **حديثٌ ضعيفٌ**: ذكره الغزاليُّ في (الإحياء ١/ ٢٢)، كتاب العِلْم، بابٌ في العلمِ المحمودِ والمذموم. وقال الحافظُ العراقيُّ في «تخريج الإحياء»: «[رواه] الطّبرانيُّ من حديثِ ابنِ عبّاسٍ؛ فيهِ عبدُ اللهِ بنُ كَيْسَانَ ضعّفَهُ الجمهورُ».

عبدَ الكَريم بنَ مُحَمَّدٍ المعروفَ بسبطِ بشرٍ الحافيِّ، وأنَّهُ كان مِنْ عُلَماءِ الإِمَامِيَّةِ»[(١)].

فالشِّيعَةُ تُثني عليهِ، وكذلك **الصُّوفيَّةُ**. ويقولُ الخطيبُ البغداديُّ حين ذَكرَهُ: «إنَّ إسلامَ أحدِ أجدادِهِ كانَ على يَدِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ»[(٢)].

٥ ـ طيفورُ بنُ عِيسَى أبو يَزِيدَ البِسْطَاميُّ (ت٢٦١هـ)

يقولُ **الخوانساريُّ** في ترجمتهِ: «الشَّيْخُ العَارِفُ، المرشدُ الكاملُ، الواصلُ المتقدمُ الفاضلُ المُتَصَوِّفُ، مِنْ أربابِ الطَّريقةِ، مَوصوفٌ بِتَماميَّةِ المعرفةِ، وكَثْرَةِ الرِّياضةِ، ولهُ مقالاتٌ كثيرةٌ، ومُجاهداتٌ مَشهورةٌ، ومَقاماتٌ مَحمودةٌ، وكراماتٌ ظاهرةٌ».

وذكرَ عَنْ بَعضِ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ أنَّهم ذكروه مِنْ جملةِ تلامذةِ إمامِهِم جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وأنَّهُ كان سقّاءً لدارِهِ ومَحْرَمًا على أسرارِهِ. وذكروا أنَّهُ «خرجَ عَنِ الأوطانِ، وسافرَ ثلاثينَ سنةً وارْتَاضَ، وخدمَ مائةَ وثلاثةَ عشرَ مِنَ المشايخِ حتَّى وصلَ إلى خدمةِ إمامِهِم جَعْفَرٍ فوجدَ في خدمتهِ مَا هو المقصودُ».

وذكروا أنَّ سلسلةَ أسانيدِ الصُّوفيَّةِ تنتهي إلى أئمَّتِهِمُ المعصومينَ كانتهاءِ سائرِ العُلوم والحِكَم والمعارفِ إليهم، «وأنَّ منها السّلسلةَ الطيفوريّةَ والتي أخذها أبو يَزِيدَ عَنْ إمامِهِمُ الصَّادِقِ، وذلك بَعْدَ أنْ خدمَهُ ثمانيةَ عشرَ سنةً، فقال لهُ الصَّادِقُ يومًا: هاتِ الكتابَ مِنَ الرَّفِّ. فقال: يا ابنَ رَسُولِ اللهِ! وأين الرّفُّ؟ فقال: فوقَ رأسِكَ، وأنت مُنْذُ سنينَ عندنا وما رأيتَ الرّفَّ؟ فقال: يا ابنَ رَسُولِ اللهِ! شُغلي بك وبأنوارِكَ مَنعَني عَنْ هذا. فقال لهُ: قَدْ تَمّ لك الأمرُ، امْضِ إلى بِسْطَامَ وادعُ النَّاسَ إلى اللهِ ﷻ وإلى رَسُولِهِ وإلى أوليائِهِ».

---

(١) «روضات الجنات» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٤)، و«طرائق الحقائق» كما في «الصلة» للشيبي (١/ ٣٧٥).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٨٥)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٠/ ٢٧٩).

ومعلومٌ أنَّ وفاةَ الصَّادِقِ كانت سنةَ (١٤٨هـ)، وطيفور في سنةِ (٢٦١هـ)، لذلك يقولُ **الشَّاهُ عَبدُ العزيزِ الدَّهْلَويُّ** ـ كما ذكرهُ محمود شكري الألوسيُّ ـ: «إنّ أبا يَزِيدَ البِسْطَاميَّ أخذَ الطريقةَ مِنْ **جَعْفَرِ بنِ مُوسَى الكَاظِمِ** الذي كان مِنْ كبارِ أولياءِ اللهِ تَعَالَى». وقال: «إنَّ القولَ بأنّهُ أخذَ الطريقةَ مِنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ غَلَطٌ»[(١)]. وجَعْفَرُ بنُ مُوسَى هو ابنُ الإمامِ الكَاظِمِ **سابعِ أئمّتِهِمْ** وحفيدُ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ **سادسِ أئِمّتهم**.

وقد أدركَ **الشِّيعَةُ** هذه الغَلْطةَ، وذكروا في التّوفيقِ بينها وبَيْنَ غيرِها مِنَ الرّواياتِ عِدَّةَ أقوالٍ. وذكرَ **الخوانساريُّ** عَنْ أَحَدِ أئمّتِهِمْ قَولَهُ: «احتمالُ أنْ يَكونَ المرادُ باعتصامِهِ بحبلِ ولاءِ أهلِ البَيْتِ، واستلامِهِ حِجْرِ مولانا الصَّادِقِ؛ الْتِزَامَهُ للمذهبِ الحقِّ الجعفريِّ، واعتصامَهُ بالحبلِ الموثّقِ الحيْدَرِيِّ»[(٢)].

فالحاصلُ: أنَّ **أبا يَزِيدَ** مِمَّن يَعترِفُ بفضلِهِ **الشِّيعَةُ** قَبْلَ **الصُّوفيَّةِ**، ويُقِرّون تَصوُّفَهُ وزُهْدَهُ، ويبالغون في كراماتِهِ وأحوالِهِ، ويَنصُّونَ أنَّ **السلسلةَ الطّيفوريَّةَ** تنتهي إلى أئمّتِهِمُ المعصومينَ. وأنَّ رُجوعَهُ إلى **بِسْطَامَ** كان بأمرِ الإمامِ، وكأنّهُ أَجازَهُ واعترفَ بكفاءتِهِ لذلك المقامِ الذي يَزْعُمُونَ أنّهُ للدّعوةِ إلى اللهِ تَعَالَى.

ومعلومٌ مِن سيرتهِ وتاريخهِ في كُتُبِ الصُّوفيَّةِ أنَّ أهلَ بِسْطَامَ قَدْ نَفوْهُ مِنْ بلدِهِ سبعَ مراتٍ لِتَكلُّمهِ في التَّصَوُّفِ والمقاماتِ[(٣)]. وفي هذا دَلالةٌ أنَّ دعوتَهُ كانت مُوافقةً لما عليهِ الشِّيعَةُ، ومخالفةً لما عليهِ أهلُ السُّنَّةِ، مِمَّا حملَهُمْ على نَفْيهِ وطردِهِ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) «مختصر التحفة الإثني عشرية» (ص: ٣٣٩).
(٢) «روضات الجنات» (٤/ ١٥٢ ـ ١٥٦).
(٣) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥).

٦ ـ الحُسَيْنُ بنُ مَنصورٍ الحَلَّاجُ المقتولُ سنةَ (٣٠٩هـ)

ذكرهُ ـ مِنَ **الشّيعةِ** ـ **ابنُ النديم** وقال: «كان يَقولُ بالحلولِ، ويُظْهِرُ مذاهبَ الشِّيعَةِ للمُلوكِ، ومذاهبَ الصُّوفيَّةِ للعامّةِ»(١).

وذكرَهُ **أبو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ شيخُ الطائفةِ الشّيعيّةِ ت٤٦٠هـ** ضمنَ المذْمُومينَ الذين ادّعوا **البَابِيَّةَ** بَعْدَ اختفاءِ **مَهديهِمُ** المزعومِ في **سِردابِ سَامرَّاءَ**، وذكرَ أنّهُ كان يَقولُ للنَّاسِ: إنّهُ «وكيلُ صاحبِ الزّمانِ» وإنَّهُ «رَسُولُ الإمامِ ووكيلُهُ»(٢).

ويقولُ **شَيْخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الحَلَّاجِ: «**لما دخلَ بغدادَ كانوا ينادونَ عليهِ: هذا داعي القَرَامِطَةِ**»(٣).

وأمَّا **الصُّوفيَّةُ** فإنّهم يذكرونهُ في كُتُبِهِمْ ومُؤلَّفَاتهم ويَعُدُّونَهُ مِنْ أعلامِ التَّصَوُّفِ مِمَّن يُقتدَى بهم في مَعارِفِهِمْ وإشاراتِهِمْ وأحوالِهِمْ، ويعتبرونه شهيدَ المحبّةِ الإلٰهيَّةِ، ويعتبرون قَتْلَهُ شهادةً وكرامةً، كُلُّ ذلك إمعانًا منهم في مخالفةِ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ وقَلبًا للحقائقِ التَّاريخيَّةِ وتزييفًا للحقِّ وتشويههِ وتَرويجًا لبِدَعِهِمْ ومُنكراتِهِمْ.

فالحَلَّاجُ مِمَّن أجمعَ عُلَماءُ عصرِهِ مِنْ أهلِ الحقِّ والفضلِ على كُفْرِهِ وزَندَقَتِهِ، وأفتَوْا جَميعًا بِقَتْلِهِ. **والصُّوفيَّةُ** وبلا خجلٍ ولَا حياءٍ ما زالوا يتباكوْنَ عليهِ، ويعتبرون قَتْلَهُ وصَلْبَهُ جريمةً عظيمةً. وغايةُ مَا يذكرُهُ مَنْ بقيَ فيه بعضُ الحياءِ والخجلِ منهم أنْ يقولَ فيه: «إنَّ النَّاسَ قَدِ اختلفوا في أمرِهِ، فمنهم مَنْ كَفَّرَهُ، ومنهم مَنْ عَدَّهُ وَلِيًّا». ثُمَّ يُسوّغُ مَقالاتِهِ في الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ.

---

(١) «الفهرست» لابن النديم (ص: ٢٧٠).

(٢) «الغَيْبَة» لأبي جَعْفَرٍ الطُّوسِيِّ (ص: ٢٤٧).

(٣) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص: ٨٤).

يقولُ القاضي عِياضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وأجمعَ فقهاءُ بغدادَ أيامَ المقتدرِ... على قَتْلِ الحَلَّاجِ وصَلْبِهِ لدعواهُ الإلَهيّةَ، والقولِ بالحلولِ... ولَمْ يقبلوا تَوبتَهُ، وكذلك حكموا في ابنِ أبي الغراقيد... وكان على نحوِ مذهبِ الحَلَّاجِ»**[(١)]. **وذكرَ الإمامُ ابنُ كَثيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ **هذا الإجماعَ عَنْ غيرِ واحدٍ مِنَ العُلَمَاءِ، وأنّهم أجمعوا على قَتْلِهِ كافرًا**[(٢)].

وقد عَدَّهُ **السُّلَمِيُّ** مِنْ أَئِمَّةِ الصُّوفيَّةِ، وذكرهُ ضمنَ الطبقةِ الثالثةِ مِنْ طبقاتِهِمْ، وذكرَ أنَّ جماعةً رَدُّوهُ، ونَفَوْا أنْ تَكونَ لهُ قدمٌ في التَّصَوُّفِ، وجماعةً قبلوهُ وصَحّحوا مذهبَهُ وأَثنَوْا عليهِ. ثُمَّ أخذ يذكرُ أقوالَهُ، وينقلُ بالأسانيدِ أحوالَهُ وكراماتِهِ، مُشيرًا بذلك إلى قَبُولِهِ[(٣)].

وبنحوِ قولِ **السُّلَمِيِّ** ومذهبِهِ في الحَلَّاجِ ذهبَ **الشَّعرانيُّ** وغيرُهُ[(٤)]، ونقلوا عَنْ بعضِ مَنْ أثنَى على الحَلَّاجِ قولَهُ: «إنّهُ لَمْ يرَ مَا يُوجِبُ قَتْلَهُ». وأخذوا يترحّمون عليهِ ويترضّوْنَ عنهُ، ويُبالغونَ في عَدِّ كراماتِهِ وأحوالِهِ الخبيثةِ وأقوالِهِ المُنحرفةِ.

وذكروا عَنِ **القُشَيْرِيِّ** أنّهُ أشارَ إلى تزكيتِهِ وقَبولِهِ تلميحًا، حيثُ ذكرَ مِنْ أقوالِهِ مُستشهِدًا بِهَا في الفصلِ الذي عَقدَهُ لبيانِ عَقائِدِ الصُّوفيَّةِ، وأنّها مِنْ عَقائِدِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ[(٥)].

وترجمَ لهُ **اليافعيُّ** ترجمةً موسَّعةً، ويَزْعُمُ أنَّ النَّاسَ قَدِ اختلفوا في أمرِهِ، فمنهم مَنْ بالغَ في تعظيمِهِ، ومنهم مِنْ بالغَ في تكفيرِهِ، ثُمَّ يقولُ:

(١) «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨).
(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ١٤٩).
(٣) «طبقات الصُّوفيَّة» للسلمي (ص: ٣٠٧ ـ ٣١١).
(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانيِّ (١/ ١٠٧ ـ ١٠٩)، و«جمهرة الأولياء» للمنوفي (٢/ ١٦٤ ـ ١٧٢)، و«جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/ ٤٣ ـ ٤٤).
(٥) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٣٧).

«والمحققون اعتذروا عنهُ، وأجابوا عَمَّا صدرَ عنهُ بتأويلاتٍ. . . ومنهم: القطبُ وأُستاذُ العارفينَ والأكابرِ الذي خضعتْ لقدَمِهِ رِقابُ كُلِّ وَلِيٍّ مِنْ بادٍ وحاضرٍ الشّيْخُ الشريفُ الحسيبُ النسيبُ مُحْيي الدِّينِ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ، والشّيْخُ الكبيرُ العارفُ باللهِ الشهيرُ إمامُ الطريقةِ ولسانُ الحقيقةِ الشّيْخُ شهابُ الدِّينِ السَّهْرَوَرْدِيُّ، والإمامُ الرفيعُ المقامِ حُجَّةُ الإسلامِ أبو حَامِدٍ مُحَمَّدٌ الغَزاليُّ، وغيرُهُمْ مِمَّن يطولُ ذِكرُهُمْ، بلْ ويتعذّرُ حصرُهُمْ»[(١)].

هذا هو منهجُ **المُتَصَوِّفَةِ** على الرَّغْمِ مِنْ إجماعِ العُلَمَاءِ والفقهاءِ على كُفْرِ الحَلَّاجِ وقَتْلِهِ، وعلى الرَّغْمِ مِنْ نقلِهِمْ نماذجَ عديدةً مِنْ كُفريَّاتِهِ القوليَّةِ والفعليَّةِ فإنَّهم يترحمون عليهِ، ولسانُ حالِهِمْ يَلعَنُ مَنْ أَسهمَ وأفتَى وشاركَ في قتلِ إمامِهِم في الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ.

و**اليافعيُّ** يَزْعُمُ أنَّ بعضَ النَّاسِ قَدْ بالغوا في تكفيرهِ مع علمهِ بأنَّ العُلَمَاءَ والفقهاءَ هُمُ الذين حكموا عليهِ ذلك الحكمَ، ثُمَّ يَصِفُ مَنِ اعتذرَ عَنْ هذا الزِّنْدِيقِ بأنّهم مِنْ أهلِ التحقيقِ، ويُبالغُ في وَصْفِهِمْ ومَدْحِهِمْ، ويَغْلُو في مَنزلَتِهِمْ ومكانتِهم، ويُهَوِّلُ مِنْ حالِهِمْ وفَضْلِهِمْ، مُحاولًا بذلك الدِّفاعَ عَنْ هذا الزِّنْدِيقِ الكافرِ المارقِ.

وقَدْ ترجمَ لهُ مِنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ **الخوانساريُّ**، وذكرَ اعتذارَ الغَزاليِّ عَنْ أقوالِهِ، ثُمَّ قال: «ومِن جُملةِ المعتذرينَ عَنْ هفواتهِ الباطلةِ مِنْ عُلَماءِ الطائفةِ ـ يعني: الشِّيعَةَ ـ هو الخواجةُ نصيرُ المِلّةِ والدِّينِ الطُّوسِيُّ حيثُ قال: إنَّ مرادَ الحَلَّاجِ بقولِهِ: **أنا الحقُّ**؛ رفع الإنيَّةِ دونَ الإثنينيَّةِ». ثُمَّ ذكرَ عَنْ نورِ اللهِ التُّستَريِّ الشِّيعِيِّ صاحبِ كتابِ «مجالسِ المؤمنينَ» قولَهُ: «إنَّ هذا الرجلَ لما كان مِنَ الشِّيعَةِ الإمَامِيَّةِ، وكان يدعو النَّاسَ إلى نُصْرةِ أهلِ البَيْتِ، ويُبشّرُهُمْ بالفرجِ وخروجِ الصاحبِ مِنْ أرضِ طالقانَ عَمَّا قريبٍ، ويَصرِفُ وجوهَ العامَّةِ

(١) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» لليافعي (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥).

مِنْ مُتابعةِ بني العباسِ؛ اتّهموهُ بالزَّنْدَقَةِ، والخروجِ مِنَ الدِّينِ، لِيقتلُوهُ بهذِهِ الوسيلةِ»[(١)].

وها هو الدكتورُ **عَبدُ الحليم محمود** يدافعُ عَنْ قُدوتِهِ الحَلَّاجِ، جامعًا في دِفاعِهِ بَيْنَ منهجِ الصُّوفيَّةِ والرَّافِضَةِ لِيؤكِّدَ وِحدَتَهُمْ فيقولُ: «وقَدْ نَتساءلُ: فِيمَ حُوكِمَ الحَلَّاجُ وقُضِيَ عليهِ بالقَتْلِ؟ إنَّ أمرَ هذه القضيَّةِ ـ قضيَّةَ الحَلَّاجِ ـ مَعروفٌ سِرُّها، وما كان سرُّها خافيًا في يوم مِنَ الأيام، لقَدْ كان الحَلَّاجُ قوّةً جَارفةً، كان مَركزًا للجاذبيَّةِ لَا يُضارَعُ، يَلْتَفُّ حَوْلَهُ النَّاسُ أينما حَلَّ، ويسيرون معهُ أينما ارتحلَ، وكان كَكُلِّ صُوفِيٍّ يُحِبُّ آلَ البَيْتِ؛ لأنّهُ كان يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وكان آلُ البَيْتِ إِذْ ذاكَ يطمحون في أنْ تَكونَ الدّولةُ لَهمْ، وما كان بَنو العبّاسِ يَطمئنُّون إلى شخصيَّةٍ كشخصيَّةِ الحَلَّاجِ المُحِبِّ لآلِ البَيْتِ نسلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وما دامَ الحَلَّاجُ دِعَايَةً قَويَّةً تسيرُ في كُلِّ مَكانٍ، وتتّجِهُ إلى كُلِّ بَلَدٍ، فيجبُ حفاظًا على أمنِ الدّولةِ وتَحصينًا لاستقرارِها أنْ يُنَكَّلَ بالحَلَّاجِ، وما كان مَقتَلُ الحَلَّاجِ دِينِيًّا قَطُّ، كلا، وإنّما كان سياسيًّا بَحتًا».

ثُمَّ يقولُ: «إنَّ المنطقَ الصحيحَ أنْ لَا يفتي المهندسُ في أبحاثِ الأطباءِ... ومِنَ العدالةِ ألَّا يحكُمَ على هذه القِمَمِ الشامخةِ ابنِ عَرَبِيٍّ، الحَلَّاجِ، ابنِ الفارضِ مَنْ لَمْ يَبلُغْ مَداهُمْ أو يُقارِبْهُ». وذكرَ عَنْ أَحَدِ شُيوخِهِ ـ لمّا قِيلَ لهُ: إنَّ فلانًا يَطعنُ في ابنِ عَرَبِيٍّ ـ أنّهُ قال: «وهل مِنْ حِقِّ الخنافسِ أنْ تحَكُمَ على أعمالِ الأُسْدِ»[(٢)].

ثُمَّ استمرَّ **الدكتورُ الصُّوفيُّ** بهذا الأُسلوبِ الرّخيصِ ـ أسلوبِ مَنْ أَعْيَتْهُمُ الأدِلَّةُ الدّامغةُ والنُّصوصُ الساطعةُ ـ في دفاعهِ عَنْ أَئِمَّةِ الكُفْرِ

---

(١) «روضات الجنات» (٣/ ١٠٨ ـ ١١١).

(٢) «العارف بِالله أبو العَبَّاسِ المُرسي» لعبد الحليم محمود (ص: ١٤٠ ـ ١٤١).

والزَّنْدَقَةِ، مُعظِّمًا إيَّاهُمْ، وطاعنًا في **فقهاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ وعُلَمائِهِمْ وقُضَاتِهِمْ** رَحِمَهُمُ اللهُ لِذَبِّهِمْ عَنْ دِينِ اللهِ في مَوقِفِهِمْ مِنْ حَلَّاجِ الكُفْرِ والرَّفْضِ وغيرِهِ مِنَ المواقفِ.

فالحاصلُ: أنَّ الحَلَّاجَ **شيعِيٌّ** وغالٍ في تَشَيُّعِهِ بشهادةِ عُلَماءِ **الشِّيعَةِ** أنفسِهِم، والغريبُ أنّهُ على الرَّغْمِ مِنْ نَصِّ **الشِّيعَةِ** على تَشَيُّعِهِ وادّعائِهِ **البابيَّةَ** في مذهبِهِمْ؛ فإنَّ الذينَ ترجَموا لهُ مِنَ **الصُّوفيَّةِ** ومِنْ **أهلِ السُّنَّةِ** لَمْ يذكروا شَيئًا عَنْ تَشَيُّعِهِ، إلَّا مَا كانَ مِنْ قولِ **شَيْخِ الإسلام** رَحِمَهُ اللهُ المتقدّمِ[1] الذي يَدُلُّ على غُلُوِّهِ في التَّشَيُّعِ، ولكنَّ **الصُّوفيَّةَ** لَا يَأْبَهونَ بتَشَيُّعِهِ مَا دامَ في أقوالِهِ وأحوالِهِ مَا يستشهِدون بهِ على مَبادئِهِمْ وعَقائِدِهِمْ وأفكارِهِمْ، ولَا يَضرُّهُمْ كونَهُ قُتِلَ أو صُلِبَ أو حُكِمَ بكفرِهِ، وإنِ اشتهرَ ذلك عنهُ.

ومِمَّا يَدُلُّ على تَشَيُّعِهِ قولُ **القاضي عِياضٍ** رَحِمَهُ اللهُ عَنِ **ابنِ أبي الغراقيدِ** أنّهُ كان على نحوِ مذهبِ الحَلَّاجِ. وسيأتي ذكرُهُ مُفصّلًا حيثُ إنّهُ مِمَّن اشتهرَ أنّهُ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ الشِّيعَةِ المُنحرفينَ[2].

٧ ـ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَلِيٍّ السّرّاجُ الطُّوسِيُّ (ت ٣٧٨هـ)

صاحبُ أقدمِ مُؤَلَّفٍ في التَّصَوُّفِ، بَوّبَ في كتابِهِ بابًا في ذكرِ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأوردَ فيه عَنِ الجُنَيْدِ قولَهُ: «لولا أنّهُ اشتغلَ بالحروبِ؛ لأفادَنا مِنْ عِلْمِنا هذا معانيَ كثيرةً. ذاك امروءٌ أُعْطِيَ العِلْمَ اللّدُنِّيَّ، والعِلْمُ اللّدُنِّيُّ هو العِلْمُ الذي خُصَّ بِهِ الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال اللهُ تَعالَى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]»[3].

---

(١) في (ص: ٢٢٨).

(٢) تأتي ترجمته في المبحث القادم: (أعلام الشيعة وعلاقتهم بالصُّوفيَّةِ والتَّصَوُّفِ) (ص: ٢٦٥).

(٣) «اللُّمَع» للسّرّاج (ص: ١٧٩)، وقَدْ نُقِلَ نحوُ هذا القولِ عَنِ الجُنَيْدِ في عَلِيِّ بنِ =

ثُمَّ يقولُ **السّرّاجُ** مُعلِّقًا ومُقرّرًا مَا نصُّهُ: «ولأميرِ المؤمِنينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه خُصوصيَّةٌ مِنْ بَيْنِ جميعِ أصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بمعاني جليلةٍ، وإشاراتٍ لطيفةٍ، وألفاظٍ مُفردةٍ، وعبارةٍ وبيانٍ للتوحيدِ والمعرفةِ والإيمانِ والعِلْمِ وغيرِ ذلك، وخصالٍ شريفةٍ، تَعلَّقَ وتخلَّقَ بهِ أهلُ الحقائقِ مِنَ الصُّوفيَّةِ، وإنْ ذَكرْنا ذلك كُلَّهُ طالَ بهِ الكتابُ، ولكن نذكرُ مِنْ ذلك طَرفًا». ثُمَّ ذكرَ بعضَ أقوالهِ وأحوالهِ وبالغَ فيها.

ويُعقِّبُ أحيانًا بِمَا يَدُلُّ على تقديمهِ وتفضيلهِ على سائرِ الصَّحَابَةِ، فذكرَ قولَ عَلِيٍّ رضي الله عنه: «إنَّ هاهنا علم [عِلمًا] لَوْ وَجدتُ لهُ حَمَلةً». فعقّبَ عليهِ بقولِهِ: «فكان تَخصيصُهُ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ بالبيانِ والعبارةِ عَنِ التوحيدِ والمعرفةِ والبيانِ مِنْ أتمِّ المعاني وأعلَى الأحوالِ». ثُمَّ يقولُ: «ولِعَلِيٍّ رضي الله عنه أشباهُ ذلك كثيرٌ مِنَ الأحوالِ والأخلاقِ والأفعالِ التي يتعلّقُ بِهَا أربابُ القُلوبِ وأهلُ الإشاراتِ وأهلُ المواجيدِ مِنَ الصُّوفيَّةِ». وأشارَ إلى أنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه «أوّلُ مَنْ تكلّمَ في الأحوالِ والمقاماتِ»(١).

٨ ـ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ الكلاباذيُّ (ت ٣٨٠هـ)

صاحبُ كتابِ **التَّعَرُّفِ**، يقولُ في البابِ الثاني مِنْ **كتابهِ** ـ وهو البابُ الذي جعلَهُ في رجالِ الصُّوفيَّةِ مِمَّن نطقَ بعُلومِهِمْ، وعبّرَ عَنْ مَواجيدِهم، ونشرَ مَقاماتِهم ووَصَفَ أحوالَهم قولًا وفعلًا بَعْدَ الصَّحَابَةِ رِضْوانُ اللهِ عَليهِم

= أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، نقلَ عنهُ الهجويريُّ في «كشف المحجوب» (١/ ٢٧٤) قولَهُ: «شيخُنا في الأصولِ والبلاءِ عَلِيٌّ المرتضَى». ونقل عنهُ عَيْنُ القضاةِ الهمذانيُّ في رسالة «شكوى الغريب» (ص: ١٩) قولَهُ: «صاحبُنا في هذا الأمرِ المشارِ، الذي أشارَ إلَى مَا تضمنتهُ القُلوبُ، وأومأَ إلَى حقائقهِ بعدَ نبيِّنا ﷺ؛ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ». ويقولُ: «سُئِلَ الجُنَيْدُ عن عَلِيٍّ ومعرفتهِ بِعِلْمِ التَّصَوُّفِ فقال: أميرُ المؤمِنينَ عَلِيٌّ، لَوْ تفرّغَ إلينا مِنَ الحروبِ؛ لنُقِلَ عنهُ إلينا مِنْ هذا العِلْمِ مَا يقومُ لهُ القُلوبُ. ذلك امروءٌ أُعْطِيَ العِلْمَ اللّدُنِّيَّ».

(١) «اللُّمَع» (ص: ١٧٩ ـ ١٨٢).

ـ: عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العَابدِينَ، وابنُهُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَاقِرُ، وابنُهُ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ، بَعْدَ عَلِيٍّ والحَسَنِ والحُسَيْنِ ﭫ». هكذا عَدَّ الأَئِمَّةَ عِنْدَ الشِّيعَةِ حتَّى إمامَهم السادسَ(١).

وروى بسنَدِهِ إلى **مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الكتّانيِّ** الذي يَزْعُمُ أنّهُ جَرَتْ لهُ عادةٌ أنْ يرى النَّبيَّ ﷺ كُلَّ ليلةِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فيسألُهُ ويَأخذُ عنهُ الأجوبةَ، ويَزعُمُ أنّهُ رآهُ مُقبلًا عليهِ ومعه أربعةُ نَفَرٍ، ثُمَّ إنَّ الرَّسُولَ سألَهُ عنهم، فعرَفَ الأوّلَ والثاني والثالثَ وهُمْ: أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وتوقّفَ في الرّابعِ، فضربَ الرَّسُولُ على صَدْرِهِ وقال لهُ: «**قُلْ يا أبَا بَكْرٍ: هذا عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ**»(٢). ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ الرَّسُولَ آخَى بينهُ وبَيْنَ عَلِيٍّ الذي أخذَهُ بيدِهِ وطلبَ منهُ الخروجَ إلى الصَّفَا، فخرجَ معهُ على انفرادٍ، ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ استيقظَ مِنْ نومِهِ فإذا هو على الصَّفَا وقَدْ كان نائمًا في حُجرتِهِ(٣).

هكذا تَربِطُ **الصُّوفيَّةُ** نفسَها بعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ ﭬ، وتنهي سندَها وسلسلتَها إليه. وهذه المؤاخاةُ التي نقلَها **أبو بَكْرٍ الكلاباذيُّ** ضمنَ لطائفِ اللهِ تَعالَى للصُّوفيَّةِ وتَنبيهُهُ إيّاهُمْ في الرُّؤى ولطائِفِها؛ تتّفِقُ مع **الشِّيعَةِ** في جَعْلِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ مرجعَهم في مذهبِهم وتَشَيُّعِهِم.

يقولُ **ابنُ خلدون** عَنِ الصُّوفيَّةِ: «حتَّى إنّهم لما أسندوا لباسَ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ ليجعلوهُ أصلًا لطريقتِهِمْ ونِحْلَتِهِمْ؛ وَقَفُوهُ على عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ ﭬ، وهو مِنْ هذا المَعنَى أيضًا ـ أيْ: مِنِ اختلاطِ كلامِ المُتَصَوِّفَةِ بالرَّافِضَةِ وتشابُهِ عَقائِدِهم ـ وإلّا؛ فَعَلِيٌّ ﭬ لَمْ يختصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحابَةِ بنِحْلَةٍ ولَا طريقةٍ في لبوسٍ ولَا حالٍ، بلْ كان أبو بَكْرٍ وعُمَرُ ﭭ أزْهَدَ النَّاسِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأكثرَهُمْ عبادةً»(٤).

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٦).
(٢) حديثٌ موضوعٌ بلا ريب.
(٣) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١٨١ ـ ١٨٢).
(٤) «مقدمة ابن خلدون» (٢/ ٥٩٢).

٩ ـ أبو نُعَيْمٍ الأَصْبَهانِيُّ (ت ٤٣٠هـ)

ترجمَ **أبو نُعَيْم** لِعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ ﵁ في **الحِلْيَةِ**، وبالغَ في ذكرِ الرّواياتِ التي اعتمَدَها **الرَّافِضَةُ** في أحقِّيّتهِ بالإمامةِ والخلافةِ وتفضيلهِ على سائرِ الصَّحَابَةِ، ويُلْحَظُ قولُه بَعْدَ ذكرِ اسمِهِ: **كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ** و**عليهِ السَّلامُ**، وتخصيصُهُ بهما دونَ سائرِ الصَّحَابَةِ ﵃ كفعلِ الرَّافِضَةِ والغُلاةِ. وذكرَ في ترجمتهِ أنّهُ: سَيّدُ العَربِ، وأميرُ المؤمِنينَ، وسيدُ المُسلِمينَ، وقائدُ الغُرِّ المُحَجَّلينَ، وخَاتَمُ الوَصِيِّينَ، وأنّهُ بابُ الحِكْمَةِ والعِلْم، وأنّهُ مَا أنزلَ اللهُ تعالَى آيةً فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلَّا وعَلِيٌّ رأسُها وأميرُها، وأنّه أُعطِيَ تسعةَ أعشارِ الحِكْمَةِ والنَّاسُ يشتركون في جُزءٍ واحدٍ وأنّهُ عندَهُ علمُ الظَّاهرِ والباطنِ، وأنّهُ إمامُ الأولياءِ، وصاحبُ الرَّايَةِ في يوم القِيَامَةِ، وأنّهُ مفاتيحُ خَزائنِ رَحْمَةِ اللهِ. هذه الأوصافُ التي ذكرَها **أبو نُعَيْم** في عَلِيٍّ ﵁ نسبَها إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وذكرَ أيضًا **أنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَهِدَ إليهِ سبعينَ عَهدًا وخَصَّهُ بِهَا دونَ غيرِهِ**.

ثُمَّ وَصَفَ **شِيعَةَ عَلِيٍّ** بأنّهُمْ: الحُلَماءُ، العُلَماءُ، الأخيارُ، الذين يُعرفونَ بالرّهبانيَّةِ مِنْ أَثَرِ العبادةِ.

ونسبَ إلى الرَّسُولِ ﷺ قولَه: **مَنْ سَرّهُ أنْ يحيا حياتي ويموتَ ميتتي.. فليتولَّ عَلِيًّا مَنْ بعدي**. وفي رواية: .. فليُوالِ عَلِيًّا مِنْ بعدي، وليوالِ وَلِيَّهُ، ولْيَقْتَدِ بالأئِمَّةِ مِنْ بعدي؛ فإنّهم عِتْرتي، خُلِقُوا مِنْ طِينتي، ورُزِقوا فَهمًا وعلمًا[1].

---

(١) **حديثٌ موضوعٌ**؛ قال الألبَانِيُّ في «السلسلة الضَّعيفةِ والموضوعةِ» (٢/ ٢٩٨ رقم: ٨٩٤): «موضوعٌ: رواهُ أبو نُعَيْم في [الحِلْيَةِ] (١/ ٨٦) من طريقِ ابنِ أبي رَوَّادٍ عن إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ عنْ عِكْرِمَةَ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﵁ مرفوعًا. قال [أبو نُعَيْم]: «وهو غريبٌ». [ثم قال الألبَانِيُّ]: وهذا إسنادٌ مُظْلِمٌ، كلُّ مَنْ دونَ ابنِ أبي روَّادٍ مَجهولونَ... وأمّا سائرهُم فلمْ أعرفْهم، فأحدُهم هو الذي اختلقَ هذا الحديثَ الظّاهرَ البطلانِ والتّركيبِ، وفضلُ =

ثُمَّ وَصَفَ **الصُّوفيَّةَ** بأنَّهُمْ: المحقّقونَ، الموالونَ للعِتْرةِ[(١)].

إنَّ هذا المذهبَ في **عَلِيٍّ والأئِمَّةِ الإِثْنَيْ عَشَرَ** هو مذهبُ الرَّافِضَةِ وعَقيدَتُهُمْ ويلحظ على أبي نعيم أنه لم يذكر ترجمة لمعاوية ولا لعمرو بن العاص رضي الله عنهما في موافقه منه لأهل الرفض.

وقَدْ ترجمَ عُلَمَاءُ الشِّيعَةِ لأبي نُعَيْمٍ في كُتُبِهِمْ، وأَثْنَوْا عليهِ كثيرًا:

فذكرهُ **الخوانساريُّ** بالثّناءِ والتّبجيلِ، وذكَرَ مُؤلَّفَاتِهِ التي استفادَ منها **الرَّافِضَةُ** ونقلوا منها مثلَ: **حِلْيَةِ الأولياءِ، والأربعينَ في أحاديثِ المهدي، ومَنْقَبَةِ الطّاهرينَ ومَرتَبَةِ الطّيبينَ**، وما **نزلَ مِنَ القُرآنِ في أميرِ المؤمِنينَ**.

ونقلَ **الخوانساريُّ** عَنْ **سِبْطِ إمامِهِمُ المجلسيِّ** أنّهُ قالَ في «**فوائدِهِ**»: «وممّنِ اطّلعتُ على تَشَيُّعِهِ مِنْ مشاهيرِ عُلَماءِ العامَّةِ هو الحافظُ أبو نُعَيْم المُحَدِّثُ بأصبهانَ». ثُمَّ زَعَمَ **سِبْطِ المجلسيِّ** أنَّ أبَا نُعَيْم مِنْ أَجدادِ جَدِّهِ **عَلَّامةِ الشِّيعَةِ المجلسيِّ**، وأنَّ جَدَّهُ قَدْ نقلَ عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَحَدِ أَجدَادِهِ قولَهُ عَنْ أبِي نُعَيم: «هو مِنْ مشاهيرِ مُحدّثي العَامّةِ ظاهرًا إلَّا أنّهُ مِنْ خُلَّصِ الشِّيعَةِ في باطنِ أمرِهِ، وكان يتّقي ظاهرًا على وَفْقِ مَا اقتضتْهُ الحالُ، ولذا ترى كتابَهُ المسمَّى «بحِلْيَةِ الأولياءِ» يحتوي على أحاديثِ مَناقبِ أميرِ

= عَلِيٍّ رضي الله عنه أشهرُ مَنْ أنْ يُستدلَّ عليهِ بمثلِ هذه الموضوعاتِ التي يتشبَّثُ (الشِّيعةُ) بها ويُسوّدونَ كُتبَهم بالعشراتِ مِن أمثالِها، مُجادلينَ بها في إثباتِ حقيقةٍ لَمْ يبقَ اليومَ أحدٌ يَجحدُها وهي فضيلةُ عَلِيٍّ رضي الله عنه. ثُمَّ الحديثُ عزاهُ [السّيوطيُّ] في (الجامع الكبير ٢/ ٢٥٣/ ١) للرّافعيِّ أيضًا عنِ ابنِ عَبَّاسٍ. ثُمَّ رأيتُ ابنَ عساكرَ أخرجهُ في (تاريخِه ٤٢/ ٢٤٠) من طريقِ أبي نُعَيْم، ثُمَّ قال: «حديثٌ مُنكرٌ وفيه غيرُ واحدٍ منَ المجهولينَ»... [ثم قال الألبَانِيُّ]: وهذا الحديثُ مِنَ الأحاديثِ التي أوردها صاحبُ (المراجعاتِ) عَبدُ الحُسَيْنِ الموسويُّ نقلًا عَنْ (كَنْزِ العُمّالِ: ٦/ ١٥٥، ٢١٧ ـ ٢١٨) مُوهِمًا أنّه في (مُسندِ الإمامِ أحمدَ)، مُعرضًا عَنْ تضعيفِ صاحبِ (الكَنْزِ) إيّاهُ تَبعًا للسُّيوطيِّ! وكم في (المراجعاتِ) مِن أحاديثَ موضوعةٍ يُحاولُ الشِّيعيُّ أنْ يوهِمَ القراءَ صحّتَها..».اهـ. باختصارٍ وإيضاح.

(١) «حِلْيَةِ الأولياءِ» (١/ ٦١ ـ ٨٧).

المؤمِنينَ مَا لَا يُوجدُ في سائرِ الكُتُبِ، ومَدارُ علمائِنا في الاستدلالِ بأخبارِ المخالفينَ على استخراجِ الأحاديثِ مِنْ كتابهِ». ثُمَّ قال: ولمّا كان الوَلَدُ أعرفَ بمذهبِ الوالدِ مِنْ كُلِّ أَحدٍ؛ لَمْ يَبقَ شَكٌّ في تَشَيُّعِهِ. ثُمَّ قال مُختتِمًا كلامَهُ: فرَحِمَهُ اللهُ تَعالَى، وقَدّسَ سِرَّهُ، وأنعمَ عليهِ في الجنانِ مَا أرضَاه وأسَرَّهُ.

ونقلَ **الخوانساريُّ** عَنْ صاحبِ **رياضِ العُلَمَاءِ** ـ وهو مِنْ علمائِهِمْ ـ قولَهُ: «إنَّ أبَا نُعَيْم هذا كانَ مِنَ الأجدادِ العاليةِ لمولانا مُحَمَّد تقي المجلسيِّ، والمعروفُ أنّهُ كان مِنْ مُحدِّثِي عُلَماءِ العَامّةِ... والظاهرُ كونَهُ مِنْ عُلَماءِ أصحابِنا، واتِّقَائِهِ عَنِ المخالفينَ كما هو الغالبُ في أحوالِ أهلِ ذلك الزّمانِ»[(١)].

وترجمَ لهُ **عَبَّاسٌ القُمِّيُّ** في كتابهِ **الكُنَى والأَلْقَابِ**، وأثنى عليهِ بنحوِ مَا تقدمَ عَنْ صاحبِ **روضاتِ الجناتِ**[(٢)]. **فأبو نُعَيْم** مِمَّن تَعتزُّ بِهِمُ **الرَّافِضَةُ**، ويَنْسُبُونَهُ لأنفسِهِمْ ومَذهبِهِمُ المُنْحَرِفِ، ويترحّمونَ عليهِ، ويترضَّوْنَ عنهُ، ويَدعون لهُ بالخيرِ[(٣)].

١٠ ـ عَلِيُّ بنُ عُثْمَانَ الغزنويُّ الهُجْويريُّ (ت ٤٦٥هـ)

يَزْعُمُ **الهُجْويريُّ** أنَّ نسبَهُ ينتهي إلى عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ عَنْ طريقِ الحَسَنِ رضي الله عنهما[(٤)]. وذكرَ في البابِ السابعِ من كتابهِ كشف المحجوب أئِمَّةَ التَّصَوُّفِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فذكرَ عَلِيًّا بأنّهُ غريقُ بحرِ البلاءِ، وحريقُ نَارِ الولاءِ، وقدوةُ الأولياءِ والأصفياءِ، وأنَّ لهُ في هذه الطريقةِ شأنًا عظيمًا ودرجةً رفيعةً، وكان لهُ حظٌّ تامٌّ في دقّةِ التعبيرِ عَنْ أُصُولِ الحقائقِ، وأنّهُ إمامُ هذه

---

(١) «روضات الجنات» (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥). (٢) «الكنى والألقاب» (١/ ١٥٩).

(٣) رجع أبو نُعَيْم في نهايةِ أمرهِ إلى الحقِّ، انظرْ هنا: (المقدمة ص: ٣١).

(٤) «كشف المحجوب» ـ المقدمة (١/ ٤٣).

الطريقةِ في العِلْمِ والمعاملةِ[(١)].

ثُمَّ ذكرَ في البابِ الثامنِ أَئِمَّةَ الصُّوفيَّةِ مِنْ أهلِ البيتِ، وذكرَ الحَسَنَ والحُسَيْنَ وعَلِيًّا زَيْنَ العَابدِينَ ومُحَمَّدًا البَاقِرَ وجَعْفَرًا الصَّادِقَ، وهؤلاءِ تَعدُّهُم الشِّيعَةُ مِنْ أئِمَّتِهِمُ الإِثْنَيْ عَشَرَ، وقَدْ ذكرَ في أوصافِهِمْ مَا يَدُلُّ على إمامتِهِمْ للصُّوفيَّةِ في الأوصافِ والأحوالِ كقولِهِ: المشهورُ بكشفِ الحقائقِ والنُّطقِ بالدقائقِ، والحجّةُ على أهلِ المعاملةِ وبرهانُ أهلِ المشاهدةِ، وجمالُ الطريقةِ، ومعبرُ المعرفةِ. وفي أوّلِ البابِ ذكرَ أنّهُمُ اخْتُصُّوا بطهارةِ الأصلِ، وأنَّ لَهمْ قدمًا راسخةً في معاني التَّصَوُّفِ، وأنّهم قُدْوتُهُمْ[(٢)].

كذا يقولُ؛ مُشابهةً منهُ لأقوالِ **الرَّافِضَةِ** في أئِمّتِهِمْ والغُلُوِّ فيهم وفي أَصلِ خِلْقَتِهِمْ وطِينَتِهِمْ وما اخْتُصُّوا بهِ بزعمِهِمْ. كما أنّهُ يُلْحَظُ على **الهُجْويريِّ** في كتابهِ قولُهُ: **كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ** عِنْدَ ذكرهِ عَلِيًّا دونَ سائرِ الصَّحابَةِ شأنُ المبتدعةِ والرَّافِضَةِ.

وأمَّا مسألةُ ادّعاءِ انتهاءِ النَّسَبِ إلى عَلِيٍّ رضي الله عنه فهذا شأنُ أكثرِ المُتَصَوِّفَةِ، فإنّهم لَمْ يكتفوا بانتسابِهِمْ إلى عَلِيٍّ في طريقتِهِمْ وخِرْقَتِهِمْ وأسانيدِهِمْ في التَّصَوُّفِ والانحرافِ، حتَّى ازدادوا جُرأةً ووَقَاحةً في هذه الدّعوَى. ومِمَّنِ ادَّعَى منهمُ النَّسَبَ العَلَويَّ:

عبدُ القَادرِ الجيلانيُّ ت٥٦١هـ. وأَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ ت٥٧٠هـ. وأحمدُ البدويُّ ت٦٣٨هـ. وإبراهيمُ الدّسوقيُّ ت٦٧٦هـ. وعبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ ت٩٧٣هـ. وغيرُهُمْ كثيرٌ، وخَاصَّةً في المتأخرينَ مِنْ أصحابِ الطُّرُقِ ومشايخِ التَّصَوُّفِ، ذكرَ هؤلاءِ الشَّعرانيُّ في تراجمهم في **طبقاتِهِ الكبرى**.

(١) المصدر السابق (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).
(٢) «كشف المحجوب» (١/ ٢٧٥ ـ ٢٨٤).

١١ ـ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ شَيْخُ الطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ (ت ٥٧٠هـ)

يَزْعُمُ أتباعُهُ ومُرِيدُوهُ انتهاءَ نَسَبِهِ إلى بَيْتِ النُّبُوَّةِ، ويَذُبُّونَ عَنْ هذه النِّسْبَةِ المزعومةِ بشتّى وسائلِ الكَذِبِ والادِّعاءِ؛ فيَزْعُمُونَ أنَّ شيخًا كان يُنْكِرُ هذه النِّسْبَةَ، ثُمَّ رجعَ وتابَ بسببِ رؤيا مَناميَّةٍ حيثُ زَعَمَ أنّهُ رأى القِيَامَةَ، ورأى مُحَمَّدًا وفَاطِمَةَ بَيْنَ يديهِ، وأَحْمَدَ الرِّفَاعِيَّ عَنْ يمينِها، فدنا مِنْ فَاطِمَةَ واستنجَدَها، فأعرضتْ عنهُ، وقالت للرِّفاعيِّ: **يا ولَدي أحمدُ! مَا أعجبَ حالَ هذا الرَّجُلِ، يُنكِرُ نسبَكَ إِلَـيَّ ويَستنجِدُني! واللهِ! لَا نَجْدَةَ لهُ عندي إلَّا بواسطتِكَ**. فقال لهُ **الرِّفَاعِيُّ**: أُمّي هذه أدرَى بأولادِها مِنكَ. فقالتِ السّيّدَةُ فَاطِمَةُ: **الأدبَ الأدبَ مع السّيّدِ أحمدَ فإنَّهُ قطعةٌ مِنْ كبدي**[(١)].

وكذلك مَا زَعَمَهُ **الرَّوَّاسيُّ الصّيّاديُّ**[(٢)] مِنْ أنّهُ رأى رَسُولَ اللهِ ﷺ فأوصاهُ بالتّمسُّكِ بولدِهِ **أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ**[(٣)].

وليستْ هذه المزاعمُ على درجةٍ مِنَ الأهمّيَّةِ؛ لأنَّ اللهَ تَعَالَى مَا جعلَ للأنسابِ والأحسابِ وَزْنًا في ميزانِ الشَّرْعِ، ولَا سَبَبًا مِنْ أسبابِ النّجاةِ والفوزِ بالجَنَّةِ. ولكني ذكرتُ هذه المزاعمَ لأَنَّ **الصُّوفيَّةَ والشِّيعَةَ** على السّواءِ قَدْ دَأبوا على جَعْلِ الانتسابِ إلى آلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ مَحَلَّ اهتمامٍ عظيمٍ في زَعامَتِهِمُ الدّينيَّةِ وتحَكُّمِهِمْ وتَصرُّفِهِمْ في أَتْباعِهِمْ ومُريدِيهم بِمَا زعموهُ مِنْ غُلُوٍّ في كُلِّ مُنْتَسبٍ لآلِ البَيْتِ ومَا لَهُ مِنْ حُقوقٍ وخصائصَ في الدُّنيا والآخرةِ.

ثُمَّ أنَّ **الرِّفَاعيَّةَ** قَدْ غَلَوا في إمامِهِم وشيخِ طريقتِهِمْ غُلُوًّا يُكافِئُ غُلُوَّ الرَّافِضَةِ في أئِمّتِهِمْ، بلْ وشَبَّهوهُ بِهِم في ذلك الغُلُوِّ مِنْ حيثُ خِلْقَتُهُ،

---

(١) «سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين» ـ كما في كتابِ «الرِّفَاعيَّةِ» لعبدِ الرَّحْمَنِ دِمشقيَّةَ (ص: ٣٨).

(٢) انظر هنا في: (ص: ٢٤٥) ترجمة مُجدّدِ الطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ مُحَمَّد مهدي الرَّوَّاسِيِّ.

(٣) «بوارق الحقائق» (ص: ٢١٢).

وعُلومُهُ، وإحاطتُهُ بالأسرارِ، وتَصرُّفُهُ في الأكوانِ، وَكَوْنُهُ أمانًا لأهلِ الأرضِ يَدفعُ عنهم أنواعَ البلاءِ، وغير ذلك مِنْ أنواعِ الغُلُوِّ(١).

ويَعتَقِدُ **الرِّفَاعيَّةُ** كالشِّيعَةِ بإمامةِ **الأئِمَّةِ الإثْنَيْ عَشَرَ**، ويجعلون شَيْخَهُمْ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيَّ **ثالثَ عشرهِم في الإمامةِ والولايَةِ**، وهذا هو مَا يَهُمُّنا في هذا المبحثِ؛ فإنَّ مِنْ أُصُولِ طريقتِهِمْ أنَّ أَئِمَّةَ الأُمَّـةِ ـ وَارِثِي حالَ النُّبُوّةِ ـ **إثنا عشرَ إمَامًا**، وهُمْ مِنْ **عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ** إلى آخرِهِمْ ومُنتظرِهِمْ **مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ العسكريِّ**.

ويَصِفُهُمُ **الرَّوَّاسيُّ الصياديُّ الرِّفَاعِيُّ** ـ بَعْدَ ذكرِ عِلْمِهِمْ وفَضْلِهِمْ وحِكْمَتِهِمْ ـ فيقولُ: حتَّى **كأنّهم مِنْ أنبياءِ بني إسرائيلَ** عليهم السلام، ولَا زالوا مَحسُودينَ مَبغوضينَ، بغَى عَليهِم أهلُ زَمَنِهِمْ وأساؤُهُم وأهانوهم، وهُمْ بَيْنَ شهيدٍ بالسّيفِ، وشهيدٍ بالسُّمِّ، ومَكمودٍ بالغَمِّ. ثُمَّ يُبَيِّنُ مذهبَهُمْ في هؤلاءِ الأَئِمَّةِ، ويَصِفُهُ بأنّهُ المذهبُ الحقُّ، بِلَا حياءٍ ولَا خَجَلٍ، فيقولُ: فكُلُّ واحدٍ مِنهم إمامُ الآلِ في زَمَنِهِ، وصاحبُ مَرتبةِ الغوثيَّةِ المُعَبَّرِ عنها بالقُطْبيَّةِ الكبرى عِنْدَ القومِ. ثُمَّ يَذكرُهُمْ بأسمائِهِمْ كما عِنْدَ الشِّيعَةِ تَمامًا حتَّى يَصِلَ إلى **الثَّانِي عَشَرَ** فيقول: **والإمامُ مُحَمَّدٌ المهديُّ المنتظَرُ الحُجَّةُ**. ثُمَّ يقولُ: «كان بعضُ الأَجِلَّاءِ لَا يقولُ بإمامةِ هؤلاءِ الأَئِمَّةِ احترازًا مِنْ مُوافقةِ الشِّيعَةِ، فرأى رَسُولَ اللهِ ﷺ في المنامِ، فسأَلهُ عَنِ الإمامِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ، فقال: **هو ثالثُ عشر أَئِمَّةِ الهُدى مِنْ أهلِ بيتي**. ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ القولَ بإمامةِ هؤلاءِ لَا يَخرِقُ سياجَ الشَّرْعِ على مَا قرّرهُ العُلَمَاءُ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ نفعَ اللهُ بهم(٢).

ويَصِفُهُ **الرَّوَّاسُ** أيضًا بقولِهِ: قال شيخُنا بركةُ الوجودِ، ثالثُ عشر

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وكتاب «الرِّفَاعيَّة» لعبدِ الرَّحْمَنِ دِمشقيَّةَ (ص: ١٥٣ ـ ١٥٥).

(٢) «بوارق الحقائق» (ص: ١٤١ ـ ١٤٢)، و«روضة العرفان» ـ كما في هامش «بوارق الحقائق».

الأَئِمَّةِ، الإمامُ الرِّفَاعِيُّ[١]؛ تأكيدًا منهُ وإصرارًا على عقيدتِهِ الموافقةِ لعقيدةِ الشِّيعَةِ في الإمامةِ.

ولهم مع **الشِّيعَةِ** مُوافقاتٌ كثيرةٌ في مسائلَ عديدةٍ مِنْ أُمُورِ العقائدِ والعباداتِ والأخلاقِ، سيأتي ذكرُها في المباحثِ القادمةِ وسأذكرُ طرفًا منها عِنْدَ ذِكْرِ مُجَدِّدِ الطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ وعلاقتِهِ بالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وقد ترجمَ **الشِّيعَةُ لأَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ**، وذكروه بالثّناءِ والمدحِ هو وطريقتَهُ وتصوُّفَهُ، وذكروا كراماتِ الرِّفَاعيَّةِ المنتسبينَ إليه وإلى طريقتِهِ[٢].

١٢ ـ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الأندَلُسيُّ المعروفُ بابنِ عَرَبِيٍّ (ت ٦٣٨هـ)

يقولُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ: **وصُوفِيَّةُ وِحْدَةِ الوجُودِ كصاحبِ «الفصوص»، وابنِ سَبعينَ، وابنِ أبي مَنصُورٍ، وابنِ الفارضِ، والقونويِّ، وأمثالِهِمْ؛ فإنَّ قولَهُمْ وقولَ القرامطةِ[٣] مِنْ مِشكاةٍ وَاحدةٍ**[٤].

وذكرَ **الإمامُ الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ ترجمتَهُ، وذكرَ فيها عَنِ الإمامِ تَقيِّ الدِّينِ ابنِ دَقيقِ العيدِ عَنْ شَيْخِهِ ابنِ عَبدِ السَّلامِ السّلميِّ، يقولُ عَنِ ابنِ عَرَبِيٍّ: **هو شِيعِيٌّ سُوءٍ كَذَّابٌ**[٥].

أَمَّا **الكَذِبُ**؛ فإنَّ عامّةَ المُتَصَوِّفَةِ يكذبونَ فيما يَزْعُمُونَهُ لأنفسِهِمْ أوْ لِشيوخِهِمْ مِنَ الكراماتِ والعُلومِ والأحوالِ. وأمَّا **التَّشَيُّعُ**؛ فإنَّهُ يَظهرُ في

---

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ١٥٣).
(٢) «الكنى والألقاب» لعباسٍ القُمّيّ (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).
(٣) القرامطةُ: حركةٌ باطنيةٌ عسكريّةٌ، تَنتسبُ إلى حمدانِ بنِ الأشعثِ الأهوازيّ الملقّبِ بقرمط لقصرِ قَامتهِ وساقيْهِ. ظاهرُها التّشيُّع لآلِ البيتِ، والانتسابُ إلى مُحَمَّد بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ الصَّادِقِ، وحقيقتُها الإلحادُ والإباحيّةُ وهدمُ الأخلاقِ والقضاءُ على الدولةِ الإسلاميّةِ. انظر: (الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب: ١/ ٣٨١).
(٤) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص: ٨٤).
(٥) «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٥٩).

المتأخرينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ أكثرَ مِنْ مُتقدِّمِيهم، وخَاصَّةً في القرنَيْنِ الخامسِ والسّادسِ مِنَ الهجرةِ وما بعدَهُما.

وقد أوردَ **ابنُ عَرَبِيٍّ** في **فُتوحاتِهِ** أفكارًا وعَقائِدَ كثيرةً موافقةً لمذهبِ الرَّافِضَةِ ويَقْرِنُها بعقائدِ وأفكارِ الصُّوفيَّةِ؛ يقولُ في **الأئِمَّةِ** مِنْ أهلِ البيْتِ: **إنّهُ يَشهدُ لَهمْ بالطّهارةِ والحفظِ الإلٰهيِّ والعِصْمَةِ، وأنّهم عَيْنُ الطهارةِ، والمعصومون والمحظوظون، وأنّهُمُ الأقطابُ الذين لَا غِنًى للنَّاسِ عنهم بلْ يحتاجون إليهم**[1]. فهو يقولُ بقولِ الشِّيعَةِ في عِصْمَةِ الأَئِمَّةِ، ويربطُ هذه العِصْمَةَ بالحفظِ الذي هو عقيدةُ المُتَصَوِّفَةِ في شيوخِهِمْ وأئِمّتِهِمْ، **فالعِصْمَةُ الشِّيعِيَّةُ** تُقابلُ **الحفظَ الصُّوفِيَّ**.

ويقولُ في **المَهديِّ** مَا تقولُهُ **الشِّيعَةُ** مِنْ وجُودِهِ، ومواطأةِ اسمِهِ لاسمِ الرَّسُولِ ﷺ دونَ اسمِ الأَبِ، وإنَّهُ قَدْ ظهرَ بَعْدَ القرونِ الثلاثةِ المُفضّلةِ، ويَزْعُمُ أنَّ لهُ وزراءَ عارفين أطلَعَهُمُ اللهُ على الكَشْفِ وأشهدَهُمْ على الحقائقِ، **ويَزْعُمُ أنّهم مِنَ الأعاجمِ**[2]، **فليس فيهم عَرَبِيٌّ، ولكنهم لَا يتكلّمونَ إلّا بالعربيَّةِ**. ثُمَّ يقولُ: إنّهُ على شَكٍّ في مُدّةِ إقامتهِ بَعْدَ خُروجِهِ، ويَزْعُمُ كَذِبًا أنّهُ لَمْ يَطلُبْ مِنَ اللهِ تَعالَى تحقيقَ ذلك الأمرِ ولَا تعيينَ مُدّتِهِ لأنّهُ لَا يَطلُبُ مَعرفةَ حوادثِ الأكوانِ إلّا أنْ يَكونَ اللهُ تَعالَى يُعْلِمُهُ الشّيءَ ابتداءً بِلَا طلبٍ منهُ. ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ بَعْدَ خُروجِ **المهديِّ** ليس لهُ عدوٌّ مُبينٌ إلَّا الفقهاءُ؛ لِذهابِ رِئاستِهِمْ ومَنزلتِهِمْ بِزَعْمِهِ، ويَصِفُهُمْ بأنّهم قُرَناءُ الشَّيْطَانِ، وأنّهُ لولا خوفُهُمْ مِنْ سيفِ المَهْديِّ لأفتَوْا بقتلِهِ ولمَا سمِعوا لهُ ولَا أطاعوه[3].

هذه عَقيدَةُ الصُّوفيّةِ في المهديِّ، وهذا مَوقِفُهُمْ مِنَ العُلَمَاءِ والفُقهاءِ

---

(١) «الفتوحات المكية» (١/١٩٦ ـ ١٩٧). (٢) يُلاحظُ إشادته بالأعاجمِ.
(٣) المصدر السابق (٣/٣٢٧ ـ ٣٣٦).

مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، كاعتقادِ إخوانِهِمُ الرَّافِضَةِ وموقِفِهِم حذوَ القُذَّةِ بالقذّةِ.

وفي **فُصوصِهِ** يُفْصِحُ عَنْ **تَشَيُّعِهِ** بوضوحٍ فيقولُ في **الفَصِّ رقم ٢٤**: **حِكْمَةٌ إماميَّةٌ في كَلِمَةٍ هَارونيَّةٍ: هَارونُ لمُوسَى بمنزلةِ نُوَّابِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ انفصالِهِ إلى رَبِّهِ**. وفي **الفَصِّ** الذي بعدَهُ يقولُ: «**حِكْمةٌ عَلَوِيَّةٌ في كَلِمَةٍ مُوسَوِيَّةٍ**»[(١)]. يَظهرُ مِنْ هذه العباراتِ مَدَى اتّصالِهِ **بالشِّيعَةِ**، ويَسْلُكُ في بيانِ هذا الاتّصالِ وهذه العلاقةِ رُموزَ **الصُّوفيَّةِ** وغُموضَهُمْ في الإشاراتِ والعباراتِ.

١٣ ـ عبدُ الوَهَّابِ بنُ أحمدَ الشَّعرانيُّ (ت٩٧٣هـ)

أظهرَ في كتابِهِ «**الطبقاتِ**» ـ في تَراجمِ الصُّوفيَّةِ الذين ذكرَهم ـ أُمُورًا كثيرةً تَتّصِلُ وتتّفِقُ مع مذهبِ أهلِ التَّشَيُّعِ، **مِنْ أهمِّها**:

ـ أنه ترجمَ لِسبعَةٍ مِنَ الأئِمَّةِ الذين تَزْعُمُ الشِّيعَةُ إمامتَهُمْ، فذَكرَهُمُ الشّعرانيُّ في «**طبقاتِهِ**» حتَّى سابعَ الأئِمَّةِ الإثْنَيْ عَشَرَ **(وهو مُوسَى بنُ جَعْفَرٍ الكَاظِمُ)** وقال عنهُ: «**أحدُ الأئِمَّةِ الإثْنَيْ عَشَرَ**»[(٢)]. فها هو قَدْ صَرّحَ باعتقادِهِ بإمامةِ اثْنَيْ عَشَرَ إمَامًا، وأظهرَ موافقتَهُ لأهلِ الرَّفْضِ، وأَقرَّهُمْ على عقيدتِهِمْ الخبيثة في الإمامةِ.

ـ كما ذكرَ في ترجمةِ **أبي العَبَّاسِ المُرسي** مَا يُقَرِّرُ بهِ عقيدةَ **الشِّيعَةِ** في الإمامةِ، وأنّها وِرَاثَةٌ، ولَا تكونُ إلَّا لواحدٍ بَعْدَ واحدٍ. ويُقَرِّرُ أيضًا أنَّ طريقتَهُمْ **الصُّوفيَّةَ** تنتهي إلى عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ، فيذكرُ عَنْ **أبي العَبَّاسِ المُرسي** أنّهُ قال: مَا كان اثنانِ مِنْ أصحابِ هذا العِلْمِ في زَمَنٍ واحدٍ قَطُّ، إلَّا واحدًا بَعْدَ واحدٍ، إلى الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه[(٣)]. يُريدُ

---

(١) «نقش النُّصوص» (ص: ١١) ـ ضمن «مجموعة رسائل ابنِ عَرَبِي».
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣٨). (٣) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٢).

بالعِلْمِ؛ مَا تَزْعُمُهُ **الصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ** أنه مِنْ خَصائصِ أئِمّتِهِمْ وأقطابِهِمْ، وهو العِلْمُ الموروثُ الذي لَا يُكْتَسَبُ، فأَئِمَّةُ **الصُّوفيَّةِ** وأقطابُهُمْ كأَئِمَّةِ **الشِّيعَةِ** يَرِثُ الواحدُ مَنْ كان قبلَهُ، ولَا يكونُ اثنانِ في زمنٍ واحدٍ.

ويُقَرِّرُ عقيدةَ **الشِّيعَةِ** في **مُنتظَرِهِمْ المهديِّ** وأنّهُ موجودٌ؛ فيَزْعُمُ عَنْ شَيْخِهِ **حسنٍ العراقيِّ** أنّهُ اجتمعَ بالمهدي وسأَلَهُ عَنْ عُمُرِهِ، فقال: «وُلِدْتُ في أواخرِ المائتينِ مِنَ الهجرةِ، وعُمُري ستمائة سنة، وأنا مِنْ ولدِ الإمامِ الحَسَنِ العسكريِّ»[(١)].

وزَعَمَ هذا **العراقيُّ** أيضًا أنَّ **المهديَّ** قَدْ زَارَهُ وأقام عِندَهُ في دِمَشْقَ[(٢)]. ويُفصِّلُ مَا جرى بينهما أثناءَ تلك الإقامةِ، فيقولُ: فأقامَ عندي سبعةَ أيامٍ بلَيَالِيها، ولقَّنَنِي الذِّكْرَ، وقال: أُعَلِّمُكَ وِرْدِي تَدومُ عليهِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى: تصومُ يومًا وتُفْطِرُ يومًا، وتُصلّي كُلَّ ليلةٍ خمسمائةَ ركعةٍ. فقلتُ: نَعَمْ. فكنتُ أُصلّي خَلْفَهُ كُلَّ ليلةٍ خمسمائةَ ركعةٍ، وكنتُ شابًّا أمردَ حسنَ الصُّورةِ، فكان يَقولُ: لَا تَجلسْ قَطُّ إلَّا وَرائي. فكنتُ أفعلُ، وكانت عِمامتُهُ كعمامةِ العَجَمِ[(٣)]... فَلَمّا انقضتِ السّبعةُ أيام خرجَ، فَودّعتُهُ، وقال لي: يا حَسنُ! مَا وقعَ لي قَطُّ مع أحدٍ مَا وقعَ معك[(٤)].

هكذا يُقَرِّرُ مذاهبَ وعَقائِدَ التَّصَوُّفِ ويَربطُها بالتَّشَيُّعِ، فالمهديُّ مِنْ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ، يسيحُ في الأرضِ، يُلَقِّنُ النَّاسَ الذِّكْرَ والوِرْدَ، ويُبَيِّنُ وِرْدَهُ اليوميَّ مُقرِّرًا مَا تَزْعُمُهُ الصُّوفيَّةُ في أورادِها وأذكارِها مِنَ المبالغةِ في العباداتِ والغُلُوِّ فيها.

وفي ترجمةِ **الحُسَيْنِ بنِ عَليٍّ** رضي الله عنهما قَرَّرَ مَا تَزْعُمُهُ **الصُّوفيَّةُ** في عِبادَتِها للهِ

(١) «لطائف المنن» (ص: ٤٨٩ ـ ٤٩٠).
(٢) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» بهامش «الطّبقاتِ الكبرَى» (١/ ٤ ـ ٥).
(٣) لعلّه يقصدُ عمامةَ العجم مِنَ الفرس المجوس.
(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٣٩).

تَعَالَى، وأنَّ ذلك لَا يرتبطُ بخوفٍ ولَا رجاءٍ، فنسبَ إليه قولَهُ: «إنَّ عبادةَ الأحرارِ لَا تكونُ إلَّا شُكرًا للهِ، لَا خوفًا ولَا رغبةً»(١).

وقَدْ ذكرَ في **طبقاتِه** أمورًا كثيرةً مِنْ أُمُورِ العقائدِ والعباداتِ مِمَّا يتّفقُ فيهِ الصُّوفيَّةُ مع الشِّيعَةِ كالغُلُوِّ، والعُلومِ المزعومةِ، والتَّصرُّفِ في الأكوانِ، وغيرِها مِنَ القُدراتِ والخصائصِ، وسيأتي ذِكْرُ طَرَفٍ منها في المباحثِ القادمةِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى.

١٤ ـ مُحَمَّدُ مَهدي الرِّفَاعِيُّ الشّهيرُ بالرَّوَّاسِ (ت١٢٨٧هـ)

يُعتَبَرُ مُجدّدًا **للطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ**، ويَزْعُمُ الكذابُ أنّهُ رأى رَسُولَ اللهِ ﷺ فكلّمَهُ، ثُمَّ أمرَهُ قائلًا: **جَدِّدْ، جَدِّدْ، جَدِّدْ**. فقامَ فرأى الخَضِرَ فسألَهُ عَنْ تعبيرِ قولِ الرَّسُولِ ﷺ، فقال لهُ: «**الأُولى:** جَدِّدْ للأُمَّةِ أمرَ دينِها... **والثانيةُ:** جَدِّدْ طريقةَ الإمامِ السّيّدِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ فهي طريقةُ النَّبِيِّ ﷺ وطريقةُ السَّلَفِ الصّالحِ مِنْ أهلِ بيتِهِ وأصحابِهِ وتابعيهِمْ. **والثالثةُ:** جَدِّدْ طُرُقَ الصُّوفيَّةِ». ثُمَّ يقولُ: «فطِرْتُ فَرَحًا وشَبَبْتُ إلى هَامِّ العُلا طَرَبًا بإحسانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ رأى الرَّسُولَ ﷺ مرّةً أُخْرَى فقالَ لهُ مُكَرِّرًا ومُؤكِّدًا: «**يا ولدي! أنت بهاءُ الدِّينِ مَهديُّ نَبِيِّ الطاهرينَ، جَدِّدْ جَدِّدْ جَدِّدْ**». فقلتُ: رُوحي الفِداءُ لِعتبةِ بابِكَ الطّاهرِ، عَبَّرَ لي الخَضِرُ أمرَكَ هذا أكما عَبَّرَ هو؟ قال: «**نَعَمْ**». قُلتُ: دُلَّني على الطريقِ إلى اللهِ. قال: **تمسّكْ بولدي أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ وتَصِلْ إلى اللهِ، فهو سَيّدُ أولياءِ أُمّتي... وأعظمُهُمْ منزلةً، ولَا يجيءُ مثلُهُ إلى يومِ القِيَامَةِ غيرُ سَمِيِّكَ المهديِّ بنِ العسكريِّ**(٢).

بمثلِ هذا الكذبِ والهراءِ والسّاقطِ مِنَ القولِ يُقَرِّرُ **الصُّوفيَّةُ** مذاهبَهُمْ

---

(١) «الطّبقات الكبرى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣١).

(٢) «بوارق الحقائق» (ص: ٢١١ ـ ٢١٢).

وعَقائِدَهُمْ بالمناماتِ المزعومةِ. فالمناماتُ مِنْ أعظمِ أُصُولِهِمُ التي يَعتمِدُونها في بيانِ العقائدِ والعباداتِ، وكذلك في حَلِّ مَا يُواجِهُهُمْ مِنْ مُشكلاتٍ ومُعضلاتٍ. فالسُّنَنُ الثابتةُ في دِينِ اللهِ يَروْنَها بِدَعًا ومُحدثاتٍ، والبِدَعُ والمُنْكراتُ المقرَّرَةُ في مذهبِهِمْ هي عندَهم مِنْ سُنَنِ الهُدى بِمَا يَزْعُمُهُ مشايخُهُمْ مِنْ تَقريرِ النَّبيِّ ﷺ لَهمْ إيّاها في مناماتِهِمْ، أَوِ الخَضِرِ، أو بعضِ الملائكةِ، أو غيرِ ذلك مِنْ أنواعِ مصادرِهِمْ في التَّلَقِّي، وسُبُلِهِمْ في تصحيحِ النُّصوصِ وتحقيقِها ثُمَّ قَبولِها، أو بتضعيفِها ثُمَّ رَدِّها.

فهذا المُجَدِّدُ المزعومُ يُقَرِّرُ للصُّوفيَّةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمرُهُ بالتَّصَوُّفِ، ويُقِرُّهُ على الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ، كما يُقَرِّرُ لَهمْ عقيدَتَهُمْ في الخَضِرِ، والوِلايَةِ الصُّوفيَّةِ، ودَعوَى الانتسابِ إلى آلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ يَربِطُهُمْ ويُوصِلُهُمْ بِالشِّيعَةِ في عقيدتِهِمْ في مُنتظَرِهِمْ وصاحبِ سِردابِهِمُ المزعومِ.

ويقولُ **المُجَدِّدُ الهمامُ** عَنْ زيارتهِ لِمَشْهدِ **عَلِيِّ بنِ مُوسَى ثامِنِ الأئِمَّةِ المزعومين عِنْدَ الشِّيعَةِ: سيِّدُنا الهمامُ، قِبلةُ أهلِ البَاطِنِ، وَلِيُّ اللهِ، العظيمُ المنزلةِ والجاهِ، نائبُ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ**. ثُمَّ يقولُ: «إنَّ في ذلك المشهدِ انْجَلَى النّقابُ، وبرزَ لهُ الحُجَّةُ المهديُّ مِنْ بطونِ الغيابِ، فخافَ فرحّبَ بهِ **المهديُّ** قائلًا: مرحبًا بمنتظِرنا». ثُمَّ يقولُ مُفتخرًا بأنّهُ نفخَ في فَمِهِ وعَوّذَهُ بآياتٍ قُرآنيةٍ وأحاديثَ. ثُمَّ يَذكرُ طلاسمَ وكلماتٍ أشبهَ بمقالاتِ أهلِ السِّحرِ والشّعوذةِ، ويَزْعُمُ أنّهُ فَهِمَ المقصودَ فيقولُ: **وأجفرَ كلماتٍ فَهِمْتُ مِنْهُنَّ كُلَّ المقصودِ**. ثُمَّ يَزْعُمُ خروجَ **الخَضِرِ** إليهِ مِنْ جانبِ **الرُّكْنِ الأيمَنِ مِنَ المشهدِ**، وأنّهُ خاطبَهُ **بالفارسيَّةِ** وردَّ عليهِ بِهَا[(١)].

هكذا يُقَرِّرُ مَا عليهِ **الصُّوفيَّةُ الشِّيعَةُ** مِنْ تعظيمِ القُبورِ، والتَوَجُّهِ إليها

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٣١٨ ـ ٣١٩). ويُلاحظُ إشادتُهم بالعجمِ وخاصةً (الفُرس) كما تقدم وكما سيأتي.

بقصدِ البركةِ والزُّلْفى عِنْدَ اللهِ تَعالَى، كما يُقرِّرُ عقيدةَ الشِّيعَةِ في مُنتظِرِهِمْ، ويَفتَحُ للمنحرفينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ والمشعوذينَ بابَ استعمالِ الطلاسمِ وألوانِ السِّحرِ والشّعوذةِ، وكأنه يُريدُ أنَّ تلك الرّموزَ والكلماتِ المبهمةَ هي مِنْ عِلْمِ **الجَفْرِ** الذي تَزْعُمُهُ الشِّيعَةُ لأئِمَّتِها، حيثُ يُقرِّرُها في موضعٍ آخرَ فيقولُ: «إنَّ عِلْمَ **الجَفْرِ** عِلْمٌ صانَهُ اللهُ تَعالَى بآلِ النَّبيِّ الطاهرينَ، وخصَّ بهِ الأَئِمَّةَ منهم، وورّاثَ الأَئِمَّةِ مِنَ الأغواثِ الأنجابِ، والأعاظمَ مِنَ الأقطابِ... وكون هذا العِلْمُ خِزَانةَ السِّرِّ الإلٰهيِّ المستودعِ بِالنَّبيِّ ﷺ وبآلِهِ الكرامِ؛ أمرٌ متواترٌ عِنْدَ أهلِ اللهِ تَعالَى»[(١)].

ويذكرُ الْتِقَاءَهُ بأكثَرَ **الأئِمَّةِ الإثْنَيْ عَشَرَ**، وزِيارتَهُ لَهمْ في **مَشاهدِهِمْ** كما يَزْعُمُ، ونفخَ كلٍّ منهم في فَمِهِ، مُستشهدًا بِهَا أنَّها سببُ حُصولِ البركةِ والنّفعِ فيه، ومُقَرِّرًا للصُّوفيَّةِ مذاهبَ الشِّيعَةِ في تعظيمِ القبورِ، والغُلُوِّ بالأئِمَّةِ وخصائصِهِمْ حتَّى بَعْدَ مَوتِهِمْ، وأنَّ الأئِمَّةَ أحياءٌ يتصرفون، وأنَّ قبورَهُمْ ومشاهدَهُمْ تَستحقُّ التّعظيمَ لكونِها مَحَلًّا للنَّفعِ والبركةِ في الدُّنيا والآخرةِ. ويَزْعُمُ هذا المُجَدِّدُ أنَّ **عَلِيًّا الرِّضَا ثامِنَ الأئِمَّةِ** أَلْبَسَهُ **خُلْعَةَ الوَتَدِيَّةِ**[(٢)]، وأنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَلبسهُ **خُلْعَةَ القُطبيَّةِ**[(٣)]، إلى غيرِ ذلك مِنَ المزاعمِ التي يُريدُ بِهَا تعظيمَ النَّاسِ لهُ؛ لِيُعْبَدَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالَى بِتوجُّهِ النَّاسِ إليه بأنواعٍ مِنَ التّعظيمِ والتَّوسلِ وطلبِ النَّفعِ ودَفعِ الضُّرِّ منهُ.

كما أنه يَربِطُ في كتابِهِ **البوارقِ** بَيْنَ مُصطلحاتِ **الصُّوفيَّةِ** ومذاهبِهِمْ، وبَيْنَ أفكارِ أهلِ **الرَّفْضِ** والتَّشَيُّعِ ومذاهبِهِمْ.

كان هؤلاءِ الأربعةَ عشرَ نفرًا مِنَ المُتَصَوِّفَةِ الذين اشتهروا بأنّهم مِنْ أهلِ السُّنَّةِ، والحقيقةُ أنَّ منهم مَنْ هو مُتَشَيِّعٌ تَستَّرَ بالزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ، ومَنهم

---

(١) المصدر السابق (ص: ٢٨٥).
(٢) «بوارق الحقائق» (ص: ٣٢٠).
(٣) المصدر السابق (ص: ٣٧٨).

من هو مَخدوعٌ **بالتَّصَوُّفِ** جاهلٌ بِمَا يَؤولُ إليه، فسَاهَمَ في نَشرِ **التَّشَيُّعِ** بأقوالِهِ وأَحوالِهِ.

هذا، ويُوجدُ في **الصُّوفيَّةِ** غيرُ هؤلاءِ كثيرٌ مِمَّن نُقِلَتْ عنهم أقوالٌ وأفكارٌ تتّفقُ مع أقوالِ وأفكارِ **الرَّافِضَةِ**. وقَدْ ذكرَ **د. كامل مصطفى الشيبي الشِّيعِيُّ**(١) طرفًا مِنْ هذه الموافقاتِ والمقتبساتِ؛ مُحاولًا إثباتَ أنَّ الفضلَ في جميعِ العُلوم الإسلامِيَّةِ والأخلاقِ السّاميَةِ يَرجِعُ إلى **الشِّيعَةِ** وأئِمّتِهِمْ؛ لأنّهُ يَزْعُمُ أنَّ **التَّصَوُّفَ** هو رُوحُ الدّعوةِ الإسلامِيَّةِ ولُبُّ الرّسالةِ النّبويَّةِ التي هي التَّشَيُّعُ.

وهناك دراسةٌ علميَّةٌ قام بِهَا **الأستاذُ الدكتور أحمد صبحي مَنصُور** وفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى، بَيَّنَ فيها بالأدِلَّةِ التَّاريخيَّةِ والإثباتاتِ الواضحةِ قيامَ مدرسةٍ **شِيعِيَّةٍ** اتّخذتْ مِنَ **التَّصَوُّفِ** ستارًا لحقيقةِ مذهبِها ومطامعِها السياسيَّةِ، وقَدِ اشتهرتْ وما زالتْ على أنَّها **طريقةٌ صُوفِيَّةٌ سُنِّيَّةٌ**، تلك هي **مدرسةُ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ** الذي ظهرَ أمامَ العَامّةِ والحُكّامِ صُوفِيًّا، وكان يُرسِلُ البُعوثَ السِّرِّيَّةَ إلى أنحاءِ الدّولَةِ الإسلامِيَّةِ، والتي حاولتْ جهدَها إعادةَ **الحُكْمِ الفاطميِّ والمذهبِ الشِّيعِيِّ** الذي قضى عليهما **صلاحُ الدِّينِ الأيوبيُّ** رَحِمَهُ اللهُ بمصرَ سنةَ **(٥٦٧هـ)**، فأرسلَ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ **أبا الفتحِ الواسطيَّ** أنجبَ تلاميذِهِ وأشجعَهُمْ وأكثرَهُمْ ذكاءً وفِطْنةً إلى مِصْرَ لِبَثِّ الدّعوةِ والطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ، وكان لهذا التلميذِ الدورُ الكبيرُ في تأسيسِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ في مِصْرَ بَعْدَ ذلك.

وقَدْ ذكرَ **الدكتورُ أحمد صبحي** حَفِظَهُ اللهُ عَنْ **أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ** قولَهُ: «إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فتحَ بابَ الإرشادِ وسلَّمَهُ إلَيَّ، ولقَدْ قال ﷺ: **إنَّ اللهَ يَبْعَثُ**

(١) انظر: كتابه «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع»، وخاصةً الجزءَ الأوّلَ منهُ (العناصر الشِّيعِيَّةِ في التَّصَوُّفِ) في بابِهِ الثاني المتعلقِ بالزُّهْدِ والزاهدِ وأقوالِهم وأحوالِهم.

على رأسِ كُلِّ مائةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لهذه الأُمَّةِ دينَها، واليومَ ظهورُ دَولَةِ الرِّفَاعيَّةِ وطريقتِها المُرْتَضويّةِ العَلَويَّةِ. هكذا أعلنَ **الرِّفَاعِيُّ** طريقَتَهُ وتَشَيُّعَهُ، وكان يَتوقَّعُ قِيامَ دَولَةٍ شِيعِيَّةٍ في العراقِ، ولكنّ اللهَ تَعالَى فاجأَهُ وغَيْرَهُ مِنْ أهلِ الرَّفْضِ بسقوطِ دولتِهِمْ في مِصْرَ.

وذكرَ **الدكتورُ** أيضًا عَنِ **الشّيْخِ مصطفى عبد الرَّزَّاقِ** رَحِمَهُ اللهُ قولَهُ: **إنَّ الشِّيعَةَ عَقدوا مؤتمرًا في مَكّةَ بحثوا فيه حالَ الأمصارِ وكيفَ تغلّبَ عليها الأغرابُ مِنْ تُرْكٍ وسَلاجِقَةٍ وأكرادٍ، وعَمِلُوا على قَلبِ تلكَ العُروشِ وإعادةِ الدّولَةِ الإسلامِيَّةِ عَلَويَّةً قُرَشِيَّةً**. وقولَهُ: «وكان عَلِيٌّ البَدويُّ والدُ أحمدَ أحدَ أُولَئِكَ العَلَوِيّينَ الذين نَزحوا مِنَ المغربِ إلى مكّةَ بقَضِّهِمْ وقَضِيضِهِمْ، وبَيْنَ أفرادِها أحمدُ البدويُّ وهو لَمْ يتجاوزِ الحاديةَ عشرَ مِنْ عُمُرِهِ، وكان نزوحُ عَلِيٍّ البدويِّ إلى مكّةَ سنةَ (٦٠٣هـ)».

وبيَّنَ **الدكتور أحمد صبحي** جُهودَ **أبي الفتحِ الواسطيِّ** مَبعوثِ **أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ** وأخصِّ تلاميذِهِ في مِصْرَ، ثُمَّ بَعْدَ موتِهِ المفاجئِ سنةَ **(٦٣٢هـ)** اتّفقَ **العَلَويّونَ** على إرسالِ مَنْ يَنوبُ عنهُ في دَعوتِهِمُ الخبيثةِ فأرسلوا **أحمدَ البدويَّ** سنة (٦٣٧هـ)، وكان **أبو الفتحِ الواسطيُّ** قَدْ خلّفَ قَبْلَ هَلاكِهِ تلميذَهُ **عَلِيَّ بنَ عَبْدِ اللهِ الشّاذليَّ** صاحبَ **الطّريقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ** الذي واصلَ مَسيرةَ **المدرسةِ الرِّفَاعيَّةِ** حتَّى هلكَ سنةَ **(٦٥٦هـ)**، ثُمَّ تولَّى كِبْرَ تلكَ الفِتْنَةِ الشِّيعِيَّةِ **إبراهيمُ الدّسُوقيُّ** صاحبُ **الطريقةِ الدّسوقيَّةِ** والذي هلكَ سنةَ **(٦٩٦هـ)**.

وأمَّا **أحمدُ البدويُّ؛ فيقولُ عنهُ الشّيْخُ مصطفى عبد الرَّزَّاقِ** رَحِمَهُ اللهُ: «دُهِمَ العَلَويّونَ في مكّةَ بنبأِ وفاةِ أبي الفتحِ الواسطيِّ دَاعيتِهِمْ في مِصْرَ، ذلك الرجلِ المدهشِ»، ثُمَّ يقولُ: «فلَمْ يجدوا أكفأَ مِنْ **أحمدَ البدويِّ** لهذه المَهَمّةِ، فوجّهوهُ إلى **الدّيارِ المِصْرِيَّةِ**، فنزحَ إليها مِنْ **مَكَّةَ** سنةَ (٦٣٧هـ) وسكن **بطنطا**». وبيَّنَ أنَّ **الشَّاذليَّ والدّسُوقيَّ والبدويَّ** قَدْ أنشأوا **الطُّرُقَ**

الصُّوفيَّةَ التي انتشرتْ في **الدّيارِ المِصْرِيَّةِ** وما جاورَها، وهذه الطُّرُقُ ما زالتْ قائمةً وقَدْ تفرّعتْ عنها طُرقٌ كثيرةٌ إلى أيامِنا هذه.

ويُلْحَظُ على هؤلاءِ **الصُّوفيَّةِ** ـ الذين هُمْ أعمدةُ الحركةِ الشِّيعيَّةِ الصُّوفيَّةِ ـ انتماؤهُمْ لأُصولٍ مَغربيَّةٍ ممن هاجروا إلى **مَكّةَ** لِسُهولةِ الاتّصالِ والاجتماعِ في موسم الحجِّ، ثُمَّ انتقلتْ إلى **العراقِ** واتخذتْ منها مركزًا ومُنطلقًا إلى بقيَّةِ الأمصارِ وخَاصَّةً بَعْدَ سُقوطِ دولتِهِمُ **الفاطميَّةِ**. **فأَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ** هاجرَ جَدُّهُ مِنَ **المغربِ** إلى **مَكَّةَ** ومنها إلى **العراقِ**. **وعَلِيٌّ الشّاذليُّ** كان مَوْلِدُهُ في مدينةِ **سبتة المغربيّةِ**، ثُمَّ سافرَ إلى **العراقِ** والْتَقَى بالواسطيِّ، ثُمَّ رحلَ إلى **مِصْرَ**. **وأحمدُ البدويُّ** هاجرَ بهِ أبوهُ مِنْ مدينةِ **فاس المغربيَّةِ** إلى **مَكَّةَ** ثُمَّ إلى **العراقِ** ثُمَّ إلى **مِصْرَ**، ومَعلومٌ أنَّ **المغربَ** كان مَوطنَ **الدّولةِ الفاطميَّةِ** ومنشأَها. وأمَّا **الدّسُوقيُّ** فإنَّهُ مِصْريُّ المولدِ والمنشأِ، ولكنه حفيدُ **الواسطيِّ**؛ فأُمُّهُ هي فَاطِمَةُ بنتُ أبي الفتحِ الواسطيِّ، وهو تلميذُ الشّاذليِّ واحتَلَّ مكانَهُ بَعْدَ وفاتِهِ.

ويَزْعُمُ هؤلاءِ أنَّ انتقالَهُمْ مِنْ مكانٍ لآخرَ إنَّمَا كان بإلهامٍ أو رؤيا تأمرُهُمْ بالرّحيلِ والانتقالِ. **فالشّاذليُّ** ادّعَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أمرَهُ في المنامِ أنْ ينتقلَ إلى **الديارِ المِصْرِيَّةِ** وادَّعَى **والِدُ أحمدَ البدويِّ** أنَّ هاتفًا أمرَهُ في منامِهِ بالرّحيلِ مِنَ **المغربِ** إلى **مَكَّةَ**. ثُمَّ ادَّعَى **أحمدُ نفسُهُ** أنّهُ أُمِرَ في مَنامِهِ بالرّحيلِ إلى **أُمِّ عَبيدةَ مركزِ الرِّفَاعيَّةِ** فجاءَها وزارَ قَبْرَ الرِّفَاعِيِّ والجيلانيِّ والحَلَّاجِ وغيرِهِمْ. ثُمَّ يَدَّعي كاذبًا أنَّ هاتفًا قال لهُ في منامِهِ: **قُمْ يا همامُ! وسِرْ إلى طندتا**(١)؛ أيْ: أنّهُ بَعْدَ أنْ فَهِمَ الدورَ وحَفِظَ المَهمّةَ مِنْ **مدرسةِ أُمِّ عَبيدَةَ الرِّفَاعيَّةِ** الكائنةِ **بالعراقِ**؛ انطلقَ إلى **مِصْرَ** لِيخْلُفَ **أبا الفتحِ الواسطيَّ**.

ويُعلّقُ الصُّوفِيُّ **عبدُ الحليمِ محمود شيخُ الأزْهَرِ** على هذا الموضوعِ

---

(١) ويقال: طنطا، وهي بلدةٌ في الوجه البحريّ مِنَ الدّيارِ المصريّةِ.

فيقولُ: أولياءُ اللهِ لَا يتصرّفونَ بأنفسِهِمْ، إنّهم ـ وقَدْ أسلموا نفوسَهُمْ للهِ ـ لَا يتصرّفونَ إلَّا بتوجيهٍ منهُ سُبْحانَهُ، ولَا يعملونَ إلَّا بإذنِ اللهِ تَعَالَى، وقَدْ يكونُ هذا التّوجيهُ أو هذا الإذنُ رؤيا يراها الوَلِيُّ، أو يكونُ إلهامًا، أو يكونُ انشراحَ صدرٍ بسببِ الاستخارةِ يَمُرُّ بِهَا الوَلِيُّ. ثُمَّ يستدلُّ بِقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]. يستدلُّ بهذه الآياتِ الكريمةِ على أنَّ الملائكةَ تَتحدّثُ مع أولياءِ اللهِ بنَصِّ القُرآنِ(١).

وقَدْ كتبَ **عبدُ الحليم** كتابَهُ هذا عَنْ **سَيِّدِهِ البدويِّ** بَعْدَ أنْ أذنَ لهُ سَيِّدُهُ بالكتابةِ عنهُ، حيثُ يقولُ: إنَّهُ ذهبَ مُتعمِّدًا إلى **طنطا** شَادًّا رِحالَهُ؛ ليستأذنَ **سيِّدَهُ** في الكتابةِ عنهُ، ولمّا جاءَهُ الإذنُ بدأَ الكتابةَ في المقصورةِ المباركةِ بزعمِهِ. هكذا أضلَّهُ اللهُ وأعمَى بصيرتَهُ، فكان يتخبّطُ في ضلالاتِ التَّصَوُّفِ والشِّرْكِ.

ويُلْحَظُ أيضًا على **أعمدةِ الحركةِ الشِّيعيَّةِ الصُّوفيَّةِ** ادّعاؤهُمُ **النَّسَبَ العَلَويَّ**:

ـ **فالرِّفَاعِيُّ**، و**الشّاذليُّ**، و**الدّسُوقيُّ**، و**البدويُّ**؛ عَلَويّونَ.

ـ و**الدّسُوقيُّ**، و**البدويُّ**؛ يُثْبِتونَ في أَجدادِهِمْ **تسعةً** مِنْ مجموعِ الأئِمَّةِ الإِثْنَيْ عَشَرَ.

كان ما تقدّم بعضَ مَا ذكرَهُ **الأُستاذُ الدكتور أحمد صبحي** وفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى في **دراستهِ التَّاريخيَّةِ** التي كشفَ فيها عَنْ حقيقةِ **الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ**، وأعلامِها، ومَدَى اتّصالِهِمْ **بِالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ**(٢).

(١) «أحمد البدوي» للدكتور عبد الحليم محمود (ص: ٥٢ ـ ٥٣).

(٢) انظر: الفصل الأوّلَ مِن كتابِ «البدوي بين الحقيقة والخرافة» للأستاذ الدكتور أحمد صبحي مَنصُور. الأستاذ بقسم التاريخ جامعة الأزهر.

المبحثُ الثالثُ

الشِّيعَةُ وعلاقتُهُمْ بِالتَّصَوُّفِ

تمهيد

قَبْلَ ذِكْرِ بعضِ **رِجالِ الشِّيعَةِ وذِكْرِ تَصَوُّفِهِمْ**؛ أذكرُ **أربعةَ أعلام** ممن تَزْعُمُ **الشِّيعَةُ** أنّهم مِنْ أئِمَّتِهِمُ **الإِثْنَيْ عَشَرَ** الذين ارتبطتْ أَسماؤُهُمْ بالتَّشَيُّعِ والرَّفْضِ وأهلِهِ وهُمْ بُرءَاءُ منهم ومِنْ مَذهبِهِمْ. حيثُ اعتبرَ **الشِّيعَةُ** هؤلاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ والدُّنيا، وزَعموا أنَّ إمامتَهُمْ وخلافتَهُمْ مَنصُوصٌ عليها مِنَ اللهِ تَعَالَى، وغَلوْا فيهم غُلُوًّا عظيمًا فأضافوا لَهمْ مِنَ الصِّفاتِ والقُدُراتِ مَا يفوقُ القُدُراتِ البشَرِيَّةَ، ورَفعوهُمْ بِهَا على مَقاماتِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وخَصُّوهُمْ ببعضِ مَقاماتِ الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ.

وكما هي العادةُ؛ فلَمْ يَنْسَ **الصُّوفيَّةُ** نَصيبَهُمْ مِنْ هؤلاءِ الأَعلامِ، فأخذوا بِحَظٍّ وَافرٍ مِنَ التَّشَيُّعِ في الانتسابِ إليهم، ونَهجُوا فيهم مَنْهجَ أَسيادِهِمْ وأَسَاتِذَتِهِمُ الرَّافِضَةِ في الغُلُوِّ، ورُبَّمَا فَاقُوهُمْ في جَوانِبَ.

إنَّ **الرَّافِضَةَ والصُّوفيَّةَ** ادَّعوا نِسْبَةَ بعضِ أَعلامِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ والتابعينَ إليهم كَذِبًا وزُورًا؛ تَغريرًا للعَامَّةِ، وتمويهًا عَليهِم بأنّهم على مَا كان عليهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وأنَّ مَذاهبَهُمْ وأفكارَهُمْ مُتّصِلَةٌ بهذا الدِّينِ ورجالِهِ الأوائلِ. لذلك فإنّي أذكرُ هؤلاءِ الأعلامَ **الأربعةَ** في هذا المبحثِ، وأذكرُ بعضَ الأقوالِ التي نُسِبَتْ إليهم زُورًا وظُلمًا مِمَّا لها علاقةٌ بمذاهبِ المُتَصَوِّفَةِ وعَقائِدِهِمْ وأفكارِهِمْ، وإلّا فهم ـ رَضِيَ اللهُ عنهم ورَحِمَهُمُ ـ ليسوا مِنَ **الشِّيعَةِ** ولَا مِنَ **الصُّوفيَّةِ** الأدعياءِ الكَذَبَةِ.

• **أوّلُ هؤلاءِ الأعلامِ: الصَّحَابيُّ الجليلُ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه المعدودُ أوّلَ الأئِمَّةِ الاثْنَيْ عَشَرَ عندَ الشِّيعَةِ:**

ذَكَرَهُ **الصُّوفيَّةُ** في طَبَقَاتِهِمْ ومُؤلَّفَاتِهِمْ على أنّهُ مِنْ أئِمَّتِهِمْ في المذْهَبِ، ومِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ الأوائلِ. فذكرَهُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**[١]، **وأبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ**[٢]، **وأبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ**[٣]، **وعَلِيُّ بنُ عُثْمَانَ الهُجْويريُّ**[٤]، **وعبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ**[٥]، **وأبو الفيضِ محمودٌ المنوفيُّ**[٦]. فكلُّ هؤلاءِ وغيرُهم أيضًا ترجموا لهُ على أنّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ، فوصفوهُ بعباراتِهِمْ وإشاراتِهِمْ، وكَذَبُوا لهُ وعليهِ كثيرًا رضي الله عنه. فزعموا أنّهُ خُصَّ دونَ غيرِهِ بِمَعَانِ وإشارَاتِ التَّصوُّفِ، وأنّهُ أولُّ مَنْ تكَلَّمَ في عُلومِهِمْ وأحوالِهِمْ ومَقامَاتِهِمْ، وعَبَّرَ عَنْ مَواجيدِهِمْ وأُصُولِ حَقائِقِهِمْ وتَوحيدِهِمْ ومَعارِفِهِمْ، حتَّى أصبحَ سِيّدًا للقومِ وإمَامًا لَهمْ في العِلْمِ والمعاملةِ، ومُتَعَلَّقًا لأهلِ الإشاراتِ والمواجيدِ. وزَعَمَ الشَّعرانيُّ أنّهُ «كان يرقعُ قَميصَهُ ويقولُ: إنَّ لبسَ المرقَّعِ يُخْشِعُ القَلْبَ»[٧].

وكما أنَّ **الشِّيعَةَ** اصطنعوا أحاديثَ كثيرةً في فَضائِلِهِ ومكانتِهِ، وغَلَوْا فيه غُلُوًّا كبيرًا حتَّى رفعوهُ عَنْ مستوى البشريَّةِ، وبالغَ بعضُهُمْ في غُلُوِّهِ حتَّى جعلوهُ أَعْلَى وأعظمَ قَدْرًا مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وتمادَى فريقٌ منهم في الكُفْرِ والضلالِ بِمَا أضافوهُ إليه مِنَ الصِّفَاتِ والخصائصِ الإلٰهيَّةِ؛ فقَدْ تلقَّفَ **الصُّوفيَّةُ** أكثرَ هذه النُّصوصِ بالقَبولِ والتّسليمِ، ونهجوا في هذا الصَّحَابيِّ الجليلِ المنهجَ ذاتَهُ، فجعلوهُ رضي الله عنه مُستندَ طريقتِهِمْ في لبسِ **خِرْقَتِهِمُ**

---

(١) «اللُّمَع» (ص: ١٩٧).
(٢) «التَّعرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٦).
(٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ٦١).
(٤) «كشف المحجوب» (١/ ٢٧٣).
(٥) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٩).
(٦) «جمهرة الأولياء» (٢/ ٢٧).
(٧) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٢٠).

المزعومةِ، ونسبوا إليه سَلاسِلَ تَصَوُّفِهِمُ المُبْتَدَعَةَ، وجعلوهُ مُنْتَهى نِحْلَتِهِمُ المُنحرفةِ.

فيدَّعونَ أنّهُ أَلْبَسَ **الحَسَنَ البَصْرِيَّ** تلكَ **الخِرْقَةَ** بيدِهِ، وهكذا فعلَ **الحَسَنُ** معَ مَنْ بعدَهُ. وهُمْ يتوارثونَ هذه **البِدْعَةَ** ويَزْعُمُونها سُنَّةً قديمةً؛ يقولُ **ابنُ خلدونَ** رَحِمَهُ اللهُ: «حتَّى إنَّهُمْ لما أسندوا لِبَاسَ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ ليجعلوهُ أصلًا لطريقتِهِمْ ونِحْلَتِهِمْ رَفَعُوهُ إلى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»[(١)]. ويقولُ **مُحَمَّد معصوم الفارسيُّ الصُّوفِيُّ الشِّيعِيُّ**: «**لَا بُدَّ لِكُلِّ سِلسلةٍ مِنْ سَلاسلِ التَّصَوُّفِ ـ مِنَ الأزلِ إلى الأبدِ، ومِنْ آدمَ إلى انقراضِ الدُّنيا ـ أنْ تَكونَ مُتَّصِلةً بسيّدِ العالمينَ وأميرِ المؤمنين**»[(٢)]. هكذا بلغَ بِهِمُ الغُلُوُّ والانحرافُ حتَّى أعْمَاهُمْ عَنْ أدنى مستوياتِ العقلِ والواقعِ.

لَقَدْ غَلَوْا في عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا الغُلُوَّ؛ لِما زَعمُوهُ مِنِ اختصاصهِ بِعُلومٍ دونَ غيرهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وأنّهُ كان أزهدَ الصَّحَابَةِ كما نَصَّ على ذلك **أبو طَالِبٍ المَكِّيُّ**[(٣)].

وقَدْ رَدَّ شَيْخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ هذه المزاعمَ في مَعرضِ رَدِّهِ على الرّافضيِّ المُتَصوِّفِ **ابنِ المُطَهِّرِ الحِلِّيِّ** بأنَّ **الحَسَنَ البَصْرِيَّ** لَمْ يَجتمعْ بِعَلِيٍّ فَضلًا عَنْ مُصَاحَبَتِهِ؛ فقَدْ وُلِدَ **الحَسَنُ** لسنتينِ بَقيتَا مِنْ خلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان أيامَ وجودِ **عَلِيٍّ** بالكُوفةِ صَبِيًّا لَا يُعرَفُ ولَا يُذْكَرُ[(٤)]. كما رَدَّ **شَيْخُ الإسلام** أيضًا على زَعْمِ **الرَّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ**؛ بأنَّ عَلِيًّا كان أزهدَ الصَّحَابَةِ بقولِهِ: «**أزهدُ النَّاسِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الزُّهْدَ الشَّرعِيَّ: أبو**

---

(١) المقدمة (٢/ ٥٩٢).

(٢) «طرائق الحقائق» لمعصوم شاه (١/ ٢٥١) كما نقله عنهُ عَنِ الفارسيّةِ الشّيْخُ إحسَان إلَهي ظَهير رَحِمَهُ اللهُ في كتابِ «التَّصَوُّفِ» (ص: ١٥٢).

(٣) «قوت القُلوب» (١/ ٢٦٧).

(٤) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٨/ ٤٣).

بَكْرٍ وعُمَرُ»[١]. وذكرَ الأدِلَّةَ الكثيرةَ مِنْ سيرةِ الخُلَفاءِ وبيانِ زُهْدِهِمْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمْ جميعًا.

وقَدْ نسبَ الصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ إلى عَلِيٍّ ﵁ أقوالًا كثيرةً؛ بُغْيَةَ تأييدِ بَاطِلِهِمْ وتزيينِهِ وترويجِهِ على النَّاسِ، فمِن ذلك:

ما نَسبهُ **الشِّيعِيُّ الصُّوفِيُّ الخوانساريُّ** - كاذبًا - إلى **عَلِيٍّ** ﵁ في تعريفِ التَّصَوُّفِ، بأنَّهُ قال: «**التَّصَوُّفُ: مَنْ لَبَسَ الصُّوف على الصَّفَا، وأطعمَ الهوى طعمَ الجفا، وكانتِ الدُّنيا منهُ على القَفا، واستوى عندَهُ الذّهبُ والحجَرُ والفِضّةُ والمدرُ، وإلَّا فالكلبُ الكوفيُّ خيرٌ مِنْ أَلْفِ صُوفِيٍّ**»[٢]. وليسَ أدَلّ على كَذِبِ هذا النّاقلِ مِنْ ركّةِ العِبارةِ وقُبْحِ العُجْمَةِ وسُوءِ اللّفْظِ، مِمّا يَبرّأُ منهُ مَنْ هو دونَ عَلِيٍّ ﵁.

ونسبوا إليه - ﵁ كاذبينَ - قولًا يَصِفُ العبادةَ التي اعتمدَها الصُّوفيَّةُ فيما بَعْدُ فزعموا أنّهُ قال: «**مَا عَبدْتُك خَوفًا مِنْ نَارِك ولَا طَمَعًا في جَنَّتِك، ولكنْ وجدتُكَ أهلًا للعبادةِ فعبدْتُكَ**»[٣]. لقدِ اعتمدَ **الصُّوفيَّةُ** هذه المقالةَ؛ فأصبحوا كما يَزْعُمُونَ لَا يَسألونَ اللهَ تَعالَى الجَنَّةَ، ولَا يستعيذونَ بهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ.

كما نسبوا إليه ﵁ عُلومًا خَاصَّةً خَصَّهُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ بِزَعْمِهِمْ، ويُريدونَ بذلك تَأصيلَ عُلومِهِمُ الفاسدةِ وأحوالِهِمُ الشَّيْطَانيَّةِ، وتسويغَ شَطَحَاتِهِمْ وزَندقَتِهِمْ، فمِن ذلك:

▪ يقولُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**: «**خُصَّ النَّبِيُّ ﷺ بعُلوم ثَلاثٍ: عِلْمٌ بُيِّنَ للخَاصَّةِ والعَامَّةِ** وهو عِلْمُ الحُدُودِ والأمْرِ والنَّهْيِ، **وعِلْمٌ خُصَّ بِهِ قَومٌ مِنَ**

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٤٧٩).

(٢) «روضات الجنات» للخوانساري (٣/ ١٣٠).

(٣) «عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدّينيَّة» (٢/ ١١)، و«الأنوار النُّعْمَانيَّة» (١/ ١٣٩).

الصَّحَابَةِ دونَ غيرِهِمْ». ثُمَّ ذَكَرَ حُذَيفةَ ﷺ: وعِلْمَهُ بالمنافقينَ وأحوالِهم، ثُمَّ قال: وكذلك مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ بنِ أبِي طَالِبٍ ﷺ أنّهُ قال: «**عَلَّمَني رَسُولُ اللهِ ﷺ سبعينَ بابًا مِنَ العِلْمِ لَمْ يَعْلَمْ ذلك أَحدٌ غيري**». ثُمَّ يُعَلِّقُ في نهايةِ حديثِهِ عَنْ تقسيمِ العُلومِ فيقولُ: «**فمِنْ أجلِ ذلك قُلْنَا لَا ينبغي لأحَدٍ أنْ يَظُنَّ أنَّهُ يحوي جميعَ العُلومِ حتَّى يُخَطِّئَ برأيِهِ كلامَ المخصوصينَ ويُكَفِّرَهُمْ ويُزَنْدِقَهُمْ، وهو مُتَعَرٍّ مِنْ مُمارسةِ أحوالِهِمْ ومُنازلةِ حَقائقِهِمْ وأعمالِهِمْ**»[(١)].

■ وهذا **عَبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ** ـ الذي بلغَ المنتهى في نَقْلِ الكَذِبِ والوَضْعِ واختراعِ القَصَصِ والرّواياتِ التي ظَنَّ أنَّها مُنفِّقَاتٌ لبضاعتِهِ وصُوفيَّاتِهِ ـ يقولُ فيما نَسبهُ إلى **عَلِيٍّ** ﷺ: «**عِندي مِنَ العِلْمِ الذي أَسَرَّهُ إليَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا ليس عِنْدَ جِبْرِيلَ ولَا ميكائيلَ**»[(٢)]؛ لأنّهُ بزعمِهِ لمَّا لَقَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِّكْرَ خَلَعَ عليهِ جميعَ عُلُومِ **لَا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ** التي هي عُلومُ الشّريعةِ، حتَّى صارَ بعدِ التَّلْقِينِ لَا يَجهلُ شَيئًا مِنْ أحكامِ الشّريعةِ، ويستغني عَنْ سؤالِ النَّاسِ، وعَنِ النّظَرِ في كِتابِ اللهِ تَعالَى. **ثُمَّ يَزْعُمُ هذا الضَّالُّ المُضِلُّ أنَّ شَرْطَ تَلْقينِ الذِّكْرِ عِنْدَهُمْ على هذا**. فكلُّ شَيْخٍ يُلَقِّنُ مُريدَهُ؛ يَخلعُ عليهِ هذه الحالَ، فيصيرُ مُستغنيًا عَنْ سؤالِ النَّاسِ، وعَنِ النّظَرِ في كِتابِ اللهِ تَعالَى. هذا مَا يُريدُهُ **المُتَصَوِّفَةُ** مِنْ صَدِّ النَّاسِ عَنْ كِتابِ اللهِ تَعالَى، بل وعَنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ لأنّها داخلةٌ ضِمْنًا وإنْ لَمْ يَنصُّوا عليها.

■ ويقولُ **المنوفيُّ**: «**وأمَّا عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ؛ فذاك مدينةُ العِلْمِ، وأوّلُ آخِذٍ لبَيْعَةِ الطريقِ ـ طريق الأولياءِ ـ، وأوّلُ مُلَقَّنٍ بالذِّكْرِ والسِّرِّ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ**»[(٣)].

---

(١) «اللُّمَع» (ص: ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

(٢) «دُرَر الغَوَّاصِ» للشَّعْرَانِيِّ ـ بهامش «الإبريز» للدباغ (ص: ٧٣).

(٣) «جمهرة الأولياء» للمنوفي (١/ ١٢٢).

هكذا يكذبون على اللهِ تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ وعلى سَلَفِ الأُمَّةِ؛ صيانةً لمذهبِهِمْ وحفاظًا على أرواحِهِمْ مِنْ مُعارضةِ العُلَمَاءِ لَهمْ والإنكارِ عَليهِم والحُكْمِ بِزَنْدَقَتِهِمْ وكُفْرِهِمْ، لِيَسْلَموا مِنْ عَدالةِ القضاءِ وإقامةِ الحُدودِ عَليهِم كما حصلَ لكثيرٍ منهم.

هذا، وإنَّ كلامَ **الصُّوفيَّةِ** حَوْلَ هذا **الصَّحَابيِّ الجليلِ** كثيرٌ جدًّا؛ فكُتُبُهم مليئةٌ بِالنُّصوصِ التي تَفوحُ بالغُلُوِّ فيه وفي عِلْمِهِ وأحوالِهِ وأوصافِهِ، شأنُهُمْ في ذلك شأنُ إخوانِهِمُ **الرَّافِضَةِ**.

وفيما أَوردْتُهُ كفايةٌ وبيانٌ لاتّخاذِ **الصُّوفيَّةِ عَلِيًّا** رضي الله عنه أساسًا في طريقتِهِمْ، ورأسًا في مذهبِهِمْ، ومنتهًى لِعُلومِهِمْ وأحوالِهِمْ، بلْ وحتَّى تُرَّهَاتِهِمْ وشَطَحَاتِهِمْ. وكذلك فعلَ **الشِّيعَةُ الرَّافِضَةُ** مِنْ قَبْلُ، **فجعلوهُ إمامَ مَذهبِهِمْ ونِحْلَتِهِمْ، وكلا الفريقيْنِ مُدَّعٍ كَذّابٌ؛ فلا الصُّوفيَّةُ ولَا الرَّافِضَةُ الشِّيعَةُ قَدِ ائْتَمُّوا بهِ حَقَّ الائتمامِ، ولَا اقتدوا بهِ حقَّ الاقتداءِ**، ولكنّهم - قَبَّحَهُمُ اللهُ - زَعَمُوهُ إمَامًا لَهمْ، ثُمَّ وَضعوا أُصولَهُمْ وأفكارَهُمُ الخبيثةَ، ولَمْ يَتورّعوا عن نسبتِها وإضافتِها إليه، على الرَّغْمِ مِنْ مخالفتِها لِنُصُوصِ الشَّرْعِ الصّحيحةِ والصّريحةِ، ومعارضتِها للعقلِ والواقعِ.

وقَدْ تقدمَ في **المبحثِ الثاني** مِنْ هذا الفصلِ طَرفٌ مِنْ أقوالِ أئِمَّةِ **التَّصَوُّفِ** في هذا الصَّحَابيِّ الجليلِ رضي الله عنه، كما سيأتي **خلالَ هذا البحثِ** كثيرٌ مِنْ أقوالِهِمْ وأقوالِ أَئِمَّةِ **الرَّفْضِ** فيه؛ مِمَّا يَدُلُّ على غُلُوِّهِمْ فيه، وكَذِبِ الانتسابِ إليه.

- **وثاني هؤلاءِ الأعلامِ هو: عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ** رحمه الله، **المُلَقَّبُ بزَيْنِ العَابدِينَ، والمعدودُ رابعَ الأئِمَّةِ الاثْنَيْ عَشَرَ عندَ الشِّيعَةِ.**

ذكرهُ **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** على أنّهُ «مِنْ رِجَالِ الصُّوفيَّةِ مِمَّن نطقَ بِعُلومِهِمْ، وعَبّرَ عَنْ مَواجيدِهِمْ، ونشرَ مَقاماتِهِمْ، ووَصَفَ أحوالَهَمْ قَولًا

وفِعلًا»[(١)]. كما ترجمَ لهُ **أبو نُعَيْم** وعدَّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ[(٢)]. وذكرهُ **الهُجْويريُّ** في أَئِمَّةِ الصُّوفيَّةِ مِنْ أهلِ البيْتِ، وأنّهُ وَارِثُ النُّبُوّةِ، وسراجُ الأُمَّةِ، زَيْنُ العُبَّادِ، وشَمعُ الأوتادِ، وأنّهُ كان أَكْرَمَ وأَعْبَدَ أهلِ زَمانِهِ، مَشهورًا بكشفِ الحقائقِ والنُّطْقِ بالدّقائقِ[(٣)]. وكذا عَدَّهُ **الشَّعرانيُّ** وترجمَ لهُ[(٤)]، **وأبو الفيضِ المنوفيُّ**[(٥)].

وقد بالغَ **الصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ** في ذِكْرِ عِبادتهِ وأذكارهِ وحتَّى طهورِهِ، وكذبوا عليهِ كثيرًا؛ ليجعلوا منهُ مِثالًا وقُدوةً في غُلُوِّهِمْ في عباداتِهِمْ وصلواتِهِمْ وأذكارِهِمْ التي اشتهروا بِهَا بَيْنَ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، **حتَّى إنَّ ساعاتِ اللّيلِ والنّهارِ لَا تكفي لاستغراقِ مَا حَدَّدُوهُ مِنْ أعدادٍ في الرّكعاتِ والأذكارِ التي تفوقُ العقلَ والمنطقَ وحتَّى الخيالَ.**

وهذه حيلةٌ منهم لإشغالِ المبتدئينَ مِنَ المُريدينَ الدّاخلينَ في سلكِ تلكَ المذاهبِ، واستغراقِ أوقاتِهِمْ بقصدِ صَدِّهِمْ عَنِ العِلْمِ وطَلبهِ ومُجالسةِ العُلَمَاءِ، بحُجّةِ أنَّ العملَ بطقوسِهم أولَى وأفضلُ؛ لإبقائِهِمْ في جَهالاتِهِمْ وضَلالاتِهِمْ، يَتخبّطون في الظُّلماتِ، لَا يَعرفون مَعروفًا، ولَا يُنكِرون مُنكرًا، ولَا يُفرّقون بَيْنَ السُّنَّةِ والبِدْعَةِ، وبَيْنَ الهُدَى والضَّلالِ، ولَا يَعلمونَ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ إلَّا مَا تُمْلِيهِ عَليهِم أساطينُ الضَّلالِ.

وإنَّ مِمَّا زَعَمُوهُ في **زَيْنِ العَابدِينَ**؛ أنّهُ كان يُصَلِّي في كُلِّ يَومٍ وليلةٍ أَلْفَ ركعةٍ[(٦)].

ونسبوا إليه قولًا يَصِفُ به عِبادتَهُ وأحوالَ العُبَّادِ، قال: «**إنَّ قومًا**

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٦).

(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (٣/ ١٣٣).

(٣) «كشف المحجوب» (١/ ٢٧٨).

(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣١).

(٥) «جمهرة الأولياء» (٢/ ٧١).

(٦) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣٢)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٠٥)، و«الصواعق المحرقة» (ص: ٣٠٢).

عَبدوا اللهَ رهبةً فتلك عِبَادَةُ العَبيدِ، وآخرين عَبدوهُ رَغبةً فتلك عِبادةُ التُّجَّارِ، وقومًا عبدوا اللهَ شُكرًا فتلك عِبادةُ الأحرارِ»[1]. وفي لفظٍ آخرَ نَسبهُ إليه الشَّعرانيُّ: «**عِبادةُ الأحرارِ لَا تكونُ إلَّا شُكرًا للهِ، لَا خوفًا ولَا رغبةً**»[2]. إنَّهُمْ يُريدونَ بهذه الأكاذيبِ نَزْعَ عبادةِ **الخوفِ والرّجاءِ** مِنْ قُلوبِ العِبَادِ كأصلٍ من أُصولِ مَذهبِهِمْ في علاقتِهِمْ مع اللهِ تَعَالَى. وقَدْ عَلِمَ أهلُ الإسلامِ والإيمانِ عَامَّةً أنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ تَعَبَّدَ خَلْقَهُ بالتَّوجُّهِ إليه في العبادةِ والدُّعاءِ والسُّؤالِ بالخوفِ والرّجاءِ وبالرَّهْبَةِ والرّغبةِ.

ومِمَّا نسبوهُ إليه مَا رواه **أبو نُعَيْم** بإسنادِهِ إليه أنّهُ الْتَقَى **الخَضِرَ** ونَاجَاهُ وكَلّمَهُ لِيُخَفِّفَ عنهُ أحزانَهُ وهُمومَهُ[3]. يُقَرِّرُ **الصُّوفيَّةُ** بهذا عقيدتَهُمْ في **الخَضِرِ**، وأنّهُ حَيٌّ بَاقٍ لَا يموتُ وأنّهُ يَظهرُ للأولياءِ. وبَنوْا على هذه العقيدةِ الفاسدةِ كثيرًا مِنْ أَساطيرِهِمُ الخُرَافِيَّةِ التي نسبوها إلى **الخَضِرِ**. فكمْ مِنْ ضَلالاتٍ وأقوالٍ مُنحرفةٍ وأحكام فاسدةٍ وأورادٍ وأذكارٍ شَرَّعُوها وأضافوها إلى الدِّينِ زاعمين أنّهم تَلَقَّوْهَا مُباشرةً عَنِ **الخَضِرِ** وأنّهُ يَزورُهُمْ ويُجالِسُهُمْ ويُحادِثُهُمْ ويُعَلِّمُهُمْ مِنَ **العِلْمِ اللّدُنِّيِّ** المزعومِ.

ونسبوا إليهِ رَحِمَهُ اللهُ مجموعةً كبيرةً مِنَ الأقوالِ والأشعارِ والمناجاةِ والابتهالاتِ والأدعيةِ؛ لتكونَ أصلًا في مَذهبِهِمْ في الخوفِ والتَّوكُّلِ والحبِّ الإلٰهيِّ والمناجاةِ، وأطلقوا عليها اسمَ «**الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ**». ومِن أقبحِ مَا نسبوهُ إليه وبَهتُوهُ بِهِ مَا هو مِنْ جِنسِ أقوالِ وأحوالِ الزَّنَادِقَةِ المارقينَ، مِمَّا سمّوه بغيرِ اسمهِ مثل: «**المعرفةِ**» و«**العُلوم السِّرِّيَّةِ**» و«**الحقيقةِ**» و«**سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ**»، إلى غيرِ ذلك مِنَ الأسماءِ والألقابِ. ثُمَّ زعموا أنّهُ يَجبُ سَتْرُهُ وكَتْمُهُ لمخالفتهِ ظاهرَ الشَّريعةِ في نَظَرِ عُلَماءِ الرُّسُومِ ـ أي: علماءَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ ـ الذين يُسارعونَ في تكفيرِ وإباحةِ دِمَاءِ مَنْ يَبوحُ بهِ مِنَ الأولياءِ

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (٣/ ١٣٤)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٠٥).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣١). (٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (٣/ ١٣٤).

والمُكاشفينَ بزَعمِهِمْ. وقَدِ اشترك في نسبةِ هذه الزَّنْدَقَةِ إليه **الصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ** على السَّواءِ؛ يقولُ **المناويُّ** عنهُ: «وكان عاملًا على كِتمانِ أَسرارِ اللهِ تَعَالَى في العَالَمِ، كما أشارَ إليه بقولِهِ:

يا رُبَّ جَوهَرِ عِلمٍ لَوْ أَبوحُ بِهِ ... لقيلَ لي: أنتَ مِمَّن يَعْبُدُ الوَثَنا
ولاسْتَحَلَّ رِجالٌ مُسلمونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أقْبَحَ مَا يَأتونَهُ حَسَنًا»(١)

وقد جعلَ **الصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ** مِنْ هذه الأبياتِ مَلاذًا لَهمْ ومَرجعًا وأساسًا للتَّقِيَّةِ التي جعلوها مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ دينِهِمْ ومذهبِهِمْ، وللسِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ في دَعوتِهِمْ، وللغُموضِ والرّموزِ التي غَلَبتْ على أساليبِهِمْ وأقوالِهِمْ؛ إخفاءً لكثيرٍ مِنْ ضَلالِهِم وكُفْرِهِمْ.

• **وثالثُ هؤلاءِ الأعلامِ هو: مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ** رَحِمَهُ اللهُ، **المُلَقَّبُ بالبَاقِرِ والمعدودُ خامسَ الأئِمَّةِ الاثْنَيْ عَشَرَ عندَ الشِّيعَةِ.**

ذكرَهُ **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** على أنّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ، مِمَّن نطقَ بِعُلومِهِم وعَبَّرَ عَنْ مَواجيدِهِمْ ونشرَ مَقاماتِهِمْ، ووَصَفَ أحوالَهُمْ قولًا وفعلًا(٢). وقَدْ عَدَّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ كثيرٌ مِن مُنظِّريهم، منهم: **أبو نُعَيْم** وترجمَ لهُ، وذكرَ أنّهُ تَكلَّمَ في العَوارضِ والخطَراتِ الصُّوفيَّةِ(٣). **والهُجْويريُّ** الذي عَدَّهُ مِنْ أَئِمَّةِ الصُّوفيَّةِ مِنْ أهلِ البيْتِ وقال عنهُ: «الحُجَّةُ على أهلِ المعاملةِ، وبُرهَانُ أهلِ المشاهدةِ، وكان مخصوصًا بدقائقِ العُلومِ ولطائفِ الإشاراتِ»(٤). والشَّعرانيُّ(٥). **وابنُ حَجَرٍ الهَيْتَمِيُّ** وقال عنهُ: «لهُ مِنَ

(١) «الكواكب الدرية في تراجم الصُّوفيَّة» (ص: ١٤٠). ونَسَبَهُ إليه قَبلهُ ابنُ عَرَبي في «الفتوحات المكية» (١/ ٣٢) ونعمةُ اللهِ الجزائريُّ الشِّيعِيُّ في «الأنوارِ النُّعْمَانِيَّة» (٤/ ٢٨).
ولكنّ هذا الشّعرَ يُشَكُّ في نسبتِهِ لزينِ العابدينَ، والراجحُ أنه لكُلثومِ بنِ عَمرٍو العتابيِّ المتوفّى سنةَ (٢٠٢هـ)، على ما جاء في (تاريخ بغدادَ ١٢/ ٤٨٩).
(٢) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٦).
(٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (٣/ ١٨٠).
(٤) «كشف المحجوب» (١/ ٢٨١).
(٥) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣٢).

الرُّسُوم في مَقاماتِ العارفينَ مَا تَكِلُّ عنهُ أَلْسِنَةُ الواصفينَ، ولهُ كلماتٌ كثيرةٌ في السُّلوكِ والمعارفِ»[١]. و**المنوفيُّ** وقال عنهُ: «إنّهُ تَكَلَّمَ في الأحوالِ والخطراتِ»[٢].

وأمَّا مُتَصَوِّفةُ الشِّيعَةِ؛ فقَدْ ذكروه أيضًا على أنّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ: فيقولُ **فَريدُ الدِّينِ العطارُ** عنهُ: «ذلك حُجَّةُ أهلِ المعاملاتِ، ذلك بُرهانُ أربابِ المشاهداتِ ذلك إمامُ أولادِ النَّبِيِّ، ذلك كريمُ أحفادِ عَلِيٍّ، ذلك صاحبُ الظاهرِ والباطنِ»[٣]. وأمَّا **معصوم عليّ**؛ فقَدْ ذكرَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ المباركِ رَحِمَهُ اللهُ قال: «كنتُ بَيْنَ مَكَّةَ والمدينةِ فإذا أنا بشَيْخٍ يَلوحُ في البرّيَّةِ يَظهرُ تارةً ويَغيبُ أُخْرَى حتَّى قَرُبَ منّي، فتأملتُهُ فإذا هو غلامٌ سباعيٌّ أو ثمانيّ. فسلَّمَ عَلَيَّ فرددْتُ عليهِ السَّلامَ، فقلتُ: مِنْ أينَ؟ قال: مِنَ اللهِ. فقلتُ: وإلى أينَ؟ فقال: إلى اللهِ. فقلتُ: عَلَامَ؟ قال: على اللهِ. فقلتُ: فما زَادُكَ؟ قال: التّقوى... وفي ختامِ اللقاءِ يقولُ: ثُمَّ قال: أنا **مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ. ثُمَّ الْتَفَتُّ فَلَمْ أَرَهُ، فلا أعلمُ هل صعدَ إلى السّماءِ أَمْ نزلَ في الأرضِ** »[٤].

إنَّ هذه القصّةَ المُختلَقَةَ يُريدُ منها أربابُ التَّصَوُّفِ تقريرَ مذاهبِهِم في التَّوَكُّلِ والسَّفَرِ والسِّياحةِ بِلَا زَادٍ، وبالخوارقِ الكاذبةِ، والغُموضِ في حياتِهِمْ ومَناهِجِهِمْ، وبالطّيرانِ والانتقالِ مِنْ مكانٍ لآخرَ بخُطواتٍ قليلةٍ، وغيرِ ذلك مِنْ كَذِبِهِمْ.

وقَدْ ذكرَ ابنُ العِمادِ الحنبليُّ **البَاقِرَ** في وَفَيَاتِ سنةَ **١١٤هـ**، ونَصَّ على

---

(١) «الصواعق المحرقة» (ص: ٣٠٤). (٢) «جمهرة الأولياء» (٢/ ٧٤).

(٣) «تذكرة الأولياء» (٢/ ٢٦٦)، كما ترجمه الشيبيُّ عَنِ الفارسية في «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع» (١/ ١٨٣).

(٤) «طرائق الحقائق» (٢/ ٨٨)، كما ترجمه الشيبيُّ عَنِ الفارسية في «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع» (١/ ١٨٣).

أنّهُ تُوفِّيَ في هذه السّنَةِ[(١)]. كما ذكرَ **ابنَ المبارك** في وَفَيَاتِ سنةَ **(١٨١هـ)**[(٢)]. ويَزْعُمُ **الكذَّابُ معصوم عليّ** أنَّ **ابنَ المبارك** الْتَقَى **بالبَاقِرِ** وهو ابنُ سبعٍ أو ثَمانٍ؛ أيْ: في طُفولتهِ وصباهُ.

• **ورابعُ هؤلاءِ الأعلامِ هو: جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ** رَحِمَهُ اللَّهُ، **المُلَقَّبُ بالصَّادِقِ، والمعدودُ سادسَ الأَئِمَّةِ الاثْنَيْ عَشَرَ عندَ الشِّيعَةِ:**

ذكرَ **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** أنّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ، مِمَّن نطق بعلومِهِمْ، وعبّرَ عَنْ مَواجيدِهِمْ، ونشرَ مَقاماتِهِمْ، ووَصَفَ أحوالَهُمْ قولًا وفعلًا...[(٣)]. وذكره **أبو نُعَيْم**، وعَدّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ، ووَصَفَهُ بأنّهُ أَقبلَ على العبادةِ والخضوعِ، وآثَرَ العُزْلَةَ والخشوعَ[(٤)]. وعدّهُ **الهُجْويريُّ** مِنْ أَئِمَّةِ الصُّوفيَّةِ، ووَصَفَهُ بجمالِ الطريقةِ ومُعَبّرِ المعرفةِ ومُزَيِّنِ الصّفوةِ، وأنَّ لهُ إشاراتٍ جميلةً في كُلِّ العُلوم، وكُتُبًا معروفةً في بيانِ الطريقةِ الصُّوفيَّةِ[(٥)]. كما ترجمَ لهُ وعَدّهُ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ **عَبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ**[(٦)] **وأبو الفيضِ المنوفيُّ**[(٧)].

وقَدْ نسبوا إليه شَيئًا كثيرًا مِنَ الأقوالِ والأفعالِ والأحوالِ التي هي مِنْ أُصُولِ مذهبِ المُتَصَوِّفَةِ، فجعلوهُ مِمَّن التزمَ لبسَ الصُّوفِ، ونقلوا أنّهُ كان يلبسُ الصُّوفَ على جَسدهِ ثُمَّ يُخْفِيهِ بكساءٍ مِنْ خَزٍّ، ويقولُ مُعَلِّلًا فِعْلَهُ ـ وذلك فيما نسبوهُ إليه ـ: «**لَبِسْنَا هذا للهِ، وهذا لكُمْ، فما كان للهِ أخفيناهُ، وما كان لكم أَبديناهُ**»[(٨)].

وأمَّا أقوالُهُ التي نسبوها إليه؛ فقَدْ جعلوا جُزءًا كبيرًا منها نقلًا عَنِ

(١) «شذرات الذهب» (١/ ١٤٩).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٩٥).
(٣) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٣٦).
(٤) «حِلْيَة الأولياء» (٣/ ١٩٢).
(٥) «كشف المحجوب» (١/ ٢٨٣).
(٦) «الطّبقات» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣٢).
(٧) «جمهرة الأولياء» (٢/ ٧٥).
(٨) «الحِلْيَة» (١/ ١٩٣)، و«الطّبقات» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣٢).

الأنبياءِ وخَاصَّةً مُوسَى ودَاوُدَ وعِيسَى ﷷ، وعَنِ الكُتُبِ السماويَّةِ نقلًا مُباشرًا كما هو منهجُ الصُّوفيَّةِ في الأخذِ عَنِ الرُّهبانِ والعُبّادِ مِنْ أهلِ الدياناتِ الأُخْرَى الباطلةِ.

وأَعظمُوا عليهِ الفِرْيَةَ فيما نسبوهُ إليه مِنْ مُناجاتهِ وابتهالهِ للهِ تَعَالَى، ثُمَّ سماعِهِ مَا يُوحِي بهِ إليه اللهُ تَعَالَى جوابًا على مُناجاتهِ وتكريمًا لهُ، حتَّى زَعموا ـ قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى فيما نسبوهُ إليه ـ تَجلّي اللهُ تَعَالَى لِمَنْ يُناجيهِ، وما هو مِنْ جِنْسِ مَذهبِهِمْ وكُفْرِهِمْ في الحُلولِ والتَّجْسيمِ والعياذُ بِاللهِ تَعَالَى، فنسبوا إليه قولَهُ: «**واللهِ! لقَدْ تجلَّى اللهُ ﷻ لخلقهِ في كَلامهِ، ولكن لَا يُبصرون**». وذكروا أنّهُ خَرَّ مَغشيًّا عليهِ في صلاةٍ لهُ، ثُمَّ سُئِلَ لما سُرِّيَ عنهُ فقال: «**ما زِلْتُ أُرَدِّدُ الآيَةَ على قَلبي حتَّى سمعتُها مِنَ المُتكَلِّمِ بِهَا، فَلَمْ يَثبتْ جسمي لمعاينةِ قُدرتِهِ تَعَالَى**»[(١)].

ثُمَّ يُعلِّقُ **أبو طَالِبِ المَكِّيُّ** بقولهِ: «وكذلك الخُصُوصُ يُرَدِّدونَ الآيَةَ بقُلوبِهِمْ على قُلوبِهِمْ ويتحقّقون بِهَا في مُشاهدَتِهِمْ بمَدَدٍ مِنْ شَهيدهِم وسيِّدِهِمْ حتَّى يَستغرِقَهُمُ الفَهْمُ فيغرقون في بَحْرِ العِلْمِ»[(٢)]. ويُعَلِّقُ **شهابُ الدِّينِ السّهرورديُّ** بقولهِ: «فالصُّوفِيُّ لمَّا لاحَ لهُ نورُ ناصيةِ التّوحيدِ، وأَلْقَى سمعَهُ عِنْدَ سماعِ الوعدِ والوعيدِ، وقَلْبَهُ بالتّخلُّصِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى؛ صارَ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى حاضرًا شهيدًا يرى لسانَهُ أو لسانَ غيرِهِ في التّلاوةِ كشجرةِ مُوسَى ﵇»[(٣)].

هكذا يَنْسُبُون إلى أعلامِ وسَلَفِ الأُمَّةِ مَا يُبَرّرونَ بهِ بَاطِلَهُمْ في الفَنَاءِ، والحُلولِ والاتحادِ بِاللهِ تَعَالَى، والذّكرِ الخفيِّ الذي مَحِلُّهُ القَلبُ والذي جعلوهُ مُنطَلَقَهُمْ في الفناءِ وسببًا لخيالاتِهِمُ الفاسدةِ، ورُوءَاهُمُ الشَّيْطَانيَّةِ.

---

(١) «قوت القُلوب» (١/ ٤٧)، و«عوارف المعارف» مختصرًا (ص: ٢٨).
(٢) «قوت القُلوب» (١/ ٤٧).
(٣) «عوارف المعارف» (ص: ٢٨).

ومِمَّا نسبوه إليه؛ **تلكَ التفسيراتُ والتأويلاتُ الباطنيَّةُ الخبيثةُ لآياتِ اللهِ**؛ فقَدْ زَعَمَ **أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ** في «**تفسيرِهِ**» الذي وضعَهُ واصطنعَهُ، أنّهُ ضمّنَهُ قطعةً كبيرةً مِنْ تأويلاتِ وأقوالِ **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ**، ثُمَّ ملأَ كتابَهُ الذي سَمّاه «**حقائقَ التفسيرِ**» بكُلِّ أنواعِ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ.

وقَدْ ردَّ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ مَزاعمَهُ هذه، وطعنَ في «**تفسيرِهِ**» بأنّهُ مِنْ نوعِ الاجتهاداتِ الباطلةِ، كما طعنَ في نسبةِ مَا أخذَهُ عَنْ **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** وعَدَّها مِنَ الآثَارِ الموضوعةِ والأخبارِ المُصْطَنعةِ[١].

وذكرَ **الإمامُ الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الإمامِ المفَسِّرِ **أبي الحَسَنِ الوَاحِدِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ قولَهُ: **صنَّفَ أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ حقائقَ التفسيرِ فإنِ اعتقدَ أنَّ ذلك تفسيرٌ فقَدْ كفرَ**. كما نقلَ عَنْ غيرهِ وَصْفَهُ **الحقائقَ** بأنّهُ قَرْمَطَةٌ[٢]. وقال **الذَّهَبِيُّ** عنهُ: **أَلَّفَ حقائقَ التفسيرِ، فأتَى فيه بمصائبِ وتأويلاتِ الباطنيَّةِ، نسألُ اللهَ العافيةَ**[٣].

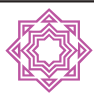
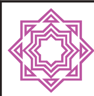
هكذا يَضَعُ **الصُّوفيَّةُ ـ كالشِّيعَةِ** تَمامًا ـ رواياتٍ تناسبُ مَشْرَبَهُمْ، ويَنْسُبُونها إلى الأعلامِ مِمَّن يَقْبَلُ النَّاسُ عنهم أُمُورَ دينِهِمْ؛ لصلاحِهِمْ وتقواهُمْ وفضلِهِمْ في العِلْمِ والعقلِ، وهُمْ في ذلك يؤسِّسونَ قواعدَ مذاهبِهِمْ وأُسُسَ مَناهجِهِمْ على تلكَ الأقوالِ المكذُوبَةِ، ولكنّهم يُطوّرونَها فيما بَعْدُ حتَّى تَتناسبَ مع غُلُوِّهِم وضلالِهِمْ وأهدافِهِمْ في تفريقِ كَلِمَةِ المُسلِمينَ وإضعافِ قُوّتِهِمْ وإيقافِ فُتوحِهِمْ.



(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ٢٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥٥). وتقدم تعريف «القرامطة» في (ص: ٢٤١).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٤٦).

أَعلامُ الشِّيعَةِ وعلاقتُهُمْ بالصُّوفيَّةِ والتَّصَوُّفِ

إنَّ **الشِّيعَةَ المتصوفينَ** كثيرونَ؛ لذلك فسأقتصرُ على ذكرِ بعضِهِمْ، مِمَّن جمعَ بَيْنَ **التَّصَوُّفِ والرَّفْضِ** واشتهرَ عنهُ ذلك، وهم **عشرةُ أَنفسٍ**. وسأذكرُ بعضَ مَا وردَ عنهم في تَصَوُّفِهِمْ، وعلاقتِهِمْ بالصُّوفيَّةِ، وذلك مِنْ خلالِ كُتُبِهِمْ ومراجِعِهِمُ المعتبَرةِ.

وإنَّ مِمَّا يشتركُ فيه أهلُ **الرَّفْضِ** وأهلُ **التَّصَوُّفِ** في ذِكْرِ تَراجِمِ أعلامِهِمْ وأئِمَّتِهِمْ هو منهجُهُمْ نفسُه في إثباتِ الفضائلِ والمناقبِ والكراماتِ لأعلامِهِمْ وأئِمَّتِهِمْ؛ حيثُ يعتمدون في إثباتِ مَناقبِ وفَضائلِ أئِمّتِهم على **الأحاديثِ المكذوبةِ والدَّعاوَى المجرّدةِ مِنَ البراهينِ النّقليَّةِ والعقليَّةِ** أيضًا، بلْ رُبَّمَا اعتمدوا على **الكَذِبِ والحكاياتِ التي لَا يُصَدِّقُها عَاقِلٌ ولَا يقبلُها ذو فِطْرةٍ سليمةٍ**، وسببُ ذلك راجعٌ إلى غُلُوِّهِمْ جميعًا في أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ وفي أتباعِهِمْ وشِيعَتِهِم وحتَّى في مُحِبِّيهِمْ.

وها هي أسماءُ **العشرةِ** الذين انتقَيْتُهم مِنَ المُتصوِّفين مِنْ أهلِ الرَّفْضِ مِمَّن جمعَ بَيْنَ السّوأتينِ؛ مُرتّبَةً حسبَ سِنيِّ وَفَيَاتِهِمْ:

١ ـ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانيُّ
المعروفُ بابنِ أَبِي العَزَاقِرِ المقتولُ زَنْدَقَةً سنةَ (٣٢٢هـ)

ـ عَدَّهُ **المسعوديُّ** مِنَ الشِّيعَةِ الغُلاةِ، وذكرَ أنّهُ قُطِعَتْ يَداهُ ورِجلاهُ وضُرِبَتْ عُنقُهُ وأُحرِقَتْ جُثَّتُهُ؛ لأمُورٍ دِينيّةٍ أَحْدَثَها، وذكرَ مِنْ مُؤلَّفَاتِهِ كتابَ «**الوَصِيَّةِ**» وكتابَ «**الغَيْبَةِ**» وغيرَهما(١).

(١) «التنبيه والإشراف» للمسعوديِّ (ص: ٣٩٦).

ـ وذكرَهُ **أبو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ** وعَدَّهُ مِنْ رِجَالِ الإِمَامِيَّةِ، وقال: «لهُ كُتبٌ وروايات، وكان مُستقيمَ الطّريقةِ، ثُمَّ تغيَّرَ وظهرتْ منهُ مَقالاتٌ مُنكرةٌ، إلى أنْ أخذَهُ السُّلْطانُ فقتلَهُ وصَلَبَهُ ببغدادَ»[(١)]. وذكره أيضًا في كتابِهِ «**الغَيْبَةِ**» في بابِ ذِكْرِ المذمومينَ الذين ادَّعوا **البابيَّةَ**، وذكرَ خُرافةً أسطوريّةً بِأنَّ توقيعًا مِنْ **صاحبِ الزمانِ المهديِّ** المزعوم ظهرَ للشِّيعَةِ بِلَعْنِهِ والبراءةِ منهُ ومِمَّنْ تَابعَهُ وشَايعَهُ. ويقولُ **الطُّوسِيُّ**: إنّهُ «لَمْ يَكُنْ بابًا ولَا طريقًا إلى المُنتظَرِ، وإنّما كان فَقيهًا مِنْ فُقهائِنا، وخَلّطَ وظهرَ عنهُ مَا ظهرَ، وانتشرَ الكُفْرُ والإلْحَادُ عنهُ؛ فخرجَ فيه التّوقيعُ»[(٢)]. وذكرَهُ **الطُّوسِيُّ** أيضًا في «**رِجالِهِ**» في (بابِ مَنْ لَمْ يروِ عَنِ الأئمَّةِ)[(٣)].

ـ وذكره **محسن أمين** في «**أعيانِ الشِّيعَةِ** » وعَدَّهُ منهم[(٤)].

هذا مَا ذكرَهُ **الشِّيعَةُ** في مُصنّفَاتِهِمْ عَنِ **الشَّلْمَغانيِّ**، ولَمْ يُبيّنوا مَا أحدَثَهُ مِنَ المَقالاتِ المُنكرةِ، وما ظهرَ عنهُ مِنَ الكُفْرِ والإلْحَادِ، مِمَّا اقتضَى خُروجَ قَرارٍ ونَصٍّ شَرعيٍّ شِيعِيٍّ مِنْ غَياهِبِ السّراديبِ بتوقيعِ **(صاحبِ زَمانِهِم)** بكُفرِهِ ولَعْنِهِ والبراءةِ منهُ ومِنْ أتباعِهِ. يُريدون سِترَ عَوْراتِهِمْ وعُيوبِهِمْ، وإخراجَ **الشَّلْمَغَانيِّ** مِنْ دائرةِ الشِّيعَةِ بالمرسومِ الإماميِّ الصادرِ عَنِ الدّولةِ السّردابيَّةِ الإمَامِيَّةِ الشِّيعِيَّةِ.

هكذا يَنشرون الفسادَ والضَّلالَ، وإذا مَا افْتُضِحَ أَمرُ أحدِهِم وتمكَّنَ السُّلْطانُ مِنْه وأُقيمتِ الحُجَّةُ عليه؛ تَبرّؤا وأظهروا اللَّعْنَ والتّكفيرَ؛ تَقِيَّةً وتبرأةً لساحتِهِمْ ومَذهبِهِمْ، هذا هو دَأْبُ أهلِ البِدَعِ والأهواءِ.

فها هي الشِّيعَةُ تَتبرّأُ بتوقيعِ صاحبِ أَمْرِهِمْ مِن هذا (الزّنديقِ

---

(١) «الفهرست» للطُّوسيِّ (ص: ١٧٧).
(٢) «الغَيْبَة» للطُّوسيِّ (ص: ٢٤٨ ـ ٢٥١).
(٣) «رجال الطُّوسِيِّ» (ص/ ٥١٢).
(٤) «الأعيان» (٢/ ٢٥٩ و٧/ ٣٥٠)، وله ترجمة في: «تنقيح المقال» للمامَقَانيِّ (٣/ ١٥٦)، و«الكنى والألقاب» للقُمِّيِّ (٢/ ٣٣٠).

الشَّلْمَغَانيِّ)، وكذا تَبرَّأَ بَعضُ الصُّوفيَّةِ مِنَ الحلَّاجِ بَعْدَ التَّمَكُّنِ منهُ وقَتْلِهِ وصَلْبِهِ. والشَّلْمَغَانيُّ كان مُعاصرًا لِلْحَلَّاجِ، والذي يَظهرُ أنّهما أبناءُ مدرسةٍ واحدةٍ، فكلاهما مِنْ غُلَاةِ الشِّيعَةِ وممّنِ ادّعَى البَابيَّةَ، وكلاهُما مِنَ الصُّوفيَّةِ الهالكةِ في مذاهبِ الحُلوليَّةِ والكُفْرِ والإلحادِ، وقَدْ كانا في بغدادَ، والحلَّاجُ قُتِلَ سنةَ (٣٠٩هـ)، والشَّلْمَغَانيُّ سنةَ (٣٢٢هـ).

وأمَّا عَنْ زَندقَةِ الشَّلْمَغَانيِّ التي ذكرَها الشِّيعَةُ مُجملًا فقَدْ فُصِّلَتْ وكُشِفَتْ:

- يقولُ **عبدُ القاهرِ البغداديُّ** رَحِمَهُ اللهُ عنهُ أنّهُ ادَّعَى حُلولَ روحِ الإلٰهِ فيهِ، وصرّحَ برفعِ الشَّريعةِ، وأباحَ اللّواطَ والزِّنَى[1].

- وذكرهُ **ابنُ الأثيرِ** في أخبارِ سنةِ (٣٢٢هـ) وقال: «إنّهُ قُتِلَ لأنّهُ أحدثَ مَذْهَبًا غَالِيًا في التَّشَيُّعِ، والتّناسُخِ، وحُلولِ الإلٰهيَّةِ فيهِ». وذكرَ مِنْ مذهبِهِ: تَركَ الصّلاةِ والصيامِ وغيرِهما مِنَ العباداتِ، وإباحةَ الفُروجِ، ونِكاحَ ذواتِ الأرحامِ، وضَرورةَ نكاحِ الفاضلِ للمفضولِ لإيلاجِ النُّورِ فيه، مع ادِّعَائهِ أنّهُ البابُ إلى إمامِهِمُ المُنتظَرِ[2].

- وذكرهُ **ابنُ كَثيرٍ** وقال: «إنّهُ ادَّعَى مَا كان يَدَّعيهِ الحلَّاجُ مِنَ الإلٰهيَّةِ»[3].

- وذكرهُ **الذَّهَبِيُّ** في أخبارِ سنةِ (٣٢٢هـ)، وقال: «وفيها اشتهرَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانيُّ ببغدادَ، وشاعَ أنّهُ يدَّعي الإلٰهيَّةَ، وأنّهُ يُحْيي الموتَى، وكَثُرَ أتباعُهُ، وكان هذا الشَّقيُّ قَدْ أظهرَ الرَّفْضَ، ثُمَّ قال بالتَّناسُخِ والحُلولِ»[4].

---

(١) «الفَرْق بين الفِرَق» (ص: ٢٦٤).
(٢) «الكامل في التاريخ» (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤).
(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٠١).
(٤) «العبر في خبر مَنْ غبر» (٢/ ١٩٦).

و**الشَّلْمَغَانيُّ** هذا لَمْ يَكُنْ مِنْ عَوامِّ أهلِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ، حيثُ إنّهُ قَدْ صَنَّفَ وكتبَ في عُلومِهِمْ وعَقائِدِهِمْ، وقَدْ كان مُستقيمَ الطّريقةِ، ومِنْ أعيانِهِمْ ورِجالِهِمْ كما وَصَفَهُ عُلَماءُ النّقْدِ والرِّجالِ والمؤرّخونَ الشِّيعَةُ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ
المشهورُ بابنِ بَابَوَيْهِ القُمِّيُّ المُلَقَّبُ بالصَّدوقِ (ت٣٨١هـ)

صاحبُ كتابِ «**مَنْ لَا يحضرُهُ الفقيهُ**» أَحَدُ **الكُتُبِ الأربعةِ** التي تُعتبَرُ أُصُولَ وأركانَ المذهبِ الشِّيعِيِّ، و«**المولودُ بالدّعوةِ، الموصوفُ في التّوقيعِ المُبارِكِ بالمُحَدِّثِ والفَقِيهِ**»[١].

ذكرهُ **الطُّوسِيُّ** وقال: «كان جليلًا، حافظًا للأحاديثِ، بصيرًا بالرّجالِ، ناقدًا للأخبارِ، لَمْ يُرَ في القُمِّيِّينَ مِثْلُهُ، لهُ نحوُ ثلاثمائةِ مُصَنّفٍ، ومِنْ أشهرِ مُؤلَّفَاتهِ كتابُ «مَنْ لَا يَحضرُهُ الفقيهُ» وهو أَحَدُ الكُتُبِ الأربعةِ التي عليها المدارُ في استنباطِ أحكامِ الدِّينِ الشِّيعِيِّ».

وذكرَ **هو وغيرُهُ** أنّهُ «وُلِدَ بِدُعاءِ الإمامِ المُنتظَرِ المزعوم في التّوقيعِ الخارجِ مِنْ ناحيتهِ، ووَصَفَهُ بأنّهُ فَقِيهٌ مُباركٌ». لذلك كان **صَدوقُهُمْ** يقولُ عَنْ نفسهِ: «أنا وُلِدتُ بدعوةِ صاحبِ الأمرِ». ويفتخرُ بذلك حيثُ يذكرُ **الطُّوسِيُّ** وغيرُهُ أسطورةً خُرافيّةً لَا تَقبلُها إلَّا عُقولُ الشِّيعَةِ، وهي أنَّ أبَاهُ **عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ القُمِّيَّ** كتبَ رُقْعَةً إلى إمامِهِمْ **المهديِّ المنتظَرِ** وأرسلَها لهُ في **السِّردابِ** مع أحدِ السُّفَراءِ الذي تَمَّ تعيينُهُمْ مِنْ قِبَلِ المهديِّ يسألُهُ فيها الوَلَدَ حيثُ إنّهُ لَمْ يُولَدْ لهُ. فجاءَ الرّدُّ مُوقَّعًا مَختومًا وفيه «**قَدْ دَعوْنَا اللهَ بذلك، وسترزَقُ ولَدَيْنِ ذَكَريْنِ خيِّريْنِ**». وذكرَ **الطُّوسِيُّ** أنّهُ أَلَّفَ رسائلَ في الزُّهْدِ لِكُلِّ واحدٍ مِنَ الأئِمَّةِ المَعصُومينَ بِزَعمِهِمْ وذكرَ في مُصَنَّفاتِهِ كِتابَ «**معاني الأخبار**»[٢].

---

(١) «روضات الجنات» (٦/١٣٦).

(٢) «الفهرست» (ص: ١٨٨ ـ ١٩٠)، وانظر: الهامش.

وذكرهُ **محسن أمين**، وترجمَ لهُ على أنّهُ مِنْ أعيانِ الشِّيعَةِ وأعلامِهِمْ، وذَكرَ في مُصَنَّفاتِهِ كِتابَ «**معاني الأخبار**»[(١)].

وكتابُ «معاني الأخبار» الذي صَنَّفَهُ الصَّدوقُ على مذهبِ الشّيعيِّ؛ قد ضَمَّنَهُ الكثيرَ مِنْ مَشاربِ الصُّوفيَّةِ وطريقتِهِمْ، وبيان ذلك فيما يلي:

ـ ذكرَ في كتابهِ: (**الفتوّةَ**)[(٢)] (**الجهادَ الأكبرَ**)[(٣)] وهو جهادُ النفس، وهما مِنْ **مُصطلحاتِ الصُّوفيَّةِ** وشعاراتِهِمْ وأَساليبِهِمْ.

ـ ذكرَ فيه مسألةَ (**الحقيقةِ المُحمّديّةِ**) و(**النّورِ المُحمّديِّ الأزليِّ**) الذي تَزْعُمُهُ **الشِّيعَةُ** وتتغنَّى بهِ **الصُّوفيَّةُ**. فيقولُ فيما يرويه بإسنادِهِ إلى عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ أنّهُ قال: «إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى خلقَ نورَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أنْ يَخلُقَ السمٰواتِ والأرضَ والعرشَ والكرسيَّ واللوحَ والقلمَ والجَنَّةَ والنَّارَ، وقَبْلَ أنْ يَخلُقَ آدمَ... وقَبْلَ أنْ يَخلُقَ الأنبياءَ كُلَّهُمْ بأربعمائةِ ألفِ سنةٍ وأربعٍ وعشرينَ ألفِ سنةٍ». ثُمَّ يُفصِّلُ في انتقالِ نورِ مُحَمَّدٍ بَيْنَ الحُجُبِ حتَّى زَعَمَ قائلًا: «ثُمَّ أظهرَهُ على العرشِ، فكان على ساقِ العرشِ مُثبتًا سبعةَ آلافِ سنةٍ، إلى أنْ وضعهُ اللهُ ﷻ في صلبِ آدمَ عليه السلام». ثُمَّ يذكرُ انتقالَهُ بَيْنَ الأصلابِ حتَّى «أخرجهُ اللهُ مِنْ صلبِ عبدِ اللهِ»[(٤)].

ـ ويستعملُ في كتابهِ أوصافَ الصُّوفيَّةِ وعباراتِهِمْ؛ فيقولُ مثلًا في ذكرِ كراماتِ النَّبيِّ ﷺ حينَ ولادَتِهِ: «فأكرمَهُ بستِّ كراماتٍ: أَلْبَسَهُ قميصَ الرِّضَا، ورَدّاهُ بِرداءِ الهيْبَةِ، وتَوَّجَهُ بتاجِ الهدايةِ، وأَلْبَسَهُ سَراويلَ المعرفةِ، وجعلَ تكَّتَهُ تكّةَ المَحبَّةِ يَشُدُّ بِهَا سراويلَهُ، وجعلَ نَعْلَهُ نعلَ الخوفِ، ونَاولَهُ عصا المنزلةِ، ثُمَّ قال لهُ: يَا مُحَمَّدُ! اِذهبْ إلى النَّاسِ فقلْ لَهمْ: قُولوا

---

(١) «أعيان الشِّيعَةِ» (١٠/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) «معاني الأخبار» لابن بابويه (ص: ١١٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٦٠).

(٤) «معاني الأخبار» (ص: ٣٠٦ ـ ٣٠٨).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»[١]. مع أنَّهُ يَذكرُ في موضعٍ آخرَ: «أنَّ مُحَمَّدًا وعَلِيًّا صلواتُ اللهِ عليهما كانا نورًا بَيْنَ يَدَي اللهِ ﷻ قَبْلَ خَلْقِ الخَلْقِ بألفيْ عامٍ... وأنَّهُ لولاهما لَما خلقَ اللهُ الخَلْقَ»[٢].

- ويُبشِّرُ **الصُّوفيَّةَ** أنّهم بِرِضَاهُمْ مِنَ اللهِ باليسيرِ مِنَ الرِّزْقِ؛ فإنَّ اللهَ تَعَالَى يَرضَى منهم بيسيرِ العملِ، أنْ يُطيعوه في بعضٍ، ويَعصوهُ في بعضِ العملِ[٣]. ويُبشِّرُهُمْ أيضًا بِأنَّ أكثرَ أهلِ الجَنَّةِ البلهاءُ المجذوبونَ[٤].

- ويَصِفُ أهلَ التّقوى مِنَ الصُّوفيَّةِ بأنّهم تزوّدوا بغيرِ الذّهبِ والفِضّةِ، ولبسوا الخشنَ، وصبروا على الذُّلِّ، وأنّهم مصابيحٌ في الدُّنيا، وأهلُ النّعيمِ في الآخرةِ[٥].

- ويُكثِرُ مِنَ النّقلِ ونسبةِ الأقوالِ إلى عِيسَى وغيرِهِ مِنَ الأنبياءِ مُباشرةً بِلَا سَنَدٍ، ويَنقُلُ عَنْ أهلِ الأديرةِ والرُّهبانِ وغيرِهِمْ، شأنُ الصُّوفيَّةِ في تلقِّيهم، فيذكرُ عَنْ عِيسَى مثلًا أنّهُ يُرَغِّبُ النَّاسَ بالنّومِ على المزابلِ، وأكلِ خُبزِ الشَّعيرِ، ويَحثُّهُمْ على ذلك لِما فيه مِنْ خيرٍ كثيرٍ[٦]. بهذا يتّضِحُ منهجُ هذا الشِّيعِيِّ وعلاقتُهُ وصِلتُهُ بِالتَّصَوُّفِ المُنْحَرِفِ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الطُّوسِيُّ المعروفُ بـ: (الخاجةِ نَصيرِ الدِّينِ) والمِلَّةِ الرَّافِضِيَّةِ (ت٦٧٢هـ)

ترجمَ لهُ المامقانيُّ فقال: «نَصيرُ المِلّةِ والدِّينِ، قدوةُ المحقّقينَ، سلطانُ الحكماءِ والمُتكلِّمينَ، انتهتْ إليه رِئاسةُ الإمَامِيَّةِ». ويقولُ زاعمًا أنَّ فضلَهُ وتَبحُّرَهُ في العُلومِ وسَبْقَهُ للعُلَماءِ: «أشهرُ مِنْ أنْ يُذْكَرَ، وفَوْقَ مَا يحومُ حولَهُ العبارةُ، وكفاكَ في ذلك حَلُّهُ مَا لَمْ يَنْحَلْ على الحُكماءِ المتبحّرينَ مِنْ

(١) المصدر السابق (ص: ٣٠٨).
(٢) المصدر نفسه (ص: ٣٥١).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٢٦٠).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٣٠٣).
(٥) المصدر نفسه (ص: ١٩٩).
(٦) «معاني الأخبار» (ص: ٣٤١).

لَدُنْ آدمَ إلى زمانهِ»(١).

كُلُّ هذا الغُلُوِّ في مَدحهِ والثناءِ عليهِ؛ لأنّهُ خدمَ التَّشَيُّعَ خِدمةً لَا تُوازيها خدمةُ عُلمائِهِمْ وأئِمَّتِهِمْ، لما قامَ بهِ هذا الخبيثُ مِنَ المُساهمةِ في قَتْلِ المُسلِمينَ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ، كما سيأتي ذِكْرُهُ.

وبنحوِ هذه العباراتِ مِنَ الغُلُوِّ يَذكرُهُ أهلُ الرَّفْضِ في جميعِ كُتُبِهِمْ ومَصادِرِهِمْ:

فترجمَ لهُ الأردبيليُّ الحائريُّ الرَّافِضِيُّ وذكرَ فيه مَا ذَكرَهُ المامقانيُّ بِنَصِّهِ(٢).

وترجمَ لهُ القُمِّيُّ وقال: «هو عِمادُ الشِّيعَةِ ورافعُ أعلامِ الشَّريعةِ شيخُ الطائفةِ على الإطلاقِ ورئيسُها الذي تُلْوَى إليه الأعناقُ.. ووقعَ على تقدّمِهِ وفضلهِ الإجماعُ»(٣).

هكذا يُبالغونَ في شأنهِ وفضلهِ ومدحهِ؛ سترًا لقبائحهِ وجرائمهِ التَّاريخيَّةِ العظيمةِ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

وتَرجمَ لهُ الخوانساريُّ ووَصَفَهُ بقولهِ: «سلطانُ المحقّقينَ، وبرهانُ الموحدين، مولانا الخواجةُ نصيرُ الملّةِ والدِّينِ». وذكرَ وَزَارَتَهُ لهولاكو مَلِكِ التتارِ، ورَكوبَهُ في مَوكبِ السُّلْطانِ إلى بغدادَ قائلًا: «**لإرشادِ العبادِ، وإصلاحِ البلادِ، وقطعِ دابرِ سلسلةِ البغِي والفسادِ، وإخمادِ نائرةِ الجورِ والألباسِ بإبدادِ دائرةِ مُلْكِ بني العَبّاسِ، وإيقاعِ القَتْلِ العامِّ مِنْ أَتْباعِ أُولَئِكَ الطّغامِ، إلى أنْ سالَ مِنْ دمائِهِمُ الأقذارُ كأمثالِ الأنهارِ، فانهارَ بِهَا في ماءِ دِجْلَةَ، ومنها إلى نَارِ جهنّمَ دارِ البوارِ، ومَحَلِّ الأشقياءِ والأشرارِ**»(٤).

---

(١) «تنقيح المقال في علم الرجال» (٣/ ١٧٩).
(٢) «جامع الرواة» (٢/ ١٨٨).
(٣) «الكنى والألقاب» للقُمِّيِّ (٢/ ٣٥٧).
(٤) «روضات الجنات» (٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

هكذا وجدَ هذا الرَّافِضِيُّ الخبيثُ مُتنفَّسَهُ، فأخرجَ وَبَثَّ عباراتِ الحقدِ الدّفينةِ بَيْنَ جوانبهِ، مُستشفيًا بِمَا فعلَهُ نصيرُ الكُفْرِ والإلْحَادِ مِنْ قَتْلِ أهلِ السُّنَّةِ وإسقاطِ الخلافةِ. وهذا موقفُ جميعِ أهلِ الرَّفْضِ، ولكنّ كثيرًا منهم لَا يُصَرِّحُ بِهِ.

وذكرَ **الخوانساريُّ** نقلًا عَنْ أَحَدِ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ أنّهُ وَصَفَ الخواجةَ بأنّهُ «كان جامعًا بَيْنَ مَسلكيْ الاستدلالِ والعرفانِ»، وذكرَ أنّهُ كانت بينهُ وبَيْنَ صَدْرِ الدِّينِ القونويِّ (ت٦٧٣هـ) تلميذِ ابنِ عَرَبِيٍّ ورَبيبهِ مُراسلاتٌ ومكاتباتٌ في قضايا التَّصَوُّفِ، ومقاماتِ العارفينَ والسّالكينَ، ووحْدَةِ الوجُودِ، وأنّهُ قَدْ سجّلَ مُعظمَ تلكَ المراسلاتِ في كتابهِ «الفصول»، وذكرَ عنهُ ـ مِمَّا في «الفصولِ» ـ قولَهُ: «ويحبسُ بالرياضةِ نفسَهُ الأمّارة... ويوجّهُ همّتَهُ بكُلِّيّتِها إلى عَالَمِ القدسِ.. ويسألُ اللهَ أنْ يفتحَ على قَلبهِ بابَ خزائنِ رحمتهِ، ويُنوّرَ بنورِ الهدايةِ الذي وَعَدَهُ بَعْدَ مُجاهدتهِ؛ لِيُشَاهِدَ الأسرارَ المَلكُوتيّةَ، والآثَارَ الجبروتيّةَ، ويكشفَ في باطنِهِ الحقائقَ الغَيْبِيّةَ، والدّقائقَ الفيضيّةَ».

ويُعَلِّقُ **الخوانساريُّ** قائلًا: «إنَّ الإنصافَ ليس فَقَطْ وَصْفُهُ بأنّهُ كان جامعًا بَيْنَ مَسلكيْ الاستدلالِ والعرفانِ، بلْ إنَّ كتابَهُ «الفصولَ» مِنْ أحسنِ مَا كُتِبَ وصُنِّفَ في مسائلِ الاستدلالِ والعرفانِ»[(١)]؛ يَعني: مَا صُنِّفَ في التَّصَوُّفِ.

ونقلَ **الخوانساريُّ** شَيئًا مِنْ شعرهِ الذي يجمعُ فيه بَيْنَ مَذاهِبِ الشِّيعَةِ ومسالكِ الصُّوفيَّةِ أَوِ العرفانِ على حَدِّ تعبيرِ الشِّيعَةِ، فذكرَ:

«لو أنَّ عبدًا أَتَى بالصّالحات غدًا ... وَوَدَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُرسَلٍ وَوَلِيّ
وصام مَا صامَ صوام بِلَا مَلَل ... وقامَ مَا قامَ قوام بِلَا كَسَل
وحجَّ مَا حجَّ مَنْ فرضٍ ومِن سُنَن ... وطاف مَا طافَ حافٍ غيرَ مُنتعل

(١) «روضات الجنات» (٦/ ٣١٢ ـ ٣١٣).

وطارَ في الجوِّ لَا يأوي إلى أحد　　وغاصَ في البحرِ مَأمونًا مِنَ البلل
وعاشَ في النَّاسِ آلافًا مؤلّفة　　عَارٍ مِنَ الذّنبِ معصومًا مِنَ الزَّلَل
مَا كان في الحشرِ عِنْدَ اللَّهِ منتفعًا　　إلَّا بحُبِّ أميرِ المؤمِنينَ عَلِيّ»[(١)]

وذكرَ الخوانساريُّ أيضًا في ترجمةِ الحَلَّاجِ أنَّ الخواجةَ نصيرَ دينِهِمْ مِنْ جُملةِ مَنِ اعتذرَ عَنْ شَطَحَاتِ الحَلَّاجِ ودافعَ عنهُ وتأوَّلَ أقوالَهُ وأفعالَهُ[(٢)]. وهذا مِمَّا يُؤكِّدُ تَشَيُّعَ الحلَّاجِ، وأنّهُ كان منهم، وإلا فإنَّ مِنْ أُصُولِ مذهبِ أهلِ الرَّفْضِ أنَّ غيرَ الشِّيعِيِّ لَا يُقبَلُ منهُ صَرْفٌ ولَا عَدْلٌ، فضلًا عَنْ تأويلِ انحرافاتِهِمْ وشَطَحَاتِهِم، وما هو صريحٌ في الكُفْرِ. ويدلُّ أيضًا على تَصَوُّفِ الخواجةِ الشِّيعِيِّ وغُلُوِّهِ فيه.

وذكرَ **كامل الشيبيُّ** نقلًا عَنِ الشِّيعِيِّ الصُّوفِيِّ **معصوم علي** الذي نقلَ في كتابهِ بالفارسيّةِ نُصُوصًا عَنِ الخواجةِ مِنْ كتابهِ «أوصاف الأشراف» تَطرَّقَ فيها إلى الحُلولِ والاتحادِ والغُلُوِّ في التَّشَيُّعِ، ونُصُوصًا أشارَ فيها إلى الحَلَّاجِ وأبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ، ودافعَ عنهما وعَنْ مَقالتَيْهِما: «أنا الحقُّ» و«سُبحاني مَا أعظمَ شأني»، وقال مَا نَصُّهُ بِأنَّ: «أيًّا منهما لَمْ يَدَّعِ دَعوَى الإلٰهيَّةِ، بلْ دَعوى نَفْيِ أنيتهِ، لِيُثْبِتَ أنيَّةَ غَيْرِهِ وهو المُطْلَقُ»[(٣)].

وترجمَ لهُ أيضًا محسن أمين ووَصَفَهُ بالحكيمِ الفيلسوفِ، وأُستاذِ الحُكماءِ والمُتكلِّمينَ، ثُمَّ أظهرَ قِلَّةَ حيائِهِ بذكرِهِ مُنكراتِهِ أيّامَ وزارتِهِ لهولاكو، ودافعَ عنهُ وتأوَّلَ أفعالَهُ المُنْكرةَ، قائلًا إنّهُ قَدْ ذُكِرَ عنهُ: «أنّهُ بقي في بغدادَ يتفقّدُ الأوقافَ ويُنظِّمُها، ويُعيّنُ رواتبَ الفُقهاءِ والمدرّسينَ والصُّوفيَّةِ»؛ أيْ: أنّهُ وافقَ على الوزارةِ والإدارةِ ليتولّى أمورَ المُسلِمينَ

---

(١) روضات الجنات (٦/ ٣٠٥)، و«أعيان الشِّيعَةِ» (٩/ ٤١٩).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ١٠٩).
(٣) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (٢/ ٨٩) كما نقلهُ وترجمهُ عَنِ الفارسية مِن كتابِ «طرائق الحقائق» لمعصوم عَلِيّ وعن «أوصاف الأشراف» للطوسيِّ نفسِهِ.

بنفسهِ، وهذا النقلُ يُظْهِرُ مَدَى علاقتهِ واتّصالهِ بالصُّوفيَّةِ. وذكرَ محسن في مُصَنَّفاتِهِ كِتابَ «أوصافِ الأشرافِ» و«رسالة في العِلْم الاكتسابيِّ واللّدُنّيِّ» وغيرهِما مِنْ مُؤلَّفَاتِهِ الكثيرةِ في الفلسفةِ والكلام والرَّفْضِ[(١)].

فـالطُّوسِيُّ هذا مِنْ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ الإمَامِيَّةِ، ومِنْ غُلَاةِ المُتَصَوِّفَةِ أهلِ الوحدةِ والحُلولِ، وقَدِ ارتكبَ جرائمَ عظيمةً في حَقِّ أهلِ السُّنَّةِ أثناءَ خدمتهِ وزيرًا لهولاكو التّتَرِيِّ وطوالَ فترةِ وجودهِ حتَّى هَلاكهِ، فأراحَ اللهُ منهُ البلادَ والعبادَ لَا رَحِمَهُ اللهُ[(٢)].

يقولُ الإمامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «ولمّا انتهَتِ النّوبةُ إلى نصيرِ الشِّرْكِ والكُفْرِ المُلْحِدِ وزيرِ الملاحدةِ النّصيرِ الطُّوسِيِّ، وزيرِ هولاكو، شفَا نفسَهُ مِنْ أتباعِ الرَّسُولِ ﷺ وأهلِ دِينهِ، فعرَضَهُمْ على السَّيْفِ، حتَّى شفا إخوانَهُ مِنَ الملاحدةِ واشتفَى هو، فقتلَ الخليفةَ والقُضاةَ والفقهاءَ والمُحَدِّثينَ، واستبقَى الفلاسفةَ والمنجّمينَ والطَّبَائِعِيّينَ والسَّحَرَةَ، ونقلَ أوقافَ المدارسِ والمساجدِ والرّبطِ إليهم»[(٣)].

هكذا انتقمَ هذا المُلْحِدُ مِنَ الفُقَهاءِ والعُلَمَاءِ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، ونقلَ أوقافَ المُسلِمينَ وصَرَفَها في غيرِ وَجْهِها خِدمةً لِدِينهِ ومُعتقدِهِ ونِحْلَتِهِ التي تَجمَعُ بَيْنَ الفلسفةِ والتَّصَوُّفِ والرَّفْضِ، وقَدِ اعترفَ الشِّيعَةُ أنفسُهُمْ بانتحالِهِ الفلسفةَ والتَّصَوُّفَ وغُلُوِّهِ فيهما بالإضافةِ إلى رأسِ الشَّرِّ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ. عليهِ لَعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ.

---

(١) «أعيان الشِّيعَةِ» (٩/ ٤١٤ ـ ٤١٩).
(٢) «البداية والنهاية» لابنِ كثيرٍ (١٣/ ١٩١ ـ ١٩٢) في أخبارِ سنة (٦٥٦)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٢٧٠).
(٣) «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٢/ ٢٦٧).

٤ ـ مَيْثَمُ بنُ عَلِيٍّ البَحرانيُّ (ت ٦٧٩هـ)

تَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** ووَصَفَهُ بـ: «غوّاصِ بحرِ المعارفِ ومُقتنصِ شَوارِدِ الحقائقِ واللّطائفِ، ضَمَّ إلى الإحاطةِ بالعُلوم الشَّرعيَّةِ العُلومَ الحقيقيَّةَ والأسرارَ العرفانيَّةَ، وكان ذا كراماتٍ باهرةٍ، اتّفقَ الأَئِمَّةُ والفضلاءُ في جميعِ الأمصارِ على تسميتهِ بالعالمِ الرّبّانيِّ، وبأنّهُ لَمْ يُوجَدْ مِثلُهُ في تحقيقِ الحقائقِ، وقَدْ شَهِدَ لهُ نصيرُ المِلّةِ والدِّينِ الخواجةُ الطُّوسِيُّ بالتَّبَحُّرِ بالحِكْمَةِ والكلامِ...». ووَصَفَهُ أيضًا بأنّهُ «مِنْ جُملةِ حَمَلَةِ الأسرارِ»[(١)].

وذكرهُ **محسن أمين** في «أعيانِ الشِّيعَةِ وأعلامِهِمْ» وذكرَ ثناءَ الخواجةِ نصيرِ دِينِهِمُ الطُّوسِيِّ عليهِ ثناءً عظيمًا، وكان مُعاصرًا لهُ. ووَصَفَهُ بالفيلسوفِ المحقّقِ، والحكيمِ المُدَقِّقِ، العَالِمِ الرّبّانيِّ، غوّاصِ بحرِ المعارفِ ومقتنصِ شواردِ الحقائقِ واللّطائفِ. وذكرَ أنّهُ أحاطَ بالعُلومِ الشَّرعيَّةِ والحِكْميّةِ، وأحرزَ ذوْقًا جَيّدًا في العُلومِ الحقيقيَّةِ والأسرارِ العرفانيّةِ. وذكرَ مِنْ مُؤلَّفَاتِهِ شرحًا «لنهجِ البلاغة»، و«كتاب المعراج السماوي»، و«رسالة في الوحي والإلهام»[(٢)].

وقَدْ شرحَ مَيْثَمُ «**نهجَ البلاغةِ**» شرحًا صُوفِيًّا أظهرَ فيه عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه في شَخصيَّةٍ صُوفِيَّةٍ ليكونَ إمَامًا وقدوةً للأولياءِ والمتصوفينَ. ثُمَّ إنّهُ قدَّمَ هذا الشَّرحَ هَدِيَّةً لوكيلِ التّتارِ على بلادِ العراقِ **علاءِ الدِّينِ عطا الجوينيِّ**[(٣)]، وكان على اتّصالٍ بهِ، فكافأهُ الوكيلُ على هديتهِ ببناءِ خَانقينِ للصُّوفيَّةِ: أَحدُهُما في مشهدِ عَلِيٍّ، والآخر في مشهدِ سَلْمانَ الفارسيِّ كما يَزْعُمُونَ[(٤)]. ويَتبيّنُ تَصوُّفُهُ مِنْ هذه النُّقولِ، وبالأخصِّ مَا كافأهُ بِهِ وكيلُ التّترِ

---

(١) «روضات الجنات» (٧/ ٢١٦ ـ ٢٢١). (٢) «أعيان الشِّيعَةِ» (١٠/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣) اشتغلَ هو وأبوه في خدمةِ المغولِ، تُوفِّيَ سنةَ (٦٨٦هـ). انظر: (دولة الإسماعيلية في إيران: ص١٢٧ ـ ١٣٨).

(٤) راجع: كتاب «الصّلة بيْنَ التَّصوُّفِ والتَّشَيُّعِ» للشيبي (٢/ ٩٠ ـ ٩١).

على كتابهِ وشَرْحهِ لـ«نهج البلاغة» شرحًا يتّفقُ مع مَشَارِبِ الصُّوفيَّةِ، وكذا كتابُهُ «المعراجُ السماويُّ» و«رسالتُهُ في الوحيِ والإلهام» يَظهرُ أنَّها على الطّريقةِ الصُّوفيَّةِ التي يُطلقون عليها في كُتُبِهِمْ ومُصَنّفَاتِهِمْ غالبًا العُلومَ العرفانيّةَ.

٥ ـ حَيْدَرُ بنُ عَلِيٍّ العبيديُّ الآمليُّ (ت٧٩٤هـ)

تَرجمَ لهُ الخوانساريُّ ووَصَفَهُ بقولهِ: «سيّدُ أفضلِ المتألّهين، مِنْ أَجِلَّةِ عُلَماءِ الظاهرِ والباطنِ، وأعاظم فضلاءِ البارزِ والكامنِ، صاحبُ الكشفِ الحقيقيِّ». ونُقِلَ عنهُ أنّهُ قال في مَعرِضِ رَدِّهِ على الأشاعرةِ وغيرِهِمْ: «ومِمَّا قَدْ يتوهّمُ لبعضِهم هو أنَّ مَا يَذهبُ إليه الأشاعرةُ مِنْ نسبةِ الحُسْنِ والقُبْحِ جَميعًا إلى اللهِ... لأنَّ الأشاعرةَ المردودةَ لَمْ يتخلّصوا بَعْدُ عَنْ حَدِّ الشِّرْكِ الخفيِّ باللهِ، ولَا استغنوا في النّظَرِ إليه عَنْ روايةِ مَنْ سواهُ ولَمْ يصلوا إلى درجةِ التوحيدِ في الوجودِ ليشاهدوا جمالَ الحقِّ بخلافِ أهلِ الحالِ».

وذكرَ عنهُ أنه قال في كتابهِ «جامعِ الأسرارِ»: «**أخذتُ مِنْ لَدن عنفوانِ الشّبابِ... في تحصيلِ المعارفِ على طريقةِ أجدادي الطاهرين والأئِمَّةِ المَعصُومين، وهي التي في الظاهرِ شَريعةٌ للشِّيعَةِ الإمَامِيَّةِ، وفي الباطنِ حقيقةٌ مِنْ حقائقِ الصُّوفيَّةِ الإلٰهيّةِ**، إلى أنْ وُفِّقْتُ للتوفيقِ بَيْنَ الطائفتينِ، ومُطابقةِ كُلٍّ منهما بالآخرِ حتَّى تحقّقتْ حقيّةُ الطّرفينِ، وعرّفتُ حقيقةَ القاعدتينِ، وطابقتُ بينهما حذوَ النّعلِ بالنّعلِ والقُذَّةِ بالقذّةِ، وسُرِرْتُ لمّا صِرْتُ جامعًا بَيْنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ، وحاويًا بَيْنَ الظاهرِ والباطن، واصلًا مقامَ الاستقامةِ والتمكينِ».

وفي الهامشِ ذَكَرَ عنه أيضًا قولَهُ في «جامع الأسرار»: «**الشِّيعِيُّ والصُّوفِيُّ اسمانِ متغايرانِ لِمَعنًى واحدٍ**، فإنْ قيلَ: غالبُ الصُّوفيَّةِ في الظاهرِ

على طريقةِ أهلِ السُّنَّةِ وقواعدِهِمْ. قلنا: بلْ هُمْ فِرَقٌ كثيرةٌ كالشِّيعَةِ، وإنّما النَّاجي منهُمُ الذين حملوا أسرارَ النَّبِيِّ والأئِمَّةِ وآمنوا بهِم بحسبِ الظاهرِ والباطنِ. واعتقادي أنَّ أحدًا مِنْ هذه الطائفةِ الرّفيعةِ لَمْ يكونوا مِنْ أهلِ السُّنَّةِ إلَّا طائفةَ النّقشبنديّةَ الذين ينتهي تَصَوُّفُهُمْ إلى الخليفةِ الأوّلِ لَا غيرَ»[(١)].

هذا نَصُّ كلامِ **الآمليِّ** ويتجلَّى فيه تَصَوُّفُهُ وانحرافُهُ، ويَتَّضِحُ منه أنَّ التَّصَوُّفَ فرعٌ مِنْ فُروعِ التَّشَيُّعِ، فمذهبُهُمْ جامعٌ بَيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ.

ويَرجِعُ كونُ الصُّوفيَّة جَميعًا مِنْ أهلِ التَّشَيُّعِ إلَّا **طائفة النّقشبنديَّة** الذين تحرّكتْ فيهِمُ النَّعْرةُ السُّنِّيَّةُ؛ لمّا رأوا انتسابَ الصُّوفيَّةِ إلى أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ المزعومين وإرجاعَ كُلِّ مذاهبِهِمْ وأفكارِهِمْ إليهم؛ أخذَتْهُم عندَ ذلك عَصبِيَّتُهُمُ السُّنِّيَّةُ فزعموا أنَّ طريقتَهُمْ وسلسلتَهُمْ تنتهي إلى **أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه، ونسبوا إليهِ كُلَّ عُلومِهِمْ ومَعارِفِهِمْ وأحوالِهِمْ كَرَدَّةِ فِعْلٍ ضِدَّ الشِّيعَةِ والمُتَشَيِّعينَ مِنَ الصُّوفيَّةِ.

ويقولُ **الخوانساريُّ** في ذِكْرِ كَراماتِهِ إنّهُ «لّما تشرّفَ بزِيَارَةِ أميرِ المؤمِنينَ اتَّكَى على صَخْرَةٍ كانت هناك بحذاءِ الرَّوْضَةِ المُنوّرةِ في داخلِ الجدارِ سبعةَ أيامٍ بلياليها، ولَمْ يتغذَّ بشيءٍ في هذه المُدّةِ، ينتظرُ الرّخصةَ مِنَ الحضرةِ في الدّخولِ، فظهرَ منها في جوف الليلةِ الثامنةِ صوتٌ جَهوريٌّ أَهَالَ أهلَ المشهدِ جَميعًا لِزَعْمِهِمْ أنَّها صَيحةُ قِيَامِ السَّاعةِ، وكان فيه قائلٌ يقولُ: أدركوا وَلَدي حيدرَ... فأخذوا في تعظيمهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عليهِ»[(٢)].

وترجمَ لهُ **محسن أمين** ولَقَّبَهُ بالصُّوفِيِّ لأنّهُ يُعرَفُ بهِ، ووَصَفَهُ بأنّهُ مِنْ عُظماءِ الإِمَامِيَّةِ وأفاضلِهِمْ ومن أفاضلِ عُلَماءِ الصُّوفيَّةِ، وذكرَ أنّهُ كان غاليًا في التَّصَوُّفِ، وذَكرَ مِنْ مُصَنَّفاتِهِ كِتابَ «**التأويلاتِ**» في تَفسيرِ القُرآنِ صَنَّفَهُ

(١) «روضات الجنات» (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩). (٢) «روضات الجنات» (٢/ ٣٨٠).

بَعْدَ تصنيفهِ ثلاثةَ تفاسير، ونقلَ أنّهُ وَصَفَ تَفسيرَهُ الرّابعَ بقولهِ: «إنَّ نسبةَ تفسيري هذا إلى التفاسيرِ الثلاثةِ المتقدمةِ، كنسبةِ القُرآنِ إلى التّوراةِ والإنجيلِ والزَّبُورِ... فتفسيري هذا ناسِخٌ للتفاسيرِ الثلاثةِ».

ويقولُ محسن: «لقَدْ أَوَّلَ الآياتِ القُرآنِيَّةَ في «تفسيرهِ» هذا على مَذَاقِ الصُّوفيَّةِ وطَريقتِهِمْ». وقال: «ولهُ أيضًا «فَصُّ الفصوصِ في شَرْحِ فُصوصِ الحِكَمِ» لابنِ عَرَبِيٍّ، ولهُ «تلخيصُ كتابِ الاصطلاحاتِ الصُّوفيَّةِ» لعبدِ الرَّزَّاقِ الكاشانيِّ تلميذِ ابنِ عَرَبِيٍّ، ولهُ «الأركانُ في فروعِ شرائعِ أهلِ الإيمانِ بلسانِ أربابِ الشَّريعةِ وأهلِ العرفانِ». وقال: «إنّهُ يشتملُ على الأركانِ الخمسةِ الفرعيَّةِ، وهي الصّلاةُ والزّكاةُ والصّومُ والحجُّ والجهادُ، شريعةٌ وطريقةٌ وحقيقةٌ». وقال: «ولهُ كتابُ «جامعُ الأسرارِ ومنبعُ الأنوارِ» وهو في علمِ التوحيدِ وأسرارهِ وحقائقهِ وأنوارهِ، وحقّقَ فيه مطالبَ الصُّوفيَّةِ ونقَّحَها، وخصوصًا مطلبَ التوحيدِ»[(١)].

وترجمَ له **الزِّرِكْليُّ** في كتابهِ «الأعلام»، وذكرَ في مُؤلَّفاتهِ كتابَ «مدارجِ السالكين في مراتبِ العارفين»[(٢)].

وذكرَ **الشيبيُّ** أنَّ كتابَهُ «جامع الأسرار» اسمُهُ الكاملُ: «جامع الأسرار ومنبع الأنوارِ في أنَّ عَقائِدَ الصُّوفيَّةِ موافقةٌ لمذهبِ الإمَامِيَّةِ الاثني عشريّة»، وذكرَ أنّهُ في كتابهِ هذا اختارَ ورجّحَ مِنَ التَّشَيُّعِ العقيدةَ الإمَامِيَّةَ الاثني عشريَّةَ، ومِنَ التَّصَوُّفِ رأْيَ أصحابِ وحْدَةِ الوجُودِ، ويُسمِّيهم أربابَ التوحيدِ، ومَزجَهُما في فِرْقةٍ واحدةٍ، **ونَصَّ على أنَّ الشِّيعِيَّ والصُّوفِيَّ اسمانِ متغايرانِ لحقيقةٍ واحدةٍ وهي الشِّيعَةُ المُحمّديَّةُ؛ وذلك لاختصاصِ الصُّوفيَّةِ بالأسرارِ الإلٰهيّةِ واتّصالِهِمْ بالأئِمَّةِ وأَخْذِهِم عنهم كالشِّيعَةِ تَمامًا**.

واستدلَّ أيضًا بتتلمذِ الحَسَنِ البَصْريِّ رَحِمَهُ اللهُ على عَلِيِّ بنِ أبي

(١) «أعيان الشِّيعَةِ» (٦/ ٢٧١ ـ ٢٧٣).
(٢) «الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٢/ ٢٩٠).

طَالِبٍ رضي الله عنه، وأَخْذِ ابنِ أَدْهَمَ عَنْ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ، وأبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وشَقيقٍ البلخيِّ عَنْ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ، ومَعروفٍ الكَرْخيِّ عَنْ عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا.

واستدلَّ أيضًا بجعلِ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ **عَلِيًّا** مُستندًا لخِرْقَتِهِمْ، وباعتقادِهِم وجودَ **المَهْدِيِّ المنتَظَرِ** وإنْ سمّوهُ قُطْبًا، وباتّفاقِهِمْ على **التَّقِيَّةِ** وكَتْمِ الأسرارِ. كما ذكرَ في كتابِهِ هذا عقيدةَ الصُّوفيَّةِ في الحقيقةِ المُحمّديَّةِ والإنسانِ الكاملِ، وصَبَغَها بصبغةٍ شِيعِيَّةٍ وذكرَ سلسلتَهُ في التَّصَوُّفِ وسَنَدَهُ، ونَصَّ على أنَّها تنتهي بأبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ[1].

٦ ـ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ أحمدَ القاشانيُّ ويُعْرَفُ أيضًا بالكاشانيِّ والكاشيِّ (ت٧٣٠هـ)

ذكرهُ جماعةٌ مِنْ مؤلّفي الشِّيعَةِ في كُتُبِهِمْ وطبقاتِهِمْ ورجالِهِمْ:

ذكرَهُ **عَبدُ اللهِ الأصْبَهانِيُّ** فقال: «السّيِّدُ الأميرُ عبدُ الرَّزَّاقِ الكاشانيُّ، فاضلٌ، عالمٌ، جليلٌ، عابدٌ، زاهدٌ، وَرِعٌ»[2].

وذكره **الخوانساريُّ** فقال: «مولانا كمالُ الدِّينِ عبدُ الرَّزَّاقِ الكاشيُّ، العالمُ العارفُ، المحقّقُ في مراتبِ التأويلِ وعُلومِ التّنزيلِ». وذكرَ أنَّ (شهيدَهُمُ الثاني) أَثنى عليهِ وبالغَ في مدحهِ. ونقلَ عَنْ صاحبِ «مجالسِ المؤمنين» الذي وَصَفَهُ بأنّهُ مولاهُمُ العارفُ الكاشفُ لأسرارِ الغواشي، وأنّهُ مِنَ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ.

ثُمَّ ذكرَ **الخوانساريُّ** مِنْ مُصَنَّفاتِهِ: «شرحَ فصوص ابنِ عَرَبِيٍّ» و«شرحَ منازل السائرين» للأنصاريِّ، ورسالةً في «اصطلاحاتِ الصُّوفيَّةِ»[3].

---

(١) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ» للشيبي (٢/ ١٠٤ ـ ١١١)، كما نقله عن «جامع الأسرار» ـ وهو مخطوط.

(٢) «رياض العُلَماء وحياض الفضلاء» (٣/ ١١٦).

(٣) «روضات الجنات» (٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

وذكرهُ **عَبَّاسٌ القُمِّيُّ** ووَصَفَهُ بأنّهُ مولاهُمُ القاشانيُّ، صاحبُ «تأويلِ الآياتِ» و«شرح الفصوص» و«شرح منازل السائرين»[(١)].

وذكره **(محسن أمين)** على أنّهُ مِنْ أعيانِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ وأعلامِهِمْ، ووَصَفَهُ بالسّيّدِ الأميرِ، وأنّهُ فاضلٌ، عالمٌ، عارفٌ، زاهدٌ، وَرِعٌ، إلى غيرِ ذلك مِنْ عباراتِ المدحِ والثّناءِ. ثُمَّ ذكرَ مُؤلَّفَاتِهِ ومُصَنَّفاتِهِ، منها مِمَّا لهُ علاقةٌ بِالتَّصَوُّفِ: «شرح منازل السائرين» و«لطائف الإلهام» و«شرح فصوص الحكم» لشيخهِ وأستاذِهِ ابنِ عَرَبِيٍّ، و«تحفة الإخوان في خصائص الفتيان وبيان حقائق الإيمان» وذكرَ أنّها رسالةٌ في الفتوّةِ، ولهُ أيضًا كتابُ «اصطلاحاتِ الصُّوفيَّةِ»[(٢)].

وذكرَ **الزِّرِكْلِيُّ** مِنْ مُؤلَّفَاتِهِ التي لها علاقةٌ بِالتَّصَوُّفِ: «كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض»، و«لطائف الإعلام في إشارات أهل الأفهام»، و«رشح الزلال في الألفاظ المتداولة بَيْنَ أرباب الأذواق والأحوال»[(٣)].

ويقولُ **الدكتور مُحَمَّدْ كمال إبراهيم** مُحَقِّقُ كتابِ «اصطلاحاتِ الصُّوفيَّةِ» للقاشانيِّ في مُقدّمتهِ: «وليس مِنْ قبيلِ الصّدفةِ أنْ يَتَّجِهَ القاشانيُّ مثلًا إلى شرحِ (تائيَّةِ ابن الفارضِ) التي تُعتبَرُ بحقٍّ أروعَ نَمَطٍ جماليٍّ في مَيْدَانِ الشِّعْرِ الصُّوفِيِّ الفلسفيِّ الرَّمزيِّ الذي يَنظمُ فوائدَ الرحلةِ الروحيّةِ ومدارجَ السالكينَ إلى اللهِ». ويُثْنِي على القاشانيِّ وعلى شرحهِ هذا بأنّهُ أَتَمَّهُ على خيرِ وَجْهٍ، وأنّهُ يَنُمُّ عَنْ ذوقٍ وبصَرٍ وتقديرٍ لِقِيَمِ الجمالِ وأنماطهِ[(٤)].

إنَّ ثناءَ هذا **الدكتورِ** على أَئِمَّةِ الكُفْرِ والإلْحَادِ مِنَ الفلاسفةِ المتصوفينَ؛ لَا يَصدُرُ إلَّا عَنْ جَاهِلٍ بأُصُولِ الإسلامِ وعَقائِدِ المُسلِمينَ، أو

(١) «الكنى والألقاب» للقُمِّيِّ (٣/ ٣٠).
(٢) «أعيان الشِّيعَةِ» (٧/ ٤٧٠).
(٣) «الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٣/ ٣٥٠).
(٤) «اصطلاحات الصُّوفيَّةِ» للقاشاني ـ مقدمة المحقق (ص: ٣ ـ ٤).

عَنْ مُنْحَرفٍ مشاركٍ لَهمْ في الفِكْرِ والاتجاهِ، ولستُ أدري أين يَضعُ هذا الدكتورُ نفسَهُ.

ثُمَّ إنَّ **القاشانيَّ** يُعتبَرُ مِنْ أَخَصِّ تلاميذِ **ابنِ عَرَبِيٍّ** الصُّوفِيِّ الفيلسوفِ المُتَشَيِّعِ المُنحرفِ، وفي كتابهِ «اصطلاحاتِ الصُّوفيَّةِ» يَنقُلُ كثيرًا عَنْ **جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادقِ** فيما يَنْسُبُهُ إليه، ويُلَقِّبُهُ «بالإمام عليه السلام». وقَدْ ذكرَ عنهُ قولَهُ: «مَنْ عَرَفَ الوصلَ مِنَ الفصلِ، والحركةَ مِنَ السكونِ؛ فقَدْ بلغَ مبلغَ القرارِ في التوحيدِ». ويروي في **المعرفة**: «والمرادُ بالحركةِ: السلوكُ لسكونِ القرارِ في عَيْنِ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ»[(١)].

هكذا يَربطُ بَيْنَ اصطلاحاتِ ورُموزِ الصُّوفيَّةِ المُنحرفةِ، وبَيْنَ التَّشَيُّعِ بنسبةِ هذه الأقوالِ إلى مَنْ تَزْعُمُ الشِّيعَةُ أنّهم أئِمَّتُهُمْ.

وفي شرحهِ «للقطبية الكبرى» يقولُ: «هي مرتبةُ قُطْبِ الأقطابِ، وهو باطنُ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ولَا يكونُ إلَّا لورَثَتِهِ، لاختصاصهِ عليه السلام بالأكمليَّةِ، فلا يكونُ خَاتَمُ الوِلايَةِ وقطبُ الأقطابِ إلَّا على باطنِ خاتَمِ النُّبُوّةِ»[(٢)]. ويُريدُ بالوَرَثَةِ ـ مَا يَعتقدُهُ هو وشِيعَتُهُ ـ **أئِمَّتَهُمُ الإثْنَيْ عَشَرَ** المَعصُومين بِزَعمِهِمْ، ويَربِطُها بِمَا تُرَدِّدُهُ الصُّوفيَّةُ بقُطبِ الأقطابِ، ويُبيِّنُ أنَّ الإمامَ وقطبَ الأقطابِ اسمانِ لحقيقةٍ واحدةٍ.

٧ ـ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ فهدٍ الحِلِّيُّ (ت٨٤١هـ)

تَرجمَ لهُ **عَبدُ اللهِ الأصْبَهانِيُّ**، وأَثنى عليهِ بالفضلِ والعِلْمِ والزُّهْدِ والعبادةِ، وقال: «ولهُ مَيلٌ إلى مَذهبِ الصُّوفيَّةِ، وتَفوَّهَ بهِ في بعضِ مُؤلَّفاتهِ». وذَكرَ مِنْ مُصَنَّفاتِهِ: «عُدَّةَ الدَّاعِي»، و«التّحصينَ»، و«صفاتِ العارفينَ» وذكرَ في الهامشِ أنَّ مَضمونَهُ العُزْلَةُ، و«الخمولَ بالأسانيد المتلقاة

(١) «اصطلاحات الصُّوفيَّة» للقاشاني ـ مقدمة المحقق ـ (ص: ٥١).
(٢) المصدر نفسه ـ مقدمة المحقق ـ (ص: ٤٥).

عَنْ آلِ الرَّسُولِ»، وذكرَ مَيْلَهُ إلى التَّصَوُّفِ[(١)].

وتَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** ووَصَفَهُ بـ: «العالِم العاملِ العارفِ، وكاشفِ أسرارِ الفضائلِ»، وذكرَ أنّهُ اشتهرَ بالذَّوْقِ والعرفانِ والزُّهْدِ والأخلاقِ والخوفِ والإشفاقِ، وأنّهُ جمعَ بَيْنَ القِشْرِ واللُّبِّ، واللَّفظِ والمَعنَى، والظاهرِ والباطن. ونقلَ ثناءَ كثيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ عليهِ. ويَزْعُمُ أنَّ مَجْلِسَ مناظرةٍ عُقِدَتْ لهُ مع المخالفينَ في مسألةِ الإمامةِ على مَذهَبِ الشِّيعَةِ، وأنّهُ غلبَ جميعَ عُلَماءِ العراقِ، مِمَّا حملَ السُّلْطانَ على تغييرِ مذهبِهِ وتَشَيُّعِهِ. وذكرَ لهُ مصنفاتٍ كثيرةً في مَذهبِهِمْ، وأمَّا مَا صَنَّفَهُ على مَذهبِ المُتَصَوِّفَةِ فذكرَ: «عُدَّةَ الدَّاعِي» و«أسرارَ الصّلاةِ» و«التحصينَ»، و«صفاتِ العارفينَ»[(٢)].

وترجمَ لهُ **القُمِّيُّ** ووَصَفَهُ بـ: «جمالِ السالكين، الزاهدِ، العابدِ، صاحبِ المقاماتِ العاليةِ». ونقلَ ثناءَ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ عليهِ[(٣)].

وترجمَ لهُ **المَامَقَانيُّ**، وأثنى عليهِ كثيرًا في عبادتهِ وزهدهِ ووَرَعِهِ، وجمعِهِ بَيْنَ الظاهرِ والباطنِ. ثُمَّ نقلَ عَنْ إمامِهِمُ المجلسيِّ قولَهُ فيه: «كان زاهدًا مُرتاضًا، عابدًا، يميلُ إلى التَّصَوُّفِ». وذكرَ مِنْ مُؤلَّفَاتهِ التي لها علاقةٌ بِالتَّصَوُّفِ: «عُدَّةَ الدَّاعِي»، و«التّحصينَ»، و«صفاتِ العارفينَ»[(٤)].

وترجمَ لهُ **محسن أمين**، وأثنى عليهِ كثيرًا، وذكرَ مَيْلَهُ إلى التَّصَوُّفِ والتَّكَلُّمِ بهِ في مُؤلَّفَاتهِ. ونقلَ فيه أقوالَ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ في تَصَوُّفِهِ كقولِ المجلسيِّ المتقدمِ، وقولَ آخرَ عنهُ: «كان صُوفِيًّا مرتاضًا، صاحبَ ذَوقٍ وحالٍ». وذكرَ مِنْ مُؤلَّفَاتهِ في التَّصَوُّفِ كتابَ «التحصينِ»، و«صفاتِ العارفين»[(٥)].

---

(١) «رياض العُلَمَاء وحياض الفضلاء» (١/ ٦٤ ـ ٦٥).
(٢) «روضات الجنات» (١/ ٧١ ـ ٧٢).
(٣) «الكنى والألقاب» (١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩).
(٤) «تنقيح المقال في علم الرجال» (١/ ٩٢ ـ ٩٣).
(٥) «أعيان الشِّيعَةِ» (٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

ويقولُ **الدكتور كامل مصطفى الشيبيُّ** إنّهُ اطّلعَ على هذا الكتابِ وهو مخطوطٌ وموجودٌ في مَكتبةِ المتحفِ البريطانيِّ، وإنَّ ابنَ فَهدٍ بدأَ كتابَهُ بدايةً صُوفِيَّةً مسجوعةً فقال: «الحمدُ للهِ الذي تجلَّى لعبادهِ، فشغلَهُمْ عَنِ الشهواتِ، وأظهرَ لَهمْ نورَهُ، فهداهمْ عَنِ الغفلاتِ، ولَعَقَهُمْ مِنْ شرابِ حُبِّهِ فسكروا في غَيْبِهِ، وتاهوا في الفَلواتِ، ووثقوا بهِ فأغناهُمْ، وتوكّلوا عليهِ فكفاهُمْ، وصرفَ عَنهُمُ المحذوراتِ، وغسلَ ظاهرَهُمْ مِنْ دناساتِ الدُّنيا، وجلّا بواطنَهُمْ بأسرارِ المكاشفاتِ».

ويقولُ **الشيبيُّ** إنّهُ في كتابهِ هذا يدعو إلى العُزْلَةِ، ويذكرُ فيها أخبارًا عَنِ الأنبياءِ والأئِمَّةِ في تفضيلِ العُزْلَةِ والخُمولِ مِمَّا هو على مَشْرَبِ الصُّوفيَّةِ. ونقلَ عنهُ وَصْفَهُ لكتابهِ فقال: بِأنَّ «مضمونَهُ العزلةُ بالأسانيدِ المتلقاةِ مِنْ آلِ الرَّسُولِ عَليهِمُ الصّلاةُ والسلامُ». ويَعرضُ الشيبيُّ الكتابَ ومباحثَهُ مِمَّا يُبَيِّنُ تَصَوُّفَ ابنِ فَهْدٍ، وينقلُ عنهُ نُصوصًا تَدُلُّ على ذلك منها قولُهُ: «إنَّ القَلبَ مَا لَمْ يُنَقَّ مِنَ الحرصِ وسَوْرَةِ الغضبِ وتقاضي الشّهوةِ لَمْ يَكُنْ مَحَلًّا لإشراقِ الأنوارِ الإلٰهيَّةِ بلْ لَمْ يَصلُحْ لخدمةِ الربوبيَّةِ»(١).

وذكرَ أيضًا كتابَهُ «عُدَّةَ الدَّاعِي» الذي أَلَّفَهُ على مَشْرَبِ الصُّوفيَّةِ في الدُّعاءِ وآدابهِ وكيفيتهِ واستجابتهِ، ثُمَّ ذِكْرِهِ لأسماءِ اللهِ الحُسْنَى وبيانِ أسرارِها وفضائِلِها وفوائِدِها، وتَكَلُّمِهِ عَنِ الذِّكْرِ الخفيِّ وغيرِ ذلك مِنْ مسائلِ وآدابِ وعَقائِدِ الصُّوفيَّةِ التي يَستدلُّ لها بأقوالٍ وأخبارٍ يَنْسُبُها للأنبياءِ، وبعضِ الصَّحَابَةِ كعَلِيٍّ وسلمانَ وأبي ذَرٍّ ﷺ، والأئِمَّةِ المَعصُومين بِزَعمِهِمْ. ويَصِفُ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ ﷺ في هذا الكتابِ فيقولُ: «سيّدُ الوصيّينَ وتاجُ العارفينَ ووصيُّ رَسُولِ ربِّ العالمينَ». ويَصِفُ الفَقْرَ بقولِهِ: «الفقرُ حِلْيَةُ

---

(١) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) نقلًا عَنِ المخطوط: «التحصين وصفات العارفين».

الأولياءِ وشعارُ الصالحينَ». وغير ذلك مِمَّا يَدُلُّ على غُلُوِّهِ في التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ(١).

٨ ـ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ أبِي جمهور الإحسائيُّ، الهالكُ بَعْدَ سنةِ (٩٠١هـ)

تَرجمَ لهُ **عَبدُ اللهِ الأَصْبَهانِيُّ**، وأثنى عليهِ في عِلمهِ وفضلِهِ ودِينِهِ، وذَكَرَ مِنْ مُصَنَّفاتِهِ مِمَّا لها علاقةٌ بِالتَّصَوُّفِ: «رسالةَ مسلك الأفهام في عِلْمِ الكلام»، وقال: «إنّهُ تعرّضَ فيه للجمعِ بَيْنَ أقوالِ المُتكلِّمينَ والحُكماءِ، بلِ الصُّوفيَّةِ والأشعريَّةِ والمُعتَزِلةِ أيضًا». وذكرَ كتابَ «المجلي لمرآةِ المنجي»، وقال: إنّهُ شرحٌ لـ«مسلكِ الأفهام»، وقَدْ جَمعَ فيه بَيْنَ طُرقِ الحُكماءِ والمُتكلِّمينَ والصُّوفيَّةِ، وإنَّهُ بسطَ الكلامَ في مَبحثِ الإمامةِ فيه، وأجادَ ونقّحَ(٢).

وتَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** ووَصَفَهُ: «بالشّيْخِ الفاضلِ المحقّقِ، والحبْرِ الكاملِ المدقّقِ خُلاصةِ المتأخرينَ». ثُمَّ ذكرَ كتابَ «المجلي» ووَصَفَهُ بأنّهُ على مَذاقِ الصُّوفيَّةِ، ونقلَ ثناءَ جماعةٍ مِنْ عُلمائِهِمْ عليهِ، منها قولُ أحدِهِمْ عنهُ: «إنّهُ مُتكلِّمٌ، فَقيهٌ، صُوفِيٌّ، لهُ كتابُ المجلي، جمعَ فيه بَيْنَ الكلامِ والتَّصَوُّفِ»(٣).

وترجمَ لهُ **القُمِّيُّ** وأثنى عليهِ، وذكرَ كتابَهُ «المجلي»، ونقلَ كثيرًا مِنْ نصائحهِ للطُّلَّابِ والمُريدينَ في احترام وتعظيم أساتذتِهِمْ وشُيوخِهِمْ(٤).

وترجمَ لهُ **المامقانيُّ**، وذكرَ عِلْمَهُ وفضلَهُ، وثناءَ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ عليهِ، وذكرَ مَيْلَهُ إلى الحِكْمَةِ والتَّصَوُّفِ وتصنيفهِ فيه(٥).

---

(١) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع» (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٥). نقلًا عَنِ المخطوط: «عدة الداعي».
(٢) «رياض العُلَمَاء وحياض الفضلاء» (٥/ ٥٠ ـ ٥١).
(٣) «روضات الجنات» (٧/ ٢٦ ـ ٣٠).
(٤) «الكنى والألقاب» (١/ ١٨٣).
(٥) «تنقيح المقال في علم الرجال» (٣/ ١٥١).

وترجمَ لهُ **محسن أمين** على أنّهُ مِنْ أَعيانِهِمْ وأعلامِهِمْ، ووَصَفَهُ بالفقيهِ، الحكيمِ، الفيلسوفِ المتكلِّمِ، المُحَدِّثِ، الصُّوفِيِّ. وذكرَ كتابَهُ «المجلي في مرآةِ المنجي» وأنّهُ في العرفانِ والتَّصَوُّفِ والأخلاقِ، وقال: «وهو ذو فضائلَ جمّةٍ، ولكنّ التَّصَوُّفَ الغالي المفرطَ قَدْ أبطلَ حَقَّهُ»[١].

ويَصِفُ **الدكتور كامل الشيبيُّ** مَجيئَهُ إلى النَّجَفِ واستقبالَ الشِّيعَةِ لهُ بالحماسِ البالغِ والتقديرِ العظيم[٢]، مِمَّا يَدُلُّ على عَدَمِ إبطالِ حَقِّهِ عِنْدَ الشِّيعَةِ وأنَّ **محسن أمين** ذكرَ هذه العبارةَ تَقِيَّةً لَا غيرَ لِما ثبتَ عنهُ غُلُوُّهُ وإفراطُهُ في التَّصَوُّفِ والفلسفةِ والإلحادِ. خَاصَّةً وأنّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ الطّعنُ فيه عِنْدَ مَنْ ترجمَ لهُ مِمَّن ذَكَرْتُهُمْ، بلْ لَمْ يُشِرْ أَحَدٌ منهم إلى شَيْءٍ مِمَّا يُشعرُ القدحَ فيه أو إبطالَ حَقِّهِ.

ثُمَّ مَا هو الحَقُّ الذي يَزْعُمُهُ محسنٌ بأنّهُ قَدْ أُبْطِلَ؟

وها هو **الخوانساريُّ** يَنقُلُ مَا يَنقضُ قولَ **محسنٍ** فيَنقلُ عَنْ صاحبِ «مجالس المؤمنين» مَا نَصُّهُ: «إنّهُ بقي شهرًا كاملًا عِنْدَ الشّيْخ عَلِيِّ بنِ هلالٍ، بَعْدَ رجوعهِ مِنْ سفرِ حجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، يستفيدُ فيه مِنْ بركاتِ أَنفاسهِ، ثُمَّ عادَ إلى وطنهِ الأصليِّ، ثُمَّ خرجَ منها إلى زِيارَةِ أَئِمَّةِ العراقِ عليهم السلام، ثُمَّ عزمَ على زِيارَةِ مولانا الرِّضا عليه السلام والإقامةَ بأرضِ **طُوسَ** المباركةِ، فأعطاهُ اللهُ في ذلك مُناهُ وجعلَ عاقبتَهُ خيرًا مِنْ أُولاهُ»[٣]؛ أَيْ: أنّهُ بسببِ زيارتهِ لأَضرحةِ الأَئِمَّةِ ومجاورتهِ لها حصلَ لهُ خَيْرٌ عظيمٌ، ويَدُلُّ على ذلك ثناءُ جماعةٍ كبيرةٍ مِنْ علمائِهِمْ عليهِ واعترافُهُمْ بفضلهِ وتقديرُهُمْ إيَّاهُ.

وذكرَ **الشّيبيُّ** أنَّ ابنَ أبي جمهورٍ راجعَ كتابَهُ، ونقَّحَهُ، وأضافَ إليه،

---

(١) «أعيان الشِّيعَةِ» (٩/ ٤٣٤).
(٢) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع» (٢/ ٣١٧).
(٣) «روضات الجنات» (٧/ ٢٧).

وأخرجهُ للشِّيعَةِ والطُّلّابِ خَاصَّةً في النَّجَفِ باسمِ: «مجلي مرآة النور المنجي مِنَ الظلام».

ويَصِفُ **ابنُ أبي جمهورٍ** كتابَهُ هذا فيما ينقلهُ عنهُ **الشّيبيُّ** أثناءَ عرضهِ للكتابِ وما فيه فيقولُ إنّهُ: «يشتملُ على الحِكْمَةِ الإلٰهيّةِ، ونفائسِ أسرارِ العُلومِ العرفانيّةِ، وخُلاصةِ زبدةِ الوصولِ، ونهايةِ مراتبِ الكمالِ المأمول». ويقولُ **الشيبيُّ**: «أظهرَ في كتابهِ التقديرَ والإعجابَ بمَيْثَم البحرانيِّ، وحَيْدَرٍ الآمليِّ الذي يَصِفُهُ بالسّيّدِ العلّامةِ المتأخّرِ صاحبِ الكشفِ الحقيقيِّ، وكذلك الفاضلِ المتأخرِ قُطبِ الأقطابِ». وذكرَ **الشيبيُّ** أنّهُ تبنَّى إكمالَ مسيرتهِ في سَعْيهِ مَزْج التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع في فرقةٍ واحدةٍ.

وقَدْ تقدمَ ذكرُ **مَيْثَمٍ البحرانيِّ** وتَصَوُّفُهُ، وذِكْرُ **الآمليِّ** وغُلُوِّهِ في التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ.

وذكرَ **الشيبيُّ** أيضًا استشهادَهُ بأقوالِ: أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ، وحُسَيْنٍ الحلَّاجِ، وأبي بَكْرٍ الشِّبْليِّ، وأبي حَامِدٍ الغَزاليِّ، وابنِ عَرَبِيٍّ، بالإضافةِ إلى أفلاطونَ، وأرسطو، والفارابيِّ، وابنِ سينا، والرازيِّ، ونصيرِ دينِ الشِّيعَةِ الطُّوسِيِّ، وغيرِهِم مِنْ أساطينِ التَّصَوُّفِ والفلسفةِ وأركانِ الإلحادِ والرَّفْضِ. وذلك في محاولتهِ لتوحيدِ أفكارِ الفلاسفةِ والمُتكلِّمينَ والصُّوفيَّةِ، وإثباتِ أنَّ هؤلاءِ جَميعًا فرقةٌ واحدةٌ ذاتَ عقيدةٍ واحدةٍ.

ويقولُ **الشيبيُّ** أيضًا: «إنّهُ في كتابهِ هذا يدعو إلى عقيدةِ وحْدَةِ الوجُودِ»، مُستشهدًا بأقوالِ المُنحرفِ المأفونِ حُسَيْنٍ الحلَّاجِ، والتَّائهِ السّكرانِ طيفور البِسْطَاميِّ، ومؤيدًا مذهبَهُ هذا الفاسدَ ببعضِ الآياتِ القُرآنيَّةِ التي ظنّها تُؤيِّدُهُ في دعواهُ، وتَنصُرُهُ في باطلهِ، مثل قولِهِ تَعالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وغيرِها.

ويقولُ: «إنّهُ ذكرَ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ بأنّهُ الوَلِيُّ الذي نَصّبَهُ اللهُ، وحباهُ بالعصمةِ، وجعلَهُ إنسانًا كاملًا، يقومُ مقامَ الرَّسُولِ، وأنّهُ خلقَهُ قَبْلَ آدمَ،

واعتبرَهُ خاتَمَ الأولياءِ». على طريقةِ ابنِ عَرَبِيٍّ، الذي اعتمدَ عليهِ في هذه المسألةِ. ثُمَّ إنّهُ جعلَ الأئِمَّةَ الاثْنَيْ عَشَرَ أولياءً عارفين وشيوخًا لأئِمَّةِ التَّصَوُّفِ، حتَّى وَصَلَتِ الوِلايَةُ إلى **المهديِّ** الذي صارَ بزعمِهِ «قطبَ الوقتِ وإمامَ الزمانِ وخليفةَ العصرِ وخاتَمَ الوِلايَةِ المحمديّةِ». مُستشهدًا في ذلك كُلِّهِ بأقوالِ: حَيْدَرٍ الآمليِّ، وابنِ عَرَبِيٍّ، وعبد الرَّزَّاقِ القاشانيِّ(١).

كما ذكرَ **الشيبيُّ** اهتمامَ وتقديرَ الشِّيعَةِ لهذا المُنحرفِ، فذكرَ أنَّ معصومَ عليّ الشِّيعِيَّ الصُّوفِيَّ وَصَفَهُ بأنّهُ «مِنْ جُملةِ الفقهاءِ الأعلامِ، والمحقّقينَ العظامِ، الذين صحّحوا للشّيوخِ طريقَ التَّصَوُّفِ، وصدَّقوه، ووضعوا أُسُسَ العقائدِ الدّينيَّةِ»(٢).

٩ ـ مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ الشيرازيُّ
المشهورُ بصدرِ المتألِّهينَ وصدرِ الدِّينِ (ت١٠٥٠هـ)

تَرجمَ لهُ **عَبدُ اللهِ الأصْبَهانِيُّ**، وذكرَ اضطلاعَهُ بالحِكْمَةِ، وكَثْرةِ مُؤلَّفَاتهِ(٣).

وتَرجمَ لهُ **الخوانساريُّ** ووَصَفَهُ بالمولَى الفاضلِ، والحكيمِ المُتألّهِ، وذكرَ تفوّقَهُ على سائرِ مَنْ تقدَّمَهُ مِنَ الحكماءِ والعُلَمَاءِ الراسخينَ بزعمِهِ، إلى زمنِ نَصيرِ دينِهِمْ ومِلَّتِهِمُ الخواجةِ الطُّوسِيِّ، ووَصَفَهُ بأنّهُ مُنَقِّحُ أُسُسَ الإشراقِ بِمَا لَا مزيدَ عليهِ. وذكرَ لهُ مُؤلَّفَاتٍ كثيرةً، منها: شرحٌ على «أُصُولِ الكافي» لِلْكُلَيْنِيِّ، و«شواهد الرُّبُوبِيَّة»، و«شرح حكمة الإشراق»، و«الواردات القَلبية»، و«المسائل القدسية والقواعد الملكوتية»، و«إكسير العارفين في معرفة طريق

(١) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (٢/ ٣١٧ ـ ٣٢٢) كما نقله عن كتابِ «المجلي» لابنِ أبِي جمهور.
(٢) «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّعِ» (٢/ ٣٢٣) نقله وترجمه عَنِ الفارسية مِن كتابِ «طرائق الحقائق» لمعصوم عَلِيّ.
(٣) «رياض العُلَمَاء وحياض الفضلاء» (٥/ ١٥).

الحقّ واليقين»، وغيرُها مِمَّا لهُ علاقةٌ بِالتَّصَوُّفِ والفلسفةِ والإلحادِ، ونقلَ عَنْ بَعضِ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ قولَهُ فيه: «كان حكيمًا فلسفيًّا، صُوفِيًّا بحتًا»(١).

وترجمَ لهُ **محسن أمين**، وَعَدَّهُ مِنْ أعيانِ الشِّيعَةِ وأعلامِهِمْ، ووَصَفَهُ بأنّهُ مِنْ عُظماءِ الفلاسفةِ الإلٰهيّينَ الذين لَا يجودُ بِهِمُ الزّمنُ إلَّا في فتراتٍ مُتباعدةٍ مِنَ القُرونِ، وبأنّهُ المدرّسُ الأوّلُ لمدرسةِ الفلسفةِ الإلٰهيَّةِ في القُرونِ الثلاثةِ الأخيرةِ في البلادِ الإسلامِيَّةِ الإِمَامِيَّةِ على حَدِّ تَعبيرِهِ، وبأنّهُ الوارثُ الأخيرُ للفلسفةِ اليونانيَّةِ والإسلامِيَّةِ والشارحُ لهما والكاشفُ عَنْ أسرارِهما. وأنّهُ تتلمذَ على الشّيْخِ البهائيِّ الذي خلقَ منهُ صُوفِيًّا عرفانيًّا، وفيلسوفًا إِلَهيًّا فريدًا قَلَّ نَظيرُهُ أو لَا نظيرَ لهُ.

كان يَقولُ ويُصَرِّحُ بوحْدَةِ الوجُودِ، وألّفَ فيها رسالةَ «**طرح الكونين في وحْدَةِ الوجُودِ**»، ونقلَ عنهُ قولَهُ: «**إنَّ وحْدَةَ الوجُودِ هي التوحيدُ الحقيقيُّ الذي لَا يُشَابُ بالشِّرْكِ؛ لأنَّ التوحيدَ توحيدٌ في العبادةِ، وتوحيدٌ في الخَلْقِ، وتوحيدٌ في الوجودِ**». وَيُسَمِّيهِ بالتوحيدِ الخاصِّ.

ونقلَ عنهُ زَعمَهُ: «أنّهُ لطولِ اشتغالهِ بالمجاهداتِ والرياضاتِ فاضتْ عليهِ أنوارُ الملكوتِ وحلَّتْ فيه خبايا الجبروتِ، والأضواءُ الأَحديَّةُ، والألطافُ الإلٰهيَّةُ حتَّى تَمكَّنَ مِنَ الاطِّلاعِ على الأسرارِ».

وذكر **محسن أمين** أنّهُ أَلَّفَ كتابَ «الأسفارِ»، وملأَهُ بِكُلِّ أفكارِهِ وآرائهِ ومُكاشفاتِهِ وشواهدِ الرُّبُوبيَّة والوارداتِ القَلبيَّةِ والمشاعرِ الإلٰهيّةِ، بزعمِهِ وزعمِ مَنْ ترجمَ لهُ. وذكرَ شِدَّةَ تحامُلِهِ على العُلَمَاءِ والفقهاءِ؛ يعني: أهلَ السّنّةِ وانتقادِهِمْ، والإكثارِ مِنَ الطّعنِ فيهم وفي عُلومِهِمْ؛ لِما يُنكرونَهُ على أهلِ العرفانِ والمكاشفاتِ بزعمِهِ.

وذكرَ أنّهُ يَغْلُو في تَعظيمِ عُلومِ الفلسفةِ والتَّصَوُّفِ، ويُعَبِّرُ عنها بقولِ

(١) «روضات الجنات» (٤/ ١٢٠ ـ ١٢٢).

ابنِ عَرَبِيٍّ في وَصْفِها: «هذه قوابسُ مقتبسةٌ مِنْ مشكاةِ النُّبُوّةِ والوِلايَةِ، مستخرجةٌ مِنْ ينابيعِ الكتابِ والسُّنَّةِ، مِنْ غيرِ أنْ تُكتسبَ مِنْ مناولةِ الباحثينَ، ومزاولةِ صُحبةِ المعلّمين».

وذكرَ أنّهُ يُكْثِرُ مِنَ النّقلِ عَنِ ابنِ عَرَبِيٍّ في جميعِ كُتُبِهِ، ولَا يذكرُهُ إلَّا بالتّقديسِ والتّعظيمِ، ويَصِفُهُ «بالحكيمِ العارفِ» و«الشّيْخِ الجليلِ»، ويَعتبرُهُ مِنْ أعاظمِ الإلٰهيينَ القدّيسين، والممثلَ لطائفةِ مَشايخِ الصُّوفيَّةِ. ويُعبّرُ عَنْ أقوالِهِ التي يستشهدُ بِهَا أحيانًا أنَّها مِنَ النُّصوصِ الدّينيَّةِ التي يجبُ التّصديقُ بِهَا، ولَا يحتملُ فيها الخطأُ. وبعد النقلِ عنهُ يقولُ: «انتهى كلامُهُ الشّريفُ»؛ تعظيمًا لهُ وإجلالًا. ويقدمُ أقوالَهُ وآراءَهُ على أقوالِ وآراءِ ابنِ سينا ونصيرِ دينِهِمُ الطُّوسِيِّ، فإنَّهُ ينتقدُهما ويُفَنِّدُ آراءَهما، في حين يتحاشَى مخالفةَ ابنِ عَرَبِيٍّ. ويَصِفُ آراءَهُ أحيانًا بأنّها مِمَّا لَا يمكنُ الوصولُ إليها إلَّا بمكاشفاتٍ باطنيّةٍ[1]. كُلُّ هذا الإجلالِ والتّعظيمِ والتقديسِ؛ لأنّهُ أحيا دِينَهُمْ ونصرَ مِلَّتَهُمْ بأفكارهِ وعَقائِدِهِ الخبيثةِ، ودعوتِهِ إلى توحيدِ الأديانِ، ومُساواةِ أهلِ الشِّرْكِ والإلحادِ بأهلِ الإيمانِ باسمِ الكشفِ والحقيقةِ والمعرفةِ.

١٠ ـ روحُ اللّه بنُ مصطفى الخُمَيْنِيُّ
يُلَقَّبُ بـ: آيةِ اللّهِ العُظْمَى (ت١٤٠٩هـ)

عَلمٌ مِنْ أعلامِ الشِّيعَةِ المعاصرينَ وإمامٌ مِنْ أئِمَّةِ الرَّفْضِ والتَّصَوُّفِ، شاءَ اللّهُ تَعَالَى ـ لحكمةٍ يَعْلَمُها ـ أنْ تقومَ على يديهِ دَولَةُ الشِّيعَةِ في هذا القَرنِ، فرفعَ لواءَ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ، ووَحَّدَ فِرَقَ الشِّيعَةِ على الرَّغْمِ مِنِ اختلافِ أفكارِها وعَقائِدِها؛ لمواجهةِ **أهلِ السُّنَّةِ** المخالفينَ لَهمْ في رَفْضِهِم، ولإقامةِ الإمبراطوريَّةِ الشِّيعِيَّةِ، تمهيدًا لخروجِ صاحبِ أَمْرِهِمْ

(١) راجع: «أعيان الشِّيعَةِ» (٩/ ٣٢١ ـ ٣٣٠).

مهديهمُ المُنتَظَرِ مِنْ غياهبِ السّراديبِ ليتولَّى أُمُورَ الشِّيعَةِ وقيادَتَهمْ.

إنَّ تَشَيُّعَ **الخُمَيْنِيِّ** ورَفْضَهُ أصبحَ أمرًا معلومًا لدى أكثرِ أُمَمِ أهلِ الأرضِ، وأمَّا تَصَوُّفُهُ ـ وهو الذي يَعنينا في هذا المبحثِ ـ فلعلَّهُ يخفَى على كثيرٍ مِنْ أهلِ العِلْمِ وطُلّابِهِ فضلًا عَنِ العَامّةِ.

وإنَّ كُفْرَ **الخُمَيْنِيِّ** لرَفْضِهِ وتَشَيُّعِهِ وغُلُوِّهِ في دِينِهِ المُنحرفِ أيضًا؛ أمرٌ شاعَ وعَمَّ، فقَدْ كَتبَ فيه كثيرٌ مِنْ أهلِ العِلْمِ رسائلَ خَاصَّةً، **وأجمعَ عُلَماءُ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ على تكفيرِهِ في المؤتمرِ الإسلاميِّ العامِّ الثالثِ المعقودِ بمَكّةَ المكرّمةِ في صَفَر سنةَ (١٤٠٨هـ)**، وقَدْ جُمِعَتْ نُصُوصٌ وفتاوى وقراراتُ المؤتمرِ في رسالةٍ نشرَتْها منظمةُ المؤتمرِ الإسلاميِّ.

والحقُّ أنَّ المخالفاتِ العقائديَّةَ التي يَكْفرُ بِهَا الخُمَيْنِيُّ ـ والتي ذُكِرَتْ في الرّسائلِ الكثيرةِ التي أُلِّفَتْ في هذا الشأنِ ـ ليستْ خَاصَّةً بالخُمَيْنِيِّ وحدَهُ، بَلْ هي مِنْ أُصُولِ مَذهَبِ الشِّيعَةِ والرَّافِضَةِ قديمًا وحديثًا؛ فالخُمَيْنِيُّ لَمْ يَنفردْ بِهَا بلْ هذا دِينُهُ ودِينُ الشِّيعَةِ قاطبةً، فالحكمُ بالتّكفيرِ يَعُمُّهُمْ جميعًا وليس خاصًّا بهِ وحده. فالغُلُوُّ في الأئِمَّةِ وعُلومِهِمْ وعِصمتِهِمْ وقُدراتِهِمْ وخصائصِهِمْ، والطّعنُ في الخُلَفاءِ والصَّحَابَةِ وسَبُّهُم ولَعْنُهم وتَكفيرُهُمْ، وموقِفُهم مِنَ القُرآنِ وقولُهم بتحريفِهِ وتبديلِهِ؛ كُلُّ هذا وغيرُهُ مِنْ أُصُولِهِمُ المعتمدةِ وعَقائِدِهِمُ المدوّنةِ في أُصُولِهِمُ القديمةِ.

ولَـمْ أجدْ خلالَ استعراضي لما كُتِبَ في الخُمَيْنِيِّ وضلالاتهِ وكُفريّاتهِ مَنْ تعرّضَ لمذهبِهِ وأقوالِهِ التي تُمثِّلُ غُلوًّا شنيعًا في التَّصَوُّفِ الفلسفيِّ المُفضي بصاحبِهِ إلى الكُفْرِ والإلحَادِ في دينِ اللهِ تَعَالَى. وبَيْنَ يديَّ بعضُ مُؤلَّفَاتِهِ في هذا المذهبِ، وسأحاولُ أنْ أنتخبَ مَا يَدُلُّ على ضلالهِ وانحرافهِ في بابِ التَّصَوُّفِ والعرفانِ.

يقولُ المُلَقَّبُ بالعلَّامةِ وحُجّةُ إسلامِهم **أحمدُ الفهريُّ** الذي جنَّدَ نفسَهُ لنشرِ كُتُبِ ومُؤلَّفَاتِ الخُمَيْنِيِّ، وقَدْ ذكرَ أنّهُ استأذَنَهُ في نشرِ بعضِها فأذِنَ له

أيّامَ حُكْمِهِ، وذلك سنةَ (١٤٠٢هـ). يقولُ الفهريُّ عَنْ إمامِهِ وقُدوتِهِ مُعرِّفًا بهِ: «وُلِدَ الخُمَيْنِيُّ سنةَ (١٣٢٠هـ)، وهو مِنْ عائلةٍ دينيّةٍ في بلدةِ خُمينَ، تلقَّى عُلومَهُ في أصفهانَ، ثُمَّ انتقل إلى قُمْ، وهناك درسَ الفلسفةَ والحِكْمَةَ على يدِ آيةِ اللهِ رفيعي، والعرفانَ العلميَّ والعمليَّ على يدِ آيةِ اللهِ شاه أبادي. ثُمَّ تولّى تدريسَ الفلسفةَ والعرفانَ في مدينةِ قُمْ. وذكرَ أنّهُ كان يَكِنُّ تقديرًا خاصًّا لأُستاذهِ في العرفانِ مِنْ بَيْنِ جميعِ أساتذتهِ، وكذلك لصدرِ المتألهينَ الشيرازيِّ الفيلسوفِ المُتَصَوِّفِ»(١).

وفي كتابٍ آخرَ قدَّمَ لهُ فيه أيضًا يَصِفُهُ فيقولُ: «الإمامُ الثائرُ العظيمُ الرّاهبُ الأوّاهُ المتأنِّنُ في اللّيلِ، والأسدُ المغردُ في النهارِ، المتعالي مِنْ سُلالةِ الطاهرينَ الطيّبين مِنْ آلِ طه ويس.. أُمثولةُ عَلِيٍّ عليه السلام في الأرضِ بخصائصَ مِنَ الإمامِ الغائبِ.. مُقدّمًا ومُمهّدًا لحكومةِ المهديِّ... أمينُ رَسُولِ اللهِ... صاحبُ الروحِ المتلاطم في العرفانِ... وفكره النقاد الفلسفيّ في مرآةِ أفكارهِ، وشخصيتهِ الملكوتيّةِ المنعكسةِ في تأليفاتهِ المتعدّدةِ... أُستاذُ العصرِ في العرفانِ، الموصي أصدقاءَهُ الرّوحانيّين بكتمِ أسرارِ الرُّبُوبِيَّةِ والنواميس الإلٰهيّةِ عَنْ غيرِ أهلِها وسترِها عَنْ جميعِ الأجانبِ»(٢).

ويقولُ في تقديمهِ لكتابٍ آخرَ: «لقَدْ أَسَّسَ الجمهوريَّةَ الإسلامِيَّةَ... وحقّقَ حُلْمَ الأنبياءِ والرَّسُولِ الأعظمِ والأئِمَّةِ المَعصُومين عليهم السلام»(٣).

هذا الغُلُوُّ في وَصْفِ الخُمَيْنِيِّ، كَتَبهُ علّامتُهُمُ الفهريُّ، وطبعَهُ ونشرهُ أيامَ حياةِ الخُمَيْنِيِّ، فلا شَكَّ أنّهُ اطّلعَ على هذا كُلِّهِ وأقرَّهُ.

وأمَّا صُوفِيّاتُ الخُمَيْنِيِّ وفلسفاتُهُ؛ فقَدْ قسَّمتُ الحديثَ عليها إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

(١) راجع: مقدمة كتاب «شرح دعاء السحر».
(٢) راجع: مقدمة كتاب «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية».
(٣) راجع: مقدمة كتاب «سر الصّلاة وصلاة العارفين».

◻ القسمُ الأوّلُ: الخُمَيْنِيُّ و(الغُلُوُّ في الوِلايَةِ والأولياءِ):

يقولُ **الخُمَيْنِيُّ** في تعريفِ الوِلايَةِ: «هي القُرْبُ أَوِ المحبوبيَّةُ أَوِ التَّصَوُّفُ أَوِ الرُّبُوبِيَّةُ أَوِ النِّيابَةُ»[(١)]. ويقولُ: «فللأولياءِ والسّالكينَ إلى اللهِ والمهاجرينَ إليه والمطيفين حَوْلَ حَريم كبريائهِ؛ أحوالٌ وأوقاتٌ وواردات ومُشاهداتٌ وخُطواتٌ واتّصالاتٌ. ومِنْ مَحبُوبِهم ومَعشُوقِهْم؛ تجلّياتٌ وظهوراتٌ وألطافٌ وكراماتٌ وإشاراتٌ وجذبات وجذوباتٌ. وفي كُلِّ وقتٍ وحالٍ يتجلّى لَهمْ مَحبوبُهُمْ بِمَا يُناسبُ حالَهُمْ».

ويقولُ أيضًا: «إنَّ قُلوبَ الأولياءِ والسالكين؛ مرآةُ تجلّياتِ الحقِّ ومَحَلُّ ظُهورهِ كما قال تَعَالَى لموسى: **يا مُوسَى! لَا يَسعُني أرضي ولَا سمائي ولكن يَسعُني قَلبُ عبدي المؤمنِ**[(٢)]»[(٣)].

ويَزْعُمُ أنَّ هناك **أسفارًا أربعةً** مَعنويةً يسلُكُها الأولياءُ والعارفون في مِعراجِهِمْ وطريقِهِمْ إلى بلوغِ الغايةِ والكمالِ، فيقول: «**الأوّلُ: السّفرُ مِنَ الخَلْقِ إلى الحَقِّ برفعِ الحُجُبِ**... وفيه يُشاهِدُ السّالِكُ جمالَ الحقِّ، ويَفْنَى عَنْ ذاتِهِ، ويعرضُ لهُ المحوُ، ويصدرُ عنهُ الشّطحُ. **والثاني: السّفرُ مِنَ الحَقِّ إلى الحَقِّ بالحَقِّ**... فتصيرُ ولايتُهُ تامّةً، وتفنى ذَاتُهُ وصِفاتُهُ وأفعالُهُ في ذَاتِ الحقِّ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، وفيه يحصلُ الفناءُ عَنِ الفنائيّةِ. **والثالثُ: السّفرُ مِنَ الحَقِّ إلى الخَلْقِ**... ويحصلُ لهُ الصّحوُ التّامُّ، ويُسافرُ في عوالمِ الجبروتِ والملكوتِ والنّاسوتِ، ويحصلُ لهُ حظٌّ مِنَ النُّبُوّةِ بِلَا تشريع. **والرّابعُ: السّفرُ مِنَ الخَلْقِ إلى الخَلْقِ بالحَقِّ**، فيُشَاهِدُ الخلائقَ وآثارَها ولوازِمَها،

(١) «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ٥٧).

(٢) لا أصلَ له: ذكرَه الغزاليُّ في «الإحياء»؛ وحكمَ عليهِ جَمعٌ مِن أهلِ العلم بأنه مِنَ الإسرائيليّاتِ التي لا أصلَ لها؛ منهم شيخ الإسلامِ في (المجموع ١٨/ ١٢٢، ٣٧٦)، والسّخاويُّ في (المقاصد الحسنة ص: ٣٧٣)، والعراقيُّ في (تخريج الإحياءِ: ٣/ ١٣). انظرْ بيانَ ذلكَ في: «الضعيفة والموضوعة» للألبانيِّ (١١/ ١٧٦ رقم: ٥١٠٣).

(٣) «شرح دعاء السحر» (ص: ٤١)

فيعلمُ مَضارَّها، ومنافعَها... فيخبرُ بِهَا، فيكونُ نَبيًّا بِنُبوّةٍ تشريعٍ»[١].

ويُوضِّحُ ذلك فيقولُ: «وفي هذا السّفَرِ يُشَرِّعُ الأحكامَ الظّاهرةَ القالبيّةَ والباطنَةَ القَلبيّةَ، ويُخبِرُ ويُنبِئُ عَنِ اللهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ، والمعارفِ الحقّةِ، على قدرِ استعدادِ المُستعدّين»[٢]. ويَزْعُمُ أنَّ هذه **الأسفارَ** تحصلُ للأولياءِ وخَاصَّةً الكُمَّلِ منهم وحتَّى السّفَرِ الرابعِ، ويُؤكِّدُ قولَهُ وزَعْمَهُ بأنّهُ قَدْ حصلَ هذا الرّابعُ لأميرِ المؤمنينَ وأولادِهِ المَعصُومين[٣]؛ أيْ: أنّه يعتقِدُ في أميرِ المؤمنينَ وأولادِهِ النُّبُوّةَ.

وأمَّا عَنْ عُلومِ الأولياءِ: فإنَّهُ لمّا قرَّرَ أنَّ للقرآنِ منازلَ ومراحلَ وظواهرَ وبواطنَ؛ زَعَمَ أنَّ «**ظواهرَ القُرآنِ الموجودةَ في قُشورِ ألفاظِهِ هو رِزْقُ المسجونينَ والمحرومينَ، وأمَّا الأولياءُ فإنّهم يَمُسُّونَ سائرَ مراتبِ القُرآنِ**»[٤].

وأمَّا عَنْ قُدُراتِهِمْ وتصرّفاتِهِمْ في الأكوانِ: فيقولُ: «إذا بلغَ الإنسانُ مرتبةً تَفنَى فيه قواهُ وإرادتُهُ في إرادةِ الحقِّ تبدأُ النتائجُ العظيمةُ فيكونُ الإنسانُ الطبيعيُّ إلٰهيًّا... وتَنهزِمُ جنودُ إبليسَ... ويكونُ نتيجةُ هذا التّسليمِ لإرادةِ الحقِّ في الآخرةِ؛ أنَّ الحقَّ تَعَالَى يَنفذُ إرادةَ صاحبِ هذا القَلبِ في العوالمِ الغيبيّةِ، ويجعلُهُ مثلًا أعلَى لنفسهِ تَعَالَى. فكما أنّهُ تَعالَى وتقدَّسَ يُوجِدُ كُلَّ مَا أرادَ بمُجرّدِ الإرادةِ؛ يجعلُ إرادةَ هذا العبدِ أيضًا كذلك».

ثُمَّ استشهدَ بقولِهِ: «كما رواه بعضُ أهلِ المعرفةِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ». يُريدُ ابنَ عَرَبيٍّ الذي نسبَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قولَهُ: «**إنَّ مَلَكًا يأتي أهلَ الجَنَّةِ بكتابٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى فيه: مِنَ الحَيِّ القَيُّومِ الذي لَا يَموتُ إلى الحَيِّ القَيُّومِ الذي لَا يَموتُ، أَمَّا بَعْدُ: فإنّي أقولُ للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ، وقَدْ جعلتُكَ تقولُ**

---

(١) «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ١٤٨ ـ ١٤٩).
(٢) المصدر السابق (ص: ١٥١).
(٣) المصدر نفسه (ص: ١٥٣).
(٤) «شرح دعاء السحر» (ص: ٤٩ ـ ٥٠).

للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ»[(١)]. وذكرهُ الخُمَيْنِيُّ مُستشهِدًا بِهِ ومُستدلًّا على دَعواهُ[(٢)].

ويُقَرِّرُ **الخُمَيْنِيُّ** أنَّ المُعجِزاتِ والكراماتِ «فَرْعُ إظهارِ الرُّبُوبِيَّةِ، والقُدرةِ، والسّلْطنةِ، والولايَةِ في العوالم العاليَةِ والسّافلَةِ». وعلى الرّغْم مِن أنَّ الأنبياءَ والأولياءَ قَدْ أُعْطَوْها إلَّا «أنّهم يَأبوْنَ إظهارَها إلّا عِنْدَ الضّرورةِ، مع أنَّ هيولي عَالِمِ الإمكانِ مسخرةٌ تحتَ يَدي الوَلِيِّ يُقَلّبُها كَيف يشاءُ». ثُمَّ استدلَّ أيضًا بِمَا نسبهُ إلى **ابنِ عَرَبِيٍّ** بقولهِ: «**كما رواه بعضُ أهلِ المعرفةِ عَنِ النَّبِيِّ**»، كما تقدّم آنفًا[(٣)].

□ القسمُ الثَّاني: الخُمَيْنِيُّ (والأسرارُ التي يَجِبُ سَترُها) أَوِ (التَّقِيَّةُ الصُّوفيَّةُ):

الخُمَيْنِيُّ كغيرهِ مِنَ **الصُّوفيَّةِ** يُقسِّمُ الشَّريعةَ إلى ظاهرٍ وباطنٍ والآياتِ القُرآنِيَّةَ كذلك، وتقدّمَ قولُهُ في مراتبِ القُرآنِ. ونتيجةً لهذه الدّعوى فإنّهم خاضوا في فلسفاتٍ ومُنكراتٍ مِنَ القولِ والفعلِ زاعمينَ أنَّ باطنَ الشَّريعةِ تُؤيّدُهُمْ وتَشهدُ لَهمْ، رجاءَ سكوتِ أهلِ العِلْم عنهم وعَنْ مُنكراتِهِمْ. ولمّا رأوا مواجهةَ العُلَمَاءِ والإنكارَ عَليهِم لجؤوا إلى هذه الحيلةِ الخبيثةِ زاعمينَ أنَّ عُلومَهُمْ مِنَ الأسرارِ التي يَجِبُ سترُها وكتمُها عَنْ غيرِ أهلِها لأنَّ عُقولَهُمْ لَا تَطيقُ فهمَها لعدمِ تَذوّقِهِمْ هذه المعارفِ وعدمِ شربِهِمْ مِنْ منابعِ التَّصَوُّفِ.

فيقولُ **الخُمَيْنِيُّ** في هذا: «**خاتمة ووصية: إيَّاكَ أيّها الصِّدِّيقُ الرّوحانيُّ ثُمَّ إيّاكَ ـ واللهُ مُعِينُكَ في أُولاكَ وأُخراكَ ـ أنْ تكشفَ هذه الأسرارَ لغيرِ أهلِها.. فإنَّ عِلْمَ باطنِ الشَّريعةِ مِنَ النّواميسِ الإلٰهيّةِ والأسرارِ الرُّبُوبِيَّةِ، مَطلوبٌ سترُهُ عَنْ أيدي الأجانبِ وأنظارِهِمْ**»[(٤)].

---

(١) «الفتوحات المكية» لابنِ عَرَبِي، الباب (٣٦١) في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير (٣/ ٣٩٥).
(٢) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٧٢).
(٣) «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ٩٠ ـ ٩٢).
(٤) «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ١٥٤).

ويقولُ أثناءَ تعرّضهِ لمسألةِ الأسماءِ والصِّفَاتِ مَا نَصُّهُ: «الأسماءُ والصِّفَاتُ مِنَ الحُجُبِ النّوريَّةِ التي وردتْ أنَّ للهِ سبعينَ ألفَ حجابٍ مِنْ نورٍ وظُلمةٍ، **وهاهنا أسرارٌ لَا رُخْصَةَ في إظهارِها**»(١). ويقولُ في موضعٍ آخرَ مَا نَصُّهُ: «**وتحتَ ذلك سِرٌّ لَا طاقةَ لإظهارِهِ، وبالحريِّ أنْ نضعَهُ تحتَ أستارِهِ**»(٢).

هكذا يَتبجَّحُ بِمثْلِ هذه العباراتِ ونحوِها؛ لِيُوهِمَ الغوغاءَ بما يَزْعُمُهُ وغيرُهُ بإحاطتِهِمْ ببعضٍ أو جميعِ أسرارِ الرُّبُوبِيَّةِ والعُلوم السّرّيَّةِ، التي يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسَرَّ بِهَا إلى عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ونتيجةً لهذا التّقسيمِ وهذه الدعوى؛ قامتْ صراعاتٌ طويلةٌ بَيْنَ المتصوّفينَ وبَيْنَ أهلِ العِلْمِ والفضلِ، مِمَّا أسفرَ عَنْ سُوءِ موقفِهِمْ مِنَ العِلْمِ والعُلَمَاءِ، والطّعنِ فيهم، والتّحذيرِ منهم بِحُجَّةِ طَعنِهِمْ وتجريحِهم لأهلِ الأذواقِ والمعارفِ. فيقولُ مُحذِّرًا مُريديهِ مِنْ طَلبِ العِلْمِ مَا نَصُّهُ: «**إنَّ السّالكَ لطريقِ الحقيقةِ يَقعُ أثناءَ سيرِهِ وسفرهِ في حِجابِ العِلْمِ، وهو مِنَ الحُجُبِ الغليظةِ، وقَدْ قالوا: «العِلْمُ هو الحجابُ الأكبرُ»**، ولَا بُدَّ ألَّا يبقَى في هذا الحجابِ وأنْ يخرقَهُ، ولعلّهُ إذا اقتنعَ بهذا المقامِ ـ أَيْ: مقامَ العِلْمِ ـ وسجنَ قَلبَهُ في هذا القيدِ، يقعُ في الاستدراجِ... فعلَى السالكِ ألَّا يَغترَّ بمكايدِ الشَّيْطَانِ في هذا المقامِ، ولَا يحتجبَ بكثرةِ العِلْمِ وغزارتِهِ»(٣).

هكذا يُريدون أتباعَهُمْ ومُريدِيهم جهلةً لَا يعلمونَ ولَا يُميّزون شَيئًا مِنْ أُمُورِ دِينِهِم؛ ليكونوا فريسةً لهؤلاءِ الطّواغيتِ في تنفيذِ جرائِمِهِمْ ضدَّ الإسلامِ والمُسلِمينَ.

وينصحُ مُريديهِ وأتباعَهُ ألَّا يطعنوا أو يُسيئوا الظّنَّ بأهلِ المعرفةِ والكشفِ، ثُمَّ يقولُ: «كما هو دَأْبُ بعضِ المنتسبينَ إلى العِلْمِ، فإنّهم جعلوا

---

(١) «مصابيح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ٤٠).
(٢) المصدر نفسه (ص: ٧٣). (٣) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٣٦).

ميزانَ عدمِ صِحَّةِ المطالبِ عَدَمَ اطلاعِهِمْ عليها، أو عدم فهمِهم إيّاها، فتراهُمْ يتّهمون هؤلاءِ العُظماءَ بِكُلِّ تهمةٍ، ويغتابون هؤلاءِ المكاشَفين كُلَّ الغِيبةِ مع أنَّها أشدُّ مِنَ الزَّنْيَةِ، تَعصُّبًا منهم تَعَصُّبَ الجاهليَّةِ»[(١)]. نعم يا عَدُوَّ اللهِ! بلْ ويُكفِّرُونَكَ وإيّاهُمْ إنِ استحقّوا، وليس عصبيةً كما تَزْعُمُ، وإنّما غيرةً على دِينِ اللهِ، وذَبًّا عنهُ انتحالاتِكم ومفاسدَكُمْ، ولعدمِ وجودِ أَدِلَّةٍ نقليَّةٍ شَرْعيَّةٍ تؤيّدُ دَعاواكَ ودَعاواهُمْ في الكشفِ وغيرِه.

ويقولُ أيضًا: «فإنَّ أعظمَ القذاراتِ المعنويّةِ التي لَا يمكنُ تطهيرُها بسبعةِ أبحرٍ، وأَعجزتِ الأنبياءَ العِظامَ، هي قذارةُ الجهلِ المركّبِ الذي هو منشأُ الدَّاءِ العضالِ، ألَا وهو إنكارُ مقاماتِ أهلِ اللهِ وأربابِ المعرفةِ ومبدأِ سُوءِ الظَّنِّ لأصحابِ القُلوبِ»[(٢)].

وهل يا **خُمَيْنِيُّ**! إنكارُ مقاماتِ مزعومةٍ أعظمُ قذارةً - عِندَكم - مِنْ لَعْنِ وتكفيرِ الصَّحابَةِ الكرامِ ساداتِ الأُمَّةِ وحَمَلَةِ الدِّينِ، أربابِ المقاماتِ الحقيقيَّةِ؟!

□ القسمُ الثَّالِثُ: الخُمَيْنِيُّ و(وِحْدَةُ الوجُودِ):

إنَّ عقيدةَ (وِحْدَةِ الوجُودِ) هي دِينُ الصُّوفيَّةِ وتوحيدُهُمُ الذي لَا يَبلُغُهُ إلَّا أهلُ الكمالِ وخاصَّتُهُمْ. ولقَدْ شَرَّعوا لأنفسِهِمْ بعضَ العقائدِ والسُّلوكياتِ المُنحرفةِ ليدخلوا منها ويبدأوا رِحلتَهُمُ التي تُوصِّلُهُمْ إلى الغايةِ والكمالِ، فزعموا أنَّ هناك مِعْراجًا تعرجُ مِنْ خِلالِهِ أرواحُهُمْ إلى الحقِّ، ومُشاهداتٍ وتجلّياتٍ تَحصلُ لَهمْ يُشاهدون منها جمالَ الحقِّ وأسرارَ الرُّبُوبِيَّةِ، ويَصِلون إلى درجةِ الفَناءِ، فلا يُشاهدون غيرَ الحقِّ... إلى غيرِ ذلك مِنْ مَزَاعِمَ هي أبوابٌ ومداخلُ لهذه العقيدةِ الخبيثةِ.

---

(١) «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ١٤٦).
(٢) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ١١٣).

يقولُ الخُمَيْنِيُّ: «إنَّ السّالكَ يكونُ مُشاهدًا جمالَ الجميلِ في تَجلّياتِ حَضْرةِ المحبوبِ، على نحوٍ تكونُ جميعُ مَسامعِ قَلبهِ مَسدودةً عَنْ سائرِ الموجوداتِ، وتكونُ بَصيرتُهُ مفتوحةً لجمالِ ذي الجلالِ الطّاهرِ، ولَا يُشَاهِدُ غيرَهُ»[١].

ويقولُ أيضًا: «فإنَّ أصحابَ القَلبِ وأهلَ اللهِ لَا يقفون في حَدِّ الإيمانِ بلْ يَقدِمُون منهُ إلى منزلِ الكشْفِ والشُّهودِ، وهو يَحصلُ بالمجاهدةِ الشديدةِ والْخَلْوَةِ مع اللهِ، والعِشْقِ للهِ، كما جاءَ عَنِ الصَّادِقِ: «**العارفُ: شَخْصُهُ مع الخَلْقِ، وقَلبُهُ مع اللهِ، لَوْ سَهَا عَنِ اللهِ طرفةَ عينٍ لماتَ شوقًا إليه**»[٢].

ويقولُ أيضًا: «إنَّ العارفَ إذا بلغَ مقامَ التَّخَلُّقِ بأخلاقِ اللهِ؛ يكونُ مَوردًا للعناياتِ الخاصّةِ، فالحقُّ يُؤيّدُهُ بلطفهِ الخفيِّ الخاصِّ، ويَسترُهُ تحتَ حِجَابِ كبريائهِ على نحوٍ لَا يعرفُهُ غيرُهُ، وهو أيضًا لَا يعرفُ غيرَ اللهِ بدليلِ قولِ اللهِ: **إنَّ أوليائي تحتَ قبابي لَا يَعرفُهُمْ غيري**»[٣].

ويقولُ: «فالمجذوبون لجمالِ الجميلِ والعاشقون للحُسْنِ الأزليِّ... والسُّكارى مِنْ كاسِ المَحَبَّةِ، والمصْعُوقون مِنْ قدحِ (أَلَسْتُ)، الذين فرغوا عَنِ الكونيْنِ... وتعلّقوا بعزِّ قُدسِ جمالِ اللهِ؛ فلهم دوامُ الحضورِ، وليسوا مهجورينَ عَنِ الذِّكرِ والمشاهدةِ والمراقبةِ لحظةً واحدةً»[٤].

وفي بيانِ (صلاةِ العارفين) يُصوّرُ أنَّ الصّلاةَ معراجُ العارفِ إلى عَالَمِ الكشفِ والحقيقةِ، ولَا يُدركُ ذلك إلَّا الأولياءُ. وكتابُهُ «الآداب المعنوية للصلاة» كَتبهُ كُلَّهُ على طريقةِ المُتَصَوِّفَةِ، فكثيرًا مَا يقولُ فيه: «أيها العارفُ» و«أيها السالك» و«أيها الواصل»، ويستعملُ عباراتِهمْ كثيرًا مثل: «الفناء»

---

(١) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٨٠).
(٢) المصدر نفسه (ص: ١٧٨). والصَّادِقُ هو: جَعفرُ بنُ مُحمدٍ.
(٣) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ١٨٠).
(٤) المصدر السابق (ص: ١٩٥).

و«الجذب» و«السكر» و«المحو» و«الصحو» و«الصعق»، وغير ذلك مِنْ ألفاظِهِمُ التي اشتهروا بِهَا.

ويذكرُ مسألةَ النِّيَّةِ فيقولُ: «النِّيَّةُ عِنْدَ العَامّةِ: العزمُ على الطّاعةِ خوفًا أو طمعًا. وعندَ أهلِ المعرفةِ: العزمُ على الطاعةِ هيبةً وتعظيمًا. وعند أهلِ الجذبةِ والمَحَبَّةِ: العزمُ على الطاعةِ شوقًا ومَحَبَّةً». ونسبَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قولَهُ: «**أفضلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ العبادةَ**»(١). وهذا قطعًا حديثٌ مكذوبٌ.

ونسبَ إلى الصَّادِقِ قولَهُ: «ولكني أَعبدُهُ حبًّا لهُ، وتلك عبادةُ الكرامِ، وفي روايةٍ: عبادةُ الأحرارِ»(٢).

ثُمَّ يتابعُ تعريفَ النِّيَّةِ فيقولُ: «وعندَ الأولياءِ: العزمُ على الطاعةِ تبعًا وغيرًا، بَعْدَ مُشاهدةِ جمالِ المحبوبِ استقلالًا وذاتًا، والفناءُ في الجنابِ الرّبوبيِّ ذاتًا وصفةً وفعلًا». وزعمَ أنَّ هذه كانت عبادةَ النَّبيِّ ﷺ والأئِمَّةِ.

ونسبَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قولَهُ: «**لِي مع اللهِ حالاتٌ لَا يَسَعُها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ**». وهذا بلا ريبٍ حديثٌ مكذوبٌ أيضًا.

ونسبَ إلى الصَّادِقِ أنّهُ كان في صلاةٍ يومًا فخرَّ مغشيًّا عليهِ فسُئِلَ، فقال: «مَا زِلْتُ أكرِّرُها حتَّى سمعتُها مِنْ قَائِلِها»(٣). وذكرَ الرّوايةَ مطولةً، فقال: «مَا زلتُ أُرَدِّدُ هذه الآيةَ على قَلبي حتَّى سمعْتُها مِنَ المُتَكَلِّمِ بِهَا، فلمْ يثبتْ جسمي لمعاينةِ قُدْرَتِهِ»(٤).

ويقولُ في مسألةِ المشاهدة المزعومةِ: «واعلمْ أنَّ السّالكَ بِقِدَمِ المعرفةِ إلى اللهِ لَا يصلُ إلى الغايةِ القصوى ولَا يستهلكُ في أحديَّةِ الجمعِ ولَا يُشاهِدُ رَبَّهُ المطلقَ إلَّا بَعْدَ تَدرُّجِهِ في السّيرِ إلى منازلِ ومدارجِ ومعارجِ مِنَ

(١) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكُفْرِ، باب العبادة (٢/ ٨٣).
(٢) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكُفْرِ، باب العبادة (٢/ ٨٤).
(٣) «سر الصّلاة وصلاة العارفين» (ص: ١٥٧ ـ ١٥٨).
(٤) الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٦٧).

الخلْقِ إلى الحقِّ المقيَّدِ، ويزيلُ القيْدَ يسيرًا يسيرًا وينتقلُ مِنْ نشأةٍ إلى نشأةٍ، ومن منزلٍ إلى منزلٍ حتَّى يَنتهيَ إلى الحقِّ المطلقِ»(١).

ثُمَّ يقولُ مُصَرِّحًا بالنَّتيجةِ، فيما يَنقلُهُ عَنْ أَحَدِ فَلاسفةِ الشِّيعَةِ: «**وهو تَعَالَى كُلُّ الوجودِ وكُلُّهُ الوجودُ، كُلُّ البهاءِ والكمالِ، وهو كُلُّهُ البهاءُ والكمالُ، وما سواه على الإطلاقِ لمعاتُ نُورِهِ، ورشحاتُ وُجُودِهِ، وظِلالُ ذاتِهِ**»(٢).

ويقولُ أيضًا: «وعندَ ذلك ينكشفُ على قَلبِ السّالكِ بفضلِ اللهِ، وموهبتهِ، أنَّ النورَ هو الوجودُ، وليس في الدّارِ غيرُهُ، نورٌ وظهورٌ»(٣). ويقولُ أيضًا: «فإذا خرقتَ الحُجُبَ الظُّلمانيَّةَ؛ رأيتَ ظهورَ الحقِّ في كُلِّ الأشياءِ»(٤). ويقولُ أيضًا: «فإنْ قُلتَ: إنَّ اللهَ ظاهرٌ في الأكوانِ، ومتلبسٌ بلباسِ الأعيانِ؛ صدقتَ»(٥).

ويقولُ فيما نسبهَ إلى أحدِ الأَئِمَّةِ ـ بَعْدَ نقلِهِ نُصُوصًا في وِحْدَةِ الوجُودِ عَنِ القونويِّ والقاشانيِّ ـ: «**لنَا مع اللهِ حالاتٌ: هُوَ هُوَ، ونحنُ نحنُ، وهُوَ نحنُ، ونحنُ هُوَ**». ثُمَّ يقولُ: «**إنَّ كلماتِ الشّيْخِ الكبيرِ مُحْيِي الدِّينِ** ـ أي: ابنَ عَرَبِيٍّ ـ **مشحونةٌ بأمثالِ ذلك مثلَ قولهِ: الحقُّ خلقٌ والخلقُ حقٌّ**»(٦). ويقولُ أيضًا: «فإنَّ الإنسانَ مظهرُ اسمِ اللهِ الأعظمِ الجامعِ لجميعِ مراتبِ الأسماءِ والصِّفَاتِ بنحوِ أحديةِ الجمعِ والعقلِ»(٧).

كانت هذه بعضَ أقوالِ الخُمَيْنِيِّ ونُقولهِ في مُصَنَّفاتِهِ.

ثُمَّ إنّهُ يُعظِّمُ فلاسفةَ الشِّيعَةِ المتصوفين كثيرًا، ويُثني عَليهِم، ولَا يَذكرُهُمْ إلَّا بعباراتِ المدحِ والتَّبجيلِ مثل: صدر المتألهين الشيرازيّ،

(١) «شرح دعاء السحر» (ص: ٢٦ ـ ٢٧). (٢) المصدر السابق (ص: ٣٣).
(٣) «شرح دعاء السحر» (ص: ٥٠ ـ ٥١). (٤) المصدر السابق (ص: ١٥٨).
(٥) «مصباح الهداية إلَى الخلافة والولاية» (ص: ٨٢).
(٦) المصدر السابق (ص: ١١٤). (٧) المصدر نفسه (ص: ١٢١).

ومحسن الفيض القاشانيّ، وغيرِهما مِنْ مشاهيرِ أهلِ الفلسفةِ والعرفانِ مِنَ الشِّيعَةِ المتأخرين. وكذلك المتقدمين منهم مثل: صدر الدِّينِ القونويّ وَيَصِفُهُ بخليفةِ الشّيْخِ الكبيرِ مُحْيي الدِّينِ، وعبد الرَّزَّاقِ القاشانيّ، وهما مِنْ أخصِّ تلامذةِ ابنِ عَرَبِيٍّ مِنَ الشِّيعَةِ.

وكذلك الحالُ مع الفلاسفةِ المتصوفين المنتسبين إلى أهلِ السُّنَّةِ مثل ابنِ عَرَبِيٍّ الذي يبالغُ في الثناءِ عليهِ ووَصْفِهِ، فيقولُ مثلًا: «الشّيْخُ الكبيرُ»، «صدر الحكماء المتألهين»، «شيخ العرفاء الشامخين»، «العارف الكامل»، وكذلك ابنِ سينا وغيرهما.

وكذلك الحال حتَّى مع الفلاسفةِ غيرِ المُسلِمينَ كفلاسفةِ اليونانِ وغيرِهِمْ، فيقولُ مثلًا: «أفلاطون الإلٰهي»، «أرسطو العظيم»، «فرقوريوس مِنْ أعاظمِ الحكماءِ في عِلْمِ اللهِ». **وهذا يَدُلُّ على مَدَى تعظيم الخُمَيْنِيِّ للفلسفةِ والفلاسفةِ، خَاصَّةً مَنْ جمعَ منهم بَيْنَ التَّشَيُّعِ والفلسفةِ والتَّصَوُّفِ.**

وقد ظلَّ الخُمَيْنِيُّ على تصوُّفِهِ المُنحرفِ حتَّى اللّحظاتِ الأخيرةِ مِنْ حياتهِ؛ فقَدْ كتبَ «وصِيَّةً» للشِّيعَةِ وَصَفَها بأنها «إلٰهيَّةٌ»، وفيها يُودِّعُ الشِّيعَةَ ومُحبّيهِ، ويستأذِنُهُمْ في الرّحيلِ إلى الحياةِ الأُخْرَى بِزَعْمِهِ. يقولُ في مقدّمةِ الوَصِيَّةِ مَا نَصُّهُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ مظاهرِ جمالِكَ وجلالِكَ، وخزائنِ أسرارِ كتابِكَ، الذين تجلَّتْ فيهِمُ الأحديَّةُ بجميعِ أسمائِكَ حتَّى المستأثرِ منها الذي لَا يَعلمُهُ غَيْرُكَ»(١).

كما نظمَ «قصيدةً» صُوفِيَّةً مُنحرفةً قَبْلَ هلاكهِ بشهرٍ أو شهرينِ عَبَّرَ فيها عَمَّا في نفسهِ مِنْ تَصَوُّفٍ وانحرافٍ، يقولُ فيها:

يا حبيبي أسرني خال على شفتيك رأيت عيونك الناحلة فصرت نحيلا
فرغت مِنْ نفسي فصرخت أنا الحقّ فطلبت المشنقة مثل مَنصُور الحَلَّاجْ

(١) نَصّ «الوصية الإلهية السياسية للإمام القائد الموسوي الخُمَيْنِيِّ» ـ المقدمة (ص: ٣).

الحنين إلى المحبوب وضع في روحي شرارة وأنا أصرخ مِنْ لوعة الفراق
ويشار لي بالبنان افتحوا باب الحان لي ليل نهار
فقد سئمت مِنَ المسجد والمدرسة خلعت لباس الزُّهْدِ والرياء ولبست
لباس الدليل إلى الحب فصحوت ضجرت مِنْ مواعظ فقهاء المدينة
فطلبت الاستغاثة مِنَ المرشد المخمور دعوني أتذكر معبد الأصنام
لأنَّ صنم الحانة هو الذي أيقظني(١)

إنَّ هذه الأبياتِ لَوْ قرأَها قارئٌ، ثُمَّ نُسبتْ إلى ابنِ الفارضِ شاعرِ الزَّنْدَقَةِ الصُّوفيَّةِ والمُلَقَّبِ بسلطانِ العاشقين؛ لَمْ يَجِدْ ذلك القارئُ مَا يَستنكرُهُ بَيْنَ الأبياتِ وبَيْنَ نسبتِها إلى ذلك الشاعرِ المُنحرفِ. فالخُمَيْنِيُّ يشابِهُهُ في أُسلوبِهِ ورُموزِهِ في شعرِهِ أَوِ ابتهالاتِهِ الصُّوفيَّةِ، فقَدِ استعملَ الحانةَ، والخمرَ، والنّساءَ، والأصنامَ في دعواهُ المَحَبَّةَ التي نَصَّ على أَنَّها مثل مَحَبَّةِ الحلَّاجِ، وأنّهُ سَئِمَ المسجدَ والمدرسةَ ولباسَ الزُّهْدِ لأنّهُ طالما سَجَنَ نفسَهُ في هذه السُّجونِ والقُيودِ، وتظاهرَ بِهَا تَقِيَّةً، فنضحَ بِمَا في قرارةِ نفسهِ مِنْ ضلالٍ وانحرافٍ عَنْ دينِ الإسلامِ الذي طالما تظاهرَ بهِ عُمُرًا طويلًا.

وها هو يكشفُ عَنْ كُفْرِهِ فيقولُ: «أنا الحقُّ»، ثُمَّ مُقتديًا بِمَن يُلَقِّبُهُ هو وغيرُهُ بشهيدِ المَحَبَّةِ الحلَّاجِ، ثُمَّ يَسترُ هذا الكُفْرَ بتظاهرِهِ بطلبِ مشنقةِ الحلَّاجِ مُوهِمًا الغوغاءَ باستحقاقِهِ مصيرَ قُدوتِهِ الحلَّاجِ لأنّهُ كشفَ أسرارَ الرُّبُوبِيَّةِ المزعومةِ، تلك الحيلةُ التي يسترون بِهَا ألوانَ كُفرِهِمْ ومُروقِهِمْ عَنْ دِينِ اللهِ. نعم لَوْ كانتْ دَولَةُ الإسلامِ، ولَوْ كان عُلَماءُ الإسلامِ وقُضَاتُهُ وحكّامُهُ وسَلاطينُهُ كما كان أيّامَ الحلَّاجِ؛ لَنُصِبَتِ المشانقُ وأضرمتِ النيرانُ، وأُحْضِرَ السَّيّافونَ، فإنَّ الأمرَ فيكَ غايةٌ في الوضوحِ، ولكن إنّا للهِ وإنا إليه راجعونَ، واللهُ المستعانُ على مَا تُجرمونَ.

---

(١) نُشرتْ عبرَ تلفزيون جمهوريتهم، ونقلتها وكالةُ أنبائِهِمْ بعدَ هلاكهِ مباشرةً، وقَدْ نشرتها جريدةُ (الشّرق الأوسط) في عددِها (٣٨٥٢) بتاريخ (١٢/ ١١/ ١٤٠٩هـ)، الموافق (٥/ ٦/ ١٩٨٩م).

كانت هذه تراجمَ بعضِ أعلامِ الشِّيعَةِ وأئِمَّتِهِمُ المشهورين مِمَّن أَلَّفَ وصَنَّفَ في التَّشَيُّعِ أُمّهاتِ كُتُبِهِمُ المعتمدةِ في مذهبِهِمْ ودِينِهم، وممّنِ اشتهرَ أيضًا بِالتَّصَوُّفِ المُنْحَرِفِ عَنْ جميعِ الشرائعِ والأديانِ، والمخالفِ لجميعِ الفِطَرِ والعُقولِ السّليمةِ.

ويَظهرُ مِنْ هذه التّراجمِ مَدَى علاقةِ الشِّيعةِ واهتمامِهِمْ بالتَّصَوُّفِ ونَشْرِهِ، وخَاصَّةً ما يَتعلّقُ بالحُلولِ والاتّحادِ، وتعظيمِ أمرِ الفَلسفةِ، وصَبغِها بصَبغةٍ شِيعيَّةٍ لبلوغِ أهدافِهِمْ في بَثِّ أفكارِ التَّشَيُّعِ والرّفْضِ بَيْنَ النّاسِ، وسَتْرِهِ بالتَّصَوُّفِ ومظاهرِ الزُّهْدِ. **وقَدِ انكشفَ هذا الأمرُ واتَّضحَ بِمَا فعلَهُ نَصيرُ الشِّرْكِ والإلحادِ أيّامَ دَولَتِهِ ووزارتِهِ**؛ حيثُ أظهرَ الكُفْرَ والإلْحَادَ، وقتلَ المُسلِمينَ العُلَمَاءَ منهم والعوامَّ.

ولَقَدِ ثبتَ في التاريخِ واشتهرَ **أنَّ الدولةَ الفاطميَّةَ كانت تَبُثُّ الرَّفْضَ والتَّشَيُّعَ تحتَ ستارِ الزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ** وحُبِّ آلِ البَيْتِ ـ كما هو معلوم ومشهور ـ. **كما ظهرَ اتّجاهُ تسخيرِ التَّصَوُّفِ وجَعْلِهِ مَطِيَّةً لدينِ الرَّافِضَةِ ومذهبِهِمْ بصورةٍ واضحةٍ أيامَ (الشّاهِ إسماعيلَ الصَّفَويِّ)** أوّلِ مُلُوكِ **الدّولةِ الصّفَوِيَّةِ الشِّيعِيَّةِ الإِمَامِيَّةِ**، ومُوطِّدِ دِينِهم ودَولتِهِمْ. يذكرُ الشِّيعَةُ أنفسُهُمْ بأنّهُ لَـمْ يَكُنْ هو ولَا أحدٌ مِنْ آبائِهِ وأجدادِهِ مِنَ السّلاطينِ، وإنّمـا كانوا مِنْ مَشايخِ الصُّوفيَّةِ، مِمَّن تُعظِّمُهُمُ العَامّةُ، وتَحترِمُهُمُ الملوكُ، ويعتقدون فيهِمُ الوِلايَةَ والكرامةَ.

ولمّا مَلَكَ ابنُهُمْ **إسماعيلُ**(١) تركوا التَّصَوُّفَ، وأظهروا التَّشَيُّعَ والرَّفْضَ، وحاربوا غيرَ الشِّيعَةِ. وأظهرَ هذا الشقيُّ **(مذهبَ الإِمَامِيَّةِ)** في **(إيرانَ)**، وكان يفتخرُ لَعَنَهُ اللهُ تعالَى بترويجِ هذا المذهبِ وتأييدِهِ، بَعْدَ قتلِ الآلافِ مِنَ

---

(١) راجعْ: ترجمةَ إسماعيلَ الصَّفَويِّ في «أعيانِ الشِّيعَةِ» (٣/ ٣٢١). وقَدْ ذكره الخوانساريُّ ووصَفَهُ بقولِهِ: «الخارجُ علَى دَولَةِ الباطلِ بسيفِهِ القاطعِ والفتحِ المبين، وكان بدءُ خروجِهِ مِنْ بلادِ جيلانَ مع بَعضِ الصُّوفيَّةِ المُريدينَ لهُ ولآبائِهِ العُرَفاءِ الراشدينَ في سنة (٩٠٦هـ)، ثُمَّ فتحَ بلادَ أذربيجانَ علَى وَفْقِ المرادِ، وأمرَ بإظهارِ مذهبِ الإِمَامِيَّةِ علَى رؤوسِ الأشهادِ بسنتينِ بعدَها». اهـ. «روضات الجنات» (٢/ ٣٣٢).

النَّاسِ، ومِن أَجِلَّةِ العُلَمَاءِ والفقهاءِ، وإحراقِ كُتُبِهِمْ، وحتَّى مصاحفِهِمْ. **إنَّ هذه الحقائقَ يذكرُها حتَّى الشِّيعَةُ أنفسُهُمْ في كُتُبِهِمْ ومراجعِهِمْ.**

وقَدْ ذكروا أنَّ حِقْدَ هذا الشَّقيِّ على أهلِ السُّنَّةِ قَدْ بلغَ حتَّى الأمواتَ منهم، فيذكرون أنَّهُ هدمَ قَبْرَ عبدِ الرَّحْمَنِ الجاميِّ الصُّوفِيِّ الفارسيِّ المشهورِ صاحبِ «نفحاتِ الأنس»، ونَبَشَهُ. وكذلك فعلَ بِقَبْرِ أبي إسحاقَ الكازرونيِّ المشهورِ، وقَبْرِ عَيْنِ القضاةِ الهمذانيِّ الصُّوفِيِّ المقتولِ لزندقتهِ وتَشَيُّعِهِ، ولقَدْ غلا في التَّصَوُّفِ حتَّى قالَ بَعضَ العباراتِ التي توافقُ مذهبَ الشِّيعَةِ في الإمامةِ والغُلُوِّ في الأئِمَّةِ، فاتَّهمَهُ عُلَماءُ عصرِهِ بالتَّشَيُّعِ، وهو لَمْ يَقُلْ إلَّا مَا أملاهُ عليهِ تَصَوُّفُهُ في الأئِمَّةِ التي تَزْعُمُ الشِّيعَةُ نسبتَهُمْ إليهم. المهمُّ أنَّ إسماعيلَ هذا هدمَ قبورَهُمْ وأضرحتَهُمْ، وقبورَ غيرِهِمْ مِنْ مشاهيرِ المُتَصَوِّفَةِ الذين لَمْ يكونوا على دينهِ في الرَّفْضِ[1]. ولَمْ يشفعْ لَهمْ كونهم مِنَ الأمواتِ، ولَا كونهم مِنْ مشاهيرِ وأعلامِ التَّصَوُّفِ، ذلك المذهبُ الذي كان يتظاهرُ بِهِ هو وآباؤُهُ وأجدادُهُ، ولَا كونَ بعضِهِمْ قَدْ قُتِلَ لتَشَيُّعِهِ.

هذا هو الرَّفْضُ والتَّشَيُّعُ، أَلَا فليتنبّه الغافلون، وليستيقظِ النائمون، وأخصُّ مِنهُمُ الصُّوفيَّةَ المخدوعين، الذين لَا يُنكرون مِنَ المذاهبِ والفِرَقِ شَيئًا، ولَا يبغضون في دِينِ اللهِ أحدًا حتَّى أهلَ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ. وأنقلُ نَصًّا عَنْ شِيعِيٍّ في إسماعيلَ هذا، لعلَّ ذلك يَجِدُ طريقًا إلى قُلوبِ النّائمينَ والغافلينَ فيوقظَهُمْ مِنْ رَقدَتِهِمْ:

يقولُ **نعمةُ اللهِ الجزائريُّ**: «**لما أَتَى إسماعيلُ إلى شيرازَ، وكان أكثرُ علمائِها مِنَ المخالفين، [أَيْ: مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ]، أحضرَهُمْ، وأمرَهُمْ بِلَعْنِ الخُلَفاءِ الثلاثةِ. فامتنعوا عَنِ اللَّعْنِ؛ لأنَّ التَّقِيَّةَ لَا تجوزُ عِنْدَهُمْ في اللَّعْنِ وأضرابهِ، فأمرَ بقتْلِهِمْ**»[2].

(١) انظر: «الصّلة بيْنَ التَّصَوُّفِ والتَّشَيُّع» (٢/ ٣٧١).

(٢) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة في معرفة النَّشْأَة الإنسانية» (٢/ ٣٥).

رَحِمَ اللهُ أُولَئِكَ العُلَمَاءَ وأسكنَهُمْ فَراديسَ الجنانِ، فقَدْ ضَحُّوا بأرواحِهِمْ ودمائِهِمْ في سبيلِ اللهِ تعالَى، وإعلاءِ دينهِ الحقِّ، والذَّبِّ عن أعراضِ الصَّالحينَ.

وأخيرًا؛ جاءَ الخُمَيْنِيُّ الرَّافِضِيُّ المُتَصَوِّفُ ـ بَعْدَ أنْ مكَّنَهُ اللهُ تَعالَى لحكمةٍ بالغةٍ يَعلمُها سُبْحَانَهُ مِنَ الوصولِ إلى السُّلْطَةِ ـ فرفعَ لواءَ الرَّفْضِ، واجتهدَ بخيْلِهِ ورَجِلِهِ أنْ يفعلَ كما فعلَ **الشَّاهُ إسماعيلُ، فخلعَ ثوبَ الزُّهْدِ وخرجَ مِنْ خَلْوتهِ الصُّوفيَّةِ شاهرًا سيفَ الرَّفْضِ رافعًا لِواءَهُ أمامَ جُيوشِ أهلِ السُّنَّةِ الذين مزَّقَتْهُمُ الفُرْقَةُ وأشغلَتْهُمُ الشَّهواتُ وحُبُّ الدُّنيا، فعَمِلَ بيديهِ ورجليهِ ليُطْفِئَ نورَ اللهِ ويَبُثَّ سُمومَهُ في أرضِ اللهِ زاعِمًا تمهيدَ إقامةِ الدّولةِ المهديَّةِ المزعومةِ**. ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف: ٢١].

ولما يَئِسَ الخُمَيْنِيُّ وخابَ في مَسعاهُ، وأيقنَ بالبوارِ في الدُّنيا قَبْلَ الآخرةِ؛ أعادَ الأُمورَ إلى مجاريها، فأظهرَ التَّصَوُّفَ وتغَنَّى بهِ، ليكونَ سبيلَ مَنْ بعدَهُ كما كان لِمَنْ قبلَهُ في تحقيقِ أغراضِهِمْ ومقاصِدِهم.

هكذا استغلَ **الرَّافِضَةُ** ـ وما زالوا ـ **التَّصَوُّفَ** بَعْدَ أنْ طَوّروهُ كثيرًا ليتلاءَمَ مع عَقائِدِهِمْ، وقَدْ تمكّنوا مِنْ خِلالهِ مِنْ نقلِ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ إلى الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ، وجعلِ كثيرٍ منهم يَلتزمُ التَّصَوُّفَ ويَقِفُ عِنْدَ حُدودهِ دونَ الدخولِ في الرَّفْضِ.

ولكن **الرَّافِضَةَ** قَدْ أَمِنُوا جانبَ هؤلاءِ بِمَا أشغلوهُمْ بهِ مِنْ طُقوسٍ، وبما حَجبُوهم عَنِ العِلْمِ وأهلِهِ، ليكونوا **مُتَصَوّفينَ**، لَا يُنكرون ولَا يُقاومون، فضلًا عَنْ أنْ يُجاهدوا ويُكفِّروا مَنْ يَتظاهرُ بالإسلامِ ولَوْ كان مُبْطِنًا لأنواعِ الزَّنْدَقَةِ والرَّفْضِ والإلحادِ.

الفصلُ الثاني

وِحْدَةُ المناهجِ التّعليميَّةِ والتَربويَّةِ

وفيه سبعة مباحث:

- المبحثُ الأوّلُ: تَقسيمهُمُ الدِّينَ إلى ظاهرٍ وباطنٍ.
- المبحثُ الثانِي: العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ.
- المبحثُ الثالثُ: مَوْقِفُهُمْ مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ.
- المبحثُ الرابعُ: التَّقِيَّةُ.
- المبحثُ الخامسُ: الإمامةُ والوِلايَةُ.
- المبحثُ السّادسُ: تَقديسُ القُبورِ والأضْرِحَةِ.
- المبحثُ السّابعُ: الحُلُولُ والاتِّحادُ.

المبحث الأول

تَقسيمهُمُ الدِّينَ إلى ظاهرٍ وباطنٍ

وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:

ـ التّمهيدُ: الظاهرُ والباطنُ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ.

ـ المطلبُ الأوّلُ: تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ عندَ الرَّافِضَةِ.

ـ المطلبُ الثاني: تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ عندَ الصُّوفِيَّةِ.

* * *

تمهيد

الظاهرُ والباطنُ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ

فرضَ اللهُ ﷻ على عبادهِ طَاعتَهُ وامتثالَ أمرهِ في جميع مَا أمرَهُمْ بهِ ونَهاهُمْ عنهُ، فأرسلَ الرُّسُلَ وأنزلَ الكُتُبَ؛ تيسيرًا لَهمْ لِبيانِ أَمْرهِ ونَهيهِ وما يُحبُّهُ ويَكرَهُهُ. وقَدْ جعلَ ﷻ ذلك كلَّهُ بلسانٍ مُبينٍ ولُغَةٍ تُوافقُ المُكَلَّفينَ لَا يجدونَ في فَهْمِها مشقّةً ولَا كَلَفَةً. وأرسلَ ﷻ آخرَ رُسُلِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، وأنزلَ معهُ **القُرآنَ** بلسانٍ عَرَبيٍّ مُبينٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وقَدْ فَهِمَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مُرادَ اللهِ تَعَالَى وامتثلوا أمرَهُ ونَهيهُ بِلَا تَعَسُّفٍ ولَا تحريفٍ، وعَلِمَ المُسلِمونَ جميعًا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ فرضَ أعمالًا مِنَ الطّاعاتِ على الجوارحِ الظاهرةِ، وفرضَ أعمالًا واعتقاداتٍ على القُلوبِ الباطنةِ.

واتَّفَقَ المُسلِمونَ على تقسيمِ التّكاليفِ الشَّرعيَّةِ إلى نوعيْنِ:

ـ **الأول: (تكاليفُ ظَاهرةٌ)** تظهرُ للنَّاسِ عَامَّةً؛ لأنَّ محَلَّها الجوارحُ الظاهرةُ، كالصّلاةِ والصِّيَام وغيرِهما مِنْ أركانِ الإسلامِ.

ـ **الثاني: (تكاليفُ بَاطنةٌ)** تخفى على النَّاسِ ولَا يَعلَمُها إلَّا علَّامُ

الغيوبِ؛ لأنَّ محَلَّها القَلبُ والباطنُ، كالإيمانِ بِاللهِ تَعَالَى، ورُسُلِهِ، وملائكتهِ، وسائرِ أركانِ الإيمانِ، ومسائلِ الاعتقادِ.

وعلى هذا التّقسيم قامَ الإسلامُ وانتشرَ، وجعلَ اللهُ تَعَالَى لولاةِ الأمرِ الحُكْمَ على العبادِ بِمَا يكونُ مِنْ ظاهرِ حالِهِمْ وفعلِهِمْ، كالدخولِ في الإِسْلامِ، والارتدادِ عنهُ، وكذلك إقامةِ الحدودِ والأحكامِ بَيْنَ العبادِ. بينما اختصَّ هو ﷻ بباطنِ حالِهِمْ، وحقيقةِ أمرِهِمْ، لِعِلْمِهِ واطّلاعِهِ على خائنةِ الأَعْيُنِ وما تُخفي الصّدورُ.

فالشَّريعَةُ إذًا مِنْ حيثُ أحكامُها على النَّاسِ وأعمالِهِمْ تَشملُ أحكامًا تَتعلّقُ بظاهرِ الأعمالِ، وأُخْرَى تَتعلّقُ بباطنِ الأعمالِ. وهذا هو المرادُ بالظاهرِ والباطنِ في الشّريعةِ الإسلامِيَّةِ كما فهِمَهُ الصَّحَابَةُ وتَلَقَّوْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكما يُقَرِّرُهُ أهلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في مناهجِهِمُ الشَّرعيَّةِ.

وقَدْ دَأبَ المُسلِمونَ على الاهتمامِ بإصلاحِ ظَواهِرِهِمْ وبواطِنهم كما أَرادَ اللهُ تَعَالَى منهم، مع صَرْفِ العنايةِ العُظْمَى في إصلاحِ الباطنِ؛ لأنّهُ أصلُ وأساسُ قَبولِ الأعمالِ أو رَدِّها، واستمرّوا على ذلك وما زالوا كما هو مذهبُ أهلِ الحقِّ.

المطلبُ الأول

تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ عندَ الرَّافِضَةِ

أَطلَّتْ فِرَقُ الشَّرِّ والفسادِ برؤوسِها تَنشرُ البِدَعَ والانحرافاتِ، وكان على رأسِها فِرْقَةُ **الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ** التي كان وما زال لها السَّهْمُ الأكبرُ والحظُّ الأوفرُ في نشرِ الضّلالاتِ والظُّلماتِ بَيْنَ المُسلِمينَ. فقَدْ كان **التَّشَيُّعُ** مأوًى وملاذًا لكُلِّ مَنْ أرادَ هدمَ الإسلام وتفريقَ المُسلِمينَ، وهذه الحقيقةُ أدركَها حتَّى المستشرقونَ الأعداءُ؛ يقولُ **جولدتسيهر** اليهوديُّ: «**إنَّ الشِّيعَةَ كانت ـ على وَجهِ الدِّقّةِ ـ المنطقةَ التي نبتَتْ فيها جراثيمُ السَّخافاتِ التي حَلَّلَتْ**

وقَضَتْ على نظريَّةِ الألوهيَّةِ في الإِسْلامِ»[(١)].

إنَّ أعظمَ بِدْعَةٍ بَثَّها **التَّشَيُّعُ** هي **الباطنيَّةُ الخبيثةُ**، فإنّهم لمّا أَعيَتْهُمُ النُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ الصّحيحةُ الصّريحةُ، وحالتْ دونَ نَشْرِ فَسادِهِمْ ومَذهبِهِمْ، وأعيَاهُمْ شِدّةُ تَمسُّكِ المُسلِمينَ بِالنُّصوصِ ورجوعُهُمْ إليها والاحتكامُ إليها، مع التّسليمِ لها في جميعِ أُمُورِهِمْ؛ ابتدعوا هذه الفكرةَ الشَّيْطَانيَّةَ، وهي **تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ**.

يقولُ **أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ**: «إنَّهُمُ ادَّعُوا أنَّ لظاهرِ القُرآنِ والأخبارِ بواطنَ تجري في الظّواهرِ مَجرَى اللُّبِّ مِنَ القشرِ، وإنّها بصُوَرِها تُوهِمُ عِنْدَ الجُهّالِ الأغبياءِ صُورًا جَلِيَّةً، وهي عِنْدَ العُقلاءِ والأذكياءِ رُموزٌ وإشاراتٌ إلى حقائقَ»[(٢)].

فقد زَعموا أنَّ لكُلِّ نَصٍّ شَرعيٍّ وأمرٍ دينيٍّ ظاهرًا يَفهمُهُ عَامَّةُ أهلِ العِلْمِ، ومعنًى آخرَ باطنٌ لَا يَفهمُهُ إلَّا مَنْ وفَّقَهُ اللهُ بِزَعمِهِمْ وكشفَ لهُ عَنْ ذلك. هكذا مكّنتْهُمُ الشياطينُ مِنْ نَقْضِ مَعاقلِ الشّريعةِ الإسلامِيَّةِ في صُفوفِ فئاتٍ كثيرةٍ مِنْ أفرادِ المجتمعِ الإسلاميِّ مِمَّن وافقَهُمْ وتَابعَهُمْ واهتدَى بهديِهِم وسارَ على مَنهجِهِمْ، حيثُ:

- مكّنتْهُمْ بِدْعَتُهُمْ هذه مِنْ رَدِّ كثيرٍ مِنَ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ ردًّا صريحًا مُباشرًا بالطَّعْنِ في نَاقِليها وعَدَالتِهمْ بِمَا جَرحُوهم بهِ مِنْ تفسيراتِهمُ الباطنيَّةِ للنُّصوصِ والأحداثِ.

- ثُمَّ عَمَدوا إلى مَا بقي مِنْ نُصوصِ القُرآنِ ومتواترِ الأخبارِ، وما نُقِلَ إليهم عَنْ عُدولٍ ضَابطينَ؛ فزعموا أنَّ لظواهرِ تلكَ النُّصوصِ أسرارًا وخَفايا وبواطنَ لَا يَفقَهُهَا إلَّا أهلُ العِصْمَةِ ومَنْ وفَّقَهُمُ اللهُ مِنَ الخاصّةِ.

---

(١) «العقيدة والشَّريعَة في الإِسْلام» (ص: ١٨٥).
(٢) «فضائح الباطنية» (ص: ١١).

ـ ثُمَّ زَعموا أنَّ الجهلَ والحماقةَ إنَّمَا تَكْمُنُ في الأخذِ بظواهرِها والجُمودِ عليها، وأنَّ الفِطْنَةَ والتّوفيقَ في الغَوصِ في باطِنها ومعرفةِ أسرارِها.

ـ وأشاعوا أنَّ الأخذَ بالمعاني الباطنةِ لشرائعِ الإسلامِ ونُصوصهِ هو السُّمُوُّ الإنسانيُّ نحوَ الكمالِ المنشودِ والارتقاءِ في بابِ المعارفِ والحقائقِ.

هكذا تمكّنَ هؤلاءِ الشياطينُ بهذهِ البِدْعةِ مِن استدراجِ فِئَامٍ مِنَ النَّاسِ والميْلِ بهم عَنْ دِينِ اللهِ وشَرْعهِ بِمَا بَثُّوهُ مِنْ عَقائِدَ ضالةٍ وأفكارٍ مُنحرفةٍ زاعمينَ أنَّها المرادُ الشَّرعِيُّ مِنْ ظواهرِ نُصوصِ القُرآنِ والأخبارِ والآثَارِ. فأضافوا مصدرًا للعقائدِ والشَّرائعِ وهو مَا يَزْعُمُونَهُ مِنْ كَشْفٍ وخيالاتٍ فاسدةٍ تُمْلِيها عَليهِم شَياطينُهُمْ وأهواؤُهُمْ، ثُمَّ يدّعون بِكُلِّ وقاحةٍ نسبتَها إلى الشَّرْعِ باسمِ الباطنِ.

وبهذا تمكنوا مِنْ إدخالِ مَا شاءوا في دِينِ اللهِ تَعَالَى، وتلاعبوا بِالنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ على ضوءِ عَقائِدِهِمْ وأهدافِهِمْ حتَّى أفقدوا تلكَ النُّصوصِ مكانتَها وقَدْرَها في نُفوسِ شِيعَتِهِم ومَنْ وافَقَهُمْ، وجعلوا مِنْ هذه النُّصوصِ أصلًا لِكُلِّ مَزاعمِهِمْ وافتراءَاتِهِمْ.

إنَّ أساطينَ هذه الدّعوةِ الخبيثةِ هُمْ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ وغيرُهُمْ مِمَّن أظهرَ التَّشَيُّعَ وتَستَّر بهِ؛ يقولُ **أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ** عَنْ أَئِمَّةِ الباطنيَّةِ: «**إنَّهُمْ لمّا أرادوا الكيدَ للإسلامِ وأهلِهِ بَعْدَ زَوالِ عُروشِهِمْ ومُلُوكِهِم؛ اتَّفَقوا أنْ يَنتحلُوا عقيدةَ طائفةٍ مِنْ فِرَقِهِمْ هُمْ أَرَكُّهُمْ عُقولًا وأَسخفُهُمْ رَأْيًا وأَلينُهُمْ عريكةً لقَبولِ المحالاتِ وأطوعُهُمْ للتّصديقِ بالأكاذيبِ المزخرفاتِ وهُمُ الرّوافضُ**»[(١)]. ويَصِفُ **أبو حَامِدٍ** مذهبَهُمْ فيقولُ: «**فهو مذهبٌ ظَاهِرُهُ الرَّفْضُ وباطنُهُ الكُفْرُ المحضُ، ومُفتتحُهُ حَصْرُ مَدارِكِ العُلومِ في قولِ الإمامِ المَعصُوم، وعَزلُ العقولِ عَنْ أنْ تكونَ مُدركةً للحقِّ لِما يَعترِيها مِنَ الشُّبهاتِ... وحكم بأَنَّ المُعَلِّمَ المَعصُومَ هو المستبصرُ،**

(١) «فضائح الباطنية» (ص: ١٨ ـ ١٩).

وأنّهُ المُطّلِعُ مِنْ جِهَةِ اللهِ على جميعِ أسرارِ الشّرائعِ»[١].

ولمّا عَلِمَ **أَئِمَّةُ الرَّفْضِ** أنَّ بِدعتَهُمْ هذه قَدْ فتحتْ بَابًا يَلِجُ منهُ كُلُّ صاحبِ هوًى، فيدّعي مَا شاءَ في دِينِ اللهِ ونُصُوصِ الشَّرْعِ باسمِ الباطنِ والحقيقةِ كما هو شأنُهُمْ، وأنّهُ لن يكونَ لَهمْ على غيرِهِمْ فضلٌ لأنَّ هذه البدعةَ ليستْ إلَّا بابَ دعوى لَا تَعوزُها الأدِلَّةُ والبراهينُ، ولَا تستندُ في تأويلاتِها ومَزاعِمِها إلى ضوابطَ وأُصُولٍ، وأدركوا أنّهُ قَدْ تُنتقضُ دعاواهم بدعاوى مثلِها وتُرَدُّ أقوالُهُمْ ومذاهبُهُمْ بمثلِها فلا يبلغونَ بذلك هدفًا ولَا يُحقّقون رجاءً، لمّا عِلموا ذلك قرّروا أنَّ معرفةَ البواطنِ وكشفَ الأسرارِ الإلٰهيَّةِ لَا تُنالُ بالكَسْبِ والطَّلَبِ، وإنّما هي خَاصَّةٌ بالأئِمَّةِ المَعصُومينَ بزَعمِهِمْ، يَمنحُهُمُ اللهُ إيّاها ويُطْلِعُهُمْ عليها وعلى مَنْ يختصُّهُ مِنْ مُحبِّيهم وأتباعِهِمْ فَقَطْ دونَ غيرِهِمْ مِنَ النَّاسِ كمحاولةٍ يائسةٍ منهم للانفرادِ في بابِ الدَّعاوَى وحقِّ التشريعِ والإضافةِ في دِينِ اللهِ بِمَا يُوافقُ مَصالِحَهُمْ وأهدافَهُمْ باسمِ الباطنِ والحقائقِ.

إنَّ بِدْعَةَ التفريقِ بَيْنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ وبَيْنَ الظاهرِ والباطنِ مِنْ أهمِّ خصائصِ التَّشَيُّعِ، فإنّهم على الرَّغْمِ مِنْ كَثْرةِ فِرَقِهِمْ وتَعَدُّدِ طَوائِفِهِمْ ومذاهِبِهِمْ؛ يؤمنون جميعًا بهذا التّفريقِ ويَدِينونَ بهِ. بلْ إنَّهُمْ يُفرّعون عَنْ هذا الأصلِ كثيرًا مِنَ العقائدِ والأفكارِ التي يتميّزونَ بِهَا عَنْ غيرِهِمْ. بلْ إنَّ اختلافَهُمْ في تَعيينِ **الإمامِ المَعصُومِ** الذي هو سببُ تَفرُّقِهِمْ مَا هو إلَّا فَرعٌ عَنْ هذا الأصلِ؛ حيثُ إنَّ اختلافَهُمْ في انتقالِ الإمامةِ والعِصْمَةِ مِنَ السَّابقِ إلى مَنْ بعدَهُ هو أساسُ تَفرُّقِهِمْ، فكُلٌّ يَزْعُمُ أنَّ إمامَهُمُ الذي افترضَ اللهُ تَعالَى على النَّاسِ طَاعتَهُ هو الوَارِثُ للإمامِ السّابقِ، كما هو معلومٌ في ضَروريّاتِ مذهبِهِمْ وتَفرُّقِهِمْ وكما نَصَّ عليهِ **الشّهرستانيُّ**، بِمعنَى أنَّ **الإمامَ الموروثَ** قَدْ «**أفضَى إليه ـ أَيْ: إلى الوارثِ ـ أسرارَ العُلومِ، وأَطلعَهُ على مناهجِ تطبيقِ**

---

(١) «فضائح الباطنية» (ص: ٣٧).

الآفاقِ على الأنفسِ، وتقديرِ التّنزيلِ على التأويلِ، وتصويرِ الباطنِ على الظاهرِ»، وذلك لإيمانِهِمْ «بِأنَّ لِكُلِّ ظاهرٍ باطنًا، ولِكُلِّ شخصٍ روحًا، ولِكُلِّ تنزيلٍ تأويلًا»[١]. فمَنْ وَرِثَ الأسرارَ والتأويلَ والباطنَ؛ فهو صاحبُ الأمرِ، والإمامُ المَعصُومُ مِنَ الزّللِ والخطأِ، وصاحبُ الحقِّ في التشريعِ والتحليلِ والتحريمِ، إلى غيرِ ذلك مِنْ سخافاتِ الأفكارِ والعقائدِ في مذهبِ الرَّافِضَةِ.

يقولُ **الخُمَيْنِيُّ** ـ إمامُ الرَّفْضِ والضّلالةِ في وَقتِنا هذا ـ: «إنَّ الوقوفَ على الصُّورةِ، والعُكوفَ على عَالَمِ الظّاهرِ، وعَدَمَ التّجاوزِ إلى اللُّبِّ والباطنِ؛ اخترامٌ، وهلاكٌ، وأصلُ أُصُولِ الجهالاتِ، وأُسُّ أساسِ إنكارِ النّبوّاتِ والوِلايَاتِ، فإنَّ أوّلَ مَنْ وَقَفَ على الظاهرِ وعَمِي قَلبُهُ عَنْ حظِّ الباطنِ هو الشَّيْطَانُ اللّعينُ»[٢].

ويُفَرّقُ بَيْنَ (**الظاهرِ والباطنِ**)، فالظّاهرُ عندَهُ هو: «أساسُ الأعمالِ الظاهريَّةِ، والتكاليفِ الإلٰهيَّةِ، والنواميسِ الشَّرعيَّةِ، وإنّها هي الطريقُ إلى الباطنِ الذي هو أسرارُ الرُّبُوبِيَّةِ، والأنوارُ الغيبيَّةُ، والتّجلّيّاتُ الإلٰهيَّةُ»[٣]. وأقول: أي ظاهر وقف عليه شيخك وقدوتك يا خميني؟ ـ أمره الله بالسجود فلم يسجد! فأي ظاهر وقف عليه إمامك ـ ثم علل عدم سجوده بالباطن لا بالظاهر فعلق عدم سجوده على أصل خلقته وخلقة آدم عليه السلام.

المطلبُ الثاني

تقسيمُ الدِّينِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ عندَ الصُّوفيَّةِ

أمَّا ما يتعلّقُ بالصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأنِ؛ فقد جاءتِ الصُّوفيَّةُ رَبيبَةُ التَّشَيُّعِ فأخذتْ هذه البِدْعَةَ، وآمنتْ بِهَا، وجعلَتْها أصلًا لِنِحْلَتِها، وقاعدةً لمذهبِها المُنحرِفِ .

(١) «المِلَل والنِّحَل» (١/ ١٥٠).
(٢) «شرح دعاء السحر» (ص: ٧٢).
(٣) المصدر السابق (ص: ٧٤).

ويُقسّمُ الصُّوفيَّةُ المجتمعَ الإسلاميَّ إلى قسمينِ:

ـ **الأولُ (أهلُ الظاهرِ)**: وهُمْ أهلُ الشَّريعَةِ والرُّسومِ، ويُسمّونَ أهلَ العِلْمِ منهم بـ: عُلماءِ الظاهرِ والرّسومِ، والشَّريعَةِ والأوراقِ، وغيرِ ذلك.

ـ **الثاني (أهلُ البَاطِنِ)**: ويقصدون بذلك أنفسَهُمْ أهلَ الكَشْفِ والأذواقِ! ويصفون أئِمَّتَهُمْ بعُلماءِ الباطنِ والغيبِ والحقائقِ، وغيرِ ذلك مِنْ ألقابٍ وأوصافٍ.

ويعتبرون **عُلَماءَ الشَّريعةِ** أدنَى منزلةً منهم في المكانةِ والفَهْمِ، شأنُهم في ذلك شأنُ أسيادِهِمْ وشُيوخِهِمُ الرَّافِضَةِ، وقَدِ اتفقوا جميعًا على تَسْمِيَةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ بالعَوامِّ والمخالفينَ، وتَسْمِيَةِ أنفسِهِمْ بالخاصّةِ والخواصِّ. وها هي بعضُ أقوالِهِمْ:

• بَوّبَ **السّرّاجُ الطُّوسيُّ** بابًا لهذهِ البدعةِ فقال: «باب إثباتِ عِلْمِ الباطنِ والبيانِ على صِحّةِ ذلك بالحُجَّةِ». قرّرَ فيه تقسيمَ العِلْمِ إلى ظاهرٍ وباطنٍ، وأنّهُ لَا يَستغني أيٌّ منهما عَنِ الآخرِ، ثُمَّ قال: «قال اللهُ عَجَّلَ: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]». فالعِلْمُ المستنبطُ عِنْدَهُمْ هو العِلْمُ الباطنُ، وهو عِلْمُ أهلِ التَّصَوُّفِ؛ لأنَّ لَهمْ مُستنبطاتٍ مِنَ القُرآنِ والحديثِ وغيرِ ذلك، ثُمَّ يقولُ: «فالعِلْمُ ظاهرٌ وباطنٌ، والقُرآنُ ظاهرٌ وباطنٌ، وحديثُ الرَّسُولِ ﷺ ظاهرٌ وباطنٌ، والإسلامُ ظاهرٌ وباطنٌ»(١).

• و بَوّبَ **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** بَابًا في عُلومِ الصُّوفيَّةِ يقولُ فيه: «اعْلَمْ أنَّ عُلومَ الصُّوفيَّةِ علومُ الأحوالِ، والأحوالُ مواريثُ الأعمالِ». ثُمَّ يَصِفُ هذه العُلومَ بأنها «عُلومُ الخواطرِ، وعُلومُ المشاهداتِ والمكاشفاتِ، وهي التي تختصُّ بعُلومِ الإشارةِ، وهو الذي تفرّدتْ بهِ الصُّوفيَّةُ بَعْدَ جمعِها لسائرِ

---

(١) «اللُّمَع» (ص: ٤٣ ـ ٤٤).

العُلوم». ويقولُ أيضًا: «وإنّما قيلَ: عِلْمُ الإشارةِ؛ لأنَّ مشاهداتِ القُلوبِ ومكاشَفاتِ الأسرارِ لَا يمكنُ العبارةُ عنها على التحقيقِ بلْ تُعْلَمُ بالمنازلاتِ والمواجيدِ، ولَا يَعرِفُها إلَّا مَنْ نازلَ تلك الأحوالَ، وحلَّ تلكَ المقاماتِ»[(١)].

بِمثْلِ هذه الدَّعاوَى يَزْعُمُ المُتَصَوِّفَةُ **(أنَّ عُلومَهُمْ أعلَى وأسْمَى مِنْ بقيَّةِ العُلومِ الشَّرعيَّةِ، ويُوهمونَ بِأنَّ عُلومَهُمْ لَا تُكتسَبُ، بَلْ هي أحوالٌ ومِنَحٌ إلٰهيَّةٌ، ومكاشفاتٌ غيبيَّةٌ، وأنّها تُعتبَرُ مِيراثًا للأعمالِ والمجاهداتِ)**. وهي ليستْ في واقعِها وحقيقةِ أمرِها سِوَى خيالاتٍ فاسدةٍ واستدراجاتٍ وهواجسَ شيطانيّةٍ توافقُ الأهواءَ والشّهواتِ.

• ويقولُ **أبو طَالِبِ المَكِّيُّ**: «كانوا يقولون: عِلْمُ الظاهرِ مِنْ عِلْم المَلِكِ، وعِلْمُ الباطنِ مِنْ عِلْمِ الملكوتِ. يعنون أنَّ ذلك مِنْ عِلْمِ الدُّنيا لأنّهُ يُحتاجُ إليه في أُمُورِ الدُّنيا، وهذا مِنْ عِلْمِ الآخرةِ لأنّهُ مِنْ زادِها». ثُمَّ يُقَرِّرُ هذا القولَ الفاسدَ والتّفريقَ المُنحرفَ بقولِهِ: «لأنَّ اللسانَ ظاهرٌ فهو مِنَ المَلِكِ، وهو خِزانةُ العِلْمِ الظاهرِ، والقَلْبُ خِزانةُ الملكوتِ، وهو بابُ العِلْمِ الباطنِ، فقَدْ صارَ فضلُ العِلْمِ الباطنِ على الظاهرِ كفضلِ الملكوتِ على المَلِكِ، وهو الملكُ الباطنُ الخفيُّ، وكفضلِ القَلْبِ على اللسانِ، وهو الظاهرُ الجليُّ». ويقولُ أيضًا: «وعُلَماءُ الظاهرِ هُمْ زِينةُ الأرضِ والمَلَكِ، وعُلَماءُ الباطنِ زِينةُ السّماءِ والملكوتِ»[(٢)].

هذا هو **التَّصَوُّفُ**؛ إنّهُ بِكُلِّ وقاحةٍ وسُوءِ أدبٍ يَضرِبُ الأمثالَ، ويَقيسُ الأمورَ بِلَا تَعقُّلٍ، ويُوازنُ بَيْنَ مَا شَرّعهُ اللهُ تَعَالَى وما جاءتْ بِهِ الرُّسُلُ وبَيْنَ ضلالتهِ، ويُقارنُ بينهما بميزانهِ المُنحرفِ، فيضعُ مَا رَفَعَهُ اللهُ تعالَى ورَسُولُهُ ﷺ، ويرفعُ مَا استحسنتْهُ عُقولُهُمْ والشياطينُ مِنْ أنواعِ الضّلالاتِ

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١٠٤ ـ ١٠٥).
(٢) «قوت القُلوب» (١/ ١٥٦ ـ ١٥٨).

والانحرافاتِ، ويَتقوّلُ على اللهِ تَعَالَى بِلَا علمٍ وبلا حياءٍ، ويَصِفُ عُلومَ الشَّريعةِ بعلومِ الدُّنيا وأنَّ حاجتَها تقتصرُ على هذه الدُّنيا.

والحقُّ؛ إنَّهُمْ قومٌ أَضلَّتْهُمُ الشياطينُ وأعمتْهُمُ الأهواءُ والشَّهواتُ حتَّى أصبحوا لَا يَستحيونَ أبدًا؛ فيصنعونَ ويقولون مَا شاءوا.

• ويقولُ **عبدُ الحليم محمود** الذي كان شيخًا للأزهرِ مَا نَصُّهُ: «تظهرُ في العقيدةِ الإسلامِيَّةِ التّفرِقَةُ بوضوحٍ بَيْنَ جُزْءَيْنِ مُتكاملينِ وهما: **الظاهرُ والباطنُ**، أَعني [بالظّاهرِ]: **الشَّريعةَ**، وهي البابُ الذي يدخلُ منهُ الجميعُ. و[بالباطنِ]: **الحقيقةَ**، ولَا يَصِلُ إليها إلَّا المصطفَوْنَ الأخيارُ».

ويقولُ: «وكثيرًا مَا نَجِدُهُمْ يُشبّهونَ الشَّريعةَ والحقيقةَ بالقِشْرِ واللُّبِّ أو بالدّائرةِ ومَركزِها. **والشَّريعَةُ**: تَتضمّنُ ـ فضلًا عَنِ النّاحيةِ الاعتقاديَّةِ ـ الناحيةَ التشريعيَّةَ والناحيةَ الاجتماعيَّةَ، وهما جُزءانِ لَا يتجزّءانِ عَنِ الدِّينِ الإسلاميِّ. وأمَّا (**الحقيقةُ**) فإنها معرفةٌ محضةٌ.. بيدَ أنَّ **الباطنَ** لَا يعني فَقَطْ الحقيقةَ، وإنّما يَعني كذلك السُّبُلَ الموصلةَ إليها، أعني: الطُّرُقَ التي تقودُ الإنسانَ مِنَ الشَّريعةِ إلى الحقيقةِ»(١).

يَتَّضِحُ مِنْ أقوالِ هؤلاءِ المُتَصَوِّفَةِ تفريقُهُمْ بَيْنَ الظاهرِ والباطنِ، أو بَيْنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ، وتفضيلُهُمْ للحقيقةِ وأهلِها، واتّفاقُهُمْ مع الشِّيعَةِ في أنّهُ لَا يُدرِكُها إلَّا الخواصُّ.

و يُقَرِّرُ الدكتورُ **عَبدُ الحليم مَحمود**؛ أنَّ كلًّا مِنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ جزءٌ متكاملٌ، ومعلومٌ أنَّ الشيءَ المتكاملَ لَا يفتقرُ إلى غيرِه. كما وَصَفَ (**أهلَ البَاطِنِ**) بالاصطفاءِ والاختيارِ، **والحقيقةَ** بأنها معرفةٌ محضةٌ، وكأنه يُقَرِّرُ مَا قرّرهُ أهلُ الغُلُوِّ مِنْ سُقوطِ التّكاليفِ وارتفاعِ الشّرائعِ عمّنْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ

(١) أبحاث في التَّصوُّفِ ـ لمحة عَامَّةٌ عَنِ التَّصَوُّفِ ـ ضمن «المجموعة الكاملة» لمُؤلَّفاته (ص: ٢٣٣ ـ ٢٢٧).

الخاصّةُ وخَاصَّةُ الخاصّةِ، قَبَّحَهُمُ اللهُ تعالَى وقبحَ مذهبَهُمْ، وليس لَهمْ في مذهبِهِمْ هذا دليلٌ يستندون إليه إلَّا مَا اصطنعَهُ لَهمْ أسيادُهُمُ الرَّافِضَةُ مِنْ **أحاديثَ وأخبارٍ مكذوبةٍ** لترويجِ بِدعتِهِمْ وإنفاقِ سِلْعتِهِمْ.

ومن هذه **الأحاديثِ المكذوبةِ** ما نقله **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** عَنْ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ قال: سألتُ **الحَسَنَ** عَنْ عِلْمِ البَاطِنِ، فقال: سألتُ **حُذيفةَ** عَنْ عِلْمِ البَاطِنِ، فقال: سألتُ **رَسُولَ اللهِ** ﷺ عَنْ عِلْمِ البَاطِنِ، فقال ﷺ: «**سألتُ جِبْرِيلَ عَنْ عِلْمِ البَاطِنِ، فقال: سألتُ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **عَنْ عِلْمِ البَاطِنِ، فقال: هو سِرٌّ مِنْ سرّي، أَجعلُهُ في قَلبِ عبدي، لَا يقفُ عليهِ أحدٌ مِنْ خلقي**»(١)(٢).

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٢) **حديثٌ موضوعٌ**: جاء بلفظينِ: الأوّلُ: «عِلْمُ الباطنِ سرٌّ مِنْ..». والثاني: «الإخلاصُ سرٌّ مِنْ...».

وقد أوردَهُ الغزاليُّ في «الإحياء» (٤/ ٣٢٢، كتاب النِّيَّةِ والإخلاص والصّدق) عَنِ الحسنِ البَصْريِّ عن رسُولِ اللهِ ﷺ ـ مرسلًا ـ باللفظِ الثاني. قال الإمامُ الحافظُ العراقيُّ في «تخريج الإحياء»: «هو مِنْ روايةِ أحمدَ بنِ عطاءٍ الهجيميِّ عن عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ عن حُذيفةَ عَنِ النبيِّ ﷺ عن جبريلَ عَنِ اللهِ تعالى. وأحمدُ بنُ عطاءٍ وعبدُ الواحدِ كلاهما مَتْروكٌ، وهما مِنَ الزُّهَّادِ. ورواه أبو القاسم القشيريُّ في «الرسالة» مِنْ حديث عليِّ بنِ أبي طالبٍ بسندٍ ضعيفٍ.

وأقرَّ الألبانيُّ العراقيَّ في «سلسلة الأحاديثِ الضعيفة والموضوعة» (٢/ ٩٢ ح٦٣٠).

واعترفَ (**أحمدُ الغماريُّ**) بوضْعِ هذا الحديثِ وبُطلانهِ في تخريجه «العوارف المعارف» المُسمّى «عواطف اللطائف مِنْ أحاديث عوارف المعارف» (١/ ١٥٣ نشر المكتبة المكية) باعتناءِ جماعةٍ منهم: محمود سعيد ممدوح الرافضيُّ القبوريّ الصوفيّ المُتستّرُ. ونقلَ الغماريُّ أنّ الحافظَ ابنَ حجرٍ حكمَ على الحديث في «زهر الفردوس» بقولهِ: «موضوعٌ، والحسَنُ ما لقيَ حُذيفةَ أصلًا». وذكرَ الغماريُّ حديثَ عَليٍّ وعزاهُ إلى «مُسند الفردوس»، وذكرَ أيضًا تضعيفَ ابنِ الجوزيّ لهُ في «العلل المتناهية» [كما سيأتي في (ص: ٣٦٣)، قلتُ: الصوابُ أنه ضعّفه في «التلبيس»]، وذكرَ كذلكَ تضعيفَ السيوطيِّ لهُ في «الموضوعات». قلتُ: وقال الحافظُ أيضًا في (فتح الباري تحتَ الحديث رقم: ١٧٦١): «حَدِيثٌ وَاهٍ جِدًّا».

إِنَّهُمْ لِفرطِ ضلالِهِمْ وشدّةِ جهلِهِمْ؛ يَقبلون كُلَّ **حديثٍ مَوضوعٍ** ويَنْسُبُونَهُ إلى اللهِ تَعَالَى وإلى رَسُولِهِ ﷺ بِلَا أَيِّ تَحفُّظٍ مَا دامَ يَنصُرُ رأيَهُمْ ويُوافقُ مَا هُمْ عليهِ، هذا إنْ أَحسَنّا فيهِمُ الظَّنَّ، وإلّا فإنَّ كثيرًا منهم لَا يَتورّعُ أبدًا عَنِ الكَذِبِ على اللهِ تَعَالَى ورَسُولِهِ ﷺ والوضعِ والاختلاقِ؛ انتصارًا لباطلِهِمْ كما هو شأنُ أساتذَتِهِمُ الرَّافِضَةِ.

- إنَّ بعضَ المعاصرينَ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ وغيرِهِمْ يُقَرِّرُ أنَّ مبدأَ **الظاهرِ والباطنِ** إِنَّمَا تسرّبَ إلى الصُّوفيَّةِ عَنْ طريقِ الشِّيعَةِ، فالدكتور **أبو العلا عفيفي** يَنقُلُ عبارةَ **رُوَيْم البغداديِّ الصُّوفِيِّ** (ت٣٠٣هـ)[(١)] حيثُ يقولُ: «فإنَّ كُلَّ الخلقِ قعدوا علَى الرُّسومِ، وقعدتْ هذه الطائفةُ على الحقائقِ، وطالبَ الخلقُ أنفسَهُمْ بظواهرِ الشَّرْعِ، وطالبَ هؤلاءِ أنفسَهُمْ بحقيقةِ الوَرَعِ ومُداومةِ الصدقِ»[(٢)].

ثُمَّ يُعلّقُ **أبو العلا** بقولِهِ: «فالتّفرقةُ ظاهرةٌ في عبارةِ رُوَيْمٍ بَيْنَ الشَّرْعِ وحقيقةِ الشَّرْعِ وبَيْنَ الظاهرِ والباطنِ، أو بَيْنَ الدِّينِ في الرّسمِ والدِّينِ في الجوهرِ، وهذه النّظرةُ هي لُبُّ التَّصَوُّفِ، وهي العاملُ الأكبرُ في تحويلِ الإسلامِ على أيدي الصُّوفيَّةِ مِنْ دينِ رُسومٍ وأوضاعٍ إلى دينٍ حَيٍّ رُوحيٍّ، وترجعُ المقابلةُ بَيْنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ في أصلِ نشأتِها إلى المقابلةِ بَيْنَ ظاهرِ الشَّرْعِ وباطنِهِ، **ولَمْ يَكُنِ المُسلِمونَ في أوّلِ عَهدِهِمْ بالإسلامِ لِيُقِرُّوا هذه التّفْرِقَةَ أو يُفكّروا فيها، ولكنها بدأتْ بِالشِّيعَةِ** الذين قالوا: إنَّ لِكلِّ شَيْءٍ ظاهرًا وباطنًا وينكشفُ الباطنُ للخواصِّ مِنْ عِبادِ اللهِ». ثُمَّ يقولُ: «وقَدِ اتّبعَ الصُّوفيَّةُ طريقةَ التأويلِ هذه، واستعملوا فيها أساليبَ ومُصطلحاتِ الشِّيعَةِ إلى حَدٍّ كبيرٍ»[(٣)].

---

(١) له ترجمةٌ في: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٣٤).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ١٤٥).
(٣) «التَّصوُّف الثَّوْرَة الروحية في الإِسْلامِ» (ص: ١٠٧).

يُقَرِّرُ **الدكتور أبو العلا** أنَّ الصّدرَ الأوّلَ لَمْ يفرِّقوا بَيْنَ الظاهرِ والباطنِ، وأنَّها فكرةٌ شِيعِيَّةٌ محضةٌ، ويُقَرِّرُ أنَّ هذا التّفريقَ وهذه العقيدةَ هي لُبُّ التَّصَوُّفِ الذي حوّلَ الإسلامَ مِنْ دينِ رُسومٍ ـ بزعمهِ ورأيِهِ الفاسدِ ـ إلى دينٍ حَيٍّ رُوحيٍّ، وكأنَّ الإسلامَ كان بِلَا رُوحٍ ولَا حياةٍ حتَّى جاءَ هؤلاءِ المُنحرفونَ لِيَمُدُّوه بالرُّوحِ والحياةِ والثَّوْرَةِ على حسبِ تعبيرِهِ، وهُمْ في الحقيقةِ فاقدون لذلك كُلِّهِ وليس عِنْدَهُمْ إلَّا الشَّرُّ والفسادُ وكلُّ مَا فيه ضَياعٌ للدِّينِ والدنيا.

فالحاصلُ: أنَّ كلًّا مِنَ **الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** قَدْ بَنوْا مذهبَهُمْ على أساسِ التفريقِ بَيْنَ الظاهرِ والباطنِ، أو بَيْنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ، وقَدْ فرّعوا على أَصلِهِمُ المبتدعِ تفريعاتٍ ومناهجَ كثيرةً، اخْتُصُّوا بِهَا في مذاهبِهِمْ ودياناتِهِمْ، كتقسيمِهِمُ العُلومَ إلى مُكتسبةٍ مُتعَلَّمَةٍ وأُخْرَى مَوْروثةٍ لَدُنّيَّةٍ، واحتيالِهِم على نُصوصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ بتأويلِها بِمَا يُوافقُ قواعدَهُمْ وبِدعَهُمْ، فحرَّفوا الكَلِمَ عَنْ مَواضعهِ باسمِ التَّأويلِ الباطنيِّ والإشاراتِ. وسيأتي تفصيلُ ذلك في **المباحثِ القادمةِ**.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ هذه البدعةَ ـ أيِ: التفريقَ بَيْنَ الظاهرِ والباطنِ ـ لمّا زعموا أنَّها سِرٌّ مِنْ أسرارِ اللهِ تَعَالَى يَختصُّ بِهَا مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ، وهُمْ يُريدون بذلك سِتْرَ مقاصدِهِمُ الخبيثةِ في سبيلِ نَشْرِ مذاهبِهِمْ وتفريقِ كلمةِ المُسلِمينَ. أقول إنَّ ذلك اضطرُّهم إلى ابتداعِ مبدأٍ خبيثٍ تمكّنوا بهِ مِنْ بَثِّ دَعوتِهِمْ ونشرِها دونَ التّعرُّضِ في أغلبِ الأحيانِ لِمجابهةِ ومواجهةِ سيفِ السُّلْطةِ في البلادِ الإسلامِيَّةِ أو إلى إنكارِ العُلَمَاءِ عَليهِم وتكفيرِهِمْ، وتسلُّطِ النَّاسِ عَليهِم بالإنكارِ والمقاطعةِ، والتَّنكيلِ، والتّشريدِ، ذلك هو مَبدأُ **التَّقِيَّةِ والكتمانِ**، وسأفردُهُ في مبحثٍ خاصٍّ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

والحاصلُ: أنَّ هذه التّفرقَةَ غيرُ صَحيحةٍ ولَا مقبولةٍ شرعًا ولَا عقلًا، بلْ إنّها مِنْ أسوأِ الباطلِ وأقبحِ المُنْكراتِ؛ فالإسلامُ دِينٌ مُتكاملٌ لَا يَقبلُ القِسمةَ ولَا التجزئةَ.

صحيحٌ إنَّ فيه أعمالًا تَتعلّقُ بالجوارح الظاهرةِ وأُخْرَى تَتعلّقُ بالقُلوبِ، ولكن ذلك كُلَّهُ دِينٌ وشَرعٌ أنزلَهُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ لهدايةِ الخلقِ وإصلاحِ أحوالِهِمْ في مَعاشِهِمْ ومعادِهِمْ، ودِينُ اللهِ تَعَالَى كُلُّهُ حَقٌّ وحقيقةٌ لَا باطن فيه، ولُبٌّ وجوهرٌ لَا قِشْرَ فيه.

يقولُ **الإمامُ ابنُ الجَوْزِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ: «سَمَّوْا عِلْمَ الشَّريعةِ **عِلْمَ الظاهرِ**، وسمّوا هواجسَ النّفوسِ **العِلْمَ الباطنَ**، واحتجّوا لهُ [بخبرٍ عن] عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّهُ قال: «**عِلْمُ الباطنِ سِرٌّ مِنْ أسرارِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، **وحُكْمٌ مِنْ أحكامِ اللهِ تَعَالَى، يَقذفُهُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ في قُلوبِ مَنْ يشاءُ مِنْ أوليائهِ». ثُمَّ قال: «وهذا حديثٌ لَا أصلَ لهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وفي إسنادهِ مَجاهيلُ لَا يُعرفونَ»[(١)(٢)].

وقال أيضًا: «وقَدْ فَرّقَ كثيرٌ مِنَ الصُّوفيَّةِ بَيْنَ الشَّريعةِ والحقيقةِ، وهذا جهلٌ مِنْ قائلهِ؛ لأنَّ الشَّريعةَ كُلَّها حقائقُ». ثُمَّ قال: «وقال ابنُ عَقيلٍ: جَعَلَتِ الصُّوفيَّةُ الشَّريعةَ اسمًا، وقالوا: المرادُ منها الحقيقةُ. وهذا قبيحٌ؛ لأنَّ الشَّريعةَ وضَعَها الحقُّ لمصالحِ الخلقِ وتَعبُّداتِهِمْ، فما الحقيقةُ بَعْدَ هذا سِوَى شَيْءٍ واقعٍ في النفسِ مِنْ إلقاءِ الشياطينِ، وكُلُّ مَنْ رامَ الحقيقةَ في غيرِ الشَّريعةِ فمغرورٌ مخدوعٌ»[(٣)].



(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٣٩٠ ـ ٣٩١).
(٢) **حديثٌ موضوعٌ**: تقدم تخريجُه في (ص: ٣١٥).
(٣) «تلبيس إبليس» (ص: ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

المبحث الثاني

العِلْمُ اللَّدُنيُّ

وفيه تمْهِيدٌ ومطلبانِ:

ـ التّمهيدُ. العِلمُ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ.

ـ المطلبُ الأوّلُ: العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ عندَ الشِّيعةِ.

ـ المطلبُ الثاني: العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ عندَ الصُّوفِيَّةِ.

* * *

تمهيد

العِلمُ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ

خلقَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ وفَطَرَهُمْ على السّعي في تحصيلِ حاجاتِهِمُ التي بِهَا قوامُهُمْ وصلاحُهُمْ في دِينِهِمْ ودُنياهُم. وأَهمُّ هذه الحاجاتِ وأكثرُها ضرورةً حاجتُهُمْ إلى الشّرائعِ والأديانِ، بلْ لَا نسبةَ بَيْنَ هذه وبقيَّةِ حاجاتِهِمْ؛ لأنها سببُ سعادتِهِمْ ونجاحِهِمْ في الدّارينِ. لذلك أرسلَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ والأنبياءَ، وأنزلَ معهُمُ الكُتُبَ والبراهينَ رحمةً منهُ للنَّاسِ لبيانِ الشَّرائعِ لَهمْ، وحثَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رُسُلَهُ وأنبياءَهُ على تبليغ دَعوتهِ ودِينهِ، وحذَّرَهُمْ مِنْ كِتمانِ شَيْءٍ منهُ، ثُمَّ جعلَ سُبْحَانَهُ المنزلةَ العُظمى لمن يقومُ بَعْدَ الرُّسُلِ بِتَعلُّمِ شَرْعهِ والقيامِ بحقِّهِ جَلَّ وعلا، ثُمَّ بالدّعوةِ والتّبليغ بَيْنَ النَّاسِ والصّبرِ على ذلك إتمامًا لعملِ الأنبياءِ والرُّسُلِ واقتداءً بهم؛ لأنّهُ ليس للنَّاسِ صلاحٌ بدونِ ذلك، ولَا سبيلَ إلى بُلوغِ مَراتبِ السّعادةِ في الدّارينِ إلَّا بهذا الأمرِ.

وقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آياتٍ كثيرةٍ مَا على الرُّسُلِ مِنَ البلاغِ والتّبيينِ، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٥﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾ [التغابن: ١٢]، وقال تَعَالَى مُخاطبًا نبيَّهُ مُحمَّدًا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولا شكَّ أنَّ الرُّسُلَ جميعًا ـ عَليهِم وعلى نَبيِّنا الصّلاةُ والسلامُ ـ قَدْ بلّغوا مَا عَليهِم وقَدْ كان رَسُولُنا ﷺ يَستشْهِدُ أصحابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مواطنَ كثيرةٍ ومناسباتٍ مُتعدّدةٍ على تَبليغهِ إيَّاهُمْ دينَ اللهِ وشَرْعَهُ؛ تحذيرًا مِنْ مَزاعمِ المبتدعةِ التي أَبَتْ ـ على الرَّغْمِ مِنْ كثرةِ النُّصوصِ وصراحتِها ـ إلَّا الكَذِبَ على اللهِ تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ.

فقد استشهَدَهُمْ ﷺ في **حَجَّةِ الوَدَاعِ**، فقال ﷺ: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قالَ ﷺ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ! فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**»(١)، واستشهدَهُمْ ﷺ في مواطِنَ أُخرَى، منها مثلًا في خُطبةٍ لهُ حيثُ يقولُ ﷺ: «**أَلَا، لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ! اشْهَدْ. أَتُحِبُّونَ أَنَّكُمْ رُبُعُ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**» الحديث(٢). حديث: ومنها أيضًا لما أخبرهم عن اكبر الكبائر قال .... ألا وقول الزور، فما زال يكررها. وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: هل بلغت ثلاثًا(٣). وروى ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) **متفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاري»، كتاب الْفِتَن، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» (الفتح: ٣/ ٥٧٤ رقم: ٧٠٧٨)، و«صحيح مسلم»، كتاب الْقَسَامَة، بَاب تَغْلِيظ تَحْرِيم الدِّمَاءِ وَالأَعْرَاضِ وَالأَمْوَالِ (٣/١٣٠٦ رقم: ١٦٧٩/ ٣٠).

(٢) **متفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاري»، كتاب الرِّقَاق، بَاب كَيْفَ الحَشْرُ (الفتح: ١١/ ٣٧٨ رقم: ٦٥٢٨)، و«صحيح مسلم» واللفظ لهُ، كتاب الإِيمَان، بَابُ كَوْنِ هذهِ الأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ (١/ ٢٠١ رقم: ٢٢١/ ٣٧٨).

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثًا.

قال: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتْرَ، وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ في مَرَضِهِ الذي مَاتَ فِيهِ، فقَالَ: «**اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَّغْتُ**»(١). وغير هذا كثيرٌ مِمَّا يَدُلُّ على حرصِهِ ﷺ أنْ يُعلّمَ النَّاسَ جميعًا أنّهُ قَدْ بَلَّغَ رسالةَ رَبِّهِ ﷻ، ولَمْ يَكْتُم النَّاسَ شَيئًا. ولقَدْ شَهِدَ لهُ الصَّحابَةُ رضي الله عنهم وهم خيرُ القرونِ بالتّبليغِ وأداءِ الرّسالةِ والأمانةِ ونُصْحِ الأُمَّةِ.

ولكن على الرَّغْمِ مِنْ هذا كُلِّهِ فقَدْ زَعَمَ المُنحرفونَ أنّهُ أَسَرَّ وكتمَ، وخصَّ البعضَ بأنواعٍ مِنَ العُلومِ والمعارفِ دونَ البعضِ الآخرِ. ثُمَّ لَمْ يقفوا عِنْدَ هذا الحدِّ، بَلِ ازدادتْ وقاحتُهُمْ فزَعَمَ **الرَّافِضَةُ** أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كانت لهُ دَعوتانِ: دَعوةٌ عَامَّةٌ، وأُخْرَى خَاصَّةٌ وهي التَّشَيُّعُ لِعَلِيٍّ وبعضِ وَلَدِهِ. وزَعَمَ **الصُّوفيّةُ** أنّهُ ﷺ جاءَ **بالشَّريعَةِ** التي بَثَّها لعامَّةِ النَّاسِ، و**بالحقيقةِ** التي خصَّ بها عَلِيًّا دونَ غيرِهِ مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم جميعًا.

روَى **البُخاريُّ** مِنْ حَديثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**مَنْ حَدَّثَك أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عليهِ فَقَدْ كَذَبَ...**»(٢). وفي لفظٍ لهُ عنها قالتْ: «**مَنْ حَدَّثَك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ؛ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]»(٣). ورواه **مُسْلِمٌ** عنها بلفظٍ: «**ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ**

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب الصّلاةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ في الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/ ٣٤٨ رقم: ٢٠٨/٤٧٩).

(٢) **متفقٌ عليهِ**: «البخاري»، كتاب التفسير، بَاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ...﴾ (الفتح ٨/ ٢٧٥ رقم: ٤٦١٢) واللفظ لهُ، و«مسلم» كتاب الإيمان بَاب مَعْنَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣...﴾ (١/ ١٥٩ رقم: ٢٨٧/١٧٧).

(٣) **متفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ (الفتح: ١٣/ ٥٠٣ رقم: ٧٥٣١)، و«صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، بَاب مَعْنَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾ وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ (١/ ١٥٩ رقم: ٢٨٧/١٧٧).

أَعْظَمَ على اللهِ الفِرْيَةَ»، فذكرتْ منها: «**وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ على اللهِ الفِرْيَةَ...**»[١].

فالرَّسُولُ ﷺ قد بلّغَ جميعَ مَا أُنزِلَ إليهِ مِن رَبِّهِ ولَمْ يَكْتُمْ منهُ شَيئًا ولَمْ يَخُصَّ منهُ شَيئًا لبعضِ الصَّحَابَةِ دونَ بعضٍ، كما يَزْعُمُ الكذّابونَ، ولَـمْ يَنزلْ عليهِ شَيْءٌ غيرُ القُرآنِ الذي جمعهُ الصَّحَابَةُ بعدَهُ والموجودُ بَيْنَ أيدينا اليومَ، وسُنَّتُهُ التي دُوِّنتْ مِنْ بعدِهِ ﷺ.

ولَـمْ يَزلْ أهلُ الإيمـانِ مِمَّن وَفَّقهُمُ اللهُ تَعَالَى للمذهبِ الحقِّ يشهدونَ لهُ ﷺ بتبليغِ الرّسالةِ وأداءِ الأمانةِ إلى يومِنا هذا وإلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها. ولَا تَضُرُّهُمْ مَقالاتُ المُنحرفينَ والمبتدعينَ الذين دَأبوا وما زالوا يُرَدِّدونَ تلك المقالاتِ الفاسدةَ، وينشرون البِدَعَ المُنْكرةَ، زاعمينَ أنَّ الرَّسُولَ ﷺ إنَّمَا بلّغَ شَيئًا وكَتَمَ أشياءَ، بلّغَ القُرآنَ وكتمَ غيرَهُ مِنَ الكُتُبِ التي يَزْعُمُها أهلُ الرَّفْضِ، أو أنّهُ ﷺ بلّغَ ظاهرَ الشَّريعةِ وكتمَ باطنَها، أو بلّغَ الشَّريعةَ وكتمَ الحقيقةَ، أو غير ذلك مِمَّا يُردّدونهُ عَليهِم لَعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ.

روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا[٢] وفي لفظ «... وما يتقلب في السماء طائر» الحديث[٣]. هذا موقف أهل الإيمان والتوفيق من رسول الله ﷺ في تبليغه وبيانه؛ فأين هذا النور من ظلمات أهل البدع والأهواء؟ وفي قول أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الكناية عن كمال التبليغ والبيان لكل شيء فيما يتعلق بمعاشهم ومعادهم، فقد بلغ الشريعة والحقيقة، والظاهر

(١) **متفقٌ عليهِ**: انظر ما قَبلَهُ.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٥٣)...
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٦٢)...

والباطن، وكل ما أوحي إليه وأنزل عليه من ربه؛ جزاه الله تعالى عن أمته خيرًا وأفضل ما جزى به نبيًا عن قومه.

ولمّا كان نبيُّنا ﷺ هو آخرَ الأنبياءِ وخاتَمَهُمْ؛ أخذَ اللهُ تَعالَى العهدَ والميثاقَ على أهلِ العِلْمِ بالبيانِ والتّبليغِ، وحذَّرَهُمْ مِنَ الكِتمانِ في آياتٍ كثيرةٍ منها قولُهُ تَعالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ذلك لأنَّ العُلَماءَ هُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ، وحصولُ العِلْمِ إِنَّمَا يكونُ بالتّعلُّمِ والتّلقّي، ولَا حياةَ ولَا بقاءَ للعِلْمِ إلَّا بنشرهِ وبَثِّهِ بَيْنَ النَّاسِ؛ لِيتلقّاهُ ويَحملَهُ كُلُّ خَلَفٍ عَنْ سَلَفِهِ.

قال **الإمامُ البُخاريُّ** رَحِمَهُ اللهُ في **صحيحهِ**: (بَاب العِلْم قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْم، وَ«**أَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»، وَ«**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ**». وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»، وَ«**إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**». وقالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ على هذهِ - وَأَشَارَ إلى قَفَاهُ - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لأَنْفَذْتُها**»)(١).

فالعِلْمُ لَا يأتي إلَّا بسُلوكِ سبيلِهِ وطريقِهِ، وهو التّعلمُ والطّلبُ، لَا كما يَزْعُمُهُ المُنحرفون بأنّهُ يُوهَبُ ويُورَثُ كما تُورَثُ الأموالُ بِلَا سعيٍ ولَا تعبٍ. ولَوْ كان الأمرُ كما زعموا؛ فما فائدةُ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ الكثيرةِ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ التي جاءَتْ في التّحذيرِ الشّديدِ مِنْ كَتْمِ العِلْمِ وعُقوبةِ مَنْ يَكتمُ مِنهُ شَيئًا، وفي التّرغيبِ والحثِّ على السّعيِ في طلبهِ

(١) «صحيح البُخاريِّ»، كتاب العِلْم، بَاب العِلْم قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ (الفتح: ١/ ١٥٩ - ١٦٠).

وتحصيلِهِ، وثوابِ العُلَمَاءِ وفضلِهِمْ، وفي الأمرِ بنشرِهِ وتعليمِ النَّاسِ.

ولا ريبَ أنَّ أُصُولَ العِلْمِ الشَّرعِيِّ ومصادرَهُ هي: **القرآنُ الكريمُ، والسُّنَّةُ الصّحيحةُ، وإجماعُ الصَّحَابَةِ وآثارُهم**؛ يقولُ **الإمامُ الشّافعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ليس لأحَدٍ أنْ يقولَ في شَيْءٍ حلالٌ ولَا حرامٌ إلَّا مِنْ جهةِ العِلْمِ، وجِهةُ العِلْمِ مَا نُصَّ في الكتابِ أوْ في السُّنَّةِ أو في الإجماعِ، فإنْ لَمْ يُوجَدْ في ذلك؛ فالقياسُ على هذه الأُصُولِ ما كان في معناها**»(١). ويقولُ **الإمامُ الأوزاعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «العِلْمُ مَا جاءَ عَنْ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وما لَمْ يَجِئْ عَنْ واحدٍ منهم فليس بِعِلْمٍ»(٢).

هذا مَا فَهِمَهُ سَلَفُ هذه الأُمَّةِ المباركةِ مِنْ أُصُولِ العِلْمِ، فكرّسوا حياتَهُمْ، وبذلوا أعمارَهُمْ في طَلبِ العِلْمِ وتحصيلِهِ وتدْوينِهِ ثُمَّ الدّعوةِ بِهِ وتبليغِهِ، كما هي سيرةُ الرَّسُولِ ﷺ وصحابتِهِ الكرامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولَمْ يُؤْثَرْ عَنْ أحدٍ منهم مَا تفوّهَ بِهِ هؤلاءِ المبتدِعَةُ مِنْ تُرّهاتِ عُقولِهِمُ المريضةِ، وسفاسفِ أمورِهم، مِنْ تقسيمِ الدِّينِ إلى **ظاهرٍ وباطنٍ**، وتقسيمِ العُلومِ إلى **مُكتسبةٍ، ولَدُنِّيَّةٍ موهوبةٍ موروثةٍ**.

ولَمْ يَقْعُدْ أحَدٌ مِنَ السَّلَفِ الكرامِ ليتلقَّى الوَحْيَ والإلهامَ، أو لِيُشَقَّ عَنْ صَدْرِهِ ثُمَّ تُوضَعُ فيه العُلومُ وتُصَبُّ فيه المعارفُ بأنواعِها، وإنّما جَدُّوا واجتهدوا ورحلوا في طَلَبِ العِلْمِ وتحصيلِهِ مِنْ مِصْرٍ إلى مِصْرٍ، ومن عَالِمٍ إلى آخرَ؛ حتَّى وفقهُمُ اللهُ تَعَالَى للتّفقُّهِ في دِينِهِ وحملِ أمانةِ العِلْمِ، وجعلَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَرَثةِ النُّبُوّةِ بِمَا أخلصوا فيه النّيّاتِ ثُمَّ بِمَا بَذلُوه مِنَ الأسبابِ الشَّرعيَّةِ التي بِهَا يُطلَبُ العِلْمُ.

---

(١) «جامع بيان العِلْم وفضله» (١/ ٧٥٩ رقم: ١٤٠٣)، وقال المحقّقُ: «**إسنادُهُ صحيحٌ ورجالُهُ ثِقاتٌ**».

(٢) المصدر السابق (١/ ٧٦٩ رقم: ١٤٢١)، وقال المحقّقُ: «**إسنادُهُ حَسَنٌ**».

قال **مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**عليكم بالعِلْم فإنَّ طلبَهُ للهِ عِبادةٌ**»[(١)]. وقال **ابنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**تَذاكُرُ العِلْمِ بعضَ ليلةٍ أحبُّ إليَّ مِنْ إحيائِها**»[(٢)]. وقال **أبو هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**لأنْ أجلسَ ساعةً فأتفقّهُ في ديني أحبُّ إليَّ مِنْ إحياءِ ليلةٍ إلى الصّباحِ**»[(٣)]. وقال **الشّافعيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «**ليس شيءٌ بَعْدَ الفرائضِ أفضلَ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ**»[(٤)].

ولمّا نظرَ هؤلاءِ المبتدِعَةُ إلى إحكامِ المُسلِمينَ أُصُولَ دينِهِمْ بِمَا وفّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لحفظِ كتابهِ وجَمْعهِ، ثُمَّ لضبطِ السُّنَّةِ والآثارِ حسبَ القواعدِ الدقيقةِ في قَبولِ مَا صحَّ منها وردِّ ما لَمْ يَصحَّ؛ تحقيقًا لوعدِ اللهِ تَعَالَى بحفظِ دِينهِ وشَرعهِ مِنْ عَبثِ العابثينَ وكيدِ الماكرينَ، لمّا رأى هؤلاءِ المبتدِعَةُ ذلك؛ ابتدعوا تلك المقالةَ الخبيثةَ التي قسّموا بموجبِها دينَ اللهِ تَعَالَى وشَرعَهُ إلى ظاهرٍ وباطنٍ، كما تقدّمَ في المبحثِ السابقِ، ثُمَّ فرّعوا عليهِ تقسيمَ العُلومِ الشَّرعيَّةِ إلى عُلوم مُكتسبةٍ تُنالُ بالتَّعلُّمِ والتّلقّي وهو المشهورُ بَيْنَ عامَّةِ النَّاسِ، وعُلومٍ لَدُنّيَّةٍ تُورَثُ وتُوهَبُ للخاصَّةِ مِنَ النَّاسِ بزَعمِهِمْ. وبهذا فتحوا بَابًا للشَّرِّ يَبُثُّونَ منهُ سُمُومَهُمْ بَيْنَ المُسلِمينَ باسمِ العِلْمِ اللّدُنِّيِّ، فأضافوا إلى أُصُولِ العلمِ الشَّرعِيِّ عِنْدَهُمْ وعندَ مَنْ وافقَهُمْ أصلًا فاسدًا، يُرَوِّجونَ مِنْ خلالهِ ضلالاتِهِمْ ومنكراتِهِمْ. وقَدْ تعمّدوا الكَذِبَ على اللهِ تَعَالَى، وعلى رَسُولِهِ ﷺ، فاخترعوا حكاياتٍ باطلةً ونسبوها إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وإلى الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ليجعلوا لباطلِهِمْ أصلًا ودليلًا في دِينِ اللهِ تَعَالَى وشَرْعهِ.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٢).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٧).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣٧).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٨٣).

المطلبُ الأولُ

العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ عندَ الرَّافِضَةِ

أمَّا ما يتعلّقُ بالرَّافِضَةِ في هذا الشَّأنِ؛ فقَدْ زَعَموا تقسيمَ العُلومِ والمعارفِ الشَّرعيَّةِ، وتخصيصَ بعضِ أقسامهِ لآحادِ الصَّحابَةِ وخواصِّهِمْ دونَ غيرِهِمْ:

• يقولُ مُحَدِّثُهُمْ وإمامُهُمُ **الفيضيُّ الكاشانيُّ**: «العِلْمُ علمانِ: علمٌ يُقصدُ لذاتهِ، وهو نورٌ يظهرُ في القَلبِ فينشرحُ فيشاهدُ الغيبَ وينفسحُ فيتحمّلُ البلاءَ ويحفظُ السِّرَّ.. وعلمٌ يُقصدُ للعملِ... ومنهُ العِلْمُ بالأحكامِ الشَّرعيَّةِ، ورُبَّمَا يُسمّى المقصودُ بهِ العملِ: العِلْمُ الظاهرُ وعِلْمُ الشَّريعَةِ. والعِلْمُ المقصودُ لذاتهِ: بِعِلْمِ الباطنِ وعِلْمِ الحقيقةِ»(١).

ويقولُ أيضًا: «وإنّما يحصلُ هذا العِلْمُ مِنَ اللهِ ﷻ لمن تبتّلَ إليه تبتيلًا، واتّخذَ بالذّكرِ والفكرِ إليه سبيلًا.. فلا يحصلُ إلَّا بَعْدَ فراغِ القَلبِ وصفاءِ الباطنِ وتخليتهِ مِنَ الرّذائلِ». ثُمَّ ذكرَ أَدِلَّةً مِنَ **القُرآنِ** منها قولُهُ تَعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ومِنَ **السُّنَّةِ** بِمَا نسبَهُ بزعمهِ إلى النَّبيِّ ﷺ مثلَ روايةِ: «**ليس العِلْمُ بكثرةِ التعلّمِ، وإنّما هو نورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ في قَلبِ مَنْ يُريدُ أنْ يَهديَهُ**». وروايةِ: «**العِلْمُ نورٌ وضياءٌ يَقْذِفُهُ اللهُ في قُلوبِ أوليائهِ ويُنطَقُ بهِ على لِسانِهِمْ**». ثُمَّ نسبَ إلى **عَلِيٍّ** رضي الله عنه قولَهُ: «**ليسَ العِلْمُ في السّماءِ فينزلَ إليكم، ولَا في تُخومِ الأرضِ فيخرجَ لكم، ولكن العِلْمَ مجبولٌ في قُلوبِكم، تأدَّبوا بآدابِ الرّوحانيينَ يظهرْ لكم**»(٢).

• ويقولُ **الخُمَيْنِيُّ** عَنِ العِلْمِ اللّدُنِّيِّ: «وهذا العِلْمُ مختصٌّ بأصحابِ

---

(١) «قرة العيون في المعارف والحكم» (ص: ٤٣٤).

(٢) «قرة العيون في المعارف والحكم» (ص: ٤٣٨ ـ ٤٤٠). والحديثانِ وأثرُ عليٍّ ثلاثتها مكذوبةٌ لا أصلَ لها.

القُلوبِ مِنَ المشايخِ المستفيدينَ مِنْ مشكاةِ النُّبُوّةِ ومصباحِ الوِلايَةِ بالرّياضاتِ والمجاهداتِ... وليس لنا بهذه العيونِ العمياءِ والناطق الخرساءِ مشاهدةُ أنوارِ عُلومهِ وتجلّياتِ ذاتهِ وصفاتهِ وأسمائهِ والتّكلُّم فيها، فإنَّ مَنْ لَمْ يجعلِ اللهُ لهُ نورًا فما لهُ مِنْ نورٍ، ولَا يُدْرِكُ النورَ إلَّا النورُ، ولَا العَالِمَ إلَّا العَالِمُ». ويقولُ: «فإنْ خرجْنَا مِنْ هذه القريةِ المظلمةِ... وشملتْنَا العنايةُ الأزليّةُ بِدركِ الموتِ والفناءِ في ذاتهِ وصفاتهِ وأسمائهِ؛ فقَدْ وقعَ أجرُنا على اللهِ وشهدنا جمالَهُ وبهاءَهُ وسناءَهُ، ثُمَّ أحيانا بالحياةِ الثانيةِ، وأبقانا ببقائهِ ويحصلُ لنا العِلْمُ الشُّهوديُّ والكشفُ الحقيقيُّ بِأنَّ عِلْمَهُ بذاتهِ هو العِلْمُ بكمالاتِ ذاتهِ ولوازمِ أسمائهِ وصفاتهِ، لَا بِعِلْمٍ متأخرٍ أو علمٍ آخرَ»[(١)].

• وقَدْ روَى إمامُهُمْ ومُحَدِّثُهُمُ **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** مَا نسبَهُ إليه أنه قال: «إنَّ العِلْمَ هو الذي يَحْدُثُ يومًا بَعْدَ يوم وساعةً بَعْدَ ساعةٍ». وفي روايةٍ: «إنَّمَا العِلْمُ مَا يَحْدُثُ باللّيلِ والنّهارِ، يومًا بيوم وساعةً بساعةٍ»[(٢)]. ويُعلّقُ الرَّافِضِيُّ **عليّ أكبر الغفاريُّ** في هامشِ (الكافي ١/ ٢٢٥) على هذه الرّواياتِ شارحًا لها فيقولُ: «**إنَّ العِلْمَ ليس مَا يحصلُ بالسّماعِ وقراءةِ الكُتُبِ وحفظِها، فإنَّ ذلك تقليدٌ، وإنّما العِلْمُ مَا يَفيضُ مِنْ عندِ اللهِ ﷻ على قَلبِ المؤمنِ يومًا بيوم وساعةً فساعةً، فينكشفُ بهِ مِنَ الحقَائقِ مَا تَطمئِنُّ بهِ النّفسُ، وينشرحُ لهُ الصّدرُ، ويَتنوّرُ بهِ القَلبُ، ويَتحقّقُ بهِ العَالِمُ كأنهُ يَنظرُ إليه ويُشاهدُهُ**».

• ونسبوا إلى الرَّسُولِ ﷺ **حديثًا منكرًا** فيه: «**إنَّ مِنَ العِلْم كهيئةِ المكنونِ لَا يَعلمُهُ إلَّا أهلُ المعرفةِ بِاللهِ، فإذا نطقوا بهِ لَمْ يَجهلْهُ إلَّا أهلُ**

(١) «شرح دعاء السحر» (ص: ١٢٩).
(٢) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة باب أنَّ الأئِمَّةَ ورثوا علم النَّبِيِّ وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم (١/ ٢٢٥).

الاغترارِ باللهِ، ولَمْ يتحمّلْهُ إلّا أهلُ الاعترافِ باللهِ»[١]. يعْنُونَ بأهلِ المعرفةِ: أنفسَهُمْ ومَنْ وافقَهُمْ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ مِمَّن يَتحمّلُ الضّلالاتِ ويُؤمِنُ بِهَا ولَا يَتجاهَلُها فضلًا عَنْ إنكارِها والإنكارِ على مَنْ يقولُ بِهَا.

ولَقَدِ اتّفقَ الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ على نسبةِ هذا القولِ المنكرِ السّابقِ الذي لا يَثبُتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، والاحتجاجِ بهِ، واتّخذوهُ ذَريعةً ومُستندًا لأباطيلِهِمْ.

• فهذا **الْكُلَيْنِيُّ** يروي بِإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** فيما نَسَبَهُ إليه قولَه: «إنَّ العِلْمَ يُتوارثُ، فلا يموتُ عَالِمٌ إلَّا تركَ مَنْ يَعْلَمُ مثلَ عِلْمهِ أو مَا شَاءَ اللهُ». وفي روايةٍ: «إنَّ العِلْمَ الذي نزلَ مع آدمَ عليه السلام لَمْ يُرفَعْ، والعِلْمُ يُتوارَثُ، وكان عَلِيٌّ عَالِمُ هذه الأُمَّةِ، وأنّهُ لَمْ يَهْلِكْ مِنَّا عَالِمٌ قَطُّ إلَّا خَلَفَهُ مِنْ أهلِهِ مَنْ عَلِمَ مثلَ عِلْمِهِ أو مَا شَاءَ اللهُ»[٢].

فالعِلْمُ الحقيقيُّ والمعرفةُ السّاميةُ عِنْدَهُمْ ليس مَا يُكتَسبُ بالتَّعلُّمِ والطَّلبِ والتّلقّي، وإنّما هو مَا يَتوارثُهُ الخواصُّ مِنْ عبادِ اللهِ، بَعضُهُمْ مِنْ بَعضٍ بزَعمِهِمْ.

• ثُمَّ زعموا أنَّ هذا العِلْمَ يكونُ بالوحيِ والإلهامِ وغيرِهِ مِنْ أساليبِ الهِبَةِ والوراثةِ، وقَدْ عقدَ إمامُهُمْ ومُحَدِّثُهُمْ **مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الصَّفَّارُ ت٢٩٠هـ** ـ وكانَ مِنْ أصحابِ وخواصِّ **إمامِهِمُ الحادي عَشرَ الحَسَنِ العسكريِّ** ـ بَابًا في هذا المعنَى فقال: «باب مَا يُفعلُ بالإمامِ مِنَ النّكْتِ والقذفِ والنقرِ في قُلوبِهِمْ وآذانِهِم»، وضمّنهُ رواياتٍ كثيرةً تُفيدُ بأنَّ الإمامَ يُسئلُ عَنِ الشّيءِ، وليس عندَهُ عِلْمُهُ، فيُنكَتُ في قَلبِهِ، أو يُنقَرُ في أُذُنِه. ومِنْ

---

(١) **حديثٌ ضعيفٌ جدًّا أو موضوعٌ**. انظر: «الضعيفة» للألبانيّ (٢/ ٢٦٢ رقم: ٨٧٠) و(١١/ ١٩٦ رقم: ٥١١٦).

(٢) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب أنَّ الأئِمَّةَ ورثةُ العِلْم، يرثُ بعضُهم بعضًا العِلْمَ (١/ ٢٢٢).

ذلكَ ما **رواهُ** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرِ الصَّادِقِ** فقال: «سُئِلَ جَعْفَرٌ عَنِ الإمامِ إذا سُئِلَ، كَيف يُجيبُ؟ فقال: إلهامٌ أو سماعٌ أو رُبَّمَا كانا جَميعًا». وفي روايةٍ أنّهُ سُئِلَ: «مَا عِلْمُ عَالِمِكم: جملة يُقذَفُ في قَلبهِ ويُنكَتُ في أُذُنِهِ؟ قال: فقال: وَحْيٌ كوحيِ أُمِّ مُوسَى»[١].

• ثُمَّ كذبوا على **رَسُولِ اللهِ** ﷺ وزَعموا أنّهُ خصَّ عَلِيًّا رضي الله عنه بعُلومٍ كثيرةٍ، منها مَا شَافَهَهُ بِهَا ومنها مَا أملاهُ عليهِ أثناءَ حياتهِ أو بَعْدَ وفاتهِ، حتَّى صارَ لديهِ مِنْ تلكَ العُلومِ الكُتُبُ والمدوّناتُ الكثيرةُ. روى أئِمَّتُهُمُ المعتبرون عِنْدَهُمْ رواياتٍ كثيرةً تفيدُ هذه المعاني التي بَنَوْا عليها جملةً مِنَ الأباطيلِ والإفكِ، فمِنْ ذلكَ:

ـ ما رواه **مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الصَّفَّارُ** ت٢٩٠هـ، **والْكُلَيْنِيُّ** (ت٣٢٨هـ)، **والمُفيدُ** (ت٤١٣هـ) وغيرُهُمْ بأسانيدِهِمُ المتّصلَةِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ قولَهُ: «**عَلّمَ رَسُولُ اللهِ عَلِيًّا ألفَ بابٍ، ففُتِحَ لهُ مِنْ كُلِّ بابٍ ألفُ بابٍ**»[٢].

ـ وروى **الصَّفَّارُ والمُفيدُ** بإسنادَيْهما إلى البَاقِرِ قال: «قال عليٌّ: لقَدْ عَلّمني رَسُولُ اللهِ ألفَ بابٍ، كُلُّ بابٍ فتحَ ألفَ بابٍ»[٣].

ـ ثُمَّ استطربَ **الصَّفَّارُ والمُفيدُ** هذا اللَّحْنَ ونغمةَ الآلافِ التي تتكاثرُ وتتكاثرُ؛ فنسبا إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قولَهُ: «علّم رَسُولُ اللهِ عَلِيًّا حرفًا، يَفتَحُ ألفَ حرفٍ، كُلُّ حرفٍ منها يَفتَحُ ألفَ حرفٍ»[٤].

ـ **ورَوَيا** عنهُ قولَهُ: «**إنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَّمَ عَلِيًّا كلمةً، كُلُّ كلمةٍ تَفتَحُ ألفَ كلمةٍ**»[٥].

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آلِ مُحَمَّدٍ» (ص: ٣٣٦ ـ ٣٣٧).
(٢) «بصائر الدرجات» (ص: ٣٢٢)، و«أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب فيه ذِكْرُ الصحيفة والجفر والجامعة ومُصْحَفِ فَاطِمَةَ (١/ ٢٣٩)، و«الاختصاص» (ص: ٢٨٢).
(٣) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٢٣)، و«الاختصاص» (ص: ٢٨٣).
(٤) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٢٨)، و«الاختصاص» (ص: ٢٨٤).
(٥) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٣٠)، و«الاختصاص» (ص: ٢٨٥).

- وروى **المُفيدُ** عَنْ **عَلِيٍّ** أنّهُ قال: «أَسَرَّ إلـيَّ رَسُولُ اللهِ ألفَ حديثٍ، في كُلِّ حديثٍ ألفُ بابٍ، لِكُلِّ بابٍ ألفُ مِفتاحٍ»(١).

- وروى **الْكُلَيْنِيُّ** عَنْ **جَعْفَرٍ** قولَهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ حَدّثَ عَلِيًّا بألفِ بابٍ يومَ تُوفّيَ، كُلُّ بابٍ يَفتحُ ألفَ بابٍ، فذلك ألفُ ألفِ بابٍ»(٢).

إنَّ التَّلفيقَ والكَذِبَ واضحٌ في أساليبِ هذه الرّواياتِ، ولكنّ الرَّافِضَةَ تَلَقَّوْهَا بالقَبولِ والإذعانِ، وتَبِعَهُمُ المُتَصَوِّفَةُ على هذا التَّسليمِ؛ لأنّهُ ليس لَهمْ مِنْ سبيلٍ لترويجِ أباطيلِهِمْ إلَّا هذه الأكاذيب والموضوعات.

• بل قَدْ روى **الْكُلَيْنِيُّ** حتَّى المُحَالاتِ ونسبَها إلى **آلِ البَيْتِ**، وقَدْ صَدّقهُ أهلُ الرَّفْضِ كما هي عادتُهُمْ؛ فمن ذلك ما رواه بإسنادهِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أنّهُ قال: لما حضرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الموتُ، دخل عليهِ عَلِيٌّ، فأدخلَ رأسَهُ، ثُمَّ قال: «**يا عَلِيُّ! إذا أنا مِتُّ فغسِّلْني، وكَفِّنّي، ثُمَّ أَقْعِدْني وسَلْنِي واكتُبْ**»(٣).

إنَّ المُطّلعَ على القومِ وسيرتِهِمْ - بلْ حتّى العاقلَ المُتجرّدَ - لَا يستغربُ اختلاقَهُمْ هذه المرويّاتِ؛ فإنّهم قومٌ أَتْقَنوا فُنونَ المكرِ والكيدِ لهدمِ الإسلامِ وتفريقِ المُسلِمينَ، بعدمَا فرّقتِ السيوفُ الإسلاميَّةُ جمعَهُمْ بالحقِّ، وهدمَتْ أوثَانَهُمْ، وشَتَّتَتْ سُلطانَهُمْ، وبدَّدَتْ آمالَهُمْ، فاجتمعوا وأجمعوا أنّهُ لَا حيلةَ لَهمْ ولَا وسيلةَ تنفعُهُمْ في إعادةِ مَجدِهِمْ ومُلْكِهِمْ إلَّا الكيدَ للإسلامِ وأهلهِ باسمِ الإسلامِ، فانتسبوا لهذا الدِّينِ كَذِبًا، وراحوا يَكيدون لـهُ بِمَـا أُوتـوا مِنْ دَهاءٍ وحِيَلٍ، وبمـا شارَكهم إبليسُ - لَعَنَهُ اللهُ ولعنَهُمْ - في التخطيطِ لهدمِ هذا الدِّينِ وإضعافِ أهلهِ بإفسادِ عَقائِدهم وشرائِعهم وتفريقِ جَمعِهِمْ.

---

(١) «الاختصاص» (ص: ٢٨٤).
(٢) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب الإشارة والنص علَى أميرِ المؤمِنينَ (١/ ٢٩٧).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٩٧).

ولكنَّ الأمرَ الذي يدعو إلى الاستغرابِ والدّهشةِ هو تلكَ العقولُ التي قَبلَتْ وآمنتْ بِكُلِّ مَا يُمْلَى عليها مِنْ هذهِ الأباطيلِ والمخاريقِ التي تَأْبَاها وترفضُها حتَّى عقولُ الذين لمْ يَبلغوا الرُّشْدَ؛ فعن ماذا يَسألُ عَلِيٌّ؟ وماذا يَكتبُ؟ وهلَّا كان ذلك قَبْلَ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ؟ وما هي تلك الأبوابُ والمفاتيحُ ـ ذات الآلافِ المضاعفةِ ـ التي أَتعبوا بِهَا حتَّى عَلِيًّا رضي الله عنه بِحمْلِها، فقَدْ حمّلوهُ مَا لَا يُطيقُ. إنَّهُمْ يستدرجونَ شِيعَتَهُمْ ومَنْ وافقَهُمْ شَيئًا فشيئًا حتَّى أصبحوا يقبلون المحالاتِ ويُؤمنون بالخُرافاتِ ويُصدِّقون مَا يُخالفُ الفِطَرَ والعُقولَ، وذلك لأنّهم ـ في واقعِ الأمرِ وحقيقةِ الحالِ ـ لَا يُعمِلونَ عُقولَهُمْ فيما يُرْوَى لَهمْ عَنْ أئِمَّتِهِمْ؛ لأنّهم جعلوهم في منزلةٍ أَسْمَى مِنْ منازلِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، وفي مَقامِ مَنْ لَا يَصدرُ عنهم سهوٌ أو خطأٌ في شَيْءٍ مِنَ الأُمُورِ.

• ومن هذه المحالاتِ أيضًا ما رواه **الْكُلَيْنِيُّ** بأسانيدهِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، في روايةٍ طويلةٍ تَمَلُّها حتَّى الأسماع وتمجُّها الفِطَرُ والعقولُ السّليمةُ، يقولُ فيها: «**إنَّ عِنْدَنَا الجَامِعَةَ**» ثُمَّ وَصَفَها فقالَ: «صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِمْلَائِهِ... فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ». ثُمَّ قالَ: «**وَإِنَّ عِنْدَنَا الجَفْرَ** ». ثُمَّ وَصَفَهُ فقالَ: «وِعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ فِيهِ عِلْمُ النَّبِيِّينَ وَالْوَصِيِّينَ وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الذين مَضَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». ثُمَّ قالَ: «**وَإِنَّ عِنْدَنَا لَمُصْحَفَ فَاطِمَةَ**». ثُمَّ وَصَفَهُ فقالَ: «مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هذا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاللهِ! مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ». ثُمَّ وَصَفَهُ فقالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، ولَكِنْ فِيهِ عِلْمُ مَا يَكُونُ». ثُمَّ قَالَ: «**وَإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ، وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١).

---

(١) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب في ذِكْرِ الصحيفة والجفر والجامعة ومُصْحَفِ فَاطِمَةَ (١/٢٣٨ ـ ٢٤٠).

• وعقدَ **الحُرُّ العَامِلِيُّ الرَّافِضِيُّ (ت١١٠٤هـ)** في كتابهِ «الفصول المهمة في أُصُول الأَئِمَّةِ» بابًا بعنوان «باب عدم جواز أخذ شَيْءٍ مِنْ علوم الدِّينِ عَنْ غير النَّبِيِّ والأئِمَّةِ ولَوْ بواسطةٍ أو وسائطَ يوثقُ بهم، ووجوب الرجوع إليهم في جميع الأحكام».

• ونسبَ **الفيضُ الكاشانيُّ** إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قولَهُ: «أمَا إنّهُ شَرٌّ عليكم أنْ تقولوا بشيءٍ مَا لَمْ تسمعوهُ منّا». وقال: «كُلُّ عِلْمٍ لَا يَخرجُ مِنْ هذا البيتِ فهو باطلٌ» أشارَ بيدهِ إلى بيتهِ[1].

هذا قليلٌ مِنْ كثيرٍ مِمَّا اخترعَهُ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ والضَّلالِ في هذا البابِ، وشحنوا بهِ الكُتُبَ والمصنّفاتِ الكثيرةَ حتَّى نجحوا في إيجادِ جيلٍ مِنَ الشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ يؤمنون جميعًا بِأنَّ هناك عُلومًا ومعارفَ إسلاميَّةً لَا يَعرفُها إلَّا الأَئِمَّةُ المَعصُومون، وأنّها تنتقلُ مِنْ إمامٍ لآخرَ بالوراثةِ عَنْ طريقِ الوَحْيِ الذي لَمْ ولنْ ينقطعَ، ويؤمنون بِأنَّ عِنْدَهُمْ مِنَ العُلوم والكُتُبِ المدوّنةِ مَا لَا يحتاجون معها إلى العُلومِ المكتسبةِ أو حتَّى إلى القُرآنِ والسُّنَّةِ، فعندَهُمْ مِمَّا أملاهُ الرَّسُولُ وكَتَبَهُ عَلِيٌّ أضعافُ مَا في القُرآنِ، وعندَهم جميعُ الكُتُبِ السّماويَّةِ، ويعلمون كُلَّ مَا قَدْ كانَ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القِيَامَةِ، وأنَّ هذا العِلْمَ يُوحَى إليهم بهِ، ويُلْهَمونَ بهِ ساعةً فساعةً دونَ الرجوعِ إلى الكتابِ والسُّنَّةِ.

وقَدْ عَلِمَ المُسلِمونَ سُخفَ هذه الآراءِ، وضلالَ هذه المعتقداتِ، وكَذِبَ تلك المرويّاتِ الباطنيَّةِ الخبيثةِ الشِّيعِيَّةِ منها والصُّوفيَّةِ. فقَدْ روَى **عَامِرُ بنُ وَاثِلَةَ** رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقَالَ: مَا كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: فَغَضِبَ، وقَالَ: **مَا كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ**، غَيْرَ أنّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ. فقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ**

(١) «الحقائق في محاسن الأخلاق» (ص: ١٧).

لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»[(١)]. وفي روايةٍ: «أَخصَّكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بشيءٍ؟ فقال: **مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللهِ بِشَيْءٍ...**»[(٢)].

وروى **أبو جُحَيْفَةَ** رضي الله عنه قالَ: «**قُلْتُ لِعَلِيٍّ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قالَ: لَا، إِلَّا كِتَابُ اللهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ..**»[(٣)]. وفي روايةٍ أخرى: «سألتُ عَلِيًّا رضي الله عنه: هَلْ عندكم شَيْءٌ مِمَّا ليس في القُرآنِ؟ وفي روايةٍ: أو مِمَّا ليس عِنْدَ النَّاسِ؟ فقال: **وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ! مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا في القُرْآنِ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ في كِتَابِهِ، وَمَا في الصَّحِيفَةِ**. قُلْتُ: وَمَا في الصَّحِيفَةِ؟ قالَ: العَقْلُ، وَفِكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»[(٤)].

وقَدْ ذكرَ **شَيْخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ** رحمه الله حديثَ البُخاريِّ المشارَ إليه آنفًا، وقرَّرَ أنّهُ يُكذِّبُ قولَ الرَّافِضَةِ، ونَصَّ على أنَّ الكُتُبَ المنسوبةَ إلى عَلِيٍّ أو غيرِهِ مِنْ أهلِ البيْتِ في الإخبارِ بالمستقبلاتِ كلُّها كَذِبٌ مثلَ كتابِ الجَفْرِ والبطاقةِ، وغيرِ ذلك، وكذلك مَا يُضافُ إليه مِنْ أنّهُ كان عندَهُ عِلْمٌ عَنِ النَّبيِّ ﷺ خصَّهُ بِهِ دونَ غيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ...، وكذلك مَا يُنْقَلُ عَنْ غيرِ عَلِيٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ خَصَّهُ بشيءٍ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ الباطنِ، كُلُّ ذلك باطل»[(٥)].

لَا شَكَّ أنَّ **النُّصوصَ الصحيحةَ** تُؤكِّدُ بُطلانَ دَعاوَى **الرَّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ** فيما زعموه مِنَ العُلومِ الخاصّةِ والمعارفِ الموروثةِ، وأنَّ فيها

---

(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الأضاحي، بَابُ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ (٣/ ١٥٦٧ رقم: ١٩٧٨/ ٤٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٥٦٧ رقم: ١٩٧٨/ ٤٥).

(٣) «صحيح البُخاريِّ»، كتاب العِلْم، باب كتابة العِلْم، (الفتح: ١/ ٢٠٤ رقم: ١١١).

(٤) «صحيح البُخاريِّ»، كتاب الديات، بَابُ لَا يُقْتَلُ المُسْلِمُ بِالكَافِرِ (الفتح: ١٢/ ٢٦٠ رقم: ٦٩١٥).

(٥) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٨/ ١٣٦).

الكفايةَ والهدايةَ لمن كان لهُ قَلبٌ أو ألقَى السَّمعَ وهو شهيدٌ. ولكنّ أَئِمَّةَ الضَّلالِ قَدِ انتبهوا لمثلِ هذه النُّصوصِ؛ فوضعوا لأتبَاعِهِم مَا يَكفُلُ عَدَمَ تأثُّرِهِمْ بِهَا، فاخترعوا (**مَبْدَأَ التَّقِيَّةِ وكَتْمَ الأسرارِ**)، فقالوا: إنَّ هذه النُّصوصَ قالها الإمامُ أَوِ الأَئِمَّةُ مِنْ بابِ التَّقِيَّةِ، وعدم كشفِ أسرارِ اللهِ تَعَالَى للعَامَّةِ. ولَا أدري مَا سببُ التَّقِيَّةِ وقَدْ صدرتْ هذه النُّصوصُ عَنْ **عَلِيٍّ** رضي الله عنه وهو حينَ ذاكَ أميرُ المؤمِنينَ ولَا يخشَى أحدًا. وقَدْ يقولُ بعضُهُمْ: إنَّ هذه نُصُوصٌ وضعَها العَامّةُ لإبطالِ مذهبِ الشِّيعةِ والصُّوفيَّةِ. وهذا القولُ بطلانُهُ يُغني عَنِ الرَّدِّ عليه.

وقَدْ وردتْ رواياتٌ كثيرةٌ تنتقضُ بِهَا دعاوى الرَّافِضَةِ إنْ كانوا يعقلون، منها:

- ما رواه **ابنُ سَعدٍ** رحمه الله في «طبقاتهِ» عَنْ (عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ زَيْنِ العَابِدِينَ)، أنّهُ قال عَنْ سعيدِ بنِ جُبيرٍ - رَحِمَهُما اللهُ تعالَى -: «ذلك رجلٌ كان يَمُرُّ بنا، فنسألُهُ عَنِ الفرائضِ وأشياءَ مِمَّا ينفعُنا اللهُ بِهَا، إنّهُ ليسَ عِندَنا مَا يَرْمِينا بِهِ هؤلاءِ». وأشارَ بيدهِ إلى العراقِ[1].

- وروى **ابنُ سَعدٍ** رحمه الله أيضًا عَنْ (مُحَمَّدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ) مُحَذِّرًا الشِّيعَةَ مِمَّا كان يُرَوِّجُهُ مُبتدِعَةُ الرَّفضِ لمَّا بَلَغَهُ أنّهم يقولون: إنَّ عِنْدَهُمْ شَيئًا مِنَ العِلْمِ مِمَّا خُصُّوا بِهِ فقامَ فيهم وقالَ: «إنّا واللهِ! مَا وَرِثْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلّا مَا بَيْنَ هذَيْنِ اللَّوْحَيْنِ»[2].

نَجِدُ في هاتينِ الرّوايتينِ رَدًّا مُقْنعًا وحُجَّةً دَامغةً في بيانِ بُطلانِ دَعاواهُمْ قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وبراءةَ أَئِمَّةِ وأعلامِ أهلِ البَيْتِ مِنْ هذه المذاهبِ الفاسدةِ والأفكارِ الضّالّةِ.

(١) «الطّبقات الكبرَى» لابنِ سَعدٍ (٥/ ٢١٦).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٠٥).

ولعلَّ هؤلاءِ المُنحرفينَ لَا يَقبلون مَا رواهُ **ابنُ سَعدٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ بِحُجّةِ أنَّها مِنْ مَرويّاتِ العَامّةِ وأهلِ الظاهرِ والشَّريعَةِ، فنوردُ عَليهِم ما جاءَ في **مصادرِهِمُ** المعتبَرةِ عَنْ أئِمَّتِهِمُ المُحْتَجِّ بِهم وبعُلومِهِمْ، **فمِنْ ذلك**:

• ما جاءَ في «**نهجِ البلاغةِ**» عَنْ **عَلِيٍّ** أنّهُ قال لعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا أَعرفُ شَيئًا تَجهلُهُ، ولَا أَدُلُّكَ على أَمْرٍ لَا تَعرفُهُ، إنك لَتَعْلَمُ مَا نعلمُ، مَا سبقناكَ إلى شَيْءٍ فنخبِرُكَ عنهُ، ولَا خلَوْنا بشيءٍ فنُبَلِّغُكَهُ، وقَدْ رأيتَ كما رأينا وسمِعتَ كما سَمِعْنَا، وصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ كما صَحِبْنا»[(١)].

في هذه الرّوايةِ دَليلٌ قويٌّ على براءةِ عَلِيٍّ مِمَّا نسبهُ إليه المُنحرفون، ولَا يمكنُهم رَدُّ الرّوايةِ أَوِ الطّعنُ فيها؛ لأنّهم يعتبرون مَا جاءَ في «نهجِ البلاغةِ» مِنْ أَهمِّ مَصادرِهِمْ في اعتقاداتِهمْ وتشريعاتِهمْ بَعْدَ كِتابِ اللهِ تَعَالَى.

• وذكرَ **الحُرُّ العَامِلِيُّ** ـ وهو مِنْ أئِمَّتِهِمُ الموثوقِينَ عندَهم ـ عَنْ **عَلِيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روايةً يقولُ فيها: بعثني رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ، فقال: «**يا عَلِيُّ! مَا خابَ مَنِ استخارَ، ولَا ندمَ مَنِ استشارَ**»[(٢)(٣)].

نَجِدُ في هذه الرّوايةِ **الصّحيحةِ عندَهم** أنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُوصي عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشُّورَى ويُحذِّرُهُ منَ النّدمِ إن لم يفعلْ، فيا تُرَى: مَن ذا الذي يَستشيرُه عَلِيٌّ؟ ولماذا؟ إنْ كان كما زَعَموا **لَا تَخفَى عليهِ خافيةٌ مِنْ عِلْمٍ أو خَبَرٍ مِمَّا كان ومَا هو كائنٌ إلى يومِ القِيَامَةِ**.

إنَّ في هذا لَذِكْرَى لمنْ شرحَ اللهُ صَدْرَهُ للحقِّ، وإلَّا ففي **مُصَنّفَاتِهمُ** الكثيرُ مِنَ التّناقُضاتِ وما يَنقُضُ بعضُهُ بعضًا ويَردُّهُ ويُبيِّنُ بُطلانَهُ.

---

(١) «نهج البلاغة» (ص: ٢٣٤). (٢) «وسائل الشِّيْعَةِ» (٣/ ٢١٦).

(٣) **حديثٌ مَوضوعٌ**: انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للإمامِ الألبانيِّ (٢/ ٧٨ رقم: ٦١١).

المطلبُ الثاني

العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ عندَ الصُّوفيَّةِ

أمَّا ما يتعلّقُ بالصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأنِ؛ فقَدْ وَجدوا بُغيتَهُمْ عندَ الشّيعةِ، فاستعانوا بهم وأخذوا برواياتِهِمْ وما زَعَموها أَدِلَّةً شرعيّةً ونصوصًا دينيةً في هذا البابِ، فمن ذلك:

▪ يقولُ **أبو يَزِيدَ البِسْطَامِيُّ**: «ليس العَالِمُ الذي يَحفظُ مِنْ كِتابِ اللهِ فإذا نَسِيَ صارَ جاهلًا، **وإنّما العَالِمُ الذي يَأخذُ العِلْمَ مِنْ رَبِّهِ في أَيِّ وَقْتٍ شاءَ بِلَا تَحفُّظٍ ولَا دَرْسٍ**»(١).

مَا أقربَ هذا القولَ وأشبَهَهُ بِمَا نَسَبَهُ **الْكُلَيْنِيُّ الرَّافِضِيُّ** إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، والذي تقدّمَ فيما مضَى(٢).

▪ ويقولُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ**: «فَلَمّا عَمِلوا بِمَا عَلِموا ورَّثَهُمُ اللهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ، وهو عِلْمُ الإشارةِ، وعلمُ مواريثِ الأعمالِ التي يَكشفُ اللهُ تَعَالَى لقُلوبِ أصفيائهِ مِنَ المعاني المذخورةِ واللّطائفِ والأسرارِ المخزونةِ وغرائبِ العُلومِ وطرائفِ الحِكَمِ في معاني القُرآنِ ومعاني أخبارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٣).

▪ ويُبيِّنُ **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** عُلُومَ الصُّوفيَّةِ ويَصِفُها بأنها: «عُلُومُ الخواطرِ، وعُلومُ المُشاهداتِ والمُكاشفاتِ، وهي التي تختصُّ بِعِلْمِ الإشارةِ، وهو الذي تَفرّدتْ بهِ الصُّوفيَّةُ». ثُمَّ يُبيِّنُ كَيفيَّةَ نَيْلِها فيقولُ: «تُعْلَمُ بالمُنازلاتِ والمواجيدِ، ولَا يَعرِفُها إلَّا مَنْ نازلَ تلكَ الأحوالَ، وحَلَّ تلكَ المقاماتِ». ثُمَّ استدلَّ بِمَا سَبقَهُ بهِ الرَّافِضَةُ بالرّوايةِ التي نسبوها إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُ قال: «**إنَّ مِنَ العِلْمِ كهيئةِ المكنونِ، لَا يَعْلَمُهُ إلَّا أهلُ**

---

(١) «شفاء السائل لتهذيب المسائل» (ص: ٢٦).

(٢) تقدم في (ص: ٣٢٧).

(٣) «اللُّمَع» (ص: ١٤٧).

المعرفةِ بِاللهِ، فإذا نطقوا بهِ لَمْ يُنكِرْهُ إلَّا أهلُ الغِرَّةِ بِاللهِ»[(١)][(٢)]. يَقصدون بأهلِ المعرفةِ أنفسَهُمْ ومَنْ شاكلَهُمْ في بِدَعِهِمْ وضَلالِهِمْ؛ لأنّهم فرَّقوا بَيْنَ العِلْمِ والمعرفةِ، وبَيْنَ العالمِ والعارفِ حسبَ تقسيماتِهِمُ المُبتدَعَةِ.

• ويقولُ **أبو طَالِبٍ المَكِّيُّ**: «وأمَّا عُلَماءُ الآخرةِ، وأهلُ المعرفةِ واليقينِ... هُمْ أهلُ الذِّكرِ للهِ تَعَالَى، وأهلُ التوحيدِ والعقلِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، **لَمْ يكونوا يَتلقَّونَ هذا العِلْمَ دراسةً مِنَ الكُتُبِ ولَا يَتلقَّاهُ بعضُهُمْ مِنْ بَعضٍ بالألْسِنَةِ**، وإنّما كانوا أهلَ عَمَلٍ وحُسْنِ مُعاملاتٍ... وكانوا عِندَهُ في الْخَلْوَةِ بَيْنَ يَديْهِ لَا يذكرون سُواهُ ولَا يشتغلون بغيرِه، فإذا ظهروا للنَّاسِ، فسألوهُم؛ أَلْهَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى رُشْدَهُمْ، ووَفَّقَهُمْ لسديدِ قَولِهِمْ، وآتاهُمُ الحِكْمَةَ مِيراثًا لأعمالِهِمُ الباطنةِ... فآثَرَهُمْ بِحُسْنِ توفيقِهِ أنْ أَلْهَمَهُمْ حقيقةَ العِلْمِ وأطلَعَهُمْ على مَكنونِ السِّرِّ.. فتكلَّموا بِعِلْمِ القُدْرةِ، وأظهروا وَصْفَ الحِكْمَةِ، ونطقوا بعُلومِ الإيمانِ، وكشفوا بَواطنَ القُرآنِ، وهذا هو العِلْمُ النّافعُ». ثُمَّ يقولُ: «وهذه نعوتُ عِلْمِ الباطنِ وعِلْمِ القُلوبِ، لَا عِلْمَ الألْسِنَةِ»[(٣)].

هكذا زَيّنَتْ لَهمْ شَياطينُهُمْ هذا الهُراءَ والسُّخْفَ، حتَّى جَعلَتْهُمْ يَسخرون مِنَ العُلومِ الشَّرعيَّةِ، ويُلقِّبُونها بألقابٍ وأوصافٍ شنيعةٍ بُغْيَةَ تنفيرِ النَّاسِ عنها. في حين أنّهم يعظّمون وساوسَ الشّياطينِ وخيالاتِ النُّفوسِ المريضةِ، زاعمينَ أنَّها مِنْ عُلُومِ الوراثةِ التي تُقذَفُ في القُلوبِ، ويُلْهَمُونَ بِهَا مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى، وما أشبهَ قولَ أبي طَالِبٍ المَكِّيِّ ـ عَنْ عُلَماءِ السُّوءِ والضّلالةِ أنّهم يُلْهَمُونَ إجاباتِ الأسئلةِ التي تُوَجَّهُ إليهم في حِينها دونَ عِلْمٍ سابقٍ بِهَا ـ بِمَا تقدّم مِنْ قولِ الرَّافِضَةِ: إنّ أئِمَّتَهُمْ يُسألونَ عَنْ أشياءَ وليس

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١٠٥).
(٢) **حديثٌ ضعيفٌ**؛ تقدّم تخريجُهُ في (ص: ٣٢٧).
(٣) «قوت القُلوب» (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

عِنْدَهُمْ علمُها؛ فيُنكَتُ في قُلوبِهِمْ، ويُلْهَمُونَ إجاباتِ تلك الأسئلةِ(١).

▪ ويَصِفُ **القُشَيْريُّ** المعرفةَ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ فيقولُ: «المعرفةُ صِفَةُ مَنْ عَرَفَ الحقَّ سُبْحانَهُ بأسمائهِ وصفاتِه، ثُمَّ صَدَقَ اللهَ في معاملاتِهِ... ثُمَّ طالَ بالبابِ وُقُوفُهُ، ودامَ بالقَلبِ اعتكافُهُ، فحظي مِنَ اللهِ تَعَالَى بجميلِ إقبالِه... فإذا صارَ مِنَ الخلقِ أجنبيًّا ومِنْ آفاتِ نفسهِ بَرِيًّا... ودامَ في السِّرِّ مع اللهِ مناجاتُهُ، وحُقَّ في كُلِّ لحظةٍ إليه رُجوعُهُ، وصارَ مُحَدَّثًا مِنْ قِبَلِ الحقِّ سُبْحانَهُ، يَتعرّفُ أسرارَهُ فيما يُجريهِ مِنْ تصاريفِ أقدارِه؛ يُسَمَّى عِنْدَ ذلك عارفًا.. وبالجملةِ فبمقدارِ أَجنبيّتِهِ عَنْ نفسهِ تحصُلُ معرفتُهُ بربِّهِ»(٢).

▪ ويقولُ **الغَزاليُّ**: «فاعْلَمْ أنَّ مَيْلَ الصُّوفيَّةِ إلى العُلومِ الإلهامِيَّةِ دونَ التّعليميَّةِ، فلذلك لَمْ يَحرصوا على دراسةِ العِلْمِ وتحصيلِ مَا صَنَّفَهُ المُصَنِّفونَ والبحثِ عَنِ الأقاويلِ والأدِلَّةِ.. بلْ قالوا: الطريقُ تقديمُ المجاهداتِ ومحوُ الصِّفَاتِ المذمومةِ... [فيكون] اللهُ هو المتولِّي لقَلبِ عبدِهِ والمُتكفِّلُ لهُ بتَنويرِهِ بأنوارِ العِلْمِ، وإذا تولَّى اللهُ أمرَ القَلبِ فاضتْ عليهِ الرّحمةُ وأشرقَ النُّورُ في القَلبِ وانشرحَ الصَّدرُ وانكشفتْ لهُ سِرُّ الملكوتِ.. فليس على العبدِ إلَّا الاستعدادُ بالتَّصْفِيَةِ المُجرّدةِ وإحضارُ الهِمّةِ.. فالأنبياءُ والأولياءُ انكشفَ لَهُمُ الأمرُ وفاضَ على صُدورِهِمُ النُّورُ لَا بالتَّعلُّمِ والدّراسةِ والكتابةِ للكُتُبِ بلْ بالزُّهْدِ في الدُّنيا والتّبرّي مِنْ علائِقِها وتفريغِ القَلبِ مِنْ شواغِلِها».

ثُمَّ يُبَيِّنُ طريقَ الوصولِ إلى **الكَشْفِ** فيقولُ: «بانقطاعِ علائقِ الدُّنيا بالكُلّيَّةِ، وتفريغِ الهِمّةِ عَنِ الأهلِ والمالِ والولَدِ والوطنِ، وعَنِ العِلْمِ والوِلايَةِ والجَاهِ، بلْ يَصيرُ قَلبُهُ إلى حالةٍ يستوي فيها وُجودُ كُلِّ شَيْءٍ وعَدمُهُ، ثُمَّ يخلوا بنفسِهِ في زاويةٍ، مع الاقتصارِ على الفرائضِ والرّواتبِ،

(١) انظر ذلك هنا في: (ص: ٣٢٨).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

ويجلسُ فارغَ القَلبِ مَجموعَ الهَمِّ، ولَا يُفَرِّقُ فِكْرَهُ بقراءةِ قرآنٍ ولَا بالتّأمُّلِ في تفسيرٍ، ولَا بِكُتُبِ حديثٍ ولَا غيرِهِ، بلْ يَجتهدُ أنْ لَا يخطرَ ببالهِ شَيْءٌ سِوَى اللهِ تَعَالَى، فلا يزالُ بَعْدَ جُلوسهِ في الْخَلْوَةِ قائلًا بلسانهِ: (اللهُ اللهُ) على الدّوام، مع حُضورِ القَلبِ، حتَّى يَنتهيَ إلى حالةٍ يتركُ تحريكَ اللّسانِ، ويرى كأنَّ الكلمةَ جاريةٌ على لِسانهِ»(١).

ويقولُ أيضًا: «**اعْلَمْ أنَّ العِلْمَ الإنسانيَّ يحصلُ مِنْ طريقينِ، أحدهُما: التَّعَلُّمُ الإنسانيُّ وهو مَعهودٌ ومحسوسٌ يُقِرُّ بِهِ جميعُ العقلاءِ. والثاني: التَّعَلُّمُ الرّبّانيُّ ويكونُ بالوَحْيِ، فبعدَ رِياضاتٍ ومُجاهداتٍ يُقْبِلُ اللهُ على نفسِ ذلك الإنسانِ، ويتّخذُ منها لَوْحًا يَنقُشُ فيها جميعَ عُلومهِ**.. مِنْ غيرِ تَعَلُّمٍ وتفكّرٍ بدليلِ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، ويكونُ بالإلهامِ وهو العِلْمُ اللّدُنِّيُّ الذي يَحصُلُ بِلَا واسطةٍ بدليلِ قولهِ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]، فالوحيُ حِلْيَةُ الأنبياءِ، والإلهامُ زِينةُ الأولياءِ... وقالَ أميرُ المؤمِنينَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ: (**أدخلتُ لساني في فَمِي فانفتحَ في قَلبي ألفُ بابٍ مِنَ العِلْمِ، مع كُلِّ بابٍ ألفُ بابٍ**)، وقال: (لَوْ وُضِعَتْ لي وِسَادةٌ وجلستُ عليها؛ لحَكَمْتُ لأهلِ التّوراةِ بتوْرَاتِهِمْ، ولأهلِ الإنجيلِ بإنجيلِهِمْ، ولأهلِ القُرآنِ بقُرآنِهِمْ)... وهذه مرتبةٌ لَا تُنالُ بِمُجرّدِ التّعلُّمِ الإنسانيِّ، بلْ يتحلَّى المرءُ بهذه المرتبةِ بقُوّةِ العِلْمِ اللّدُنِّيِّ... لأنَّ الواصلينَ إلى مرتبةِ العِلْمِ اللّدُنِّيِّ مُستغنونَ عَنْ كَثْرةِ التّحصيلِ وتَعَبِ التّعليمِ».

ثُمَّ يُبيِّنُ أسبابَ حُصولِ هذا العِلْمِ فذكرَ أسبَابًا منها: الرّياضةُ الصادقةُ، والمراقبةُ الصّحيحةُ، واحتجَّ بحديثيْنِ يدورانِ بينِ الضَّعفِ والوَضعِ نسبَهُما إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ:

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (٣/ ١٦ ـ ١٧).

الحديثُ الأوّلُ: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**»(١). والثّاني: «**مَنْ أخلصَ للهِ أربعينَ صباحًا أظهرَ اللهُ يَنابيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قَلبِهِ على لسانِهِ**»(٢). وغيرِ ذلك مِمَّا وافقَ فيه **الشِّيعَةَ** في استدلالِهم بالأحاديثِ الضّعيفةِ السّاقطةِ التي ينسبونَها كَذِبًا وزُورًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وإلى عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ وآلِ بيتهِ رضي الله عنهم(٣).

ومع هذا كُلِّهِ لَـمْ يَكْتَفِ الصُّوفيَّةُ بعدمِ الحرصِ على دراسةِ العِلْمِ وتحصيلِهِ مِنَ المُصنَّفَاتِ العلميَّةِ، بلْ حاربوها، وحاربوا العُلَمـاءَ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَمـاعَةِ، وكانوا يَحثُّونَ تلاميذَهُمْ ومُريدِيهم على هَجرِ العِلْمِ والعُلَمـاءِ، وإحراقِ الكُتُبِ والمُصَنَّفَاتِ؛ لأنها النُّورُ والبُرهانُ الذي يَكشِفُ باطلَهُمْ وضلالَهُمْ. وسيأتي تفصيلُ صِراعِهِمْ مع العِلْمِ والعُلَمَاءِ قريبًا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى(٤). ويُلَحْظُ في أقوالِ الصُّوفيَّةِ رَغبتُهُمُ الشّديدةُ في بُلوغِ

(١) رواه أبو نُعيم في (الحِلْيَةِ ١٠/ ١٤ ـ ١٥)، **وضعّفه** بقولِه: «ذَكَرَ أحمدُ بنُ حنبلٍ هذا الكلامَ عن بعضِ التّابعينَ، عن عِيسى ابنِ مَريمَ عليه السلام، فوهَمَ [أي: فتَوَهَّمَ] بعضُ الرّواةِ أنه ذكرَهُ عَنِ النبيِّ ﷺ، فوضعَ هذا الإسنادَ عليهِ لسُهولتهِ وقُربِه، وهذا الحديثُ لا يُحتملُ بهذا الإسنادِ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ». اهـ. وقال العراقيُّ في (تخريج الإحياءِ ١/ ٧١): «أخرجه أبو نُعَيْم في الحِلْيَةِ مِنْ حديثِ أَنَسٍ وضَعَّفَهُ».اهـ. وذكره الألبانيُّ في (الضعيفة: ١/ ٦١١ رقم: ٤٢٢): ونقلَ كلامَ أبي نُعَيْم ثُمَّ قال: «موضوعٌ: أخرجه أبو نُعَيْم مِنْ طريقِ أحمدَ بنِ حَنبلٍ عن يَزيدَ بنِ هَارونَ عن حُمَيْدٍ الطويلِ عن أَنَسٍ مرفوعًا، وفي الطريقِ إليه جماعةٌ لم أعرفْهم فلا أدري مَنْ وَضَعَهُ مِنهم».اهـ.

(٢) **ضعَّفه** الألبانيُّ في (الضعيفة ١/ ١١١ رقم: ٣٨) وقال: «أخرجه أبو نعيم في (الحلية ٥/ ١٨٩).. عن مكحولٍ مُرْسَلٌ ووَصْلُهُ لا يَصِحُّ، وأوردَهُ ابنُ الجوزي في (الموضوعات ٣/ ١٤٤) مِنْ طريق أبي نُعيم الموصولِ.. وأورده الصّغانيُّ في (الأحاديث الموضوعة ص: ٧). ثُمَّ وَجدتُ لهُ طريقًا آخرَ رواه القضاعيُّ (١/ ٣٠) عن عامرِ بنِ سيارٍ قال: أنبأنا سوارُ بنُ مُصعبٍ عن ثابتٍ عن مقسمٍ عَنِ ابنِ عباسٍ مرفوعًا... لكن سوار هذا متروكٌ كما قال النسائيُّ وغيرُه».اهـ.

(٣) «الرسالة اللدنية» للغَزَالِيِّ ـ ضمن مجموعة رسائل الغَزَالِيِّ ـ الجزء الثالث (ص: ١٠٢ ـ ١١٠).

(٤) سيأتي في مبحث: «موقفهم مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ» (ص: ٣٤٧).

مراتبِ الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ في النّاحيةِ العِلْميَّةِ؛ بِزَعمِهِمْ معرفةَ أسرارِ تصاريفِ الأقدارِ، وانكشافَ سِرِّ الملكوتِ لهم مِمَّا يَدُلُّ على عَدمِ قَناعتِهِمْ ورِضاهُمْ بمَقامِ العُبودِيَّةِ، وتطاولِهِم على مقامِ الرُّبُوبِيَّةِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَزْعُمُهُ الظالمون المُنحرفون.

وإنَّ موقفَ الصُّوفيَّةِ في مُحاربةِ العِلْمِ وأهلِهِ وفي صَدِّ مُريدِيهِم عَنِ العُلَماءِ وحُضورِ مَجالسِهِمْ واضِحٌ جِدًّا. فَمَنْ يَرجعْ إلى أَيِّ مَصدرٍ مِنْ مصادِرِهِمْ يَجِدِ استخفافَهُمْ بالعِلْمِ والعُلماءِ، ويَلحظْ مُحاولاتِهِمُ العديدةَ في إشغالِ المُريدِ وجميعِ أوقاتِهِ بأَورادٍ ورياضاتٍ مُبْتدَعَةٍ تَصرِفُهُ عَنِ العِلْمِ وطلبِهِ، زَاعمينَ أنّهم دَلُّوهُ على طريقِ الكَشْفِ والاطّلاعِ، وأنَّ القُرآنَ والسُّنَّةَ ومَجالسَ العُلماءِ حُجُبٌ تَحجُبُ القُلوبَ عَنِ الكشفِ والعِلْمِ اللّدُنِّيِّ[(١)].

▪ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ**: «**ونحنُ نَعْلَمُ أنَّ ثَمَّ عِلْمًا اكتسبناهُ مِنْ أفكارِنا ومِن حواسِّنا، وثَمَّ عِلْمًا لَمْ نكتسِبْهُ بشيءٍ مِنْ عندِنا، بلْ هِبَةٌ مِنَ اللهِ ﷻ أنزلَهُ في قُلوبِنا وعلى أسرارِنا، فوجدناهُ مِنْ غيرِ سببٍ ظاهرٍ**»[(٢)].

ويقولُ: «والعِلْمُ الوَهْبِيُّ لَا يَحصُلُ عَنْ سببٍ بلْ مِنْ لَدُنْهُ سُبْحانَهُ». واستدلَّ على تقسيمِهِ هذا بِقولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. قال: «أُوتِيتُمْ؛ أَيْ: أُعْطِيتُمْ، فجعلَهُ هِبَةً».

---

(١) كما نَجدُ بعضَ (صُوفيَّةِ هذا العَصْرِ) في بعضِ الجماعاتِ الإسلاميّةِ وهم (جماعة الدّعوة والتّبليغ) ـ التي تَنتسِبُ إلى الدَّعوةِ وتنتشِرُ في بلادِ المُسلمينَ شرقًا وغربًا ـ؛ نَجدُهُمْ صُورةً مُتجدِّدَةً لصُوفيّةِ القُرونِ الماضيَةِ، حيثُ إنّهم يُقنعونَ مُريدِيهِمْ بالاكتفاءِ بالنَّزْرِ اليسيرِ مِنَ العِلْمِ المُتعلِّقِ بفضائلِ بعضِ الأعمالِ والعباداتِ، ويُشغلونَهُمْ بالأورادِ والأذكارِ المُبْتدَعَةِ، والسّياحةِ والسّفرِ إلى مُختلِفِ البلادِ، صَدًّا لَهم عَنْ طلبِ العِلْمِ والتَّعمُّقِ فيهِ بِحُجّةِ أنَّ عِلْمَ المسائلِ يُؤدِّي إلى اختلافِ صُدورِ المُسلمينَ وتَفرُّقِ جمعِهِمْ ووِحْدَتِهِمْ. فهؤلاءِ كأسلافِهِمْ (الصُّوفيّةِ) استبدلُوا الذي هو أدْنَى بالذي هو خيرٌ مما جاءتِ النُّصوصُ الشَّرعيَّةُ بذكرِهِ وفضْلِهِ والحَثِّ عليهِ والتّرغيبِ فيهِ.

(٢) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

ويقولُ أيضًا: «فإنَّ المتأهّبَ إذا لَزِمَ الْخَلْوَةَ والذّكرَ، وفرّغَ المحَلَّ مِنَ الفكرِ... يمنحُهُ اللهُ تَعَالَى ويُعْطيهِ مِنَ العِلْم بهِ والأسرارِ الإلٰهيَّةِ والمعارفِ الرّبّانِيَّةِ». ثُمَّ استدلَّ بآياتٍ زَعَمَ أنَّها تُؤيّدُ دَعواهُ. وقال: «قِيلَ لجُنَيْدٍ: بِمَ نِلْتَ مَا نِلْتَ؟ فقال: بجُلوسٍ تحتَ تلك الدَّرجةِ ثلاثينَ سنةً. **وقال أبو يَزِيدَ: أخذتُم عِلْمَكم ميّتًا عَنْ ميّتٍ، وأخذْنا عِلْمَنا عَنِ الحَيِّ الذي لَا يَموتُ**»[(١)].

ثُمَّ قال: «والعُلومُ على ثلاثِ مراتبَ: عِلْمُ العقلِ....، والعِلْمُ الثاني: عِلمُ الأحوالِ ولَا سبيلَ لها إلَّا بالذّوْقِ...، والعِلْمُ الثالثُ: عُلومُ الأسرارِ وهو العِلْمُ الذي فوقَ طَوْرِ العقلِ، وهو عِلْمُ نَفْثِ روحِ القُدُسِ في الرّوعِ يَختصُّ بهِ النَّبِيُّ والوَلِيُّ... العَالِمُ بهِ يَعْلمُ العُلومَ كلَّها ويستغرقُها... فلا عِلْمَ أشرفَ مِنْ هذا العِلْم المحيطِ الحاوي على جميعِ المعلوماتِ... وهذه العُلومُ والأسرارُ خارجَةٌ عَنْ قُوّةِ الفكرِ والكسْبِ، ولَا تُنَالُ أبدًا إلَّا بالمُشاهدةِ والإلهامِ، وما شاكلَ هذه الطُّرُقَ»[(٢)].

ثُمَّ استدلَّ بِمَا جاءَ في **عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأنّهُ مِنَ المُحَدَّثِينَ المُلْهَمِينَ[(٣)]، وبِمَا جاءَ في **أبِي بَكْرٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأنّهُ قَدْ فُضِّلَ على غَيْرِهِ[(٤)]، **وحَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ؛ قُطِعَ هذا البُلْعُومُ»[(٥)]، **وقولِ ابنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في

(١) المصدر السابق (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤). (٢) المصدر السابق (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٣) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاريّ» ـ واللفظ لهُ ـ كتاب فضائل أصحاب النبيِّ ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب (الفتح: ٧/ ٤٢ رقم: ٣٦٨٩)، و«صحيح مُسْلِم»، كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٨٦٤ رقم: ٢٣٨٩/ ٢٣).

(٤) أُنظرْ بعضَ ما جاءَ في فضلِ الصّحابيّ الجليلِ أبي بكرٍ الصّدّيقِ في: «صحيح البخاريّ» كتاب فضائل أصحاب النبيِّ ﷺ، الأحاديث (٣٦٥٤ إلى ٣٦٧٨)، وأكثرها في «صحيح مُسلم» أيضًا.

(٥) «صحيح البُخاريِّ»، كتاب العِلْم، باب حفظ العِلْم (الفتح: ١/ ٢١٦ رقم: ١٢٠)، وقال =

قولهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] قال: «لَوْ ذكرتُ تفسيرَهُ لَرَجَمتُمُوني»(١). وفي روايةٍ: «لَقُلْتُم إنّي كافرٌ». ثُمَّ استدلَّ أيضًا بأبياتٍ شعريّةٍ **للرِّضَى** ـ وهو مِنْ حَفَدَةِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ـ فيما نَسَبَهُ إليه:

يا ربِّ جَوهَرِ عِلمٍ لَوْ أَبوحُ بِهِ ... لقيلَ لي: أنتَ مِمَّن يَعْبُدُ الوَثَنا
ولاسْتَحَلَّ رِجالٌ مُسلمونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أقبحَ مَا يَأتونَهُ حَسَنًا

وزَعَمَ أنَّ هذه الأدِلَّةَ تشهدُ لهُ على دعاواهُ وأباطيلهِ. ثُمَّ قال: «فهؤلاءِ كلُّهم ساداتٌ، أبرارٌ، فيما أحسبُ واشتُهرَ عنهم، قَدْ عرَفوا هذا العِلْمَ ورُتْبَتَهُ... وأنَّ الأكثرَ مُنكرون لهُ. **وينبغي للعاقلِ العارفِ أنْ لَا يأخذَ عَليهِم في الإنكارِ؛ فإنَّهُ في قصّةِ مُوسَى مع خَضِرٍ مندوحةً لَهمْ، وحُجَّةً للطائفتينِ،** وإنْ كان إنكارُ مُوسَى عَنْ نسيانٍ لشرطهِ ولتعديلِ اللهُ إيّاهُ، وبهذه القصّةِ تحتجُّ على المُنْكِرينَ، لكنه لَا سبيلَ إلى خِصامِهِمْ، ولكن نقولُ كما قال العبدُ الصالحُ: هذا فراقُ بيني وبينِكَ»(٢).

■ ويقولُ **عبدُ القادرِ عِيسَى** في تفسيرِ الإحسانِ: «هو الجانبُ الرّوحيُّ القَلبيُّ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنّكَ تراهُ، فإنْ لَمْ تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ، وما ينتجُ عَنْ ذلك مِنْ أحوالٍ وأذواقٍ وجدانيّةٍ، ومقاماتٍ عِرفانيّةٍ، وعُلومٍ وَهْبِيَّةٍ، وقَدِ اصطلحَ العُلَمَاءُ على تسمِيَتِهِ بالحقيقةِ، واختَصَّ ببحثِهِ

= الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى نقلًا عَنِ ابنِ المُنَيِّرِ: «جَعَلَ البَاطِنِيَّةُ هذا الحديثَ ذَرِيعَةً إلى تَصْحِيحِ بَاطِلِهِمْ؛ حيثُ اعْتَقَدُوا أنَّ لِلشَّرِيعَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وذلكَ الْبَاطِنُ إنّما حَاصِلُهُ الِانْحِلَالُ مِنَ الدِّينِ». اهـ.

(١) **أثرٌ ضعيفٌ**: رواه ابنُ جَريرٍ في «تفسيره» (٢٨/١٥٣) بإسنادِهِ إلى ابنِ عَبَّاسٍ، ولفظُه: «لَوْ حدّثْتُكم بتفسيرِها لكَفَرْتُم، وكُفْرُكُم تكذيبُكم بِهَا». وفي إسنادِه إبراهيمُ بنُ مهاجرٍ البجليُّ أبو إسحاق الكوفيُّ، نعم صحَّحَ له مُسْلِمٌ ولكنه كما قال الحافظُ في ـ (التقريب، ط. العاصمة بتحقيق: شاغف الباكستاني) ـ: «صَدوقٌ لَيِّنُ الحِفْظِ».

(٢) «الفتوحات المكية» ـ المقدمة (١/٣١ ـ ٣٢).

السَّادةُ الصُّوفيَّةُ»[(١)].

هكذا قَرّرَ (**الصُّوفيَّةُ**) هذا النّوعَ مِنَ العِلْمِ المزعومِ، كما فعلَتِ (**الرَّافِضَةُ**)؛ لِيَنْسُبُوا كلَّ ضلالاتِهِمْ وانحرافاتِهِمْ ومخالفاتِهِمُ الشَّرعيَّةِ إليه، وقَدْ زيّنوهُ ووَصَفُوهُ بأنّهُ مَوهوبٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ مِيراثًا لأعمـالِهِمْ وصفائِهِمُ المزعومِ حتَّى أصبحوا مِنْ أهلِ اللهِ وخاصّتِهِ، فخصَّهُمْ بهذا العِلْمِ الذي لَا يُنكرُهُ ولَا يَردُّهُ إلَّا أهلُ الاغترارِ بِاللهِ بِزَعمِهِمْ، ويقصدون بذلك عُلَمَـاءَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمـاعَةِ.

ولَمْ يَقِفِ الصُّوفيَّةُ في موافقتِهِمْ للرّافِضَةِ عِنْدَ تبنِّي هذا النّوعِ مِنَ العِلْمِ الذي ستروا وراءَهُ تَصَوُّفَهُمْ، بلْ زَعَموا أيضًا كمـا زَعَمَتِ الرَّافِضَةُ أنَّ رأسَ هذا العِلْمِ وأصلَهُ هو عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فاتّخذوهُ ـ وهو بَراءٌ مِنْ كُلِّ مَا نسبوهُ إليه ـ سيّدًا لَهمْ وإمَامًا في هذا النّوعِ مِنَ العِلْمِ؛ لما خَصَّهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ العُلومِ والمعارفِ دونَ غيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ على حدِّ زَعْمِهِمْ، وها هي بعضُ أقوالِهم ومَزاعِمهِمْ في هذا المعنَى:

- زَعَمَ (**السّرّاجُ**) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَصَّ عَلِيًّا بأنواعٍ مِنَ المعارفِ والعُلوم واستدلَّ بِمَا نسبهُ إلى عَلِيٍّ أنّهُ قالَ: «**علّمَني رَسُولُ اللهِ سبعينَ بَابًا مِنَ العِلْمِ، لَمْ يَعلمْ ذلك أحدٌ غيري**»[(٢)]. ونَقَلَ عَنِ **الجُنَيْدِ** أنّهُ قال في عَلِيٍّ: «ذاك امرؤٌ أُعطيَ العِلْمَ اللّدُنِّيَّ»[(٣)].

- وبالغَ (**أبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ**) في تَرْجَمَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كثيرًا، في وَصْفِهِ وتخصيصهِ بالعُلومِ وغيرِها، فزعمَ أنّهُ خاتَمُ الوَصِيّينَ، وبابُ الحِكْمَةِ والعُلوم، وأنَّ عِندَهُ عُلومَ الظاهرِ والباطنِ، ونسبَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُ عَهِدَ إليه سبعينَ عهدًا، وخَصَّهُ بِهَا دونَ غيرهِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الأوصافِ

(١) «حقائق عَنِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٤٧٤). (٢) «اللُّمَع» (ص: ٤٥٦).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٧٩).

التي فيها غُلُوٌّ ومبالغةٌ تتّفِقُ مع منهجِ الرَّافِضَةِ[١].

▪ ونقلَ **عَيْنُ القضاةِ الهمذانيُّ** عَنِ **الجُنَيدِ** أنّهُ قال: «**لَوْ تفرّغَ إلينا مِنَ الحروبِ؛ لنُقِلَ عنهُ إلينا مِنْ هذا العِلْمِ مَا تقومُ لهُ القُلوبُ، ذاكَ امرؤٌ أُعطيَ العِلْمَ اللّدُنِّيَّ**»[٢].

▪ ونسبَ **عَبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ** إلى عَلِيٍّ أنّهُ قال: «**عندي مِنَ العِلْمِ الذي أَسرَّهُ إلَـيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا ليس عِنْدَ جِبْرِيلَ ولَا ميكائيلَ**»[٣].

وقَدْ ذكرتُ فيما تقدمَ جُملةً مِنْ أقوالِ **المُتَصَوِّفَةِ** في (عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه) تُوضّحُ اتّفاقَهُمْ مع أئِمَّتِهِمُ **الرَّافِضَةِ** في اتّخاذِهِمْ عَلِيًّا إمَامًا وقُدوةً فيما ذهبوا إليه مِنْ مذاهبَ وعَقائِدَ بِمَا نسبوهُ إليه مِنَ العُلومِ الخاصّةِ الموهوبةِ اللَّدُنِّيَّةِ بِزَعمِهِمْ[٤].

والحاصلُ: أَنَّ الرَّافِضَةَ والصُّوفيَّةَ اجتهدوا كثيرًا في إثباتِ هذا النوعِ مِنَ العِلْمِ الخاصِّ، تأكيدًا لتقسيمِ الدِّينِ الإسلاميِّ إلى ظاهرٍ وباطنٍ؛ لِيَتسنَّى لهمُ العبثُ في النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ مِنْ كِتابِ اللهِ تَعالَى وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وتفسيرُهما بِمَا يُوافِقُ أهواءَهُمْ باسمِ العِلْمِ اللّدُنِّيِّ الذي خَصّهُمُ اللهُ تَعالَى بهِ وورَثُوهُ بالتّلقّي عَنْ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ مِيراثًا لأعمالِهِمْ وإخلاصِهِمْ.

وبِمُوجَبِ هذا العِلْمِ المزعومِ اعتبرَ **الرَّافِضَةُ والمُتَصَوِّفَةُ** أنفسَهُمْ مِنَ خواصِّ أهلِ اللهِ تَعالَى، وأنّهم نَالوا هذه المنزلةَ بِمَا مَنحهُمُ اللهُ تَعالَى مفاتيحَ التّأويلاتِ الباطنيَّةِ وأسرارَ العُلومِ الخاصَّةِ، والتي تمكّنوا عَنْ طريقِها مِنْ فَهْمِ مُرادِ اللهِ تعالَى ومعرفةِ أسرارهِ وعُلومِهِ الخاصَّةِ المُودَعَةِ في النُّصوصِ القُرآنِيَّةِ وفي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

---

(١) «حِلْيَة الأولياء» (١/ ٦١).
(٢) «رسالة شكوى الغريب» (ص: ١٩).
(٣) «دُرَر الغَوَّاصِ» بهامش «الإبريز» (ص: ٧٣).
(٤) راجع: المبحث الثالث مِنْ هذا الباب (ص: ٢٥٢، وما بعدها).

والحقيقةُ أنّهم بَعْدَ إيمانِهِمْ بهذا المبدأِ وتقريرِهِ والتّسليم بهِ؛ سَهُلَ عَليهِمُ الاستدلالُ ـ لِكُلِّ قولٍ مِنْ أقوالِهِمْ ونظريّةٍ مِنْ نَظريّاتِهِمْ في رَفْضِهِمْ وتَصَوُّفِهِمْ سواءٌ في الأُمُورِ التشريعيَّةِ والتّعبُّدِيَّةِ أَمْ في الأُمُورِ الاعتقاديَّةِ ـ بأدلّةٍ مِنْ كِتابِ اللهِ تَعَالَى ومِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فضلًا عَنْ أقوالِ أئِمَّتِهِمْ وطَواغِيتِهِمْ. فلا يُعْجِزُهُمْ سَوْقُ الأدِلَّةِ مِنَ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ، كما لَا يُعْجِزُهُمْ تفسيرُها حسبَ مذاهبِهِمْ وأقوالِهِمْ مهما انحرفتْ، زاعمينَ أنَّ ذلك هو **العِلْمُ الباطنُ الخاصُّ** لتلكَ النُّصوصِ، ولَا يَصِلُ إليها إلَّا خَاصَّةُ النَّاسِ مِمَّن استحقَّ مِيراثَ مَا خصَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه. وهذه كُلُّها دَعاوَى لَا أصلَ لها ولَا مُستندَ إلَّا الافتراءَ والكَذِبَ على اللهِ تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ.



المبحث الثالث

مَوقِفُهُمْ مِنَ القُرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ

وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:

ـ التمهيدُ: القُرآنُ والسُّنَّةُ في الإسلامِ، ومَوْقِفُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ.

ـ المطلبُ الأوّلُ: مَوْقِفُ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ.

ـ المطلبُ الثانِي: مَوْقِفُ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

* * *

تمهيد

القُرآنُ والسُّنَّةُ في الإسلامِ ومَوْقِفُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ منهما

كانتِ الإنسانيَّةُ تعيشُ حياةً جاهليةً بائسةً تعيسةً بَعْدَ أنْ مَرَّ عليها حينٌ مِنَ الدّهرِ وهي تَتخبّطُ في ظُلماتِ الجَهْلِ والهوى، وتُسيطِرُ عليها الأوهامُ والتُّرّهاتُ الفكريَّةُ والعقليَّةُ التي ملأتْ حياتَهُمْ بالفوضى والفسادِ وسُوءِ الأخلاقِ. ثُمَّ أرادَ اللهُ ﷻ لأُولَئِكَ المعذَّبينَ البائسينَ النَّجاةَ والسَّعادةَ في الدّارينِ، والارتقاءَ والسُّمُوَّ في حياتِهِمُ الفكريَّةِ والاجتماعيَّةِ، فأرسلَ إليهم رَسُولَهُ ومُصْطَفاهُ ﷺ، وأَيَّدَهُ بوحْيِهِ، وهُدَاهُ فُرْقَانًا ونورًا عظيمًا؛ لِيُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النّورِ بإذنِ اللهِ ويَهديَهُمْ إلى صِراطِهِ المستقيمِ ومَنهجِهِ القويمِ، ويضعَ عنهم إصْرَهُمْ والأغلالَ التي كانوا يتخبّطون بِهَا، ويَنقُلَهُمْ مِنْ جَوْرِ الأدْيانِ وضيقِها إلى عَدْلِ الإسلامِ وسَعَتِهِ ورحمتِهِ.

وقَدْ أُوتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ القُرآنَ الكريمَ هدايةً ورحمةً لمنْ وفّقَهُ اللهُ تَعَالَى، وحُجَّةً على المعاندينَ المكابرينَ. كما أُوتِيَ ﷺ مع هذا القُرآنِ العظيمِ مِثْلَهُ، وهي سُنَّتُهُ وحِكْمَتُهُ بيانًا وتفصيلًا لِكلِّ شَيْءٍ.

وقَدْ فتحَ اللهُ تَعَالَى بالقُرآنِ والسُّنَّةِ قُلوبًا غُلْفًا وأَعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا ودخلَ النَّاسُ في دِينِ اللهِ أفواجًا وارتفعتْ رايةُ الإسلامِ على أنقاضِ الكُفْرِ والضّلالِ وجاءَ الحقُّ وعَمَّ الأمنُ وزهقَ الباطلُ وارتفعَ الظلمُ، وقامتْ دَولَةُ الإسلامِ والعدلِ في أرضِ اللهِ تَعَالَى وخلقهِ بفضلِ اللهِ ﷻ وحدَهُ ثُمَّ بتمَسُّكِ الجماعةِ المُسْلِمةِ والرّجالِ الأوائلِ بالمنهجِ الذي جاءَهُمْ بهِ الرَّسُولُ ﷺ، وبِعَضِّهِمْ بنواجِذِهِمْ على مَا حَثَّهُمْ عليهِ وأمرَهُمْ بهِ، فلم يتركوا منهُ شَيئًا سواءٌ كان في كِتابِ اللهِ تَعَالَى أَمْ في سُنَّتِهِ ﷺ امتثالًا وطاعةً وانقيادًا.

فعَنِ ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: الكَلَامُ وَالهَدْيُ. فَأَحْسَنُ الكَلَام كَلَامُ اللهِ، وَأَحْسَنُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ. أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١). وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ.. يَقُولُ ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ...**»(٢).

---

(١) رواه ابنُ مَاجَهَ في «سننه»: المقدمة، باب اجتنابِ البِدَعِ والجدل (١/١٨ رقم: ٤٦). وهو حديثٌ صحيحٌ، وإسنادُ ابنِ مَاجَه ضعيفٌ. قال البُوصِيريُّ في (الزوائد: ١/٩): «هذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ عُبيدُ بنُ مَيمونٍ أبو عبَّادٍ قال فيه أبو حاتِمٍ [كما في تَهذيب الكمال: ١٩/٢٣٧]: مَجهولٌ».اهـ. قلتُ: وذكرَهُ ابنُ حِبَّانَ في (الثِّقَاتِ: ٨/ ٤٣٠) وقال: «يَروي المقاطيعَ». وضعَّفَ إسنادَهُ الألبانِيُّ في: «ضعيف سنن ابن مَاجَه» و«ضعيفِ الجامع»، لكنّهُ صَحّحَ مَتْنَ الحديثِ في مواضعَ عدّةٍ مِنْ كُتبهِ؛ انظر مثلًا: (ظلال الجنة تخريج أحاديث كتاب السُّنَّة ـ لابن أبي عاصمٍ ـ: رقم: ٢٥). وقد رواه الإمامُ البُخاريُّ بنحوهِ موقوفًا على ابنِ مَسعودٍ في «صحيحه»، كتاب الاعتصامِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، باب الاقتداء بسنن رَسُولِ اللهِ ﷺ (الفتح: ١٣/ ٢٤٩ رقم: ٧٢٧٧).

(٢) رواه الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحه»، كتاب الجُمُعَةِ، بَاب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالخُطْبَةِ =

هكذا كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَرِّرُ هذه القاعدةَ العظيمةَ في خُطَبِهِ ليُقَرِّرَ في أذهانِ أصحابِهِ هذا المبدأَ العظيمَ، ليكونَ أصلًا يَنطلِقُ منهُ المُسلِمونَ في حياتِهِمْ، وهو الاعتمادُ على الكتابِ والسُّنَّةِ في جميعِ شُؤونِهِمْ وأمورِهِمْ، ويعتصمون بهما غايةَ الاعتصامِ، مع نَبْذِ واجتنابِ المُحدثاتِ لأنها مِفتاحٌ لِكُلِّ أنواعِ البِدَعِ والضّلالاتِ.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**»[(١)]. وعن جَابِرٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبيِّ ﷺ قال: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ»[(٢)].

فالرَّسُولُ ﷺ بلّغَ رسالةَ رَبّهِ تعالَى، وأدَّى الأمانةَ التي ائْتَمَنَهُ عليها، ونصحَ الأُمَّةَ ودَلَّهُمْ على كُلِّ مَا فيه صَلاحُهُمْ وفَلاحُهُمْ في الدُّنيا والآخرةِ، وقَدْ شهِدَ لهُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم بذلك، وتمسَّكوا جميعًا بالنّورِ الذي جاءَهُمْ بهِ، وصدَقوا اللهَ مَا وَعدُوهُ فصَدَقَهُمُ اللهُ تَعالَى، فسعدوا في حياتِهِمْ بِأنْ وَرّثَهُمُ اللهُ تَعالَى الأرضَ ومَنْ عليها، وفازوا في أُخراهُمْ بِأنْ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهُمْ ووَعَدَهُمْ جَنَّاتٍ عرضُها السمٰواتُ والأرضُ.

لقد أَيْقَنَ المؤمنون الأوّلون أنّهُ لَا شَرَفَ لَهمْ ولَا عِزَّ لَهمْ في دِينِهِمْ ودُنياهُمْ إلَّا بالتّمسُّكِ بِمَا جاءَهُمْ بهِ رَسُولُ الهُدَى ﷺ مِنْ كِتابٍ وسُنَّةٍ، فكانوا يتعلّمون الإيمانَ، ثُمَّ يتعلّمونَ القُرآنَ فيزدادون إيمانًا ونُورًا وهُدًى.

= (٢/ ٥٩٢ رقم: ٨٦٧/ ٤٣).

(١) **حديثٌ حسنٌ بشواهدِهِ**: رواه الحاكمُ في «المستدركِ علَى الصحيحين»، كتاب العِلْم، في خطبتهِ ﷺ في حجّةِ الوداع (١/ ٩٣). انظر: (السلسلة الصحيحة: ج ٤/المقدمة/ الصفحة: ط)، وأيضًا (الصحيحة: ٤/ ٣٥٧ سطر ٧)، و(التعليق على هداية الرواة ١/ ١٤٠ ـ ١٤١ حاشية رقم: ٥). ثلاثتُها للإمام الألبانيِّ.

(٢) «صحيح مُسْلِمٍ»، كتاب الحجّ، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ (٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢ رقم: ١٢١٨/ ١٤٧).

ولَا شَكَّ أنَّ الصَّحابةَ قَدْ أخذوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ألفاظَ القُرآنِ ومَعانيهِ؛ لأنَّ البيانَ والبلاغَ لَا يَحصُلُ منهُ ﷺ إلَّا بذلك، فمعرفةُ مُرادِ اللهِ تَعالَى هو المقصودُ الأعظمُ مِنْ إنزالِ الكُتُبِ وإرسالِ الرُّسُلِ، **ولَا يكونُ النّصحُ للأُمَّةِ وأداءُ الأمانةِ كاملًا إلَّا بتبليغِ التّنزيلِ والتّأويلِ**، وقَدْ أدّاهما رَسُولُ اللهِ ﷺ على خيرِ وَجْهٍ وأكملِهِ، وقَدْ تلقَّاهما عنهُ الصَّحَابَةُ ﷺ، وحملوا الأمانةَ حملَ الرّجالِ الكُمَّلِ، وأَدَّوْها إلى مَنْ بعدَهُمْ مِنَ التّابعينَ لَهمْ بإحسانٍ، وهكذا حتَّى يَرِثَ اللهُ تعالَى الأرضَ ومَنْ عليهَا تحقيقًا لوعدِهِ ﷻ حيثُ قالَ في مُحْكَمِ كتابِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فاللهُ تَعالَى وَعَدَ وتَكَفَّلَ بحفظِ هذا الدِّينِ الذي نزلَ بهِ الوَحْيُ على رَسُولِ الهُدَى ﷺ.

وقَدْ أخبرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَّ **طَائفةً** مِنْ أُمّتهِ ستبقَى على هذا المنهجِ القويمِ والصِّراطِ المستقيمِ المحفوظِ على الرَّغْمِ مِن اختلافِ النَّاسِ واتِّباعِهِمْ أهواءَهُمْ حتَّى يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليهَا؛ **فمِن ذلك**:

ما رواه الإمامُ البُخاريُّ في «صحيحِهِ» عَنِ المُغيرَةِ بنِ شُعْبَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «**لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**». وبَيَّنَ البُخاريُّ المرادَ بالحديثِ بِمَا رواهُ تَعْلِيقًا وبَوّبَ بهِ فقالَ: «بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الحَقِّ يُقَاتِلُونَ**»». ثُمَّ قال: «وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ»[(١)].

وما رواه الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحهِ» عَنْ ثَوْبانَ ﷺ قال: قالَ

---

(١) «صحيح البُخاريِّ»، كتاب الاعتصام، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ علَى الحَقِّ**». وهُمْ أهلُ العِلْمِ. (الفتح: ١٣/٢٩٣ رقم: ٧٣١١). القائلُ: «وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ»؛ هو الإمامُ البُخاريُّ.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهَمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**[(١)].

نَعَمْ؛ لَـمْ يَزَلْ أهلُ الحقِّ منذُ القَرنِ الأوّلِ وإلى يومِ النَّاسِ هذا، وهُمْ:

- مُتماسكونَ بِمَا وَرِثُوهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وصَحابتهِ الكرامِ ﷺ، فهم جميعًا كانوا وما زالوا يؤمنونَ بأنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ جاءَ بالتّنزيلِ والتّأويلِ على السّواءِ، وقَدْ أدَّاهما ﷺ إلى الصَّحابَةِ ﷺ، وهُم أدّوْا ذلك إلى الأُمّةِ بكُلِّ أمانةٍ.

- متميّزون عَنْ غيرِهِمْ مِنَ الفِرَقِ وأصحابِ الأهواءِ بمنهجِهِمْ - في تلقِّي العُلومِ ومصادرِ التّشريعِ - الذي يَنهلونَ منهُ جميعَ عَقائِدِهِمْ وعباداتِهِمْ ومُعاملاتِهِمْ وسُلوكِهِمْ وأخلاقِهِمْ. فمَصْدَرُهُمْ في سائرِ أمورِهِمْ مِنْ أُصُولٍ وفروعٍ هو **كِتابُ اللهِ تَعالَى وسُنَّةُ رَسُولِهِ** ﷺ، فلا يُقدّمونَ قولَ أحدٍ على قولِ اللهِ تَعالَى، ولَا هَدْيَ أحدٍ على هَديِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

- ومِن أُصُولِهِمْ التّمَسُّكُ بِمَا كان عليهِ أصحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويرجعون إليهم ﷺ في **تفسيرِ القُرآنِ والسُّنَّةِ وتأويلِهِما**؛ لأنّهم أعلمُ النَّاسِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بمُرادِ اللهِ تَعالَى، وأعلمُ النَّاسِ بمرادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيما جاءَ عنهُ وصَحَّ مِنْ سُنَّتِهِ وهَدْيِهِ، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ بَلَّغَهم ألفاظَ القُرآنِ، وفَسَّرَ لَهمْ وبَيَّنَ مَا خَفِيَ عَليهِم مِنْ معاني تلك الألفاظِ.



(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»** (٣/ ١٥٢٣ رقم: ١٩٢٠/ ١٧٠).

المطلبُ الأولُ

مَوقِفُ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ

◻ أولًا: ما يتعلَّقُ بالرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

على الرَّغْمِ مِنْ وضوحِ المنهجِ الحقِّ الذي عليهِ أهلُ الإيمانِ؛ فقَدْ كَذَّبَتِ **الرَّافِضَةُ** بِمَا جاءَ عَنِ اللهِ تَعالَى وعَنْ رَسُولِهِ ﷺ، **فمِن ذلك:**

ـ زَعْمُهُم أنَّ «القُرآنَ الكريمَ» قَدْ وقَعَ فيه بَعْدَ الرّسُولِ ﷺ تَغييراتٌ كثيرةٌ مِنْ سَقْطٍ وحَذْفٍ وتبديلٍ في كَلماتٍ منهُ وآياتٍ وسُوَرٍ بواسطةِ الصَّحَابَةِ الذين جمعوهُ.

ـ ويعتقدونَ أنَّ **القُرآنَ** المحفوظَ عَنْ هذا التحريفِ ـ والموافقَ لما أنزلَهُ اللهُ تَعالَى والمقصودَ بالحفظِ مِنَ اللهِ ـ هو مَا جَمعَهُ **عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ** وكتبَهُ بخطّهِ ثُمَّ سلّمَهُ إلى ابنهِ **الحَسَنِ** الذي سلّمَهُ إلى **الحُسَيْنِ**، وهكذا يُسلِّمُهُ كُلُّ إمامٍ إلى الذي بعدَهُ حتَّى انتهى إلى **القائمِ** المزعومِ الذي ما زال يَحفظُهُ عندَهُ إلى يومِنا هذا.

ـ ويؤمنون بأنَّ القُرآنَهُمُ المزعومَ ـ الذي لَا حقيقةَ ولَا وجودَ لهُ إلَّا في أذهانِ الشِّيعَةِ وعُقولِهِمُ التي أصبحتْ مَحَلًّا للخُرافاتِ والتّرّهاتِ وقَبُولِ المُحالاتِ ـ يَقعُ في ثلاثةِ أحجامِ مُصْحَفِنَا الموجودِ بَيْنَ أيدينا.

ـ ويؤمنون بِأنَّ أئِمَّتَهُمْ قَدْ فَرضوا عَليهِم قِراءةَ القُرآنِ الموجودِ بَيْنَ أيدي النَّاسِ تَقِيَّةً حتَّى يَأتيَ مَوْعِدُ إقامةِ دَولَةِ السِّردابِ الشِّيعِيَّةِ، فيخرجُ قَائِمُهُمْ المهديُّ بقُرآنهِ الجديدِ يَقرؤُهُ على النَّاسِ، ويُعلِّمُهُم إيّاهُ.

وها هي بعضُ أقوالِ شُيوخِهِم التي تَنعِقُ بهذه الاعتقاداتِ الباطلةِ:

• يقولُ **إمامُهُم المُفيدُ ت٤١٣هـ**: «واتّفقوا ـ أَيِ: الإِمَامِيَّةَ ـ على أنَّ أَئِمَّةَ الضَّلالِ [يقصدُ الصّحابةَ] خالفوا في كثيرٍ مِنْ تأليفِ القُرآنِ، وعَدَلوا فيه عَنْ موجبِ التّنزيلِ وسُنّةِ النَّبيِّ ﷺ». ثُمَّ يقولُ قَبَّحَهُ اللهُ تَعالَى: «وأجمعتِ

المُعتَزِلةُ والخوارجُ والزّيْدِيَّةُ والمُرجِئةُ وأصحابُ الحديثِ على خلافِ الإِمَامِيَّةِ»[١]. ويقولُ أيضًا: «إنَّ الأخبارَ قَدْ جاءتْ مُستفيضةً عَنْ أَئِمَّةِ الهدى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ باختلافِ القُرآنِ، وما أَحدثَهُ بعضُ الظّالمينَ فيه مِنَ الحَذْفِ والنُّقْصَانِ»[٢].

• وأوردَ **أحمدُ الطّبرسيُّ أحدُ أئِمَّتِهِمْ في القرنِ السادس** ـ أثناءَ سردِهِ رواياتٍ باطلةً عن عَلِيٍّ وهو يحتجُّ على جماعةٍ كثيرةٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ ـ أقوالًا كثيرةً لِعَلِيٍّ تَدُلُّ على أنَّ الصَّحابةَ قَدْ حرَّفوا كِتابَ اللهِ وغَيّروهُ وبدّلوهُ، منها قولُ عَلِيٍّ لِطَلْحَةَ: «يا طَلْحَةُ! إنّ كُلَّ آيةٍ أنزلَها اللهُ ﷻ على مُحَمَّدٍ عندي بإملاءِ رَسُولِ اللهِ وخطِّ يدي، وتأويلَ كُلِّ آيةٍ»[٣].

• ويقولُ **الرَّافِضِيُّ الجزائريُّ** عَنِ الصَّحابَةِ ﷺ: «فإنّهم بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَيّروا وبدّلوا في الدِّينِ مَا هو أعظمُ... كتغييرِهِمُ القُرآنَ وتحريفِ كلماتِهِ، وحذفِ مَا فيهِ مِنْ مَدائحِ آلِ الرَّسُولِ والأئِمَّةِ الطّاهرينَ، وفضائحِ المنافقينَ وإظهارِ مساوئِهم»[٤].

ويذكرُ روايةً عَنِ **البَاقِرِ** عَنْ مَهديِّهِمْ وأعمالِهِ، يقولُ فيها: «**ويُخْرِجُ القُرآنَ الذي ألّفهُ أميرُ المؤمِنينَ ولَمْ يَعملْ بهِ الأشقياءُ، ويَرتفِعُ هذا القُرآنُ إلى السّماءِ، ويَعملُ بذلك القُرآنِ**». وذكرَ روايةً عَنْ عَلِيٍّ يقولُ فيها: «**كأني أنظرُ إلى الشِّيعَةِ قَدْ بنوا الخيامَ بمسجدِ الكُوفَةِ، وجلسوا يُعَلِّمونَ القُرآنَ الجديدَ للنَّاسِ**»[٥].

أيْ: يُخْرِجُ لَهمُ القُرآنَ المَزعُومَ الذي كَتبَهُ عَلِيٌّ بخطِّ يَدِهِ مِنْ إملاءِ جِبْريلَ على فَاطِمَةَ، والذي لَمْ يَعْمَلْ بهِ الأشقياءُ بِزَعْمِهِمْ، يَعني: أبا بكرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وسائرَ الصَّحابةِ! ولستُ أدري ما عُذْرُ عَلِيٍّ في عَدَمِ عَمَلِهِ بهِ

(١) «أوائل المقالات» (ص: ٥٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ٩٣).
(٣) «الاحتجاج» للطَّبَرسِيِّ (١/ ١٥٣).
(٤) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (١/ ٩٧).
(٥) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (١/ ٩٥).

لمَّا آلَتْ إليهِ الخِلافَةُ بَعْدَ عُثْمَانَ؟! ولستُ أدري أيضًا ما سببُ ارتفاعِ هذا القُرآنِ إلى السّماءِ؟ وما معناهُ؟ وما مَنزلتُهُ؟ وهو مُحَرَّفٌ بزَعْمِهِمْ حتّى يَرتفِعَ ويرقَى إلى السّماءِ والعُلُوِّ.

يَبدوُ أنَّ مَنْ وَضَعَ هذه الرّواياتِ واختلقَها لم يُحالِفْهُ التّوفيقُ فخرجَ عَنْ طَوْرِهِ وافتُضِحَ أمرُهُ، وهذه هي سُنَّةُ اللهِ تَعالَى في الكَذَّابينَ أنْ يَترُكوا في كَذِباتِهِمْ ما يَدُلُّ على إفكِهِمْ، تمامًا كسُنَّةِ اللهِ تَعالَى في المُنافقينَ؛ حيثُ يُعرَفُونَ بِمنطِقِهِمْ ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠]. ألَا شاهتِ العُقولُ والأفهامُ، فالأُمَّةُ بزَعْمِهِمْ مُنْذُ قُرونٍ تَعمَلُ وتَتعبَّدُ بِقُرآنٍ مُحَرَّفٍ ومُبَدَّلٍ، فأينَ حُجَّةُ اللهِ على خَلْقِهِ في الأربعةَ عشرَ قرنًا السّالفةِ؟!

الحاصلُ: أنَّ هذه هي عقيدةُ الشِّيعَةِ قاطبةً في «**القُرآنِ الكريم**»، ولَا يُلْتَفَتُ إلى بعضِ الأصواتِ الشِّيعِيَّةِ التي تَنعِقُ بِمَا لَا تُؤمنُ بهِ بَيْنَ حينٍ وآخرَ، زَاعمينَ خلافَ هذه العقيدةِ؛ تلبيسًا منهم على النَّاسِ عَامَّةً، وعلى أهلِ السُّنَّةِ خَاصَّةً، واستمالةً لعوامِّهِمْ، وتَرويجًا لباطلِهِمْ وسِترًا لقبائِحِهم.

إنَّ هذه الأصواتِ أطلقَها أصحابُها تَقِيَّةً واخفاءً لمقاصدِهِمُ الخبيثةِ، وإنَّ أصحابَها يعتقدون في قَرارةِ أنفُسِهِمْ تلك العقيدةَ الخبيثةَ؛ لأنّها مِنْ لوازمِ مَذهبِهِم كما يقولُ ويُقَرِّرُ ذلك كثيرٌ مِن أئمّتِهم:

• فهذا إمامُهُمْ ومُفسِّرُهُمْ **هاشمُ البحرانيُّ** يقولُ في مقدمةِ «**تفسيره**» كما ذكره عنه الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللهُ(١) ـ فإنه بَعْدَ ذِكْرِهِ ونقلِهِ للنُّصُوصِ الكثيرةِ عَنْ أئِمَّتِهِمْ ومَعصُومِيهم بتحريفِ القُرآنِ ـ: «وعندي في وضوح صِحّةِ هذا القولِ بَعْدَ تَتبُّعِ الأخبارِ وتفحُّصِ الآثَارِ، بحيثُ يمكنُ الحكمُ بكونهِ مِنْ ضَروريّاتِ مذهبِ التَّشَيُّعِ»(٢).

(١) ذلكم الشيخُ الذي نحسبُهُ عندَ اللهِ شَهيدًا، واللهُ حسيبُهُ، ولا نزكّي على الله تَعالَى أحدًا، حيثُ اغتالتهُ يدُ الغَدْرِ الرّافِضِيَّةُ.

(٢) «الشِّيعَة والقُرآن» (ص: ٧٤)

هذا هو الحَقُّ الذي لَا مِريةَ فيه، فمذهبُهُمْ يقومُ على نُصُوصٍ يَزْعُمُونَها جاءتْ في **مُصْحَفِ** فَاطِمَةَ وعَلِيٍّ وغيرِهِما. والقولُ بعدمِ التَّحريفِ والإيمانُ الصَّادِقُ بالقُرآنِ الذي بَيْنَ أيدينا؛ هَدْمٌ لمذهبِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ مِنْ أساسِهِ ونقضٌ لِدعائِمِهِ وأركانِهِ.

• ويُبَيِّنُ **الرَّافِضِيُّ الجزائريُّ** حقيقةَ قولِ المُنْكِرينَ للتّحريفِ تَقِيَّةً ونفاقًا، المُخالفينَ لما في نُفوسِهِمْ ولِمذهبِ جمهورِهِمْ؛ حيثُ يقولُ: «والظاهرُ إنَّ هذا القولَ إِنَّمَا صدرَ منهم لأجلِ مصالحَ كثيرةٍ منها سَدُّ بابِ الطَّعنِ عليهِ بأنّهُ إذا جازَ هذا في القُرآنِ، فكيف جازَ العملُ بقواعدِهِ وأحكامهِ مع جوازِ لُحوقِ التحريفِ لهُ». ثُمَّ يقولُ: «كَيف، وهؤلاءِ الأعلامُ رَوَوْا في مُؤلَّفَاتِهِمْ أخبارًا كثيرةً تشتملُ على وُقوعِ تلك الأُمُورِ في القُرآنِ، وأنَّ الآيةَ هكذا نزلتْ ثُمَّ غُيِّرتْ إلى هذا». ثُمَّ راحَ يَفضَحُ أهلَ التَّقِيَّةِ والنِّفاقِ بِمَا في مُؤلَّفَاتِهِمْ مِمَّا يُبَيِّنُ حقيقةَ اعتقادِهِمُ المخالِفِ لقولِهِمْ بعدمِ وُقوعِ التّحريفِ في القُرآنِ الكريمِ[١].

• وقَدْ كشفَ عَوارَهُمْ وهتكَ أستارَهُمْ إمامٌ مِنْ أئِمَّتِهِمُ المُعتبَرينَ المعظَّمينَ عِنْدَهُمْ **الميرزا حسين بن محمد تقي النوريّ الطّبرسيّ**، حتَّى أنّهم كافأوهُ بَعْدَ موتِهِ سنةَ (١٣٢٠هـ) بدفنِهِ بجوارِ أميرِ المؤمنينَ في مَرقدِهِ المزعومِ والمسَمَّى بـ«**الصّحْنِ الشّريفِ**»؛ إكرامًا لهُ وتعظيمًا لشأنِهِ، وتخليدًا

(١) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (٢/٢٥٨ ـ ٣٥٩). والمقصود بأهلِ التَّقِيَّةِ؛ أربعة لا خامسَ لَهمْ مِنْ عُلمائِهِمُ المُتقدّمين، هم: ابنُ بَابَوَيْهِ القُمِّيُّ (ت٣٨١هـ). والشّريفُ المرتضَى (ت٤٣٦هـ). وأبو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ (ت٤٦٠هـ). وأبو عَلِيٍّ الطبرسيُّ صاحبُ «تفسير مجمع البيان» (ت٥٤١هـ). . وقَدْ زعمَ هؤلاءِ أنَّ القُرآنَ غَيْرُ مُحَرَّفٍ؛ موافقةً منهم لمذهبِ أهلِ السُّنَّةِ. وقولُهُمْ هذا مِنْ بابِ التَّقِيَّةِ والنِّفاقِ. وقَدْ تولَّى شَقِيُّهُمْ (نِعْمَةُ اللهِ الجزائريُّ) كشفَ حقيقةِ اعتقادِهِمْ مِنْ خلالِ مُؤلَّفَاتِهِمْ ومُصَنّفاتِهِمُ التِي نصّوا فيها علَى عقيدتِهِمُ الحقيقيَّةِ في القُرآنِ.

لِذكراهُ[١]، واعترافًا منهم بِمَا قامَ بهِ مِنْ عَمَلٍ جَليلٍ عندَهم؛ حيثُ ألَّفَ لَهمْ كتابًا جمعَ فيه الأحاديثَ والرّواياتِ مِنْ أُمّهاتِ كُتُبِهِمْ ومَراجِعِهِمْ ونقلًا عَنْ **(أئِمَّتِهِمْ الاثْنَيْ عَشَرَ)**، حتَّى أَوْصَلَها إلى حدِّ التّواترِ وزيادةٍ، وكلُّها تؤكِّدُ عقيدتَهُمُ الخبيثةَ في تحريفِ القُرآنِ وتبديلهِ وقَدْ سَمَّى كتابَهُ هذا: «**فصلَ الخطابِ في إثباتِ تحريفِ كتابِ رَبِّ الأربابِ**».

إنَّ أَئِمَّةَ الرَّفْضِ والضَّلالِ قَدْ تمكّنوا مِنْ تَحريفِ معنَى قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] تَحريفًا يُوافِقُ مذهبَهُمْ، فصوّروا لأتباعِهِمْ أنَّ هذه الآيةَ ليستْ عَقَبَةً في وَجْهِ عَقائِدهِمْ. **ولكن كَيف يُمكنهُمُ الخروجُ مِنْ عَقَبَةٍ عظيمةٍ تَصطدِمُ بعقيدتِهمُ الخبيثةِ وتَهدِمُها وتكشفُ زيفَهُمْ وباطلَهُمْ، وهي إقرارُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ لهذا القُرآنِ بِمَا فيه بَعْدَ أنْ آلتْ إليه خِلافةُ المُسلِمينَ وإمرتُهُمْ** ؟ وإِلَّا:

ـ لِمَ لَمْ يُشَمّرْ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ لِتَنْقِيَةِ **(كِتابِ اللهِ تَعَالَى)** مِنَ التّحريفاتِ والتغييراتِ التي طَغَتْ عليهِ وشوّهتْ كلامَ اللهِ تَعَالَى كما يزعمونَ؟

ـ ولِمَ لَمْ يُطَهِّرِ **(القُرآنَ)** مِنْ جميعِ الشَّوائبِ والمعائبِ التي طفحَ بِهَا بفعلِ الصَّحَابَةِ كما يَزْعُمُونَ؟

ـ ولماذا لَمْ يتصدَّ لهذا المُنْكرِ العظيم ـ وهو أميرُ المؤمِنينَ والسُّلطةُ بيدِهِ والقُدرةُ متوفّرةُ والدّواعي قائمة ـ انتقامًا وغيرةً للهِ تَعَالَى ولكلامهِ، وإظهارًا للحقِّ، وأداءً للأمانةِ التي أخذَها اللهُ تَعَالَى على الحُكَّام والعُلَمَاءِ؟ لَا يَشُكُّ أحدٌ مِنَ العُقلاءِ أنَّ الذَّبَّ عَنْ كِتابِ اللهِ تَعَالَى وعَنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وتَصفيتَهما وتَنقيتَهما مِنْ جميعِ الشَّوائبِ التي انتحلَها المبطلونَ وزَيّفَها المُنحرفون؛ أهمُّ مِنْ قيادةِ الحُروبِ والمعاركِ، وإشغالِ الجيوشِ الإسلامِيَّةِ بهدفِ عَزْلِ بعضِ الوُلاةِ عَنْ بعضِ الأقاليمِ الإسلامِيَّةِ. أَتَرَوْنَ عَلِيًّا خالفَ

(١) «الكنى والألقاب» لعَبَّاسٍ القُمِّيِّ (٢/ ٤٠٥).

قولَهُ تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]؟

□ ثانيًا: ما يتعلَّقُ (بالصُّوفيَّةِ) في هذا الشَّأْنِ:

إنَّ عقيدةَ (تحريفِ القُرآنِ وتغييرِه) مِمَّا اختصَّ بهِ أهلُ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ دونَ الصُّوفيَّةِ؛ فإنّهم لَمْ يَبوحوا ويُصرِّحُوا بِهَا كإخوانِهِمْ وشُيوخِهِمْ الرَّافِضَةِ وإنْ كانوا يَتّفقونَ معهم في الجُرْأَةِ على التّلاعبِ بنُصوصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ بالتّحريفِ والتّعطيلِ بِمَا يوافقُ مذهبَهُمْ وعَقائِدَهُمُ المُنحرفةَ.

فالصُّوفيَّةُ خالفوا أهلَ الرَّفْضِ في القولِ بالتحريفِ نصًا، ووافقوهم ضِمنًا في تحريفِ معاني القُرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ المطهرةِ، حيثُ اتّفقَ الصُّوفيَّةُ مع الشِّيعَةِ أنَّ للدِّينِ ظاهرًا وباطنًا كما تقدمَ:

- أمَّا (**الظاهرُ**): فهو مَا يفهمُهُ عَامَّةُ النَّاسِ، وما يَتبادرُ مِنَ النُّصوصِ.

- وأمَّا (**الباطنُ**): فهو العِلْمُ الخاصُّ وحقيقةُ مُرادِ اللهِ تَعالَى ومُرادِ رَسُولِهِ ﷺ، وهذا (العِلْمُ الخاصُّ) لَا يَفهمُهُ ولَا يَصِلُ إليه إلَّا (الأَئِمَّةُ) عِنْدَ الشِّيعَةِ و(الأولياءُ) عِنْدَ الصُّوفيَّةِ.

ولمّا عجزَ المُنحرفون الضّالّونَ مِنْ أَئِمَّةِ الرَّفْضِ والتَّصَوُّفِ عَنْ صَرْفِ النَّاسِ عَنِ القُرآنِ والسُّنَّةِ؛ اجتهدوا في صَرْفِهِمْ عَنِ المرادِ بهما بِمَا اخترعوهُ بِأنَّ لِنُصوصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ ظواهرَ وبواطنَ، وأنَّ نسبةَ البواطنِ إلى الظواهرِ كنسبةِ اللُّبِّ إلى القشرِ.

وتمكنوا بهذه البدعةِ الخبيثةِ مِنْ صَرْفِ خَلْقٍ عظيمٍ عَنِ القُرآنِ والسُّنَّةِ بِمَا زخرفوهُ لَهمْ مِنْ فُنونِ مقالاتِهِمُ المُزيّفةِ التي زيّنوها لَهمْ بزينةِ الشَّيْطَانِ، كما تمكنوا مِنْ تسخيرِ النُّصوصِ القُرآنِيَّةِ ونُصُوصِ السُّنَّةِ النبويَّةِ لخدمةِ مَذاهِبِهِمْ وعَقائِدِهِم، وأهملوا التّفسيرَ الصحيحَ الذي يَعتَمِدُ في فَهْمِ النُّصوصِ

على النَّقْلِ الصَّحيحِ والعقلِ الصَّريحِ، وفتحوا لأنفسِهِمْ أبوابًا ومصادرَ في التّشريعِ تُناسِبُ مَشَارِبَهُمْ ومذاهِبَهُمْ الباطلةَ.

لقَدْ قرّرَ **الرَّافِضَةُ** أنّهم سوفَ يعتمدون في تأويلِ القُرآنِ وفَهْمِ نُصُوصهِ على **النُّصوصِ النّقليَّةِ التي تَبلغُهُمْ عَنِ الأئمّةِ المَعصُومينَ** بِزَعْمِهم، وأنَّ أقوالَهم هي المصدرُ الوحيدُ الواجبُ على كُلِّ مُسْلِم اعتمادُهُ في هذا البابِ. وبهذا ضَمِنوا لأنفسِهِمْ مصدرًا عظيمًا ومَعينًا لَا يَنْضَبُ مِنَ النُّصوصِ التي يَضعُها ويختلقُها أهلُ الرَّفْضِ، ثُمَّ يَنْسُبُونَها زُورًا لِمَنْ زَعموهُمْ **أئمّةً معصومينَ** ليُقرّروا بها قواعدَهُمْ وعَقائِدَهُمْ. وكما هي العادةُ فقَدِ اقتفَى **المُتَصَوِّفَةُ** آثارَ أسيادِهِمُ الرَّافِضَةِ حذوَ القُذَّةِ بالقذّةِ؛ فاعتمدوا في تأويلِ القُرآنِ وفَهْمِ نُصوصهِ على **الأذواقِ والمواجيدِ**، وعلى مَا زَعمُوهُ **كَشْفًا ومُشَاهدَةً**، وغيرِ ذلك مِمَّا حصلَ لأئمَّتِهِمْ مِنْ أنواعِ **الكراماتِ والخوارقِ** المزعومةِ.

وبهذا وذاك انفتحَ بابُ التَّلاعُبِ بِالنُّصوصِ القُرآنِيَّةِ على مِصْراعَيْهِ عندَ هاتينِ **الفرقتيْنِ المارقتيْنِ**، وبدأتْ مَواكبُ أهلِ الأهواءِ بالتعرُّضِ لكلامِ اللهِ تَعَالَى والخوضِ فيه حسبَ أهوائِهِمْ وأمزجتِهِمْ؛ لتوافقَ دَعوتَهُمُ الباطنيَّةَ الخبيثةَ، ولِتُقَرّرَ نظرياتِهِمْ وعَقائِدَهُمْ في هَدْمِ دينِ اللهِ تَعَالَى وشَرْعِهِ باسمِ التّفسيرِ الباطنِ للقرآنِ وباسمِ الحقيقةِ، وزَعموا أنَّ الحقيقةَ والباطنَ للأئِمَّةِ والأولياءِ والخاصّةِ مِنَ النَّاسِ منهم.

وإحكامًا لدَعْواهُمْ وبِدْعَتِهِمْ ولِصبغِها بصبغةٍ شَرعيّةٍ؛ زَعموا كاذبينَ بأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أفضَى لِوَصِيّهِ عَلِيٍّ بالمَعنَى الباطنِ لآياتِ القُرآنِ وأملاهُ عليهِ وخَصَّهُ بهِ دونَ غيرهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وزَعموا أنَّ تلك المعاني لَا تُؤخَذُ إلَّا عَنْ **أئِمَّةِ الرّافضةِ** الذين يُوحَى إليهم، أوْ **أولياءِ الصُّوفيَّةِ** الذين يُكْشَفُ لَهمْ، وهُمْ بِدَوْرِهِمْ **أي: الأئِمَّةَ والأولياءَ** يُلَقّنونَهُ مَنْ يَرَوْنَهُ ـ مِنَ الأتباعِ والمُريدينَ ـ أهلًا لذلك الميراثِ.

وقَدْ بلغتْ بهِم جميعًا ـ رافِضَةً وصُوفيَّةً ـ الوقاحةُ ذِروَتَها؛ فزَعموا أنَّ عَلِيًّا قاتلَ في حُروبهِ ومَعارِكهِ على تأويلِ القُرآنِ، بينما قاتلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على تَنزيلهِ، وها هي بعضُ نُصُوصِهم في هذا الزَّعْمِ الباطلِ:

• ذكرَ أحمد بن علي **الطّبرسيُّ الرَّافِضِيُّ** روايةً طويلةً عَنْ جَعْفرٍ الصَّادِقِ عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ، فيها احتجاجُ عَلِيٍّ على أبي بَكْرٍ بأشياءَ كثيرةٍ منها قولُهُ: «فأنشدُكَ اللهَ! أنا الذي بشّرني رَسُولُ اللهِ ﷺ بقتالِ الناكثينَ والقاسطينَ والمارقينَ على تأويلِ القُرآنِ أم أنتَ؟ قال أبو بَكْرٍ: بلْ أنت»[(١)].

▪ ويقولُ **أبو الفيضِ المنوفيُّ الصُّوفِيُّ** مقررًا هذه المفاسدَ: «**إنَّ جِبْرِيلَ نزلَ إلى رَسُولِ اللهِ أوّلًا بالشَّريعَةِ. فَلَمّا تقرّرتْ ظَواهرُ الشَّريعةِ واستقرتْ؛ نزلَ إليه بالحقيقةِ المقصودةِ**، والحِكْمَةِ المرجوةِ مِنْ أعمالِ الشَّريعةِ.. فخصَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بباطنِ الشَّريعةِ بعضَ أصحابهِ دونَ البعضِ، وكان أوّلَ مَنْ أظهرَ عِلْمَ القومِ وتكلَّمَ فيه: عَلِيٌّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ... وأخذهُ عَنْ عَلِيٍّ أوّلُ الأقطابِ وَلَدُهُ الحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا»[(٢)].

▪ وذكرَ **المنوفيُّ** في تَرْجَمَةِ عَلِيٍّ حديثًا مكذوبًا من روايةِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال مُخاطبًا الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «**يا أيها النَّاسُ! إنَّ مِنكُمْ مَنْ يُقاتلُهُ عَلِيٌّ على تأويلِ القُرآنِ، كما قَاتلْتُ على تنزيلهِ**»[(٣)].

(١) «الاحتجاج» للطَّبَرسِيِّ (١/ ١٢٥).
(٢) «جمهرة الأولياء» للمنوفي (١/ ١٥٩).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٨). **والحديثُ الذي ذكرَه (المنوفيُّ) حديثٌ موضوعٌ بهذا اللّفظِ المُحرَّفِ، وقَدْ صحَّ الحديثُ بلفظِ**: «يا أيها النَّاسِ! إنّ مِنكم مَنْ يُقاتلُ علَى تأويلِ هذا القُرآنِ كما قاتلتُ علَى تنزيلهِ». انظرْ للوقوفِ علَى تخريجهِ: (السلسلة الصحيحةِ: ٥/ ٦٣٩ رقم: ٢٤٨٧) للعلَّامةِ الألبانيِّ.
وقَدْ بيّنَ العلَّامةُ الألبانِيُّ في (الصحيحة: ٥/ ٦٤٠) تخبّطَ الرافضيِّ (عبدِ الحُسيْنِ كذّابِ العصرِ) في تخريجِ هذا الحديثِ، وجهلَهُ بهذا العلم كما هو شأنهم جميعًا وذلك في كتابهِ (المراجعات ص: ١٦٦)، ذلكم الكتاب الذي زوّرَهُ واختلقَهُ ثُمَّ نسبَهُ إلى الشيخِ البشريِّ إمامِ الأزهرِ. وقد أشارَ الألبانيُّ أيضًا في (الصحيحة: ٥/ ٦٤١ ـ ٦٤٢) إلى أنّ هذا =

▪ ويقولُ **صُوفِيٌّ آخرُ** ـ مُقَرِّرًا تخصيصَ عَلِيٍّ بتأويلاتِ القُرآنِ الباطنيَّةِ، وأنّهُ نَالَها بالوَصِيَّةِ المزعومةِ ـ فيقولُ:

«وأوضحَ بالتّأويلِ مَا كان مُشْكِلًا عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بالوَصِيَّةِ»(١)

وقدِ اتّفقَ **الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ** أيضًا على أنَّ حقَّ التّأويلِ والتّفسيرِ خاصٌّ لبعضِ النَّاسِ ـ مِن أتباعِهم ـ، فلا يَجوزُ لمن لَمْ يَخُصَّهُ اللهُ تَعَالَى بالعُلوم الباطنيَّةِ والحقائقِ أنْ يتناولَ النُّصوصَ القُرآنِيَّةَ بالشَّرحِ وتبيينِ مُرادِ اللهِ تَعَالَى منها مهما بَلغتْ دَرجتُهُ ومَنزلتُهُ في العُلومِ الظاهرةِ.

◻ فمِمّا جاءَ عِندَ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• روى **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ الرَّافضيُّ** بإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ** أنّهُ قال: «مَا يستطيعُ أحدٌ أنْ يَدَّعي أنّهُ جمعَ القُرآنَ كلَّهُ ظاهرَهُ وباطنَهُ غيرُ الأوصياءِ»(٢).

= الرافضيَّ الكذّابَ قد حرَّفَ في (مراجعاته ص: ١٦٦ في الحاشية) لفظَ هذا الحديثِ، فقال: «قوتلتم علَى تنزيلِهِ» بدلًا مِنْ «قاتلتُ علَى تنزيلِهِ» غمزًا منهُ وطعنًا في الصّحابةِ الكرامِ ﷺ.
وللوقوفِ على المزيدِ مِن أدلّةِ كذبِ مؤلفِ «المراجعات»، وأدلّةِ براءةِ (الشيخِ الجليلِ سليمِ البشريِّ إمامِ الأزهر) فلينظرْ كتاب: «المراجعات المفتراة على شيخِ الأزهرِ البشريِّ الفريَة الكُبرى» تأليف الأستاذ الدكتور: (عليّ أحمد السّالوس)، إصدار: (دار الثقافة بقطر ومكتبة دار القرآن بمصر، ط أولى ١٤٢٨هـ)، وخاصّة من (ص: ٨١٩ إلى ٨٥٦) حيثُ أوردَ في كتابِهِ هذا (عقيدةَ الشَّيخِ البشريّ) من خلالِ ترجمتِهِ وبعضِ مؤلّفاتِهِ التي تَدحضُ إفكَ هذا الرافضيِّ (كذّابِ العصرِ) الذي أخرجَ للناسِ كتابًا اسمه (المراجعات) يَزعمُ فيه أنه حاورَ شيخَ أهلِ السُّنَّةِ (الشَّيخَ البشريّ شيخَ الأزهرِ) في الأمورِ التي بينَ الرّافضةِ وأهلِ السُّنَّةِ، وقد طبعَ هذا الكتابَ بعدَ وفاةِ (الشَّيخِ البشريّ) وبعد (ربع قرن) من هذه المناظرةِ المزعومة، وزعمَ فيه أنَّ (الشيخَ سَليمًا) شاركه بنصفِ محتوياتِ هذا الكتاب، وأنه قد اعترفَ بعدَ هذه المحاورةِ بعقيدةِ الرّافضةِ الشِّرْكيّةِ. والمدهشُ في هذا الأمرِ أنّه لا يُوجدُ مَن يعلمُ بهذه المناظرةِ سوى (الرّافضي) فقط، ولعلّه كانَ يحاورُ شيخًا للأزهرِ يسكنُ (كوكبَ المرّيخ)!!

(١) «ديوان ابن الفارض» (ص: ٦٠).

(٢) «بصائر الدرجات الكبرى» للصفار، باب في أنَّ الأئِمَّةَ أعطوا تفسير القُرآن الكريم والتأويل (ص: ٢١٣).

وبإسنادِهِ إليه أنَّهُ سُئِلَ عَنِ روايةِ: «مَا مِنَ القُرآنِ آيةٍ إلَّا ولها ظهرٌ وبطنٌ»؟ فقال: «ظهرُهُ تنزيلُهُ، وبطنُهُ تأويلُهُ... قال اللهُ تَعالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] نحنُ نعلمُهُ». وبإسنادِهِ إلى الصَّادِقِ أنّهُ قال: «إِنَّ مِنْ عِلْمِ مَا أُوتِينا تفسيرَ القُرآنِ وأحكامَهُ»(١).

• وعقدَ **الحُرُّ العَامِلِيُّ الرَّافِضِيُّ** لتأكيدِ هذه العقيدةِ الرّافضيّةِ وترسيخِ هذه القاعدةِ الشِّيعِيَّةِ بَابًا بعنوانِ: «أنّهُ لَا يَعرِفُ تفسيرَ القُرآنِ إلَّا الأَئِمَّةُ»، وضمّنَهُ رواياتٍ شِيعِيَّةً مكذوبةً(٢).

• وذكرَ **محسن الفيضيُّ الكاشانيُّ الرَّافِضِيُّ** في «**تفسيرِهِ**» ـ كما نقلَهُ عنهُ **هنري كوربان** ـ روايةً عَنْ عَلِيٍّ أنّهُ قال: «مَا مِنْ آيةٍ قُرآنيّةٍ إلَّا ولها أربعةُ مَعانٍ: ظاهرٌ، وباطنٌ، وحَدٌّ، ومطلعٌ. فالظاهرُ: التِّلاوةُ، والباطنُ: الفهمُ». وذكرَ روايةً عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أنّهُ قال: «إِنَّ في كِتابِ اللهِ أمورًا أربعةً: العباراتُ، والإشاراتُ، واللطائفُ، والحقائقُ. فالعباراتُ: ظاهرُ النصِّ للعوامِّ. والإشاراتُ: للخواصِّ. واللّطائفُ ـ أيِ: المعاني المستورة ـ: للأولياءِ»(٣).

وقال أيضًا في «شرحِهِ وتهذيبه على إحياءِ علوم الدّينِ للغزاليِّ» مَا نَصُّهُ: «أَمَّا مَا ذكرهُ أبو حَامِدٍ مِنْ أنَّ العِلْمَ بمعاني القُرآنِ وتفسيرِهِ إِنَّمَا الاعتمادُ فيه على النّقلِ فصحيحٌ ولكنّهُ أرادَ بالنّقلِ مَا يُروى عَنِ الصَّحَابَةِ والتابعينَ الذين كانوا يُفسّرونَ القُرآنَ في الأكثرِ بآرائِهِمْ، الذين لَا يجوزُ الاعتمادُ على أقوالِهِمْ ودياناتِهِمْ... بلِ الحقُّ والواجبُ أنْ يؤخذَ مِنْ أهلِهِ،

---

(١) «بصائر الدرجات» للصفار، باب في أنَّ الأئِمَّةَ أعطوا تفسير القُرآن الكريم والتأويل (ص: ٢١٤ ـ ٢١٦).

(٢) «الفصول المهمة في أُصُول الأَئِمَّة» (ص: ١٧٣).

(٣) «تاريخ الفلسفة الإسلامِيَّةِ» لهنري كوربان (ص: ٤٥)، نَقَلَها عن مقدمة تفسير الكاشاني المسمّى «بالصافي».

وليس أهلُهُ إلَّا الذين أوصَى النَّبِيُّ ﷺ بالتّمسُّكِ بِهم بَعدَهُ: «**إني تاركٌ فيكُمُ الثّقَلَيْنِ إنْ تمسكتُمْ بهما لن تضلّوا بعدي: كِتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، وإنهما لن يَفْتَرِقَا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوضَ**»، ومعنَى عدمِ الافتراقِ: أنَّ عِلْمَ القُرآنِ عِنْدَهُمْ»[(١)].

• ويقولُ **الخُمَيْنِيُّ الرَّافِضِيُّ الصُّوفِيُّ** مُقَرِّرًا هذه الضَّلالاتِ: «إنهُ لَا يحملُ القُرآنَ بظاهرهِ وباطنهِ إلَّا الأولياء المرضيين». وإنَّهُ «مَا جمعَهُ وحفِظَهُ كما أنزَلَهُ اللهُ تَعَالَى إلَّا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ والأئِمَّةُ مِنْ بَعدِهِ». ويقولُ: «إنَّ

(١) «المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء» (١/ ٤٩ ـ ٥٠). والحديثُ أخرجه أحمدُ (المسند ١/ ١١٨) والنسائيُّ (السنن الكبرى ٨٠٩٢، ٨٤١٠) وغيرهما من حديثِ زيدِ بن أرقم، وهو حديثٌ صحيحٌ (انظر: الصحيحة ١٧٥٠). وهذا الحديثُ أهَمُّ ما يَتمسّكُ به (الرّافِضَةُ) في حصرهمُ العترةَ في عليٍّ وبعضِ ولدهِ فقط ودونَ نساءِ النبيِّ ﷺ، وفي زعمِهم أحقّيّةَ عَلِيٍّ بالخلافةِ دونَ الخُلفاءِ الثلاثةِ قبلَه. وهذا تَعسُّفٌ وشَطحٌ في الفَهْم كما سيأتي بيانُه.
وأصحُّ ألفاظِ هذا الحديثِ جاءت في (صحيح مُسْلِم: كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ: بَاب مِن فَضَائِلِ عَلِيّ ٤/ ١٨٧٣ رقم: ٢٤٠٨/ ٣٦) ونصُّهُ قال ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فيه الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» (فَحَثَّ على كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فيه)، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي**». قال المباركفوريُّ في «تحفةِ الأحوذي» نقلًا عن بعضِ أهلِ العلم: «عِتْرَةُ الرَّجُلِ: أَهْلُ بَيْتِهِ وَرَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ، ولاستعمالهِمُ [أي: العربُ] الْعِتْرَةَ على أَنْحَاء كَثِيرَةٍ، بَيَّنَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَهْلَ بَيْتِي»؛ لِيُعْلِمَ أنه أَرَادَ بذلك نَسْلَهُ وَعِصَابَتَهُ الْأَدْنَيْنَ وَأَزْوَاجَهُ، وَالمُرَادُ بِالْأَخْذِ بِهِمْ: التَّمَسُّكُ بِمَحَبَّتِهِمْ وَمُحَافَظَةُ حُرْمَتِهِمْ وَالْعَمَلُ بِروَايَتِهِمْ وَالِاعْتِمَادُ على مَقَالَتِهِمْ إذَا لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِلدِّينِ، وهو لَا يُنَافِي أَخْذَ السُّنَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقَوْلِهِ تعالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾». اهـ. باختصار وإيضاح.
قلتُ: وهذا الحديثُ كقولهِ ﷺ: «**تَركتُ فيكم مَا إنْ تمسّكتُمْ به لَنْ تضلّوا أبدًا: كتابَ اللهِ، وسُنّتي**». أخرجه الحاكمُ في (المستدرك ١/ ٩٣). وكقولهِ ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**». أخرجه أبو داود في (السّنن رقم: ٤٦٠٧). وكقولهِ ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِن بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**». أخرجه التِّرْمِذِيُّ في (السّنن رقم: ٣٦٦٢). وانظر: (الصحيحةَ للعلّامةِ الألبانِيِّ: ٤/ ٣٥٥ ـ ٣٦١ رقم: ١٧٦١).

للقرآنِ بُطونًا سبعةً باعتبارٍ، وسبعين بطنًا بوجهٍ، لَا يَعلَمُها إلَّا اللهُ والراسخون في العِلْمِ». ويقولُ: «إنَّ كُلَّ مَنْ كان تَنزُّهُهُ وتَقَدُّسُهُ أكثرَ كان تَجلّي القُرآنِ عليهِ أكثرَ وحظُّهُ مِنْ حقائقهِ أوفرَ». ويقولُ: «فجاهدْ أيها المسكينُ في سَبيلِ رَبِّكَ وطهّرْ قَلبكَ...ولَا تَقِفْ على قِشْرِهِ ولَا تتوهّمنَّ أنَّ الكتابَ السّماويَّ والقُرآنَ النّازلَ الرّبّانيَّ لَا يكونُ إلَّا هذا القشر والصورة»[١]. ويقولُ: «إنَّ للقرآنِ منازلَ ومراحلَ وظواهرَ وبواطنَ، أدناها مَا يكونُ في قشورِ الألفاظِ وقُبورِ التّعيينات، وقَدْ وردَ أنَّ للقرآنِ ظهرًا وبطنًا وحدًّا ومطلعًا، وهذا المنزلُ الأدنى رِزْقُ المسجونينَ في ظُلماتِ عَالَمِ الطّبيعَةِ، ولَا يَمَسُّ سائرَ مراتبِهِ إلَّا المطهرون... والمتوضئون بماءِ الحياةِ مِنَ العيونِ الصّافيَةِ، والمتوسّلونَ بأذيالِ أهلِ بَيْتِ العِصْمَةِ والطّهارةِ، والمتّصلونَ بالشَّجرةِ المباركةِ الميمونةِ، والمتمسكونَ بالعُروةِ الوثقَى»[٢].

كان هذا بعضَ مَا أوردهُ الرَّافِضَةُ في هذا البابِ.

□ أمَّا ما جاءَ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:

■ فقَدْ روى **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** عَنْ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ قال: سألتُ الحَسَنَ البَصْرِيَّ عَنْ عِلْم البَاطِنِ، فقال: سألتُ حُذَيفةَ عَنْ عِلْم البَاطِنِ، فقال: سألتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عِلْم البَاطِنِ، فقال ﷺ: «**سألتُ جِبْرِيلَ عَنْ عِلْم البَاطِنِ، فقال: سألتُ اللهَ ﷻ عَنْ عِلْم البَاطِنِ، فقال: هو سِرٌّ مِنْ سِرّي، أَجعَلُهُ في قَلبِ عبدي، لَا يَقِفُ عليهِ أحدٌ مِنْ خلقي**»[٣].

■ ويقولُ **أبو طَالِبٍ المَكِّيُّ**: «سُئِلَ بَعضُ العُلَمَاءِ عَنْ عِلْم البَاطِنِ: أَيُّ شَيْءٍ هو؟ فقال: سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ تَعالَى، يَقذِفُهُ في قُلوبِ عبادِهِ، لَمْ يُطْلِعْ

(١) «شرح دعاء السحر» (ص: ٧٠ ـ ٧٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ٤٩ ـ ٥٠).
(٣) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١٠٥ ـ ١٠٦). وهذا **الحديثُ موضوعٌ** تقدم تخريجُه في (ص: ٣١٥).

عليهِ مَلَكًا ولَا بشرًا»[(١)].

▪ وذكرَ **المنوفيُّ** حديثًا ساقطًا مِن روايةِ عَلِيٍّ ﵁ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُ قال: «**عِلْمُ الباطنِ سِرٌّ مِنْ أسرارِ اللهِ تَعَالَى، وحِكمةٌ مِنْ حِكمَتِهِ، يَقذِفُهُ في قُلوبِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ**»[(٢)(٣)].

▪ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** ـ مُبيّنًا ومُوضّحًا عقيدةَ الصُّوفيَّةِ في هذا البابِ ـ: «اِعْلَمْ أنَّ رجالَ اللهِ على أربعِ مراتب: رجالٌ لَهُمُ الظاهرُ، ورجالٌ لَهُمُ الباطنُ، ورجالٌ لَهُمُ الحدُّ، ورجالٌ لَهُمُ المطلعُ. فإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لمّا أغلقَ دونَ الخلقِ بابَ النُّبُوّةِ والرّسالةِ؛ أبقَى لَهمْ بابَ الفَهْمِ عَنِ اللهِ فيما أَوْحَى بهِ إلى نَبيِّهِ ﷺ في كتابهِ العزيزِ... وقَدْ أجمعَ أصحابُنا أهلُ الكشفِ على صِحّةِ خَبَرٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنّهُ قال في آيِ القُرآنِ إنّهُ: «**مَا مِنْ آيةٍ إلَّا ولها ظاهرٌ، وباطنٌ، وحَدٌّ، ومطلعٌ**»[(٤)]، ولكلِّ مرتبةٍ مِنْ هذه المراتبِ رجالٌ، ولكلِّ طائفةٍ مِنْ هذه الطوائفِ قُطْبٌ، على ذلك القُطْبِ يَدورُ فَلَكُ ذلك الكَشْفِ»[(٥)].

وبهذا أصبحَ للشِّيعَةِ تفسيراتٌ خاصّةٌ بِهم وتأويلاتٌ تُناسِبُ مَشارِبَهُمْ، وجمعوا في ذلك مُؤلَّفَاتٍ كثيرةً زَعموا أنَّها تفاسيرُ للقُرآنِ الكريم. وكذلك الصُّوفيَّةُ أصبحَ لَهمْ تأويلُهُمُ الخاصُّ بِهِمُ الموافقُ لمذهبِهِمْ، وقَدِ امتلأتْ

---

(١) «قوت القُلوب» (١/ ١٢٠).

(٢) قال ابنُ الجوزيّ في «تلبيس إبليس» (ص: ٣٩٠ ـ ٣٩١): «**هذا حديثٌ لا أصلَ لهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، وفي إسنادهِ مجاهيلُ لا يُعرفون**».اهـ. وقَدْ تقدم تخريجُ هذا الحديثِ السّاقط في (ص: ٣١٥).

(٣) «جمهرة الأولياء» للمنوفي (١/ ٨٨).

(٤) **حديثٌ ضعيفٌ**: رُوِيَ مرفوعًا مِنْ حديثِ ابنِ مسعودٍ ﵁، ومُرسلًا عَنِ الحسنِ البَصريِّ. انظر ذلك في: (الضعيفة: ٦/ ٥٥٩ رقم: ٢٩٨٩)، و(تخريجِ هداية الرواة: ١/ ١٦٠ الحاشية ١)؛ كلاهما للألباني.

(٥) «الفتوحات المكية» (٣/ ١٨٧).

كُتُبُهُمْ ومُؤلَّفَاتُهُمْ بهذهِ التّأويلاتِ تأييدًا لنظريّاتِهِمْ ومناهجِهِمْ، وقَدْ وضعَ بعضُهُمْ مُؤلَّفَا خاصًّا في التفسيرِ كالسُّلَمِيِّ وابنِ عَرَبِيٍّ وغيرِهما.

إنّ مُؤلَّفَاتِ **الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** عَامَّةً مشحونةٌ بالتّأويلاتِ الباطنيَّةِ التي أدخلوا مِنْ خلالِها في دِينِ اللهِ تعالَى مَا شاءوا مِنْ مَزاعمَ وافتراءاتٍ تُوافقُ أهواءَهُمْ وعَقائِدَهُمْ وأهدافَهُمْ. وقَدْ تلاعبوا بِنُصُوصِ كِتابِ اللهِ تَلاعُبًا أفقدَها مَا كانتْ تَتحَلَّى بهِ مِنَ الجلالِ والهيْبَةِ، وأبعدوها بتأويلاتِهِمْ عَنِ المعاني الحقيقيَّةِ التي سِيقتْ مِنْ أَجلِها، ولَمْ يَبْقَ للألفاظِ والعباراتِ القُرآنِيَّةِ أَيُّ احترامٍ وتقديرٍ في نُفوسِهِم؛ لأنها أصبحتْ عِنْدَهُمْ بِلَا مَدلُولٍ أو مَعنًى؛ لأنّها تَقبلُ كُلَّ تفسيرٍ وتأويلٍ، ولَا تخضعُ لأيٍّ مِنَ القواعدِ اللُّغَوِيَّةِ والشَّرعيَّةِ. ولَا شَكَّ أنَّ تفسيرَ النُّصوصِ القُرآنِيَّةِ بِمَا يُخالِفُ الحقائقَ الشَّرعيَّةَ والمعاني اللُّغويَّةَ التي سِيقتْ مِن أجلِها، وحَمْلِها على غيرِ معانيها، وسوقِها على خلافِ أهدافِها ومقاصدِها. لا شَكَّ أنَّ ذلكَ يُعَدُّ تحريفًا لها.

وقَدْ بالغَ المُنحرفون في صَرْفِ الألفاظِ القُرآنِيَّةِ عَنْ مَعانيها الحقيقيَّةِ إلى أُخْرَى فاسدةٍ تُوافقُ عَقائِدَهُمْ، وتُناسِبُ مَشارِبَهُمْ، وتُؤيّدُ بِزَعمِهِمْ أهدافَهُمْ وأغراضَهُمْ.

وقَدْ حَرَّفوا الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ، وحمّلوا الآياتِ القُرآنِيَّةَ مَا لَا تَحتمِلُهُ، وتَقوّلوا على اللهِ تَعَالَى بِلَا عِلْمٍ ولَا بُرهانٍ، حيثُ يَميلون بكلامِ اللهِ تَعَالَى نحوَ نظريّاتِهِمْ، ويَلْوونَها حسبَ مذاهبِهِمْ، وليس لَهُمْ في عَمَلِهِمْ هذا دَليلٌ أو أَثرٌ نَقْلِيٌّ صحيحٌ يَعتمدون عليهِ، ولَا بُرهانٌ عَقليٌّ صحيحٌ يستندون إليهِ.

وغايةُ أمرِهِمْ فيما يعتمدون عليهِ ويَرجعون إليه أوهامٌ وخيالاتٌ وأكاذيبُ اخترعوها عن مجموعة مِنْ عَقائِدِهِمُ المُنحرفةِ وسُلوكيّاتِهِمُ الزّائفةِ، بالإضافةِ إلى مجموعةٍ عظيمةٍ مِنَ الخُرافاتِ التي أَوجدَتْها وزَيّنَتْها عُقولُ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ، تلك العقولُ التي عَشَّشَ فيها الباطلُ وفرّخَ فيها إبليسُ وجنودُهُ حتَّى غَدَتْ مأوًى لكافّةِ أَلوانِ الخُرافاتِ والتّرّهاتِ، ومَصدرًا لأنواعِ الأباطيلِ والمُنْكراتِ.

سَببُ نُزولِ القُرآنِ عِنْدَ الشّيعةِ والصُّوفيَّةِ

□ أوّلًا: ذكرُ ما يَتعلّقُ بالرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

إنَّ الرَّافِضَةَ ينظرُونَ إلى كِتابِ اللهِ تَعَالَى على أنّهُ نزلَ لتعزيزِ نظريَّةِ الإمامةِ وحقِّ الأَئِمَّةِ، فباطنُ القُرآنِ يَختصُّ بالدّعوةِ إلى الإمامةِ ولَوازِمِها، وحُقوقِها، وما يَتعلّقُ بِهَا، فيشيرُ إلى الأئِمَّةِ المَعصُومينَ، ويأمرُ بِمُوالاتِهِمْ، ويَنهَى عَنْ مخالفتِهِمْ.

ويَعتَقِدُ أهلُ الرَّفْضِ عَامَّةً أنَّ آياتِ المدْحِ والثّناءِ نَزلتْ في آلِ البَيْتِ والأئِمَّةِ، وأنَّ آياتِ الذَّمِّ والوعيدِ وذِكْرِ المنافقينَ والكافرينَ والظالمينَ والملعونينَ نزلتْ في الخُلَفاءِ الرّاشدينَ، وجُمهورِ الصَّحَابَةِ ومَنْ وافقَهُمْ وتَبِعَهُمْ في سُلوكِهِمْ ومنهجِهِمْ. فمما جاءَ في كُتُبِهم في هذا الشَّأْنِ:

• روى **الْكُلَيْنِيُّ** بِإسنادِهِ عَنْ **عَلِيٍّ** قال: «**نزلَ القُرآنُ أثلاثًا: ثُلُثٌ فينا وفي عَدُوِّنا، وثلثٌ سُنَنٌ وأَمثالٌ، وثلثٌ فرائضُ وأحكامٌ**». ورَوَى بِإسنادِهِ عَنِ البَاقِرِ أنّهُ قال: «نزلَ القُرآنُ أربعةُ أرباعٍ: ربعٌ فِينا، وربعٌ في عَدُوِّنا، وربعٌ سُنَنٌ وأمثالٌ، وربعٌ فرائضُ وأحكامٌ»(١).

• وذكرَ **إمامُهُمْ ومحدثهم ونصيرهم مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** عَنْ جَابِرٍ الجُعْفِيِّ أَنَّ **البَاقِرَ** قال لهُ: «يا جابرُ سَمَّى اللهُ الجُمُعَةَ جُمُعةً لأنَّ اللهَ ﷻ جمعَ في ذلك اليوم الأولين والآخرينَ وجميعَ مَا خلقَ اللهُ مِنَ الجنِّ والإنسِ وكُلَّ شَيْءٍ خلقَ ربُّنا والسمٰواتِ والأرضينَ والبحارَ والجَنَّةَ والنَّارَ... فأخذَ منهُمُ الميثاقَ لهُ بالرُّبُوبيَّةِ ولِمُحَمَّدٍ ﷺ بالنُّبُوّةِ ولِعَلِيٍّ بالوِلايَةِ.. ثُمَّ قال اللهُ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]، و(**الصلاةُ**): أميرُ المؤمِنينَ؛ يعني: بالصلاةِ: الوِلايَةَ، وهي الوِلايَةُ الكبرى.. ثُمَّ قال:

(١) «أصول الكافي» لِلْكُلَيْنِيِّ، كتابُ فضل القُرآن، باب النوادر (٢/٦٢٧ ـ ٦٢٨).

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ يَعني: الأوّلَ[١]. ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾؛ يَعنِي: بَيْعَةَ أميرِ المؤمِنينَ وولايته ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنْ بَيْعَةِ الأوّلِ وولايتهِ ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾؛ يَعنِي: بَيْعَةَ أميرِ المؤمِنينَ ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ يعني بالأرضِ: الأوصياءَ، أمرَ اللهُ بطاعتهم وولايتِهم كما أمرَ بطاعةِ الرَّسُولِ وطاعةِ أميرِ المؤمِنينَ. كنَّى اللهُ في ذلك عَنْ أسمائِهِمْ فسمّاهم بالأرضِ. «وابتغوا فضلَ اللهِ». قال جابرٌ: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾. قال هذا تحريفٌ، هكذا نزلت: «وابتغوا فضلَ اللهِ على الأوصياءِ»... ثُمَّ خاطبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ذلك الموقفِ مُحَمَّدًا ﷺ، فقال: يَا مُحَمَّدُ ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ﴾ الشُّكَّاكُ والجاحدونَ ﴿تِجَٰرَةً﴾؛ يعني: الأوّلَ. ﴿أَوۡ لَهۡوًا﴾ يعني الثاني[٢] «انصرفوا إليهما». قال: قلتُ: «انفضّوا إليهما». قال: تحريفٌ هكذا نزلتْ. ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ مع عَلِيٍّ ﴿قَآئِمٗاۚ قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ ولايةِ عَلِيٍّ والأوصياءِ ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾[٣]؛ يَعنِي: بَيْعَةَ الأوّلِ والثاني. «للذين اتقوا». قال: قلتُ: ليس فيها «للذين اتقوا». قال: فقال: بلى هكذا نزلتِ الآيةُ، وأنتم هُمُ الذين اتقوا»[٤].

• **وروى** أيضًا **بالإسنادِ المُظلم** إلى ابنِ عَباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما نَسَبَهُ إليه ورفعَهُ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ أنّهُ قال: «﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]... **قال: أَمَّا** ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾؛ **فأنا، وأمَّا** ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ **فالأئِمَّةُ بعدي: أوّلُهُمْ عَلِيٌّ وآخِرُهُمُ المهديُّ**»[٥].

---

(١) يعنون بالأوّلِ ـ قبّحهُمُ اللهُ تعالى ـ الخليفةَ الرّاشدَ أبا بكرٍ الصّدّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاهُ حيثُ كان الخليفةَ الأوّلَ.

(٢) يعنون بالثاني ـ قبّحهُمُ اللهُ تعالى ـ الخليفةَ الرّاشدَ عُمَرَ بنَ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه حيثُ كان الخليفةَ الثّاني.

(٣) الآياتُ التي بين القوسين ﴿ ﴾ هي مِنْ سُورَةِ الجُمُعَةِ [٩ ـ ١١]، أمَّا ما عداها فهو مِمّا حرفتْ أيدي الرّافضةِ.

(٤) «الاختصاص» للمُفيدِ النعمان (١٢٩ ـ ١٣٠).

(٥) «الاختصاص» للمُفيدِ النعمان (٢٤٤).

هكذا يكذبُ **شيوخُ الرّافِضةِ** على النَّبيِّ ﷺ وآلِ بيتهِ، ويتلاعبونَ بألفاظِ «**القرآنِ**» دونَ تقيّدٍ بقواعدَ ولَا رجوعٍ إلى أُصُولٍ. فالأرضُ تعني: **الأئِمَّةَ**، والبروجُ: **الأئِمَّةَ**، والصلاةُ: **عَلِيًّا**، والبَيْعُ: **أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ**، واللّهو: **عُمَرَ**، وعُقولُ عامّةِ الرّوافضِ تُصَدِّقُ وتُؤمِنُ بِأنَّ هذا هو مُرادُ اللهِ تَعالَى مِنْ هذه الألفاظِ والآياتِ القُرآنيَّةِ.

• وروى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادهِ عَنْ جابرٍ عَنِ **البَاقِرِ** أنّهُ قال في قولهِ تَعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] قال: «هُمْ واللهِ! أولياءُ فلانٍ وفلانٍ وفلان(١) اتخذوهم أَئِمَّةً دونَ الإمام الذي جعلَهُ اللهُ للنَّاسِ إمامًا، فلذلك قال: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧]. ثُمَّ قال أبو جَعْفَرٍ: هُمْ واللهِ يا جابرُ أَئِمَّةُ الظَّلَمةِ وأشياعُهُمْ»(٢).

• وروى **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ ت٢٩٠هـ**، و**الْكُلَيْنِيُّ** ـ كلاهُما ـ عَنْ **مُوسَى الكَاظِمِ سابعِ أئِمّتِهم** أنّهُ قال في قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] قال: «إنَّ القُرآنَ لهُ ظهرٌ وبطنٌ، فجميعُ مَا حَرَّمَ اللهُ في القُرآنِ هو الظاهرُ، والباطنُ مِنْ ذلك أئمّةُ الجوْرِ، وجميعُ مَا أحلَّ اللهُ تَعالَى

---

(١) يعنون بـ(أولياء فُلان): نحن أهلَ السُّنَّةِ. ويعنون بـ(فلانٍ وفلانٍ وفلان): الخُلفاءَ الثلاثة الأُولَ ﷺ. وهُم بهذهِ النُّصوصِ يُكفِّروننا ويَستحلُّونَ دماءَنا وأعراضَنا وأموالَنَا ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا.

(٢) «أصول الكافي» لِلْكُلَيْنِيِّ، كتاب الحُجَّة، باب مَنِ ادّعى الإمامةَ وليس لها بأهلٍ ومَنْ جحدَ الأَئِمَّةَ أو بعضَهُمْ ومَنْ أثبت الإمامةَ لمن ليس لها بأهل (١/ ٣٧٤)، و«الاختصاص» للنعمان (ص: ٣٣٤).

في الكتابِ هو الظاهرُ، والباطنُ مِنْ ذلك أئمّةُ الحقِّ»(١)

• ورَوَى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** في قولِ اللهِ تَعَالَى: «إنَّ الذين آمنوا ثُمَّ كفروا ثُمَّ آمنوا ثُمَّ كفروا ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبتُهُمْ» ـ هكذا ساقَ **الْكُلَيْنِيُّ** الآيةَ ولَعلَّهُ نَقَلَها مِنْ **مُصْحَفٍ شِيعِيٍّ** خاصٍّ بِهم؛ لأنّهُ حسب **مُصْحفِنا** قد خَلَطَ بَيْنَ آيتينِ مِنْ سُورتَيْنِ مختلفتينِ(٢) ـ قال: نزلتْ في فلانٍ وفلان وفلان؛ آمنوا بِالنَّبِيِّ ﷺ في أوّلِ الأمرِ وكفروا حيثُ عُرِضتْ عَليهِمُ الوِلايَةُ.. ثُمَّ آمنوا بِالبَيْعَةِ لأميرِ المؤمِنينَ، ثُمَّ كفروا حيثُ مضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فلم يُقِرّوا بِالبَيْعَةِ، ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا بأخذِهِم مَنْ بَايعَهُ بِالبَيْعَةِ لَهمْ، فهؤلاءِ لَمْ يَبْقَ فيهم مِنَ الإيمانِ شَيْءٌ»(٣).

هذه نماذجُ مِنْ تحريفاتِ الرَّافِضَةِ وتلاعبِهِمْ بِالنُّصوصِ القُرآنِيَّةِ وتسخيرِها لخدمةِ عَقائِدِهِمْ وأهدافِهِمْ بأُسلوبٍ وَقِحٍ بَغيضٍ تَمُجُّهُ العُقولُ السّويّةُ المُجرَّدةُ وتَرفُضُهُ الفِطَرُ السّليمةُ، ولكن شَاءَ اللهُ تعالَى أنْ يَكونَ هناك خَلْقٌ يُؤمِنُ بجميعِ أنواعِ الخُرافاتِ وتَقبَلُ عُقولُهُمْ كُلَّ ألوانِ المحالاتِ والتّناقضاتِ، يَتلقَّوْنَ مَا تُمْلِيهِ عَليهِم أئِمَّتُهُمْ بالقبولِ، ويَنساقونَ لأوامرِهِمْ كالبهائِم تَنقادُ إلى مَذابِحِها ومَسالِخِها بالإذعانِ والتسليمِ، ولَوْ عَلِمَ اللهُ فيهم خيرًا لأسمعَهُمْ وأبصرَهُمْ. كما أنَّ في هذه النُّصوصِ والتّفسيراتِ التّكفيرَ الصّريحَ للصّحابةِ الكرامِ ﷺ، ولعامّةِ أهلِ السُّنَّةِ.

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى»، باب فيه معرفة أَئِمَّةِ الهدى وأَئِمَّةِ الضلال وأنّهُمُ الجبت والطاغوت والفواحش (ص: ٥٣ ـ ٥٤)، و«أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب مَنِ ادعى الإمامة (١/ ٣٧٤).

(٢) الصّوابُ في الآيتينِ ـ كما في مُصْحَفِ المسلمينَ ـ الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾ [آلِ عِمۡرَانَ: ٩٠]. الثانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧﴾ [النِّسَاءِ: ١٣٧].

(٣) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب فيه نكت ونتف مِنَ التنزيل في الولاية (١/ ٤٢٠).

□ ثانيًا: ذكرُ ما يَتعلّقُ بالصُّوفيَّةِ في هذا الشأنِ:

أمَّا الصُّوفيَّةُ؛ فإنّهم يَنظرون إلى كِتابِ اللهِ ﷻ على أنّهُ نزلَ لِيُقَرِّرَ مبدأَ الاتحادِ بَيْنَ الحقِّ ﷻ والخلقِ، ونظريَّةَ وِحْدَةِ الوجُودِ الخبيثةِ. ويؤمنون بأنَّ باطنَ القُرآنِ يَختصُّ بالدّعوةِ إلى الاتحادِ والوحدةِ، وإلى لوازمِ هذه النّظريَّةِ الفاسدةِ وما يتعلّقُ بِهَا، وغيرِها مِنْ عَقائِدِهِمْ وسَخافاتِهِمُ التي آمنوا بِهَا؛ فصرفوا النُّصوصَ القُرآنِيَّةَ عَنْ معانيها، وتلاعبوا بِهَا لِتَشْهَدَ لَهمْ وتؤيّدَهُمْ فيما زَعموه مِنْ نظريّاتٍ وأفكارٍ منحرفةٍ.

فمما جاءِ في كُتُبِهم في هذا الشَّأْنِ:

▪ يقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ المُلْحِدُ** في قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]: «اتقوا ربَّكم: أَي: اجعلوا مَا ظهرَ مِنكم وقايةً لربِّكم، واجعلوا مَا بَطَنَ منكم وهو ربُّكم وقايةً لكم»(١). ويقولُ في قولِهِ تَعالَى: ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٣٠]: «أَي: التي بِهَا سِتْرِي، وليستْ جَنّتي سُواك، فأنت تستُرني بذاتِكَ، فلا أُعرَفُ إلَّا بكَ، كما أنك لَا تكونُ إلَّا بي، فمَن عرفَك عرفَني... فإذا دخلتَ جنّتَهُ دخلتَ نفسَك، فتعرف نفسَك معرفةً أُخْرَى غيرَ المعرفةِ التي عرفتَها حين عرفتَ ربَّك بمعرفتِك إيّاها، فتكونُ صاحبَ معرفتين: معرفةٌ بِهِ مِنْ حيثُ أنتَ، ومعرفةٌ بِهِ بك مِنْ حيثُ هو لَا مِنْ حيثُ أنت.

فأنتَ عبدٌ وأنتَ رب لِمَن لهُ فيه أنت عبد
وأنتَ ربٌّ وأنتَ عبد لِمن لهُ في الخطابِ عهد

فرَضِيَ اللهُ عَنْ عَبيدِهِ فهم مرضيّونَ، ورضوا عنهُ فهو مَرضيٌّ، فتقابلتِ الحضرتانِ تقابلَ الأمثالِ، والأمثالُ أضدادٌ.. **فإنَّ الوجودَ حقيقةٌ واحدةٌ**، والشيءُ لَا يضادُّ نفسَهُ.

---

(١) «شرح فصوص الحكم»، الفص الأول، فص حكمة إلهية في كلمة آدمية (ص: ٣٨).

فلم يبقَ إلَّا الحقُّ لَمْ يبقَ كائن فما ثمَّ موصول وما ثَمَّ بائن
بذا جاءَ برهان العيان فما أرى بعيني إلَّا عينه إذْ أُعاين»[(١)]

بهذه الأقوالِ الساقطةِ والأفكارِ المُنحرفةِ يَزْعُمُونَ أنَّ النُّصوصَ القُرآنيَّةَ تُؤيّدُ نظريّاتِهمْ في **وِحْدَةِ الوجُودِ**، ويَزْعُمُونَ أنَّ هذا التلاعبَ مِنَ العِلْمِ الخاصِّ الذي استأثرهُمُ اللهُ تَعَالَى بهِ، وحقيقةُ الحالِ أنّهُ مِمّا يُزَيّنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أعمالَهُمْ وضلالَهُمْ.

ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** أيضًا ـ في تقريرِ الكُفْرِ والضّلالِ ومُساواةِ الشِّرْكِ بالتّوحيدِ، والضَّلالِ بالهُدَى، والكُفْرِ بالإيمانِ فيما يَزْعُمُونَهُ بوحدةِ الأديانِ ـ مَا نَصُّهُ في شرحهِ لِقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] يقولُ: «فعلماءُ الرّسُومِ يَحملون لفظَ ﴿قَضَىٰ﴾ على الأمرِ، ونحنُ نَحمِلُها على الحُكْمِ كَشْفًا، وهو الصّحيحُ، فإنّهُمُ اعترفوا أنّهم مَا يَعبدون هذه الأشياءَ إلَّا لِتُقرِّبَهُم إلى اللهِ زُلْفَى، فأنزلوهم منزلةَ النُّوّابِ الظاهرةِ بصُورةِ مَنِ استَنَابَهُم... ولهذا يَقضي الحقُّ حوائجَهُمْ إذا توسّلوا بِهَا إليه غَيرةً منهُ على المقامِ أنْ يُهْتَضَمَ»[(٢)].

ويقولُ ـ مُؤكّدًا هذا الكُفْرَ والضّلالَ في قولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ـ: «إنَّ اللهَ خاطبَ في هذه الآيةِ المُسلِمينَ، والذين عبدوا غيرَ اللهِ قربةً إلى اللهِ فما عبدوا إلَّا اللهَ... فقالَ اللهُ لنا: إنّ إلٰهَكُم والإلٰهَ الذي يَطلُبُ المشْرِكُ قُرْبَهُ إليه بعبادةِ هذا الذي أشركَ بهِ واحدٌ، كأنّكم مَا اختلفتُم في أَحديّتِهِ، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ فَجَمَعَنَا وإيّاهم إلهٌ واحدٌ، **فمَا أشركوا إلَّا بسببِه**»[(٣)].

ويقولُ أيضًا ـ كاشفًا هدفَ التَّصوُّفِ وغايتَهُمْ في هدمِ الأديانِ ومُساواةِ

(١) «شرح فصوص الحكم»، الفص السابع، فص حكمة عليه في كلمة إسماعيلية (ص: ١١٠ـ١١٥).
(٢) «الفتوحات المكية» الباب الأحد والثلاثون والثلاثمائة (٣/ ١١٧).
(٣) «الفتوحات المكية»، الباب الثالث والسبعون وأربعمائة (٤/ ١٠٦).

عبادةِ الأوثانِ بعبادةِ الربِّ المَلِكِ الدّيّانِ ـ يقولُ في قولِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧] يقولُ: «إيجازُ البيانِ فيه: يا مُحَمَّدُ! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أَيْ: ستروا مَحبّتَهُمْ فِيَّ عنهم فـ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بوعيدكَ الذي أرسلتُكَ بهِ ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ بكلامِكَ؛ فإنّهم لَا يعقلونَ غيري.. وكيف يُؤمنون بك وقَدْ خَتَمْتُ على قُلوبِهِمْ فلمْ أجعلْ فيها مُتّسَعًا لغيري، وعلى سَمْعِهِمْ فلا يَسمعون كَلامًا في العَالَمِ إلَّا مِنّي، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ مِنْ بَهائي عِنْدَ مُشاهدتي فلا يُبْصِرونَ سوايَ»[(١)].

هكذا يَستمرُّ في تعليلِ أنواعِ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ، ويُزيِّنُهُ بحُجَجٍ وَاهيةٍ يَزْعُمُها مِنَ المُكاشفاتِ التي حصلَتْ لهُ، فَعَلِمَ ما لَمْ يَعْلَمْهُ الأوّلون ولَا الآخرونَ.

وبهذه المكاشفاتِ الشَّيْطَانيَّةِ يجعلون **فِرعونَ** وحتَّى **إبليسَ** مِنْ أهلِ الإيمانِ الخاصِّ، ومِنْ أهلِ الزُّلْفَى والمنزلةِ العظيمةِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، هكذا يتلاعبون بالآياتِ والنُّصوصِ حتَّى لَا يبقَى هناك فرقٌ بَيْنَ الكُفْرِ والإيمانِ، وبَيْنَ الشِّرْكِ والتوحيدِ، وحتَّى بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ. أسألُ اللهَ تَعالَى أنْ يَحشُرَهُمْ مع فِرعونَ وإبليسَ.

▪ ويقولُ **عبدُ الكَريمِ الجيليُّ ت٨٠٥هـ** في قوله تَعالَى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]: «لَمْ أُخَصِّصْ نفسي بالحقيقةِ الإلٰهيَّةِ... وكان العِلْمُ الذي جاءَ بِهِ عِيسَى زيادةً على مَا في التَّوْراةِ هو سِرُّ الرُّبُوبيَّةِ والقُدْرةِ، فأظهرَهُ، **ولهذا كَفَرَ قَوْمُهُ لِانّ إفشاءَ سِرِّ الرُّبُوبيَّةِ كُفْرٌ**، فلو سَتَرَ عِيسَى هذا العِلْمَ وبَلَّغَهُ إلى قَومِهِ في قُشورِ عباراتٍ وسطورٍ

(١) «الفتوحات المكية»، الباب الخامس في معرفة أسرار بسمِ اللهِ الرحمٰن الرحيم (١/ ١١٥ ـ ١١٦).

إشاراتٍ كما فعله نَبِيُّنا؛ لكانَ قومُهُ لَمْ يضلُّوا مِنْ بعدِهِ.. ولَوْ بلَّغَ مُوسَى مَا بَلَّغَهُ عِيسَى إلى قومِهِ؛ لكان قَومُهُ يَتّهِمُونَهُ على قَتْلِ فِرعونَ، فإنَّهُ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وما يُعطي إفشاءُ سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ إلَّا مَا ادّعاه فِرعونُ... **فلو أظهر مُوسَى شَيئًا مِنْ عِلْمِ الرُّبُوبِيَّةِ في التّوراةِ؛ لكفرَ بِهِ قَومُهُ واتَّهمُوهُ في مُقَاتلةِ فِرْعونَ**[١]، فأمرهُ اللهُ بِكَتْمِ ذلك كما أَمرَ نبيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بكتمِ أشياءَ مِمَّا لَا يَسَعُهُ غَيرُهُ، للحديثِ المرويِّ عنهُ: «**أُوتِيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي ثَلاثةَ عُلوم: فَعَلِمٌ أُخِذَ عَلَيَّ في كَتْمهِ، وعِلْمٌ خُيِّرْتُ في تَبليغهِ، وعِلْمٌ أُمِرْتُ بتبليغهِ**»[٢]. فالعِلْمُ الذي أُمِرَ بتبليغهِ هُو عِلْمُ الشَّرائعِ، والذي خُيِّرَ في تبليغهِ هُو عِلْمُ الحقائقِ، والذي أُخِذَ عليهِ في كَتْمهِ هو الأسرارُ الإلٰهيَّةُ. ولقَدْ أَوْدَعَ اللهُ جميعَ ذلك في القُرآنِ، فالذي أُمِرَ بتبليغهِ ظاهرٌ، والذي خُيِّرَ في تبليغهِ باطنٌ... والعِلْمُ الذي أُخِذَ عليهِ في كَتْمهِ فإنَّهُ مُودعٌ في القُرآنِ بطريقِ التّأويلِ لِغُموضِ الكَتْمِ، فلا يعلَمُ ذلك إلَّا مَنْ أشرفَ على نفسِ العِلْمِ أولًا، وبطريقِ الكَشْفِ الإلٰهيِّ»[٣].

بهذا الكشفِ المزعومِ ملأوا الدُّنيا كُفْرًا وزَنْدَقَةً وفُجورًا، وأظهروا مِنَ الجُرأَةِ والوقاحةِ على نُصُوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ خدمةً لأهدافِهِمْ وأغراضِهِمُ الخبيثةِ .

وهكذا زَيّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ضلالَهُمْ وكُفْرَهُمْ في التّعرُّضِ للقُرآنِ الكريمِ، الذي هو المصدرُ الأوّلُ مِنْ مصادرِ التّشَريعِ الإسلاميِّ، الذي تَعتمِدُ عليهِ الأُمَّةُ وتَستنِدُ إليه، وهو الحِصنُ الإلٰهيُّ المنيعُ الذي تحتمي بهِ الأُمَّةُ على مَرِّ

(١) إنَّ ظُلماتِ البِدْعَةِ وجهالاتِ الدَّعاوَى أَعْمَتْ أبصارَهم وبصائرَهُمْ، وإلَّا فَمِنْ أينَ لَهم أنَّ مُوسَى تقاتلَ مع فِرْعَونَ! إنَّ ما يعرفُهُ القاصي والدَّاني أنَّ موسَى إنّما فرَّ بقومِهِ، وفِرعونُ مِن طُغيانِهِ لَحِقَ بِهم لِيبطِشَ بِهم، ولَم تكنْ ثَمَّ مُقاتلة ولا قتال، وإنّما أهلكَهُ اللهُ تعالَى غَرَقًا في البحرِ.

(٢) **حديثٌ مكذوبٌ موضوعٌ.**

(٣) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (١/ ١١٦ ـ ١١٧).

الدُّهورِ والعُصورِ حتَّى يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليهَا. ومِن عظيمِ فضلِ اللهِ تَعَالَى على هذهِ الأُمَّةِ أنْ تعهّدَ ﷻ بحفظِ هذا المصدرِ العظيمِ وبقائهِ، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقال تَعَالَى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ٦٤]. نَعَمْ؛ قَدْ حَفِظَ اللهُ كِتابَهُ مِنَ الضَّياعِ ومِنْ عَبَثِ العابثينَ الذين خَطَّطُوا وعَمِلُوا للقضاءِ على هذا الدِّينِ العظيمِ، ولَا يزالون يعملونَ جاهدينَ، وقَدْ نجحوا في صَدِّ أتباعِهِمْ عَنْ هذا الحصنِ المنيعِ، وأخرجوهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلمَاتِ ومِنَ الإيمانِ إلى الكُفْرِ والضّلالِ.

المطلبُ الثاني

مَوقِفُ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ من سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لَمْ يَقِفِ المُنحرفونَ عِنْدَ هذا الحدِّ، وكما تعرّضوا لكِتابِ اللهِ بالتّحريفِ والتّعطيلِ والتّشْويهِ، وكما أظهروا الجُرْأةَ والوقاحةَ على نُصوصِ القُرآنِ فإنّهم فَعلوا فِعْلتَهُمْ ومارسوا بِدْعتَهُمُ المُنْكرةَ مع المصدرِ الثاني مِنْ مصادرِ التّشريعِ وهو **سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ** ﷺ، على الرَّغْمِ مِنْ قِيامِ العُلَمَاءِ العاملينَ بالعنايةِ الكبيرةِ بالسُّنَّةِ المُطهّرةِ مِنْ حيثُ جَمْعُها وتَدْوينُها وروايتُها ودِرَايتُها، جيلًا بَعْدَ جيلٍ وقرنًا بَعْدَ قرنٍ، حتَّى اجتمعَ للأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ قدْرٌ عَظيمٌ وكَمٌّ هائلٌ مِنَ السُّنَّةِ النّقِيَّةِ مِنَ الشَّوائبِ والغرائبِ على الرَّغْمِ مِنْ جُهودِ العابثينَ المُنحرفينَ في الدَّسِّ والتّحريفِ والوَضْعِ تشْويهًا لهذا المصدرِ العظيمِ.

وقَدْ تميّزتْ هذه الأُمَّةُ دونَ غيرِها مِنَ الأُمَمِ بالعنايةِ بهذا التُّراثِ النَّبَويِّ العظيمِ، حتَّى لَمْ يَغِبْ عنها شَيْءٌ يُحتاجُ إليهِ مِنْ أقوالِ رَسُولِها ﷺ وأفعالِهِ وتقريراتِهِ مِمَّا ثَبتَ وصَحَّ عنهُ بالإسنادِ إليه. وعلى الرَّغْمِ مِنْ هذا كُلِّهِ فإنَّ موقفَ أهلِ الضَّلالِ مِنْ هذا المصدرِ لَمْ يختلفْ عَنْ موقفِهِمْ مِنَ المصدرِ الأوّلِ القُرآنِ الكريمِ.

□ أولًا: موقفُ الرَّافِضَةِ مِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

أمَّا الرَّافِضَةُ فقد رَدّوا جميعَ النُّصوصِ التي رواها ونقلَها الثِّقَاتُ الضابطونَ العُدُولُ مِنْ أهلِ العِلْمِ والفضلِ عَنْ جُمهورِ الصَّحَابَةِ الذين رَضِيَ اللهُ عنْهُمْ ورضوا عنهُ بحُجّةِ ارتِدَادِهِمْ عَنْ هذا الدِّينِ بَعْدَ وفاةِ النَّبِيِّ ﷺ إلَّا نَفَرًا يسيرًا منهم ـ زعموهم ـ مِمَّن وَالَى عَلِيًّا واتخذَهُ إمَامًا. ثُمَّ استبدلوا الذي هو أدْنَى بالذي هو خيرٌ، فجعلوا لِشِيعَتِهِم مصدرًا بديلًا، وهو عبارةٌ عَنْ أقوالِ وأحوالِ مَنْ زَعَمُوهم أَئِمَّةً معصومينَ، وعِدّةِ أحاديثَ قليلةٍ رواها ذلك النّفرُ المعدودُ مِنَ الصَّحابَةِ وغيرِهم مِمَّا يوافقُ مذهبَهُمْ، مع هذا الكَمِّ الكبيرِ مِمَّا دَسُّوهُ ووَضَعُوهُ على أئِمَّتِهِمْ ونَسبوهُ إليهم؛ إقرارًا وتأييدًا لمذهبِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ، دونَ النّظرِ في أسانيدِ تلك المرويّاتِ **الضّعيفةِ والمقطوعةِ**، أو في أحوالِ رواتِها **المجاهيلِ والمطعونِ فيهم**؛ بِحُجَّةِ انتهاءِ روايتِها إلى الأئِمَّةِ المعصومينَ.

• روى كبيرُهم وإمامُهُمْ وحُجَّتُهُمْ الذي عَلَّمَهُمُ الإفْكَ ووضعَ لَهُمُ الكثيرَ مِنْ أُصولِ الرَّفْضِ **مُحَمَّدُ بنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ ت٣٢٨هـ** بإسنادِهِ المُظْلِمِ إلى البَاقِرِ أنّهُ قال: «**كَانَ النَّاسُ أَهْلَ رِدَّةٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا ثَلَاثَةً. فَقُلْتُ: وَمَنِ الثَّلَاثَةُ؟ فَقَالَ: الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ**»[1]. وروى أيضًا بإسنادِهِ إليه أنّهُ قال ـ عَنْ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما مَا نَصُّهُ ـ: «إنَّ الشيخينِ فارقَا الدُّنيا ولَمْ يَتوبَا، ولَمْ يتذَكَّرا مَا صنعا بأميرِ المؤمِنينَ، فعليهما لَعْنَة اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ»[2].

• وروى **مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الكَشِّيُّ الرَّافِضِيُّ ت٣٨٥هـ** ـ وهو أوّلُ مَنْ صَنَّفَ في علمِ الرِّجَالِ وأحوالِهِمْ عِنْدَهُمْ ـ بإسنادِهِ المُظْلِمِ إلى **البَاقِرِ** أنّهُ

---

(١) «فروع الكافي»، الروضة (٨/ ٢٠٥).

(٢) المصدر السابق ـ الروضة (٨/ ٢٠٦).

قال: «كان النَّاسُ أهلَ رِدَّةٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إلَّا ثلاثةً»[١]. وبإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنّهُ قال: «هلك النَّاسُ أجمعونَ.. إلَّا ثلاثةً.. وفي لفظٍ عنهُ: ارتدَّ النَّاسُ إلَّا ثلاثةً: أبو ذَرٍّ وسلمانُ والمِقْدَادُ»[٢].

• وذكرَ **الشقي النعمان الملقب بالمفيد ت٤١٣هـ** خُرافةً شِيعيَّةً وهي حديثُ أميرِ المؤمِنينَ مع **إبليسَ**، فذكرَ إسنادَهُ المُظلمَ إلى عَلِيٍّ أنّهُ كان مع جماعةٍ مِنْ شِيعَتِهِ «فطلع عَليهِم شيخٌ عظيمُ الهامةِ، مديدُ القامةِ، لهُ عينانِ بالطولِ، فقال: السلامُ عليك يَا أميرَ المؤمِنينَ ورَحْمَةُ اللهِ وبركاتُهُ... ثُمَّ قال: فواللهِ! لأُحَدِّثَنَّكَ بحديثٍ عَنِّي عَنِ اللهِ ﷻ مَا بَيننا ثالثٌ... لمَّا هبطْتُ بخطيئتي إلى السماءِ الرابعةِ نَادَيْتُ: يا إِلَهي وسيّدي! مَا أحسبُكَ خَلَقْتَ خلقًا هو أشقَى مِنِّي. فأَوحى اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: بلى، قَدْ خلقتُ مَنْ هو أشقَى منك، فانطلقْ إلى مَالِكٍ يُريكَهُ... فانطلقَ بي مَالِكٌ إلى النَّارِ فرفعَ الطَّبَقَ الأعلَى فخرجتْ نَارٌ سوداءُ... وهكذا إلى الطبقِ السابعِ، وكُلُّ نَارٍ تخرجُ مِنْ طَبقٍ هي أشدُّ مِنَ الأولى.. فرأيتُ رَجُلَيْنِ في أعناقِهما سلاسلُ النيرانِ مُعلَّقَيْنِ بهما إلى فوقٍ وعلى رؤوسِهما قومٌ معهم مَقامعُ النّيرانِ يَقمعونَهما بِهَا. فقلت: يا مَالِكُ! مَنْ هذانِ؟ فقال: أَوَمَا قرأتَ على ساقِ العرشِ؟ وكنتُ قَبْلُ قَدْ قَرأتُهُ قَبْلَ أنْ يَخلُقَ اللهُ الدُّنيا بألفيْ عام: لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، أَيّدتُهُ ونصرتُهُ بِعَلِيٍّ. فقال: **هذانِ مِنْ أعداءِ أُولَئِك وظالميهِمْ**»[٣].

• ونقلَهُ عنهُ أيضًا **مُحَمَّد باقر المجلسيُّ** في «**بحارِ ظُلماتِهِ**»[٤].

• وروى **أحمدُ بنُ عَلِيٍّ الطِّبرسيُّ** - وهو مِنْ علمائِهِمْ في القرنِ السادسِ الهجريِّ - بِإسنادِهِ السَّاقطِ المُصْطَنَعِ إلى **البَاقِرِ** حديثًا طويلًا جدًّا

(١) «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ٦).
(٢) المصدر السابق (ص: ٧ - ٨).
(٣) «الاختصاص» حديث أميرِ المؤمِنينَ مع إبليس (ص: ١٠٨ - ١٠٩).
(٤) «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار» (٩/٣٨٨).

يقولُ فيه: «جمعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أهلِ المدينةِ وأهلِ الأطرافِ والأعرابِ سبعينَ ألفَ إنسانٍ أو يزيدونَ على نحوِ عددِ أصحابِ مُوسَى السّبعينَ ألفٍ الذين أخذَ عَليهِم بَيْعَةَ هارونَ، فنَكثُوا البَيْعَةَ واتّبعوا العجلَ والسَّامِريَّ، وكذلك أخذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ البَيْعَةَ لِعَلِيٍّ بالخلافةِ على عددِ أصحابِ مُوسَى، فنَكثُوا البَيْعَةَ واتّبعوا العجلَ والسامريَّ، سُنّةً بِسُنَّةٍ، ومثلًا بمثلٍ»[(١)].

• وذكرَ **ابنُ أبي جمهورٍ الإحسائيُّ الرَّافِضِيُّ ت٩٠١هـ** حديثًا مَكذوبًا زَعَمَ رَفْعَهُ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ أنّهُ قال: «**مَنْ نازعَ عَلِيًّا الخِلافةَ بعدي فهو كافرٌ**»[(٢)].

• وذكرَ **مُحَمَّدٌ البَاقِرُ المجلسيُّ الرَّافِضِيُّ ت١١١٠هـ** عَنِ **جعفرٍ الصَّادِقِ** أنّهُ قال: «**لمّا أقامَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **أميرَ المؤمِنينَ عَلِيًّا يومَ غديرِ خُمٍّ، كان بحذائهِ سبعةُ نفرٍ مِنَ المنافقينَ** منهم: **أبو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، وأبو عُبَيْدَةَ، وسالمٌ مولَى أبي حُذيفةَ، والمغيرةُ بنُ شُعْبَةَ**. قال عُمرُ: أَمَّا ترونَ عَيْنَيْهِ كأنّهما عينا مجنونٍ؟ الساعةَ يقومُ ويقولُ: قال لي ربِّي. فَلَمّا قامَ قال: **يا أيها النَّاسُ! مَنْ أولَى بِكُمْ مِنْ أنفسِكم؟** قالوا: اللهُ ورَسُولُهُ. قال: **اللَّهُمَّ فاشهدْ**. ثُمَّ قال: **أَلَا مَنْ كنتُ مولاهُ فَعَلِيٌّ مولاهُ**. وسلّموا عليهِ بإمرةِ المؤمنينَ. فنزلَ جِبْرِيلُ وأعلَمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بمقالةِ القومِ، فدعاهُم فسألَهُمْ، فأنكروا وحلفوا، فأنزلَ اللهُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٤]»[(٣)].

هذه هي أقوالُ **الرَّافِضَةِ** فيمَنِ اختارهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحبةِ نَبِيِّهِ ومصطفاهُ ﷺ، وهذه هي عَقيدتُهُمْ في حَمَلَةِ الدِّينِ ونقلَةِ الأخبارِ والآثارِ عَنْ رَسُولِ الهُدَى ﷺ ورضي الله عنهم، وما زالوا على هذه العقيدةِ الخبيثةِ

---

(١) «الاحتجاج» للطَّبرَسِيِّ، باب احتجاج النَّبيِّ ﷺ يوم الغدير علَى الخلق كلهم... (١/ ٥٦).

(٢) «عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدّينيَّة» (٤/ ٨٥).

(٣) «بحار الأنوار»، باب في أخبار الغدير (٣٧/ ١١٩).

يُلَقِّنُها كُلُّ زُمْرةٍ إلى مَنْ بَعدَهُمْ ضمـانًا لبقاءِ مذهبِهِمْ ودِينِهِمْ وعَقائِدِهِمُ المُنحرفةِ. ولَا يُلْتَفَتُ إلى مَنْ يَزْعُمُ في هذا العصرِ ـ مِنَ المغفّلينَ أوِ المُتغافلينَ ـ أنَّ تلكَ العقائدَ كانت في صدورِ رجالٍ منهم، وقَدِ انقرضَ عَصرُهُمْ وبادَتْ تلك العقائدُ واندثرتْ.

• فهذا **الخُمَيْنِيُّ** كبيرُهُمْ وإمامُهُمْ في الزَّنْدَقَةِ والإلْحَادِ في هذا العصرِ، الذي حملَ لواءَ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ ووَحَّدَ فِرَقَ الرَّفْضِ جميعًا لمُحاربةِ الإسلامِ وأهلِهِ:

ـ يقولُ في وَصْفِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «**حفنةٌ مِنَ الانتهازيينَ المتربصينَ**».

ـ ويَصِفُهُمْ أيضًا بأنّهم: «**حفنةٌ مَعروفةٌ تقومُ بَعْدَ وَفَاتِهِ بالتّناطُحِ مِنْ أجلِ الرّئاسةِ والحُكْمِ**».

ـ ويقولُ: «إنّنا لَا نَعبدُ إِلَهًا شامخًا للعبادةِ والعدالةِ والتّدَيُّنِ، ثُمَّ يقومُ بهدمهِ بنفسهِ، ويُجْلِسُ يَزيدًا ومُعَاوِيَةَ وعُثْمَانَ وسواهُمْ مِنَ العُتَاةِ في مواقعِ الإمارةِ على النَّاسِ»[(١)].

ـ ويقولُ: «إنّنا هنا لَا شأنَ لنا بالشّيخينِ وما قاما بِهِ مِنْ مخالفاتٍ للقُرآنِ، ومِنْ تَلاعُبٍ بأحكامِ الإلٰهِ، وما حلَّلاهُ وما حرَّمَاهُ مِنْ عندِهما، وما مارساهُ مِنْ ظُلمٍ ضدَّ فَاطِمَةَ ابنةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضدَّ أولادهِ، ولكنّنا نُشِيرُ إلى جَهلِهِما بأحكامِ الإلٰهِ والدِّينِ»[(٢)]. ثُمَّ ذهبَ يستعرضُ مَا تَخامَرَ في ذِهنهِ وعقلهِ العَفِنِ مِمَّا زَعَمَهُ مِنَ الإفكِ والفِرَى التي نسبَها لَعَنَهُ اللهُ إلى **الشَّيْخَيْنِ الجَلِيلينِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسوّدَ في ذلك أكثرَ مِنْ عشرِ صفحاتٍ مِنْ كتابهِ الخبيثِ الذي وَصَفَ فيه بعضَ مَا نَسَبَهُ إلى عُمَرَ بقولهِ العَفَنِ: «**كلماتُ ابنِ الخَطَّابِ القائمةُ على الفِرْيَةِ والنابعةُ مِنْ أعمالِ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ**»[(٣)].

---

(١) «كشف الأسرار» للْخُمَيْنِيِّ (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤).
(٢) المصدر السابق (ص: ١٢٦).
(٣) «كشف الأسرار» للْخُمَيْنِيِّ (ص: ١٣٧).

واكتفَى هذا **الخبيثُ الرَّافِضِيُّ** بذكرِ ما افتراه مِن مَثالبِ الشّيخَيْنِ عَنْ ذكرِ ما افتراه مِن مَثالبِ غيرهِما مِنَ الخُلَفاءِ ومَنْ تولَّى الأمرَ بعدَهُمْ بقولهِ: «**وأمَّا عُثْمَانُ ومُعَاوِيَةُ ويَزِيدُ فإنَّ الجميعَ يَعرِفُونَهُمْ جيدًا**»(١)(٢).

نعم إننا **معشرَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** نعرفُهُمْ جيدًا ونَعرِفُكَ ونَعْرِفُ أهلَ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ، ونعرفُ سببَ هذا الحقدِ يا عدوَّ اللهِ؛ فإنَّ هؤلاءِ الرّجالَ هُمُ الذين أَرغموا أُنوفَ أسلافِكم ومَرّغوها في أوحالِ الذُّلِّ والهزيمةِ والهوانِ، وفرَّقوا شَمْلَكم ودمَّروا حضارتَكُمُ الجاهليَّةَ المجوسيَّةَ حضارةَ عبادةِ النَّارِ واستباحةِ زِنا المحارِمِ. وهؤلاءِ همُ الذين أعزَّ اللهُ تَعالَى بِهم دِينَهُ ونَصرَ بِهم رَسُولَهُ ﷺ ورفعَ بِهم راياتِ التوحيدِ والعدلِ، وأذَلَّ بِهِمُ الشِّرْكَ وأهلَهُ وهدمَ بِهم أوثانَكم وأَربابَكُمُ التي تَعبدُونها مِنْ دونِ اللهِ تعالَى.

ونَعرِفُكَ **يا إمامَ الرَّفْضِ وحاملَ لواءِ الكُفْرِ في هذا العصرِ**، ونَعْرِفُ مَجوسيّتكَ التي أَبَيْتَ لها إلَّا الظهورَ، فرفعتَ لواءَ أجدادِكَ وأسلافكَ المجوسِ واليهودِ وجَنّدتَ الجيوشَ؛ مُحاولًا إعادةَ دَولَةِ الكُفْرِ ومحاربةَ الإسلامِ وأهلِهِ وإطفاءَ نورِ اللهِ تَعَالَى وهدمَ دِينهِ انتقامًا لأجدادكَ وأسيادكَ مِنَ الأكاسرةِ والأباطرةِ وشفاءً لِما في صُدورِهِمْ وصدورِ أهلِ الرَّفْضِ والضَّلالِ مِنَ الحقدِ والحسدِ والنِّقْمَةِ على صَحابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الذين اصطفاهُمُ اللهُ تَعَالَى وطهّرهُمْ وهيّأَهُمْ لِصُحبةِ حَبيبهِ ورَسُولِهِ ﷺ ونُصْرةِ دِينهِ وهدمِ عُروشِ

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٢٧).

(٢) ونحنُ أيضًا نعرفُكَ جيّدًا، وندعوا الباحثينَ عنِ الحقيقةِ أن يتعرّفوا عليك جيدًّا مِن خلالِ الكُتبِ التي صدرتْ في بيانِ ضلالكَ، ليعرفوا مَنْ هو المُتلاعبُ بالدّينِ، ومَن هو صاحبُ الأقوالِ والأعمالِ القائمةِ على الفِرْيَةِ، والنابعةِ مِنْ أعمالِ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ. ومِن خُرافاتِ الخمينيِّ وزَندقَتِهِ قولهُ في كتابهِ (تحرير الوسيلة ٢/ ٢٤١): «أنه لا بأسَ بالتّمتُّعِ بالرّضيعةِ تقبيلًا وضَمًّا وتفخيذًا». قولُهُ: «تفخيذًا»؛ أي: يَضعُ ذكرَهُ بينَ أفخاذِ الطّفلةِ لجلبِ اللّذةِ. حتّى الطفلةُ الصغيرةُ الرّضيعةُ لم تَنجُ مِن همجيَّةِ الرّافضةِ التي لا سابقَةَ لها إلّا في أسلافِهِم المجوسِ!

الظُّلم وقَتْلِ مُلُوكِها وسَلاطِينها ودَكِّ دُوَلِهِمْ وحضاراتِهِمُ الكافرةِ. فرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمْ ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وزَادَكمْ ذُلًّا وهَوانًا في الدُّنيا والآخرةِ.

□ ثانيًا: موقفُ الصُّوفيَّةُ مِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

إنَّ الصُّوفيَّةَ وإنْ كانوا لَا يطعنونَ في الصَّحَابَةِ ولَا يُصرّحونَ بِرَدِّ رواياتِهِمْ؛ فإنّهم يَتّفقونَ مع أهلِ الرَّفْضِ بِمَا اخترعوهُ لأنفسِهِمْ وأتباعِهِمْ مِنْ مَصْدَرٍ بَدِيلٍ عَنِ السُّنَّةِ المُطَهّرةِ، ألا وهو **أقوالُ شيوخِهِمْ، وأحوالُ أئِمَّتِهِمْ، وشَطَحَاتُهُمْ ومواجيدُهُمْ في حالِ يَقظتِهِمْ وسُكرِهِمْ** مِمَّا يُؤيّدونَ بِهِ نظريّاتِهِمُ الصُّوفيَّةَ وأفكارَهُمْ، ويَزْعُمُونَ أنَّها مِنَ الكُشوفاتِ والعُلوم الخاصَّةِ التي حَصلَتْ لَهمْ، وأنّهُ لَا يُدْرِكُها ولَا يَفهمُها إلَّا مَنْ ذاقَ طعمَ التَّصَوُّفِ وشَرِبَ مِنْ كُؤوسِها، ودخلَ في سِلْكِهِمْ، ومارسَ أحوالَهُمْ ونِحْلَتَهُمْ.

فالصُّوفيَّةُ وإنْ لَمْ يُصرِّحوا ـ كالرَّافِضَةِ ـ بِرَدِّ الأحاديثِ والسُّنَنِ؛ فإنَّ موقفَهم مِنَ الحديثِ وأهلِهِ وعُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ لَا يَقِلُّ في خُبثِهِ عَنْ موقفِ أهلِ الرَّفْضِ، حيثُ يَصدُّونَ أتباعَهُمْ عَنِ الحديثِ وأهلِهِ وعَنْ دراسةِ السُّنَنِ والآثَارِ، ويُحذِّرونَهُمْ مِنْ مُجالسةِ أهلِ العِلْمِ، ويُصرِّحونَ باستغنائِهِمْ عنهم وعَنْ عُلومِهِمْ وسُنَنِهِمْ وآثارِهِمْ، شأنُ جميعِ أهلِ البِدَعِ والضَّلالِ في مُحاربةِ الحقِّ وأهلِهِ.

كما أنّهم وافقوا الرَّافِضَةَ في استغنائِهِمْ عَمَّا رواهُ الصَّحَابَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الدِّينِ والشّرائع؛ فقَدْ شرّعوا لأنفسِهِمْ عباداتٍ كثيرةً، وطقوسًا في الدِّينِ والسُّلوكِ والأخلاقِ تُخالِفُ مَا كان عليهِ الصَّحَابَةُ وما رَوَوْهُ ونقلوهُ إلى مَنْ بَعدَهُمْ أداءً منهم للأمانةِ ونُصْحًا للأُمَّةِ، ويَزْعُمُونَ كَذِبًا وافتراءً أنَّ دينَهُمْ وشَرعَهُمْ يَتلَقَّونَهُ عَنِ اللهِ تَعَالَى مُباشرةً أو عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّا خصَّهُمْ بهِ مِنَ الأذكارِ والعباداتِ والسُّلوكِ والأخلاقِ فيَزْعُمُ بعضُهُمْ

التّلقّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في حالِ مَنامِهِمْ، ويَزْعُمُ آخرونَ تَلقِّيهمْ عنهُ في حالِ اليَقَظةِ، ومنهم مَنْ يَزْعُمُ التَّلقِّيَ مِنَ الخَضِرِ أو بعضِ شيوخِهِمُ الذين ماتوا مُنْذُ قُرونٍ وأنّهم يَتلقَّونَ مِنهُمُ الأورادَ والأذكارَ وحتَّى الشَّرائعَ مِنْ قُبورِهِمْ. هذه المَصادرُ وغيرُها يُؤمِنُ الصُّوفيَّةُ بِهَا كمصدرٍ لِتَلقّي الشَّرائعِ والعباداتِ وأنّها تُغنيهِمْ عَنْ دراسةِ السُّنَنِ ومعرفتِها في دِينِهِمْ ونِحْلَتِهمْ. **ومِنْ أقوالِهم في ذلك:**

- ما نَقلَهُ **الشَّعرانيُّ** فيما نَسَبَهُ إلى **الفُضيلِ بنِ عياضٍ** قولَهُ: «**مَنْ فَهِمَ مَعنَى القُرآنِ استغنَى عَنْ كتابةِ الحديثِ**»[١].

- وروى **أبو نُعَيْم** بِإسنادِهِ إلى **الفُضيلِ** أيضًا قولَهُ: «**وإني لأسمعُ صوتَ أصحابِ الحديثِ فيأخذُني البولُ فَرَقًا منهُمْ**»[٢].

- ونقلَ **أبو طَالِبٍ المَكِّيُّ** عَنْ **بِشرِ بنِ الحارثِ** قولَهُ: «**حدثنا وأخبرنا بابٌ مِنْ أبوابِ الدُّنيا**». وقال مرّةً: «**الحديثُ ليس مِنْ زادِ الآخرةِ**»[٣]. ونقلَ عَنْ **أبي سُلَيْمَانَ الدَّارانِيِّ** قولَهُ: «**مَنْ تَزوّجَ أو كتبَ الحديثَ أو طلبَ مَعاشًا؛ فقَدْ رَكَنَ إلى الدُّنيا**»[٤].

- وذكرَ **الشَّعرانيُّ** شَرطًا مهمًّا عِنْدَهُمْ مِنْ شُروطِ تَلْقِينِ الذّكرِ، فقال ما نصه: «شَرطُهُ أنْ يُعطِيَ اللهُ الشّيْخَ مِنَ العزم أنّهُ يَخلعُ على المُريدِ حالَ تَلْقِينهِ الذِّكرَ جميعَ عُلوم لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ.. وعُلومُها هي عُلومُ الشَّريعةِ المطهّرةِ، فلا يَصيرُ بَعْدَ التّلقينِ يَجهلُ شَيئًا مِنْ أحكامِ الشَّريعةِ المطهّرةِ، فيستغني عَنْ سُؤالِ النَّاسِ وعَنِ النّظَرِ في كِتابِ اللهِ». ويقولُ: «ولمّا لَقَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وخلعَ عليهِ ذلك صارَ يقولُ: **عندي مِنَ العِلْمِ الذي أسرّهُ إليَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا ليس**

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٦٨).
(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (٨/ ٩٤).
(٣) «قوت القُلوب» (١/ ١٥٦).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٥٧).

عِنْدَ جِبْرِيلَ وميكائيلَ»[١].

▪ وروى **أبو نُعَيْم** بإسنادِهِ إلى عَلِيٍّ بنِ أبي طَالِبٍ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ زَهَدَ في الدُّنيا؛ عَلّمَهُ اللهُ تَعَالَى بِلَا تَعَلُّمٍ، وهَدَاهُ بِلَا هِدايةٍ، وجعلَهُ بَصيرًا، وكشفَ عنهُ العَمَى**»[٢].

▪ ونقلَ **الشَّعرانيُّ** فيما نَسَبَهُ إلى **الجُنَيْدِ** قولَهُ: «المُريدُ الصَّادِقُ غَنِيٌّ عَنْ عِلْم العُلَمَاءِ، وإذا أرادَ اللهُ بالمُريدِ خيرًا؛ أَوْقَعَهُ إلى الصُّوفيَّةِ، ومَنَعَهُ مِنْ صُحبةِ القُرّاءِ»[٣].

▪ ويقولُ **أبو طَالِبِ المَكِّيُّ**: «قالَ بَعضُ العُلَمَاءِ: كان أهلُ العِلْم على ضَرْبَيْنِ: عَالِمُ عَامَّةٍ وعَالِمُ خاصَّةٍ. فأمَّا **عَالِمُ العَامّةِ** فهو المُفْتِي في الحلالِ والحرامِ وهؤلاءِ أصحابُ الأساطين. وأمَّا **عَالِمُ الخاصَّةِ** فهو العَالِمُ بِعِلْم التّوحيدِ والمعرفةِ وهؤلاءِ أهلُ الزّوايا وهُمُ المنفردون. وقَدْ كانوا يقولون: مَثَلُ الإمامِ أحمدَ مَثَلُ دِجْلَةَ كُلُّ أحدٍ يَعرفُها، ومَثَلُ بِشْرِ بنِ الحارثِ مثلُ بِئْرٍ عَذْبَةٍ مُغطّاةٍ لَا يَقصِدُها إلَّا وَاحِدٌ بعدَ واحدٍ»[٤].

هذه بعضُ أقوالِهِمْ ونُقُولِهِمْ وكَذِبِهِمْ مِمَّا يُقْنِعُونَ بهِ أنفسَهُمْ وأتباعَهُمْ للاستغناءِ عَنْ عِلْم الحديثِ، وحتَّى النّظَرِ في كِتابِ اللهِ تَعالَى، مع استخفافِهِمْ بالعُلَمَاءِ وأهلِ العِلْم ونقلَةِ الآثَارِ والسُّنَنِ وتحقيرِ شأنِهِمْ ومَكانَتِهِمْ لصدِّ النَّاسِ عنهم وعَنِ العِلْم والدِّين.

وأمَّا عَنْ تَلَقّيهِمْ عَنِ اللهِ تَعَالَى مُباشرةً، والاعتمادِ على ذلك كمصدرٍ مِنْ مصادرِ التشريعِ ووَصْفِهِ بالكشفِ وغيرهِ مِنْ مُصطلحاتِهِمُ المُنحرفةِ، وها هي بعضُ أقوالِهِم:

---

(١) «دُرَر الغَوَّاصِ» بهامش «الإبريز» (ص: ٨٠).
(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ٧٢). **والحديثُ موضوعٌ**، انظر: «الضعيفة» للألبانيِّ (١٠/ ١١٤ رقم: ٤٦٠٠).
(٣) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٥). (٤) «قوت القُلوب» (١/ ١٤٢).

▪ نقلَ **ابنُ خلدونَ** عَنْ **أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ** قولَهُ: «**ليس العَالِمُ الذي يَحفظُ مِنْ كِتابِ اللهِ فإذا نسيَ صارَ جاهلًا، وإنّما العَالِمُ الذي يَأخذُ مِنْ رَبّهِ في أيِّ وقتٍ شاءَ بِلَا تَحَفُّظٍ ولَا درسٍ**»(١).

▪ ونقلَ عنهُ **الشَّعرانيُّ** قولَهُ: «حُظوظُ كراماتِ الأولياءِ على اختلافِها تكونُ مِنْ أربعةِ أسماءٍ: الأوّلُ، والآخرُ، والظاهرُ، والباطنُ... فأصحابُ اسمِهِ الظاهرِ: يُلاحظونَ عجائبَ قُدْرَتِهِ. وأصحابُ اسمِهِ (الباطنِ): يُلاحظون مَا يَجري في السّرائرِ. وأصحابُ اسمِهِ (الأوّلِ): شُغْلُهُمْ بِمَا سبقَ. وأصحابُ اسمِهِ (الآخرِ): مُتربّصون بِمَا يَستقبِلُهُمْ. فكلٌّ يُكاشِفُ على قَدْرِ طاقتهِ إلَّا مَنْ تولّى الحقُّ تَعَالَى تَدبيرَهُ»(٢).

▪ ونقلَ **ابنُ عَرَبيٍّ** عَنْه قولَهُ مُخاطبًا بِزَعْمِهِ عُلَماءَ الرُّسُومِ: «**أخذْتُم عِلْمَكُمْ مَيّتًا عَنْ مَيّتٍ، وأخذنا عِلْمَنا عَنِ الحَيِّ الذي لَا يَموتُ. يقولُ أمثالُنا: حَدّثَني قَلبي عَنْ رَبِّي. وأنتم تقولون: حدّثني فلانٌ. وأينَ هو؟ قالوا: ماتَ. عن فلانٍ. وأين هو؟ قالوا: مات**»(٣).

▪ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ**: «وكانَ الشّيْخُ أبو مَدْيَنَ إذا قِيلَ لهُ: (قال فُلانٌ عَنْ فلانٍ عَنْ فلانٍ) يقولُ: مَا نُريدُ نَأكلُ قَديدًا هاتوا ائتوني بِلَحْمٍ طَريٍّ(٤).. أنت مَا خَصَّكَ اللهُ بِهِ مِنْ عطاياهُ مِنْ عِلْمِهِ اللَّدُنِّيِّ؛ أَيْ: حَدِّثُوا عَنْ رَبِّكُمْ واتركوا فُلانًا وفلانًا، فإنَّ أُولَئِكَ أَكلُوه لحمًا طريًّا، والواهِبُ لَمْ يَمُتْ، وهو أقربُ إليكم مِنْ حَبْلِ الوَريدِ، والفيضُ الإلٰهيُّ والمبشّراتُ مَا سُدَّ بابُها، وهي مِنْ أجزاءِ النُّبُوّةِ»(٥).

▪ ويقولُ أيضًا: «فمَن كان يأخذُ عَنِ اللهِ لَا عَنْ نفسهِ كَيف ينتهي

---

(١) «شفاء السائل لتهذيب المسائل» (ص: ٢٦).

(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٧٧). (٣) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٨٠).

(٤) أي يَسخرُ مِن قراءةِ الإسنادِ ورواةِ الأحاديث.

(٥) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٨٠).

كلامُهُ أبدًا، **فشَتَّانَ بَيْنَ مُؤلِّفٍ يقولُ: حدّثَني فلانٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ **عَنْ فلانٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ. **وبَيْنَ مَنْ يقولُ: حدّثَني قَلبي عَنْ ربّي**. وإنْ كان هذا رَفيعَ القَدْرِ، فشَتَّانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَنْ يقولُ: (حدّثَني رَبّي عَنْ ربّي)؛ أَيْ: حدّثني ربّي عَنْ نفسِهِ»[(١)].

■ وعَن مَعرفةِ الصّحيحِ مِنَ الضّعيفِ في السُّنَنِ والآثَارِ يقولُ: «إنَّ بعضَ الأولياءِ يَسمعُ الحديثَ مِنَ الرّوحِ الذي هو جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُلْقِيهِ على مُحَمَّدٍ ﷺ، فيكونُ هذا الوَلِيُّ كالصَّحَابَةِ في سَماعِهِمْ حديثَ جِبْرِيلَ في الإِسْلامِ والإيمانِ والإحسانِ... ورُبَّ حديثٍ يكونُ صحيحًا مِنْ طريقِ رُواتِهِ، يَحصلُ لهذا المُكاشَفِ الذي قَدْ عَايَنَ هذا المظهرَ، فسألَ النَّبيَّ ﷺ عَنْ هذا الحديثِ الصحيحِ، فأنكرَهُ»[(٢)].

■ ويقولُ **القُشَيْريُّ**: «**سمعتُ مَنصُورَ المغربيَّ** يقولُ: رأَى بعضُهُمُ الخَضِرَ؛ فقال لهُ: هل رأيتَ فوقَكَ أحدًا؟ فقال: نَعَمْ، كان عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ همامٍ يَروي الأحاديثَ بالمدينةِ والنَّاسُ حولَهُ يستمعونَ، فرأيتُ شابًّا بِالبُعْدِ منهم رَأسُهُ على رُكْبَتيْهِ، فقلتُ لهُ: يا هذا! عبدُ الرَّزَّاقِ يروي أحاديثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلِمَ لَا تَسمَعُ منهُ؟ فقال: إنّهُ يروي عَنْ مَيّتٍ، وأنا لستُ بغائبٍ عَنِ اللهِ. فقلتُ: إنْ كنتَ كما تقولُ فمَنْ أنا؟ فرفعَ رَأسَهُ وقال: أنتَ أخي أبو العَبَّاسِ الخَضِرُ. فَعَلِمْتُ أنَّ للهِ عبادًا لَمْ أعرفْهم»[(٣)].

■ و**الشَّعرانيُّ** يُكرّرُ كَاذبًا زاعِمًا سماعَهُ هاتفًا عَنِ الحقِّ تَعَالَى يُخاطِبُهُ ويُرشِدُهُ[(٤)].

هكذا أوجدوا لأنفسِهِمْ أصلًا فاسدًا تجاه الأحاديثِ والآثارِ، فيُصحّحونَ بِمُوجِبِهِ مَا وافقَ هواهُمْ ويَردّون مَا خالفَ مذهبَهُمْ؛ بِحُجّةِ الكشْفِ والتّلقّي

---

(١) المصدر السابق (١/ ٥٧). (٢) المصدر نفسه (١/ ١٥٠).
(٣) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٦٨٥).
(٤) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ»، بهامش «الطّبقاتِ الكبرَى» (١/ ١٥١) و(٢/ ١٨٨).

عَنِ اللهِ تَعَالَى وعَنِ الرُّوحِ جِبريلَ مُباشرةً. فتَعالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ ويَزْعُمُونَ عُلوًّا كبيرًا.

▪ وقَدْ قَسَّمَ **الغَزاليُّ** العُلومَ إلى: عِلْمِ المُعاملةِ وعِلْمِ المُكاشفةِ[١]، وأطالَ في بيانِ هذا العِلْمِ المزعومِ الذي شَجَّعَهُ وشجعَ المُتَصَوِّفَةَ والفلاسفةَ بعدَهُ على التّطَرُّفِ والغُلُوِّ دونَ حرجٍ بدعوى أنَّها حصلتْ بطريقِ الكَشْفِ والمُشاهدةِ المباشرةِ بَعْدَ ارتفاعِ الحُجُبِ والأغطيةِ عَنْ قُلوبِهِمْ وعُقولِهِمْ. **لذلك:**

▪ يقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** عَنِ الصُّوفيَّةِ: «إِنَّهُمْ يَدينُونَ اللهَ بالمَواجِيدِ والمَواهِبِ التي يَخصُّهُمُ اللهُ تَعالَى بِهَا، وبما صَحَّ عِنْدَهُمْ مِنْ أحاديثِ الأحكامِ، ومَا اتُّفِقَ على ضَعْفِهِ وتجريحِ نَقَلَتِهِ، وهُمْ أخذوهُ مِنَ الكَشْفِ عَنْ قَائِلِهِ صحيحًا... على غيرِ مَا تَقرّرَ عِنْدَ عُلَماءِ الرُّسُومِ فيَنْسُبُونَهُمْ إلى الخُروجِ عَنِ الدِّينِ، وما أَنصفوا؛ فإنَّ للحقِّ وُجُوهًا يُوصَلُ إليه منها، هذا أَحَدُها، **ورُبَّ حديثٍ قَدْ صَحَّحُوهُ واتّفقوا عليهِ [يعني: علماءَ الحديثِ] وليس بصحيحٍ عِنْدَهُمْ [يعني: الصُّوفيَّةَ] مِنْ طريقِ الكَشْفِ، فيتركون العملَ بهِ**»[٢].

▪ ويقولُ **بَهاءُ الدِّينِ مُحَمَّد مَهدي الرِّفَاعِيُّ الصّيّاديُّ الشّهيرُ بالرَّوَّاسِ ت١٢٨٧هـ** ويُعتَبَرُ مُجَدِّدَ الطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ، يقولُ: «ففي اللّيلِ ونحنُ على شاطئِ النّهرِ رأيتُ أيضًا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقال لي: «**يا وَلَدي! أنتَ بهاءُ الدِّينِ مَهديُّ نَبيِّ الطّاهرينَ، جَدِّدْ، جَدِّدْ، جَدِّدْ**». فقلتُ: رُوحي الفداءُ لعتبةِ بابِكَ الطّاهرِ، عَبَّرَ لِيَ الخَضِرُ أمرَكَ هذا، أكمَا عَبَّرَ هو؟ قال: «**نَعَمْ**». قلتُ: دُلَّنِي على الطّريقِ إلى اللهِ، قال: «**تمسّكْ بولدي أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ تَصِلْ إلى اللهِ، فهو سَيّدُ أولياءِ أُمّتي بَعْدَ أولياءِ القُرونِ الثلاثةِ وأَعظمُهُمْ مَنزلةً، ولَا يَجيءُ مِثْلُهُ**

(١) «إحياء علوم الدِّينِ» ـ المقدمة.
(٢) «كتاب «الفناء في المشاهدة» (ص: ٤) مطبوع ضمن رسائل ابنِ عَرَبِي.

إلى يومِ القِيَامَةِ غير سَمِيّك المهديِّ بنِ العَسْكَريِّ»[١]. ويَزْعُمُ أنّهُ رأى النَّبيَّ مرةً أُخْرَى، بلْ مَرّاتٍ ومراتٍ، وفي إحدَاها خَصَّهُ بدُعَاءٍ وقال لهُ: «**اقْرَأْهُ كُلَّ يَوْمٍ صباحًا ومساءً ثلاثَ مرّاتٍ**»[٢].

هكذا انطلقَ مشايخُ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ وأتباعُهُمْ بَعْدَ تَبنِّي هذه الدّعوَى المُنحرفةِ، فمنهم مَنْ يَزْعُمُ اجتماعَهُ بِالنَّبيِّ ﷺ ومُذَاكَرَتَهُ إيّاهُ يَقظةً لَا مَنامًا[٣]. ومنهم مَنْ يَزْعُمُ اجتماعَهُ بالخَضِرِ والمهديِّ وغيرِهِما، وحتَّى إبليسُ كان لهُ حَظٌّ في الاجتماعِ والمُذاكرةِ مع الصُّوفيَّةِ[٤]. ويبدو أنَّ الصُّوفيَّةَ أَبوْا أنْ ينفردَ الرّافضةُ بهذه المنقبَةِ حيثُ زَعمُوا هم أيضًا أنَّ إبليسَ اجتمعَ مع عَلِيٍّ[٥]. ومنهم مَنْ زَعَمَ عُرُوجَهُ إلى السّمٰواتِ، والتقاءَهُ بالأنبياءِ والرُّسُلِ وأهلِ كُلِّ سماءٍ[٦].

وهكذا انفتحَ البابُ على مِصراعَيْهِ؛ فوَلَجَ منهُ المُنحرفونَ ومُرَوِّجُو الفلسفاتِ اليونانيَّة وأهلُ الوِحْدَةِ، وقدّموا أفكارَهُمْ ونظريّاتِهِمْ ومذاهبَهُمُ المُنحرفةَ باسمِ الكَشْفِ والاطّلاعِ، حتَّى بلغَ بِهِمُ الأمرُ إلى القولِ بإيمانِ إبليسَ[٧] وفِرْعونَ[٨] وغيرِهما. وأمَّا (أفلاطون) فهو إمامُ الصُّوفيَّةِ وقَدْ شَرِبَ مِنْ ماءِ الحياةِ المزعومِ، فهو حَيٌّ بَاقٍ إلى يومِنا هذا. وكذلك (أرسطو) كان مُرافقًا للخَضِرِ في رحلتهِ إلى ماءِ الحياةِ التي شَرِبَ منها، وقَدْ كان يخدمُ

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٢١٢). (٢) المصدر السابق (ص: ٤٠١).
(٣) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٢٠٣).
(٤) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (٢/ ٤٤)، «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٣٩)، «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» بهامش «الطّبقاتِ الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٥ ـ ١٧).
(٥) انظر هنا: (ص: ٣٧٦).
(٦) «رسالة الإسراء إلى مقام الأسرى» لابنِ عَرَبِي. «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (٢/ ١٢).
(٧) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (٢/ ٦١ ـ ٦٤).
(٨) المصدر السابق (١/ ١١٧).

الخَضِرَ واستفادَ مِنْ عُلومِهِ وتَصَوُّفِهِ[١]. إلى غيرِ ذلك مِنَ الخرافاتِ والهراءِ الذي ملأوا بهِ كُتبَهُمْ ومُصَنَّفَاتِهِمْ.

وقَدْ جعلَ الصُّوفيَّةُ هذه الدّعوَى **أي: الكَشفَ ولقاءَ الأنبياءِ والرُّسُلِ والصّالحينَ** ملاذًا لتفسيرِ شَطَحَاتِهِمْ وترويجِ مُنكراتِهِمْ وإقناعِ النَّاسِ باستقامتِها وسلامتِها ليفوزوا بعدمِ الإنكارِ على أصحابِها وعدمِ تنفيذِ الحُدودِ والعُقوباتِ عَليهِم. وجعلوا مِنْها أيضًا سِتْرًا وحجابًا يسترونَ بهِ حقيقةَ أمرِهِمْ، حتَّى تَبجَّحَ بعضُهُمْ بإظهارِ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ والإلْحَادِ قولًا وفعلًا، الأمرُ الذي حملَ عُلَمَاءَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ للتّصدّي لهذا التَّيَّارِ الخطيرِ الذي يُهدِّدُ الأديان والشرائع، ويُبطِلُ الأحكامَ والحُدودَ. فلا كُفْرَ ولَا رِدَّةَ ولَا شِرْكَ بلْ كُلٌّ لهُ قَدْرٌ ونَصيبٌ مِنَ العبادةِ عِنْدَهُمْ.

لذلك شَهِدَ القرنُ الثالثُ الهجريُّ صِراعًا عظيمًا بَيْنَ العُلَمَاءِ والصُّوفيَّةِ الذين ستروا كُفرَهُمْ وباطلَهُمْ في مظاهرِ الزُّهْدِ والعبادةِ ولباسِ الصُّوفِ؛ يقولُ الهُجْويريُّ: «وللإيمانِ والمعرفةِ فضلٌ بأنّهما غَيْبيّانِ، فإذا صارا عيانًا؛ يَصيرُ الإيمانُ خبرًا، ويرتفعُ الاختيارُ في عينِ ذلك، وتضطربُ أُصُولُ الشَّرْعِ، ويَبطُلُ حُكْمُ الرِّدَّةِ، ولَا يَصِحُّ تَكفيرُ بلعم وبرصيصا وإبليس لأنّهم بالإجماعِ كانوا عارفينَ بِاللهِ ﷻ»[٢].

يقولُ: «فمَنْ يَكُنْ عَالمًا بالعباراتِ المجرّدةِ وحِفْظِها دونَ حِفْظِ المَعنَى يُسمُّونَهُ عَالمًا، ومَنْ يَكُنْ عَالًما بِمعنَى الشّيءِ وحقيقتِهِ يُسمُّونَهُ عارفًا، ولذلك

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٢) «كشف المحجوب» (٢/ ٥١٤). (بلعم): عابدٌ مقبولُ الدُّعاءِ، حملَهُ قومُهُ على الدُّعاءِ على موسَى عليهِ السّلامُ وجيشِهِ. كذا يُذكرُ في غالب كُتبِ التفسيرِ عندَ قولهِ تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعْرَاف: ١٧٥]. أما (برصيصا): فجاء في كُتبِ التفاسيرِ أنه راهبٌ استطاعَ الشيطانُ أنْ يُضِلَّهُ فأوقعه في الزِّنَا ثُمَّ في الكُفرِ.

فإنَّ هذه الطّائفةَ يعني: الصُّوفيَّةَ حين يُريدونَ الاستخفافَ بأقْرَانِهِمْ يُسمُّونَهُمْ عُلَماءَ»(١).

الحاصلُ: أنَّ الصِّراعَ بَيْنَ أهلِ الحقِّ والصُّوفيَّةِ كان شديدًا، حتَّى صَدرتِ الأحكامُ فيهم بالكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ والمُرُوقِ مِنْ الدِّينِ، فمنهم مِنْ عُوقِبَ فأُقيمَ عليهِ الحَدُّ فقُتِلَ وصُلِبَ، ومنهم مَن أُخرِجَ مِنْ بَلَدِهِ. وهذا الأمرُ أزعجَ المُتَصَوِّفَةَ فأجمعوا أمرَهُمْ واجتهدوا في مَخرجٍ مِنْ هذا الأمرِ؛ سِتْرًا لقبائِحِهِمْ، وتزيينًا لباطلِهِمْ، وحِفاظًا على أجسادِهِمْ ورِقَابِهِمْ مِنْ إقامةِ الحُدودِ التي شَرعها اللهُ تعالَى على الزّنادقةِ والمارقينَ وغيرِ ذلك مِنْ ألوانِ العُقوباتِ العادلةِ التي تَلقّوْهَا على أيدي أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ.

▪ فهذا **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** قَدْ عقدَ كتابًا في «لُمَعِهِ» فقال: «كتابُ تفسيرِ الشّطحياتِ والكلماتِ التي ظاهرُها مُستشنعٌ وباطنُها صحيحٌ مستقيمٌ»؛ ليُقَرِّرَ فيه أنَّ إنكارَ الشَّطَحَاتِ والطّعنَ في قائلِيها بابٌ للهلاكِ والفِتْنَةِ، وأنَّ تأويلَها على وَفْقِ منهجِ أربابِها هو السّلامةُ والنّجاةُ، فيقولُ: «وليس لأحَدٍ أنْ يبسُطَ لِسَانَهُ بالوَقِيعةِ في الأولياءِ ويَقيسَ بِفهمِهِ ورأيِهِ مَا يسمعُ مِنْ ألفاظِهِمْ». ويقولُ: «لَا ينبغي لأحَدٍ أنْ يَظُنَّ أنّهُ يحوي جميعَ العُلومِ حتَّى يُخَطِّئَ برأيِهِ كلامَ المخصوصينَ ويُكفِّرَهُمْ ويُزَنْدِقَهُمْ، وهو مُتَعَرٍّ مِنْ مُمارسةِ أحوالِهِمْ ومُنازلةِ حقائقِهِمْ وأعمالِهِمْ»(٢). ثُمَّ أخذ يَعتذرُ ويَتكلّفُ في تأويلِ شَطَحَاتِ بعضِ شيوخِ الصُّوفيَّةِ كأبي يَزِيدَ والشِّبْليِّ وغيرِهما(٣).

كما عقد بَابًا لذكرِ جماعةٍ مِنَ المشايخِ الذين تعرّضوا لبعضِ الأحكامِ والعُقوباتِ في هذا الصّراعِ، يقولُ فيهِ: «فمنها مَا وقعَ لذي النّونِ المِصريِّ حيثُ شهدوا عليهِ بالكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ»(٤). «وأبو سعيدٍ الخَرَّازُ أنكرَ عليهِ جماعةٌ

(١) «كشف المحجوب» (٢/٦٢٦).
(٢) «اللُّمَع» (ص: ٤٥٣ ـ ٤٥٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ٤٥٩ ـ ٥١٦).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٤٩٨).

مِنَ العُلَمَاءِ ونسبوهُ إلى الكُفْرِ بألفاظٍ وجدوها في كِتابٍ صَنَّفَهُ وهو كِتابُ السِّرِّ»(١). «وسَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ التُّستريُّ كفّروهُ ونَسبوهُ إلى القبائحِ عِنْدَ العَامّةِ حتَّى وَثَبُوا عليهِ وأُخرجَ مِنْ تُسترَ»(٢). وذكرَ عددًا مِنَ المشايخِ حتَّى الجُنَيْدِ بأنّهم شهدوا عليهِ بالكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ(٣).

■ ويقولُ **أبو طَالِبٍ المَكِّيُّ** مُبَيّنًا مَقامًا مِنْ مَقاماتِ أهلِ المعرفةِ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ: «في هذا المقامِ يَعلمُ العبدُ أنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّهُ، ويقولُ العبدُ: بحقّي عليك، وبجاهي عندكَ. ويقولُ: بِحُبِّكَ لي. وهؤلاءِ هُمُ المدلُّون على اللهِ تَبارَكَ وتَعَالَى، والمستأنسون بِاللهِ تَعَالَى، وهُمْ جُلساءُ اللهِ تَعَالَى، قَدْ رفعَ الحشمةَ بينهُ وبينَهُم، وزالتِ الوحشةُ بينهم وبينهُ، فهم يتكلّمون بأشياءَ هي عِنْدَ العَامّةِ كفرٌ بِاللهِ تَعَالَى»(٤).

■ ويُبَيِّنُ **القُشَيْرِيُّ** طَرَفًا مِنْ هذا الصّراعِ فيقولُ: «سمعتُ أبَا عَلِيٍّ الدّقّاقَ يقولُ: **لمّا سعَى غُلامُ الخليلِ بالصُّوفيَّةِ إلى الخليفةِ أمرَ بِضَرْبِ أَعناقِهِمْ، فأمَّا الجُنَيْدُ فإنَّهُ تستّر بالفِقْهِ، وكان يُفتي على مذهبِ أبي ثَوْرٍ**»(٥).

■ ويقولُ **الهُجْويريُّ**: «أظهرَ غُلامُ الخليلِ عَداوتَهُ لهذهِ الطّائفةِ، وسَلَكَ مع كُلٍّ مِنهم لَوْنًا مِنَ الخُصومةِ، فأخذوا النُّوريَّ والرّقامَ وأبا حمزةَ، وحملوهم إلى دارِ الخلافةِ، وقال غُلامُ الخليلِ: **هؤلاءِ قَوْمٌ مِنَ الزّنادِقَةِ**»(٦).

■ ويقولُ **عَيْنُ القضاةِ الهمذانيُّ** عَنْ أبي حمزةَ البغداديِّ الصُّوفِيِّ: «كان لهُ في جميعِ عُلومِ الصُّوفيَّةِ لِسَانٌ، سَمِعُوا منهُ في حالِ سُكْرِهِ كَلامًا شَهِدوا عليهِ بالزَّنْدَقَةِ ومذهبِ الحُلوليَّةِ، وأخرجوهُ مِنْ طرسوسَ، وأُغيرَ على دَوابِّهِ ونُودِيَ عليها: هذه دَوابُّ الزّنديقِ»(٧).

---

(١) المصدر نفسه (ص: ٤٩٩).
(٢) المصدر نفسه (ص: ٤٩٩).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٥٠٠).
(٤) «قوت القُلوب» (٢/ ٧٧).
(٥) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٠٣).
(٦) «كشف المحجوب» (٢/ ٤٢١).
(٧) رسالة «شكوى الغريب» (ص: ٢١).

■ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ**: «**وما خَلَقَ اللهُ أشقَّ ولَا أشدَّ مِنْ عُلَماءِ الرُّسُومِ على أهلِ اللهِ المُختَصّينَ بخدمتهِ، العارفينَ بهِ مِنْ طريقِ الوهبِ الإلٰهيِّ، الذين مَنحَهُمْ أَسرارَهُ في خَلْقِهِ، وفَهَّمهُمْ معانيَ كتابهِ وإشاراتِ خِطَابِهِ، فَهُمْ لهذه الطّائفةِ مِثلُ الفَرَاعِنةِ للرُّسُلِ** عليهم السلام»[(١)]. ويَصِفُ عُلَماءَ الرُّسُوم بقولهِ: «أخذوا العِلْمَ مِنَ الكُتُبِ ومن أفواهِ الرّجالِ الذين مِنْ جِنسِهِمْ، ورَأوْا في زَعمِهِمْ أنّهم مِنْ أهلِ اللهِ بِمَا عَلِمُوا وامتازوا بهِ عَنِ العَامّةِ، حَجَبَهُمْ ذلك عَنْ أنْ يَعلموا أنَّ للهِ عبادًا تولَّى اللهُ تَعليمَهُمْ في سَرائرِهِمْ»[(٢)].

■ وما زال **الصُّوفيَّةُ** يَتباكوْنَ على **الحلَّاجِ** وغيرهِ مِمَّن أفتَى العُلَمَاءُ بقتلِهِمْ وتكفيرِهِمْ في ذلك الصّراعِ بَيْنَ الحقِّ والباطلِ. يقولُ **اليافعيُّ** ـ في ترجمتهِ للحلَّاجِ وقَدْ ذكرَ طائفةً مِنْ مَشايخِ الصُّوفيَّةِ الذين قَبِلوا الحلَّاجَ واعترفوا بفضلهِ، ومنهم عبدُ القادرِ الجيلانيُّ، وأبو حَامِدٍ الغَزاليُّ، وشهابُ الدِّينِ السّهرورديُّ، وذَكرَ دِفاعَهُمْ عنهُ ومِنْ قولِ الجيلانيِّ فيه ـ: «**عَثَرَ الحلَّاجُ فلم يَكُنْ في زمنهِ مَنْ يأخذُ بيدهِ**، ولَوْ كنتُ في زَمَنِهِ لأخذتُ بيدِهِ، وأنا لِكُلِّ مَنْ عَثَرَ مَركوبُهُ مِنْ أصحابي ومُريديَّ ومُحبيَّ إلى يوم القِيَامَةِ آخذٌ».

ثُمَّ ذكرَ دفاعَ **الغَزاليِّ والسهرورديِّ** عنهُ، ثُمَّ قال: «**إنَّ الحلَّاجَ ظفرَ بهِ سُلطانُ الشَّرْعِ، وأبو يَزِيدَ تحصَّنَ بدرعِ الحالِ الذي هو عَنْ سِلاحِ تَسَلُّطِ السُّلْطانِ سَاترٌ**، وما أحسنَ مَا أشارَ بهِ بعضُ أربابِ الأحوالِ في وقوعِ الحلَّاجِ دونَ أبي يَزيدَ حيثُ قال: الحلَّاجُ خرجَ مِنْ بحرِ الحقيقةِ إلى السَّاحلِ، وظُفِرَ بهِ فأُسِرَ وأُقِيمَ عليهِ الحدُّ، وأمَّا أبو يَزيدَ فلمْ يَخرجْ مِنْ بحرِ الحقيقةِ والتّحقيقِ، فلم يَكُنْ لَهمْ إلى الظَّفرِ بهِ طريقٌ»[(٣)].

■ وقَدْ جَمعَ **الشَّعرانيُّ** أحوالَ طائفةٍ كبيرةٍ مِنْ مشايخِ الصُّوفيَّةِ الذين

---

(١) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٧٩).
(٢) «مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٦).
(٣) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٧٩).

نالهَم الأذَى في ذلك الصّراعِ فيقولُ: «ونقلَ الثِّقاتُ عَنْ **أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ** أنّهم نَفوْهُ مِنْ بلدهِ سبعَ مراتٍ.. وكذلك وقعَ **لذي النُّونِ المصريِّ**.. وحملوهُ مِنْ مِصْرَ إلى بغدادَ مَغلولًا مُقيّدًا.. وكذلك وقعَ **لسمنونَ المُحبِّ**.. هو وجماعةٌ مِنَ الصُّوفيَّةِ.. فأمرَ الخليفةُ بضربِ عُنُقِ سمنونَ وأصحابهِ فمنهم مَنْ هَرَبَ ومنهم مَنْ توارى سنينَ... وكذلك وقعَ **لأبي سعيدٍ الخرّازِ** الذي أفتَى العُلَمَاءُ بتكفيرهِ بألفاظٍ وجدوها في كُتبهِ... وكذلك شَهِدوا على **الجُنَيْدِ** حين كان يُقَرِّرُ في عِلْمِ التوحيدِ ثُمَّ إنّهُ تَستّرَ بالفِقْهِ واختفَى، وأخرجوا **مُحَمَّدَ بنَ الفُضيلِ البلخيَّ** بسببِ المذهبِ... وعقدوا **لعَبْدِ اللهِ بنِ أبي حمزةَ** مَجلِسًا حين قال أنّهُ يَجتمعُ بِالنَّبيِّ ﷺ يقظةً فلزمَ بَيْتَهُ فلمْ يَخرجْ إلَّا للجُمُعةِ حتَّى ماتَ، وأخرجوا **الحكيمَ التِّرْمِذِيَّ**[١] حين صَنَّفَ كتابَ «عِلَلِ الشَّريعةِ» وكتابَ «ختمِ الأولياءِ» ثُمَّ يَزْعُمُ الشَّعرانيُّ أنَّ **الحكيمَ** ألقَى كُتبَهُ في البحرِ فابتلعَتْها سَمكَةٌ سِنينَ ثُمَّ لفظَتْها وانتفعَ النَّاسُ بِهَا.. وأخرجوا **أبا الحَسَنِ البوشنجيَّ** وأنكروا عليهِ وطردوه إلى نَيسابورَ حتَّى ماتَ.. وأخرجوا **أبا عُثْمَانَ المغربيَّ** مِنْ مَكّةَ بَعْدَ ضَرْبِهِ على رأسهِ ومِنكبيهِ.. وشَهِدوا على **السُّبْكيِّ** بالكُفْرِ مرارًا.. **وأبو بَكْرٍ النّابلسيُّ** أخرجوه مِنَ المغربِ مُقيّدًا إلى مِصْرَ وشهدوا عليهِ عِنْدَ السُّلْطانِ فأُخِذَ وسُلِخَ وهو حَيٌّ ثُمَّ قُتِلَ، وأخرجوا **أبا مَدْيَنَ المغربيَّ**».

وذكرَ **الشَّعرانيُّ** طائفةً أُخْرَى مِمَّن تعرّضَ للعقابِ مِنْ قِبَلِ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ مِمّا يَدُلُّ على اعترافِ **الصُّوفِيَّةِ** أنفسِهِمْ بموقفِ عُلَمَاءِ **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** منهم ومِنْ مذهبِهِم، وذكرَ فيهِمُ: **الغَزاليَّ، وأبا الحَسَنِ الشّاذليَّ، وأَحْمَدَ الرِّفَاعِيَّ، وابنَ عَرَبِيٍّ، وعُمَرَ بنَ الفارضِ، وعبدَ الحقِّ بنَ سبعينَ وغيرَهُمْ**[٢].

---

(١) هو غيرُ الإمامِ التِّرْمِذِيِّ أبي عيسَى المشهورِ، مؤلّفِ كتابِ «السُّننِ» أحدِ الكُتبِ السّتّةِ الشّهيرةِ رَحِمهُ اللهُ تعالَى.

(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥ ـ ١٧).

وقال عَنِ الحلَّاجِ: «**وأمَّا الحلَّاجُ فإنَّهُ كانَ مِنَ القومِ وهو الصّحيحُ، فلا تخفَى مِحنَتُهُ**». ثُمَّ ذكرَ وزَعَمَ كراماتٍ حَصلَتْ لهُ في حياتِهِ، ثُمَّ قال: «وضُرِبَ ألفَ سَوْطٍ فلمْ يَتأوّهْ، وقُطِعَتْ يداهُ ورِجلاهُ وصُلِبَ ثُمَّ أُحْرِقَ بِالنَّارِ، ووقعَ الاختلافُ فيه بَيْنَ النَّاسِ أهو الذي صُلِبَ، أم رُفِعَ كما وقعَ في عِيسَى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؟»[(١)].

وقال **الشَّعرانيُّ** أيضًا: «**وقَدْ كانَ أهلُ بَلَدِ أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ يَرمونهُ بالزَّنْدَقَةِ ويقولون هذا يُظْهِرُ الإسلامَ ويُخفي الكُفْرَ**»[(٢)].

وقَدْ نقلَ **الشَّعرانيُّ** عَنِ **الجُنَيْدِ** قولَهُ: «**لَا يَبلغُ الرجلُ عِندَنا مبلغَ الرّجالِ حتَّى يَشْهَدَ فيهِ ألْفُ صِدِّيقٍ مِنْ عُلَماءِ الرُّسُومِ بأنّهُ زِنديقٌ، وذلكَ لأنَّ أحوالَهَمْ مِنْ وراءِ النَّقْلِ والعَقْلِ**»[(٣)]. فهذه شهادةٌ مِنْ شُيوخِهِمْ على أنفسِهِمْ.

هذه أقوالُ بعضِ أعلامِ أهلِ التَّصَوُّفِ وشَهاداتُهُمْ على أنفسِهِمْ مِمَّا يَدُلُّ على جُهودِ عُلَماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ وأُمرائِهِمْ في إنكارِ المُنْكرِ وتَغييرِهِ وإقامةِ الحُدودِ والعُقوباتِ على المُبتَدِعَةِ والزّنادقَةِ والمُلحدينَ في جميعِ العصورِ.

ولقَدْ تنبّهَ دُعَاةُ التَّصَوُّفِ أثناءَ هذا الصّراعِ وخَاصَّةً بَعْدَ مَقْتَلِ الحلَّاجِ إلى ضرورةِ الْتزامِ السّرّيَّةِ في دَعْوَتِهِمْ وإخفاءِ حقائِقِهِمُ الكُفْريَّةِ عَنْ أهلِ العِلْمِ وعَامَّةِ النَّاسِ، فاخترعوا مَبدأَ السّرّيَّةِ وكتمانَ الحقائقِ والمعارفِ والكشوفاتِ المزعومةِ عَنْ غيرِ أهلِها. الأمرُ الذي انتهى بِهم إلى مُوافقةِ شُيوخِهِمْ وأسيادِهِمُ الرَّافِضَةِ في القولِ بالتَّقِيَّةِ، والاستفادةِ مِنْ خِبرتِهمْ وتَجربتِهمْ في نَشْرِ الباطلِ ومُحاربةِ الإسلامِ.

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٧).
(٢) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ»، بهامش «الطبقات» (١/ ١٤٧).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٣٤).

كما اخترعوا حكاياتٍ كثيرةً تَحُثُّ المُريدينَ والأتباعَ على التّسليم لشُيوخِ التَّصَوُّفِ وعَدمِ الإنكارِ عَليهِم في كُلِّ مَا يَروْنَهُ مِنهم مِمَّا هو مُخالفٌ في ظَاهرهِ بِزَعْمِهِمْ للشَّرْعِ، وحاولوا جَهدَهُمْ في إقناعِ العَامّةِ مِنَ النَّاسِ أنَّ أعمالَ الصُّوفيَّةِ وأقوالَهُمْ لَا يَجوزُ إنكارُها مِنْ غيرِ أهلِها لأنّهم مَا ذاقوا ولَا وَجَدُوا بِزَعْمِهِمْ.

كما استشهدوا بحكاياتٍ تُخوِّفُ العَامّةَ مِنْ حُصولِ الأضرارِ في الأموالِ والأبدانِ لِمنْ يُنكِرُ على الصُّوفيَّةِ حتَّى في قَلبِهِ بينهُ وبَيْنَ نفسِهِ، وقَدْ نَجحُوا في هذا إلى حَدٍّ مَا، فنرَى بعضَ العُلَمَاءِ يَتحرّجُونَ مِنْ ذِكْرِ الصُّوفيَّةِ بالجرحِ والتّكفيرِ، ويُحاولون الاعتذارَ لَهمْ بِحُجّةِ أنّهُمُ اشتهروا بِالزُّهْدِ والعبادةِ وصلاحِ الأحوالِ الظاهرةِ، فمِن ذلك:

- ما روى **السّرّاجُ الطوسيُّ** بِإسنادِهِ إلى **الجُنَيْدِ** قال: «كنتُ أصحبُ هذه الطائفةَ وأنا حَدَثٌ، فكنتُ أسمعُ منهم كَلامًا لَمْ أفهمْ عنهم مَا يقولون، إلَّا أنَّ قَلبي قَدْ سَلِمَ مِنَ الإنكارِ عَليهِم، فبذلك نِلْتُ مَا نِلْتُ»(١).

إنّها دَعوةٌ وتَرغيبٌ لمنْ أرادَ أنْ يَنالَ الدّرجاتِ والمقاماتِ المزعومةَ في عَالَمِ التَّصَوُّفِ فإنَّ عليهِ التّسليمَ لجميعِ المُنْكراتِ والمُخالفاتِ وتركَ الإنكارِ على الشيوخِ.

- ويقولُ **ابنُ عَرَبيٍّ** مفسّرًا قولَ اللهِ تَعالَى: ﴿**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١]: «هُمْ أصحابُ عِلْمِ الرُّسُومِ، وأكثرُ أهلِ النّظرِ الفكريِّ مِنَ الفلاسفةِ وأصحابِ الكلامِ يُصدّقون ببعضِ مَا يأتي بهِ أولياءُ اللهِ، مِمَّا يَتحقّقونَ بهِ مِنَ المواجيدِ والأسرارِ التي شَاهدوها ووجدوها، فما وافقَ نظرَهُمْ وعِلْمَهُمْ صَدّقوا بهِ، وما لَمْ يُوافقْ نَظرَهُمْ وعِلْمَهُمْ رَدّوه وأنكروه..

(١) «اللُّمَع» (ص: ٤٧٥).

فهلّا سلمَ هذا القولُ لصاحبهِ ولَا يَلزمُهُ التّصديقُ فكان يَجني ثَمرةَ التّسليم. **وأنا واللهِ! أخافُ على المُنْكِرينَ على هذه الطائفةِ**، وقَدْ قال بعضُهُمْ: **مَنْ قعدَ مَعهم ـ يَعني: مع أهلِ الحقائقِ مِنَ الصُّوفيَّةِ ـ وخَالفَهُمْ في شَيْءٍ مِمَّا يَتحقّقونَ بهِ؛ نَزَعَ اللهُ نورَ الإيمانِ مِنْ قَلبهِ**»[١].

بل إنك والله تخاف على عنقك أن تُقطع أو تضرب في سبيل الله، وعلى دمك أن يراق في ذات الله، كما فعل المنكرون بالحلاج وغيره، يتقربون بقتلك وأمثالك إلى الله تعالى ويذبون عن دينه وشرعه.

▪ ويقولُ **الشّعرانيُّ**: «فالْزَمِ الأدبَ مع الذّاكرينَ وغيرِهِمْ، فإنَّهُ في الحقيقةِ أَدبٌ مع اللهِ تَعَالَى، فَافْهَمْ ولَا تكنْ مِنَ الغافلينَ، فإنَّ وَبَالَ ذلك يَرجِعُ عليك في الدُّنيا والآخرةِ بالمقْتِ والطّردِ، كما هو مُشَاهَدٌ في أهلِ الإنكارِ على الأولياءِ». ثُمَّ يستشْهِدُ بقولِ التّاجِ السُّبكيِّ: «مَا رأينا أحدًا مُبتلًى بالإنكارِ إلَّا وكانتْ خَاتمتُهُ خاتمةَ سُوءٍ»[٢]. ويقولُ أيضًا: «واحذرْ مِنْ أنْ تَذْكُرَ الأولياءَ الذين مَضَوْا بِسُوءٍ؛ لِمَا تنظرُ في كلامِهِمْ مِنَ التّلوينِ كسيّدي عُمَرَ بنِ الفارضِ وسيّدي مُحْيِي الدِّينِ وغيرِهِمْ»[٣].

وقَدْ شحنَ الشَّعرانيُّ «كِتابَهُ» ـ أثناءَ ذِكْرِ تَراجمِ أسيادهِ وشُيوخهِ ـ بالحكاياتِ الكاذبةِ تخويفًا للنَّاسِ مِنَ الإنكارِ على الشُّيوخِ، **منها**:

ـ أنه يَذكرُ أنَّ ثلاثةَ فقهاءٍ أنكروا على صُوفِيٍّ لَحْنَهُ في القُرآنِ فسلّطَ الشّيْخُ عَليهِم أسدًا عظيمًا[٤].

ـ ويذكرُ أنَّ مُنْكِرًا جاءَ إلى قَبْرِ ابنِ عَرَبِيٍّ فخُسِفَ بهِ وابتلعَتْهُ الأرضُ[٥].

ـ وأنَّ مِنَ الشيوخِ مِنْ يَحبسُ بَوْلَ الفُقهاءِ والقُضاةِ والسّلاطينَ الذين حكموا عليهِ بالكُفْرِ واتّهمُوهُ في دِينهِ وخُلُقِهِ[٦].

---

(١) كتاب «الفناء» ـ ضمن رسائل ابنِ عَرَبي (ص: ٧ ـ ٨).
(٢) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّة» ـ بهامش «الطبقات» (١/ ١٢٦).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).
(٤) «الطّبقات الكبرَى» (١/ ١٤٧).
(٥) «الطّبقات الكبرَى» (١/ ١٨٨).
(٦) المصدر السابق (١/ ٢٠٤).

ـ ويذكرُ عَنْ شَيْخِهِ **(أحمدَ المُلَثّم)** الذي عاشَ أربعمائةَ سنةٍ ـ كما يَزعُمُونَ ـ فيقولُ: «وكان أهلُ مِصْرَ لَا يَمنعونَ حَريمَهُمْ منهُ في الرّؤيةِ والْخَلْوَةِ، فأنكرَ عليهِ بعضُ الفُقهاءِ، ثُمَّ أنّهُ حكمَ على الفَقيهِ بالموتِ بَعْدَ أيامٍ فماتَ. وكذلك هَدَّدَ القاضي الذي كتبَ فيه مَحضرًا بتكفيرِهِ، فهَدّدَهُ بسلبِ الإيمانِ منهُ فتابَ القاضي»[١].

ـ وقَدْ ذكرَ في ترجمةِ سيِّدِهِ أحمدَ البدويِّ ألوانًا مِنَ العُقوباتِ التي أنزلَها هذا الصُّوفِيُّ الهالكُ في المُنْكِرينَ عليهِ، سواءٌ كانوا مِنَ الفُقهاءِ والقُضاةِ وحتَّى السّلاطينِ أم مِنَ العَامّةِ[٢].

ـ كما إنّهُ يَستعملُ في «كتابِهِ» ألفاظًا شَرعيَّةً لَا تَليقُ بالمخلوقينَ، بلْ هي مِنْ حقِّ اللهِ تباركَ وتَعَالَى، كقولِهِ: «فتابَ إليه». وقولِهِ: «فاستَغْفَروا»[٣]؛ يعني: توبةَ واستغفارَ المُنْكِرينَ إلى الشّيْخِ الصُّوفيِّ.

بِمثْلِ هذه الخُرافاتِ تَمكَّنَ الصُّوفيَّةُ مِنْ تخويفِ الكثيرِ مِنْ عَوامِّ المُسلِمينَ بلْ وبعضِ خواصِّهم مِنَ التّكلُّمِ في شُيوخِهِمْ أو حتَّى مِنْ إساءةِ الظَّنِّ بِهم على الرَّغْمِ مِنِ ارتكابِهِمُ الفواحشَ والمُنْكراتِ.

الحاصلُ: أنَّ الصُّوفيَّةَ استغنوا ـ بِمَناهِجِهِمْ ومَصادرِهِمُ المتعدّدةِ في التَّلقّي ـ عَنِ السُّنَّةِ النَّبَويَّةِ، وتجرّأوا على السُّنَنِ والآثَارِ بالتّصحيحِ والتَّضعيفِ حسب مَا يُوافقُ مذهبَهُمْ بحُجّةِ الكَشْفِ والتَّلقّي عَنِ اللهِ تَعَالَى وعَنْ رَسُولِهِ ﷺ مُباشرةً، شأنُهم في ذلك شأن الرَّافِضَةِ في رَدِّ السُّنَّةِ والاستعاضةِ عنها بأقوالِ أئِمَّتِهِمْ وأحوالِ طُغَاتِهِمْ.

ونتيجةً لتقسيمِ الدِّينِ إلى **ظاهرٍ وباطنٍ**، والعِلْمِ إلى **كسبيٍّ ولَدُنِّيٍّ**، وموقفِهِمُ السَّيِّئِ مِنَ **القُرآنِ والسُّنَّةِ**؛ نراهُمْ قسّموا العُلَماءَ إلى: أهلِ

(١) المصدر نفسه (١/ ١٥٧).
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٨٣ ـ ١٨٧).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٠٤).

الحقائقِ، وأهلِ الرُّسُومِ أَوِ العَامّةِ، ثُمَّ طعنوا في أهلِ الحقِّ بألقابٍ اخترعوها وحكاياتٍ دوّنوها في مُصَنّفَاتِهِمْ، تنفيرًا للنَّاسِ عنهم وعَنِ العِلْمِ الشَّرعيِّ الذي يَكشِفُ زَيْفَهُمْ وباطلَهُمْ. وهذا الأمرُ أدّى إلى صِراعٍ بَيْنَ الحقِّ والباطلِ، صَحِبَهُ قَتْلُ وتشريدُ وطَردُ عَدَدٍ مِنَ المُنحرفينَ مِنَ الرَّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ، مِمَّا أدّى بِهم إلى اللّجُوءِ إلى **التَّقِيَّةِ** إشفاقًا منهم على أرواحِهِمْ وأبدانِهِمْ مِنَ القتلِ والعقابِ، وإظهارًا لباطلِهِمْ وضلالِهِمْ بمظاهرَ تَروجُ بَيْنَ النَّاسِ وتحظَى بالقبولِ. وسيأتي تفصيلُ مسألةِ التَّقِيَّةِ في المبحثِ القادمِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فالهدَفُ والغايةُ والنّتيجةُ عندَ **الرّافضةِ والصُّوفيَّةِ** واحِدةٌ، وإنّما اختلافُهم في الوسيلةِ. **فالرّافضةُ** طعنوا في الصَّحابةِ وكفَّروهم بأعيانِهم، و**الصُّوفيَّةُ** استغنوا عَنِ الصَّحابةِ ومرويّاتِهم ومناهجِهم واستبدلوا ذلكَ بمنهجِهم ورجَّحوهُ على مَنهجِ السَّلَفِ.

والحاصلُ: أنَّ كُلًّا مِنَ الفريقينِ يعملُ على صَدِّ النَّاسِ عَنِ الدّينِ الحقِّ، ونشرِ باطلِهم وضلالِهم والعياذُ باللهِ تعالَى.



المبحث الرابعُ

التَّقِيَّةُ

وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:

التمهيدُ: تعريفُ (التَّقِيَّةِ) لُغَةً واصطلاحًا، وموقفُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ منها.

- المطلبُ الأوّلُ: التَّقِيَّةُ والكِتْمَانُ عندَ الشِّيعةِ.
- المطلبُ الثاني: التَّقِيَّةُ والكِتْمَانُ عندَ الصُّوفِيَّةِ.

* * *

تمهيد

تعريفُ (التَّقِيَّةِ) لُغَةً واصطلاحًا وبيانُ موقفِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ منها

ذكرَ **الأزهريُّ** أنَّ: «التُّقَاةُ والتَّقِيَّةُ والتَّقْوَى والاتِّقاءُ؛ كُلُّهُ واحدٌ. وأَصلُهُ مِنْ: وَقَيْتُ نفسي أَقِيها»[(١)]. وذكرَ **الجوهريُّ** أنَّ: «التَّقْوَى والتُّقَى؛ واحدٌ. والتُّقَاةُ: التَّقِيَّةُ. يُقَالُ: اتَّقَى تَقِيَّةً وتُقَاةً»[(٢)]. وقال **الفيروزآبادي**: «واتَّقَيْتُ الشّيْءَ وتَقَيتُهُ أَتَّقِيه. وأَتَّقِيَهُ تُقًى وتَقِيَّةً إذا حذَرْتُهُ»[(٣)].

- **فالتَّقِيَّةُ لُغَةً**: مِنَ الوِقَايةِ، بِمعنَى: صيانةُ النّفسِ أوِ المالِ أو غيرِ ذلك، ودفعُ الضّررِ عن ذلك.
- **واصطلاحًا**: أنْ يَصونَ المرْءُ نَفسَهُ في حالِ ضَعْفِهِ بمُدَاراةِ الكُفّارِ

(١) «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٥٧).
(٢) «الصحاح، تاج اللُّغةِ» (٦/ ٢٥٢٧).
(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ٤٠١).

الغالبينَ، فيُظْهِرُ لَهمْ مَا يَدفعُ بِهِ عَنْ نفسهِ أو مَالِهِ أو غيرِ ذلك، وإنْ كان مِمَّا يَحظرُ عليهِ شَرعًا إظهارُهُ، قال تَعالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال **إمامُ المفسّرينَ الطَّبَرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ ذكرهِ أقوالَ السَّلَفِ والأئِمَّةِ في هذهِ الآيةِ: «فالأغلبُ مِنْ مَعاني هذا الكلامِ: **(إلَّا أنْ تخافوا مِنهم مَخافةً)**، فالتَّقِيَّةُ التي ذكرَها اللهُ في هذه الآيةِ إنَّمَا هي تَقِيَّةٌ مِنَ الكفارِ لَا مِنْ غيرِهِمْ». وأسندَ إلى **ابنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قولَهُ: «فالتَّقِيَّةُ باللِّسَانِ: مَنْ حُمِلَ على أمرٍ يَتكلّمُ بهِ ـ وهو مَعصيةٌ للهِ ـ فيَتكلّمُ بهِ مَخافةَ النَّاسِ وقَلبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ، فإنَّ ذلك لَا يَضرُّهُ، إنَّمَا التَّقِيَّةُ باللّسانِ»(١).

وقال **الإمامُ ابنُ كَثيرٍ** رَحِمَهُ اللهُ: «نَهى اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى عِبادَهُ المُؤمنينَ أنْ يُوالوا الكافرينَ، وأنْ يتّخذوهم أولياءَ، ويُسِرّونَ إليهمْ بالمودَّةِ مِنْ دونِ المؤمنينَ، ثُمَّ تَوعّدَ على ذلك: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾؛ أَيْ: مَنْ خافَ في بعضِ البُلدانِ والأوقاتِ مِنْ شَرِّهِم؛ فلَهُ أنْ يَتّقِيَهُمْ بظاهرهِ لَا بِباطِنهِ ونِيّتهِ»(٢).

وقَدْ تكلّمَ العُلَمَاءُ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في التَّقِيَّةِ وأحكامِها بِمَا خُلاصتُهُ أنَّها تُشْرَعُ وتَجوزُ عِنْدَ خوفِ المُسْلِمِ على دِينِهِ أو نفسهِ أو مالِهِ إذا كان بَيْنَ أَظْهُرِ الكافرينَ الغالبينَ إذا أَكرهُوهُ على ذلك، فيُظْهِرُ لَهمْ بلسانِهِ وظاهرِهِ مَا يَدفعُ بِهِ عَنْ نفسهِ ضُرَّهُمْ وشَرَّهُمْ لِيُحَافِظَ على نفسهِ أو مَالِهِ أو عِرضِهِ، ولَا يُظْهِرُ لَهُمُ العَداوةَ الواجبةَ عليهِ شَرْعًا تجاهَهُمْ، بلْ يُوافِقُهُمْ في أقوالِهِ وأحوالِهِ الظاهرةِ فَقَطْ. وهي رُخصةٌ وليستْ عزيمةً، فإذا أظهرَ دِينَهُ

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القُرآن» لابنِ جَريرٍ (٣/ ٢٢٩).

(٢) «تفسير القُرآن العظيم» لابنِ كَثيرٍ (١/ ٣٥٧).

وعَداوتَهُ للكافرينَ حيثُ جازَ لهُ استعمالُ التَّقِيَّةِ كان أفضلَ وأولَى، وإنْ قُتِلَ كان شهيدًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

والتَّقِيَّةُ جَائزةٌ إلى يومِ القِيَامَةِ على أرجحِ قَوْلَي العُلَمَاءِ، هذا هو مَذْهَبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في هذه المسألةِ، وقَدْ توسّطوا فيها بَيْنَ طَرفيْنِ مُتقابليْنِ، وهما: الخوارجُ الغُلاةُ في الإفراطِ، والشِّيعَةُ الغُلاةُ في التّفريطِ.

• **فالخوارجُ**: غَلَوا في التّشديدِ، فحرّموا استعمَالها في حِفْظِ ومُراعاةِ النّفسِ والمالِ والعِرْضِ في مُقابلِ شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ.

• وأمّا **الرَّافِضَةُ** : فقد توسّعَوا وأساؤوا استعمالَها، فأوجبوها على أتباعِهِمْ وشِيعَتِهِم وُجُوبًا مُطلقًا وجعلوها دِينًا وشَريعةً، فتارِكُها وتَارِكُ الصّلاةِ بمنزلةٍ واحدةٍ. وأوجبوا استعمالها في جميعِ الأوقاتِ والأحوالِ ومع جميعِ الخلقِ فلا فرقَ بَيْنَ مُسْلِمٍ وكافرٍ، بلِ استعملوها حتَّى مع الشِّيعَةِ أنفسِهِمْ، ورَغّبُوا في ذلك وحَثُّوا عليهِ؛ لِيَختلِطَ الأمرُ على النَّاسِ، فغدوا لَا يُعرَفُ لَهمْ صِدْقٌ مِنْ كَذِبٍ ولا حقٌّ مِنْ باطلٍ. يُريدونَ مِنْ هذا كُلِّهِ إيجادَ مَخرجٍ لَهمْ مِنْ جميعِ التّناقُضاتِ والأخطاءِ التي تَظهَرُ في مذهبِهِمْ وأحوالِ أئِمَّتِهِمْ، وها هُمْ يتأوّلونَ جميعَ النُّصوصِ التي تَصطدِمُ بمذهبِهِمْ وتوافقُ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ مِمَّا يُستدلُّ بِهَا على رَدِّ أقوالِهِمْ وعَقائِدِهِمْ، فيَزْعُمُونَ أنَّها صدرتْ عنهم تَقِيَّةً ومُداراةً.

وهكذا تمكّنوا مِنْ تأويلِ مَا لَا يُوافِقُ هَواهُمْ بهذه البدعةِ المشؤومةِ **التَّقِيَّةِ** التي جعلوها أصلًا عظيمًا وحِصنًا مَنيعًا يَتحصّنونَ بِهَا مِنْ كُلِّ رَدٍّ ومُناقشةٍ مَوضوعيَّةٍ، وأسّسوا على ذلك دِينَهُمْ، وأشاعوا استعمالَها بينهم، وصَبغُوها بصبغةٍ شَرعيَّةٍ كاذبةٍ؛ فزعموا أنَّ أنبياءَ اللهِ ورُسُلَهُ دَأَبُوا على استعمالِها فهي مِنْ سُنَنِهِمْ، وحرّفوا كلامَ اللهِ تَعَالَى عَنْ مَواضعهِ بتحريفِ مَعانيهِ بتأويلاتِهِمُ الخبيثةِ التي نَسبُوها إلى أئِمَّتِهِمْ وأهلِ عِصمَتِهِمُ افتراءً على اللهِ تَعالَى وعلى رُسُلِهِ وعلى الأئِمَّةِ.

وغَايتُهُمْ مِنْ هذا كُلِّهِ إقناعُ شِيعَتِهِم ومَنْ وافقَهُمْ ببُطلانِ إمَامةِ الخُلَفاءِ الثّلاثَةِ الراشدينَ والطَّعنِ فيهم وفي جُمهورِ الصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمْ جميعًا ـ حَملَةِ الدِّينِ والشَّريعَةِ والمنهجِ الحقِّ، بُغيَةَ إبطالهِ وترويج رَفْضِهِمْ.
ولهم غايةٌ أُخْرَى هي مُعالجتُهُمْ للكثيرِ مِنَ المسائلِ التي تَرِدُ عَليهِم في الإمامةِ، وما نسبوهُ إلى الأئِمَّةِ مِنْ صِفَاتٍ وخصائصَ رَفعوهُمْ بِهَا عَنْ مستوى البَشَرِ، الأمرُ الذي أَوقعَهُمْ وما زالَ في المآزقِ التي لَا يَجدون لها مَخرجًا إلَّا في التَّقِيَّةِ. فالتَّقِيَّةُ تَرتبِطُ بالإمامةِ ارتباطًا وثيقًا وهي مِنْ لَوازِمِها ونَتائِجِها، ولَا يُمكنُ للشِّيعَةِ تَرْكُها إلَّا بإبطالِ اعتقادِهِمْ في الإمامةِ المزعومةِ المفتراةِ.

إنَّ الشِّيعَةَ ومَنْ وافقَهُمْ في هذا المعتقدِ يَقِفونَ مُقابلَ جميعِ المذاهبِ والنِّحَلِ الأُخْرَى في العالَمِ كُلِّهِ قديمهِ وحديثِهِ، فجميعُ المذاهبِ تَدعوا إلى مَا تقرّرَ في جميعِ الفِطَرِ والنُّفوسِ ـ واتّفقَ عليهِ النَّاسُ جميعًا على اختلافِ أُصُولِهِمْ وألوانِهِمْ وعُقولِهِمْ وحتَّى أديانِهِمْ ومذاهِبِهِمْ ـ مِنَ التزامِ الصِّدْقِ ونَبْذِ الكَذِبِ والغدرِ والخداعِ في جَميعِ الأقوالِ والأفعالِ الاختياريَّةِ، والوفاءِ بالعَهْدِ والوعدِ، وغيرِ ذلك مِنَ الفضائلِ، وتَندُبُ إلى تَحمُّلِ الأذى في سبيلِ ذلك، إلَّا أهلَ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ ومَنْ وَافقَهُمْ؛ فقَدْ **بَنوْا دِينَهُمْ على التَّقِيَّةِ وإظهارِ خلافِ مَا يُبطِنونهُ في جميعِ أحوالِهِمْ مُخَتارينَ لذلك غيرَ مُكْرهينَ**.

وإنَّ الإسلامَ الذي يَنتسِبُ إليه هؤلاءِ المُنحرفونَ قَدْ بلغَ الغايةَ في الحثِّ على الفضائلِ والْتِزَامِها مع نَبْذِ الرّذائلِ واجتنابِها، وذلك لأنّهُ الدِّينُ الذي رَضِيَهُ اللهُ تَعَالَى لخلقهِ وأَكمَلَهُ لَهمْ وأتمَّ بهِ النّعمةَ عَليهِم وخَتَمَ بهِ جميعَ الأديانِ والشّرائعِ.

هذا، وقَدْ ذكرَ اللهُ تَعَالَى الصِّدْقَ وفَضْلَهُ في آياتٍ كثيرةٍ وأَثْنَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أهلِ الصِّدْقِ مِنَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ والمؤمنينَ، **فمن ذلك**:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال تباركَ وتعالَى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وغيرِ ذلك مِنَ الآياتِ الكثيرةِ التي تَحُثُّ على الصِّدْقِ وتُرَغِّبُ فيه وتُبيِّنُ فَضْلَهُ وثوابَهُ العظيمَ.

وكذلك جاءتِ السُّنَّةُ تُرَغِّبُ أهلَ الإيمانِ بالصِّدْقِ والتزامِهِ وتحرّيهِ وتُبيِّنُ فَضْلَهُ:

- روَى الشَّيْخانِ رَحِمَهُما اللهُ في «صَحيحَيْهِما» مِنْ حديثِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١). يَحثُّ رَسولُنا الكريمُ ﷺ على الصِّدْقِ ويبشِّرُ بحُسْنِ عاقبةِ الصَّادقينَ ويُحذِّرُ مِن الكذبِ وعاقبتِهِ الوخيمةِ.

- وروَى البُخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ حديثَ أبِي سُفْيَانَ مع هِرَقْلَ وفيه أنّهُ سألهُ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: «**اُعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.. وَيَأْمُرُنَا بالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ..**». وفي أوّلِهِ قولُ أبِي سُفْيَانَ: «**فَوَاللهِ! لَوْلَا الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا؛ لَكَذَبْتُ عَنْهُ**»(٢). في الحديثِ بيانُ هَدْيِ رَسُولِنا ﷺ وحَثُّهُ على خصالِ الخيرِ التي منها الصِّدْقُ، وبيانُ سِيرَتِهِ الحميدةِ حتَّى عِنْدَ أعدائهِ وأهلِ الجاهليَّةِ حيثُ اشتهرَ بالصِّدْقِ والأمانةِ

---

(١) **متفق عليه**: «صحيح البُخاريِّ»، كتاب الأدب، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ. (الفتح: ١٠/٥٠٧ رقم: ٦٠٩٤)، و«صحيح مُسْلِم» واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ قُبْحِ الكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ (٤/٢٠١٣ رقم: ٢٦٠٧).

(٢) «صحيح البُخاريِّ»، كتاب بَدْءِ الوَحْيِ، بابٌ. (الفتح: ١/٣١ ـ ٣٢ رقم: ٧).

حتَّى قَبْلَ بِعْثَتِهِ ﷺ، لَا كما يَزْعُمُ هؤلاءِ المُنحرفون أنَّ دِينَهُ التَّقِيَّةُ. وفيه أيضًا حِرصُ أبي سُفْيَانَ رضي الله عنه ألَّا يُؤْثَرَ عنهُ الكَذِبُ لاستقرارِ قُبْحِهِ في الفِطَرِ والنّفوسِ حتَّى عِنْدَ أهلِ الجاهليَّةِ، فقَدْ كان أبو سُفْيَانَ رضي الله عنه آنذاكَ على دينِ أهلِ الجاهليَّةِ.

وروى الإمامُ أحمدُ رحمه الله مِنْ حَديثِ أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَـانُ وَالْكُفْرُ في قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا، وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا**»(١). في الحديثِ بيانُ أنَّ القَلبَ إِمَّا أنْ يَكونَ مَحَلًّا للصِّدْقِ والأمانةِ، أَو مَحلًّا للكَذِبِ والخيانةِ.

- ورَوَى الإمامُ مُسْلِمٌ رحمه الله مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**»(٢). في الحديثِ بيانُ كذبِ أهلِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ فيما زعموهُ مِنْ تكذيبِ الصَّحَابَةِ للنَّبيِّ ﷺ ولدعوتهِ؛ فالنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ**». وهُمْ يقولونَ: لَمْ يُؤمِنْ إلّا ثلاثةٌ أو سبعة على الأكثرِ، فلعنَةُ اللهِ على الكاذبينَ.

لقَدْ كان الصَّحَابَةُ صادقينَ في أنفسِهِمْ مُصَدّقينَ رَسُولَهُمْ في دَعوتهِ ورِسالتهِ، فَهُمْ بَعْدَ رُسُلِ اللهِ وأنبيائهِ أَصدقُ النَّاسِ وأكثرُهُمْ تحرّيًا للصِّدْقِ والأمانةِ رضي الله عنهم، وقَدِ اشتهروا بهذه الفضائلِ حتَّى شَهِدَ لَهمْ بِهَا أعداؤُهُمْ؛ فقَدْ روى **الْكُلَيْنِيُّ الرّافضيُّ** عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي يَعْفُورٍ قال: قلتُ لأبِي عَبْدِ اللهِ [جَعْفَرٍ الصّادقِ]: «إِنِّي أُخَالِطُ النَّاسَ **فَيَكْثُرُ عَجَبِي مِنْ أَقْوَام لَا يَتَوَلَّوْنَكُمْ وَيَتَوَلَّوْنَ فُلَانًا وفُلَانًا لهمْ أَمَانَةٌ وَصِدْقٌ وَوَفَاءٌ**، وَأَقْوَامٌ يَتَوَلَّوْنَكُمْ لَيْسَ لَهُمْ تِلْكَ

---

(١) «المسند» (٢/ ٣٤٩) وقال الألبانيُّ في (الصحيحة: ٣/ ٤١ رقم: ١٠٥٠): «**إسنادٌ صحيحٌ رجالُه كلُّهُمْ ثقاتٌ**».

(٢) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الإيمان، بَابٌ في قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ في الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**» (١/ ١٨٨ رقم: ١٩٦/ ٣٣٢).

الأَمَانَةُ وَلَا الْوَفَاءُ وَالصِّدْقُ. قَالَ: فَاسْتَوَى أَبُو عَبْدِ اللهِ جَالِسًا، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ كَالْغَضْبَانِ ثُمَّ قالَ: لَا دِينَ لِمَنْ دَانَ اللهَ بِوَلَايَةِ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللهِ، وَلَا عَتْبَ عَلَى مَنْ دَانَ بِوَلَايَةِ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللهِ»[1].

ها هُم يشهدونَ لأهلِ السُّنَّةِ بالأمانةِ والصّدقِ والوفاءِ، ويشهدونَ على شِيعتِهم بضدِّ ذلك، هذا هو دِينُ اللهِ تَعالَى وشَرعُهُ وهو دِينُ الفِطْرةِ، وهذا مَا عَلِمَهُ المُسلِمونَ وحرصوا عليهِ طاعةً لرَبِّهِمْ واقتداءً بِرَسُولِهِمْ وسَلَفِهِمْ، فالإسلامُ والفِطْرةُ يَحُثَّانِ على الصِّدْقِ والتزامِهِ إلَّا مَا استُثْني شَرعًا وعَقلًا في حالاتِ الإكراهِ؛ مُحافظةً على النّفسِ والمالِ والعِرضِ. أمَّا دِينُ الرَّافِضَةِ ومَنْ وافقَهُمْ؛ فإنَّهُ يُخالِفُ هذا الأصلَ، فيكونوا بذلك قَدْ شَذّوا عَنِ النَّاسِ كافّةً، فَضْلًا عَنْ عُقلائِهِمْ وفُضَلائِهِمْ وأهلِ الدياناتِ عَامَّةً والمُسلِمينَ منهم خَاصَّةً، وكفى بذلك سُوءًا وخِزْيًا وضَلالًا.

ونلاحظُ في الأثرِ السّابقِ ذكرُه كيفَ كذبوا على **جَعفرٍ الصّادقِ** رَحِمَهُ اللهُ وجعلوهُ يُحِلُّ للشّيعةِ كُلَّ المُحرّماتِ والكبائرِ، ومنها: الخيانةُ، والكَذبُ، وخلفُ الوعدِ، وأنه لا عَتبَ عليهم في ذلكِ كُلِّهِ؛ لكونِهم اتّبعوا هذا المذهبِ.

المطلبُ الأول

التَّقِيَّةُ والكِتْمَانُ عِندَ الرَّافِضَةِ

سوَّغَ الرَّافِضَةُ **التَّقِيَّةَ** بحُجّةِ صُعوبةِ التَّشَيُّعِ على الأفهامِ، فاخترعُوا واختلقوا عِدَّةَ أحاديث مكذوبةٍ تُقَرِّرُ هذه الصّعوبةَ، **فمن ذلكَ:**

- روى **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ والْكُلَيْنِيُّ** بإسنادَيْهِما إلى **الصَّادِقِ** قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ**

---

(١) «أصول الكافي» لِلْكُلَيْنِيِّ (١/ ٣٧٥).

مُقرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ...»[(١)].

• وروى **الصَّفَّارُ** بِإسنادِهِ إلى **عَلِيٍّ** قولَهُ: «**إِنَّ حديثَنا تَشْمَأِزُّ منهُ القُلوبُ، فمَن عَرَفَ فَزِيدُوهُمْ، ومَنْ أَنْكَرَ فَذَرُوهُمْ**»[(٢)]. وروَى بِإسنادِهِ إلى سَدِيرٍ الصَّيْرَفيِّ أنّهُ سألَ **الصَّادِقَ** عَنْ قولِ عَلِيٍّ هذا فقال: «إنَّ مِنَ الملائكةِ مُقرَّبينَ وغير مقربين، ومِنَ الأنبياءِ مُرسلينَ وغير مرسلين، ومِنَ المؤمنين مُمْتَحَنينَ وغير ممتحنينَ، وإنَّ أمرَكُم هذا [أي: التَّشَيُّعَ] عُرِضَ على الملائكةِ فلمْ يُقِرَّ بهِ إلَّا المُقرّبونَ، وعُرِضَ على الأنبياءِ فلمْ يُقرَّ بهِ إلَّا المرسلونَ، وعرض على المؤمنينَ فلمْ يُقرَّ بِهِ إلَّا المُمْتَحَنُونَ»[(٣)]. بهذه الأكاذيبِ فتحوا لأنفسِهِمْ بابَ التَّقِيَّةِ بِحُجَّةِ صعوبةِ التَّشَيُّعِ على الأفهامِ، واشمئزازِ القُلوبِ منهُ.

كما أنَّ مَا رُوِيَ عَنِ **الصَّادِقِ** هنا مِن شَرحِهِ لكلام **عَلِيٍّ** يَتناقضُ مع قولِهِ في المصدرِ نفسِهِ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ ولَا مِنْ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَّا بِوِلَايَتِنا وبفضلِنا عمّنْ سُوانا**»[(٤)]، ويَتناقضُ مع مَا وَصَفَ اللهُ تعالَى بِهِ مَلائكتَهُ بأنّهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]. ولكنّ الرَّافِضَةَ يُريدون تَقسيمَ الخلْقِ إلى: **شِيعَةٍ** و**عامّةٍ** حتَّى الملائكةَ والأنبياءَ؛ تضليلًا للنَّاسِ وتَرويجًا لباطلِهِمْ.

وقَدْ روى **الصَّفَّارُ** أيضًا بِإسنادِهِ إلى **عَلِيٍّ** أنّه قال: «إنَّ يُونُسَ عليه السلام مِمَّن أنكرَ وِلَايَتَهِمْ، فعُوقِبَ بحبسهِ في بَطْنِ الحوتِ حتَّى أقَرَّ بِهَا»[(٥)].

• وقال شَيْخُهُمْ وصدوقُهُمُ **ابنُ بَابَوَيْهِ القُمِّيُّ** في بيانِ اعتقاداتِهِمْ ـ كما

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» للصفار (ص: ٤١)، و«أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب فيما جاء أنَّ حديثهم صعب مستصعب (١/ ٤٠١).
(٢) «بصائر الدرجات الكبرى» للصفار (ص: ٤٣).
(٣) المصدر السابق (ص: ٤٧).
(٤) المصدر السابق (ص: ٩٤).
(٥) المصدر السابق (ص: ٩٥ ـ ٩٦).

نقلَهُ عنهُ الشّيْخُ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**التَّقِيَّةُ واجبةٌ لَا يَجوزُ رَفْعُها إلى أنْ يَخرُجَ القائِمُ، فمَنْ تركَها قَبْلَ خُروجهِ فقَدْ خَرجَ عَنْ دينِ الإمَامِيَّةِ وخَالَفَ اللهَ ورَسُولَهُ والأئِمَّةَ**. وسُئِلَ الصَّادِقُ عَنْ قولِ اللهِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] قال: أعْمَلَكُمْ بالتَّقِيَّةِ»(١).

والتَّقِيَّةُ الشِّيعِيَّةُ لَا تَرتبِطُ بخَوفٍ ولَا إكراهٍ، بلْ يُريدونها خُلُقًا وسَجِيَّةً في حياةِ كُلِّ شِيعِيٍّ، ولَا يَتقيّدُ استعمالُهُمْ لها أنْ يَكونَ مع الكُفارِ أَوِ المخالفينَ، فإنّهم يَحُثُّونَ شِيعَتَهُمْ على استعمالِها فيما بَيْنهمْ. فمما جاءَ عِندَهم في ذلك:

• روى شيخُ طائفتِهم **مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الطُّوسِيُّ (ت٤٦٠هـ)** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قولَهُ ـ مُخاطبًا شِيعَتَهُ وأتباعَهُ ـ: «**عليكم بالتَّقِيَّةِ؛ فإنَّهُ ليس منا مَنْ لَمْ يَجْعَلْها شِعَارَهُ ودِثَارَهُ مع مَنْ يَأْمَنُهُ؛ لتكونَ سَجيّتَهُ مع مَنْ يَحذَرُهُ**»(٢).

• وأمَّا **الْكُلَيْنِيُّ** فقَدْ عقدَ بَابًا ضَمّنهُ ثلاثًا وعشرين رِوايةً شِيعِيَّةً في التَّقِيَّةِ والحثِّ عليها وبيانِ أنَّها مِنْ دِينِ اللهِ وسُنَنِ المُرْسَلينَ وهَدْيِ الأنبياءِ والصّالحينَ، فروَى بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قولَهُ في قولِ اللهِ تعالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤] قال: «بِمَا صَبروا على التَّقِيَّةِ». وفي قولِه تَعالَى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] قال: «الحَسَنَةُ التَّقِيَّةُ، والسَّيِّئَةُ الإذاعةُ». وبإسنادِهِ **إليه** أنّهُ قالَ: «إنَّ تسعةَ أَعشارِ الدِّينِ في التَّقِيَّةِ، ولَا دِينَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لهُ». وقوله: «لَا واللهِ! مَا على وَجْهِ الأرضِ شَيْءٌ أَحبُّ إلَيَّ مِنَ التَّقِيَّةِ، **مَنْ كانتْ لهُ تَقِيَّةً رَفعَهُ اللهُ ومَنْ لَمْ تكنْ لهُ تَقِيَّةً وَضعَهُ اللهُ**»(٣).

(١) «الشِّيعَة والسُّنَّة» (ص: ١٧٩) نقلًا عن كتابِ «الاعتقادات» للصدوق ابن بَابَوَيْهِ القُمِّيِّ، فصل التَّقِيَّةِ.
(٢) «الأَمَالِي» (ص: ٢٩٩ ـ ٣٠٠).
(٣) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكُفْرِ، باب التَّقِيَّةِ (٢/٢١٧).

وبإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ** أنّهُ قال: «**التَّقِيَّةُ ديني ودِينُ آبائي، ولَا إيمَانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لهُ**»(١).

ورَوَى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** ـ مُخاطبًا أتباعَهُ وشِيعَتَهُ داعيًا إيّاهُمْ إلى خيانةِ ومُخادعةِ مَنْ خَالفَهُمْ ـ فيقولُ فيما نسبه إليه الكليني: «إيّاكُمْ أنْ تعملوا عَملًا يُعيّرونَا بهِ.. صَلّوا في عَشائِرِهِمْ، وعُودُوا مَرضَاهُمْ، واشهدوا جَنائِزَهُمْ... واللهِ! مَا عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أحبَّ إليهِ مِنَ الخَبْءِ. فقِيلَ لهُ: وما الخَبْءُ؟ قال: التَّقِيَّةُ»(٢).

يُريدُ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ مِنْ أتباعِهِمْ أنْ يَخدعوا أهلَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ويَخونُوهُمْ، فالتَّقِيَّةُ عِنْدَهُمْ تتضمّنُ تسعةَ أعشارِ الدِّينِ، ونفوا الإيمانَ عَنْ تَارِكِ التَّقِيَّةِ وشَدّدوا عليهِ، فدِينُهُمْ لَا مَحِلَّ فيه للصَّادقِ الأمينِ، ولَا مَحِلَّ فيه للتّضحيةِ في سبيلِ المبادئِ والفضائلِ، ولَا مَحِلَّ فيه للأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عَنِ المُنْكرِ وقولِ الحقِّ.

وعلى ضوءِ هذه النُّصُوصِ حُقَّ لنا أنْ نتساءَلَ؛ أين مَوضعُ الصَّحَابيِّ الجليلِ، سَيِّدِ شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ **الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ** مِنْ دِينِهِمْ وشَرعِهِمْ؟ إِذْ إنهُ خرجَ ولَمْ يَتّقِ ولمْ يُهادِنْ! فهلْ خسرَ مِنْ دِينهِ تسعةَ أعشارِهِ؟ وهل يَتنزّلُ عليهِ قولُ الصَّادِقِ: «**لَا دِينَ لِمَن لَا تَقِيَّةَ لهُ**»؟ وقولُهُ: «**مَنْ كانتْ لهُ تَقِيَّةٌ رَفعَهُ اللهُ، ومَنْ لَمْ تكنْ لهُ تَقِيَّةٌ وَضعَهُ اللهُ**»؟

• إنَّ الرَّافِضَةَ لَمْ يقفوا عِنْدَ هذا الحدِّ، فراحوا يَنْسُبُونَ هذه البدعةَ الخبيثةَ للأنبياءِ والصالحينَ: فنسبوها لِنَبيِّ اللهِ **يُوسُفَ** عليه السلام(٣)، وقَدْ بَرّأَهُ اللهُ تَعَالَى ووَصَفَهُ بالصِّدِّيقِ.

• كما نسبوها إلى **أصحابِ الكَهْفِ** وكذبوا عَليهِم واتّهمُوهُمْ بالنِّفاقِ

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٩).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢١٩).
(٣) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكُفْرِ، باب التَّقِيَّةِ (٢/ ٢١٧).

ومُخادعةِ النَّاسِ وارتكابِ البِدَعِ والمُحرّماتِ؛ فقَدْ روى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قولَهُ: «مَا بَلَغَتْ تقِيَّةُ أحدٍ تَقِيَّةَ أصحابِ الكهفِ؛ إنْ كانوا لَيَشهدونَ الأعيادَ ويشدّونَ الزّنانيرَ، فأعطاهُمُ اللهُ أجرَهُمْ مرّتينِ»(١).

• وذكرَ **الرَّافِضِيُّ نعمةُ اللهِ الجزائريُّ روايةً شِيعِيَّةً خبيثةً تُمثِّلُ مَدَى وَقَاحتِهِمْ ومَكرِهِمْ** فيَزْعُمُ أنَّ **الصَّادِقَ** سُئِلَ في مجلسِ الخليفةِ عَنِ الشيخَيْنِ **أبي بكرٍ الصّدّيقِ وعُمَرَ الفاروقِ**، فقال: «**هُما إمامانِ عَادلانِ قَاسطانِ، كانا على الحقِّ فماتا عليهِ، عليْهِما رَحْمَةُ اللهِ يومَ القِيَامَةِ**». هذه هي الرّوايةُ المزعومةُ، وإني أَسوقُها لِيَتدبّرَها كُلُّ مَنِ انخدعَ بالشِّيعَةِ وشعاراتِهِمْ، فإنَّهُ يَزْعُمُ فيقولُ: «فَلَمّا قامَ مِنَ المجلسِ تَبِعَهُ بعضُ أصحابهِ وقال: يا ابنَ رَسُولِ اللهِ! قَدْ مَدحتَ أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ هذا اليومَ. فقال: أنت لَا تَفْهَمُ مَعنَى مَا قلتُ. فقال: بَيِّنْهُ لي. فقال: أَمَّا قولي: **(هما إمامان)** فهو إشارةٌ إلى قولِهِ تَعَالَى: «**ومنهم أئمة يدعون إلى النَّارِ**»(٢)، وأمَّا قَوْلي: **(عادلان)** فهو إشارة إلى قولِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١]. وأمَّا قَوْلي: **(قاسطان)**، فهو المرادُ مِنْ قَوْلِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجن: ١٥]. وأمَّا قولي: **(كانا على الحقّ)** فهو مِنَ المكاونةِ أَوِ الكونِ ومعناه: إنهما كانا على حقِّ غيرِهما؛ لأنَّ الخلافةَ حقُّ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ. وكذا قولي: **(ماتا عليه)** فإنّهما لَمْ يتوبا بلِ استمرّا على أفعالِهما القبيحةِ إلى أنْ ماتا. وأمَّا قولي: **(عليْهِما رَحْمَةُ اللهِ)** المراد بهِ النَّبيُّ ﷺ بدليلِ قولهِ تَعالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو القاضي والحاكمُ والشّاهدُ على مَا فعلوهُ يومَ القِيَامَةِ. فقال:

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٨).

(٢) لعلّ الآية هكذا في «مصاحفِهِمُ المصونةِ في السّراديب»! وإلّا فالآيةُ في كتابِ اللهِ تعالى الذي بين أيدي المُسلمينَ هكذا: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾ [القَصَصِ: ٤١].

فَرّجْتَ عني فَرّجَ اللهُ عنكَ»[(١)].

إنَّ أُمّةً تَتّخِذُ مِنَ الكَذِبِ والتَّقِيَّةِ دِينًا ومِنَ الخيانةِ والخداعِ شعارًا ومَنهجًا؛ يَصْعُبُ على النَّاسِ التّعاملُ معها أَوِ التفاهمُ فضلًا عَنِ الاتّفاقِ والاتحادِ . إنَّ هذه العقيدةَ الخبيثةَ لَمِنْ أقوى الموانعِ والعَقباتِ التي تَقِفُ في طريقِ التَّقاربِ والوفاقِ وإنّها لحَجَرُ عَثْرَةٍ عظيمةٍ تَتحطّمُ عليها جميعُ وسائلِ وسُبُلِ الوحدةِ بَيْنَ هؤلاءِ وبَيْنَ النَّاسِ عَامَّةً، والمؤمنين مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ خَاصَّةً، أعني: تلكَ الهتافاتِ الكاذبةَ والشّعاراتِ الزّائفةَ التي يَرفعُها الرَّافِضَةُ بَيْنَ الحينِ والآخرِ؛ إمعانًا منهم في تضليلِ جماهيرِهِمْ وغَوغائِهِمْ، وتَرويجًا لباطِلِهِمْ في صُفوفِ ضِعَافِ الإيمانِ والعِلْمِ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والعوامِّ الغافلينَ، وخَاصَّةً مَا يَصدُرُ مِنهم في هذا العصرِ بَعْدَ قيامِ دَولَتِهِمُ التي جَنّدتِ الإمكاناتِ الضّخمةَ في سبيلِ ترويجِ هذه الدَّعاوَى وكسبِ الرّأْيِ العامِّ الإسلاميِّ والعالميِّ تمهيدًا لنشرِ مَذهبِ الرَّفْضِ. وكلما انكشفتْ أُمورُهُمْ، وافْتُضِحَتْ دَعاواهم ومُؤامراتُهُمْ؛ ازدادَ نَعيقُهُمْ وعَلَا صُراخُهُمْ زاعمينَ توحيدَ الجهودِ الإسلامِيَّةِ ووحدةَ الشُّعوبِ، ونبذَ الخلافاتِ والعصبيّاتِ التَّاريخيَّةِ والمذهبيَّةِ التي فَرّقَتْ بَيْنَ المُسلِمينَ وشَتّتتْ شَمْلَهُمْ وأَضْعَفَتْ شَوْكَتَهُمْ، وعَلِمَ اللهُ والمؤمنون العالمونَ إنَّهُمْ لكاذبون.

إنَّ مِثلَ هذا الأسلوبِ والمكرِ ليس بمُستغربٍ ولَا مُستنكرٍ على هؤلاءِ؛ لأنّهم قومٌ آمنوا **بالتَّقِيَّةِ** التي هي في الواقعِ **كَذِبٌ وخيانةٌ** واتّخذوها شِعَارًا لَهمْ. ولكن المُستغربَ والمؤسفَ في هذا الأمرِ هو تلك الأصواتُ التي تَنضَمُّ إلى نَعيقِ أهلِ الرَّفْضِ والتي تَصدُرُ عَنْ أُناسٍ ليسوا مِنهم ولكنّهم ساروا في رَكْبِهِمْ مِمَّن بَاعَ دِينَهُ وأُمّتَهُ بدُنياهُ، أو مِمَّن يَتخبّطُ في ظُلماتِ جهلِهِ حتَّى غدا لَا يُفَرّقُ بَيْنَ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ.

(١) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (١/ ٩٩).

وَلَقَدِ انخدَعَ بعضُ أهلِ السُّنَّةِ بتلكَ الشّعاراتِ الشِّيعِيَّةِ، وبمواقفِ مَنِ انضَمَّ إليهم مِنْ حَمَلَةِ الأقلامِ وممّنْ يُنْسَبُونَ إلى العِلْمِ والعُلَمَاءِ، فراحوا يُطبِّلونَ لدولةِ الشِّيعَةِ ولأَئِمَّةِ الرَّفْضِ، ويَعقِدونَ عليهِمُ الآمالَ لِبناءِ الدّولَةِ الإسلامِيَّةِ الرّاشدةِ وما عَلِمُوا حقيقةَ مَا يَنعِقُ بِهِ الشِّيعَةُ ويَدْعُون إليه. وينقسمُ هؤلاءِ المخدوعونَ إلى قسمَيْنِ:

• **أمَّا القسمُ الأوّلُ:** فقومٌ عَرَفُوا الحقَّ وأهلَهُ ولكنّهم آثَروا الدُّنيا وزِينتَها، فأَمْرُهُمْ إلى اللهِ تَعَالَى وَحدَهُ، وعَامَلَهُمْ سُبْحانَهُ بِمَا يَستحقّونَهُ لِما ساهموا بهِ في ترويجِ الباطلِ وإضلالِ العَامّةِ مِنَ المُسلِمينَ.

• **وأمَّا القسمُ الثاني** ـ وهُمُ الجاهلون والغافلون ـ: فإنَّهُ حَرِيٌّ بِهِمُ التَّبَصُّرُ في دِينِ اللهِ فإنّما «**شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ**»[1]. ولْيَعلموا أَنَّ الرَّافِضَةَ قَوْمٌ استباحوا الكَذِبَ وأوجبوا التَّظاهُرَ لمنْ خَالفَهُمْ بِخلافِ مَا يُبطِنُونَهُ، ودَانُوا لأسيادِهِمْ وأئِمَّتِهِمْ بالكَذِبِ ومُخادعةِ النَّاسِ بشعاراتٍ وهتافاتٍ كَاذبةٍ، ولْيَرجِعوا إلى تاريخِ هؤلاءِ الرَّافِضَةِ؛ فإنَّهُ حافلٌ بالمخازي والمؤامراتِ ضِدَّ المُسلِمينَ.

وكيف يُمكِنُنا أنْ نُصدِّقَ مَنْ يَتقرّبُ إلى أئمّتِهِ بالكَذِبِ علينا؟ إنَّ مِنَ العسيرِ أنْ نَقبلَ منهم إقرارًا أَوِ اعترافًا وتَنازُلًا في شَيْءٍ مِنْ عَقائِدِهِمْ؛ لِصُعوبةِ التّمييزِ بَيْنَ صِدْقِهِمْ وكَذِبِهِمْ، وبَيْنَ صَادِقِهِمْ وكاذِبِهِمْ. وكيف يَتِمُّ الاتّفاقُ والاتّحادُ بَيْنَ طَرَفٍ صَادِقٍ وآخرَ كَاذِبٍ؟ وهل يُمكنُ الجمعُ بَيْنَ الصِّدْقِ والكَذِبِ؟ حاشَا وكلَّا، اللَّهُمَّ إلَّا عِنْدَ أُناسٍ مَرضَتْ عُقولُهُمْ، وفَسدَتْ فِطَرُهُمْ ونُفوسُهُمْ.

وهذه كُتبُهُمْ ومُصَنّفَاتُهُمْ كانتْ وما زالتْ تُؤكِّدُ وتُؤصِّلُ هذا المبدأَ،

---

(١) مقطعٌ مِنْ حديثٍ نبويٍّ شَريفٍ رواه أبو داودَ في «السُّنَنِ» (برقم: ٣٣٦)، **وإسنادُه قويٌّ**؛ خرّجهُ العلَّامةُ الألبانيُّ في «صحيح سُنن أبي داود ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١ رقم: ٣٦٤ و٣٦٥ ـ ط. غراس»، و«إرواء الغليل ١/ ١٤٢».

وتلك مُناقشاتُهُمْ ورُدُودُهُمْ على عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ الذين تَصدّوا للرَّدِّ عَليهِم وبيانِ كَذِبِهِمْ وإبطالِ مذهبِهِمْ؛ فإنّها مَليئَةٌ بالكَذِبِ والبُهتانِ واتّهامِ أهلِ الحقِّ بِمَا لَمْ يَقولوهُ، وما ليس فيهم، وإنّهم لَيُحَرِّفُونَ أقوالَهُمْ وأَدِلَّتَهُمْ.

كَيف وَهُمْ قومٌ قَدْ حَرّفُوا كلامَ اللهِ تَعَالَى في نَصِّهِ ومَضمونه، وحَرّفُوا ما صحَّ مِنْ كلام رَسُولِهِ ﷺ مَبْنًى ومَعنًى، ونسبوا إليه مَا أَمْلَتْهُ عليهم أهواؤهُمْ وشَياطِينُهُمْ، وكذَبوا عليهِ بما لَمْ يُكْذَبْ على نَبِيٍّ قَطُّ ما اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، وكذبوا على الرُّسُلِ والأنبياءِ وحتَّى الملائكةِ عليهم السلام، وتجرّءُوا على السَّلَفِ بالكَذِبِ عَليهِم وبتكفيرِهِمْ خِدمةً لمذهبِهِمْ، وحَرّفُوا كذلك الحقائقَ التَّاريخيَّةَ لِتُوافقَ مَا هُمْ عليهِ. فكيف يَرضَى مَنْ كان في قَلبهِ ذَرّةٌ مِنَ الْغَيْرَةِ للهِ تَعَالَى ولرَسُولِهِ ﷺ ولِدِينهِ أنْ يَضَعَ يَدَهُ في أيدي هؤلاءِ الذين حَرّفُوا الدِّينَ والتاريخَ؟

ولقَدْ نادَى أَئِمَّةُ الرَّفْضِ بمبدأٍ آخرَ وأَسْمَوهُ بالكِتمانِ والإسرارِ والإخفاءِ؛ لِتَدعيمِ بِدْعَتِهِمْ وتأصيلِها وهو فَرْعٌ ولازمٌ مِنْ لَوازِمِ **التَّقِيَّةِ**، ولكنّهم دَأبوا في ترويجِ مذهبِهِمْ على تَسْمِيَةِ الأشياءِ بِمَا يَكفُلُ لَها البَقاءَ والرَّواجَ:

• فقَدْ عَقَدَ **الْكُلَيْنِيُّ** بَابًا مُستقلًّا في الكِتمانِ وضَمّنَهُ **ستَّ عشرَةَ** روايةً شِيعِيَّةً تَحُثُّ على الكتمانِ وتأمرُ بهِ وتُبيِّنُ فَضْلَهُ في الدُّنيا والآخرةِ؛ فروَى بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قولَهُ: «أُمِرَ النَّاسُ بخَصْلَتيْنِ فضيّعوهُما... الصّبرِ والكتمانِ». وقولَهُ: «إنكم على دِينٍ مَنْ كَتمَهُ أعزَّهُ اللهُ، ومَنْ أذاعَهُ أذَلَّهُ اللهُ»(١). وقولَهُ: «إنَّ أمْرَنَا مَستورٌ، مُقَنّعٌ بالميثاقِ، فمَنْ هَتَكَ علينا أذَلَّهُ اللهُ»(٢). ونسبوا إلى عَلِيٍّ قولَهُ: «جُمِعَ خَيْرُ الدُّنيا والآخرةِ في كِتمانِ

---

(١) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكُفْرِ، باب الكتمان (٢/ ٢٢٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٢٦).

السِّرِّ ومُصادَقَةِ الأخيارِ، وجُمع الشَّرُّ في الإذاعةِ ومُؤاخاةِ الأشرارِ»(١).

• ولِتدعيم بِدْعَتِهِمْ وتأْصيلِها؛ روى **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ والْكُلَيْنِيُّ** بإسنادَيْهِما إلى **زَيْنِ العَابدِينَ** أنّهُ قال: «**واللهِ! لَوْ عَلِمَ أبو ذَرٍّ مَا في قَلْبِ سَلْمانَ لَقتَلَهُ**، ولقَدْ آخى رَسُولُ اللهِ ﷺ بينهما، فما ظَنُّكُمْ بسائرِ الخَلْقِ. إنَّ عِلْمَ العالِمِ صَعْبٌ مُستَصْعَبٌ، لَا يَحتمِلُهُ إلَّا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، أوْ مَلَكٌ مُقرَّبٌ، أو عَبْدٌ امتَحَنَ اللهُ قَلبَهُ للإيمانِ». وقال: «إنَّمَا صارَ سَلمانُ مِنَ العُلَمَاءِ لأنّهُ امرؤٌ مِنَّا أهلَ البَيْتِ»(٢).

• وروى **الكَشِّيُّ** بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يا سَلْمانُ! لَوْ عُرِضَ عِلْمُكَ على مِقْدادٍ لَكَفَرَ. يا مِقْدادُ! لَوْ عُرِضَ علمُكَ على سَلْمانَ لَكفرَ**»(٣).

• وروى **المُفيدُ** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قولَهُ: «عَلِمَ سَلْمانُ عِلْمًا لَوْ عَلِمَهُ أبو ذَرٍّ لكفرَ»(٤). وذكره **الفيضيُّ الكاشانيُّ** بلفظ: «لَوْ عَلِمَ أبو ذَرٍّ مَا في بَطْنِ سَلْمانَ مِنَ الحِكْمَةِ لكَفَّرَهُ ـ وفي روايةٍ ـ لَقَتَلَهُ»(٥).

إنَّ هذه الرّواياتِ تَعني: أنَّ أبا ذَرٍّ لَمْ يَصِلْ إلى دَرجةٍ مِنَ الإيمانِ تُؤهِّلُهُ لِتَحمُّلِ عِلْمِ التَّشَيُّعِ والرَّفْضِ؛ إذْ إنّهُ عِلْمٌ ـ كما قَرَّروا في مُصَنَّفاتِهِمْ ـ لَوِ انكشفَ لأبي ذَرٍّ لسَارَعَ إلى قَتْلِ صَاحبِهِ في الرَّفْضِ، أو لكانَ سَببًا في ارتدادِهِ وكُفْرِهِ هو.

---

(١) «الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ٢١٨)، و«بحار الأنوار» للمجلسي، باب فضل كتمان السِّرِّ وذم الإذاعة (١٦/ ١٣٧).

(٢) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٤٥)، و«أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب فيما جاء أنَّ حديثهم صعب مستصعب (١/ ٤٠١). وذكره الفيضُ الكاشانيُّ في «المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء» للغزالي (١/ ٦٥).

(٣) «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ١١).

(٤) «الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ١٢).

(٥) «المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء» (١/ ٦٥).

• ونسبوا إلى **زَيْنِ العَابدِينَ** رَحِمَهُ اللَّهُ قولَهُ:

«إنّي لأكتمُ مِنْ عِلمي جواهرَه ... كَيْلَا يَرى الحقَّ ذو جهلٍ فَيفْتِنَنا
وقد تقدّمَ في هذا أبو حسن ... إلى الحُسَيْنِ ووَصَّى قبلَهُ الحسنا
يا رُبَّ جَوهَرِ عِلم لَوْ أَبوحُ بِهِ ... لَقيلَ لي: أنتَ مِمَّن يَعْبُدُ الوَثَنا
ولَاسْتَحَلَّ رِجالٌ مُسلمونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أقبحَ مَا يَأتونَهُ حَسَنًا»(١)

بِمثْلِ هذه المزاعمِ يسترون كُفرَهُمْ ونِفَاقَهُمْ ومُؤامراتِهمْ ضدَّ الإسلامِ والمُسلِمينَ، فالرَّسُولُ ﷺ عِنْدَهُمْ أَسَرَّ وكَتَمَ، والصَّحَابَةُ أسرّوا وكَتموا، والأئِمَّةُ أسرّوا وكتموا فهو دِينٌ يَجِبُ كَتْمُهُ وإسرارُهُ، وإظهارُهُ سَبَبٌ في القَتْلِ والهلاكِ، وتَعطيلٌ لِدَعوةِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ.

ولقَدْ عَلِمَ المُسلِمونَ صِدْقَ الصّادقِ المصدوقِ ﷺ، وصِدْقَ آلِ البيتِ والصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصدقَ مَنْ تَبِعَهُمْ، وعَلِمُوا بَراءتَهُمْ مِنْ هذه الكُفريّاتِ. فسَلْمانُ، وأبو ذَرٍّ، والمِقْدَادُ، وزَيْنُ العَابدِينَ وغيرُهُمْ لَمْ يكونوا يُبْطِنونَ شَيئًا مِنَ الكُفْرِ والضّلالِ، بلْ كانوا حملةَ الهُدى والعِلْمِ والنُّورِ. ولَمْ يكونوا مِمَّن يَكتُمُ مِنَ الحقِّ والهُدَى شَيئًا، بلْ كانوا مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ قُلوبًا وأبعدِهم عَنِ التّكلُّفِ والتّنطُّعِ في دينِ اللهِ تَعالَى، كَيف لَا وهُمْ قومٌ اختارهُمُ اللهُ تَعالَى لِصُحبةِ نَبِيِّهِ ﷺ وحملِ دِينهِ وهُداهُ.

• ويقولُ إمامُهُمُ **الخُمَيْنِيُّ** ـ مُتَبنّيًا هذه المبادئَ وداعيًا إليها ومُعْلِنًا للنَّاسِ عَامَّةً والمخدوعينَ بِالشِّيعَةِ خَاصَّةً أنَّ رَافِضَةَ اليوم مُلتزمونَ بدينِ أسلافِهِمْ وعلى عَقائِدِهِمْ ومَناهجِهِمْ ماضونَ وبأَذْيَالِهِمْ مُتمسّكونَ لَا تغييرَ ولَا تبديلَ ـ يقولُ مَا نَصُّهُ: «إيّاك أيُّها الصّدِّيقُ الرّوحانيُّ ثُمَّ إيّاكَ... أنْ تكشِفَ هذه الأسرارَ لغيرِ أهلِها... فإنَّ عِلْمَ باطنِ الشَّريعةِ مِنَ النّواميسِ الإلٰهيَّةِ

(١) المصدر السابق (١/ ٦٥)، و«الحقائق في محاسن الأخلاق» (ص: ١٢).

والأسرارِ الرُّبُوبِيَّةِ مَطلوبٌ سترُهُ عَنْ أيدي الأجانبِ وأنظارِهِمْ»[(١)].

فالرَّافِضَةُ يُقرّون ويَعترفون بأنّهم يَحملونَ أسرارًا دِينيَّةً ومَذهبيَّةً، إذا انكشفتْ للأجانبِ وظَهرَتْ للمخالفين؛ فإنّها سَتؤدّي إلى مَفاسدَ دُنيويَّةٍ ودِينيَّةٍ، وسَتُلْحِقُ بِهِمُ الأضرارَ والأذى ورُبَّمَا القَتْلَ والهلاكَ.

• إنَّ التَّقِيَّةَ والكتمانَ مُتلازمانِ؛ يقولُ **المُفيدُ الرَّافِضِيُّ** ـ في شرحهِ وتعليقهِ على عَقائِدِ ابنِ بَابَوَيْهِ القُمِّيِّ الصّدوقِ، المُعتمَدَةِ عِنْدَهُمْ ـ مَا نَصُّهُ: «التَّقِيَّةُ: كِتمانُ الحقِّ وسترُ الاعتقادِ فيه ومُكاتمةُ المُخالفينَ وتَركُ مُظاهرَتِهِمْ بِمَا يعقّبُ ضررًا في الدِّينِ أَوِ الدُّنيا، وفرضُ ذلك إذا عُلِمَ بالضّرورةِ أو قويَ في الظّنِّ»[(٢)].

إنَّ هذه العقيدةَ التي تُمثّلُ رُكنًا مُهمًّا مِنْ أركانِ الدِّينِ الشِّيعِيِّ؛ تَحمِلُ في مَضمُونِها معانيَ الذُّلِّ والخوفِ والجُبْنِ، والسُّكوتَ عَنِ الحقِّ، وتَركَ كثيرٍ مِنَ الواجباتِ الشَّرعيَّةِ كالأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عَنِ المُنْكرِ، بالإضافةِ إلى كَتْمِ العِلْمِ وعدمِ إذاعتهِ، إلى غيرِ ذلك مِمَّا هو في حقيقتهِ إفسادٌ في الدِّينِ والأخلاقِ.

وإنَّ هذه العقيدةَ تتعارضُ مع كثيرٍ مِنَ الآياتِ القُرآنِيَّةِ التي تدعوا وتَحُثُّ المؤمنينَ على الإقدامِ والقِتَالِ في سبيلِ اللهِ تَعَالَى، والقيامِ بأمرِ الشَّرْعِ، والدّعوةِ إلى دِينِ اللهِ إعلاءً لكلمةِ اللهِ وإظهارًا لشرعهِ. والجهادُ في الإِسْلامِ إِنَّمَا شُرِعَ لهذه الغايةِ العظيمةِ، فاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ القتلَ والقتالَ في سبيلهِ، ومجابهةَ المخالفينَ، وإراقةَ الدماءِ في سبيلِ الدّعوةِ والتّبليغ وإذاعةِ شَرْعهِ ودِينهِ بَيْنَ النَّاسِ كافّةً، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾

(١) «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» (ص: ١٥٤).
(٢) «تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد»، أو «شرح عَقائِد الصدوق» (ص: ١١٥).

[التوبة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وغيرِ ذلك مِنَ الآياتِ الكثيرةِ في تَحريمِ كِتمانِ الهُدَى وما أنْزَلَهُ اللهُ مِنَ الحِكْمَةِ والعِلْمِ، وكلُّها تُعارِضُ وتَنقُضُ مذهبَ أهلِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ.

لقد كان السَّلَفُ وأعلامُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ والرِّسالةِ؛ مِمَّن عَلِمَ مُرادَ اللهِ تَعَالَى، وآمنوا بِمَا جاءَهُمُ اللهُ تَعَالَى بهِ على لِسانِ رَسُولِهِ ﷺ، فقاموا بأمرِ دِينِهِمْ وحقِّهِ خيرَ قيامٍ، وكانوا جميعًا هُداةً دُعاةً، آمرينَ بالمعروفِ ناهينَ عَنِ المُنْكرِ، مُبلِّغينَ رِسالةَ رَبِّهم، ناشرينَ العِلْمَ والفضلَ، مُتحمِّلينَ الأذَى والصِّعابَ، صابرينَ يقولون الحقَّ ولَا يَخافون في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ، مُجاهدين بَاذِلينَ أموالَهُمْ وأرواحَهُمْ في سبيلِ اللهِ تَعَالَى. وحاشاهُمْ جميعًا مَا يَنْسُبُهُ إليهِمُ الرَّافِضَةُ مِنَ الذُّلِّ والجُبْنِ، فقَدْ كانوا جميعًا ـ ومنهم عَلِيٌّ وأولادُهُ ـ مِنْ أشجعِ النَّاسِ وأبعدِهِمْ عَنْ مُداهنةِ الباطلِ وأهلِهِ، وحاشاهم أنْ يَتركوا المُجاهدةَ والتّضحيةَ في سبيلِ ربِّهِمْ تَبَارَكَ وتَعالَى.

لقَدْ بالغَ الرَّافِضَةُ في نِسبةِ التَّقِيَّةِ والكَذِبِ والخوفِ إلى أَئِمَّةِ أهلِ البَيْتِ وأعلامِهِمْ وحتَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَسْلَمْ مِن افتراءاتِهِمْ وتَقِيَّتِهِمْ:

ـ فالرَّسُولُ ﷺ زوّجَ ابنتَيْهِ **رُقَيَّةَ ثُمَّ أُمَّ كُلْثُومٍ** لعُثْمَانَ تَقِيَّةً ومُداراةً لظاهرِ حالِهِ.

ـ وتزوّجَ هو ﷺ مِنْ عَائِشَةَ وحَفْصَةَ مُداراةً لأبِي بَكْرٍ وعُمَرَ.

ـ وعَلِيٌّ زَوّجَ ابنتَهُ لِعُمَرَ تَقِيَّةً وخَوفًا وكذا مُبايعتُهُ للخُلفاءِ قَبْلَهُ وسُكوتُهُ عَنْ حَقِّهِ، وعَنْ تحريفِ كِتابِ اللهِ تَعَالَى، وعَنْ حَقِّ فَاطِمَةَ في مِيراثِها، وكذا تَسميتُهُ أولادَهُ بأسماءِ الخُلَفاءِ وغيرِ ذلك مِنَ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ التي صَدرتْ منهُ تَقِيَّةً ومُداراةً كما يَزْعُمُونَ.

ـ وكذا مَا كانَ مِنْ أولادِهِ مِنْ بعدِهِ كتنازُلِ الحَسَنِ لِمُعَاويةَ وعدمِ خُروجِهِ عليهِ.

ـ وتزويجُ الحُسَيْنِ ابنتَهُ فَاطِمَةَ لعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ.

ـ وكذا قَبولُ بعضِ الأَئِمَّةِ بأعمالِ الوِلايَاتِ وغيرِها مِمَّا يُسنِدُها الخُلَفاءُ إليهم.

وغيرُ ذلك مِنَ الأُمُورِ الكثيرةِ التي وَقعَتْ وصَدرَتْ عَنهُمُ اختيارًا مِنهم بِلَا إكراهٍ ولَا خوفٍ، وتدُلُّ دَلَالةً وَاضِحةً على حُسْنِ العلاقةِ والمودّةِ بَينهُمْ وبَيْنَ الصَّحَابَةِ والخُلَفاءِ، وقَدِ اشتهرَ ذلك في سِيرتِهِمْ كما يَذكُرُها ليس أهلُ السُّنَّةِ فحسب بلْ حتَّى الشِّيعَةُ يُقِرّونَ بِوقُوعِها، ولكنّهُم يَزْعُمُونَ أنَّها مِنْ بابِ التَّقِيَّةِ بمعناها الفاسدِ؛ خدمةً لمذهبِهِمْ، مع مَا فيها مِنِ اتّهامِ آلِ البَيْتِ وأئِمَّتِهِمْ بالخوفِ وكتمِ الحقِّ بِمَا يُناقِضُ الكمالَ والفضلَ الذي يَنشدهُ الرَّافِضَةُ ووضعوا في سبيلِهِ الكثيرَ مِنَ المرويّاتِ المكذوبةِ التي تُقرِّرُ إيمانَهم بِأنَّ أئِمَّتَهمْ جميعًا أشجعُ النَّاسِ وأكثرُهمْ إقدامًا، وأنّهم يَملكون مِنَ المُعجزاتِ والخوارقِ مَا لَا يَعْلَمُها إلَّا اللهُ تَعَالَى، وأنّهم قَدِ اجتمَعَتْ لَدَيْهِمْ مُعجزاتُ الأنبياءِ جميعًا، ويؤمنونَ بخصائصَ اخْتُصُّوا بِهَا تَجعلُهُمْ يَعلمونَ متَى يَموتونَ وأنّهم لَا يموتون إلَّا باختيارِهِمْ وأنَّ الحياةَ والموتَ بأيديهم، وأنَّ أدعيتَهُمْ مُستجابةٌ، وأنّهم مُؤيَّدون برُوحِ القُدُسِ، وغيرِ ذلك مِنَ الخصائصِ التي خَصَّهُمْ بِها أهلُ الغُلُوِّ[1] وستأتي مُفصّلةً في مبحثِ **الإمامةِ والوِلايَةِ** إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. فإذا كان الأَئِمَّةُ يَملكون هذه الخصائصَ؛ فَفِيمَ خوفُهُمْ وسُكوتُهُمْ على الباطلِ، ودُخُولُهُمْ في السّراديبِ، وعَدَمُ ظُهورِهِمْ للنَّاسِ بأمرِ اللهِ تَعَالَى؟ وهذه واحدةٌ مِنْ تَناقُضاتِهمُ الكثيرةِ في مذهبِهِمْ.

إنَّ التَّقِيَّةَ اخترعَها مُؤسّسُو هذا الدِّينِ المُنحرفِ؛ لمعالجةِ مَا وقعوا فيه مِنَ التّناقُضِ والتّضادِّ، وما اصطدَموا بهِ مِنَ النُّصوصِ والرّواياتِ التي تَدُلُّ

(١) انظر للوقوفِ على جُملةٍ مِنَ الغُلُوِّ في الصّفاتِ والخصائصِ التي نسبوها لأئمّتِهِمْ: «بصائر الدرجات الكبرى» للصَّفَّارِ، و«أصول الكافي» للكلينيِّ، باب الحُجَّة وغيره، و«الاختصاص» للمُفيدِ، وغيرها من مصنفات.

على بُطلانِ دَعَاواهُمُ التي ابتدعوها لِمحاربةِ الدِّينِ الإسلاميِّ وأهلِهِ. ومِنْ أهمِّ الأسبابِ التي أَلْجَأَتْهُمْ واضطرتْهُمْ إلى القولِ بالتَّقِيَّةِ مَا يأتي:

• **أولًا: القولُ بالإمامةِ وجعلُها أصلَ الدِّينِ، ووَصْفُ الأَئِمَّةِ بالعِصْمَةِ، والعِلْمِ التَّامِّ، والتّلقّي عَنِ اللهِ تَعَالَى مُباشرةً، وغيرُ ذلك مِنَ الغُلُوِّ في عِلْمِهِمْ وحِفْظِهِمْ وعِصْمَتِهمْ عَنْ كُلِّ زَلَلٍ وخَطَأٍ.**

فإنّهم لما زعموا ذلك اصطدموا بواقعِ حالِهِمْ، وحقيقةِ أمرِهِمْ مِنَ الوقوعِ في الخطأِ والنّسيانِ، والتّناقُضِ في الأقوالِ والأحوالِ. ثُمَّ أدرَكَ ذلك حتَّى الشِّيعَةُ أنفسُهُمْ، فإنّهم لَمْ يجدوا بُدًّا مِنَ القولِ بهذهِ البدعةِ خُروجًا مِنْ هذا المأزقِ؛ إنقاذًا لعقيدتِهمْ في الإمامةِ والعِصْمَةِ المزعومةِ.

إنَّ هذه الحقيقةَ أدرَكَها قومٌ مِنَ الشِّيعَةِ، فكانت سَببًا في رُجوعِهِمْ عَنِ القولِ بالإمامةِ والتَّشَيُّعِ؛ ذكرَ **الحَسَنُ بنُ مُوسَى النُّوبَخْتِيُّ** ـ وهو مِنْ أعلامِهِمْ في القرنِ الثالثِ الهجريِّ، ومِنْ أوّلِ مَنْ صَنَّفَ في المقالاتِ والفِرَقِ ـ ذكرَ عَنْ **سُلَيْمَانَ بنِ جَرِيرٍ** أنّهُ قال لأصحابِهِ: «**إنَّ أَئِمَّةَ الرَّافِضَةِ وضعوا لِشِيعَتِهِم مَقالتيْنِ لَا يظهرون معهما مِنْ أئِمَّتِهِمْ على كَذِبٍ أبدًا وهما: القولُ بِالبَدَاءِ وإجازةُ التَّقِيَّةِ**». ثُمَّ قال **سُلَيْمَانُ**: «وأمَّا **التَّقِيَّةُ**؛ فإنَّهُ لما كَثُرَتْ على أئِمَّتِهِمْ مَسائلُ شِيعَتِهِم في الحلالِ والحرامِ وغيرِ ذلك مِنْ صُنوفِ أبوابِ الدِّينِ، فأجابوا فيها وحَفِظَ عنهم شِيعَتُهُمْ جوابَ مَا سألوهُمْ وكَتبوهُ ودَوّنوهُ، ولَمْ يَحفَظْ أئِمَّتُهُمْ تلك الأجوبةَ لِتقادُمِ العَهْدِ وتَفاوُتِ الأوقاتِ... فوقعَ في أيديهم في المسألةِ الواحدةِ **عِدَّةُ أجوبةٍ مُختَلِفَةٍ مُتضادّةٍ، وفي مَسائلَ مُختلفةٍ أجوبةٌ مُتّفِقَةٌ**. فَلَمّا وقفوا على ذلك مِنهم؛ رَدّوا إليهم هذا الاختلافَ والتّخليطَ في جَواباتِهِمْ وسألوهم عنهُ وأنكروهُ عليهِم... قالتْ لَهمْ أئِمَّتُهُمْ: إنَّمَا أجَبْنَا بهذا للتَّقِيَّةِ، ولنا أنْ نُجيبَ بِمَا أَحبَبْنَا وكيف شِئْنَا». ثُمَّ قال **سُلَيْمَانُ** معقِّبًا على كلامِ الأئمّةِ: «**فمتى يُظهرُ مِنْ هؤلاءِ على كَذِبٍ؟ ومتى يُعْرَفُ لَهمْ حَقٌّ مِنْ باطلٍ؟**».

فعَقَّبَ **النُّوبَخْتِيُّ** على كلامِ **سُلَيْمَانَ** الموافقِ للعقلِ والشّرعِ بقولِهِ: «**فمالَ إلى سُلَيْمَانَ بنِ جَريرٍ لهذا القولِ جماعةٌ مِنْ أصحابِ أبِي جَعْفَرٍ وتركوا القولَ بإمامةِ جَعْفَرٍ**»(١).

وذكرَ **النُّوبَخْتِيُّ** قِصّةَ شِيعِيٍّ آخرَ **وهو عُمَرُ بنُ رباحٍ** مع **البَاقِرِ** الذي اضْطَرَبَ في جَوابِ سؤالٍ سألَهُ إيّاهُ وأعادهُ عليهِ بَعْدَ عامٍ، فكلَّمَهُ في ذلك؛ فأجابهَ البَاقِرُ بقولِه: «**إنَّ جَوابَنا رُبَّمَا خرجَ على وَجْهِ التَّقِيَّةِ**». فشَكَّ عُمَرُ في إمامتهِ قائلًا: «**عَلِمَ اللهُ أنّي مَا سَألتُهُ إلَّا وأنا صحيحُ العزمِ على التّدينِ**... فلا وَجْهَ لاتّقَائِهِ إيّايَ... وما حضرَ مجلِسَهُ في واحدةٍ مِنَ المسألتيْنِ غيري». فرجعَ عَنْ إمامتهِ وأصبحَ يقولُ: «لَا يكون إمَامًا مَنْ يُفتِي تَقِيَّةً بغيرِ مَا يَجِبُ عِنْدَ اللهِ، ولَا مَنْ يُرْخِي سِترَهُ ويُغْلِقُ بَابَهُ، ولَا يَسَعُ الإمامَ إلَّا الخروجُ والأمرُ بالمعروفِ والنّهيُ عَنِ المُنْكرِ». ويقولُ النُّوبَخْتِيُّ: «إنّهُ مالَ، ومالَ معهُ نَفرٌ يَسيرٌ»(٢).

كان هؤلاءِ مِنَ **الشِّيعَةِ الإمَامِيَّةِ**، ولكنّهم أعمَلُوا عُقولَهُمْ؛ فوُفِّقوا إلى مَعرفةِ بُطلانِ مَذهبِ الرَّافِضَةِ ومُخالفتِهِ للفِطَرِ والعُقولِ. ولَمْ يَرضوْا لأنفُسِهِمْ حياةَ البهائِمِ التي لَا تعِي مَا يُرادُ بِهَا مِمَّا يَدورُ حولَها مِنَ المُؤامراتِ والمُخطّطاتِ.

• **ثانيًا: صُدورُ أقوالٍ وأحوالٍ كثيرةٍ عَنْ أئِمَّتِهِمْ في رواياتِهِمْ وسيرتِهِمْ، وهي تَصطدِمُ بِمَا قَرّرهُ الرَّافِضَةُ مِنْ عقيدةٍ مُنحرفةٍ في الولاءِ والبراءِ.**

لقَدْ كَثُرَتِ الرّواياتُ عَنِ الأئِمَّةِ في مدحِ الخُلَفاءِ الثَّلاثَةِ الأُوَلِ والصَّحَابَةِ وخَاصَّةً أبا بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما والثناءِ عَليهِم، والاعترافِ بإمامتِهِمْ

(١) «فرق الشِّيعَة» للنُّوبَخْتِيِّ (ص: ٦٤ ـ ٦٦). وقَدْ ذكرَ الكَشِّيُّ قِصّةَ عُمَرَ بنِ رباحٍ ومُفارقتَهُ الشِّيعَةَ بعدَ انتقادهِ للتَّقِيَّةِ. «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ٢٣٧).

(٢) «فرق الشِّيعَة» للنُّوبَخْتِي (ص: ٦٠ ـ ٦١).

وخِلافتِهِمْ وفَضلِهِمْ وسَبقِهِمْ في الإِسْلامِ وقيامِهم بأمرِ اللهِ تَعالَى وأمرِ رَسُولِهِ ﷺ وحُسْنِ سِيرتِهِمْ وهَدْيِهِمْ واقْتِفائِهِمْ هَديَ الرَّسُولِ ﷺ. وقد وردَ في سِيرتِهِمْ مع الخُلَفاءِ مِمَّا يَدُلُّ على حُسْنِ العلاقةِ والأُلْفَةِ التي كانت تَسُودُ حياتَهمْ، والرّوابطِ الوثيقةِ التي كانت تَربُطُهُمْ كالمُصاهراتِ التي جَمعَتْهم، والتَّسمِّي بأسماءِ بعضِهِمْ بعضًا، مِمَّا يَدُلُّ على المَحَبَّةِ فيما بَينهم وانتفاءِ مَا يَزْعُمُهُ المُنحرفون مِنَ العَداءِ والكراهيَةِ التي يَزْعُمُونَ أنَّها كانت سائدةً بينهم.

إنّ تلك المرويّاتِ وحُسْنَ السّيرةِ التي اشتهرَتْ عن آلِ البيتِ؛ أوقعتْ أَئِمَّةَ الرَّفْضِ ودُعاتِهِ في حيرةٍ عظيمةٍ، وجَعلَتْهُم في مَأزقٍ واضطرابٍ أمامَ أتباعِهِمْ، لم يخرجوا منه إلّا بإقناعِهِمْ بِبِدْعَةِ **التَّقِيَّةِ**.

هذا هو مذهبُ **أهلِ الرَّفْضِ** في **التَّقِيَّةِ** والأمرِ بالكتمانِ والسِّرّيَّةِ، ومَنْ تَدبَّرَ مذهبَهُمْ بعَقْلٍ مُجرّدٍ عَنْ أيِّ عاطفةٍ، وبفِطْرَةٍ سالمةٍ مِنَ الأهواءِ والتَّعصُّبِ، مع إرادةِ اللهِ تَعالَى بهِ خيرًا؛ فإنَّهُ سَيُدْرِكُ لَا مَحالَةَ أنَّ بَوْنًا شَاسعًا وهُوّةً عظيمةً بَيْنَ **مذهبِهم** وبَيْنَ **الإسلام** الذي جاءَ بهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ وما كان عليهِ سَلَفُ هذه الأُمَّةِ وأعلامُ أَئِمَّةِ أهلِ البَيْتِ جميعًا.

المطلبُ الثاني

التَّقِيَّةُ والكِتْمَانُ عِندَ الصُّوفيَّةِ

أمَّا الصُّوفيَّةُ؛ فقَدْ وافقوا أهلَ الرَّفْضِ في هذا المبدأِ الذي جعلوهُ أصلًا لنِحْلَتِهِمْ ورُكْنًا عظيمًا يعتمدون عليهِ في نشرِ مذهبِهِمْ، لمّا رأوْا فيه بُغْيَتَهُمْ، ومَلاذًا لَهمْ ومَلْجأً، ومَرْتعًا خصبًا في بَثِّ أفكارِهِمْ ونظريّاتِهِمْ ومُمارسةِ طُقُوسِهِمْ وشَطَحَاتِهِمْ ومُخالفاتِهِمْ، وهُمْ مع ذلك كُلِّهِ في مَأْمنٍ مِنْ تَسلُّطِ العُلَمَاءِ والقُضاةِ عَليهِم بالأحكامِ والعقوباتِ الشّرعيّةِ، ومِنْ ثَوْرَةِ العامّةِ وسيفِ السُّلْطانِ لمَّا كانتْ دَولَةُ الإسلامِ تَرفُضُ كُلَّ مذهبٍ دَخيلٍ وبِدْعةٍ مُحْدَثَةٍ في دينِ اللهِ تَعالَى.

إنَّ **الصُّوفيَّةَ** لمّا قسّموا المجتمعَ الإسلاميَّ إلى: **أهلِ الشَّريعَةِ والرُّسُوم** وهُمُ الفقهاءُ والعَامّةُ مِنَ النَّاسِ في نَظرِهِمْ، وإلى **أهلِ الحقيقةِ والأذواقِ** وهُمُ الخاصَّةُ مِنَ النَّاسِ؛ أي: **الصُّوفيَّةَ**؛ فإنَّنا نَجِدُ هؤلاءِ الخاصَّةَ وخاصَّتَهُمْ وكُبراءَهُمْ يَتواصوْنَ فيما بَينهم أنّى وأين تَواجَدُوا بِأنْ يُظهِروا لأهلِ الشَّريعَةِ والعَوامِّ مَا يُوافِقُ مذهبَهُمْ، وأنْ يَكتُموا عَنهُمُ الأسرارَ وعُلومَ الصُّوفيَّةِ لِثِقَلِها على الأفهامِ، وصُعوبتِها على النّفوسِ بِزَعمِهِمْ.

والحقُّ إنَّهُمْ يَفعلونَ ذلك حَقْنًا لدمائِهِمْ وحفاظًا على أرواحِهِمْ وسترًا لباطِلِهِمْ وكُفرِهِمْ، وهذه هي **التَّقِيَّةُ** بعينِها، وإنْ مالَ كَثيرٌ مِنهم إلى تسمِيتِها بالكتمانِ وحفظِ الأسرارِ الخاصَّةِ، فإنّهم كعادتِهِمْ يُسمُّونَ الأشياءَ بغيرِ اسمِها. كما يَكذبون في عِلَّتِها وسَببِها، فقَدْ أشاعوا كاذبينَ وما زالوا أنّهم يُوجِبون الكِتمانَ صِيانةً للعَامَّةِ وعَقائِدِهِمْ؛ لأنّهم أقوامٌ لَمْ يَتذوّقوا، ولَمْ يَشربوا مِنْ كَأْسِ التَّصَوُّفِ، ولَا تستطيعُ عُقولُهُمْ وأفهامُهُمْ أنْ تُدْرِكَ مُصطلحاتِهِمْ وعُلومَهُمْ؛ لأنها مِنْ وراءِ النَّقلِ والعَقْلِ، **فالتَّقِيَّةُ اشتهرتْ عِنْدَهُمْ بغيرِ اسمِها كَذِبًا واحتيالًا، مع أنَّ بعضَهُمْ قَدْ صَرّحَ بِهَا:**

- فهذا **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** أوّلُ مَنْ صَنَّفَ في التَّصَوُّفِ قَدْ أوردَ ـ في كتابِهِ: «مسألة في التَّقِيَّةِ» ـ نُقولًا وأقوالًا لأئِمَّةِ التَّصوُّفِ، منها قولُهُ: «قال قومٌ: **التَّقِيَّةُ حَرَمُ المُؤمِنِ، كما أنَّ الكعبةَ حَرَمُ مَكّةَ**»[(١)].

- وذكرَ **محمود عبد الرؤوفِ قاسم** بيتًا **للغزاليِّ** يقولُ فيه:

«إذا كان قَدْ صَحَّ الخلافُ فواجب ... على كُلِّ ذي عقلٍ لزومُ التَّقِيَّةِ»[(٢)]

- ويتغنَّى شاعرُ الصُّوفيَّةِ **عُمَرُ بنُ الفارضِ** فيقولُ:

«فلاحٍ وواشٍ ذاك يُهدي لعزةٍ ... ضلالًا وذا بِي ظلّ يَهذي لغَرَّةٍ

---

(١) «اللُّمَع» للسّرّاج، كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة، مسألة في التَّقِيَّةِ (ص: ٣٠٣).
(٢) «الكشف عن حقيقة الصُّوفيَّةِ» (ص: ٤٣)، عَنِ «النفحات الغزالية» (ص: ١٤٩).

أخالفُ ذا في لَوْمِهِ عَنْ تقًى كما   أخالفُ ذا في لُؤْمهِ عَنْ تَقيّةٍ»[(١)]

فالتَّقِيَّةُ هي الملجأُ والملاذُ الذي فيه أمانُهُمْ عِنْدَ شعورِهِمْ بالخوفِ أَوِ الخطرِ مِنَ الوُشَاةِ ومِنَ المخالفينَ لَهمْ مِنْ أهلِ العِلْمِ والفضلِ، فيتحصّنونَ بِهَا كما يَتحصّنُ الخائفُ بالكعبةِ، فيشعرُ بالأمانِ ويَزولُ عنهُ الخطرُ مَا دامَ في مَقامهِ ذلك. فالتَّقِيَّةُ هي الأمانُ للصُّوفيَّةِ مِنْ سُلطانِ العِلْمِ وسُلطانِ السّنانِ.

■ يقولُ **الشَّعرانيُّ**: «إنَّ الجُنَيْدَ كان يَنصَحُ الشِّبْليَّ كثيرًا فيقولُ: لَا تُفْشِ سِرَّ اللهِ تَعَالَى بَيْنَ المحجوبينَ. ويقولُ: لَا ينبغي للفقيرِ قراءةُ كُتُبِ التوحيدِ الخاصِّ إلَّا بَيْنَ المصدِّقينَ لأهلِ الطريقِ، والمُسلِمينَ لَهمْ، وإلّا يُخَافُ حصولُ المقْتِ لمنْ كَذّبَهُمْ».

ويُعلّقُ **الشَّعرانيُّ** بقولِهِ: «ومِنْ هنا أخفَى الكامِلون ـ مِنْ أهلِ الطريقِ ـ الكلامَ في مقاماتِ التوحيدِ الخاصِّ شَفَقَةً على عَامَّةِ المُسلِمينَ، ورِفْقًا بالمجادلِ مِنَ المحجوبينَ، وأدبًا مع أصحابِ ذلك الكلامِ مِنْ أكابرِ العارفينَ».

وقال أيضًا: «**وكان الجُنَيْدُ لَا يتكلّمُ قَطُّ في عِلْمِ التوحيدِ إلَّا في قَعْرِ بيتِهِ، بَعْدَ أنْ يُغلِقَ أبوابَ دَارِهِ، ويأخذَ مَفاتيحَها تحتَ وَرِكِهِ، ويقولُ: أَتُحبُّونَ أنْ يُكَذِّبَ النَّاسُ أولياءَ اللهِ تَعَالَى وخاصّتَهُ، ويَرمونَهُمْ بالزَّنْدَقَةِ والكُفْرِ**». ويقولُ الشَّعرانيُّ معلقًا: «وكان سببُ فعلِهِ ذلك تَكلُّمَهُمْ فيه، فكان بَعْدَ ذلك يَستَتِرُ بالفِقْهِ إلى أنْ ماتَ»[(٢)]. يُشيرُ **الشَّعرانيُّ** إلى تكلُّمِ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنّةِ وعامّتِهم في **الجُنَيْدِ** وغيرِهِ مِنَ الصُّوفيَّةِ.

■ ويقولُ **الجُنَيْدُ** مُقرِّرًا هذا المبدأَ: «**الصُّوفيَّةُ أهلُ بَيْتٍ واحدٍ، لَا**

(١) «ديوان ابن الفارض»، التائية الكبرى، المسماة بنظم السلوك (ص: ٢٦).

(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ، المقدمة (١/ ١١).

يدخلُ فيهم غيرُهُمْ»[١]. ويعاتبُ الشِّبْليَّ فيقولُ: «نحن حَبَّرْنا هذا العِلْمَ تحبيرًا، ثُمَّ خبّأناهُ في السّراديبِ، فجئتَ أنتَ فأظهرْتَهُ على رُؤوسِ الملأ»[٢]. ويُوضِّحُ سببَ هذه السِّرّيَّةِ فيقولُ: «**أهلُ الأُنسِ يقولون في كلامِهِمْ ومُناجاتِهِمْ في خَلَواتِهِمْ أشياءَ هي كُفْرٌ عِنْدَ العَامَّةِ**». وقال مرّةً: «**لَوْ سَمِعَها العمومُ لَكفّروهُمْ، وهُمْ يَجدونَ المزيدَ في أحوالِهِمْ بذلك، وذلك يُحتمَلُ منهم ويَلِيقُ بِهم**»[٣].

يتّضِحُ مِنْ هذه النُّصوصِ أنَّ استعمالَهُمْ **للتَّقِيَّةِ**؛ إنَّما كان بَعْدَ نُشُوبِ الصّراعِ بينهم وبَيْنَ الفُقَهاءِ والعُلَمَاءِ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في القرنينِ **الثالثِ والرابعِ الهجريينِ**، والذي أدّى إلى تشريدِ ومُعاقبةِ عَدَدٍ مِنْ مَشايخِ الصُّوفيَّةِ في مُختلَفِ الأمصارِ والبلادِ الإسلامِيَّةِ، ويُعتَبَرُ مَقْتَلُ **الحلَّاجِ الشِّيعِيِّ الصُّوفِيِّ المُنْحَرِفِ** سنةَ **(٣٠٩هـ)** دَليلًا على حقيقةِ الصّراعِ وعُمْقِهِ بَيْنَ أهلِ الحقِّ والباطلِ.

والجُنَيْدُ أحدُ أُولَئِكَ المشايخِ الذين لَحِقَهُمُ الأذَى في ذلك الصّراعِ، وكان مُعاصرًا للحلَّاجِ والشِّبْليِّ، وهما مِمَّنِ اشتهرَ بالشّطحيّاتِ والانحرافاتِ العقائديَّةِ والسُّلوكيَّةِ في ذلك الوقتِ. ولكنَّ **الجُنَيْدَ** أحسَّ بِخُطورةِ الموقفِ إذا استمرَّ المُتَصَوِّفَةُ في إظهارِ عَقائِدِهِمْ وأفكارِهِمْ خَاصَّةً بَعْدَ المحنةِ التي اشتهرَتْ عِنْدَهُمْ باسمِ **مِحنَةِ غُلام خليل** وقَدِ اتُّهِمَ فيها نحوُ **سبعينَ** صُوفِيًّا بالزَّنْدَقَةِ والكُفْرِ وكان **الجُنَيْدُ** أحدَ أُولَئِكَ السّبعينَ ولكنّهُ تستّرَ بالفقهِ، وكان

(١) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٥٥٣).

(٢) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصوُّفِ» (ص: ١٧٢).

(٣) «إحياء علوم الدِّينِ»، كتاب المَحَبَّة والشوق والأنس والرِّضا، بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأُنس (٤/ ٢٩٢). وذكره مختصرًا أبو طَالِبٍ المَكِّيُّ في «قوت القُلوب» (٢/ ٧٧).

يُفْتِي على مذهبِ أبي ثَوْرٍ، وقَدْ شهدوا عليهِ بالزَّنْدَقَةِ حين كان يُقَرِّرُ في **علمِ التوحيدِ** كما ذكرَهُ مُصنِّفو الصُّوفيَّةِ.

وقَدْ ذكرَ **المحنةَ المزعومةَ** جماعةٌ، منهم: **السّرّاجُ الطُّوسيُّ**[(١)]، **والقُشَيْريُّ**[(٢)]، **والهُجْويريُّ**[(٣)]، **واليافعيُّ**[(٤)]، **والشَّعرانيُّ**[(٥)] **وغيرُهُمْ**.

فالجُنَيْدُ إنما أُخِذَ في تلك المحنةِ لإعلانهِ عَقائِدَ القومِ وما يسمُّونهُ بعِلْمِ التّوحيدِ، وكان بَعْدَ ذلك يُظْهِرُ عِلْمَ الفِقْهِ، وأمَّا عِلْمُ القومِ فكان يَتكلَّمُ بهِ في قَعْرِ بَيْتِهِ بَعْدَ إغلاقهِ الأبوابَ وأخذِ مَفاتيحِها تحتَ وَرِكِهِ كما تقدم قريبًا. وكان يَحُثُّ الشِّبْليَّ وغيرَهُ مِنَ الصُّوفيَّةِ بالتّكتُّمِ وعَدَمِ إظهارِ عُلومِهِمْ والأخذِ بالتَّقِيَّةِ لإنقاذِ الصُّوفيَّةِ والتَّصَوُّفِ مِنْ بَطْشِ العُلَمَاءِ والحكام.

والجُنَيْدُ قد عاصرَ **أبا يَزيدَ البِسْطَاميَّ (ت٢٦١هـ)** الذي اشتهرَ بالشَّطحيّاتِ القوليَّةِ والفعليَّةِ، الأمرُ الذي أدّى إلى طَرْدِه وإخراجِهِ مِنْ بَلَدِهِ بَعْدَ الحُكْمِ عليهِ بالكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ. وأقوالُهُ المُنحرفةُ تَتكافأُ مع أقوالِ **الحلَّاجِ** وانحرافاتهِ إنْ لَمْ تَزِدْ عليها، ولكن لعلَّ الصِّراعَ في أيّامِ أبي يَزِيدَ كان في أوّلِهِ، أو كان ضعيفًا، أو لَمْ يَكُنْ مِنَ الحُكَّامِ مَنْ يُنَفِّذُ أحكامَ العُلَمَاءِ في الصُّوفيَّةِ، كما كانَ الأمرُ أيّامَ **الحلَّاجِ** سنةَ (٣٠٩هـ).

وقد اضطَرَبَتْ أقوالُ وأحوالُ الجُنَيْدِ تُجَاهَ أبي يَزِيدَ والحلَّاجِ، واستعملَ التَّقِيَّةَ التي أنقذَتْهُ بزَعْمِهِ وزَعْمِ الصُّوفيَّةِ مِنْ ذلك الموقفِ، وقدِ اشتهرَ عنهُ اعتراضُهُ على الحلَّاجِ بينما اجتهدَ كثيرًا في تفسيرِ شَطحيّاتِ أبي يَزِيدَ والاعتذارِ عنه. وقَدْ جَمعَ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** اعتذاراتِهِ عنهُ في كتابِهِ «اللُّمَع» الذي صنَّفَهُ للدّفاعِ عَنْ شَطَحَاتِ الصُّوفيَّةِ وانحرافاتِهم، وعقدَ فيه فُصُولًا

---

(١) «اللُّمَع» (ص: ٤٩٣، ٥٠٠).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٥٠٣).
(٣) «كشف المحجوب» (١/ ٣٠ ـ ٣١) و(٢/ ٤٢١).
(٤) «نشر المحاسن الغالية» (ص: ٤٢٢).
(٥) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥).

وأبوابًا في تأويلِ مَا صدرَ عنهم مِنْ كُفْرٍ وزَنْدَقةٍ؛ لأنّهُ كان قريبَ عَهْدٍ بمقتلِ الحلَّاجِ ومُعاصرًا للصِّراعِ بَيْنَ الصُّوفيَّةِ وأهلِ العِلْمِ.

فالجُنَيْدُ دافعَ عَنْ أبي يَزِيدَ، ووَصَفَهُ مُعتذرًا لهُ بأنّهُ «مُعترفٌ مِنْ بحرٍ قَدِ انفردَ بهِ، وجُعِلَ ذلك البَحرُ لهُ وحدَهُ»[١]. وتناولَ شطحيّاتِهِ وفسّرَها، مُتأوّلًا مُحرِّفًا الكَلِمَ عَنْ مواضعهِ. ولمّا قِيلَ لهُ في اضطرابِ موقفهِ وأحسَّ بالخوفِ مِنَ البطشِ بهِ؛ لجأَ إلى **التَّقِيَّةِ**، فقال في **أبي يَزِيدَ**: «إنّ أبا يَزِيدَ مع عِظَمِ حالهِ وعُلُوِّ إشارتهِ لَمْ يخرجْ مِنْ حالِ البدايةِ، ولَمْ أسمعْ منهُ كلمةً تَدُلُّ على الكمالِ والنهايةِ»[٢].

واستعملَ **التَّقِيَّةَ** بعدَهُ تِلميذُهُ **الشِّبْليُّ** وكان أصْرَحَ منهُ فيها؛ لأنّهُ حضرَ وشاهدَ مَقْتَلَ الحلَّاجِ ومَصيرَهُ وكان صديقَهُ، وقَدْ تأثّرَ كثيرًا وحزنَ على رَفيقهِ. ويُذكرُ أنّهُ صاحَ ومَزّقَ ثيابَهُ أثناءَ قَتْلِهِ[٣]. ولما سُئِلَ **الشِّبْليُّ** عَنْ أبي يَزِيدَ - ولعلَّهُ سُئِلَ في امتحانٍ لهُ أثناءَ مُحاكمةِ الحلَّاجِ - قال: «لَوْ كان أبو يَزِيدَ ها هنا لأَسْلمَ على يدِ بعضِ صِبيانِنا»[٤].

فإنّهُ لمّا رأى تكفيرَ **الحلَّاجِ** وإجماعَ العُلَماءِ على ذلك وسيفَ السُّلْطان يُؤيّدُهُمْ؛ خافَ وأظهرَ **التَّقِيَّةَ**، فأشارَ إلى تكفيرِ **أبي يَزِيدَ**؛ مُوافقةً منهُ لموقفِ العُلَماءِ في تكفيرِ الحلَّاجِ. وإلا فقَدْ أعلنَ أنّهُ والحلَّاجَ على أمرٍ واحدٍ، وعقيدةٍ واحدةٍ؛ فقد ذكرَ **الهُجْويريُّ** هجْرَ **الجُنَيْدِ** وغيرهِ للحلَّاجِ، وذكرَ سببَ ذلك فقال: «**ولَمْ يَكُنْ هجرُ المشايخِ لهُ؛ يعني: الطّعنَ في دِينهِ ومذهبِهِ**، بلْ في حالِ دُنياهُ، فقَدْ كان في بدايةِ أمرهِ مُريدَ سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ، وانصرفَ عنهُ دونَ استئذانٍ... فتعلّقَ بالجُنَيْدِ فلمْ يَقْبَلْهُ، ولهذا السّببِ هجروهُ، **فهو مَهجورُ المعاملةِ لَا مَهجورَ الأصلِ**. أَمَا رأيتَ أنَّ الشِّبْليَّ قال: **أنا والحلَّاجُ**

---

(١) «اللُّمَع» (ص: ٤٥٩).
(٢) «اللُّمَع» (ص: ٤٧٩).
(٣) «أخبار الحلَّاج» (ص: ٢٤).
(٤) «اللُّمَع» (ص: ٤٧٩).

شَيْءٌ واحدٌ، فخلّصَنِي جُنوني وأهلَكَهُ عَقلُهُ». ثُمَّ يُعَلِّلُ ويَذكرُ سببَ مَا حصلَ للحلَّاجِ؛ أنّهُ مِنْ غَضَبِ الشُّيوخِ عليهِ، وعُقوقِهِ إيّاهُمْ[(١)].

فالجُنَيْدُ المُتوفَّى سَنةَ (٢٩٧هـ) **والشِّبْليُّ** المُتوفَّى سَنةَ (٣٣٤هـ) مِنْ أكثرِ مَنْ رُوِيَتْ عنهم أقوالٌ وأحوالٌ يَصِحُّ اعتبارُها مِنْ بابِ **التَّقِيَّةِ**، ولعلّهما مِنْ أوّلِ مَنْ دعا إلى هذا المبدأِ، وحثَّا عليهِ إنقاذًا للصُّوفيَّةِ والتَّصَوُّفِ. وقَدْ أخذَ **الجُنَيْدُ** على نفسهِ تطبيقَ هذا المنهجِ؛ فلزمَ تدريسَ النَّاسِ والعَامَّةِ الفِقْهَ، وتدريسَ الخاصَّةِ عُلومَ التوحيدِ المزعومةِ في السّراديبِ وخَلْفَ الأبوابِ الموصدةِ إلى أنْ ماتَ كما اشتهرَ عنهُ، وكان مُكرهًا على ذلك الفعلِ، ولكنَّ مصلحتَهُ الدّينيَّةَ والمذهبيَّةَ تُحتّمُ عليهِ ذلك.

روى **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** قال: «سَمِعْتُ فارسًا يقولُ: سمعتُ أبا عمرٍو الأنماطيَّ يقولُ: كُنّا عِنْدَ الجُنَيْدِ إذْ مرَّ بهِ النّوريُّ فسلّمَ، فقال لهُ الجُنَيْدُ: وعليك السلامُ يا أميرَ القُلوبِ! تَكَلَّمْ. فقال: يا أبا القاسم! غَشَشْتَهُمْ، فأجلسُوكَ على المنابرِ... وقال لهُ: إذا رأيتمُ الصُّوفِيَّ يَتكَلّمُ على النَّاسِ فاعلموا أنّهُ فارغٌ. ثُمَّ ذكرَ أنَّ الجُنَيْدَ كان يَقولُ: مَا رأيتُ قَلبي أحزنَ منهُ في ذلك الوقتِ»[(٢)]. ذلك لأنّهُ عَلِمَ أنَّ جُلوسَهُ كان تَقِيَّةً وحَذرًا مِنْ عُلَماءِ ذلك الوقتِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى؛ فقَدْ أثمرَتْ جُهودُهُمُ المباركةُ في إظهارِ الحقِّ، وإخفاءِ الشَّرِّ والكُفْرِ والنِّفَاقِ في البُيوتِ والسّراديبِ المُظلمةِ، ولقَدْ أثّرَتْ تلك الجهودُ إلى حَدٍّ كبيرٍ على الرَّغْمِ مِنْ أنَّ الصُّوفيَّةَ أقنعوا أتباعَهُمْ ومُريدِيهم بِعَدَمِ الالتفاتِ إلى تجريحِ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ للمشايخِ وأصحابِ الطُّرُقِ المُنحرفةِ وأشاعوا هذه الحيلةَ بينهم، حتَّى زَعَمَ بعضُهُمْ أنَّ تلك الأحكامَ والتّجريحاتِ بِمَثَابةِ شهاداتِ تقديرٍ واعترافٍ يَعتزّونَ بِهَا لدَلاَلَتِها كما زعموا على تَعمُّقِهِمْ في التَّصَوُّفِ. يقولُ **الجُنَيْدُ** في هذا

(١) «كشف المحجوب» للهجويريِّ (١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).
(٢) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصوُّفِ» (ص: ١٧٣ ـ ١٧٤).

المَعنَى: «**لَا يَبلغُ الرّجلُ عِندَنا مَبلغَ الرّجالِ حتَّى يَشْهَدَ فيهِ أَلْفُ صِدِّيقٍ مِنْ عُلَماءِ الرُّسُومِ بأنّهُ زِنديقٌ، وذلكَ لأنَّ أحوالَهمْ مِنْ وراءِ النَّقْلِ والعَقْلِ**»(١).

فالصُّوفيَّةُ اعتمدوا على التَّقِيَّةِ، وعَمِلوا بِهَا، وأوجبوها على مُريدِيهم، بِمعنَى: أنْ يَتظاهروا بالإسلامِ والشَّريعَةِ، ويُخفوا عَقائِدَهُمُ الصُّوفيَّةَ ويَكتموها إلَّا عَنْ أهلِها:

▪ نقل **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** عَنْ بعضِ شُيوخهِ في قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦] قال: «أَيْ: لَوْ نَطَقَ بالمَواجِيدِ على أهلِ الرُّسُومِ»(٢).

هكذا يُحرّفونَ كلامَ اللهِ تَعالَى ويَتلاعبون بِنُصُوصهِ بِعلْمِهِم وتفسيرِهِمُ الباطنيِّ؛ لِتَشْهدَ لَهمْ على بَاطِلِهِمْ ومذهبِهِمْ.

▪ ويقولُ **القُشَيْرِيُّ** ـ مُؤكِّدًا هذا المنهجَ ـ: «وهذه الطائفةُ يَستعملون ألفاظًا فيما بينهم، قَصدوا بِهَا الكشفَ عَنْ معانِيهم لأنفسِهِمْ، والإجمالَ والسّترَ على مَنْ بَايَنَهُمْ في طريقتِهِمْ؛ لتكونَ معاني ألفاظِهِمْ مُستبهمةً على الأجانبِ، غَيْرَةً منهم على أسرارِهِمْ أنْ تَشِيعَ في غيرِ أهلِها»(٣).

▪ ويقولُ **أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ** ـ مُقرِّرًا عَقيدةَ التَّقِيَّةِ ـ: «أَمَّا بَعْدُ! فقَدْ سألتني... أنْ أَبُثَّ إليك أسرارَ الأنوارِ الإلٰهيَّةِ... **ثُمَّ ليس كُلُّ سِرٍّ يُكشَفُ ويُفشَى، ولَا كُلُّ حقيقةٍ تُعرَضُ وتُجَلَّى، بلْ صُدورُ الأحرارِ قُبُورُ الأسرارِ، ولقَدْ قالَ بَعضُ العارفينَ: إفشاءُ سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ كُفْرٌ**»(٤).

ويُبَيِّنُ **الغَزاليُّ** ويُوضّحُ الحقائقَ التي لَا تُعرضُ والأسرارَ التي لَا تُكشفُ وسِرَّ الرُّبُوبِيَّةِ التي يَزْعُمُ أنَّ كشفَها كُفْرٌ، فيقولُ مُبيِّنًا حالَ مَنْ زَعَمَهُمْ

(١) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» ـ بهامش «الطبقات» للشَّعْرَانيِّ (١/ ١٣٤).
(٢) «التَّعرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصوُّفِ» (ص: ١٧٤).
(٣) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة»، باب تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان مَا يشكل منها (١/ ٢٢٩).
(٤) «مِشكاة الأنوار» للغَزَالِيِّ، المقدمة (ص: ٥ ـ ٦).

عارفينَ ومُكاشَفينَ: «**فلمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ إلّا اللهُ، فسَكَرُوا سُكرًا وَقعَ دُونهُ سُلْطانُ عُقولِهِمْ، فقال بَعضُهُمْ: أنا الحقُّ. وقال الآخرُ: سُبْحاني مَا أعظمَ شأني. وقال الآخرُ: مَا في الجُبَّةِ إلّا اللهُ**». ثُمَّ قال: «وكلامُ العُشّاقِ في حالِ السُّكرِ يُطوَى ولَا يُحكَى»[(١)].

هذه الأقوالُ الكفريَّةُ هي أسرارُ الرُّبُوبيَّةِ التي يَجِبُ كَتْمُها عَنِ النَّاسِ في مذهبِ المُتَصَوِّفَةِ؛ اتقاءً وحَذَرًا مِنْ تكفيرِ النَّاسِ لَهمْ، وإقامةِ الحُدودِ عَليهِم، وتنفيرِ النَّاسِ عنهم بَعْدَ انكشافِ أمرِهِمْ وكُفرِهِمْ.

▪ ويُقرِّرُ **عبدُ القادرِ الجيلانيُّ** عَقيدةَ التَّقِيَّةِ؛ فَيَزْعُمُ مَا معناهُ: أنَّ الأسرارَ وأحكامَ الطّريقِ يَجِبُ أنْ تُحفَظَ عَنِ الأجانبِ وتُكْتَمَ عنهم، مع النّظرِ إليهم بعينِ الشّفَقَةِ والرّحمةِ، كما يَجِبُ الصّبرُ على سُوءِ أخلاقِهِمْ، والأولى تَرْكُ مُعَاشَرتِهِمْ ومُخالَطَتِهِمْ والابتعادُ عنهم[(٢)].

والحقّ أنّهم يَتّقُونَ الأجانبَ (**يعني: أهلَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ**)؛ حِفاظًا على رِقَابِهِمْ وشَفَقةً على أنفسِهِمْ وحَقْنًا لدِمائِهِمْ وتَرويجًا لباطلِهِمْ، وإلّا فهم حَريصونَ كُلَّ الحرصِ على إشاعةِ التَّصَوُّفِ بَيْنَ النَّاسِ وتكثيرِ سوادِهِمْ.

▪ أَمَّا الصُّوفِيُّ الكبيرُ المُنحرفُ **أبو بَكْرٍ بنُ عَرَبِيٍّ**؛ فقَدْ أكثرَ مِنَ الدّعوةِ إلى الْتِزَام **التَّقِيَّةِ** في «مُصَنَّفاتِهِ» التي ملأَها بالظُّلماتِ والضَّلالاتِ، فيقولُ: «وهذا الفَنُّ مِنَ الكشفِ والعِلْمِ يَجِبُ سَتْرُهُ عَنْ أكثرِ الخلْقِ؛ لِما فيهِ مِنَ العُلُوِّ، فَغَوْرُهُ بَعيدٌ، والتّلفُ فيه قَريبٌ... وقَدْ كان الحَسَنُ البَصْرِيُّ إذا أرادَ أنْ يَتكلَّمَ في مثلِ هذه الأسرارِ... دَعَا بفَرقَدٍ السّبخي ومَالِكِ بنِ دينارٍ، ومَنْ حَضَرَ مِنْ أهلِ الذّوْقِ، وأغلقَ بابَهُ دُونَ النَّاسِ، وقعدَ يَتحدّثُ معهم في مثلِ هذا الفَنِّ، ولَولا وُجُوبُ كَتْمِهِ؛ مَا فعلَ هذا».

---

(١) «مِشكاة الأنوار» للغَزَالِيِّ، المقدمة (ص: ١٨).

(٢) «الغنية لطالبي طريق الحق» (٢/ ١٧٠).

ثُمَّ راحَ يَبحثُ عَنْ أَدِلَّةٍ أقوى مِنْ قِصّةِ الحَسَنِ وأكثرَ إقناعًا للنَّاسِ؛ فذكرَ حديثًا عَنِ **ابنِ عبّاسٍ** في قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، فقال: «لَوْ ذَكَرْتُ تفسيرَهُ لَرجَمْتُموني ولَقُلْتُمْ أنّي كَافِرٌ»(١). وحديثًا عَنْ **أبي هُرَيْرَةَ** أنّهُ تَلَقّى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ جرابينِ مِنَ العِلْمِ فَبَثَّ أحدَهُمْا وكَتَمَ الآخرَ لِئَلّا يُقتلَ بِبَثِّهِ(٢). ثُمَّ وَصَفَ الصُّوفيَّةَ فقال: «وكُتُبُ أهلِ طريقتِنا مَشحونةٌ بهذه الأسرارِ.. فالسّاترون لهذِهِ الأسرارِ في ألفاظٍ اصطلحوا عليها غَيْرَةً مِنَ الأجانبِ»(٣).

هكذا يَعْمَدُ **المُتَصَوِّفَةُ** إلى تحريفِ النُّصوصِ ومعانيها، واختلاقِ الأحاديثِ ونسبتِها إلى الرَّسُولِ ﷺ والصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لخدمةِ مذهبِهِمْ، شَأْنُ الرَّافِضَةِ والمُبتدَعَةِ جميعًا. فإذا كان الصَّحَابَةُ قَدْ كتموا الأسرارَ؛ فالصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ أولَى. هكذا يَكذبون على اللهِ تَعالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ؛ تسويغًا لباطلِهِمْ، ويَزْعُمُونَ أنّهم يفعلونَ ذلك شَفَقَةً منهم على العَامّةِ، وقَدْ كذبوا واللهِ!.

والحقُّ كما صَرّحَ بِهِ هنا **ابنُ عَرَبِيٍّ** مِنْ حيثُ يَدري أو لَا يَدري بقولِهِ: «والتّلَفُ فيه قريبٌ»؛ أَيْ: تَلَفُ أرواحِهِمْ ودمائِهِمْ وأموالِهِمْ ومَذْهَبِهِمْ. وقَدْ أكّدَ هذا المَعنَى في موضعٍ آخرَ فقالَ: «فالسّكوتُ عَنِ العُلوم العلميَّةِ بأهلِ طريقتِنا أولَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، بلْ هو حرامٌ عَليهِم بَسْطُها بحيثُ يُدرِكُها الخاصُّ والعامُّ، فيستعينُ بِهَا المفسدونَ على فَسادِهِمْ». ويقولُ كاذبًا: إنّهُ يَكتُمُها حتَّى «لَا يَصِلَ إليها مَنْ ليسَ منهم، ولَا أُبالي مِنْ تكذيبِهِ إيّايَ إذا سَلِمَ لي دِيني والحمدُ للهِ»(٤).

---

(١) تقدم تخريجُه في (ص: ٣٤٣). (٢) تقدم أيضًا تخريجُه في (ص: ٣٤٢).
(٣) كتاب «الفناء في المشاهدة» ضمن رسائله (ص: ٣ ـ ٤)، وانظر: «الفتوحات المكية» المقدمة (١/ ٣٢).
(٤) كتاب «الميم والواو والنون» ـ ضمن رسائله (ص: ٨).

يُرِيدُ ـ هذا الصُّوفيُّ الخُرافيُّ ـ **بالمفسدينَ: عُلَمـاءَ السُّنَّةِ، وبفسادِهِمْ: إقامةَ الحدودِ على المُتَصَوِّفَةِ المُنحرفينَ**. وعَلِمَ اللهُ تَعَالَى وأهلُ الحقِّ أنّهم هُمُ المفسدونَ ولكن لَا يَشعرونَ. ثُمَّ يَزْعُمُ عَدَمَ مُبالاتهِ مِنْ تكذيبِ العُلَمَـاءِ لهُ إنْ سَلِمَ لهُ دِينُهُ، والحقُّ أنّهُ يُريدُ سَلامةَ دُنياهُ ورَقَبَتِهِ؛ لأنَّ دِينَهُ سَيسْلَمُ حتَّى إنْ قُتِلَ، بلْ سيكونُ شَهِيدَ دِينِهِ ومذهبِهِ كحلَّاجِ المَحَبَّةِ وشهيدِها كما يَزْعُمُونَ ويصفونَ.

ويقولُ أيضًا ـ مُخاطبًا **الإمامَ الرَّازِيَّ** في رسالةٍ بعثَها إليه ـ: «وكنتُ أُريدُ أنْ أذكرَ الْخَلْوَةَ وشروطَها وما يَتجلّى فيها.. لكن منعني مِنْ ذلك الوقتُ، وأعني بالوقتِ: عُلَماءَ السوءِ الذين أنكروا مَا جَهِلُوا، وقيّدَهُمُ التّعصُّبُ وحبُّ الظهورِ والرئاسةِ عَنِ الإذعانِ للحقِّ والتّسليم لهُ إنْ لَمْ يَكُنِ الإيمان بِهِ»[(١)]. ويقولُ أيضًا: «إنْ عَاشرتَهُمْ على مَا أنت عليهِ قَتَلُوكَ، فالسّتْرُ أولَى، وأيسرهُ أنْ تكونَ كائنًا بائنًا»[(٢)].

ويقولُ أيضًا ـ عَنْ عُلُومِهِمُ الخاصَّةِ ـ: «ولَا يَسَعُ مَعرفةَ ذلك الكافّةُ، وإفشاءُ سِرِّ الرُّبُوبِيَّة كُفْرٌ، وقالَ بَعضُ العارفينَ: مَنْ صرّحَ بالتوحيدِ وأفشَى سِرَّ الوحدانيَّةِ فقَتْلُهُ أفضلُ مِنْ إحياءِ عَشَرةٍ. وقال بعضُهُمْ: للرّبُوبيَّةِ سِرٌّ لَوْ ظَهرَ لبطلتِ النُّبُوّةِ، وللنبوةِ سِرٌّ لَوْ كُشِفَ لَبَطلَ العِلْمُ، وللعُلَماءِ بِاللهِ سِرٌّ لَوْ ظهرَ بَطَلَتِ الأحكامُ. فقوامُ الإيمانِ واستقامةِ الشَّرْعِ بِكَتْمِ السِّرِّيَّةِ»[(٣)].

هكذا يُرِيدُ **المُتَصَوِّفَةُ** إقناعَ النَّاسِ بهذهِ السّرّيَّةِ والتَّقِيَّةِ، والتّسليم لَهُمْ في ذلك، وعَدَمِ الإنكارِ عَليهِم على أقلِّ تَقديرٍ، وإلَّا؛ فالأولى بهم خُروجُهم مِنْ دائرةِ الإسلام إلى حَظيرةِ التَّصَوُّفِ المُنْحَرِفِ والإيمانُ به. ويَزْعُمُونَ أنَّ في كَشْفِ تَصَوُّفِهِمْ إبطالٌ للنُّبوّاتِ، والشّرائعِ، وحتَّى الأحكامِ

---

(١) «رسالة الشّيْخ إلى الإمامِ الرازي» ـ ضمن رسائله (ص: ٧).

(٢) «كتاب التراجم» ـ ضمن رسائله (ص: ٤٨).

(٣) «رسالة الشّيْخ إلى الإمامِ الرازي» ـ ضمن رسائله (ص: ١٠).

والحُدودِ؛ طَمعًا منهم في تسليمِ النَّاسِ لَهمْ مبدأَ الكتمانِ والتَّقِيَّةِ جُملةً، وإنْ ظهرَ لَهمْ شَيْءٌ منها فيردُّوها إلى أهلِها ولَا يَخوضوا فيها، ولَا يَبحثوا ويَتعمّقوا لأنّهم رُبَّمَا أوصلتْهم إلى إبطالِ النُّبُوّاتِ والأديانِ؛ أَي: الكُفْرَ والرّدّةَ؛ لأنّهم لَا يَتحمّلونَها ولَا يَفهمونها؛ لأنَّ تَصَوُّفَهُمْ كالتَّشَيُّعِ **صَعبٌ مُستصعبٌ** لَا يَحتمِلُهُ إلَّا المُمتَحنون مِنْ أهلِ الإيمانِ والمُقرّبون مِنَ الملائكةِ.

فيا **أيّها المخالفون!** إيّاكُمْ والتّعرّضَ **للصُّوفيَّةِ** إنْ ظهرَ لكم منهم بعضُ الشَّطَحَاتِ القوليَّةِ أَوِ الفعليَّةِ، فضلًا عَنِ التّجرُّؤِ والتّسرُّعِ في تكفيرِهِمْ والتّشهيرِ بِهم لِمَا أظهروه مِنْ عِلْمٍ وكَشْفٍ. إنّكم إنْ فعلتُمْ ذلك؛ فإنَّ الأديانَ ستضطربُ، والشّرائعَ ستتعطّلُ، فعليكم بالتّسليمِ والإذعانِ وعَدَمِ الإنكارِ. وأنتم **أيّها الصُّوفيَّةُ!** مَا دُمْتُمْ في دَولَةِ أهلِ السُّنَّةِ وسُلطانِهِمْ وغَلَبَةِ عُلَماءِ الرُّسُومِ؛ فعليكم بالسّرّيَّةِ والكتمانِ أمامَ العَامّةِ، وإذا مَا خَلَوْتُمْ فاعملوا مَا شئتُمْ وأظهروا مَا هو كُفْرٌ وزَنْدَقَةٌ عِنْدَ عُلَماءِ الرُّسُومِ والظاهرِ.

هذا هو لِسَانُ حَالِ الصُّوفيَّةِ جميعًا إنْ لَمْ يَكُنْ لِسانَ مَقالِهِمْ، ويتجلَّى ذلك في مواقفَ كثيرةٍ أذكرُ منها مَوقِفَهُمْ قديمًا وحديثًا مِنْ زِنديقِ المَحبّةِ **الحلّاجِ**، فإنّهُ على الرَّغْمِ مِنْ إجْماعِ عُلَماءِ عَصْرِهِ على كُفْرِهِ والحُكْمِ عليهِ بالقَتْلِ والصَّلْبِ؛ فإنّهُمْ ما زالوا يتباكوْنَ عليهِ ويَنوحونَ عِنْدَ ذكرِهِ ويَنعِقُونَ بالتّرحُّمِ والثّناءِ عليهِ في جميعِ مُصَنّفَاتِهِمْ ومَقالاتِهم، ومَنْ تَكلّمَ فيه وعابَ عليهِ إنَّمَا عابَهُ بسببِ إظهارِهِ وإذاعتِهِ **الأسرارَ الصُّوفيَّةَ** على العَامّةِ لَا بسببِ كُفْرِهِ وخُروجِهِ ومُروقِهِ مِنَ الدِّينِ والإيمانِ.

ولقَدْ كان **الشِّيعَةُ** أكثرَ ذكاءً مِنَ **الصُّوفيَّةِ** في موقفِهِمْ مِنَ **الحلَّاجِ**؛ فقَدْ حكموا عليهِ بالخروجِ عَنِ التَّشَيُّعِ وتبرّأوا منهُ، وأخرجوا في ذلك صُكوكًا مُوقّعةً معتمدةً، فزَعَموا أنّهُ قَدْ صَدَرتْ في حَقِّهِ والبَراءةِ منهُ مَراسيمُ شِيعِيَّةٌ مِنْ أَرْوِقَةِ الدّولةِ الرَّافِضِيَّةِ مِنْ **سِردابِ سَامرّاءَ** بتوقيعِ صاحبِ الأمرِ والزّمانِ

المهديِّ. عِلْمًا بأنّهُ كان مِنْ أكابرِهِمْ، ومِمّنْ زَعَمَ أنّهُ مِنَ **الأبوابِ** بَيْنَ الشِّيعَةِ والمهديِّ أثناءَ غَيْبَتِهِ الصُّغرَى.

• ذكرَ **الشَّعرانيُّ** أنَّ أصحابَ **عَبْدِ اللهِ القُرشيِّ** طلبوا منهُ التَكلُّمَ في عِلْمِ الحقائقِ وكان أصحابُهُ ستمائةَ رَجُلٍ، فقال: اختاروا منهم **مائةً**، ومِنَ المائةِ **عشرينَ** ثُمَّ مِنَ العشرينَ **أربعةً**. يقولُ **الشَّعرانيُّ** يَصِفُ الأربعةَ: «وكانوا أصحابَ كُشوفاتٍ ومَعارفَ». ثُمَّ يذكرُ أنَّ الشّيْخَ قال: «لَوْ تكلّمتُ عليكم في عِلْمِ الحقائقِ والأسرارِ؛ لكان أوّلَ مِنْ يُفْتِي بكُفْرِي هؤلاءِ الأربعةُ»[(١)].

هكذا يَفتخرون بتكفيرِ النَّاسِ لَهمْ بِلَا حَياءٍ ولَا خَجلٍ، ويَعتزّون بذلك ويَعُدُّونَها في مَناقبِهِمْ ذلك لأنَّ إمامَهُمْ وشَهيدَهُمُ الحلَّاجَ المقتولَ قَرَّرَ لَهمْ ذلك، فقال مُخاطبًا بعضَ خواصِّهِ: «**السّلامُ عليك يا وَلَدي، سَتَرَ اللهُ عنكَ ظاهرَ الشَّريعةِ، وكشفَ لك حقيقةَ الكُفْرِ؛ فإنَّ ظاهرَ الشَّريعةِ شِرْكٌ خَفِيٌّ، وحقيقةَ الكُفْرِ مَعرفةٌ جَليَّةٌ**»[(٢)].

▪ وأوردَ **عبدُ الحليم محمود** عَنْ شَيْخِهِ **أبي مَدْيَنَ** أنّهُ قِيلَ لهُ: مَا حقيقةُ سِرِّكَ في توحيدِكَ؟ فقال: «سِرّي مَسرورٌ بأسرارٍ، تُسْتَمَدُّ مِنَ البحارِ الإلٰهيَّةِ، التي لَا ينبغي بَثُّها لغيرِ أهلِها...، وأَبَتِ الغَيْرَةُ الإلٰهيَّةُ إلَّا أنْ تَستُرَها، وهي أسرارٌ مُحيطةٌ بالوجودِ، ولَا يُدْرِكُها إلَّا مَنْ كان وَطَنُهُ مَفقودًا، وكان في عَالَمِ الحقيقةِ بسرِّهِ موجودًا»[(٣)].

فالصُّوفيَّةُ المعاصرون يؤكّدون استمرارَهُمْ على الأخذِ بالتَّقِيَّةِ، ومبدأِ الكتمانِ للأسرارِ التي هي كُفْرٌ مَحضٌ؛ لِمَا وجدوا في ذلك مِنَ الفُسْحَةِ لَهمْ

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ، المقدمة (١/ ١٢).
(٢) «رسالة الشّيْخِ إلى الإمامِ الرازي» ضمن رسائل ابنِ عَرَبِي (ص: ١٣)، و«أخبار الحلَّاج» (ص: ٥٠).
(٣) «أبو مدين الغوث» (ص: ١٤١).

في دِينِهِمْ ونَشْرِ دَعوتِهِمْ، ومُمارسةِ طُقوسِهِمْ ومُنكراتِهِمْ، ولِمَا فيها مِنَ السّلامةِ لأرواحِهِمْ وأموالِهِمْ، لذلك اتّخذوه أصلًا في طريقتِهِمْ، ورُكنًا في مذهبِهِمْ وزَيّنوهُ بِمَا يَكفُلُ لَهمْ رَواجَهُ بَيْنَ مُريديهِ، والعَامَّةِ مِنَ النَّاسِ بِمَا أَوّلُوهُ مِنْ آياتٍ قُرآنيَّةٍ وأحاديث نَبويَّةٍ، وبما اخترعوه مِنْ رواياتٍ وأكاذيبَ حتَّى على عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في موقفِهِمْ وصِراعِهِمْ ضِدَّ الصُّوفيَّةِ والتَّصَوُّفِ.

لمّا وافقَ الصُّوفيَّةُ أهلَ الرَّفْضِ في التزامِ التَّقِيَّةِ والكتمانِ؛ صَدرَتْ عنهم جميعًا التّصريحاتُ والصّرخاتُ التي يُطْلِقُونَها ويَنْعِقُون بِهَا تمويهًا على النَّاسِ والعوامِّ والتّظاهرِ لَهمْ بأنّهم مِنْ أهلِ الحقِّ والدُّعاةِ إليه.

يتجلّى هذا في **الرَّافِضَةِ** بِمَا يتظاهرون بهِ، ويَتباكوْن عليهِ، ويَذرِفون لهُ دُمُوعَ التّماسيحِ الكاذبةِ، مِنَ الدّعوةِ إلى الوِحْدَةِ بَيْنَ المُسلِمينَ، وما يُنكرونهُ مِنْ عَقائِدَ شِيعِيَّةٍ وأُصُولٍ دِينيَّةٍ مُقرَّرَةٍ عِنْدَهُمْ؛ فيُنكرونَها تَقِيَّةً وكَذِبًا أمامَ أهلِ السُّنَّةِ في دَعوتِهِمْ إيّاهُمُ التّقريبَ بَيْنَ المذاهبِ بِزَعمِهِمْ، وهُمْ في الحقيقةِ إنَّمَا يَسعوْنَ إلى نقلِ أهلِ السُّنَّةِ مِنْ نُورِ الجماعةِ والسُّنَّةِ إلى ظُلْمةِ الرَّفْضِ وحَظيرةِ التَّشَيُّعِ إنْ أمكنَهُمْ ذلك، وإلَّا؛ فيَأملونَ في بَلبلةِ أفكارِهِمْ وتمييعِ مواقفِهِمْ ضِدَّ أهلِ الرَّفْضِ وغَيرِهِمْ مِنَ المُبتدِعينَ، وتَشكيكِهِمْ في تَاريخِهِمْ وعُلمائِهِمْ، وبالتّالي إيجادُ جيلٍ مِنَ المُسلِمينَ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ يُسَلِّمونَ للشِّيعَةِ تَشَيُّعَهُمْ ولَا يُنكرون عَليهِم ولَا يَطعنون فيهم بلْ يَتْرُكُونَهُمْ وشَأنَهُمْ لِيتمكّنوا منهم في نهايةِ الأمرِ ويَصْرِفُوهُمْ عَنْ دِينِهِمُ الحقِّ.

وكذلك **الصُّوفيَّةُ**؛ فإنَّ لَهمْ أقوالًا يُقَرِّرون فيها مَذْهَبَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، كادِّعائِهِمْ بِأنَّ مذهبَهُمْ مُقيّدٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وزَعْمِهِمْ مُحاربةَ البِدَعِ وغيرِها؛ روى **القُشَيْرِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **أبي يَزِيدَ البِسْطَامِيِّ** قولَهُ: «لَوْ نَظرتُمْ إلى رَجُلٍ أُعطِيَ مِنَ الكراماتِ حتَّى يَرتقيَ في الهواءِ؛ فلا تَغترّوا بِهِ حتَّى تنظروا كَيف تَجِدونَهُ عِنْدَ الأمرِ والنّهيِ وحِفْظِ الحُدُودِ وأداءِ

الشَّريعةِ»(١). وروى عَنِ **الجُنَيْدِ** بإسنادِهِ إليهِ قال: «مذهبُنا هذا مُقيّدٌ بأُصُولِ الكتابِ والسُّنَّةِ». وقوله: «مَنْ لَمْ يَحفَظِ القُرآنَ ولَمْ يَكْتُبِ الحديثَ؛ لَا يُقْتَدَى بِهِ في هذا الأمرِ لأنَّ عِلْمَنا هذا مُقَيّدٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ»(٢). أكتفي بهذا القدرِ مِنَ الأقوالِ، وإلّا فكُتبُهُمْ مَشحونةٌ بِمثْلِ هذه الأقوالِ التي قالوها تَقِيَّةً، ومُمارسةً لتلبيسِهِمْ على أهلِ السُّنَّةِ، وتَرويجًا لتَصوُّفِهِمْ، وسلامةً لأرواحِهِمْ وأموالِهِمْ.

وهذه الأقوالُ تُناقِضُ أقوالًا كثيرةً وأحوالًا صَدرتْ منهم واشتهرتْ عنهم؛ **فأبو يَزِيدَ** هو القائلُ ـ فيما رَواهُ بالإسنادِ إليه جَامِعُ كراماتِهِ وأقوالِهِ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** ـ: «**رُفِعْتُ مَرّةً حتَّى أُقِمْتُ بَيْنَ يديهِ، فقال لي: يا أبا يَزِيدَ! إنّ خَلْقِي يُرِيدونَ أنْ يَرَوْكَ**. قال أبو يَزِيدَ: يا عزيزي! أني لَا أحبُّ أنْ أرَاهُمْ، فإنْ أحببتَ ذلك مني فإنّي لَا أَقْدِرُ أنْ أُخَالِفَكَ، فزَيِّنّي بِوَحْدَانِيّتِكَ حتَّى إذا رَآني خَلْقُكَ قالوا رَأيناكَ. فتكونُ أنت ذاكَ، ولَا أكون أنا هناك. قال أبو يَزِيدَ: ففعلَ ذلك، فأقامني وزَيَّنّي ورَفَعَني، ثُمَّ قال: أُخرجْ إلى خَلْقِي. فخَطوتُ مِنْ عِندهِ خُطوةً إلى الخَلْقِ، فَلَمّا كان الخطوة الثانية غُشِيَ عَلَيَّ، فناداني: رُدُّوا حَبيبي؛ فإنَّهُ لَا يَصبِرُ عَنّي»(٣).

وقَدِ اشتهرَ **أبو يَزِيدَ** بِمثْلِ هذه الأقوالِ المُنْكرةِ، وقَدْ أَتعبَ مَنْ بَعدَهُ مِنَ الصُّوفيَّةِ في تفسيرِها، وتَبريرِها والاعتذارِ عنهُ بِمَا هو أقبحُ. كما فعلَ ذلك **الجُنَيْدُ** فيما نَقلَهُ عنهُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** أثناءَ دِفَاعِهِ عَنِ الشَّطْحِ والشَّطَحاتِ الصُّوفيَّةِ القوليَّةِ والفعليَّةِ(٤).

وقَدْ ذكرَ جُملةً مِنْ هذه الكُفريَّاتِ **صاحبُ كتابِ** «النور في كلمات أبي

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ١٠٣). (٢) المصدر السابق (١/ ١٣٤).
(٣) «النور في كلمات أبي طيفور» (ص: ١٤٩)، و«اللُّمَع» للطُّوسِيِّ (ص: ٤٦١).
(٤) «اللُّمَع» (ص: ٤٦١)، وقَدْ عقد بَابًا خاصًّا في ذكرِ شَطَحَاتِ أبي يزيدَ وتفسيرِها وتخرِيجها.

طيفور»، ويرويها بالإسنادِ إليه، وفيها مِنَ الجُرْأَةِ على اللهِ تَعَالَى والكَذِبِ والغُلُوِّ في كَراماتهِ ومُعجزاتهِ مَا يُستَحَى حتَّى مِنْ ذِكْرِهِ.

والجُنَيْدُ صاحبُ تلك الأقوالِ المزعومةِ في التَّمَسُّكِ بالسُّنَّةِ هو ذَاتُهُ مَنْ كَرّسَ نَفسَهُ للدّفاعِ عَنْ **أبي يَزِيدَ** حتَّى في مَقالتهِ المتقدِّمَةِ. ويَذْكرُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** أنَّ لهُ كتابًا في تفسيرِ كلامِ أبي يَزِيدَ[١]. وهو القائلُ فيما اشتهرَ عنهُ أنّهُ: «لَا يَجِبُ للمُبتدئِ الاشتغالُ بالتّكسُّبِ والتَّزوُّجِ وطَلَبِ الحديثِ، وأنَّ عَدَمَ القِراءَةِ والكتابةِ للصُّوفِيِّ أجمعُ لهمّتِهِ، وأنَّ الصُّوفِيَّ الصَّادِقَ غَنِيٌّ عَنْ عِلْمِ العُلَمَاءِ»[٢].

إلى غيرِ ذلك مِنَ الأقوالِ والأحوالِ التي تُروى عنِ **الجُنَيْدِ** مِمَّا تَتعارضُ مع منهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وقَدْ مرَّ قريبًا اعْتِزَازُهُ وافتخارُهُ إذْ شَهِدَ عُلَماءُ الرُّسُوم عليهِ بأنّهُ زِنديقٌ؛ لِما يَزْعُمُ أنَّ أحوالَهُمْ مِنْ وراءِ النّقلِ والعَقلِ. فأينَ تَقَيُّدُهُمُ المزعومُ بالكتابِ والسُّنَّةِ إنْ كانتْ أحوالُهُمْ مِنْ وراءِ النّقلِ والعَقلِ؟

إنَّ أقوالَهُمْ تلك مَا هي إلَّا **تَقِيَّةً وكَذِبًا**؛ لأنَّ التَّقِيَّةَ عِنْدَهُمْ مُقرَّرةٌ بأدِلَّةٍ مَزعومةٍ ودَعاوَى كاذبةٍ مِنْ سُنّةِ النَّبيِّ ﷺ، ومِنَ القُرآنِ الكريمِ أيضًا، ومِن منهجِ الصَّحَابَةِ وسَلَفِ الأُمَّةِ. وقَدْ كذبوا في الْتِزَامِ التَّقِيَّةِ والكِتْمانِ كمنهجٍ في التَّدَيُّنِ والدَّعْوَةِ؛ فإنَّ اللهَ تَعَالَى أمرَ الأنبياءَ والمُرْسَلينَ بالصَّدْعِ بالدّعوةِ والتّبليغِ وأمرَ بذلك المؤمنينَ، إذْ قِوامُ الأديانِ واستقامةُ الشّرائعِ الإلَهيَّةِ إنَّما تكونُ مع التّبليغِ، وهلاكُ الأُمَمِ وضياعُ الأديانِ في الكتمانِ والتَّقِيَّةِ.



(١) «اللُّمع» (ص: ٤٦١).
(٢) تقدم ذكرُها وتخريجُها في مبحثِ القُرآنِ والسُّنَّةِ (ص: ٣٨١).

المبحث الخامس

الإمامةُ والوِلايَةُ

وفيه أربعةُ مَطالبَ:

- المطلبُ الأوّلُ: الإمـامـةُ لُـغَـةً واصطلاحًا.
- المطلبُ الثاني: الوِلايَـةُ لُـغَـةً واصطلاحًا.
- المطلبُ الثالثُ: الإمـامـةُ الشِّيعِيَّةُ والوِلايَـةُ الصُّوفِيَّةُ.
- المطلبُ الرابع: خَصائصُ الإمامةِ والوِلايةِ عِندَ الشِّيعةِ والصُّوفِيَّةِ

* * *

المطلبُ الأول

الإمامةُ لُغَةً واصطلاحًا

يقولُ **الأزهريُّ**: «الإمامُ: كُلُّ مَنِ ائْتَمَّ بهِ قَومٌ، كانوا على الصراطِ المستقيم، أو كانوا ضالّينَ». ويقولُ ابنُ فارسٍ والجوهريُّ: «الإمامُ: الذي يُقتدَى بهِ». **وفي «لسانِ العربِ»**: «أَمَّ القومَ وأَمَّ بِهِمْ: تقدَّمَهُمْ، وهي الإمامةُ. وعَنِ ابنِ سِيده: الإمامُ مَا ائتُمَّ بهِ مِنْ رئيسٍ وغيرِهِ. وإمامُ كُلِّ شَيْءٍ: قَيِّمُهُ والمصْلِحُ لهُ... والخليفةُ إمامُ الرَّعِيَّةِ»[(١)].

- **فالإمامةُ في اللُّغةِ**: مَصْدَرٌ مِنَ الفعلِ **(أَمَّ)** بِمعنَى: تقدَّمَ ورَأَسَ، سواءٌ كان المتقدّمُ على هُدًى وعلى صِراطٍ مُستقيمٍ، أو كان على الضَّلالةِ والفُجورِ، فهي قِيَادةٌ ورِئَاسةٌ عَامَّةٌ مطلقةٌ.

---

(١) «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٦٣٨). «مجمل اللغة» لابن فارسٍ (١/ ٨٢)، و«الصحاح» للجوهريِّ (٥/ ١٨٦٥). «لسان العرب» (١٢/ ٢٤) لابن منظور.

• **وأمَّا في الاصطلاحِ**: فإنَّهُ أخصُّ منهُ في اللُّغةِ فهي تَعني: رِئاسةَ العَامّةِ وقيادتَهُمْ لِما فيه صلاحُهُمْ في دُنياهُمْ وآخرتِهمْ وَفْقَ هَدْيِ اللهِ تعالَى وشَرْعِهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

يقولُ **ابنُ خلدون**: «والخلافةُ هي حملُ الكافّةِ على مُقْتضَى النّظرِ الشَّرعِيِّ في مَصالِحهُمُ الأُخرويَّةِ والدُّنيَويّةِ الرّاجِعَةِ إليها، إذْ أحوالُ الدُّنيا ترجِعُ كُلُّها عِنْدَ الشَّارِعِ إلى اعتبارِها بِمصالحِ الآخرةِ. فهي في الحقيقةِ نيابةٌ عَنْ صاحبِ الشَّرْعِ في حراسةِ الدِّينِ وسياسةِ الدُّنيا بهِ»(١).

فالإمامةُ في **اصطلاحِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** هي الخِلافةُ والوِلايَةُ العَامّةُ للمُسلمينَ كافّةً في سياسةِ أُمُورِهِمْ وأحوالِهِمْ باعتبارِ الشَّرْعِ ومُقتضاهُ لِما فيه صلاحُهُمْ في مَعاشِهِمْ ومعادِهِمْ، ولَا صلاحَ للإسلامِ والمُسلِمينَ إلَّا بالإمامةِ التي تَحمي شَعَائِرَ الدِّينِ وتُقِيمُ أحكامَهُ وحُدودَهُ، وتَرُدُّ عَنِ المُسلِمينَ ودِيارِهِمْ كَيْدَ الأعداءِ والظّالمينَ. ولذلك أجمعَ المُسلِمونَ على وُجُوبِ الإمامةِ ونَصْبِ الإمامِ، ولَمْ يَشِذَّ في هذا الأمرِ إلَّا بعضُ مَنْ لَا يُعتَدُّ بِهِمْ مِنَ الخوارجِ والمُعتَزلةِ ومَنْ وافقَهُمْ.

• يقولُ **ابنُ حَزْمٍ** رَحِمَهُ اللهُ: «اتّفقَ جميعُ أهلِ السُّنَّةِ، وجميعُ المُرْجِئَةِ، وجميعُ المُعتَزِلةِ، وجميعُ الشِّيعَةِ، وجميعُ الخوارجِ؛ على وُجُوبِ الإمامةِ. وأنَّ الأُمَّةَ فرضٌ واجبٌ عليها الانقيادُ لإمام عادلٍ يُقِيمُ فيها أحكامَ اللهِ، ويَسُوسُهُمْ بأحكامِ الشَّريعةِ التي أُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. حاشَا النَّجَدَاتِ مِنَ الخوارجِ فإنّهم قالوا: لَا يلزمُ النَّاسَ فرضُ الإمامةِ وإنّما عَليهِم أنْ يَتعاطَوا الحقَّ بينهم»(٢).

• ويقولُ **ابنُ خلدون**: «ثُمَّ إنَّ نَصْبَ الإمامِ واجبٌ، قَدْ عُرِفَ وُجُوبُهُ

(١) المقدمة (١/ ٢٤٤).
(٢) «الفِصَل في المِلَل والنِّحَل والأهواء» (٤/ ١٤٩)، الكلام في الإمامة والمفاضلة.

مِنَ الشَّرْعِ بإجماعِ الصَّحَابَةِ والتَّابعينَ؛ لأنَّ أصحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ وَفاتِهِ بادروا إلى بَيْعَةِ أبي بَكْرٍ رضي الله عنه وتسليمِ النّظرِ إليه في أُمُورِهِمْ. وكذا في كُلِّ عَصْرٍ مِنْ بَعْدِ ذلك ولَمْ يُتْرَكِ النَّاسُ فوضى في عَصْرٍ مِنَ الأعصارِ، واستقرَّ ذلك إجماعًا دَالًّا على وُجُوبِ نَصْبِ الإمامِ، وقَدْ ذهبَ بعضُ النَّاسِ إلى أنّ مدركَ وُجُوبِهِ العَقْلُ... وقَدْ شذَّ بعضُ النَّاسِ فقال بِعَدَمِ وُجُوبِ هذا المنْصبِ رأسًا لَا بالعَقلِ ولَا بالشَّرْعِ، منهُمُ الأَصَمُّ مِنَ المُعتَزِلَةِ، وبعضُ الخوارجِ، وغيرُهُمْ»[(١)].

• ويقولُ **الهَيْتَمِيُّ**: «اِعْلَمْ أيضًا أنَّ الصَّحابةَ رِضْوانُ اللهِ عَليهِم أجمعوا على أنَّ نَصْبَ الإمامِ بَعْدَ انقراضِ زَمَنِ النُّبُوّةِ واجبٌ، بلْ جَعلوهُ أهمَّ الواجباتِ حيثُ اشتغلوا بهِ عَنْ دَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ... ثُمَّ ذلك الوجوبُ عِندَنا مَعْشَرَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ وعندَ أكثرِ المُعتَزِلَةِ: بالسَّمْعِ؛ أَيْ: مِنْ جِهَةِ التّواترِ والإجماعِ المذكورِ، وقال كثيرٌ: بالعقلِ»[(٢)].

فالشِّيعَةُ ومَنْ وافقَهُمْ؛ اتّفقوا مع أهلِ السُّنَّةِ وغيرِهِمْ مِنَ الفِرَقِ على وُجوبِ الإمامةِ ونَصْبِ الإمامِ، ولكنّهُمْ اختلفوا معهم في مُوجِبِ ذلك. فبينما ذهبَ أهلُ الحقِّ ومَنْ وافقَهُمْ أنَّ مُوجِبَهُ الشَّرْعُ واستدلوا عليهِ بآياتٍ كثيرةٍ وأحاديثَ كثيرةٍ وبالإجماعِ؛ ذهبَ الشِّيعَةُ ومَنْ وافقَهُمْ أنَّ مُوجِبَهُ العَقلُ، فأوجبوا على اللهِ تَعَالَى مَا تُملِيهِ عَليهِم عُقُولُهُمْ ومذاهِبُهُمُ المُنحرفةُ، تَعالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

فالإمامةُ عِنْدَ **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** واجبٌ شَرعيٌّ عَظيمٌ، بهِ قِوامُ البلادِ والعبادِ، وحفظُ الإسلامِ والمُسلِمينَ، ورفعتُهُمْ وصلاحُهُمْ في الدُّنيا والآخرةِ، وبهِ يُحفَظُ الدّينُ والشَّرْعُ، وبهِ تُسَاسُ الحياةُ الدُّنيا وأمورُ المعاشِ

(١) «المقدمة» (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).
(٢) «الصواعق» لابنِ حَجَرٍ الهيتميِّ (ص: ١٥ ـ ١٦).

وَفْقَ الشَّرْعِ ومُقتضاهُ. والإمامةُ العُظمَى يُطلَقُ عليها أيضًا الخلافةَ وإِمْرَةَ المؤمنينَ، فالقائمُ بِهَا يُسَمَّى: **إمَامًا، وخليفةً، وأميرًا للمؤمنينَ**، كما دَلَّ على ذلك النُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ واستعمالاتُ وإطلاقاتُ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى.

المطلبُ الثاني

الوِلايَةُ لُغَةً واصطلاحًا

يقولُ **ابنُ دُرَيْدٍ**: «الوِلايَةُ: الإِمْرَةُ. والوَلِيُّ: خِلافَ العَدُوِّ»[(١)]. ويَنقُلُ **الأزهريُّ** عَنِ **ابنِ الأعرابيِّ** قولَهُ: «الوَلِيُّ: التّابعُ المُحِبُّ. والوِلايَةُ التي هي بمنزلةِ الإِمَارَةِ مَكْسُورَةٌ»[(٢)]. ويقولُ **ابنُ فارسٍ**: «الوَلْي: القُرْبُ. والوِلايَةُ: النُّصْرَةُ والسُّلطانُ»[(٣)]. ويَقولُ **الجوهريُّ**: «الوَلْيُّ: القُرْبُ والدُّنُوُّ. والوَلِيُّ: ضِدُّ العَدُوِّ. والولايَةُ: السُّلْطانُ»[(٤)]. ويقولُ **الفيروزآبادي**: «الوَلْـيُّ: القُرْبُ والدُّنُوُّ... والوَلِيُّ: الاسمُ منهُ. والمُحِبُّ والصَّدِيقُ والنَّصِيرُ... والوِلايَةُ: الإمَارَةُ والسُّلْطَانُ»[(٥)].

• **فالوَلايَةُ في اللُّغةِ**: ضِدُّ العَداوةِ، وتَتضمّنُ: المحبَّةَ، والمتابعةَ، والتَّقَرُّبَ، والصّداقةَ، والنُّصْرَةَ. وهذه المعاني هي المُرادةُ في المَعنَى **الاصطلاحِيِّ والشَّرعِيِّ**.

يقولُ **الإمَامُ ابنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «والأولياءُ: جمعُ وَلِيٍّ، وهو النَّصِيرُ»[(٦)].

ويقولُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ: «والوِلايَةُ ضِدُّ العداوةِ، وأصلُ

---

(١) «جمهرة اللغة» (١/١٨٨).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٥/٤٤٨ ـ ٤٤٩). قولُه: (مكسورة)؛ أي: بكسرِ همزة الألف.
(٣) «مجمل اللغة» (٤/٩٣٦ ـ ٩٣٧). (٤) «الصحاح» (٦/٢٥٢٨ ـ ٢٥٣٠).
(٥) «القاموس المحيط» (ص: ١٧٣٢)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٦) «جامع البيان عن تأويل آي القُرآن» لابنِ جَريرٍ (١١/١٣١).

الوِلايَةِ: المَحَبَّةُ والقُرْبُ. وأصلُ العَداوةِ: البُغْضُ والبُعْدُ. وقَدْ قِيلَ: إنَّ الوَلِيَّ سُمِّيَ وَلِيًّا مِنْ مُوالاتهِ للطّاعاتِ؛ أَيْ: مُتابعتُهُ لها...». ثُمَّ يَصِفُ شَيْخُ الإسلامِ وَلِيَّ اللهِ بأنّهُ: «هو الموافقُ المتابعُ لهُ فيما يُحِبُّهُ ويَرضاهُ، ويُبغِضُهُ ويُسخِطُهُ، ويَأْمرُ بهِ وينهَى عنهُ.....»[(١)].

ويقولُ **الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ** رَحِمَهُ اللهُ: «المُرادُ بوَلِيِّ اللهِ: العَالِمُ بِاللهِ، المُواظِبُ على طَاعتهِ، المُخلصُ في عبادتهِ»[(٢)].

ويقولُ **القَاسِمِيُّ**: «الأولياءُ: جمعُ وَلِيٍّ، وهو في الأصلِ ضِدُّ العَدُوِّ، بِمعنَى: المُحِبّ؛ أَيْ: يَخافونَ ربَّهُمْ فيفعلون أوامرَهُ، ويتجنّبونَ مَناهيهِ مِنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ والفواحشِ. والأولياءُ: هُمُ الذين جمعوا بَيْنَ الإيمانِ والتّقوَى المُفْضِيَيْنِ إلى كُلِّ خيرٍ، المُنجِيَيْنِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[(٣)].

• **فالوِلايَةُ في الشَّرْعِ واصطلاحِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** تدورُ حَوْلَ القُربِ مِنَ اللهِ تَعالَى ومَحبّتهِ ونُصْرَةِ دِينهِ ومُتابعتهِ وطاعتهِ في أمرهِ ونهيهِ والإخلاصِ في ذلك كُلِّهِ.

• **والوَلِيُّ**: هو الذي يَتولَّى رَبَّهُ وخَالِقَهُ بالطّاعةِ، ويتولّاهُ رَبُّهُ بالحفظِ والتّأييدِ والنُّصْرةِ والمَعِيَّةِ الخاصَّةِ، كما دَلَّ عليهِ نُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ؛ يَقولُ اللهُ تَعالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فسَّرَ المُرادَ بالأولياءِ بأنّهُمْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣]؛ أَيْ: يُؤمنون بِاللهِ تَعالَى وبما أوجبَ عَليهِمُ الإيمانَ بِهِ في كتابهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ إيمانًا صحيحًا كما أرادَ منهم رَبُّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ يتّقونَ كُلَّ مَا أمرَهُمْ مَولاهُمْ باتّقائهِ

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» (ص: ٢٩ ـ ٣٠).
(٢) «فتح الباري»، كتاب الرقاق، باب التواضع (١١/ ٣٤٢).
(٣) «محاسن التأويل»، المسمى «بتفسير القاسمي» (٩/ ٣٣٦٤).

والبُعْدِ عنهُ، مِنْ أنواعِ الشِّرْكِ والمعاصي والذُّنوبِ، وما يَلزمُ ذلك مِن امتثالِ مَا أمرَهُمْ بهِ وحَثَّهُمْ عليهِ مِنْ أنواعِ الواجباتِ والمندوباتِ التي تكون سَببًا في قُربِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى واستحقاقِ وِلايتهِ ومَحبّتهِ ﷻ.

فالوَلِيُّ عِنْدَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ: كُلُّ مَنْ كان مُؤمنًا تَقِيًّا، وأفضلُ الأولياءِ عِنْدَهُمْ هُمُ الأنبياءُ والرُّسُلُ، ثُمَّ يَتفاضلُ الخلقُ بَعْدَهُمْ بحسبِ إيمانِهِمْ وتقواهُمْ، والصَّحَابَةُ أفضلُ هذه الأُمَّةِ؛ يقولُ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «ولَا يكونُ مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ أفضلَ مِنَ الصَّحَابَةِ. وأفضلُ أولياءِ اللهِ تَعَالَى أَعظمُهُمْ مَعرفةً بِمَا جاءَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ، واتّباعًا لهُ، كالصَّحَابَةِ الذين هُمْ أكملُ الأُمَّةِ في مَعرفةِ دِينهِ واتّباعهِ، وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أكملُ معرفةً بِمَا جاءَ بهِ وعملًا بهِ، فهو أفضلُ أولياءِ اللهِ؛ إذْ كانت أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ: أفضلَ الأممِ، وأفضلُها: أصحابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وأفضلُهُمْ: أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»[1].

فالأولياءُ إنَّمَا يتفاضلونَ فيما بينهم بحَسْبِ دِينِهِمْ وتَقواهُمْ لَا بأنسابِهِمْ وأحسابِهِمْ ولَا بألوانِهِمْ ومَظاهِرِهِمْ. والوِلايَةُ ليستْ مَحجورةً على طائفةٍ مُعَيّنَةٍ ذاتِ حَسَبٍ مُعيّنٍ ونَسَبٍ، أو ذاتِ مظاهرَ مُعيّنةٍ وطريقةٍ في الدِّينِ مُبْتدَعَةٍ، وإنّما هي عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ آمنَ واتّقى، ونَشَدَ الكمالَ في دِينهِ وتَقواهُ.

المطلبُ الثالث

الإمامةُ الشِّيعِيَّةُ والوِلايَةُ الصُّوفيَّةُ

□ يَعتَقِدُ **الشِّيعَةُ** أنَّ الإمامةَ مِنْ أهمِّ أُصُولِ الدِّينِ وأركانِ الإيمانِ، فلا إيمانَ لمنْ لَمْ يَعْرِفْ إمامَهُ ويُؤمِنْ بهِ وبحُقوقهِ.

■ ويَعتَقِدُ **الصُّوفيَّةُ** مثلَ ذلك في شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ، فمَنْ لَا شيخَ لهُ في هذه الدُّنيا؛ فإنَّ الشَّيْطَانَ شَيخُهُ وإمامُهُ وقَائدُهُ إلى جَهنّمَ. ولَا بدَّ على

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» (ص: ١٠٢).

مَنْ أرادَ النّجاةَ أنْ يَلتزِمَ بشَيْخٍ ووَلِيٍّ، والإيمانُ بهِ واعتقادُه، وحفظُ جميعِ حُقوقهِ وأسرارهِ وأحوالهِ.

• ويَعتَقِدُ **الشِّيعَةُ** أنَّ الإمامةَ مَنصبٌ إلٰهيٌّ، يَختارُ اللهُ لهُ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ يَشاءُ، كاختيارهِ واصطفائهِ مِنْ خَلْقِهِ للنُّبُوّةِ والرّسالةِ، وعليهِ؛ فإنَّهُ لَا يَجوزُ للنَّبِيِّ إغفالُ الإمامةِ أو تفويضُها للأُمَّةِ مِنْ بعدِهِ، بلْ عليهِ تَعيينُ مَنِ اختارهُمُ اللهُ تَعَالَى، والنَّصُّ عَليهِم وبيانُهُمْ للأُمَّةِ.

▪ وكذلك **الصُّوفيَّةُ**؛ يُؤمِنون بأنَّ الوِلايَةَ فَتحٌ مِنَ اللهِ تَعالَى واصطفاءٌ منهُ وَحدَهُ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ أعطاها لبعضِ أصحابهِ دُونَ غيرِهِمْ، وما زالتْ تَنتقِلُ إلى الأولياءِ بالإسنادِ المتّصِلِ المزعومِ.

• ويَعتَقِدُ **الشِّيعَةُ** أنَّ الإمامةَ لُطْفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى كالنُّبُوّةِ والرّسالةِ، فلا بدَّ مِنْ وجودِ إمامٍ في كُلِّ عَصْرٍ يَخلُفُ النَّبِيَّ في وظائفِهِ ومَهامِّهِ العظيمةِ مِنْ هِدايةِ البشرِ وإرشادِهِمْ، وبيانِ حُكمِ اللهِ تَعَالَى في كُلِّ نَازلةٍ تَحُلُّ بِهِمْ، والفَصْلِ بينهم في كُلِّ مُعضلَةٍ تَنزِلُ بِهِمْ، وقيادةِ البشريَّةِ إلى مَا فيه صلاحُهُمْ وسعادتُهُمْ في الدُّنيا والآخرةِ. فالإمامةُ استمرارٌ للنُّبُوّةِ والرّسالةِ، والأئِمَّةُ حُجَجُ اللهِ تَعَالَى على خَلْقِهِ، ولهم مَا للأنبياءِ مِنْ حقِّ التشريعِ، وطاعتُهُمْ واجبةٌ مثلَ طاعةِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ.

▪ وكذلك **الصُّوفيَّةُ** يعتقدون أنَّ الوِلايَةَ الصُّوفيَّةَ لُطْفٌ وامتدادٌ للنُّبُوّةِ والرّسالةِ، وأنَّ الأولياءَ يَخلُفون الأنبياءَ ويَقومون بوظائفهم وهُمْ حُجَجُ اللهِ تَعَالَى على جميعِ خَلْقِهِ، ولَا يَخلو منهم عَصْرٌ وزَمَنٌ. وهُمْ يَهْدون النَّاسَ ويَقودُونَهم لِما فيه خيرُهُمْ وصلاحُهُمْ، ويُبيّنونَ حُكمَ اللهِ في النّوازلِ وغيرِها بِمَا خَصَّهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ اطّلاعٍ، ومعرفةٍ بالغيبِ، والإلهامِ، وبما خَصَّهُمْ بهِ مِنْ عُلومٍ ومعارفَ.

• ويَعتَقِدُ **الشِّيعَةُ** عِصْمَةَ الأَئِمَّةِ مِنْ جميعِ الرّذائلِ والخطايا الظّاهرةِ والباطنةِ، ومِنْ كُلِّ سَهْوٍ وخطأٍ ونسيانٍ وجهلٍ ونقصٍ، مِنْ طُفولتِهِمْ حتَّى

مَوتِهِمْ، وأنّهم يَجرون في ذلك مجرَى عِيسَى ويَحْيَى عليهما السلام في حُصولِ الكمالِ حتَّى في صِغَرِهِمْ ومَهْدِهِمْ كما يَزْعُمُونَ.

▪ وكذلك **الصُّوفيَّةُ** يعتقدون في شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمُ العِصْمَةَ، وإنْ سمَّوْها بغيرِ اسمِها. فيقولون: «الشيوخ محفوظون»، ويأمرون المُريدينَ باتّباعِ الشُّيوخِ في كُلِّ مَا يقولون ويفعلون، مع تَرْكِ الاعتراضِ عَليهِم حتَّى فيما بَدا في ظاهِرِهِ في صُوَرِ المعاصي والذُّنوبِ، وذلك لأنّهم محفوظونَ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ ومَعصيَةٍ وزَلَلٍ؛ لأنّهم كالأطفالِ في حِجْرِ الحقِّ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

• ويَعتَقِدُ **الشِّيعَةُ** أنَّ أئِمَّتَهُمْ يَمتازون بصفاتٍ وخَصائصَ مَيّزهُمُ اللهُ تَعَالَى وخصَّهُمْ بِهَا دُونَ غيرِهِمْ مِنَ الخَلْقِ. وقَدْ غَلَوْا فيهم وفي تلك الصِّفَاتِ والخصائصِ غُلُوًّا عظيمًا، فوصفوهُمْ بصفاتِ الألوهيَّةِ وخَصُّوهم بخَصائصِ الرُّبُوبيَّةِ مِنْ تَصرُّفِهِمْ في الأكوانِ وإحاطتِهمْ بِكُلِّ شَيْءٍ ومَعرفَتِهِمْ بِكُلِّ مَا ظَهرَ وما بَطَنَ وعِلْمِهِمْ حتَّى بِخَافِيَةِ الصُّدورِ وخَائِنَةِ الأَعيُنِ في الحياةِ الدُّنيا. ولَمْ يقفوا عِنْدَ هذا الحدِّ، بلْ جَعلوهم يُدْخِلُونَ الجَنَّةَ مَنْ شاءوا مِنْ أتباعِهِمْ ومُحبِّيهم وشِيعَتِهِم بزَعمِهِمْ، ويُدْخِلُونَ النَّارَ مَنْ شاءوا مِنْ أعدائِهِمْ وسَائِرِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى، إلى غيرِ ذلك مِنْ أنواعِ الغُلُوِّ الذي جعلَ الأَئِمَّةَ في مَراتبِ الرُّبُوبِيَّةِ والألوهيَّةِ.

▪ وكذلك **الصُّوفيَّةُ**؛ فإنّهم غَلَوْا في شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ غُلُوًّا عظيمًا ورفعوهم بإطرائِهِمْ فيهم إلى منزلةِ الرُّبُوبِيَّةِ والألوهيَّةِ، فأنواعٌ مِنَ العباداتِ تُصْرَفُ لَهمْ مِنْ دونِ اللهِ تَعَالَى، وأمورٌ كثيرةٌ يَتصرّفونَ فيها في هذه الحياةِ الدُّنيا، ولَا يُسألونَ عَمَّا يفعلونَ، ولَا يُعترَضُ عَليهِم في شَيْءٍ مِنْ ذلك كُلِّهِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ خصَّهُمْ بالتّصريفِ والأفعالِ ليس في الدُّنيا فَحَسْبُ بلْ حتَّى في الآخرةِ يُدْخِلُونَ الجَنَّةَ مَنْ شاءوا مِنْ مُحبِّيهم ومُرِيدِيهم، ولَا يَذَرونَ في النَّارِ مِنْ مُريديهِم أحدًا مهما كان عاصيًا مُذنِبًا مُستحقًّا للعذابِ، بِمَا

خصَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ خصائصَ، وبما منحَهُمْ مِنْ مواهبَ وكراماتٍ زَعَمُوها. تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلك كُلِّهِ عُلُوًّا عظيمًا.

الحاصلُ؛ أنَّ التَّشَيُّعَ والتَّصَوُّفَ يقومانِ أساسًا على تعظيمِ الأشخاصِ والغُلُوِّ فيهم لدرجةِ العبادةِ، فالحقُّ عِنْدَ الفريقينِ يُعرَفُ بالرِّجالِ، بلْ يَدورُ مع رجالٍ مخصوصينَ حيثما داروا، وهذا هو جَوْهرُ الخلافِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الفِرْقَتَيْنِ الضَّالّتينِ مِنْ جِهَةٍ وبَيْنَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ مِن جهةٍ أُخرى الذين يَنشُدونَ الحقَّ وهو ضَالّتُهُمْ. وشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يُمَحِّصُ الرّجالَ بالحقِّ، وبَيْنَ مَنْ يتّخِذُ رِجالًا أربَابًا مِنْ دونِ اللهِ، يُشَرِّعونَ لَهمْ ويُبَدِّلُونَ لَهمْ دِينَهُمُ الحقَّ ويُزيّنونَ لهَمُ الرَّفْضَ والضَّلالَ الصُّوفيَّ.

كان هذا ذِكْرٌ مُجملٌ **للإمامةِ عِنْدَ الشِّيعَةِ والوِلايَةِ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ**، تَبيَّنَ بهِ قُوّةُ العلاقةِ والارتباطِ الوثيقِ **بَيْنَهما** في أُصُولِ المذهبِ ووسائلِ الدّعوةِ ومناهجِ التّربيَةِ.

وأَذكرُ الآنَ تَفصيلًا لما تقدّمَ إجمالُهُ مع ذِكْرِ الأدِلَّةِ مِنْ كُتُبِ **الفِرْقَتَيْنِ** المُعتمَدةِ ومراجعِهِمُ المعتبرةِ عِنْدَهُمْ، وبنُصوصِ أربابِها؛ لِيَتبيّنَ مَدَى استفادةِ **الصُّوفيَّةِ** وأخذِهِمْ عَنِ **الشِّيعَةِ** حتَّى ألفاظَهُمْ وعباراتِهِمْ واصطلاحاتِهِمْ، مِمَّا يُؤكِّدُ انتماءَهُمْ ووَلاءَهُمْ لَهمْ فضلًا عَنْ مُجرّدِ العلاقةِ بينهما.

المطلبُ الرابع

خَصائصُ الإمامةِ والوِلايَةِ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ

وقَبْلَ ذكرِ الخصائصِ والصِّفَاتِ الإلٰهيَّةِ التي اتّفقَ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ على نِسبتِها لِأَئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ وخَصُّوهم بِهَا؛ أذكرُ اتّفاقَ الفِرْقَتَيْنِ على أَمْرٍ مُهِمٍّ في هذا البابِ، ألا وهو مَا اتَّفقَا عليهِ حَوْلَ شَخصيَّةِ الصَّحابيِّ الجليلِ **عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه:

□ أوّلًا: ما جاءَ عِندَ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• **الشِّيعَةُ** بجميعِ فِرَقِها - وعلى الرَّغْمِ مِنِ اختلافِهِمْ وتَفرُّقِهِمْ حتَّى في الإمامةِ والأئِمَّةِ وتَعيينِهِمْ - يَدينون جميعًا بإمامةِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ، وأنّهُ أَوّلُ الأَئِمَّةِ، وأنَّ الأئِمَّةَ كُلَّهُمْ مِنْ وَلَدِهِ ونَسْلِهِ، ومُتّفقون أيضًا على أنّهُ نَالَها بالوَصِيَّةِ والتّعيينِ مِنَ اللهِ تَعالَى لرَسُولِهِ ﷺ. ويَزْعُمُونَ جميعًا أنّهم يَأتمُّونَ ويَقتدون بهِ، وأنّهُ مَرجِعُهُمْ ومُنتهَى مذهبِهِمْ ويتّفقونَ أيضًا في غُلُوِّهِمْ فيه غُلُوًّا شديدًا.

• **ويُؤمِنُ الشِّيعَةُ بأَنَّ اللهَ تَعالَى قَدْ أخذَ الميثاقَ على بني آدمَ جميعًا وهُمْ في عَالَمِ الذَّرِّ لهُ سُبْحانَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، ولِمُحَمَّدٍ بالنُّبُوّةِ والرّسالةِ، ولِعَلِيٍّ بالخلافةِ والإمامةِ والوِصَايَةِ**[1].

• **ويؤمِنونَ** بأَنَّ اللهَ تَعالَى مَا بَعَثَ نَبِيًّا ولَا رَسُولًا إلَّا بالإيمانِ بِنُبُوّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وبولايةِ ووِصَايَةِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ، ودَعاهُمْ سُبْحانَهُ إلى ذلك طائعينَ أو كارهينَ، وأنّهُ سبحانه وتعالى أمرَ حتَّى مُحَمَّدًا بِحُبِّ عَلِيٍّ وَوِلايتِهِ، وأخبرهُ ليلةَ المعراجِ أنّهُ قَدِ اختارَ لهُ عَلِيًّا، فأمرَهُ أنْ يَتّخذَهُ لنفسِهِ خليفةً ووَصِيًّا، وأخبرَهُ بأنّهُ قَدْ نَحلَهُ عِلْمَهُ وحِلْمَهُ[2].

• **ويُؤمنون** بأَنَّ اللهَ تَعالَى أمرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أنْ يُعَلِّمَ عَلِيًّا خَاصَّةً كُلَّ عُلومِهِ، ويَجعَلَهُ شَريكًا لهُ في عُلومِهِ.

• **ويُؤمنون** بِأنَّ عَلِيًّا وَرِثَ عِلْمَ جميعِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ والأوصياءِ[3].

---

(١) «بصائر الدرجات» (ص: ٩٠ - ٩١)، و«أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب فيه نتف وجوامع مِنَ الرواية في الولاية (١/ ٤٣٦).

(٢) «بصائر الدرجات» (ص: ٩٢ - ٩٤)، و«أصول الكافي» (١/ ٤٣٧)، و«الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ٣٤٣) و«الأَمَالِي» للطُّوسِيِّ (٢/ ٢٨٣).

(٣) «البصائر» (ص: ٣١٠ - ٣١٤) و«أصول الكافي» (١/ ٢٦٣) كتاب الحُجَّة، باب أنَّ اللهَ لَمْ يعلم نبيه عِلْمًا إلَّا أمره أنْ يعلمه أميرَ المؤمِنينَ وأنه كان شريكَهُ في العِلْمِ. و(١/ ٢٢٢)، كتاب الحُجَّة، باب أنَّ الأئِمَّةَ ورثةُ العِلْمِ، يرثُ بعضُهُمْ بعضًا العِلْمَ.

• وغَلَوْا في عُلومهِ وأحوالِهِ وخصائصهِ ومَناقبهِ غُلُوًّا تضحك منه حتى النساء والأطفال، ، **فمِن ذلك**:

- رَووْا بأسانيدِهِمُ الشِّيعيَّةِ الرّافضيّةِ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ أنّهُ قالَ: «**كنتُ أنا وعَلِيٌّ على يَمينِ العرشِ نُسبِّحُ اللهَ قَبْلَ أنْ يُخْلَقَ آدمُ بألفيْ عامٍ**»[(١)].

- ونسبوا إلى **عَلِيٍّ** أنّهُ قال: «أُعطيتُ تِسعًا لَمْ يُعْطَ أحدٌ قبلي سِوَى النَّبِيِّ: لقَدْ فُتِحَتْ ليَ السُّبُلُ، وعُلِّمْتُ المنايا، والبلايا، والأنسابَ، وفصلَ الخطابِ، ولقَدْ نظرتُ في الملكوتِ بإذنِ ربي فما غابَ عني مَا كان قبلي ولَا مَا يأتي بعدي، وأنّهُ بِوِلايتي أكملَ اللهُ لهذه الأُمَّةِ دِينَهُمْ، وأَتَمَّ عَليهِمُ النِّعَمَ، ورَضِيَ لَهمْ إسلامَهُمْ»[(٢)]. ويُفسِّرونَ عِلْمَ البلايا والمنايا؛ فيروي شيخُ طائفتِهِمُ **الطُّوسِيُّ** بإسنادِهِ: «أنَّ عَلِيًّا أُلْقِيَ إليه عِلْمُ البلايا والمنايا، فكان يَلْقَى الرّجُلَ فيقولُ لهُ: يا فُلانُ تموتُ مِيتةَ كذا، وأنت يا فُلانُ تُقتلُ قِتْلَةَ كذا. فيكونُ الأمرُ كما قالهُ»[(٣)].

- ونسبوا إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ كذبًا أنه قال: «**إنَّ اللهَ** ﷻ **نصبَ عَلِيًّا عَلَمًا بينه وبَيْنَ خَلْقهِ؛ فمَنْ عَرَفهُ كان مُؤمنًا، ومَن أنكرهُ كان كافرًا، ومَن جَهِلَهُ كان ضَالًّا**[(٤)]، **ومَن عَدَلَ بينه وبَيْنَ غيرهِ كان مُشْرِكًا، ومَن جاءَ بوِلايتهِ**

---

(١) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ١٨٦). **والحديثُ مكذوبٌ موضوعٌ**؛ أخرجهُ ابنُ الجوزيِّ في «الموضوعات»، كتاب الفضائل والمثالب، باب فيمَ خُلِقَ منهُ عليٌّ (٢/ ٩٥ رقم: ٦٣٤) مِنْ رواية (أبي ذَرٍّ). وقال: «هذا حديثٌ موضوعٌ، والمتّهمُ بِهِ (جَعفرُ بنُ أحمدَ)؛ قال ابنُ عديٍّ: (كتبنا عنهُ أحاديثَ موضوعةً، كنّا نتّهِمُهُ بوضعِها بل نتيقّنُ ذلك). وقال أبو سعيدٍ بنُ يونُسَ: (كانَ رافضِيًّا كذّابًا، يضعُ الحديثَ في ثَلْبِ أصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)».اهـ.

(٢) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٢٠٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٦٨).

(٤) **حديثٌ باطلٌ**: أوردَ الحافظُ ابنُ حجرٍ هذا الحديثَ في «لسان الميزان» (٢/ ٢٦٦: ترجمة الحُسين بنِ أحمدَ المالكيّ) وقال: «أسند الطوسيُّ عنهُ بسندٍ لهُ عن أبي عَبْدِ اللهِ جعفرٍ الصادقِ خبرًا باطلًا مع كونهِ مُعْضَلًا».اهـ. فقوله باطلٌ: أي مكذوبٌ. والحديثُ المعضلُ: حديثٌ ضعيفٌ مُنقطعٌ؛ سقطَ من إسنادِهِ راويان فأكثر على التوالي.

دَخَلَ الجَنَّـةَ، ومَنْ جاءَ بِعداوتهِ دخلَ النَّارَ»(١).

- ونسبوا إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ أيضًا قولَه: «**لَا تضادوا بِعَلِيٍّ أحدًا فتَكفُروا، ولَا تُفضّلوا عليهِ أحدًا فترتدّوا**»(٢).

هكذا تَختلِطُ عِنْدَهُمْ مَفاهيمُ الشِّرْكِ والرّدَّةِ والكُفْرِ، وتَضطربُ أُصُولُ الكُفْرِ والإيمانِ، فالإيمانُ عِنْدَهُمْ والتوحيدُ مَدارُهُ على مَعرفةِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ ومعرفةِ حقِّهِ. والكُفْرُ عِنْدَهُمْ والشِّرْكُ مَدارُهُ على إنكارِهِ وجهلِهِ، أو تسويتِهِ بغيرِهِ في الفضلِ والمَحَبَّةِ.

- ومما نسبوه إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ كذبًا وزورًا قوله: «**مَنْ أصبحَ منكم رَاضيًا بِاللهِ وبوِلايةِ عَلِيٍّ؛ فقَدْ أَمِنَ خَوْفَ اللهِ وعِقابَهُ**»(٣).

- ونسبوا إليه ﷺ كذبًا أنه قال: «**يا عَلِيُّ! خَلَقَني اللهُ وأنتَ مِنْ نورِ اللهِ.. فمَنْ جَحَدَ وَصِيّتَكَ جَحَدَ نُبُوّتِي، ومن جحدَ نُبُوّتِي أَكبّهُ اللهُ على مِنخرَيْهِ في النَّارِ**»(٤).

- ونسبوا إليه ﷺ كذبًا أنه قال: «**مَا مِنْ عبدٍ ولَا أَمَةٍ يموتُ وفي قَلبهِ مِثقالُ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ حُبِّ عَلِيٍّ إلّا أدخلَهُ اللهُ الجَنَّـةَ**»(٥).

فالنّجاةُ والفوزُ مَناطُهُ عِنْدَ الشِّيعَةِ مَحَبَّةُ عَلِيٍّ والإقرارُ بوصايتهِ والرّضَى بوِلايتهِ.

هذا؛ وكما وضعوا الأحاديثَ الكثيرةَ في مناقبِ عَلِيٍّ وفضائلهِ كما تقدَّمَ، فقد اختلقوا أيضًا الأحاديثَ الكثيرةَ المكذوبةَ في مناقبِ شِيعَتِهِ التي

---

(١) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (٢/ ١٠١). والحديثُ بلا شَكٍّ موضوعٌ مكذوبٌ مِنْ كَذَبَةِ الرّافِضَةِ.

(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٣). **وهذا الحديثُ أيضًا مكذوبٌ على الرّسُولِ ﷺ. فلعنةُ اللهِ على الكاذبينَ.**

(٣) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٢٨٩). **وهذا الحديثُ كذلك مكذوبٌ على الرّسُولِ ﷺ.**

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٠١). **وهذا الحديث أيضًا مكذوبٌ على الرّسُولِ ﷺ.**

(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٣٩). **وهذا الحديثُ أيضًا مِنَ الأحاديثِ المكذوبةِ عليهِ ﷺ.**

تَضمنُ لأتباعِهِمْ وشِيعَتِهِمُ الفوزَ بالجَنَّةِ والنّجاةَ مِنَ النَّارِ وَعْدًا مَزْعُومًا، فمِن هذه الأكاذيبِ:

ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أنا مدينةُ الجَنَّةِ وعَلِيٌّ بابُها، كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أنّهُ يدخلُها مِنْ غيرِ بابِها**»[١]. وقَدْ غفلَ مَنِ اخترعَ هذا الحديثَ عَن أنَّ للْجَنَّةِ ثمانيةَ أبوابٍ[٢]، اللَّهُمَّ إلَّا إنْ كانتْ جَنّتُهُمْ غيرَ الجَنَّةِ التي وَعَدَ الرّحمنُ عِبادَهُ!

ـ وزعموا كذبًا أنه (ﷺ) قال: «**هو أميرُ المؤمِنينَ يجعلُهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ على الصّراطِ فيُدْخِلُ أولياءَهُ الجَنَّـةَ وأعداءَهُ النَّارَ**»[٣].

ـ وزعموا أيضًا كاذبينَ أنه (ﷺ) قال: «**يا عَلِيُّ! إنَّ اللهَ قَدْ غفرَ لك ولشِيعَتِك ومُحبّي شِيعتِك**»[٤].

ـ وزعموا إفكًا وزورًا أنه (ﷺ) قال: «**إذا كان يومُ القِيَامَةِ ونُصِبَ الصّراطُ على جهنّمَ؛ لَمْ يَجُزْ عليهِ إلَّا مَنْ معهُ جَوازٌ فيه وِلايةُ عَلِيٍّ بنِ أبِي طَالِبٍ**»[٥].

ـ وزعموا كذبًا أنه (ﷺ) قال: «**مَنْ سَرّهُ أنْ يحيا حياتي ويموتَ مماتي**

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٣١٥). **وهذا أيضًا حديثٌ مكذوبٌ**؛ فيه راوٍ كذَّابٌ يضعُ الحديثَ وهو (أبو عبدِ الغني الحسنُ بنُ عَلِيِّ بن عيسى الأُرْدُنّـيُّ)، كذا الصوابُ في نسبتهِ، وبعضُهم يقولُ: (الأزدي) وهو تحريفٌ. انظر ترجمته في: «لسان الميزان» وغيره.

(٢) ومما يُبيِّنُ بُطلانَ هذا الكذبِ أنه قد ثبتَ عَنِ المَعصوم ﷺ في أحاديثَ عِدّةٍ أنَّ الجَنَّةَ لها ثمانيةُ أبواب، انظر مثلًا: «صحيح مُسلم» (١/ ٥٧ رقم: ٢٨/ ٤٦)، كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَن مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الجَنَّةَ قَطْعًا.

(٣) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٢٩٦). **حديث مكذوب**؛ انظر: «الموضوعاتِ» لابنِ الجوزيّ (٢/ ١٨٩ رقم: ٧٤٦).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٠٠). **حديثٌ مكذوبٌ أيضًا**.

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٩٦). **حديثٌ مكذوبٌ**؛ انظر: «الموضوعاتِ» لابنِ الجوزيّ (٢/ ١٨٦ رقم: ٧٤٣).

ويَسكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ... فلْيَتَولَّ عَلِيًّا بعدي، ولْيُوالِ وَليَّهُ، ولْيَقْتَدِ بالأئِمَّةِ مِنْ بعدِهِ»[١].

ـ ويَروي شيخُ طَائفَتِهِمُ **الطُّوسِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** مُخاطِبًا أحدَ أتْباعِهِ قائِلًا: «**ولولا مَا على الأرضِ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ؛ مَا نظرتَ إلى غَيْثٍ أبدًا**»[٢].

• **ويؤمِنُ الشِّيعَةُ بِأنَّ عَلِيًّا قَسيمُ اللهِ في الجَنَّةِ والنَّارِ، يُدْخِلُ مَنْ شاءَ مِنْ خَلْقِ اللهِ وعبادِهِ الجَنَّةَ أَوِ النَّارَ**، وذلك بحسبِ وَلائِهِمْ ومَعرِفَتِهِمْ بهِ وبالأئِمَّةِ مِنْ بعدِهِ كما يَزْعُمُونَ، لَا بحسبِ إيمانِهِمْ وتوحيدِهِمْ وإسلامِهِمْ[٣]؛ فيروي شَيخُ طائفةِ الشِّيعَةِ **الطُّوسِيُّ** أنّهُ قِيلَ **لِعَلِيٍّ**: «إنكَ بالمكانِ الذي أنزلَكَ اللهُ بهِ، وأبوكَ يُعذَّبُ بالنَّارِ. فقال: ... لَوْ شَفَعَ أَبي في كُلِّ مُذْنبٍ على وَجْهِ الأرضِ شفّعهُ اللهُ فيهم، وأَنَّى يُعذَّبُ بِالنَّارِ، وابنُهُ قَسيمُ النَّارِ... إنّ نُورَ **أبي طَالِبٍ** يومَ القِيامَةِ لَيُطْفِئُ أنوارَ الخَلْقِ إلَّا خمسةً»[٤].

• **ويُؤمنون بِأنَّ عَلِيًّا هو صاحبُ السِّرِّ الأعظمِ:**

ـ فنَسبوا إلى **البَاقِرِ** روايةً يقولُ فيها: «أَسرَّ اللهُ سِرَّهُ إلى جِبْرِيلَ، وأَسرَّهُ جِبْرِيلُ إلى مُحَمَّدٍ، وأَسرَّهُ مُحَمَّدٌ إلى عَلِيٍّ، وأَسرَّهُ عَلِيٌّ إلى مَنْ شاءَ واحدًا بَعْدَ واحدٍ»[٥].

ـ وروى **شَيخُهُمْ ومُفيدُهُمْ مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قال: «خطبَ عَلِيٌّ النَّاسَ فقال: أنا قَلْبُ اللهِ الواعي، ولِسانُهُ النّاطِقُ، وأَمينُهُ على سِرِّهِ، وحُجَّتُهُ على خَلْقِهِ، وخَليفَتُهُ في عبادِهِ، وعَيْنُهُ النّاظِرةُ في بَرِيّتِهِ، ويَدُهُ

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٦٨)، و«أَمَالِي» الطُّوسِيّ (٢/ ١٩١).
(٢) «أَمَالِي» الطُّوسِيّ (٢/ ٢٨٧).
(٣) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٣٤ ـ ٣٣٨)، و«أَمَالِي» الطُّوسِيّ (١/ ٢٠٩).
(٤) «أَمَالِي» الطُّوسِيّ (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣).
(٥) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٩٧).

المبسوطةُ بالرّأْفةِ والرّحمةِ»[(١)].

- وروى عَنِ **البَاقِرِ** قال: «إنَّ عَلِيًّا مَلَكَ مَا فوقَ الأرضِ وما تحتَها، فعَرَضَتْ لهُ سَحابتانِ.. فاختارَ الصّعبةَ على الذّلولِ، فدارتْ بهِ سبعَ أرضين، فوجدَ ثلاثًا خَرابًا، وأربعةً عَوامِرَ». وقوله أيضًا: «أما أنّهُ سيركبُ السّحابَ، ويَرقَى في الأسبابِ، أسبابَ السّمٰواتِ السّبعِ والأرضين السّبعِ»[(٢)].

- وروى عَنْ **الصَّادِقِ** قال: «دعا رَسُولُ اللهِ عَلِيًّا ودعا بدفترٍ. فأملى عليهِ رَسُولُ اللهِ بَطنَهُ، وأُغمِيَ عليهِ، فأملى عليهِ جِبْرِيلُ ظَهْرَهُ، فانتبَهَ رَسُولُ اللهِ...» فقال: «**أنا أمْلَيْتُ عليكَ بَطنَهُ، وجِبْرِيلُ أملَى عليك ظَهْرَهُ. وكان قُرآنًا**»[(٣)].

- ونقلَ **مُحَمَّد بَاقِر الخوانساريُّ** عَن نَصيرِ دِينِهِمْ ومِلّتِهِمُ **الطُّوسِيِّ** شعرًا قال:

«لَوْ أنَّ عبدًا أَتَى بالصّالحاتِ غدًا ... وَوَدَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُرسَلٍ وَوَلِي
وصامَ مَا صامَ صوامٌ بِلَا مَلَلٍ ... وقامَ مَا قامَ قوام بِلَا كسل
وحَجَّ كَمْ حَجَّة للَّهِ واجِبَةً ... وطاف بالبيت حاف غير منتعل
وطارَ في الجوِّ لَا يأوي إلى أحدٍ ... وغاصَ في البحرِ مَأمونًا مِنَ البَلَلِ
وأكسى اليتامَى مِنَ الديباج كلهم ... وأطعمَهُم مِنْ لذيذِ البُرِّ والعَسلِ
وعاش في النَّاسِ آلافًا مُؤلّفَةً ... عارٍ مِنَ الذّنبِ مَعصومًا مِنَ الزلل
مَا كان في الحشرِ يَومَ البَعْثِ مُنتفِعًا ... إلَّا بِحُبِّ أميرِ المؤمِنينَ عَلِيٍّ»[(٤)]

- ويقولُ **مُحَمَّد حُسَيْن آل كَاشف الغطَاء** إمامُهُمْ وكَبيرُهُمْ مَا نَصُّهُ:

---

(١) «الاختصاص» (ص: ٢٤٨).
(٢) المصدر السابق (ص: ١٩٩).
(٣) «المصدر نفسه (ص: ٢٧٥).
(٤) «روضات الجنات في أحوال العُلَمَاءِ والسادات» (٦/ ٣٠٥).

«يشهَدُ الثَّقَلانِ أنّهُ لَوْلَا سَيْفُهُ، ومواقِفُهُ في بَدْرٍ وأُحُدٍ وحُنَيْنٍ والأحزابِ ونظائرِها؛ لَما اخْضَرَّ للإسلامِ عُودٌ ولَما قامَ لهُ عَمودٌ». ثُمَّ استشهدَ بقولِ الشِّيعِيِّ الرَّافِضِيِّ **ابنِ أبي الحديدِ**:

«ألَا إِنَّمَـا الإسلام لـولا حسـامه كضرطةِ عَنْزٍ أو كنعقـة طـائر»

وحفاظًا على ماءِ وَجْهِهِ الأسودِ النَّتِنِ عَلَّقَ بقولِهِ إنّهُ ـ؛ أي: ابن أبي الحديدِ ـ «أساءَ التعبيرَ»(١). والحقُّ إنّكَ وإنَّهُ ومَنْ كان على مِلَّتِكُما أَسَأْتُما الإيمانَ والاعتقادَ، وأَسَأْتُما في حَقِّ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ حقِّ رَسُولِهِ ﷺ والصَّحَابَةِ والتابعينَ الذين بذَلوا كُلَّ غالٍ ونفيسٍ في سبيلِ اللهِ وسبيلِ هذا الدِّينِ العظيمِ.

ـ وها هو **الخُمَيْنِيُّ** ـ بَعْدَ وَصْفِهِ عَلِيًّا بأنّهُ إمامُ أصحابِ الكشفِ واليقينِ، وأنّهُ كان يَستفِيدُ مِنْ رَسُولِ اللهِ حقائقَ العُلومِ، وغَيبيّاتِ السّرائرِ، بمَقامِهِ العقليِّ، وشأنِهِ الغيبيِّ، قَبْلَ تَلفُّظِ الرَّسُولِ بتلكَ العُلومِ والحقائقِ، وذلك لاتِّحادِ نُورِهما بحسبِ الوِلايَةِ الكُلّيَّةِ المُطلقةِ بينهما بزعمِهِ(٢) ـ يَنْسُبُ إلى عَلِيٍّ قولَهُ: «**كنتُ مع الأنبياءِ سِرًّا، ومع رَسُولِ اللهِ جَهرًا**»(٣). وقولَهُ: «**كنتُ مع الأنبياءِ باطنًا، ومع رَسُولِ اللهِ ظاهرًا**». ثُمَّ قال(٤): «وذلك لأنّهُ صاحبُ الوِلايَةِ المطلقةِ الكُلّيَّةِ، التي هي بَاطِنُ الخلافةِ، وأنّهُ بمقامِهِ هذا يكونُ قائمًا على كُلِّ نفسٍ بِمَا كسبتْ».

ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ عَلِيًّا وأولادَهُ وَصَلُوا إلى مَقامِ النُّبُوّةِ، مع الفارقِ أنَّ مجالَ التّشريعِ للرَّسُولِ كان بالأصالةِ، ولِخُلفائهِ المَعصُومين كان بالمُتَابعةِ والتّبَعِيَّةِ، بِزَعْمِهِ الفاسدِ، وأمَّا رَوْحَانيّتُهُمْ فواحدةٌ. ثُمَّ نقلَ عَنْ شَيْخِهِ الذي وَصَفَهُ «بأُستاذِ المعارفِ الإلٰهيَّةِ» مَا نَصُّهُ: «**لَوْ كان عَلِيٌّ ظهرَ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛**

(١) «أصل الشِّيعَة وأصولها» (ص: ٢٥).
(٢) «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» (ص: ١٢٧).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٠). (٤) المصدر نفسه (ص: ١٤٢).

لأظهرَ الشَّريعةَ كما أظهرها النَّبيُّ ﷺ، ولكان نَبيًّا مُرسلًا؛ وذلك لاتّحادِهما في الرَّوْحَانيَّاتِ والمقاماتِ المَعنويَّةِ والظَّاهريَّةِ»(١).

ويُؤكِّدُ هذا المَعنَى فيقولُ: «وهو بحسبِ مقامِ الرَّوْحانيَّةِ؛ يَتَّحِدُ مع النَّبيِّ ﷺ، لقولِ النَّبيِّ: «**أنا وعَلِيٌّ مِنْ شجرةٍ واحدةٍ**». وقال أيضًا: «**أنا وعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ واحدٍ**»، إلى غيرِ ذلك مِنَ الأخبارِ الكثيرةِ الدَّالَّةِ على اتّحادِ نورِهما».

كما ذكرَ عَنْ **عَلِيٍّ** فيما نَسَبَهُ إليه قولَهُ: «**وأنا اللّوحُ، وأنا القَلَمُ، وأنا العرشُ، وأنا الكرسيُّ، وأنا السّمٰواتُ السّبعُ، أنا نُقطةُ باءِ بسمِ اللهِ**»(٢).

هذا غيضٌ مِنْ فَيْضٍ فيما سَطّرهُ الشّيعَةُ في مُصَنّفَاتِهِمْ، قديمًا وحديثًا، مِن اعتقادِهِمْ وغُلُوِّهِمْ في شَخصيَّةِ هذا الصَّحَابيِّ الجليلِ، الذي نسبوا إليه وإلى أولادِهِ تَشَيُّعَهُمْ ومَذهبَهُمُ المُنْحَرِفَ. وعَلِمَ اللهُ تعالَى أنَّ عَلِيًّا وآلَ بيتِهِ بُرءاءُ مِن هذا الكُفْرِ والهُراءِ الذي لا يَنطلي إلَّا على مَنْ أخزاهُ اللهُ وخذلَهُ وأعمَى بصرَهُ وبصيرَتَهُ.

□ **ثانيًا: أمّا ما جاءَ عِندَ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ؛ فإنهم لَمْ يَنسَوا نَصيبَهُمْ مِنَ التَّشَيُّعِ حَوْلَ شخصيَّةِ هذا الصَّحَابيِّ الكريمِ عَليٍّ رضي الله عنه:**

▪ فزَعَمُوا أنّهُ **إمامٌ لَهمْ وقُدْوَةٌ** في تَصَوُّفِهِمْ، وأنّهُ وَارِثُ عِلْمِهِمْ وحقائقِهِمْ ومَعارفِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ويَزْعُمُونَ أنّهُ نالَها منهُ بالوَصِيَّةِ كما يَزعمُ الشِّيعَةُ تمامًا. ويَزْعُمُونَ أنّهُ مُنتهَى عُلومِهِمْ ومَواجيدِهِمْ، فهو أَوّلُ مَنْ تكَلَّمَ بِعباراتِهِمْ وحقائقِهِم.

▪ ووافقوا **الشِّيعَةَ** أيضًا في غُلُوِّهِم في صِفَاتِهِ وعُلومِهِ وخَصائصِهِ، غُلُوًّا إنْ لَمْ يَزِدْ على غُلُوِّ الشِّيعَةِ فإنَّهُ لَا يَنقُصُ عنهُ ولَا يَقِلُّ.

---

(١) المصدر نفسه (ص: ١٥٣).

(٢) «شرح دعاء السحر» (ص: ٨٧ ـ ٨٨).

▪ وقد تقدم في **أوائلِ هذا البابِ** ذِكرُ الصُّوفيَّةِ هذا **الصَّحَابيَّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في طبقاتِهِمْ ومُصَنّفَاتِهِمْ، والنَّصُّ عليهِ بأنّهُ مِنْ أئِمَّتِهِمْ في التَّصَوُّفِ، وأنّهُ أوّلُ مَنْ تكَلَّمَ في عُلومِهِمْ وبيانِ مَقاماتِهِمْ ومَعارِفِهِمْ، وأوّلُ مَنْ عَبَّرَ عَنْ مَواجِيدِهِمْ وأذواقِهِمْ، وذلك لأنّهُ قَدْ خُصَّ دونَ غيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ بالعُلومِ والأسرارِ مِمَّا خَصَّهُ بهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فكان أوّلَ مَنْ أخذَ البَيْعَةَ، وأوّلَ مَنْ لُقِّنَ بالذِّكْرِ والسِّرِّ؛ فجعلوهُ مُسْتَنَدَ طَريقتِهِمْ في لُبْسِ خِرقةِ التَّصَوُّفِ ومنتهَى أسانيدِهِمْ وسَلاسلِهِمْ في تَصَوُّفِهِمْ[(١)].

▪ وقَدْ وافقَ الصُّوفيَّةُ أهلَ الرَّفْضِ أيضًا في وَضْعِ واختلاقِ رواياتٍ كثيرةٍ على هذا الصَّحَابيِّ مِمَّا يُروِّجونَ بهِ مذهبَهُمْ، ويُؤيِّدون بهِ باطلَهُمْ، مِنْ نَظريّاتٍ في زُهْدِهِمُ المُنحرفِ، أو طُقوسِهِمْ وعِباداتِهِمُ المُبتَدَعَةِ، أو في مَوقِفِهِمْ مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ.

▪ كما وافقوا **الرَّافِضَةَ** أيضًا في الغُلُوِّ فيه وفي خَصائصِهِ وقُدراتِهِ وعُلومِهِ وأحوالِهِ فذكروا عَنِ **الجُنَيْدِ** أنّهُ قال عَنْ **عَلِيٍّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**لَولا أنّهُ اشتغلَ بالحُروبِ؛ لأفادَنا مِنْ عِلْمِنا هذا معانيَ كثيرةً، أو مَا يَقومُ لهُ القُلوبُ**»[(٢)].
وقوله: «**شَيخُنا في الأُصُولِ والبلاءِ: عَلِيٌّ المُرْتَضَى**»[(٣)].

▪ ووافقوا **الرَّافِضَةَ** أيضًا في أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَصَّهُ بالعُلومِ وأَسَرَّ إليه بالمعارفِ دونَ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ[(٤)]. فنسبوا إلى **عَلِيٍّ** قولَهُ: «عِندي مِنَ العِلْمِ الذي أَسرَّهُ إليَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا ليسَ عِنْدَ جِبْرِيلَ ولَا

(١) راجع الفصل الأوّلَ: المبحث الثالث مِنْ هذا الباب (ص: ٢٥٧، وما بعدها). وقد ذَكَرْتُ هناك نُصُوصَهم مِنْ كُتُبِهم ومراجعِهِمُ المعتمَدَةِ عِنْدَهُمْ مِمَّا يُغْنِي عَنْ إعادتِها وتكرارِها هنا.
(٢) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسيِّ (ص: ١٧٩). ورسالة «شكوى الغريب» لعين القضاة الهمذاني (ص: ١٩).
(٣) «كشف المحجوب» للهجويريِّ (١/ ٢٧٤).
(٤) راجعه في: «حِلْيَة الأولياءِ» لأبِي نُعَيمٍ (١/ ٦١)، و«جمهرة الأولياء» للمنوفي (١/ ١٥٩).

ميكائيلَ»[١]. وقولَهُ: «عَلَّمَني رَسُولُ اللهِ سبعينَ بَابًا مِنَ العِلْمِ، لَمْ يَعْلَمْ ذلك أحدٌ غيري»[٢].

▪ ووافقوا **الرَّافِضَةَ** بِأنَّ **عَلِيًّا** إِنَّمَا نَالَ هذه المنزلةَ والخُصوصيَّةَ في العُلومِ والأسرارِ بالوَصِيَّةِ الإلٰهيَّةِ المزعومةِ، وقَدْ صَرّحَ **ابنُ الفارضِ** بهذه العقيدةِ الخبيثةِ حيثُ يَقولُ:

«وأَوْضَحَ بالتّأويلِ ما كان مُشْكلًا عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نالهُ بالوَصِيَّةِ»[٣]

▪ ووافقوا **الرَّافِضَةَ** في الغُلُوِّ فيهِ وفي أَوصافهِ، وأحوالهِ، والانتسابِ إليه، ليس في الطّريقةِ فَقَطْ بلْ حتَّى في النَّسَبِ، حتَّى لَا يَكادُ القارئُ والباحثُ في أنسابِ شُيوخِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ يَجِدُ شيخًا أو إمَامًا منهم إلَّا ويَزْعُمُ انتهاءَ نَسَبِهِ إلى **عَلِيٍّ** رضي الله عنه.

▪ ولعلَّ مِنْ أعظم صُوَرِ الغُلُوِّ في عَلِيٍّ رضي الله عنه مَا زَعَمَهُ **الشَّعرانيُّ** نقلًا عَنْ **بعضِ شُيوخهِ** مِنْ **أنَّ عَلِيًّا رُفِعَ إلى السّماءِ كما رُفِعَ عِيسَى، وأنّهُ سينزلُ كنزولهِ أيضًا**، وأنّهُ رُفِعَ على لَوْحٍ مِنْ أَلواحِ سَفينةِ نُوحٍ، كانَ نُوحٌ أبقاها على اسمِ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ، ولَمْ تَزَلْ بزَعْمِهِ مَحفوظةً مَصُونةً حتَّى رُفِعَ عليها[٤].

▪ ومِمَّا وافقَ **الصُّوفيَّةُ** فيه **أهلَ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ**؛ ذِكرُهُمُ **الأئِمَّةَ الإثْنَيْ عَشَرَ** أو بعضَهُمْ، وعَدُّهُمْ مِنْ أولياءِ التَّصَوُّفِ وقُدْوَتهِمْ في مَذهبِهِمْ، وقَدْ ذَكَرْتُ بَعضَهُمْ في أوائلِ هذا البابِ في المبحثِ المُتعَلّقِ بِالشِّيعَةِ وعلاقتِهِمْ بِالتَّصَوُّفِ[٥]. **فالكلاباذِيُّ، والهُجْويريُّ، والمنوفيُّ**؛ ذكروا **سِتّةً مِنَ الأئِمَّةِ**

---

(١) «دُرَر الغَوَّاصِ» للشَّعْرَانِيِّ ـ المطبوع بهامش «الإبريز» للدباغ (ص: ٧٣).
(٢) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ٤٥٦). هكذا في الأصل. ولعلَّ الصّواب: «.. لَمْ يُعَلِّمْ ذلكَ أحدًا غيري».
(٣) «التائية الكبرى المسمَّاة بنظم السلوك، ديوان ابن الفارض» (ص: ٦٠).
(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/٤٣).
(٥) راجع الفصل الأوّلَ: المبحث الثالث مِنْ هذا الباب (ص: ٢٥٧، وما بعدها).

وحسب تَرتيبِ الشِّيعَةِ لَهمْ، وعَدُّوهُمْ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ وأهلِ عُلومِهِمْ ومَعارِفِهِمْ ومِمّن نشرَ مَقاماتِهِمْ وعَبّرَ عَنْ مواجيدِهِمْ قولًا وفعلًا[(١)].

■ وزادَ **الشَّعرانيُّ** فعدَّ **سَبْعةً** فبدأَ بِعَلِيٍّ وانتهى بمُوسَى بنِ جَعْفَرٍ الكَاظِمِ، ولكنّهُ صَرّحَ بإيمانهِ باثْنَيْ عَشَرَ إمَامًا حيثُ يقولُ في **ترجمةِ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ** مَا نَصُّهُ: «ومنهم مُوسَى الكَاظِمُ، أَحَدُ الأئِمَّةِ الإِثْنَيْ عَشَرَ وهو ابنُ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ»[(٢)]. وقَدْ صَرَّحَ أيضًا بعقيدتهِ في **صاحبِ السّردابِ مَهْدِيِّ الرّافِضَةِ المُنتَظَرِ**، فذكرَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ شُيوخهِ أنّهُ الْتَقى بهِ ونزلَ عِنْدَهُ سَبعةَ أيام ولَقّنَهُ الذِّكرَ والوِرْدَ على الطّريقةِ الصُّوفيَّةِ، جمعًا منهُ وتوفيقًا بَيْنَ عَقائِدِ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ[(٣)].

■ وأمَّا **يُوسُفُ بنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبَهَانِيُّ**؛ فقَدْ عَدَّ الأَئِمَّةَ كالشِّيعَةِ وعلى ترتيبِهِمْ وأَلْقَابِهِمْ حتَّى ذكرَ **(حادي عشرَ الأَئِمَّةِ الحَسَنَ بنَ مُحَمَّدٍ العسكريَّ)**، وذكرَ لهُ مِنَ الكراماتِ التي رآها لهُ هو بنفسهِ كما يَزْعُمُ عِنْدَ زيارتهِ لقبرهِ وضَريحهِ[(٤)]. ولَا أدري: لِـمَ لَـمْ يُتَرجِـمْ **(للثَّانِي عَشَرَ مَهْدِيِّ الرّافِضَةِ المُنتَظَرِ)**، ولعلَّهُ لَـمْ يجدْ لهُ كرامةً كغيرهِ مِمَّن تَرجمَ لَهمْ في كتابهِ. ولكنّهُ نقلَ عَنِ الشَّعرانيِّ قِصّةَ شيخهِ الذي الْتَقى بالمهديِّ وأضافَهُ في مَنزلهِ سبعةَ أيّام، نَقَلَها بكامِلِها وأقرَّها كالمُعترفِ والمُؤمنِ بعقيدةِ الشِّيعَةِ في المهديِّ الشِّيعيِّ وأنّهُ حَيٌّ موجودٌ[(٥)].

الحاصلُ؛ أنَّ الصُّوفيَّةَ والشِّيعَةَ يَتّفقُون ـ في زَعمِهِمْ ـ على الائْتِمـامِ بعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ والاقتداءِ بهِ، وهُمْ كاذبون في ذلك كُلِّهِ. ومرادُهُمْ نسبةَ مذاهِبِهِمْ وبِدَعِهِمْ إلى سَلَفِ هذه الأُمَّـةِ وآلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ؛ تَرويجًا لها بَيْنَ النَّاسِ.

---

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» للكلاباذِيِّ (ص: ٣٦)، و«كشف المحجوب» للهُجْويريِّ (١/ ٢٧٥ ـ ٢٨٤)، «جمهرة الأولياء» للمنوفيِّ (٢/ ٦٧ ـ ٨٠).

(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٣٨). (٣) المصدر السابق (٢/ ١٣٩).

(٤) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/ ٢١).

(٥) المصدر نفسه (٢/ ٤٠).





الخصائصُ المزعومةُ عندَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ لأئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهم

يَتّفقُ **الصُّوفيَّةُ** مع **الشِّيعَةِ** في تعظيمِ الرِّجالِ، والغُلُوِّ فيهم غُلُوًّا يَتجاوزُ حتَّى حُدودَ العقلِ والمنطقِ، فيَنْسُبُون لِأئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ خَصَائصَ، ويُميِّزُونَهُمْ بِمُمَيِّزَاتٍ تَجاوزوا بِهِمُ الحدَّ الشَّرعِيَّ، وخَرجوا بِهِمْ عَنِ القصدِ، وعَنِ العقلِ. وعلى هذه الظّاهرةِ الخطيرةِ أقامَ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ أُصُولَ مذاهِبِهِمْ، وبَنوْا عليها أُسُسَ مَناهجِهِمُ التّعليميَّةِ والتّربويَّةِ، فَكُتُبُ الفريقينِ طافحةٌ بأنواعِ الغُلُوِّ والمبالغاتِ في جوانبَ مُتعدِّدَةٍ مِنْ حياةِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ، وحتَّى بَعْدَ موتِهِمْ، وبَعْدَ بَعْثِهِمْ ووقوفِهِمْ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعالَى.

وأدِلَّةُ **الفريقينِ** في هذا البابِ لَا تَخرجُ عَنْ كَوْنِها مِنَ الدَّعاوَى التي لَا تَستنِدُ إلى نُصُوصٍ نَقْليَّةٍ شَرعيَّةٍ، ولَا إلى أَدِلَّةٍ عَقليّةٍ مَنطقيّةٍ؛ فكِلا الفريقينِ يَعتمدُ على الدَّعاوَى اعتمادًا كُلِّيًّا، والدَّعوَى بابٌ عَظيمٌ لَا حدَّ لهُ. لذلك جمعَ كُلُّ فَريقٍ منهم فِيمَنْ يُعظِّمُونَهُمْ كَمًّا هائلًا مِنَ الخصائصِ المزعومةِ والصِّفَاتِ المكذوبةِ، وما زالوا يَغرفونَ مِنْ هذا البحرِ المزيدَ مِنَ الخصائصِ والصِّفاتِ، ويُضِيفُها اللّاحِقُونَ مِنْ كُتَّابِهِمْ ومُصَنِّفِيهم إلى مَا كَتبهُ السّابقونَ في فضائلِ أئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ وكرامَاتِهِمْ، وامتيازاتِهِمْ بَعْدَ الموتِ، وبَعْدَ البَعْثِ أيضًا. فالدَّعاوَى مَعِينٌ لَا يَنضَبُ وصَاحِبُهُ لَا يَعجزُ ولَا يَكِلُّ.

ثُمَّ إنَّهُمْ يَنْسُبُونَ دَعاواهم إلى اللهِ تَعالَى، أو إلى رَسُولِهِ ﷺ، أو مَنْ يُعظِّمونَهُمْ مِنَ الرّجالِ، أو إلى الملائكةِ والجِنِّ، وحتَّى إبليسَ. فيَزْعُمُونَ أنّها بَلَغَتْهُمْ في مَناماتِهِمْ، أو حتَّى يَقَظَتِهِمْ، ويَتلقّوْنَ بعضَها مُباشرةً، وبعضَها

عَنْ طريقِ الهواتفِ والإلهاماتِ، وغيرِها مِنْ أنواعِ مَصادرِ التّلقّي التي آمنوا بهِا.

وها أنذا أذكرُ - فيما يأتي - هذه **الخصائصَ المزعومةَ لأئمّةِ الرّافضةِ وأولياءِ الصُّوفيَّةِ**، وقَدْ قسّمتُها بحسبِ الجوانبِ المختلفةِ في حياةِ **أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ** فجاءتْ في **ستّة عناصرَ**؛ تسهيلًا لِفَهْمِ مَنهجِهِمْ في هذه الظَّاهرةِ الخطيرةِ التي كانت وما زالتْ مَطِيَّةً وسببًا عظيمًا مِنْ أسبابِ الشِّرْكِ باللهِ تَعَالَى. والعناصرُ الستةُ هي:

١ - **أهمّيّةُ الإمامِ والوَلِيِّ.**

٢ - **الإمامةُ والوِلايَةُ لُطْفٌ واصطفاءٌ.**

٣ - **عِلْمُ الإمامِ والوَلِيِّ.**

٤ - **العِصْمَةُ والحِفْظُ للأئِمَّةِ والأولياءِ.**

٥ - **قُدُرَاتُ الأَئِمَّةِ والأَولياءِ وتَصَرُّفُهُمْ في الأكوانِ.**

٦ - **كَرَامَاتُ الأَئِمَّةِ والأولياءِ ومُعْجِزَاتُهُمْ.**






(١)
أهمّيّةُ الإمامِ والوَلِيِّ

□ أوّلًا: أَهمِّيَّةُ الإمامِ عِنْدَ الشِّيعَةِ:

تَزْعُمُ الشِّيعَةُ أنَّ الأرضَ لَا تَخلو مِنْ حُجَّةٍ للهِ على خَلْقِهِ وهُمُ الأَئِمَّةُ[١]، **ولَوْ رُفِعَ الإمامُ مِنَ الأرضِ ساعةً لسَاخَتْ بأهْلِها ومَاجَتْ كما يَموجُ البحرُ بأهلِهِ**[٢]. فالأَئِمَّةُ عِنْدَهُمْ هُمْ أركانُ الأرضِ أنْ تَميدَ بِهِم، وهُمُ الحُجَّةُ البالغةُ على مَنْ فَوْقَ الأرضِ ومَنْ تحتَ الثَّرَى[٣]، **وأنّهُ لولاهُمْ مَا عُبِدَ اللهُ**[٤]، فهُمْ حُجَّةُ اللهِ وبابُ اللهِ وَوُلاةُ أَمْرِ اللهِ وجَنْبُ اللهِ وعَيْنُ اللهِ وخَزَنَةُ عِلْمِهِ[٥]، وهُمْ مَعْدِنُ العِلْمِ وشَجَرةُ النُّبُوّةِ ومَفاتيحُ الحِكْمَةِ ومَوضعُ الرّسالةِ ومُختلَفُ الملائكةِ[٦]، وهُمْ مَوضعُ سِرِّ اللهِ ووَدِيعَتُهُ في عِبادِهِ[٧].

• روى **المُفيدُ** بإسنادِهِ إلى ابنِ عَبّاسٍ عن **رَسُولِ اللهِ** ﷺ فيما نسبوهُ إليه قولَه: «ذِكْرُ اللهِ ﷻ عِبادَةٌ، وذكري عِبَادَةٌ، وذِكْرُ عَلِيٍّ عِبَادَةٌ، وذِكْرُ الأَئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ عِبادَةٌ. والذي بَعثَني بالنُّبُوّةِ وجعلَني خيرَ البَرِيَّةِ! إنَّ وصيّي لأفضلُ الأوصياءِ، وإنَّهُ لَحجّةُ اللهِ على عِبَادِهِ وخَليفتُهُ على خَلْقِهِ، ومِنْ وَلَدِهِ

---

(١) بصائر الدرجات (ص: ٥٠٤)، «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب أنَّ الأرض لا تخلو مِنْ حجة (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩).
(٢) «بصائر الدرجات» (ص: ٥٠٨)، و«أصول الكافي» (١/ ١٧٩).
(٣) «أصول الكافي» (١/ ١٧٩). وأخصر منهُ في «بصائر الدرجات» (ص: ٢١٩).
(٤) «أصول الكافي» (١/ ١٩٣).
(٥) «البصائر» (ص: ٧٦)، «أصول الكافي» (١/ ٢٢١).
(٦) «البصائر» (ص: ٨١).
(٧) «البصائر» (ص: ٧٧).

الأَئِمَّةُ الهداةُ بعدي، بِهِمْ يَحبِسُ اللهُ العذابَ عَنْ أهلِ الأرضِ **وبِهِمْ يُمْسِكُ السّماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ إلّا بإذنهِ، وبِهِمْ يُمْسِكُ الجبالَ أنْ تميدَ بِهِمْ وبِهِمْ يَسقي خَلْقَهُ الغَيْثَ وبِهِمْ يَخرجُ النّباتُ**. أُولَئِكَ أولياءُ اللهِ حقًّا وخلفائي صِدْقًا، عِدّتُهُمْ عِدّةَ الشُّهورِ.. وعِدّةَ نُقَبَاءِ مُوسَى، ثُمَّ تلا: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: ١] أَمَّا **السماءُ**: فأنا، وأمّا **البروجُ**: فالأَئِمَّةُ بعدي أوّلُهُمْ عَلِيٌّ وآخرهُمُ المهديُّ»[١].

• وروى **الطُّوسِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** فيما نَسَبَهُ إليه: «**العَائِبُ على أميرِ المؤمِنينَ في شَيْءٍ كالعائبِ على اللهِ ورَسُولِهِ، والرَّادُّ عليهِ في صغيرٍ أو كبيرٍ على حَدِّ الشِّرْكِ باللهِ. كانَ أميرُ المؤمِنينَ بابَ اللهِ لَا يؤتَى إلَّا منهُ، وسبيلَهُ الذي مَنْ تَمسّكَ بغيرِهِ هلكَ، كذلك جرَى حُكْمُ الأَئِمَّةِ بَعْدَهُ، واحدٌ بَعْدَ واحدٍ، جعلهُمُ اللهُ أركانَ الأرضِ، وهُمُ الحُجَّةُ البالغةُ على مَنْ فوقَ الأرضِ ومَنْ تحتَ الثَّرَى**»[٢]. **وروى** أيضًا بِإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ** يقولُ: «قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأميرِ المؤمِنينَ: «**اكتبْ.. اكتبْ لشُرَكائِكَ**». قال: قلتُ: ومَنْ شُركائي؟ قال: «الأَئِمَّةُ مِنْ وَلَدِكَ، بِهِمْ تُسْقَى أُمّتي الغَيْثَ، وبِهِمْ يُستجابُ دُعاؤُهُمْ، **وبِهِمْ يَصْرِفُ اللهُ عنهُمُ البلاءَ، وبِهِمْ تَنزلُ الرّحمةُ مِنَ السّماءِ**». وأومأَ إلى الحَسَنِ وقال: «**هذا أوَّلُهُمْ**». وأَوْمَأَ إلى الحُسَيْنِ وقال: «**الأَئِمَّةُ مِنْ وَلَدِهِ**»[٣].

• ويَصِفُ **الخُمَيْنِيُّ** الأَئِمَّةَ فيقولُ: «**أهلُ بَيْتِ العِصْمَةِ** عليهم السلام **الذين هُمْ مَعَادِنُ الوَحْيِ، وإنَّ أقوالَهُمْ وعُلومَهُمْ مِنَ الوَحْيِ الإلٰهيِّ والكَشْفِ المُحَمّديِّ**»[٤].

---

(١) «الاختصاص» (ص: ٢٢٣ ـ ٢٢٤). والآية من [سُورَةِ البُرُوجِ، الآيةِ: ١]، **والحديثُ مكذوب موضوعٌ**.
(٢) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٢٠٩).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٦). **والحديثُ موضوعٌ**.
(٤) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٨٨).

إنَّ هذا الغُلُوَّ وغيرَهُ حملَ الرَّافِضَةَ على اعتقادِ أنَّ معرفةَ الإمامِ شرطٌ في معرفةِ اللهِ والإيمانِ بهِ، وشرطٌ في قَبولِ الأعمالِ والطاعاتِ.

• فقد روى **الْكُلَيْنِيُّ** فيما يَنْسُبُهُ إلى **أحدِ الأَئِمَّةِ** قولَهُ: «**لَا يكونُ العبدُ مُؤمِنًا حتَّى يَعرِفَ اللهَ ورَسُولَهُ والأئِمَّةَ كلَّهُمْ وإمامَ زَمَانِهِ**». ونَسَبَ إلى **البَاقِرِ** قولَهُ: «**إِنَّمَا يَعرِفُ اللهَ** ﷻ **ويَعبدُهُ مَنْ عَرَفَ اللهَ وعرفَ إمامَهُ مِنَّا أهلَ البَيْتِ**»[١]. وروى أيضًا عَنِ **البَاقِرِ** قولَهُ: «**كُلُّ مَنْ دَانَ اللهَ بِعبادةٍ يَجهدُ فيها نَفسَهُ ولَا إمامَ لهُ مِنَ اللهِ؛ فسَعْيُهُ غيرُ مقبولٍ... وإنْ ماتَ على هذه الحالةِ ماتَ مِيتةَ كُفرٍ ونفاقٍ**... وإنَّ أَئِمَّةَ الجَوْرِ وأتباعَهُمْ لمعزولونَ عَنْ دِينِ اللهِ، قَدْ ضلّوا وأَضلّوا، فأعمالُهُمُ التي يَعمَلُونها كرمادٍ اشتدَّتْ بهِ الرّيحُ في يومٍ عَاصِفٍ، لَا يَقدرون مِمَّا كسبوا على شَيْءٍ، ذلك هو الضَّلالُ البعيدُ»[٢].

• ويُقَرِّرُ هذه العقيدةَ إمامُهُمُ **الخُمَيْنِيُّ** فيذكرُ الرّوايةَ السّابقةَ عنِ **البَاقِرِ** مُختصرةً، ويَذكرُ عنهُ أيضًا قولَهُ: «**لَوْ أنَّ رَجُلًا قامَ لَيلَهُ وصامَ نَهارَهُ وتَصدّقَ بجميعِ مَالِهِ وحجَّ جميعَ دَهْرِهِ، ولَمْ يَعْرِفْ وِلايةَ وَلِيِّ اللهِ فيواليهِ فتكون جميعُ أعمالِهِ بدلالتِهِ إليه؛ مَا كان لهُ على اللهِ حقٌّ في ثوابِهِ وما كانَ مِنْ أهلِ الإيمانِ**». وعَزّزَ **الخُمَيْنِيُّ** هَاتَيْنِ الرّوايتينِ بِمَا نسبَهُ هو وأَئِمَّةُ الرَّفْضِ إلى **زَيْنِ العَابدِينَ** أنه قالَ: «إنَّ أفضلَ البِقاعِ مَا بَيْنَ الرُّكنِ والمقامِ، ولَوْ أنَّ رجُلًا عُمِّرَ مَا عُمِّرَ نوحٌ في قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَصومُ النّهارَ ويَقومُ اللّيلَ في ذلك الموضعِ **ثُمَّ لَقِيَ اللهَ بغيرِ وِلايتِنا؛ لَمْ يَنْفَعْهُ ذلك شَيئًا**». ثُمَّ يَختِمُ **الخُمَيْنِيُّ** قائلًا: «والأحاديثُ في هذا البابِ أكثرُ مِنْ أنْ تَسَعَها هذه الرّسالةُ»[٣].

يَقصِدُ أنَّه يوجدُ الكثيرُ مِنَ الأحاديثِ الدَّالّةِ على كُفْرِ وبُطلانِ عباداتِ

---

(١) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب معرفة الإمام والرد عليه (١/ ١٨٠ ـ ١٨١).
(٢) المصدر السابق، باب فيمن دان اللهَ بغير إمام مِنَ اللهِ (١/ ٣٧٥).
(٣) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٢٦٠ ـ ٢٦١).

مَنْ لَمْ يَعتَقِدْ بإمامةِ أئِمَّتِهِمْ. إنَّ هذه العقيدةَ وأقوالَ **الخُمَيْنِيِّ** فيهما العِظَةُ والذِّكرَى لأُولَئِكَ الجماهيرِ مِنْ **غَفلَةِ أهلِ السُّنَّةِ** وسُذَّجِهِمُ الذين رَكضُوا وما زالَ كثيرٌ منهم وراءَ سَرابِ **الخُمَيْنِيِّ** في دَعوتِهِ المزعومةِ إلى تَوحيدِ صُفُوفِ المُسلِمينَ وجمع كَلِمَتِهِمْ أمامَ قُوى الكُفْرِ والإلْحَادِ العالميّةِ. وما زال كثيرٌ مِنْ هؤلاءِ في غَفْلَتِهِمْ وسَذَاجَتِهِمْ يُرَدِّدُونَ الهتافاتِ **الخُمَيْنِيَّةَ** ويَصرُخُونَ بِهَا في أماكنَ مُتعدّدةٍ مِنْ بلادِ المُسلِمينَ. وها هو **الخُمَيْنِيُّ** يُقَرِّرُ كُفْرَهُمْ وعُزْلَتَهُمْ عَنِ الإسلامِ والإيمانِ. فاستيقظوا مِنْ سُبَاتِكُمْ واعْلَموا مَا يُرادُ بِكُم قَبْلَ فواتِ الأوانِ.

يَتبيّنُ مِمَّا تقدمَ جانبٌ مِنْ جوانبِ غُلُوِّ الشِّيعَةِ في أئِمَّتِهِمْ.

□ ثانيًا: أَهمِّيَّةُ الوَلِيِّ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ:

أمَّا الصُّوفيَّةُ فيَزْعُمُونَ مثلَ ذلك في شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ:

■ يَصِفُ **الطُّوسِيُّ** الصُّوفيَّةَ فيقولُ: «**هُمْ أمناءُ اللهِ ﷻ في أرضِهِ، وخَزَنَةُ أسرارِهِ وعِلْمِهِ، وصَفْوتُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١).

■ ويقولُ **أبو طَالِبِ المَكِّيُّ** - في وَصْفِهِ للصُّوفيَّةِ وجُوعِهِمْ ورياضاتِهِمْ، مُستدِلًّا بما نَسَبَهُ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ مِنْ حديثِهِ ووَصِيَّتِهِ لِحِبِّهِ أُسَامةَ بن زَيْدٍ -: «**إنَّ أقربَ النَّاسِ مِنَ اللهِ ﷻ يومَ القِيَامَةِ مَنْ طالَ جُوعُهُ وعَطَشُهُ وحُزْنُهُ في الدُّنيا.. تبكي الأرضُ إذا فقدَتْهُمْ، ويَسخَطُ اللهُ تَعالَى على كُلِّ بلدٍ ليسَ فيها منهم.. يا أسامةَ! إذا رأيتَهُمْ في بلدةٍ فاعْلَمْ أنّهم أَمَانٌ لتلك البلدةِ، لَا يُعذِّبُ اللهُ ﷻ قومًا هُمْ فيهم، الأرضُ بِهِمْ رَحيمةٌ، والجَبَّارُ عنهم راضٍ، اتّخِذْهُمْ لنفسِكَ أَخْدَانًا عسَى أنْ تَنْجُوَ بِهِمْ**»(٢).

---

(١) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ١٩). (٢) «قوت القُلوب» (٢/ ١٦٥).

▪ ويقولُ **أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ** في تفسيرِ قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد: ٣]: «قال بَعضُهُمْ: هو الذي بسطَ الأرضَ **وجعلَ فيها أوتادًا مِنْ أوليائِهِ** وسادَةً مِنْ عَبيدِهِ، فإليهِمُ المَلْجَأُ وبِهِمُ النّجاةُ. فمَنْ ضربَ في الأرضِ يَقصِدُهُمْ فازَ ونَجا، ومَنْ **كان بُغْيَتُهُ لغيرِهِمْ خابَ وخَسِرَ**»[(١)].

▪ ونقلَ **أبو نُعَيْم** عَنْ **ذي النُّونِ المِصْرِيِّ** حديثًا طويلًا يَصِفُ فيه مَنْ يَزْعُمُهُمُ الأَبْدَالَ والأقطَابَ وفيه: «**فَبِهِمْ يُحيي ويُمِيتُ ويُمْطِرُ ويُنبِتُ ويَدفَعُ البلاءَ**»[(٢)]. وفيه أيضًا: «فَهُمْ حُجَجُ اللهِ تَعَالَى على خَلْقِهِ»[(٣)]. **ويقولُ** أيضًا: «بِهِمْ تُدْفَعُ النّقماتُ وعَليهِم تنزلُ البركاتُ.. سراجُ العبادِ ومنارُ البلادِ، مصابيحُ الدُّجَى، ومعادِنُ الرّحمةِ، ومنابعُ الحِكْمَةِ، وقِوامُ الأُمَّةِ»[(٤)]. **ونقلَ** عنهُ أيضًا قولَهُ: «إنَّ للهِ خالصةً مِنْ عِبادِهِ، ونُجَبَاءَ مِنْ خَلْقِهِ... أُولَئِكَ نُجَباءُ اللهِ مِنْ عِبادِهِ، وأمناءُ اللهِ في بلادِهِ، والدُّعاةُ إلى مَعرفتِهِ، والوسيلةُ إلى دِينِهِ... على أنّهُ لَا تَخلو الأرضُ مِنْ قَائِمٍ فيها بحُجّتِهِ على خَلْقِهِ لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ»[(٥)]. وذكرَ عَنْ **أبي يَزِيدَ** وَصْفَهُ للأبدالِ بأنّهم أوتادُ الأرضِ[(٦)].

▪ ويقولُ **القُشَيْرِيُّ**: «جعلَ اللهُ هذه الطائفةَ صَفْوةَ أوليائِهِ، وفَضّلَهُمْ على الكافّةِ مِنْ عِبادِهِ بَعْدَ رُسُلِهِ وأنبيائِهِ، جعلَ قُلوبَهُمْ مَعادِنَ أسرارِهِ، واختصّهم مِنْ بَيْنِ الأُمَّةِ بطوالعِ أنوارِهِ، فهُمُ الغياثُ للخلْقِ... ورَقّاهم إلى مَحَالِّ المُشَاهداتِ بِمَا تجلّى لَهُمْ مِنْ حقائقِ الأحدِيَّةِ... وأشهدَهُمْ مجاريَ أحكامِ الرُّبُوبيَّةِ»[(٧)].

▪ ويقولُ **عبدُ الرَّحْمَنِ الأنصاريُّ المعروفُ بابنِ الدَّبَّاغِ (ت٦٩٦هـ)** ـ

---

(١) بواسطة «التفسير والمفسرون» للذهبي (٢/ ٣٨٧).
(٢) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ٩).
(٣) «حِلْيَة الأولياءِ» (١/ ١٢).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٤ ـ ١٥).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٣٤٩).
(٦) المصدر نفسه (١٠/ ٣٧).
(٧) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٢٥ ـ ٢٦).

بَعْدَ ذكرِهِ الأولياءَ العارفينَ وحِفْظَهُمْ وعِصْمَتَهُمْ مَا نَصُّهُ ـ: «بِهِمْ يَرحَمُ اللهُ تَعَالَى الخلْقَ، قال عليه السلام: **بِهِمْ تُمطَرون وبِهِمْ تُرحَمون**. فرحمةُ اللهِ تَعَالَى لعبادِهِ بَعْثُ الأنبياءِ لَهمْ. . . فمَنْ كان أكثرَ أخذًا لِما جاءتْ بِهِ الأنبياءُ عليهم السلام؛ كان أوفرَ نصيبًا مِنْ هذهِ الرّحمةِ الإلٰهيَّةِ المبثوثةِ في العَالَمِ بواسِطَتِهِمْ. والكاملُ في الوراثةِ النَّبَويَّةِ هو القُطْبُ والغَوْثُ وهو خَليفةُ اللهِ تَعَالَى في هذا العَالَمِ، وهذه الرّتْبَةُ كما قُلْنا آخرُ رُتَبِ الإنسانيَّةِ وأوّلُ رُتَبِ الملائكةِ»[(١)].

▪ ووَصَفَهُمُ **المنوفيُّ** بأنّهم: «حُجَجُ اللهِ تَعَالَى على خَلْقِهِ، وأنّهم سببٌ لِدفعِ النّقماتِ ونُزولِ البركاتِ وأنّهم منارٌ للبلادِ وسراجٌ للعبادِ ومَعادِنُ الرّحمةِ»[(٢)]. وذكرَ أنَّ اللهَ تَعَالَى «أقامَهُمْ مقامَ المُنْفِذِينَ لإرادتهِ»[(٣)]. تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقولونَ عُلُوًّا كبيرًا. فيَزْعُمُ هذا المُنحرفُ أنَّ هؤلاءِ السّكارَى أقامهُمُ اللهُ وأنابَهُمْ عنهُ في تَنفيذِ إرادتهِ. ويقولُ أيضًا: «وأولياءُ اللهِ وأحبابُهُ لَا يَخلو قَطُّ منهم زَمانٌ ولَا تَغيبُ عنهم بُلْدَانٌ؛ لأنّهم حاملو نُورَ النُّبُوّةِ، الموروثَ لَهمْ بالنُّبُوّةِ مِنَ اللهِ عز وجل، فالنَّاسُ بِهِمْ يُرحمون ويُرزقون»[(٤)]. وقال أيضًا: «وأرضُ اللهِ لَا تَخلو دائمًا مِنْ قائمٍ للهِ بِحُجَّةٍ إلى أنْ تقومَ السّاعةُ»[(٥)].

▪ ويقولُ **الخُمَيْنِيُّ** مُدْلِيًا بدَلْوِهِ الصُّوفِيِّ في هذا البابِ: «. . . والعارفُ أمينُ وَدَائِعِ اللهِ، وكَنزُ أسرارِهِ، ومَعْدِنُ أنوارِهِ، ودَليلُ رَحمتهِ على خَلْقِهِ، ومَطيَّةُ عُلومِهِ، وميزانُ فضلهِ وعَدْلِهِ»[(٦)].

▪ وروى **الكَشِّيُّ** بإسنادِهِ إلى **عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ** فيما يَنْسُبُونهُ إليه قولَهُ: «ضَاقتِ الأرضُ بسبعةٍ، بِهِمْ تُرزقونَ، وبِهِمْ تُنصرونَ، وبِهِمْ تُمطرون»[(٧)].

---

(١) «مشارق أنوار القُلوب» (ص: ١٠٣).
(٢) «جمهرة الأولياء» (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣).
(٣) المصدر السابق (١/ ١١٦).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٢٠).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٤٠).
(٦) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ١٧٨).
(٧) «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ٦ ـ ٧).

يَتبيّنُ مِنْ هذهِ النُّقولِ غُلُوُّ المُتَصَوِّفَةِ في شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ، وأنَّ منهجَهُمْ في هذا الغُلُوِّ قريبٌ جدًّا مِنْ منهجِ الرَّافِضَةِ.

وكما حملَ الغُلُوُّ أهلَ التَّشَيُّعِ على الادِّعاءِ بِبُطْلانِ عِبادةِ مَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بإمامٍ ويواليهِ؛ فإنَّ الصُّوفيَّةَ أيضًا حَمَلَهُمْ غُلُوُّهُمْ على مثلِ هذه الدَّعوَى مِنْ حيثُ أهمّيَّةُ الالتزامِ بشَيْخٍ وطاعتُهُ واعتقادُهُ، فمِن ذلك:

- يقولُ **أبو القاسم القُشَيْريُّ**: «ثُمَّ يَجِبُ على المُريدِ أنْ يَتأدَّبَ بشَيْخٍ، **فإنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لهُ أُستاذٌ؛ لَا يُفْلِحُ أبدًا**».

- وهذا **أبو يَزيدَ** يقولُ: «**مَنْ لَمْ يَكُنْ لهُ أُستاذٌ فإمامُهُ الشَّيْطَانُ**».
ويقولُ: سمعتُ **أبَا عَلِيٍّ الدّقّاقَ** يقولُ: «الشجرةُ إذا نَبتَتْ بنفسِها مِنْ غيرِ غارسٍ؛ فإنها تُورّقُ ولكنْ لَا تُثْمِرُ. وكذلك المُريدُ إذا لَمْ يَكُنْ لهُ أستاذٌ يأخذُ منهُ طريقتَهُ نَفَسًا نفسًا؛ فهو عابدُ هواهُ لَا يَجِدُ نفاذًا»[(١)].

ولَا شَكَّ أنّهم يَعنونَ بالأُستاذِ: **مَنْ كان مُتصوِّفًا**؛ لأنّهم يُحذّرونَ أتباعَهُمْ مِنْ أهلِ العِلْمِ بالسُّنَنِ والآثَارِ كما تقدم ذكرُهُ[(٢)]، وكما سيأتي ذِكْرُ طَرَفٍ آخرَ عنهُ في هذا المبحثِ قريبًا إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى.

- ويقولُ **عَيْنُ القُضاةِ الهمذانيُّ**: «**وقَدْ أجمعَ أربابُ الحقيقةِ مِنْ أهلِ التَّصَوُّفِ على أنَّ مَنْ لَا شيخَ لهُ فلا دِينَ لهُ**»[(٣)].

- ويقولُ **شِهابُ الدِّينِ السّهرورديُّ** أثناءَ ذكرِهِ آدابَ المُريدينِ مع الشيوخِ مَا نَصُّهُ: «أنْ يكونَ مَسلوبَ الاختيارِ، لَا يَتصرّفُ في نَفسِهِ ومَالِهِ إلَّا بِمُراجعةِ الشّيْخِ وأمرِهِ... والشّيْخُ للمُريدينَ أمينُ الإلهامِ كما أنَّ جِبْريلَ

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٧٣٥).
(٢) راجع: المبحث الثاني والثالث مِنْ هذا الفصل.
(٣) رسالة «شكوى الغريب» (ص: ١٠).

أمينُ الوَحْيِ. فكمـا لَا يَخونُ جِبْرِيلُ في الوَحْيِ لَا يَخونُ الشَّيْخُ في الإلهام. وكمـا أنَّ الرَّسُولَ لَا يَنطِقُ عَنِ الهوى فالشّيْخُ مُقْتَدٍ بِرَسُولِ اللهِ ظاهرًا وباطنًا لَا يَتكلَّمُ بِهَوَى النَّفْسِ»[(١)].

■ ويقولُ **ابنُ عَجيبةَ**: «ولَا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ كاملٍ يُخرِجُكَ مِنْ تَعَبِ نَفسِكَ إلى راحتِكَ بِشُهودِ ربِّكَ»[(٢)(٣)].

هكذا يُقَرِّرونَ هذه العقيدةَ فمنهم مَنْ يُصَرِّحُ ومنهم مَنْ يَحومُ حَوْلَ الحِمَى. فمَنْ لَمْ يَكُنْ على مَذهبِهِمْ فهو عَابِدٌ لهواهُ، ولَا يَجِدُ لعبادتهِ وطاعاتهِ نفاذًا؛ أَيْ: قَبُولًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى؛ لكونهِ قَدِ ائْتَمَّ بالشَّيْطَانِ بزَعمِهِمْ. وأَصرَحُهُمْ في هذا البابِ **عينُ القضاةِ**، ويَظهرُ أنّهُ قُتِلَ وصُلِبَ لِصَراحتهِ في تَصَوُّفِهِ[(٤)]. وأمَّا **السهرورديُّ**؛ فإنَّهُ يُقارِنُ بَيْنَ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ وبَيْنَ جِبْرِيلَ والرَّسُولِ ﷺ؛ بِحُجَّةِ أنّهم أُمناءُ الإلهامِ. ومِنْ أينَ لهُ أنَّ الدِّينَ لَا يَتِمُّ إلَّا بالإلهامِ؟ وقد عَلِمَ المُسلِمونَ أنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَتَمَّ دِينَهُ وأكملَ شَرْعَهُ بِمَا أنزلَهُ إليهم مِنْ كِتابٍ وسُنَّةٍ.

هذا؛ وقَدْ حملَ هذا الغُلُوُّ الطّائفتيْنِ الضَّالّتينِ الرَّافِضَةَ والصُّوفيَّةَ على تَفضيلِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ على أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ، وها هو سَرْدٌ لِما جاءَ عَنْهما في هذا الأمرِ:

---

(١) «عوارف المعارف» (ص: ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

(٢) «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» لابنِ عَجيبةَ (ص: ١٣).

(٣) ابنُ عَجيبةَ هو: أحمدُ بنُ مُحمد بنِ مهدي (ت١٢٢٤هـ) [الأعلام للزِّرِكْلِيِّ ١/ ٢٤٥]. وهو الجَدُّ الأعلَى (لمُحمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ المؤمنِ بنِ الصّدّيقِ الغُماريِّ المُعاصرِ الصُّوفيِّ) من جهةِ (أبيهِ وأُمِّهِ). تقدم ذكرُه في (ص: ١٧٤).

(٤) هو: عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الميانجيُّ، المُلقَّبُ بعينِ القُضاةِ الهمذانيِّ، قُتِلَ ثُمَّ صُلِبَ سنةَ (٥٢٥هـ) بعدَ تكفيرِ العُلَمَاءِ لهُ لِما صَدرَ منهُ مِنْ غُلُوٍّ في تَصوّفِهِ وزندقتهِ.

□ **أوَّلًا: ما جاء عَنِ الرَّافِضَةِ في تَفضيلِ أئِمَّتِهمْ على أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ:**

• روى **الصَّفَّارُ** عَنْ **الصَّادِقِ**، و**الْكُلَيْنِيُّ** عَنْ **البَاقِرِ** بإسنادَيْهِما حديثًا فيه: «إنَّ اللهَ ﷻ جمعَ لِمُحَمَّدٍ سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدمَ وهَلُمَّ جرًّا إلى مُحَمَّدٍ. قِيلَ لهُ: وما تلك السُّنَنُ؟ قال: عِلْمُ النَّبِيِّينَ بأسْرِهِ، وأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَيّرَ ذلك كُلَّهُ عِنْدَ أميرِ المؤمِنينَ. فقال لهُ رَجُلٌ: يا ابنَ رَسُولِ اللهِ! فأميرُ المؤمِنينَ أعلمُ أمْ بعضُ النَّبِيِّينَ؟ فقال: اسمعوا مَا يقولُ؟! إنَّ اللهَ يَفتحُ مَسامعَ مَنْ يَشاءُ، إنّي حَدّثْتُهُ أنَّ اللهَ جمعَ لِمُحَمَّدٍ عِلْمَ النَّبِيِّينَ وأنّهُ جمعَ ذلك كُلَّهِ عِنْدَ أميرِ المؤمِنينَ، وهو يَسألُني أهوُ أَعلمُ أمْ بعضُ النَّبِيِّينَ؟!»[(١)].

• وروى **الصَّفَّارُ** أيضًا عَنْ **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** أنّهُ قال: «إنَّ اللهَ خلقَ أُولي العزمِ مِنَ الرُّسُلِ، وفضّلَهُمْ بالعِلْمِ، وأورَثَنا عِلْمَهُمْ وفَضْلَهُمْ، **وفضّلَنا عَليهِم في عِلْمِهِمْ، وعَلَّمَ رَسُولَ اللهِ ما لَمْ يَعلَموا، وعَلّمَنا عِلْمَ الرَّسُولِ وعِلْمَهُمْ**»[(٢)].

• وذكرَ **الصَّفَّارُ** أحاديثَ أُخْرَى في هذا البابِ. ثُمَّ عقدَ بَابًا آخرَ في الأئِمَّةِ، وفيه عَنِ **البَاقِرِ** أنّهُ قال: «لقَدْ سألَ مُوسَى العَالِمَ مَسألةً لَمْ يَكُنْ عِندَهُ جَوابُها، ولقَدْ سألَ العَالِمُ مُوسَى مَسألةً لَمْ يَكُنْ عندَهُ جوابُها، ولَوْ كنتُ بَينَهُما لأَخبَرْتُ كُلَّ واحدٍ مِنهما بجوابِ مسألتِهِ، ولسألتُهما عَنْ مَسألةٍ لَا يكونُ عِنْدَهما جوابُها». وروى بنحوهِ عَنْ **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** أيضًا[(٣)].

هكذا يروي أَئِمَّةُ الشِّيعَةِ أحاديثَهُمْ المكذوبةَ الباطلةَ بأسانيدَ مُظْلِمَةٍ وأساليبَ سَاقطةٍ رَكيكَةٍ ويَنْسُبُونَها إلى الأئِمَّةِ تَرويجًا لمَذهبِهِمْ.

• ويَذكرُ **الخُمَيْنِيُّ** أنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه سألَ الرَّسُولَ ﷺ: أنتَ أفضلُ أم

---

(١) رواه الصَّفَّارُ في «بصائر الدرجات الكبرى»، باب في أميرِ المؤمِنينَ وأولو العزم، أيهم أعلم؟ (ص: ٢٤٨ ـ ٢٤٩). والكليني في «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٢) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٢٤٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٥٠).

جِبْرِيلُ؟ فقال: «إنَّ اللهَ فَضّلَ أنبياءَهُ المُرْسَلينَ على ملائكتِهِ المُقرّبينَ، وفَضّلَني على جميعِ النَّبِيِّينَ، والفضلُ بَعْدَ ذلك لك وللأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ، وإنَّ الملائكةَ لَخُدَّامُنا وخُدَّامُ مُحبِّينا.. **يا عَلِيُّ! لولا نَحنُ مَا خَلَقَ اللهُ آدمَ ولَا حوّاءَ ولَا الجَنَّـةَ ولَا النَّارَ ولَا السماءَ والأرض، فكيف لَا نكونُ أفضلَ مِنَ الملائكةِ؟**». ثُمَّ ذكرَ حديثًا طويلًا في فضلِ الأَئِمَّةِ وأنّه لَوْلاهُمْ لَما عَرَفَتِ الملائكةُ ـ فضلًا عَنْ غيرِهِمْ مِنَ الخلْقِ ـ تسبيحَ اللهِ وتَهليلَهُ وتحميدَهُ، وغيرَ ذلك مِنْ معرفةِ اللهِ وذكرِه[(١)].

• ويَعتَقِدُ **الخُمَيْنِيُّ** وغَيْرُهُ مِنْ أهلِ الرَّفْضِ «أنَّ مِنْ ضَروريّاتِ مَذهبِهِمْ أنَّ لِأئِمَّتِهِمْ مقامًا لَا يَبْلُغُهُ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وأنَّ لَهمْ مع اللهِ حالاتٍ لَا يَسَعُها مَلَكٌ مُقرّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ»[(٢)].

• وذكرَ **الخوانساريُّ** في **ترجمةِ هاشمِ بنِ سُلَيْمَانَ البحرانيِّ** أنَّ مِنْ مُصَنَّفاتِهِ كِتابَ: «**تفضيل الأَئِمَّةِ على الأنبياء**». وذكرَ أنَّ هَاشِمًا هذا مِنْ أئِمَّتِهِمْ وعُلمائِهِمْ، وأثنَى عليهِ كثيرًا. ووَصَفَهُ بأنَّهُ: «كان مُحَدِّثًا فاضلًا، جامعًا، مُتَتبِّعًا للأخبارِ بِمَا لَمْ يُسْبَقْ إليه سَابقٌ سِوَى المجلسيِّ». وذكرَ أنَّ وفاةَ هذا الرَّافِضِيِّ كانت سنةَ (١١٠٧هـ)[(٣)].

□ ثانيًا: ما جاء عَنِ الصُّوفيَّةِ في تَفضيلِ شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ على أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ:

■ ذكرَ **أبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ** فيما نقلَهُ عَنْ **بِشْرِ بنِ الحارثِ الحافيِّ** قولَهُ: «قال مُوسَى: ياَ ربِّ. فقال اللهُ تَعالَى لهُ: لبّيكَ يا مُوسَى. قال: إني جَائعٌ فَأطْعِمْني. قال: حتَّى أشاء... ثُمَّ قال: يا ربِّ! أَرِني وَلِيًّا مِنْ

(١) «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» (ص: ١٢٤ ـ ١٢٦). **والحديث الذي ذَكَرَهُ مكذوبٌ موضوعٌ.**
(٢) «الحكومة الإسلامية» (ص: ٥٢).
(٣) «روضات الجنات» (٨/ ١٨١ ـ ١٨٢).

أوليائِكَ». ثُمَّ يذكرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى دَلَّهُ على عِظامِ لِوَلِيٍّ قَدْ أرسلَ عليهِ السِّباعَ وأخرجهُ مِنَ الدُّنيا جائعًا ظمآنًا. وفي آخرِ الرِّوايةِ يَقولُ اللهُ تَعَالَى لِمُوسَى: «وذلك لمنزلتِهِ عندي، ولَوْ رَأيتَها لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شوقًا إليها، إنّي لَا أَرْضَى الدُّنيا لوليٍّ مِنْ أوليائي»[(١)].

▪ وأَلَّفَ الصُّوفِيُّ المُنْحَرِفُ محمد بن علي المعرف **بالحكيمُ التِّرْمِذِيُّ** كتابَ «خَتْمِ الوِلايَةِ»، وفَضّلَ فيه الأولياءَ على الأنبياءِ. وقَدْ نقلَ **الإمامُ الذَّهَبِيُّ** عَنْ **أبي عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ** أنّهُ قال: «أَخرَجوا الحكيمَ مِنْ تِرْمِذَ وشهِدوا عليهِ بالكُفْرِ ذلك بسببِ تَصنيفهِ كتابَ «ختمِ الوِلايَةِ» وكتابَ «عِلَلِ الشَّريعةِ»... وليس فيه مَا يُوجِبُ ذلك، ولكن لبُعْدِ فَهْمِهِمْ عنهُ». ثُمَّ يَقولُ **الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «كذا تُكُلِّمَ في السُّلَمِيِّ مِنْ أجلِ تأليفهِ كتابَ «حقائقِ التفسيرِ»، فيا لَيْتَهُ لَمْ يُؤلِّفْهُ، فنعُوذُ باللهِ مِنَ الإشاراتِ الحَلَّاجيَّةِ، والشَّطَحاتِ البِسْطَاميَّةِ، وتَصَوُّفِ الاتّحاديَّةِ، فوَاحُزْناهُ على غُرْبَةِ الإسلام والسُّنَّةِ»[(٢)]. ونقلَ تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ أيضًا مِثْلَهُ عَنِ السُّلَمِيِّ، وذكرَ اعتذارَهُ عنهُ[(٣)].

▪ وتبنَّى هذه العقيدةَ الشِّيعِيَّةَ **الفيلسوفُ المُتَصَوِّفُ ابنُ عَرَبِيٍّ**؛ فيقولُ في «فُصوصهِ»: «وليس هذا العِلْمُ إلَّا لخاتَمِ الرُّسُلِ وخاتَمِ الأولياءِ، وما يَراه أحدٌ مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ إلَّا مِنْ مِشكاةِ الرَّسُولِ الخاتَمِ، ولَا يراه أحدٌ مِنَ الأولياءِ إلَّا مِنْ مِشكاةِ الوَلِيِّ الخاتَمِ، حتَّى إنَّ الرُّسُلَ لَا يَرَوْنَهُ متى يَرَوْنَهُ إلَّا مِنْ مِشكاةِ خاتَمِ الأولياءِ، فإنَّ الرّسالةَ والنُّبُوّةَ - أعني: نُبُوّةَ التّشريع والرّسالةِ - تَنقطِعَانِ، والوِلايَةُ لَا تَنقَطِعُ أبدًا. فالمُرسلون مِنْ كونِهِمْ أولياءَ، لَا يَروْنَ مَا ذَكرناهُ إلَّا مِنْ مِشكاةِ خاتَمِ الأولياءِ»[(٤)]. ثُمَّ

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (٨/ ٣٥١).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٤١ - ٤٤٢).
(٣) «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٢٤٥).
(٤) «فَصّ حكمة نفثية في كلمة شيثية» - «شرح فصوص الحكم» (ص: ٤٩).

يَزْعُمُ أنّهُ هو صاحبُ هذا المقامِ الخاتَمِ في الوِلايَةِ فيقولُ في «فُتوحاتِهِ»:

«أنـا خـاتَـمُ الـوِلايَـةِ دونَ شَـكٍّ   لِوِرْثِ الهاشميِّ معَ المسيحِ»(١)

▪ وتولّى كِبْرَ هذه العقيدةِ تلميذُ ابنِ عَرَبِيٍّ **عبدُ الكَريم الجيليُّ** الذي تَتبّعَ مُنكراتِ ابنِ عَرَبِيٍّ وكُفريّاته، فشرحَ غَامِضَها وأَفصحَ عَنْ رُمُوزِها. وقَدْ تعرّضَ لمقامِ الأولياءِ ومُقارَنتِهِمْ بالأنبياءِ وقال: «وفي هذا المقامِ قال المُحمّديّون مِنَ الأولياءِ مَا قالوا». فذكرَ عَنْ **عَبدِ القادرِ الجيلانيِّ** قولَهُ: «**معاشرَ الأنبياءِ! أُوتيتُمُ اللَّقَبَ وأُوتينا مَا لَمْ تُؤْتَوْهُ**». وعَنْ **أبي الغيثِ بنِ جميلٍ** قولَهُ: «**خُضْنَا بَحرًا وقفَ الأنبياءُ بساحلِهِ**»(٢). ويشيرُ إلى هذا المَعنَى في موضعٍ آخرَ فيقولُ: «اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لمّا أَوجدَ هذا الوجودَ وأنزلَ آدمَ مِنَ الجَنَّةِ وكان آدمُ وَلِيًّا قَبْلَ نُزولِهِ إلى الدُّنيا فَلَمّا نزلَ آتاهُ النُّبُوّةَ.. وذلك هو الوِلايَةُ»(٣).

▪ وجاءَ **الشَّعرانيُّ** وأدْلَى بِدَلْوِهِ لِيَنالَ حظًّا مِنْ هذهِ العقيدةِ الخبيثةِ؛ فذكرَ عَنْ **أبي يَزِيدَ البِسْطَامِيِّ** قولَهُ: «**خُضْتُ بَحْرًا وقفَ الأنبياءُ بساحلِهِ**»(٤). تقدم مثلُه منسوبًا لأبي الغَيْثِ بنِ جميلٍ. وذكرَ عَنْ شَيْخِهِ **أبي المواهبِ الشاذليِّ** أنّهُ ذكرَ قولَ النّاظمِ:

«مـقـامُ الـنُّـبُـوّةِ فـي بـرزخٍ   فُـوَيـقَ الـرَّسُـولِ ودون الـوَلِـيِّ»

ثُمَّ شرحَهُ وعلَّلَهُ بِأنَّ «مقامَ النُّبُوّةِ يُعطي الأَخْذَ عَنِ اللهِ بواسطةِ وَحْيِ اللهِ، ومقامَ الرّسالةِ يُعطي تبليغَ مَا أمرهُ اللهُ بِهِ للعبادِ، ومقامَ الوِلايَةِ الخاصَّةِ يُعطي الأخذَ عَنِ اللهِ بِاللهِ مِنَ الوجهِ الخاصِّ»(٥).

وذَكرَ في ترجمةِ **أحمدَ البَدويِّ** أنَّ سَيِّدَهُ وشيخَهُ **مُحَمَّدًا السّروريَّ** تخلّفَ سَنَةً عَنِ الحضورِ في **مَوْلِدِ البدويِّ السّنويِّ**، فيزعمُ قائلًا: «فعاتَبَهُ

(١) «الفتوحات المكية»، الباب الثالث والأربعون (١/ ٢٤٤).
(٢) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (١/ ١٢٤).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٢٠).
(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٦).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٥٨).

سيّدي أحمدُ وقال: مَوْضِعٌ يَحضُرُ فيه رَسُولُ اللهِ والأنبياءُ وأصحابُهُمْ والأولياءُ مَا تَحضرهُ؟»[(١)] . يُرِيدُ أنَّ مِنْ عُلُوِّ مَقامهِ وعظيمِ منزلتِهِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ وسائرَ الأنبياءِ والصَّحَابَةَ والأولياءَ يَحضرون مَولِدَهُ. وفيه إشارةٌ إلى تفضيلهِ على الأنبياءِ، فضلًا عَنِ الصَّحَابَةِ والأولياءِ.

يقولُ وَلِيُّ اللهِ بِحَقٍّ **شَيْخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ عَنْ لَفْظِ: «**خاتَم الأولياءِ**» أنّهُ: «**لَفْظٌ باطلٌ لَا أصلَ لهُ، وأَوّلُ مَنْ ذَكرَهُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الحكيمُ التِّرْمِذِيُّ، وقَدِ انتحلَهُ طائفةٌ كُلٌّ منهم يدَّعِي أنّهُ خاتَمُ الأولياءِ، كابنِ حمويه وابنِ عَرَبِيٍّ وبعضِ الشّيوخِ الضّالّينَ بِدِمَشْقَ وغيرِها، وكُلٌّ منهم يَدَّعِي أنّهُ أفضلُ مِنَ النَّبِيِّ** عليه الصلاة والسلام **مِنْ بَعضِ الوُجُوهِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الكُفْرِ والبُهْتَانِ**». ثُمَّ ذكرَ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ خاتَمَ الأولياءِ لَا يُقَاسُ بخاتَمِ الأنبياءِ، وأنَّ أفضلَ أولياءِ هذه الأُمَّةِ: السَّابقون الأوّلون مِنَ المُهاجرينَ والأنصارِ، وأنَّ خاتَمَ الأولياءِ هو آخرُ مُؤمِنٍ تَقِيٍّ يكونُ في النَّاسِ، وليس ذلك بخيرِ الأولياءِ ولَا أفضلِهِم، بلْ خَيْرُهُمْ وأَفضلُهُمْ: أبو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، اللّذانِ مَا طلعتْ شَمْسٌ ولَا غربتْ على أَحدٍ ـ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلينَ ـ أفضلَ منهما»[(٢)] .

هذا هو الحَقُّ وهُو عقيدةُ السَّلَفِ، ولكنَّ **الصُّوفيَّةَ** مُحاكاةً منهم وموافقةً **للرّافضةِ**؛ زَعموا مَا زعموا، على الرَّغْمِ مِمَّا فيه مِن تَطاولٍ على مَقامِ النُّبُوّةِ، ثُمَّ مقامِ الصَّحَابَةِ الكرامِ رضي الله عنهم، شأنُ المُبتدِعَةِ والزّنادِقَةِ.

وممّنِ انتحلَ هذا المقامَ المزعومَ وهذهِ الوِلايَةَ المُخْتَلَقَةَ: **أبو العَبَّاسِ التّيجانيُّ**، وزَعَمَها لهُ أتباعُهُ ومُريدُوهُ، وزادوا بِأنْ نَفَوْهَا عَنِ ابنِ عَرَبِيٍّ؛ لِتَصْفَى لِشَيْخِهِمْ وإمامِهِم في الضَّلالةِ والكُفْرِ[(٣)] ، هكذا يتناقضونَ

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٨٦).
(٢) «مجموع فتاوى شَيْخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ» (١١/ ٤٤٤).
(٣) «رماح حزب الرحيم علَى نحور حزب الرجيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري، مطبوع بهامش «جواهر المعاني» لِعَلِيّ حرازم (٢/ ١٤ ـ ١٥).

قبّحهُمُ اللهُ تعالَى، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

ويقولُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك طائفةٌ مِنَ الغُلاةِ يعتقدون الإلٰهيَّةَ أَوِ النُّبُوّةَ في عَلِيٍّ وفي بعضِ أهلِ بيتهِ إمَّا الاثْنَا عَشَرَ وإما غيرُهم، وكذلك طائفةٌ مِنَ العَامّةِ والنُّسَّاكِ [أي: الصُّوفيَّة] يعتقدون في بعضِ الشيوخِ نوعًا مِنَ الإلٰهيَّةِ أَوِ النُّبُوّةِ أو أنّهم أفضلُ مِنَ الأنبياءِ، ويجعلونَ خاتَمَ الأولياءِ أفضلَ مِنْ خاتَمِ الأنبياءِ، وكذلك طائفةٌ مِنْ هؤلاءِ **يجعلونَ الأولياءَ أفضلَ مِنَ الأنبياءِ. ويَعتَقِدُ ابنُ عَرَبِيٍّ ونحوُهُ أنَّ خاتَمَ الأنبياءِ يَستفيدُ مِنْ خاتَمِ الأولياءِ**، وأنّهُ هو خاتَمُ الأولياءِ»[١].

والحاصلُ: أنَّ مَا ذكرهُ **الصُّوفيَّةُ**؛ كُلُّهُ مِنْ صُورِ الضَّلالِ المُفضِي إلى الكُفْرِ والشِّرْكِ بِاللهِ تَعالَى، ومِنَ الغُلُوِّ في دِينِ اللهِ تَعالَى، وهذا كُلُّهُ هو مَا قرّرَهُ **أهلُ الرَّفْضِ وأهلُ التَّصَوُّفِ** في مذاهبِهِمْ، ومِنْ ضروريّاتِ نِحْلَتِهِمُ المُنحرفةِ.

ومِمَّا اتّفقَ عليهِ الصُّوفيَّةُ والشِّيعَةُ ـ وهو مِنَ المُضحكاتِ المُبكياتِ التي تَتّصِلُ بهذا البابِ ـ مَا يَزْعُمُهُ أهلُ النِّحْلَتيْنِ مِنْ أنَّ أئِمَّتَهُمْ وشُيوخَهُمْ يَفْدُونَهُمْ بأعمارِهِمْ وأنفسِهِمْ لدفعِ البلاءِ والعقابِ عنهم في الدُّنيا والآخرةِ:

□ أوّلًا: أما ما جاءَ عنِ الرَّافِضَةِ في هذا الزَّعمِ:

روى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادهِ إلى إمامِهِم **مُوسَى بنِ جَعْفَر** فيمـا نَسَبَهُ إليه أنه قال: «**إنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **غَضِبَ على الشِّيعَةِ، فخيّرني نفسي أَوْ هُمْ، فَوَقَيْتُهُمْ واللهِ بنفسي**»[٢].

---

(١) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٨/ ٥٩).

(٢) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب أنَّ الأئِمَّةَ يعلمون متى يموتون، وأنّهم لا يموتون إلّا باختيارٍ منهم (١/ ٢٦٠).

□ ثانيًا: ما جاءَ عنِ الصُّوفيَّةِ في هذا الزَّعمِ:

ذكرَ **الشَّعرانيُّ** عَنْ **أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ** ـ صاحبِ الطّريقةِ ـ في مرض مَوتهِ أنّهُ قال: «**جَرَتْ أمورٌ اشتريناها بالأرواحِ**، وذلك أنّهُ أقبلَ على الخَلْقِ بَلاءٌ عظيمٌ، فَتَحَمَّلْتُهُ عنهم وشَريْتُهُ بِمَا بقيَ مِنْ عُمري فباعني».

وذكر عنه أنّهُ كان يُمرّغُ وَجْهَهُ وشَيْبَتَهُ على التُّرابِ، ويَبكي ويقولُ: «**اللَّهُمَّ اجعلْني سَقْفَ البلاءِ على هؤلاءِ الخلْقِ**»[1].



(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥).




(٢)
الإمامةُ والوِلايَةُ لُطْفٌ واصطفاءٌ

يَعتَقِدُ **الشِّيعَةُ** أنَّ الإمامةَ **لُطْفٌ** مِنَ اللهِ تَعَالَى **واصطفاءٌ** منهُ **واختيارٌ** بتفَضُّلٍ مِنَه تباركَ وتَعَالَى على مَنِ اختَصّهُ مِنْ خَلْقِهِ كالنُّبُوّةِ، فالإمامةُ عِنْدَهُمْ كالنُّبُوّةِ في مَنزلتِها عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فلذلك اصطفَاهُمْ واختارَهُمْ، ويَثْبُتُ للأئِمَّةِ عِنْدَهُمْ ما يَثبتُ للأنبياءِ مِنْ خصائصَ وحُقوقٍ. وكذلكَ **الصُّوفيَّةُ** نَهجوا المنهجَ نفسَهُ في أوليائِهِمْ وشُيوخِهِمْ فاللهُ تَعَالَى يصطفي مِنْ خَلْقِهِ مَنْ يَشاءُ للوِلايَةِ، ويُؤيّدُهُمْ بحفظِهِ ويَتولَّاهُمْ بعنايتِهِ كحفظِهِ ﷻ وعنايتِهِ بالأنبياءِ والمُرْسَلينَ.

فالإمامةُ والوِلايَةُ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ وِرَاثَةٌ للنُّبُوّةِ والرّسالةِ وامتدادٌ لهما؛ حتَّى لَا تخلو الأرضُ مِنْ حُجّةٍ للهِ ظاهرةٍ أو مُستترةٍ كما يَزْعُمُونَ.

□ أوّلًا: ما جاء عَنِ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• روى **الصَّفَّارُ، والْكُلَيْنِيُّ** - واللّفظُ لهُ - بإسنادَيْهِما إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** أنه قال: «أترونَ المُوصي مِنّا يُوصي إلى مَنْ يُريدُ؟ لَا واللهِ! ولكنهُ عَهْدٌ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ، لِرَجُلٍ فرجلٍ حتَّى يَنتهيَ الأمرُ إلى صاحبِهِ»[١]. وقوله أيضًا: «**مَا ماتَ مِنّا عَالِمٌ حتَّى يُعْلِمَهُ اللهُ إلى مَنْ يُوصي**»[٢].

---

(١) «بصائر الدرجات» (ص: ٤٩٠) و«أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة باب أنَّ الإمامة عهد مِنَ اللهِ (١/ ٢٧٨).

(٢) «بصائر الدرجات» (ص: ٤٩٣)، و«أصول الكافي» (١/ ٢٧٧).

• وروى **الصَّفَّارُ** بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنه قال: «إنَّ الإمامةَ عَهْدٌ مِنَ اللهِ ﷻ لرجلٍ مُسَمًّى، وليس للإمامِ أنْ يَزْوِيَها عمَّنْ يكونُ مِنْ بعدِهِ»(١).

• وروى أيضًا بِإسنادِهِ إلى **عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ زَيْنِ العَابِدِينَ** أنه قال: «إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كان أمينَ اللهِ في أرضِهِ، فلما قُبِضَ ﷺ كُنَّا أهلَ البَيْتِ وَرَثَتَهُ، ونحن أمناءُ اللهِ في أرضِهِ، عِندَنا عِلْمُ البلايا، والمنايا، وأنسابُ العربِ، ومولدُ الإسلامِ»(٢).

• وروى **الْكُلَيْنِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنه قال: «الأَئِمَّةُ بمنزلةِ رَسُولِ اللهِ، إلَّا أنّهم ليسوا بأنبياءٍ، ولَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النساءِ مَا يَحِلُّ للنَّبِيِّ. فأمَّا مَا خلا ذلك؛ فهم فيه بمنزلةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٣).

• ويقولُ **مُفِيدُهُمُ النُّعْمَانُ** ـ في بيانِ عَقائِدِهِمْ ـ: «القولُ في النُّبُوّةِ أهي تَفضُّلٌ أَوِ استحقاقٌ؟» ثُمَّ يُقَرِّرُ: «أنَّها تَفضُّلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى على مَن اختصّهُ بكرامتهِ لِعلْمِهِ بحَميدِ عَاقِبَتِهِ، واجتماعِ الخلالِ المُوجبةِ في الحِكْمَةِ بِنُبُوّتِهِ في التّفضيلِ على مَنْ سُواهُ». ثُمَّ يَقولُ: «القولُ في الإمامةِ أهيَ تَفضُّلٌ أم استحقاقٌ؟ **إنّها كالنُّبُوّةِ تَفضُّلٌ** على مَا قدَّمتُ مِنَ المقالِ». ثُمَّ يُقَرِّرُ أنَّ الإمامَ مُستَحِقٌّ للتّعظيمِ والتَّبجيلِ وفرضِ الطاعةِ، وأنّهُ مُفْتَرَضٌ لهُ كالنَّبِيِّ تمامًا. وفي عقيدتِهِمْ في العِصْمَةِ يقولُ: «إنَّ الأَئِمَّةَ القائمينَ مقامَ الأنبياءِ في تنفيذِ الأحكامِ، وإقامةِ الحدودِ، وحفظِ الشَّرائعِ، وتأديبِ الأنامِ»(٤).

• ويقولُ **مُحَمَّدْ رضا المظفر** ـ وهو يُقَرِّرُ عَقائِدَهُمْ ـ: «**نعتقدُ أنَّ الإمامةَ أصلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، لَا يَتِمُّ الإيمانُ إلَّا بهِ... كما نعتقدُ أنَّها كالنُّبُوّةِ لُطْفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى**، فلا بُدَّ أنْ يَكونَ في كُلِّ عَصْرٍ إمامٌ هَادٍ يَخْلُفُ النَّبِيَّ في وظائفهِ مِنْ هدايةِ البَشَرِ، وإرشادِهِمْ إلى مَا فيه الصّلاحُ والسّعادةُ... ولهُ مَا

---

(١) «بصائر الدرجات» (ص: ٤٩٢). (٢) المصدر السابق (ص: ١٣٨ ـ ١٣٩).
(٣) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب في أنَّ الأئِمَّةَ بِمَن يشبهون مِمَّن مضى... (١/ ٢٧٠).
(٤) «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» (ص: ٦٩ ـ ٧١).

للنَّبِيِّ مِنَ الوِلايَةِ العَامّةِ على النَّاسِ لِتدبيرِ شُؤونِهِمْ ومصالِحهم، وإقامةِ العدلِ بينهم، ورفعِ الظُّلمِ والعُدْوَانِ مِنْ بينهم... فالإمامةُ استمرارٌ للنُّبُوّةِ. والدّليلُ الذي يُوجِبُ إرسالَ الرُّسُلِ وبَعْثَ الأنبياءِ؛ هو نفسُهُ يُوجِبُ أيضًا نَصْبَ الإمامِ بَعْدَ الرَّسُولِ»(١).

هكذا يُقَرِّرُ **أهلُ الرَّفْضِ** وراثةَ الإمامةِ للنُّبُوّةِ في كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ التّشريعِ، وبِمثْلِ هذه النُّصُوصِ المزعومةِ جعلوا لِأئِمَّتِهِمْ مَنزلةَ النَّبِيِّ ﷺ باستثناءِ عَدَدِ الزّوجاتِ وقَدِ استثنوا هذا الأمرَ؛ لإضلالِ النَّاسِ بهذه الحيلةِ الخبيثةِ وإقناعِ العَامّةِ بأنّهم ليسوا مِنْ أهلِ الغُلُوِّ. ثُمَّ إنَّ مِنْ أُصُولِ مَذهبِهِمْ أنّهم شَرَّعوا لأنفسِهِمْ وأئِمَّتِهِمْ مِنْ باب أَوْلَى نِكَاحَ المُتْعَةِ ـ وهو بابٌ عظيمٌ مِنْ أبوابِ الفسادِ ـ عِوَضًا لَهم عمّا أُحِلَّ للنَّبِيِّ ﷺ دُونَهُمْ. ونَجِدُ في هذه النُّقولِ أنَّ الإمامَ لَا يموتُ حتَّى يُعْلِمَهُ اللهُ إلى مَنْ يُوصي مِنْ بعدِهِ.

ومِنْ أُصُولِ مَذهبِهِمْ: أنَّ **الأئِمَّةَ حتَّى الثَّانِي عَشَرَ** منهم؛ قَدْ ذكرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بأسمائِهِمْ، وأنّهم مَذكورون بأسمائِهِمْ في **مُصْحَفِ فَاطِمَةَ**. **وفي هذا تَناقضٌ بَيِّنٌ، ولكنّ عُقولَ الرَّافِضَةِ قَدْ مَرّتْ بِتجاربَ عَديدةٍ وممارسات شيعية من سَلْبِ البديهيّاتِ وطمسِ الفِطَرِ السَّليمةِ حتَّى أصبحتْ تَقْبَلُ كُلَّ أنواعِ التّناقُضَاتِ وحتَّى المحالاتِ.**

وهذه المسألةُ تَتعارضُ أيضًا مع عقيدةٍ أُخْرَى مِنْ عَقائِدِ الشِّيعَةِ؛ حيثُ قَرّروا **مبدأَ البَدَاءِ**، فيَزْعُمُونَ أنَّ **جَعْفَرًا الصَّادِقَ** كان قَدْ أَوصى وأشارَ إلى إمامةِ ابنِهِ **إسماعيلَ**، ثُمَّ ماتَ في حياةِ أبيهِ، فأحالها وجعلَها في ابنِهِ **مُوسَى**، وهذا الأمرُ أدَّى إلى اضطرابِ شِيعَتِهِ، فقال لَهُمْ في ذلك: «**إنَّ اللهَ ﷻ بدَا لهُ في إمامةِ إسماعيلَ**». يقولُ **النُّوبَخْتِيُّ**: «**فأنكروا عليهِ البداءَ والمشيئةَ مِنَ اللهِ، وقالوا: هذا باطلٌ لَا يَجوزُ**». ثُمَّ ذكرَ مَيْلَهُمْ عَنِ القولِ بإمامتهِ

(١) «عَقائِد الإِمَامِيَّةِ» (ص: ١٠٢ ـ ١٠٣).

وخروجَهُمْ عَنْ مذهبِ الإمَاميَّةِ[١].

ونسألُ عقلاءَ الرّافضةِ أتباعًا ومتبوعينَ:

- فإنْ صَحّتْ أُصُولُهُمْ ومَصَاحِفُهُمْ وأنَّ **الأئِمَّةَ حتَّى الثَّاني عَشَرَ** قَدْ ذكرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بأسمائِهِمْ، وأنّهم مَذكورونَ بأسمائِهِمْ في **مُصْحَفِ فَاطِمَةَ** كما تقدّم في الرواياتِ، فلماذا يُعَيِّنُ **جَعْفَرٌ** ابنَهُ **إسماعيلَ** ابتداءً ثُمَّ يتراجعُ ويَنصُّ على **موسَى**؟

- وهل في **مُصْحَفِ فَاطِمَةَ** ذكرُ **إسماعيلَ** أم **مُوسَى** إمَامًا سابعًا مِنْ أئِمَّتِهِمُ الاثْنَيْ عَشَرَ؟!

- **وإنْ كان مِن أُصُولِ مَذهبِهِمْ** أَنَّ اللهَ تَعَالَى أخذَ العَهْدَ على الأنبياءِ والمُرْسَلينَ وعلى الخلْقِ أجمعينَ في عَالَمِ الذَّرِّ بِوِلايَةِ الأَئِمَّةِ ومعرفةِ فَضْلِهِمْ وحَقِّهِمْ[٢]؛ فهل كان **إسماعيلُ** أم **مُوسَى** مِمَّن أُخِذَ لهُ العَهْدُ والمِيثاقُ؟!

إنَّ في هذا لَبَلاغًا لِمَنْ كان لهُ قَلْب ووفّقَهُ اللهُ تَعَالَى للحقِّ والأوب.

◻ ثانيًا: ما جاء عَنِ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:

أمّا الصُّوفيَّةُ فقَدْ توسّعوا في هذه المسألةِ كالشّيعةِ، وبالغوا في ذكرِ الألطافِ الإلٰهيَّةِ، واصطفائهِ إيّاهُمْ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ؛ فكثيرًا مَا يَذكرون في تَراجم أعلامِهِمْ - عَنْ بدايةِ أمرِهِمْ - أنَّ هَاتِفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى جاءَهُمْ مُبَشّرًا إيّاهُمْ بالوِلايَةِ والاصطفاءِ، فمن ذلك:

- أنَّ **إبراهيمَ بنَ أَدْهَمَ**؛ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ وهو في رِحْلَةِ صَيْدٍ ولَهْوٍ[٣].

---

(١) «فرق الشِّيعَة» للنُّوبَخْتِي (ص: ٦٤).
(٢) راجع مثلًا: «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٩٠، ٩٢ - ٩٥، ٩٩ - ١٠١) وغيره مِنْ أصولهِم ومراجِعِهم.
(٣) «طبقات الصُّوفيَّةِ» للسلميّ (ص: ٢٧).

▪ و**بِشْرُ بنُ الحارثِ الحافيُّ**؛ يُنَادَى ويُبَشَّرُ بتطييبِ اسمِهِ في الدُّنيا والآخرةِ، لأنَّهُ طَيَّبَ وَرقةً مَكتوبٌ فيها اسمُ اللهِ تَعَالَى(١).

▪ و**عَلِيُّ بنُ الهيتيِّ**؛ يَزْعُمُونَ أنَّ فَتْحَهُ كان عَنْ طريقِ الوَهْبِ والاصطفاءِ بِلَا شيخٍ وبلا أخذٍ بالأسبابِ. وينقلُ **الشَّعرانيُّ** عَنْ **عبدِ القادرِ الجيلانيِّ** قولَهُ فيه: «انفتقَ رَتْقُ قَلبِ عَلِيِّ بنِ الهيتيِّ وهو ابنُ سبعِ سِنينَ فكان يُخْبِرُ عَنِ المُغَيّباتِ وتَظهرُ على يديهِ الكراماتُ»(٢).

▪ ويَنقلُ **الشَّعرانيُّ** عَنْ **أَحَدِ شُيوخِهِ** قولَهُ: «لَوْ طالعَ الفقيرُ ـ يعني: الصُّوفِيَّ المُريدَ السَّالكَ لطريقِ القومِ ـ في كُتُبِ القومِ عِدّةَ رَمْلِ عَالجٍ في مُدّةِ عُمُرِ نُوحٍ؛ لَا يَصيرُ صُوفِيًّا بمحضِ المطالعةِ حتَّى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخِياطِ، ومَنْ لَمْ يقذفِ اللهُ تَعَالَى في قَلبهِ نورًا... لَا يصلحُ لهذا البابِ»(٣).

ويعتقدونَ أنَّ بعضَ مَنِ اصطفاهُ اللهُ يَملِكُ أنْ يُعْطِيَ غيرَهُ شَيئًا مِمَّا اصطفاهُ اللهُ تَعَالَى بهِ وبعضَ المواهبِ اللَّدُنِّيَّةِ فيعطيها مَنْ يَشاءُ ويَمنَعُها عمّن يشاءُ، فمن ذلك:

▪ ذكرَ **الشَّعرانيُّ** أنَّ **صُوفِيًّا** كان يَختارُ بعضَ العَامّةِ ويقولُ لهُ: «يا فُلانُ! تكَلَّمْ على العُلَمَاءِ فيتكلَّمُ عَليهِم في معاني الآياتِ والأحاديثِ حتَّى لَوْ كان هناك عشرةُ آلافِ محبرةٍ لَكَلّتْ عنهُ، ثُمَّ يَقولُ لهُ: اُسْكُتْ، فلا يَجِدُ ذلك العَامّيُّ معهُ كَلمةً واحدةً مِنْ تلك العُلوم»(٤).

▪ وذكرَ عَنْ **آخرَ** فقال: «كان الرّجلُ العَربيُّ إذا اشتهى أنْ يتكلّمَ بالعجميَّةِ، أوِ العجميُّ يُريدُ أنْ يتكلّمَ بالعربيَّةِ؛ يَتْفُلُ في فَمِهِ، فيصيرُ يَعرِفُ

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٨٤).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٤٥).
(٣) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» ـ بهامش «الطبقات» (١/ ١٦٨ ـ ١٦٩).
(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥٧).

تلك اللُّغةَ كأنّها لُغَتُهُ الأصليَّةُ»[١].

فالتّفْلَةُ الصُّوفيَّةُ عندَهم عِبارةٌ عَنْ دَورةٍ مِنْ **دَوراتِ اللُّغَاتِ**. هذه بِضاعَتُهُمْ وهذه مَناهِجُهُمْ، فالأصلُ هو الفتحُ والاصطفاءُ، وأمَّا الأسبابُ؛ فلا حاجةَ للمرءِ أنْ يأخذَ بِهَا، بلْ لَوْ أخذَها والتزَمَها فإنّها لَنْ تُوصِّلَهُ إلى الغايةِ الصُّوفيَّةِ المزعومةِ، فالأَوْلَى تركُ الأسبابِ وانتظارُ الفتوحِ وتَرقّبُ الهواتفِ والألطافِ.

■ ويشيرُ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** إلى اصطفاءِ اللهِ تَعَالَى لِلصُّوفيَّةِ ويَرُدُّ على القائلينَ بأنَّ الاصطفاءَ للأنبياءِ فَقَطْ؛ بِأنَّ اصطفاءَ الأنبياءِ يكونُ بالعِصْمَةِ والتّأييدِ والوَحْيِ وتَبليغِ الرّسالةِ[٢]، وللصُّوفيَّةِ بصفاءِ المُعاملةِ وحُسْنِ المُجاهدةِ والتّعلُّقِ بالحقائقِ والمنازلةِ. ويُكرّرُ ـ في كتابهِ عِنْدَ ذكرهِ لَهمْ ـ وَصْفَهُمْ بأنّهُمْ «أهلُ الصّفْوةِ».

■ وأمَّا **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ** فقَدْ عقدَ أبوابًا لتقريرِ هذه الدَّعوَى فيقولُ: «الباب السابع والستون في لطائفِ اللهِ للقومِ وتنبيههِ إيّاهم بالهاتفِ». والذي يليهِ: «تنبيههُ إياهم بالفراساتِ». والذي يليه «تنبيهه إياهم بالخواطر». والذي يليه «تنبيهه إياهم في الرؤى ولطائفها». والذي يليهِ: «لطائف الحقِّ بِهِمْ في غيرتهِ عَليهِم». والذي يليهِ: «لطائفه بهمْ فيما يحملهم». والذي يليهِ: «لطائفه بِهِمْ في الموتِ وبعدهِ». والذي يليهِ: «مِنْ لطائفِ مَا جرى عَليهِم»[٣]. وضمّنَ هذه الأبوابَ طائفةً مِنْ أخبارِهِمْ وأحوالِهِمْ ومَزاعِمِهِمْ في هذه الدَّعوَى.

■ ويقولُ **ابنُ عجيبةَ** في ذكرهِ آدابَ المُريدينَ بأنّهم: «مُطَالَبُون بالتّصديقِ للأشياخِ في كُلِّ مَا نَطقوا بهِ؛ إِذْ هُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ، فَهُمْ على قَدَمِهِمْ، **فللأنبياءِ وَحْيُ الأحكامِ، وللأولياءِ وَحْيُ الإلهامِ**»[٤].

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٢). (٢) «اللُّمَع» (ص: ١٠٩).
(٣) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ١٧٨ ـ ١٩٠).
(٤) «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» (ص: ٢٧).

يَزْعُمُ هذا **الصُّوفيُّ** أنَّ شيوخَ الصُّوفيَّةِ على قَدَمِ الأنبياءِ، بِمعنَى: أنَّ لَهمْ مَا للأنبياءِ مِنْ حَقِّ الطّاعةِ والامتثالِ وحقِّ التّشريعِ وغيرِهِ، بِحُجَّةِ أنّهم يُوحَى إليهم، وأنّهم وَرَثَةُ الأنبياءِ. مَا أعظمَ غُربةَ الدِّينِ إنْ كان هؤلاءِ هُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ!

▪ ونقلَ **المنوفيُّ** عَنْ **أبي سعيدٍ الخَرَّازِ** قولَهُ: «إذا أَرادَ اللهُ تَعالَى أنْ يُولِّيَ عَبْدَهُ فتحَ عليهِ بابَ ذكرِهِ. فإذا استَلَذَّ الذِّكْرَ فتحَ عليهِ بابَ القُرْبِ ثُمَّ رَفَعَهُ إلى مَجالسِ الأُنسِ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ على كُرسيِّ التّوحيدِ، ثُمَّ رفعَ عنهُ الحجابَ... فوقعَ في حِفْظِ اللهِ، وبَرِئَ مِنْ دَعاوى نفسِهِ، فصارَ وَلِيًّا»[(١)].

▪ ويُعرِّفُ **المنوفيُّ** الوِلايَةَ بقولِهِ: «الوِلايَةُ عِبارةٌ عَنْ تَولِّي الحقِّ سُبْحانَهُ عَبْدَهُ، بظهورِ أسمائِهِ وصفاتِهِ عليهِ، عِلْمًا وعَيْنًا وحالًا وأثرَ لَذّةٍ وتَصرّفًا». ويقولُ عَنْ حقيقةِ الوِلايَةِ: «هي قِيامُ العبدِ بالحقِّ عِنْدَ الفناءِ عَنْ نفسِهِ، ولذلك يَتولّاهُ الحقُّ حتَّى يُبَلِّغَهُ غايةَ مَقامِ القُرْبِ والتّمكينِ»[(٢)].

فالوِلايَةُ عِنْدَهُمْ **تَوَلٍّ وَلُطْفٌ** مَحْضٌ مِنَ اللهِ تَعالَى لعبدِهِ، ليس كَسْبًا واجتهادًا مع توفيقِ اللهِ تَعالَى[(٣)].



---

(١) «جمهرة الأولياء» للمنوفي (١/٩٨).

(٢) «جمهرة الأولياء» للمنوفي (١/٩٨).

(٣) هنا توقّفَ القلمُ في العاشرِ مِن شهرِ مُحرّم (١٤١١هـ - ٢/٨/ ١٩٩٠م) إثر الغزوِ البَعثيِّ العراقيِّ الهمجيِّ لبلدي (الكويت)، واجتياحِ جيوشِ الطّاغية (صدّام حُسين) لجميع مُدنِ (الكويت)، وإعاثتِهم فيها الفسادَ والدّمارَ، ولقد أصابني وإخواني الذُّهولُ، وأصبحنا نجتمعُ حولَ المذياعِ ونُقلّبُ الصُّحُفَ لتلقي الأخبارِ، واللهُ المُستعانُ. وقدِ استأنفتُ الكتابةَ في أوائل (شهرِ صَفَر) بعدَ رجوعي مِنَ (الكويت)، حيثُ دخلتُ لأخراجِ الأهلِ وإحضارهم إلى (المدينةِ النبوية المباركة) مقرِّ دراستي وإعدادي لهذه الرسالةِ.




(٣)
عِلْمُ الإمامِ والشيخ الوَلِيِّ

يَغلُو **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** في عِلْمِ أئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ؛ فيعتقدون جميعًا أنَّ أئِمَّتَهُمْ وشُيوخَهُمْ مَخصوصون بِعُلوم وَهْبيَّةٍ إلهاميَّةٍ، خَصَّهُمُ اللهُ تَعالَى بِهَا لِمنزلَتِهِمْ ومكانتِهِمْ عندَهُ. ويَزْعُمُونَ أنَّ تلك العُلومَ الخاصَّةَ ـ مِنَ الأسرارِ الإلٰهيَّةِ والمواهبِ الرّبّانِيَّةِ ومِنَ المُكاشفاتِ والمُشاهداتِ والخواطرِ ـ لَا يجوزُ كَشْفُ كثيرٍ منها أو إباحتُها إلَّا لأهلِها.

وأمَّا عَن مصادرِ أئمّةِ وشُيوخِ هاتيْنِ الفِرْقَتَيْنِ الضَّالّتيْنِ التي يستقونَ منها طُرُقَهم وعُلومَهُم والفوائدَ والأسرارَ المزعومةَ، فإنّهم يَزْعُمُونَ أنَّها:

ـ **تكونُ بالأخذِ عَنِ اللهِ تَعَالَى مُباشرةً**، أو بالوَحْيِ عنهُ تَعالَى، أو بالقَذْفِ والنَّقْرِ في القُلوبِ والآذانِ، أو بالسّماعِ عنهُ ﷻ بواسطةِ الهواتفِ يقظةً ومنامًا، إلى غير ذلك من أساليب زعموها.

ـ **وتكون أيضًا بالأخذِ عَنْ رَسُولِ اللهِ** ﷺ برؤيتِهِ في المنامِ أَوِ اليقظةِ، والاجتماعِ بِهِ، أَوِ المجيءِ إلى قَبْرِهِ للأخذِ والتَّلَقّي.

ـ **وتكون أيضًا بالأخذِ عَنِ الملائكةِ.**

ـ **أَوْ عَنِ الخَضِرِ.**

ـ **أو عَن بعضِ الجِنِّ.**

ـ **وحتَّى إبليسُ قَدْ أخذوا عنهُ واجتمعوا بِهِ.** كُلُّ هذه المصادرِ وغيرِها يَزْعُمُها المتقدِّمونَ منهم والمتأخّرونَ من كلا الفِرْقَتَيْنِ الضَّالتَيْنِ.

ـ واشتهرَ **الصُّوفيَّةُ** بمصدرٍ لَعلّهُمُ انفردوا بِهِ عَنْ شُيوخِهِمُ **الرَّافِضَةِ** وهو: تَلَقّيهِمْ وأخذُهُمُ العلوم والفوائد والأسرار المزعومة عَنْ **مشايخِهِمُ الأمواتِ**(١).

إنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَزْعُمُهُ هذانِ الفريقانِ الضَّالّانِ في هذا الباب: **أنَّ الأئِمَّةَ والشيوخَ يعلمون الغَيْبَ، ويَطّلِعونَ على مَا في ضَمائرِ العبادِ** وما تُكِنُّهُ صُدُورُهُمْ، فيُخْبِرون ويَكشفون ذلك كُلَّهُ لأصحابِهِمْ قَبْلَ أنْ يتلفّظوا بِهِ:

▫ أوّلًا: ما جاء عَنِ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• روى **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ** رواياتٍ كثيرةً تَدُلُّ على أنَّ الأئِمَّةَ «يَعرفونَ مَا في الضّمائرِ وحديثَ النّفسِ قَبْلَ أنْ يُخبَروا بِهِ»(٢)، «ويعرفون الآجَالَ وأسبابَها»(٣)، «ويعرفون شِيعَتَهُمْ مِنْ أعدائِهِمْ بوجُوهِهِم وأسمائِهِمْ»(٤)، «ويعرفون متى يَموتون»(٥)، «ويعرفون أهلَ الجَنَّةِ وأهلَ النَّارِ بِسيماهم في الدُّنيا»(٦).

• وروى **الْكُلَيْنِيُّ** بِإسنادِهِ إلى رَجُلٍ مِنْ أهلِ فارسٍ أنّهُ سألَ الإمامَ: **أتعلمونَ الغَيْبَ؟** فقال أبو جَعْفَرٍ البَاقِرُ: «يُبْسَطُ لنا العِلْمُ فنعلمُ، ويُقْبَضُ عنّا فلا نَعْلَمُ». وقال: «سِرُّ اللهِ ﷻ أَسرَّهُ إلى جِبْرِيلَ، وأَسرَّهُ جِبْرِيلُ إلى مُحَمَّدٍ، وأسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إلى مَنْ شاءَ»(٧). فَعِلْمُ الغَيْبِ: هو مَا يُسَمِّيهِ الشِّيعَةُ بِسِرِّ اللهِ تَعالَى حيثُ يَزْعُمُونَ أنَّ الأئِمَّةَ عِنْدَهُمْ سِرُّ اللهِ تَعالَى، كما بَوّبَ الصَّفَّارُ في «بَصائرِهِ»، ثُمَّ روى عَنِ البَاقِرِ قولَهُ: «أَسَرَّ اللهُ سِرَّهُ إلى جِبْرِيلَ، وأَسرَّهُ جِبْرِيلُ إلى مُحَمَّدٍ، وأسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إلى عَلِيٍّ، وأَسرَّهُ عَلِيٌّ إلى مَنْ شاءَ، واحدًا بَعْدَ واحدٍ»(٨).

---

(١) تقدم ذِكرُ أقوالِهِمْ وأدلّتِهِم في هذه المزاعمِ في الفصل الثاني مِنَ الباب الثالث مبحث العِلْم اللّدُنِّيّ (٣٢٦، وما بعدها).

(٢) «بصائر الدرجات» (ص: ٢٥٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٨٢).

(٤) المصدر نفسه (ص: ٤٠١).

(٥) المصدر نفسه (ص: ٥٠٠).

(٦) المصدر نفسه (ص: ٥١٥).

(٧) «أصول الكافي» (١/٢٥٦).

(٨) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٩٧).

• وروى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ** قال: «سَأَلْتُ أبا عَبْدِ اللهِ عَنِ الإمامِ يَعلمُ الغَيْبَ؟ فقال: لَا، ولكن إذا أَرادَ أنْ يَعْلَمَ الشّيءَ أَعْلَمَهُ اللهُ ذلك»[١]. وبَوّبَ **الْكُلَيْنِيُّ** في كتابهِ أبوابًا تُشيرُ إلى عِلْمِ الأَئِمَّةِ للغَيْبِ، فقال مثلًا: «**باب أنَّ الأئِمَّةَ يَعلمونَ عِلْمَ مَا كان، وما يَكونُ، وأنّهُ لَا يخفَى عَليهِمُ الشّيءُ**»[٢]، و«باب أنَّ الأئِمَّةَ لَوْ سُتِرَ عَليهِم لأخبروا كُلَّ امرئٍ بِمَا لَهُ وعليهِ»، وروى عَنْ **أبي جَعْفَرٍ** قولَهُ: «لَوْ كان لألسِنَتِكُم أَوْكِيَةٌ لَحدَّثْتُ كُلَّ امرئٍ بِمَا لَهُ وعليهِ»[٣]. و«باب أنَّ الأئِمَّةَ إذا شاءوا أنْ يَعلموا عَلِموا»[٤]، و«باب أنَّ الأئِمَّةَ يَعلمون متى يَموتون، وأنّهم لَا يموتون إلَّا باختيارٍ منهم»[٥].

• وروى **صَدوقُهُمُ ابنُ بَابَوَيْهِ القُمِّيُّ الصُّوفِيُّ الشِّيعِيُّ** بإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ** أنّهُ سُئِلَ: «بِمَ يُعْرَفُ الإمامُ؟ فقال: بِخِصَالٍ أوّلُها: نَصٌّ مِنَ اللهِ... وأنْ يُسْأَلَ فيُجِيبُ، وأنْ يُسْكَتَ عنهُ فيبتدِئُ، ويُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا يكون في غَدٍ، ويُكَلِّمُ النَّاسَ بِكُلِّ لِسَانٍ ولُغَةٍ»[٦].

• وروى عَنْ **عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا** في ذكرِ علاماتِ الإمامِ حديثًا أشبهَ وأقربَ مَا يكونُ إلى الأساطيرِ القديمةِ وحكاياتِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وليلةٍ التي تُنْسَبُ إليها الغرائبُ، يقولُ فيها: «للإمامِ علاماتٌ أنْ يكونَ أَعْلَمَ النَّاسِ وأحكمَ.. وأشجعَ.. ويُولَدَ مَختونًا، ويَرَى مِنْ خَلْفِهِ كما يَرى مِنْ بَيْنِ يَديْهِ، ولَا يكونُ لهُ ظِلٌّ، وإذا وقعَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وقعَ على رَاحَتَيْهِ رافعًا صَوْتَهُ بالشّهادتينِ، ولَا يَحتَلِمُ، وتَنَامُ عَيْنُهُ ولَا يَنامُ قَلْبُهُ، ويكونُ مُحَدَّثًا ولَا يُرى لهُ بَوْلٌ ولَا غَائِطٌ؛ لأنَّ اللهَ قَدْ وَكَلَ إلى الأرضِ بابتلاعِ مَا يَخرجُ منهُ...

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٥٧).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٦٠).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٦٤).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٥٨).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٥٨).
(٦) «معاني الأخبار» لابنِ بَابَوَيْهِ (ص: ١٠٢).

ودُعاؤُهُ مُستجابٌ حتَّى لَوْ دعا على صَخْرةٍ لانْشَقَّتْ نِصْفَيْنِ، وعِندَهُ صَحيفةٌ فيها أسماءُ الشِّيعَةِ إلى يوم القِيَامَةِ، وعِندَهُ الجامِعَةُ...، والْجَفْرُ الأكبرُ والأصغرُ، وإهَابُ مَاعِزٍ وإهَابُ كَبْشٍ فيهما جميعُ العُلومِ، ويكونُ عِندَهُ مُصْحَفُ فَاطِمَةَ»[(١)].

• وأخيرًا؛ ها هو **الخُمَيْنِيُّ** يَرُدُّ على مَنْ سَمّاهُمْ بالمُشاغبينَ لِنَفْيِهِمْ عِلْمَ الغَيْبِ عَنِ الأنبياءِ والأولياءِ، فيقولُ: «إنَّ رجالَ الدِّينِ لَا يقولون إنَّ النَّبِيَّ أَوِ الإمامَ يقولُ الغَيْبَ مِنْ عندِهِ، أو بدونِ إرادةٍ مِنَ اللهِ». ثُمَّ يَقولُ مُستدلًّا على عِلْمِهِمْ بالغَيْبِ: «إنَّ القُرآنَ يقولُ: إنَّ النَّبِيَّ بأمرٍ مِنَ اللهِ يَعْلَمُ الغَيْبَ، ويَكشفُ مَا خفي مِنَ الأُمُورِ، ويُنْبِئُ بالمستقبلِ». ثُمَّ يذكرُ بعضَ الشّواهدِ مِنَ القُرآنِ، ثُمَّ يَستدلُّ بشواهدَ مِنْ أقوالِ فلاسفةِ العَالَمِ الإسلاميينَ والأوروبيينَ، ثُمَّ يَختمُ هذا المبحثَ بقولِهِ: «فهل يَجوزُ لنا أنْ نُعْرِضَ عَنْ شواهدِ القُرآنِ البَيِّنَةِ حَوْلَ المُعجِزاتِ والتَّنَبُّؤِ بالغَيْبِ، ونتجاهلَ أقوالَ كبارِ فلاسفةِ العَالَمِ المُسندةِ بالبراهينِ الدّامغةِ، وآراءِ فلاسفةِ أوروبا المعاصرينَ، وما نُقِلَ عَنْ مَلايينِ المُسلِمينَ والنّصارَى واليهودِ... ونَنْبُذَ مَا جاءَ في آياتِ القُرآنِ، ونضعَ تحتَ أقدامِنا أقوالَ مشاهيرِ العَالَمِ، ونُصَدِّقَ حِفْنَةً مِنْ شُذَّاذِ الآفاقِ؟»[(٢)].

هذه هي طريقةُ **الخُمَيْنِيِّ** وهذا منهجُهُ في دِينِهِ ومذهبِهِ، يُعَظِّمُ أقوالَ الفلاسفةِ ويَجعلُها مِنَ الأُصُولِ التي لَا يُمكِنُ تَجاهُلُها؛ لأنّها البَراهينُ الدّامغةُ بِزَعْمِهِ.

وأمَّا عَنْ مَبْلغِ عِلْمِ الأَئِمَّةِ في دِينِ الشِّيعَةِ:

- فإنّهم يعتقدون أنَّ الأئِمَّةَ قَدْ وَرِثُوا جميعَ العُلومِ التي خَرجتْ إلى

(١) «معاني الأخبار» لابنِ بَابَوَيْهِ (ص: ١٠٢ ـ ١٠٣).
(٢) «كشف الأسرار» لِلْخُمَيْنِيِّ (ص: ٦٧ ـ ٧٢).

الملائكةِ والأنبياءِ والمُرْسَلينَ والأوصياءِ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ[١].

ـ وعندَهُمْ عِلْمُ مَا في السّمٰواتِ والأرضِ، والجَنَّةِ والنَّارِ، وما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القِيَامَةِ[٢].

ـ وعِنْدَهُمْ **صحيفةٌ** فيها أسماءُ جميعِ أهلِ الجَنَّةِ، وأسماءُ جميعِ أهلِ النَّارِ[٣].

ـ وأنّهم يَتكلّمون جميعَ الألْسُنِ واللُّغَاتِ[٤]، ويَعرفون مَنْطِقَ الطّيْرِ والبهائمِ والدَّوابِّ وحتَّى المسوخ[٥].

ـ ويقولُ **الخُمَيْنِيُّ**: «اِعْلَمْ أنَّ ليلةَ القدرِ حيثُ إنّها ليلةُ مُكاشفةِ رَسُولِ اللهِ، وأَئِمَّةِ الهدَى فلهذا تَنكشفُ لَهمْ جميعُ الأُمُورِ المَلَكيَّةِ عَنْ غيبِ المَلكوتِ... وهذه المكاشفةُ مكاشفةٌ مَلَكُوتِيَّةٌ مُحيطةٌ بجميعِ ذَرّاتِ عَالَمِ الطّبيعَةِ، ولَا يَخفى لِوَلِيِّ الأمرِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الرّعيَّةِ.. وقَدْ وردَ أنَّ الأعمالَ تُعرَضُ على وَلِيِّ الأمرِ: رَسُولِ اللهِ وأَئِمَّةِ الهُدى»[٦].

هذا بالنسبةِ للشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ وادِّعائِهِمْ عِلْمَ الغَيْبِ.

□ ثانيًا: أما ما جاء عَنِ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:

■ فقد ذكرَ ابنُ عَرَبِيٍّ عُلُومَ أبدالِ وأقطابِ الصُّوفيَّةِ، ومِمَّا ذكرَ: «عِلْمُ الأنوارِ، وعِلْمُ المُشاهدةِ، وعِلْمُ الفَناءِ، وعِلْمُ إبليسَ، وعِلْمُ الحشْرِ، وعِلْمُ النَّارِ، **وعِلْمُ الغُيوبِ**، وعِلْمُ الكُنوزِ والنَباتِ والمَعْدِنِ، وعِلْمُ

(١) «بصائر الدرجات» (ص: ١٣٨)، «أصول الكافي» (١/ ٢٢٣، ٥٥)، «الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ٢٩٢).
(٢) «بصائر الدرجات» (ص: ١٤٧).
(٣) المصدر السابق (ص: ٢١٠).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٣٥٣)، و«الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ٢٨٩).
(٥) المصدر نفسه (ص: ٣٦١)، و«الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ٢٩٢ ـ ٢٩٥).
(٦) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٥١٢).

الجُنونِ، وعِلْمُ الجَنَّةِ، وعِلْمُ الخُلودِ، وعِلْمُ مَنْطِقِ الطّيْرِ، وعِلْمُ لِسانِ الرّياحِ»[١]. وغيرِ ذلك مِنَ العُلومِ المُتعلّقَةِ بالدِّينِ والدُّنيا والأوهامِ والخيالاتِ وحتَّى المحالاتِ.

■ ويَزْعُمُ أنَّ وزراءَ المهديِّ الموجودِ في عَقيدتهِ مع وزرائهِ عارفون، يُطْلِعُهُمُ اللهُ على الكَشْفِ، ويَشهدون على الحقائقِ[٢].

■ ويَنُصُّ أيضًا على ضَرورةِ وُجودِ مَنْ يَعْلَمُ الغَيْبَ؛ فيقول: «**لَا بُدَّ مِنْ واحدٍ يَعلَمُ الغَيْبَ مِنْ أهلِ الكشفِ**»[٣].

■ ويَزْعُمُ أيضًا: أنّهُ قَدْ عَلِمَ بطريقِ الكشفِ المزعومِ أنَّ الخَضِرَ هو الذي يَقتلُهُ الدَّجَّالُ في آخرِ الزمانِ[٤].

وأمَّا عَنِ اطّلاعِ الصُّوفيَّةِ على مَا في النُّفُوسِ وما تُكِنُّهُ الصُّدورُ؛ فكثيرٌ جدًّا في مُؤلَّفَاتِهِمْ:

■ ذكرَ **أبو نُعَيْم** طَرفًا مِنْ ذلك في تَرجمةِ ذي النّونِ المِصْرِيِّ[٥]، وترجمةِ إبراهيمَ الهرويِّ[٦]، وغيرِهما.

■ ويقولُ **السّهرورديُّ** عَنْ تَربيَةِ الشّيْخِ للمُريدِ: «يُربّيهِ الشّيْخُ بِعِلْمِهِ المُسْتَمَدِّ مِنَ اللهِ تَعَالَى... ويكونُ للشّيْخِ بنُفُوذِ بَصيرتِهِ الإشرافُ على البَواطنِ»[٧].

■ ويقولُ **الهُجْويريُّ** إنّهُ خرجَ مِنْ دِمَشْقَ مع اثنينِ لزِيَارَةِ شيخِ الصُّوفيَّةِ زكيِّ بنِ العلاءِ، واتفقوا أنْ يُضْمِرَ كُلٌّ منهم حاجةً وطلبًا؛ لِيَختبروا الشّيْخَ هل يَعْلَمُ مَا أبطنوهُ أم لَا؟ ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ الشّيْخَ بَعْدَ دُخولِهِمْ عليهِ ذكرَ مَا أَبطنهُ

---

(١) «الفتوحات المكية» الباب السادس عشر (١/ ١٦١).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٢٨).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٣٢٩).
(٥) «حِلْيَة الأولياء» (٩/ ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٦٤).
(٦) نفس المصدر (١٠/ ٤٣).
(٧) «عوارف المعارف» (ص: ٩٦).

الهُجْويريُّ، وكان عبارةً عَنْ أشعارٍ ومُناجاةِ الحلَّاجِ. ثُمَّ فعلَ مع صاحِبَيْهِ كذلك[١]؛ أَيْ: أنّهُ قَدْ عَلِمَ مَا أبطنوهُ في نُفوسِهِمْ.

▪ وأمَّا **الشَّعرانيُّ**، فإنَّهُ فارسُ مَيْدانِ الدَّعاوَى والغُلُوِّ في الشيوخ والأولياءِ المزعومينَ؛ فقَدْ ذكرَ في ترجمةِ **عَلِيِّ بنِ الهيتيِّ** أنّهُ صاحبُ القُطبِيَّةِ العُظمَى، وأنّهُ فُتِحَ عليهِ عَنْ طريقِ الوَهْبِ المحضِ بِلَا شيخٍ ولَا كسبٍ. وقال: «كانَ الشّيْخُ عبدُ القادرِ يقولُ: انفتقَ رَتْقُ قَلْبِ عَلِيِّ بنِ الهيتي وهو ابنُ سبعِ سنينَ، **فكان يُخْبِرُ عَنِ المُغيّباتِ**، وتَظهرُ على يديهِ الكراماتُ»[٢].

▪ وذَكرَ في ترجمةِ سيِّدِهِ **إبراهيمَ المتبوليِّ** أنّهُ كان يجتمعُ بِالنَّبِيِّ يقظةً ومنامًا، وأنّهُ قال عَنْ نفسهِ وهو قابض لحيته: «**يا مَا تقاسي مِصْرُ بَعْدَ هذه اللّحيةِ، أنا أمانٌ لها**». ويقولُ الشَّعرانيُّ عنهُ: «وكان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهُ لَا يراهُ أحدٌ يُصَلِّي الظهرَ في مِصْرَ أبدًا... وكان إذا رأى إنسانًا يَعْلَمُ مَا في نفسهِ، وما هو مُرتَكِبُهُ مِنَ الفواحشِ»[٣].

▪ ويقولُ **أحمدُ بنُ مبارك السلجماسيُّ** أنّهُ قال لشيخهِ **عبدِ العزيزِ بنِ مَسعودٍ الدّبّاغِ** ـ غوثِ الزمانِ المزعومِ ـ: «إِنَّ عُلَماءَ الظاهرِ مِنَ المُحَدِّثينَ وغيرِهِمْ اختلفوا في النَّبِيِّ، هل كان يَعْلَمُ الخمسَ المذكوراتِ في قولِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]؟ فقال: **وكيف يخفَى أمرُ الخَمْسِ عليهِ ﷺ، والواحدُ مِنْ أهلِ التّصَرُّفِ مِنْ أُمَّتِهِ الشّريفةِ لَا يُمْكِنُهُ التَّصرُّفُ إلَّا بِمعرفةِ هذه الخَمْسِ**».

ويقولُ: وكذا سألتُهُ عَنْ قولِ العُلَماءِ في معرفةِ ليلةِ القَدْرِ، وأنّهُ لَمْ

---

(١) «كشف المحجوب» (٢/ ٥٨٦).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٤٥).
(٣) المصدر السابق (١/ ٨٣ ـ ٨٦).

يُعَيِّنْها النَّبِيُّ؛ لأنها غُيِّبَتْ عنهُ. فقال: «سُبْحَانَ اللهِ!» وغَضِبَ، ثُمَّ قال: «واللهِ! لَوْ جاءتْ ليلةُ القدرِ وأنا مَيّتٌ وقَدِ انتفخَتْ جيفتي وارتفعَتْ رِجْلي كما تَنتفِخُ جيفةُ الحمارِ؛ لَعَلِمْتُها وأنا على تلك الحالةِ، فكيف تَخفى على سَيّدِ الوجودِ».

ثُمَّ يَقولُ: «ثُمَّ ذكرَ أسرارًا عرفانيّةً في معرفةِ الخَمْسِ السّابقةِ، وفي معرفةِ ليلةِ القدرِ... وقَدْ عَيّنَها لنا في أعوامٍ مُختلِفَةٍ. فمَرّةً عَيّنَها في رَجَبٍ، وعَيّنَها لنا في عامٍ آخرَ في شعبانَ، وفي عامٍ آخرَ في رَمَضَانَ، وفي عامٍ آخرَ في ليلةِ الفِطْرِ. وكان يُعَيِّنُها لنا قَبْلَ أنْ تأْتيَ، ويَأْمُرُنا بالتَّحفُّظِ عليها.. وكذلك يُعَيِّنُ ساعةَ الجُمُعَةِ»[(١)]؛ أيْ: أنّهُ يُعَيِّنُ ساعةَ الإجابةِ في يومِ الجُمُعَةِ التي أَخبرَ النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الدُّعاءَ فيها لا يُرَدُّ. كُلُّ هذا وهُمْ لهُ مُصدّقون! هذه هي الصُّوفيَّةُ، لَا نَقْلٌ ولَا عقلٌ مع طاعةِ الشّيْخِ.

وأمَّا عَنْ مَصادِرَ أئمّةِ وشُيوخِ هاتيْنِ الفِرْقَتَيْنِ الضَّالّتيْنِ في العِلْمِ والتّلقّي:

□ فقد زَعَمَتِ **الرَّافِضَةُ** أنَّ أئِمَّتَهُمْ **يُلْهَمونَ، ويُوحَى إليهم**، ويُنقَرُ في قُلوبِهِمْ وآذانِهِمْ، وغيرِ ذلك، وقَدْ تقدم ذِكْرُ أَدِلّتِهِمْ في مبحثِ العِلْمِ اللّدُنّيِّ[(٢)].

□ و**شَارَكَهُمُ الصُّوفيَّةُ** في هذهِ المصادرِ المزعومةِ؛ فيزعمُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** أنَّ المَلَكَ يَنزِلُ على النَّبِيِّ وعلى الوَلِيِّ[(٣)]. **وابنُ عَجِيبةَ** يَزْعُمُ أنَّ للأنبياءِ وَحْيُ الأحكامِ **وللأولياءِ وَحْيُ الإلهامِ**[(٤)]. فهم يَعتقدون أنَّ الأولياءَ يُوحَى إليهم ويُلْهَمونَ، ثم يُفرّقون بَيْنَ وَحْيِ الأنبياءِ وَوَحْيِ الأولياءِ بأقوالٍ يُوهِمون فيها العوامَّ بأنّهم يُفرّقون بَيْنَ الأنبياءِ والأولياءِ.

---

(١) «الإبريز مِنْ كلام عبد العزيز» (ص: ٢٨٣ ـ ٢٨٤).
(٢) مبحث العِلْم اللّدُنِّيِّ (ص: ٣٢٦). (٣) «الفتوحات المكية» (٣/ ٣١٦).
(٤) «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» (ص: ٢٦).

• وأمَّا عَنْ **سماعِ الهواتفِ والأخْذِ عَنِ الرَّبِّ مُباشرةً**؛ فهو مِنْ أَهَمِّ مَصادِرِهِمْ حتَّى أصبحوا يَعيبونَ على المُحَدِّثِينَ والفُقهاءِ أَخذَهُمْ عُلومَهُمْ وآثارَهُمْ عَنِ الأمواتِ، ثُمَّ أخذوا يَتبجّحونَ بأخذِهِمْ عُلومَهُمْ عَنِ الحَيِّ الذي لَا يَموتُ، وكذلك يُكثرون مِنْ زعمِهِمْ سماعَ هواتفَ في خَلَواتِهِمْ وأثناءَ سياحتِهِمْ وغيرِها مِنْ أحوالِهِمْ:

- فأوردَ **أبو نُعَيْمٍ** طَرفًا مِنْ تلكَ المزاعمِ في تَراجمِ الصُّوفيَّةِ الذينَ ترجمَ لَهمْ(١).

- وأكثرَ **الشَّعرانيُّ** مِنْ ذكرِ الهواتفِ؛ مُحاوِلًا إثباتَها وإقناعَ العوامِّ بحقيقتِها ووقوعِها في حياةِ الصُّوفيَّةِ للتّأكيدِ على أنَّها مِنَ المصادرِ التي يُعْتَمَدُ عليها في دِينِ اللهِ، وهي إنْ كانتْ تقعُ لَهمْ، فإنّها دونَ شَكٍّ أو رَيْبٍ هواتفُ شيطانيَّةٌ يُرَادُ بِهَا تضليلُ النَّاسِ عَنْ دِينِ اللهِ الحقِّ، وصَدُّهُمْ عَنْ سبيلِ العِلْمِ والتَّعَلُّمِ.

- ويقولُ **الشَّعرانيُّ** مُحدِّدًا مصدرَ هذه الهواتفِ: «اعْلَمْ أنَّ الهاتفَ المذكورَ لَا يَخلو إمَّا أنْ يَكونَ مَلَكًا أو وَلِيًّا، أو مِنْ صَالحي الجِنِّ، أو هو الخَضِرُ؛ لأنّهُ حَيٌّ بَاقٍ لَمْ يَمُتْ، وقَدِ اجتمعنا بِمَنِ اجتمعَ بِهِ وبالمهديِّ، وأَخَذَ عنهما طريقَ القومِ»(٢). وقَدْ زَعَمَ ـ هو نفسُهُ ـ أنّهُ سَمِعَ هَاتِفًا على لسانِ اللهِ تَعَالَى(٣). تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

• وكذلك الخَضِرُ؛ جعلوه مِنْ مصادرَ تَلقّيهم لعُلومِهِمُ المزعومةِ:

□ فزَعَمتِ **الشِّيعَةُ** أنَّ الخَضِرَ شَهِدَ لِعَلِيٍّ والأئمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ بالإمامةِ؛ فقَدْ روى الْكُلَيْنِيُّ بإسنادِهِ إلى **أبي جَعْفَرٍ الثَّاني إمامِهم التّاسعِ** قال: «أقبلَ

(١) راجع: «حِلْيَة الأولياءِ» (٨/ ٦)، (٩/ ٢٥٩، ٣٥٥)، (١٠/ ١٢٠ ـ ١٢١، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤٤).
(٢) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» ـ بهامش «الطبقات» (١/ ٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٥١)، (٢/ ١٨٨).

أميرُ المؤمِنينَ ومعهُ الحَسَنُ. . . إذْ أقبلَ رَجلٌ حَسَنَ الهيئةِ واللّباسِ فسلّمَ على أميرِ المؤمِنينَ، وأنّهُ قال: أشهدُ أنّكَ وَصِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ والقائمُ بِحُجّتهِ. ثُمَّ ذكرَ الحَسَنَ، والحُسَيْنَ، وعَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ، ومُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ، وجَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ، ومُوسَى بنَ جَعْفَرٍ. وهكذا حتَّى أتَى على المهديِّ بأسمائِهِمْ ذاكرًا عَقِبَ كُلٍّ منهم أنه القائمُ بِحُجَّةِ مَنْ قَبْلَهُ. ثُمَّ قالَ: ثُمَّ قامَ فمضَى، فقالَ أميرُ المؤمِنينَ: اتبعهُ فانظُرْ أين يَقصِدُ. فخرج الحَسَنُ فقال: مَا كان إلَّا أنْ وضعَ رِجْلَهُ خارجًا مِنَ المسجدِ فما دَرَيْتُ أينَ أُخِذَ مِنْ أرضِ اللهِ. ثُمَّ قال عَلِيٌّ: أتعرِفُهُ؟ قلتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعلمُ. قال: هو الخَضِرُ عليه السلام»[١].

إنَّ مِمَّا يُدَلِّلُ على كَذِبِ واختلاقِ هذه الرّوايةِ المصطنعةِ ما ذَكَرهُ الخَضِرُ: أنَّ مُوسَى بنَ جَعْفَرٍ هو القائمُ بأمرِ جَعْفَرٍ ووَصِيُّهُ مِنْ بَعْدِهِ. فلماذا يا شِيعَةَ الأرضِ! جعلَها جَعْفَرٌ في وَلَدِهِ الآخَرِ إسماعيلَ أوّلًا؟ ثُمَّ نَقَلَها بَعْدَ موتهِ إلى مُوسَى؟ الحاصِلُ؛ أنَّ **الخَضِرَ** لهُ دورٌ في حياةِ الرَّافِضَةِ[٢].

---

(١) «الكافي»، أبوابُ التّاريخِ، بَابُ ما جاءَ في الإثْنَيْ عَشَرَ والنَّصِّ عَلَيْهِمْ (١/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

(٢) إنَّ روايةَ الخَضِرِ السّابقةَ التي رواها (الكُلَيْنِيُّ) تُحدِّدُ أنَّ الإمامَةَ بعدَ (جَعْفَرِ الصَّادقِ) تكونُ في ولَدِهِ (مُوسَى)، وكانَ هذا التّحديدُ في زَمَنِ (عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ) كما في الرّوايةِ! ورواياتُ الشِّيعَةِ عامَّةً تجعلُ الإمامَةَ تكونُ في أكبرِ أولادِ الإمامِ بعدَ موتهِ، و(إسماعيلُ بنُ جَعْفَرٍ) هو ما تزعمُ نُصوصُ الشِّيعةِ أنهُ الإمامُ السَّابعُ لكونه الولَدَ الأكبرَ، وظلُّوا على هذا الاعتقادِ حتّى زَمَنِ (جَعْفَرِ الصَّادقِ)، ولكنَّ (إسماعيلَ) ماتَ في حياةِ أبيهِ (جَعْفَرٍ) فاضطربتِ الشِّيعةُ، ثُمَّ نقلوا الإمامةَ إلى (مُوسَى) الابنِ الثَّالثِ لجَعْفَرٍ، فاستنكرَ عامّةُ الشِّيعةِ ذلكَ؛ لأنه كيف يكونُ (إسماعيلُ) إمامًا منصوصًا عليهِ ثُمَّ يموتُ في حياةِ أبيهِ؟!

ولتدارك هذا الحقيقة التي تقوّضُ (عقيدةَ الإمامةِ المخترعةِ المُبْتدعةِ)؛ ابتكرَ أئمّتُهم وأساطينُهم عقيدةً شيعيّةً جديدةً اسمُها «البَدَاءُ»؛ لحلِّ تلك المشكلةِ وتسكينِ ذلك الاضطرابِ والاستنكارِ، فزعموا أنَّ اللهَ تعالَى بَدَا لهُ في (إسماعيلَ) أمرًا فقبضَهُ وصرفَ الإمامةَ إلى أخيهِ (موسَى)! وهذه عقيدةٌ معروفةٌ عندَ اليهودِ. وكما هي عادةُ الشِّيعةِ ـ الذين =

□ وأمَّا **الصُّوفيَّةُ** فيُصرِّحون بأنّ **الخَضِرَ** مِنْ أهمِّ مَراجِعِهِمْ في دِينِهِمْ وطَريقتِهِمْ وأنّهُ مُسْتَنَدُ خِرْقَتِهِمْ في مَذهبِهِمُ المُنْحَرِفِ، كما أنّهم يُؤمِنون جميعًا بأنّهُ حَيٌّ باقٍ لَا يَموتُ ويَدّعي أكثرُ شُيوخِهِمُ الْتِقَاءَهُمْ بهِ وأخذَهُمْ عنهُ وتَعَلُّمَهُمْ منهُ؛ نقل ابنُ عطاء اللهِ السكندريُّ عَنْ شَيْخِهِ أبِي العَبَّاسِ المُرسيِّ الذي يَنقُلُ عَنْ شَيْخِهِ **أبي الحَسَنِ الشّاذليِّ** أنّهُ قال: «**واعْلَمْ أنَّ بَقاءَ الخَضِرِ قَدْ أجمعَ عليهِ هذه الطّائفةُ، وتواترَ عَنْ أولياءِ كُلِّ عَصْرٍ لِقاؤُهُ والأخذُ عنهُ، واشتهرَ ذلك إلى أنْ بلغَ الأمرُ حَدَّ التّواترِ الذي لَا يُمكنُ جَحْدُهُ**»[(١)].

ثُمَّ ذكرَ **الشَّعْرَانِيُّ** عَنْ جُملةٍ مِنْ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ قَصصَ التقائِهِمْ بهِ[(٢)].

• **ويَتّفِقُ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ على وُجودِ المهديِّ المزعومِ**، وأنّهُ يَزورُهُمْ ويُجالِسُهُمْ ويُدارِسُهُمُ العُلومَ المزعومةَ. فـ**الشِّيعَةُ** قَاطبةً تُؤمِنُ بحياتهِ ووجودهِ في سِردابٍ في **سَامّراءَ**، وأنّهُ يُخاطِبُ الشِّيعَةَ ويَكتُبُ لَهُمُ الرّسائلَ، ويَحُلُّ لَهُمُ المُعضلاتِ والمُشكلاتِ عَنْ طريقِ السُّفَرَاءِ والوزراءِ والنُّوّابِ بِزَعمِهِمْ؛ فزَعمَ **الرَّافِضِيُّ إبراهيمُ بنُ سُلَيْمَانَ القطيفيُّ البحرانيُّ** وهو مِنْ عُلَماءِ الإمَاميَّةِ في القرنِ العاشرِ الهجريِّ: أنَّ المهديَّ المُنتَظَرَ دخلَ عليهِ في صُورةِ رَجُلٍ يَعرِفُهُ وذَاكرَهُ العِلْمَ[(٣)]. وزَعَمَ **الصُّوفِيُّ حَسنٌ العِراقيُّ: أنَّ المهديَّ** زارهُ في مَنزلِهِ وأقامَ عندَهُ سبعةَ أيّامٍ، ولَقّنَهُ الذِّكْرَ والوِرْدَ[(٤)].

= فقدوا عُقولَهم ـ فقد صدّقوا هذه الخُرافةَ وآمنوا بهذه العقيدةِ اليهوديّة، ومِنْ ثَمَّ نقلوا الإمامةَ بعدَ (جَعْفَرٍ) إلى ابنهِ (مُوسَى الكاظِم). ولكنّنا نُنَبِّهُ على إشكالٍ آخرَ؛ فنقولُ: كيفَ هذا؟ وروايةُ الخَضِرِ قدْ حَدَّدَتْ وعَيَّنَتْ (مُوسَى) إمامًا في حياةِ (عَلِيِّ بنِ أبي طَالبٍ)، وقبلَ مِيلادِ جَعْفَرٍ وابنيْهِ (إسماعيلَ ومُوسَى)؟!

(١) «لطائف المنن في مناقب أبِي العَبَّاسِ المُرسي وشيخه الشاذلي أبي الحَسَن» للسكندري ـ مطبوع بهامش «لطائف المنن والأخلاق» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ٨٤ ـ ٨٦).

(٣) «روضات الجنات» (١/ ٢٥ ـ ٢٦).

(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٣٩).

• **وحتَّى إبليس يلتقي بِالشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ ويُذاكرُهُمُ العِلْمَ ويَتلَقَّوْنَ عنهُ؛** فقَدْ ذكرَ **مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ شيخُ الشِّيعَةِ ومُفيدُهُمْ** حديثًا عَنْ عَلِيٍّ مع إبليسَ الذي يُقِرُّ لهُ ولِوَلَدِهِ بالإمامةِ، ويُؤكِّدُ الولاءَ والبراءَ على مَذهبِهِمُ المُنْحَرِفِ[1]. ونقلَ **الشَّعرانيُّ شيخُ الصُّوفيَّةِ**: أنَّ **الجُنَيْدَ** الْتقَى بهِ ـ أي إبليس ـ في السُّوقِ وكان عُريانًا[2]، ثُمَّ زَعَمَ أنّهُ هو بنفسهِ الْتَقَى بهِ وذاكرَهُ العِلْمَ[3].

الحاصلُ؛ أنَّ الشِّيعَةَ والصُّوفِيَّةَ جعلوا لأنفسِهِمْ مصادرَ يَتلقَّوْنَ عُلومَهُمْ ومعارفَهُمْ بواسطتِها، وقَدْ أكثروا مِنْ تلك المصادرِ المزعومةِ، وهي ليست إلَّا دَعَاوَى لَا تقومُ على بِيّناتٍ ولَا تَستنِدُ إلى بَراهينَ.

وبهذا تمكّنوا مِنْ صَدِّ النَّاسِ عَنِ الطُّرُقِ والوسائلِ الشَّرعيَّةِ والمنطقيَّةِ والعقليَّةِ في تَلَقِّي العُلومِ والمعارفِ، وجعلوا بَيْنَ أتباعِهِمْ وبَيْنَ أهلِ العِلْمِ حواجزَ وعَقباتٍ تَضْمَنُ لَهمْ بَقاءَ الأتباعِ في ظُلماتِ الجَهْلِ والضَّلالِ.

يقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** ـ مُؤكِّدًا هذا المَعنَى ـ: **«رُبَّ حديثٍ يَتركُ أهلُ الحديثِ العملَ بهِ لِضَعْفِ أَحَدِ رُواتِهِ أو كَذِبِهِ، ويكونُ الحديثُ صحيحًا في نفسِهِ. ورُبَّ حديثٍ يَعملون بهِ لِصِحَّةِ سَندِهِ، ويكونُ ضعيفًا أو موضوعًا. فالمُكَاشِفُ يَحصلُ لهُ العِلْمُ مِنْ غيرِ طريقِ عُلَماءِ الرُّسُومِ والفُقهاءِ؛ فإنَّهُ يسمعُ العِلْمَ والحديثَ مِنَ الرّوحِ مُباشرةً، يُلْقِيهِ على حقيقةِ مُحَمَّدٍ في أَيِّ زمانٍ ومكانٍ، فيكون ذلك الوَلِيُّ في مَرتبةِ الصَّحَابَةِ في سَماعِهِمْ حديثَ جِبْرِيلَ المشهورَ حين جلسَ إلى النَّبِيِّ ﷺ»**[4].

---

(١) «الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ١٠٨ ـ ١٠٩)، تقدم في (ص: ٤٠٨).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٥).
(٣) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» ـ بهامش «الطبقات» (٢/ ١٥ ـ ١٧).
(٤) «الفتوحات المكية» (١/ ١٥٠). والحديث: هو أنّ جبريلَ جاءَ في صُورةِ إنسيٍّ إلى النّبيِّ ﷺ وسألهُ عنِ الإيمانِ والإسلامِ والإحسان. **وهو حديثٌ متّفقٌ على صحّتهِ**: (صحيح البخاري رقم: ٥٠، صحيح مسلم رقم: ٨).

ويقولُ **الشَّعرانيُّ**: «لَا يصيرُ صُوفِيًّا بالقراءةِ والمُطالعةِ ولَوْ قرأَ عُمُرَ نُوحٍ وعَدَدَ رَمْلِ عَالِج»[(١)].

تأتي هذه الأقوالُ تأكيدًا منهم وتقريرًا لمصادِرِهِمُ الإلهاميَّةِ اللّدُنّيَّةِ المزعومةِ، وتشكيكًا في عُلومِ الفُقهاءِ والمُحَدِّثينَ وطُرُقِهِمْ في تصحيحِ الأحاديثِ وتضعيفِها واستنباطِ الأحكامِ منها.

وأمَّا عَنْ مَبلغِ عَلْمِ الأولياءِ والشُّيوخِ في دِينِ الصُّوفيَّةِ:

- فإنّهم يعتقدون أنَّ شُيوخَهُمْ قَدْ وَرِثُوا عِلْمَ النُّبُوّةِ، واخْتُصُّوا بالأسرارِ الرّبّانِيَّة والعُلومِ اللَّدُنّيَّةِ المزعومةِ.

- وقَدْ ذكرَ **ابنُ عَرَبِيٍّ** بعضَ عُلومِهِمْ، وبَيَّنَ أنّهم يَعلمون مَا في الأرضِ وما تحتَها، وما في السّمٰواتِ، والملكوتِ، وغيرِها كما تقدم ذكرُهُ[(٢)].

- وذكرَ **الشَّعرانيُّ** عَنْ أَحَدِ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ أنّهُ يَتكلَّمُ جميعَ الأَلْسُنِ، وأنّهُ بتَفْلَةٍ واحدةٍ يَتْفَلُها في فِيِّ مُريديهِ؛ يَجعلُ العَرَبيَّ منهم يَتكلَّمُ العجميَّةَ كأنّها لُغَتُهُ، والعكسُ كذلك[(٣)].

- ويقولُ **أحمدُ بنُ مباركٍ** ـ عَنْ شَيْخِهِ **الدّبّاغِ** ـ: «وما رأيتُ مَنْ يعرفُ السّريانيَّةَ وجميعَ اللُّغَاتِ التي لبني آدمَ ولِلْجِنِّ وللملائكةِ وللحيواناتِ مثلَهُ»[(٤)].

- ويَزْعُمُ شَيخُهُ **الدّبّاغُ** أيضًا أنَّ جميعَ المُعجِزاتِ التي كانتْ للأنبياءِ قَدِ اجتمعتْ في الأولياءِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ[(٥)].

---

(١) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ»، بهامش «الطبقات» (١/١٦٨).
(٢) انظر: (ص: ٤٨٢).
(٣) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/١٥٢). (٤) «الإبريز» (ص: ٢١٣).
(٥) المصدر السابق (ص: ٣٤٣).




(٤)
العِصْمَةُ والحِفْظُ للأئِمَّةِ والأولياءِ

□ أوّلًا: ما جاء عَنِ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• يقولُ شيخُهم ومُفيدُهُمْ **مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** في بيانِ عَقائِدِهم: «إنَّ الأَئِمَّةَ القائمينَ مَقامَ الأنبياءِ في تَنفيذِ الأحكامِ وإقامةِ الحُدودِ وحفظِ الشرائعِ وتأديبِ الأَنَامِ؛ **مَعصُومونَ كعِصْمَةِ الأنبياءِ**، وإنّهم لَا يَجُوزُ منهم صغيرةٌ إلَّا مَا قَدَّمْتُ ذِكْرَ جَوازِهِ على الأنبياءِ[(١)]، وإنَّهُ لَا يَجوزُ منهم سَهْوٌ في شَيْءٍ في الدِّينِ، ولَا يَنسَوْنَ شَيئًا مِنَ الأحكامِ، وعلى هذا مَذهبُ سائرِ الإمَامِيَّةِ إلَّا مَنْ شَذَّ»[(٢)]. ويقولُ: «**والأنبياءُ والأئِمَّةُ مِنْ بَعدِهِمْ مَعصُومون في حالِ نُبُوَّتِهمْ وإمامتِهِمْ مِنَ الكبائرِ كُلِّها والصّغائرِ**»[(٣)]. ويقولُ: «جاءَ الخبرُ بأَنَّ رَسُولَ اللهِ والأئِمَّةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ كانوا حُجَجًا للهِ تَعالَى... ولَمْ يَكُنْ لَهمْ قَبْلَ أحوالِ التّكليفِ أحوالَ نقصٍ وجهلٍ، فإنّهم يَجرون مَجرى عِيسَى ويَحْيَى في حُصولِ الكمالِ لَهمْ مع صِغَرِ السِّنِّ... ونقطعُ على كَمالِهِمْ في العِلْمِ والعِصْمَةِ في أحوالِ النُّبُوّةِ والإمامةِ... ونقطعُ على أنَّ العِصْمَةَ لَازِمَةٌ مُنْذُ أكملَ اللهُ تَعالَى عُقُولَهُمْ إلى أنْ قَبَضَهُمْ»[(٤)].

---

(١) ذَكرَ في بابِ عِصْمَةِ الأنبياءِ أنه يَجوزُ وقوعُ الصّغائرِ التِي لا يَستخفُّ فاعلُها منهم قبلَ نُبُوَّتِهِمْ علَى غيرِ تَعمُّدٍ. وأمَّا بَعْدُ النُّبُوّةِ فمُمْتَنِعٌ منهم أيضًا. انظر: «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» (ص: ٦٧) وهو مِنْ مراجعِهِمُ المعتمدَةِ في عَقائِدِهِمْ.

(٢) «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» (ص: ٧١ ـ ٧٢).

(٣) «تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد» ـ أو «شرح عَقائِد الصدوق» للمُفيدِ (ص: ١٠٦).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٠٧ ـ ١٠٨).

• ويقولُ علّامةُ الرَّفْضِ **عَبدُ اللهِ شُبَّر**: «يَجِبُ أنْ يَكونَ الواسطةُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وبَيْنَ خَلْقِهِ؛ نَبِيًّا كان أو إمَامًا مَعصُومًا. وهذا مِمَّا تَفرّدَتْ بِهِ الإِمَامِيَّةُ... ويَجِبُ في الحُجَّةِ أنْ يَكونَ مَعصُومًا مِنَ الكبائرِ والصّغائرِ، مُنزَّهًا عَنِ المعاصي قَبْلَ النُّبُوّةِ وبعدَها على سبيلِ العَمْدِ والنّسيانِ»[(١)].

الحاصلُ: أنَّ الشِّيعَةَ تُؤمِنُ إيمانًا راسخًا بعصمةِ أئمّتِها. وهذا أمرٌ مَعلومٌ مِنْ دِينِهِمْ بالضّرورةِ.

□ **ثانيًا: أمَّا الصُّوفيَّةُ فإنّهم وافقوا الشِّيعَةَ في هذه العقيدةِ المُنحرفةِ،** ولكنّهم كما هي عَادتُهُمْ يُحاولونَ إخفاءَ التّوافُقِ بَينهم وبَيْنَ الشِّيعَةِ؛ سِترًا لعلاقتِهمْ بِهِمْ، وتَرويجًا لمذاهبِهِمْ في أوساطِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ. لذلك لَجأَ كَثيرٌ مِنْ عُلمائِهِمْ ومُؤلِّفِيهم إلى تَسْمِيَةِ العِصْمَةِ بالحفظِ:

■ يقولُ أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ: «**ولطائفُ اللهِ تَعَالَى في عِصْمَةِ أنبيائهِ وحِفْظِ أوليائهِ مِنَ الفِتْنَةِ أكثرَ مِنْ أنْ تقعَ تحتَ الإحصاءِ والعَدِّ**»[(٢)]. وقَدْ عقدَ أبوابًا في هذا المَعنَى منها بَابًا في لطائفِ اللهِ للقومِ وتنبيهِهِ إيّاهم بالهاتفِ[(٣)]، وآخرَ في الفراساتِ[(٤)]، وآخر في الخواطرِ[(٥)]، وآخرَ في الرّؤيا ولطائفِها[(٦)]. وغير ذلك مِنَ الأبوابِ التي ذكرَ فيها جُملةً مِنَ الحكاياتِ عَنْ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ، يَزْعُمُونَ فيها أنّهُ مَا يَكَادُ أحدُهُمْ يَهِمُّ بأمرٍ أو عملٍ لَا يليقُ بِزَعمِهِمْ مع تَوكُّلِهِمْ أو عبادَتِهِمْ أو مَحبّتِهِمْ أو غيرِ ذلك مِنْ أحوالِهِمْ؛ إلَّا وهاتفٌ يَهْتِفُ بهِ أو خَاطرٌ يَرُدُّ عليهِ أو رُؤيا يَراها أو غير ذلك مِنْ أنواعِ

(١) «حق اليقين في معرفة أُصول الدِّين» (١/ ١٩١).
(٢) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصوُّفِ» (ص: ١٥٥).
(٣) الباب رقم: (٦٧) من كتابه «التعرف».
(٤) الباب رقم: (٦٨) مِن «المصدر السابق».
(٥) الباب رقم: (٦٩) مِن «المصدر نفسه».
(٦) الباب رقم: (٧٠) مِن «المصدر نفسه».

اللّطائفِ التي تُنَبِّهُهُمْ عَنْ ذلك الفعلِ أوِ الأمرِ؛ عِصْمَةً لَهمْ وحِفظًا مِنْ وُقُوعِهِمْ أوِ ارْتِكابِهِمْ تلك الأفعالَ التي لَا تَليقُ بِزَعمِهِمْ.

▪ ونقلَ **أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانِيُّ** عَنْ **ذِي النُّونِ** مَقالَةً طويلةً يَصِفُ فيها العارفينَ والمُحِبّينَ بِزَعْمِهِ، وقالَ في آخرِها: «فليس للغَفْلَةِ عَليهِم مَدْخلٌ ولَا لِلَّهْوِ فيهم مَطْمعٌ، قَدْ حَجَبَ التّوفيقُ بينهم وبَيْنَ الآفاتِ، **وحَالَتِ العِصْمَةُ بينهم وبَيْنَ اللّذّاتِ**»[(١)].

▪ وذكرَ عَنْ **أبي تُرابٍ النَّخشبيِّ** زَعْمَهُ؛ أنَّ بينَهُ وبَيْنَ اللهِ عَهْدًا ألَّا تَمتدَّ يَدُهُ إلى حَرامٍ، فإنْ مَدَّها أنْ تَقصرَ ولَا يَتمكَّنَ مِنْ تناولِهِ[(٢)]. وذكرَ نحوَهُ عَنِ **الحارثِ المُحَاسِبِيِّ** في قِصّتهِ مع **الجُنَيْدِ**؛ حيثُ يَزْعُمُ الحارثُ أنَّ بينهُ وبَيْنَ اللهِ علامةً في ذلك؛ حِفظًا وعِصْمَةً لمَشايخِ الصُّوفيَّةِ مِنْ تَناولِ الحرامِ والمُشتبهاتِ في الأطعمةِ وغيرِها[(٣)].

▪ وذكرَ **القُشَيْريُّ** عَنِ **الشِّبْليِّ** قولَهُ: «عَزَمْتُ وَقْتًا أنْ لَا آكُلَ إلَّا مِنَ الحلالِ، فكنتُ أَدورُ في البراري، فرأيتُ شجرةَ تِينٍ فمدَدْتُ يدي إليها لآكُلَ فنادتني الشّجرةُ: احفظْ عليكَ عَقْدَكَ لَا تَأْكُلْ مِنّي فإنّي لِيَهُودِيٍّ»[(٤)].

▪ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** ـ عِنْدَ ذكرِهِ سَلْمانَ الفارسيَّ ﵁ وإضافتِهِ إلى آلِ البَيْتِ في الحديثِ المنسوبِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٥)] ـ مَا نَصُّهُ: «فهذه شهادةٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لِسَلمانَ الفارسيِّ بالطهارةِ والحفظِ الإلٰهيِّ والعِصْمَةِ». ويقولُ عَنْ آلِ البَيْتِ أنهم «عينُ الطّهارةِ»، ويقولُ أيضًا: «فما ظَنُّكَ بالمَعصُومينَ

---

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» لأبي نُعَيْم (٩/ ٣٨٠).
(٢) المصدر السابق (١٠/ ٤٨).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٧٤ ـ ٧٥).
(٤) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٧٠٨).
(٥) **حَديثٌ ضَعيفٌ جدًّا**: ولفظُه: «سَلمانُ مِنّا أهلَ البيتِ». انظرْ: تخريجَهُ وبيانَ عِلَلِهِ في «سلسلةِ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ وأثرِها السّيِّئِ في الأُمّـةِ» للإمامِ المُحَدِّثِ الألبانيِّ (٨/ ١٧٦ ـ ١٨٠ رقم: ٣٧٠٤). وقد أشارَ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى في نهايةِ بحثِهِ إلى أنّ هذا الكلامَ (قد صَحَّ مَوقوفًا) مِنْ كلامِ (عَلِيٍّ) ﵁ وعن جميعِ الآلِ والصّحابةِ الكرامِ.

المحفوظينَ... فشَرفُهُمْ أعلَى وأَتَمُّ، وهؤلاءِ الأقْطَابُ»[(١)]. وقالَ: «فأمّا الرُّسُلُ والأشياخُ؛ فلا يَأمرون بِمعصيةٍ أصلًا، فإنَّ الرُّسُلَ مَعصومون مِنْ هذا، والشّيوخَ محفوظون»[(٢)]. هكذا يَربطُ اصطلاحاتِ وعَقائِدَ الشِّيعَةِ باصطلاحاتِ وعَقائِدِ الصُّوفيَّةِ.

▪ ويقولُ **عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ الأنصاريُّ المعروفُ بابنِ الدَّبّاغِ (ت٦٩٦هـ)**: «ومِنْ شرطِ هذا العارفِ الوَلِيِّ أنْ يَكونَ محفوظًا مِمَّا يُخالِفُ الشَّرْعَ، كما أنَّ مِنْ شرطِ النَّبِيِّ أنْ يَكونَ مَعصُومًا»[(٣)].

▪ ونقلَ **الشَّعرانيُّ** عَنْ **عبدِ القادرِ الجيلانيِّ** قولَهُ في عِصْمَةِ الملائكةِ والأنبياءِ: «وبقيَّةُ الخلْقِ مِنَ الجِنِّ والإنسِ المكلّفينَ لَمْ يُعْصَمُوا، غيرَ أنَّ الأولياءَ يُحفظونَ عَنِ الهوى»[(٤)]. ونقلَ عَنْ **عَلِيِّ بنِ الهيتيِّ** قولَهُ: «علامةُ صِحّةِ الحالِ أنْ يَكونَ صاحبُهُ محفوظًا»[(٥)]. ويَزْعُمُ **الشَّعرانيُّ** أنَّ الجيلانيَّ بلغَ مرتبةً ومقامًا يَأْمَنُ فيه مَنْ بَلَغَهُ مِنَ الدَّعوَى ويُسَدَّدُ ويُحفَظُ في أقوالهِ وأفعالهِ»[(٦)]. وقَدْ نقلَ عَنْ **أمِّ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ** ـ التي وَصَفَها بقولهِ: «وكان لها قدمٌ في الطريقِ» ـ قولَها: «لمّا وَضَعْتُ وَلَدي عبدَ القادرِ كانَ لَا يَرضعُ ثَدْيَهُ في نَهارِ رمضانَ، ولقَدْ غَمَّ على النَّاسِ هلالُ رمضانَ، فأَتَوْني، وسألوني عنهُ، فقلتُ لَهمْ: إنّهُ لَـمْ يَلتقمِ اليومَ لهُ ثَدْيًا. ثُمَّ أتّضَحَ أنَّ ذلك اليومَ كان مِنْ رمضانَ»[(٧)].

---

(١) «الفتوحات المكية» (١/١٩٦ ـ ١٩٧).
(٢) كتاب «التجليات»، ضمن رسائل ابنِ عَرَبي (٢/٥٢).
(٣) كتاب «مشارق أنوار القُلوب ومفاتح أسرار الغيوب» (ص: ١٠٣).
(٤) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/١٣٠).
(٥) نفس المصدر (١/١٤٥).
(٦) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ» بهامش «الطبقات» ـ (١/١٦١).
(٧) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/١٢٦).

وقَدْ أشارَ الصُّوفيَّةُ إلى هذا الحفظِ المزعومِ والعِصْمَةِ في تعريفاتِهِمْ للوَليِّ والوِلايَةِ في اصطلاحِهِمْ، فمِن ذلك:

▪ يقولُ **القُشَيْريُّ** ـ في مَعنَى الوَلِيِّ ـ: «**الوَلِيُّ: مَنْ تَوالَتْ طَاعاتُهُ مِنْ غيرِ تَخلُّلِ مَعصيةٍ**». ويقولُ: «**هو الذي يَتولَّى الحقُّ سُبْحانَهُ حِفظَهُ وحِراستَهُ على الإدامةِ والتَّوالي** فلا يَخلُقُ لهُ الخُذْلانَ، الذي هو قُدْرةُ العصيانِ، وإنّما يُدِيمُ تَوفيقَهُ الذي هو قُدْرةُ الطاعةِ»(١). ويقولُ أيضًا: «واعْلَمْ أنَّ مِنْ أجلِّ الكراماتِ التي تكونُ للأولياءِ؛ **دوامَ التّوفيقِ للطاعاتِ، والعِصْمَةَ عَنِ المعاصي والمخالفاتِ**»(٢).

▪ ويقولُ **المنوفيُّ** ـ في تعريفِ الوَلِيِّ ـ: «هو مَنْ يَتولَّى اللهُ تَعَالَى رِعايتَهُ وحِفظَهُ، فلا يَكِلُهُ إلى نفسهِ.. ويَتولّى هو عبادةَ اللهِ وطاعتَهُ.. وكِلا المعنيينِ شرطٌ في الوِلايَةِ، ومن شرطِ الوِلايَةِ والوَلِيِّ أنْ يَكونَ مَحفوظًا، كما أنَّ شرطَ النَّبيِّ أنْ يَكونَ مَعصومًا»(٣).

▪ ويقولُ **النَّبَهَانِيُّ** ـ في «جامعهِ» في تعريفِ الوَلِيِّ ـ: «مَنْ توالتْ طاعاتُهُ مِنْ غيرِ تَخلُّلِ معصيةٍ». ويقولُ أيضًا: «هو الذي يَتولّى الحقُّ سُبْحانَهُ حِفظَهُ وحِراستَهُ على التّوالي عَنْ كُلِّ أنواعِ المعاصي، ويُدِيمُ تَوفيقَهُ على الطاعاتِ»(٤).

ويُبَيِّنُ **شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ أَمرَهُم وحالَهم ويوضِّحُهُ فيقولُ ـ بَعْدَ ذكرِهِ للوِلايَةِ وتعريفِهِ للوليِّ في دِينِ اللهِ حيثُ بَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ وقوعَ الخطأِ منهم مع كَونِهِمْ أولياءَ للهِ تَعَالَى ـ فقال: «**وهذا أمرٌ مُتّفقٌ عليهِ بَيْنَ أهلِ العِلْمِ والإيمانِ، وإنّما يُخالفُ في ذلك الغَالِيةُ مِنَ الرَّافِضَةِ وأشباهُ الرَّافِضَةِ مِنَ [الصُّوفيَّةِ] الغاليةِ في بعضِ المشايخِ** ومَنْ يَعتقدونَ أنّهُ مِنَ الأولياءِ.

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٦٦٤ ـ ٦٦٥).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٦٧).
(٣) «جمهرة الأولياء» (١/ ٩٧).
(٤) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ١٤).

فالرَّافِضَةُ تَزْعُمُ أنَّ الإِثْنَيْ عَشَرَ مَعصومون مِنَ الخطأِ والذَّنبِ، ويَرَوْنَ هذا مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ. والغاليةُ [**الصُّوفِيَّةُ**] في المشايخِ قَدْ يقولون: إِنَّ الوَلِيَّ مَحفوظٌ وَالنَّبِيَّ مَعصومٌ. وكثيرٌ منهم إنْ لَمْ يَقُلْ ذلك بلسانهِ فحالُهُ حالُ مَنْ يَرى أنَّ الشَّيْخَ والوَلِيَّ لَا يُخطِئُ ولَا يُذْنِبُ، وقَدْ بَلَغَ الغُلُوُّ بالطّائفتينِ إلى أنْ يَجعلوا بعضَ مَنْ غَلَوْا فيه بمنزلةِ النَّبِيِّ وأفضلَ منهُ، وإنْ زادَ الأمرُ جعلوا لهُ نوعًا مِنَ الإِلٰهيَّةِ»[(١)].

فالصُّوفيَّةُ أخذوا مبدأَ العِصْمَةِ أَوِ الحفظِ لِشُيوخِهِمْ وأوليائِهِمُ المزعومين؛ عَنِ الشِّيعَةِ، ونهجوا في غُلُوِّهِمْ بشُيوخِهِمْ منهجَ الشِّيعَةِ، وسلكوا مَسلَكَهُمْ في مُخالفةِ أهلِ العِلْمِ والإيمانِ كما ذكرهُ شَيْخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

إنَّ هذه العقيدةَ الخبيثةَ جَعَلَتِ الشِّيعَةَ والصُّوفيَّةَ يُؤمنون بِأَنَّ أئِمَّتَهُمْ وشُيوخَهُمْ لَا يُخطئونَ ولَا يَعْصُونَ، بلْ لَا يُتصَوَّرُ وُقُوعُ شَيْءٍ مِنْ ذلك منهم.

وجعلَتْ مِنْ هؤلاءِ الأتباعِ تُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَرِدُ عَنْ أئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ، وأوجبَتْ طاعتَهُمْ في كُلِّ مَا يَأمرونَهُمْ بهِ، والإيمانَ بِأنَّ كُلَّ مَا يصدرُ منهم طاعةٌ ودِينٌ وإنْ كان في ظاهرِهِ مُنكرًا وشرًّا، وهذا مَا أرادهُ الطّواغيتُ مُؤسِّسو دِينِ الرَّفْضِ والتَّصَوُّفِ، وهو إيجادُ قاعدةٍ بشرِيَّةٍ تُذْعِنُ كُلَّ الإذعانِ بِلَا إنكارٍ ولَا تَرَدُّدٍ في دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ:

• روى **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ الرَّافِضِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ** قولَهُ: «إِنَّمَا كَلّفَ اللهُ النَّاسَ ثلاثةً: مَعرفةَ الأَئِمَّةِ، والتّسليمَ لَهُمْ فيما يَرِدُ عَليهِم..». وقولَهُ أيضًا: «**ليس للنَّاسِ النّظرُ في أَمرِهِ ولَا التّخيّرُ عليهِ، وإنّما أُمِروا بالتّسليمِ**»[(٢)]. وروى عنهُ أيضًا قولَهُ: «أمَا واللهِ! إنَّ أحبَّ أصحابي إليَّ

(١) «مجموع فتاوى شَيْخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ» (١١/ ٦٧).
(٢) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٥٤٣). ورواه الكُلَيْنِيُّ بلفظهِ في: «أصول الكافي» (١/ ٣٩٠).

أَورَعُهُمْ وأَفقَهُهُمْ وأكتمُهُمْ بحديثِنا، وإنَّ أسوأَهُمْ عندي حالًا وأمقتَهُمْ إليَّ الذي إذا سَمِعَ الحديثَ يُنْسَبُ إلينا ويُروى عَنّا فَلَمْ يَعقِلْهُ ولَمْ يَقْبَلْهُ قَلبُهُ؛ اشمأزَّ منهُ وجحدَهُ وكفرَ بِمَن دانَ بهِ، وهو لَا يَدري لعلَّ الحديثَ مِنْ عِندِنا خرجَ، وإلينا أُسنِدَ، فيكون بذلك خَارِجًا عَنْ وِلايتِنا»[(١)].

• وروى عَنْ **سُفْيَانَ بنِ السِّمْطِ** قال: «قلتُ لأبِي عَبْدِ اللهِ: جُعِلْتُ فِداكَ! إنَّ الرجلَ لَيَأتِينا مِنْ قِبَلِكَ، فيُخْبِرُنا عنكَ بالعظيمِ مِنَ الأمرِ، فيضيقُ بذلك صُدُورُنا حتَّى نُكَذِّبَهُ. قال: فقال أبو عَبْدِ اللهِ: أَليس عَنّي يُحَدِّثُكُمْ؟ قال: قلتُ: بلَى. قال: فيقولُ: للّيلِ إنّهُ نَهارٌ، وللنّهارِ إنّهُ ليلٌ». وروى عَنْ إمامٍ آخرَ قولَهُ: «لَا تَقُلْ لِمَا بلغكَ عنّا، أو نُسِبَ إلينا: هذا بَاطلٌ، وإنْ كنتَ تَعرِفُ خِلافَهُ؛ فإنك لَا تدري لِمَ قُلْنَا، وعلى أَيِّ وَجْهٍ وَصِفَةٍ». وروى عَنِ **الصَّادِقِ** قولَهُ: «لَا تُكذّبوا بحديثٍ أتاكمْ بهِ أحدٌ، فإنّكم لَا تَدرون لَعَلَّهُ مِنَ الحقِّ، فتُكَذِّبوا اللهَ فوقَ عَرْشِهِ»[(٢)].

□ والرَّافِضَةُ قَدْ جعلوا لِأئِمَّتِهِمْ حقَّ الطاعةِ المُطلقةِ على الخَلْقِ، أُسوةٌ بالأنبياءِ:

• فقَدْ بَوّبَ **الْكُلَيْنِيُّ** في «الكافي» بابَ: فرض طاعة الأَئِمَّةِ، ذكرَ فيه عِدّةَ أحاديثَ منسوبةً إلى الأئِمَّةِ المزعومينَ، منهُ مَا نَسَبَهُ إلى **الصَّادِقِ** قولَهُ: «نحنُ قومٌ فرضَ اللهُ طَاعتَنا». وقوله: «أُشرِكَ بَيْنَ الأوصياءِ والرُّسُلِ في الطاعةِ». وما نَسَبَهُ إلى **الرِّضَا** قولَهُ: «النَّاسُ عَبيدٌ لنا في الطاعةِ، مَوَالٍ لنا في الدِّينِ، فليبلغِ الشاهدُ الغائبَ». وما نَسَبَهُ إلى **الصَّادِقِ** قولَهُ: « **نحن الذين فرضَ اللهُ طَاعتَنا، لَا يَسَعُ النَّاسَ إلَّا معرفتُنا ولَا يُعْذَرُ النَّاسُ بجهالتِنا، مَنْ عرَفَنا كان مُؤمنًا ومَنْ أنكرَنا كان كافرًا**»[(٣)].

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٥٥٧).
(٢) نفس المصدر (ص: ٥٥٧ ـ ٥٥٨).
(٣) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب فرض طاعة الأَئِمَّةِ (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧).

هكذا تَمكَّنَ **أهلُ الرَّفْضِ** ـ بهذه المرويّاتِ المُختلَقَةِ على مَنِ اتّخذُوهُمْ أَئِمّةً مِنْ بعضِ أهلِ البيتِ ـ مِنْ إحكامِ قَبْضَتِهِمْ على الشِّيعَةِ، وجَعْلِهِمْ أداةً طائعةً في أيديهِمْ كما يشاءون، فلا عُقولَ لَهمْ تُفَكِّرُ فيما يُمْلَى عليها مِنْ أُصُولٍ وعَقائِدَ مُنحرفةٍ، ولَا اختيارَ لَهمْ في هذا الدِّينِ المُنحرفِ فضلًا عَنْ إنكارِ شَيْءٍ ورَدِّهِ ورَفْضِهِ؛ خوفَ الخروجِ عَنْ وِلايةِ الأَئِمَّةِ المزعومينَ، وخوفَ الطّردِ مِنْ رَحمةِ الأَئِمَّةِ وشفاعتِهِمْ وجَنَّتِهِمْ في الآخرةِ.

□ ولقَدْ سلكَ الصُّوفيَّةُ في أتباعِهِمْ ومُريدِيهم ذاتَ المنهجِ؛ لِما رَأَوْا فيهِ مِنْ شِدّةِ إحكامِ القبضةِ على الأتباعِ، فاخترعوا قصصًا وحكاياتٍ تُحذِّرُ مَنْ تُسَوِّلُ له نَفسُهُ الإنكارَ على الشيوخِ أَوْ رَدَّ شَيْءٍ مِنْ أقوالِهِمْ وأوامرِهِمْ، فمن ذلك:

■ ذكرَ **أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ** أنَّ شيخَهُ **أبا سهلٍ الصُّعْلُوكيَّ** كان لهُ مَجلِسٌ لقراءةِ القُرآنِ فرفعَهُ وعقدَ مَجلِسًا للغِناءِ، فدَاخَلَهُ مِنْ ذلك شَيْءٌ؛ لاستبدالهِ مَجلِسَ الخَتْمِ بمَجْلِسِ الغِناءِ. فيقولُ: «فقال لي يومًا: يا أبا عبدِ الرَّحْمَنِ! أيش يَقولُ النَّاسُ لي؟ قلتُ: يقولون: رَفعَ مَجْلِسَ القُرآنِ ووَضعَ مَجْلِسَ القَوْلِ. فقال: **مَنْ قالَ لِأُستاذِهِ: لِـمَ؛ لَا يُفْلِحُ أبدًا**»[(١)].

ويُعَلِّقُ **الإمامُ الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ فيقولُ: «ينبغي للمُريدِ أنْ لَا يقولَ لِأُستاذِهِ: **لِـمَ**؛ إذا عَلِمَهُ مَعْصومًا لَا يَجوزُ عليهِ الخطأُ، أَمَّا إذا كانَ الشّيْخُ غَيْرَ مَعصومٍ وكرِهَ قولَ: **لِـمَ**؛ فإنَّهُ لَا يُفلِحُ أبدًا»[(٢)].

• ويقولُ **القُشَيْرِيُّ**: سمعتُ الأُستاذَ **أبَا عَلِيٍّ الدَّقّاقَ** يقولُ: بَدْءُ كُلِّ فُرْقَةٍ المُخالفةُ؛ يَعني: أنَّ مَنْ خَالَفَ شَيْخَهُ لَمْ يَبْقَ على طَريقتهِ، وانقطعتِ العَلَقَةُ بينهما وإنْ جَمعتْهُما البُقْعَةُ. فمَنْ صَحِبَ شَيْخًا مِنَ الشّيوخِ ثُمَّ اعترضَ

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٦٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥١)، واللفظُ للإمامِ الذّهبيِّ.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥١).

عليهِ بقَلْبِهِ؛ فقَدْ نقضَ عَهْدَ الصُّحْبَةِ ووَجَبَتْ عليهِ التّوبةُ، على أنَّ الشيوخَ قالوا: **عُقُوقُ الأُستاذينَ لَا توبةَ عنها**»[1].

فالاعتراضُ على الشّيْخِ وإنْ كان في القَلبِ؛ هو مِنَ العُقُوقِ الذي لَا توبةَ منهُ في دِينِ الصُّوفيَّةِ؛ أَيْ: أنّهُ أشَدُّ حتَّى مِنَ الإشراكِ باللهِ تَعَالَى والكُفْرِ بدينهِ؛ إذْ يَقبلُ اللهُ تعالَى التّوبةَ مِنَ الشِّركِ والكُفْرِ، أمّا هُمْ فأبوْا توبةَ مَنْ خالَفَهم!! ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النمل: ٦٠].

ويقولُ أيضًا: «ولَمْ يَكُنْ عَصْرٌ مِنَ الأعصارِ في مُدّةِ الإسلامِ، إلَّا وفيه شَيْخٌ مِنْ شُيوخِ هذه الطائفةِ، مِمَّن لهُ عُلومُ التوحيدِ، وإمامةُ القومِ؛ إلَّا وأئِمَّةُ ذلك الوقتِ مِنَ العُلَمَاءِ استسلموا لذلك الشّيْخِ، وتواضعوا لَهُ، وتَبرّكوا بهِ... وهذا أحمدُ بنُ حنبلٍ كان عِنْدَ الشّافعيِّ رضي الله عنهما، فجاءَ شَيْبَانُ الرَّاعِي، فقال أحمدُ: **أُرِيدُ أنْ أُنبِّهَ هذا على نُقْصَانِ عِلْمِهِ لِيَشتغِلَ بتحصيلِ بعضِ العُلومِ**. فقال الشّافعيُّ: لَا تَفعلْ. فلَمْ يَقْنَعْ... فيَزْعُمُ أنَّ أحمدَ سألَهُ، فأجابَ شيْبَانُ الصُّوفِيُّ، فغشي على أحمدَ، فَلَمّا أفاقَ قال لهُ الشّافعيُّ: ألَمْ أقلْ لك لَا تُحَرِّكْ هذا!». ويَزْعُمُ أنَّ شَيْبَانَ كان أُمِّيًّا، ثُمَّ يَقولُ: «فإذا كان حالُ الأُمِّيِّ منهم هكذا، فما الظَّنُّ بأئِمَّتِهِمْ؟»[2].

ثُمَّ ذكرَ قصصًا أُخْرَى عَنْ مَشايخِ الصُّوفيَّةِ مع الفُقَهاءِ والعُلَمَاءِ الذين يَستسلمونَ بِزَعْمِهِ للمشايخِ تَرويجًا لتَصَوُّفِهِ ومذهبِهِ. وهذه القصصُ لَا شَكَّ أنَّها مِنَ الكَذِبِ والوَضْعِ الذي اشتهرَ بِهِ المُتَصَوِّفَةُ؛ تَرويجًا لِبِضَاعَتِهِمْ، وهذه هي عُمْدَتُهُمْ وعُمْدَةُ مَنْ أَعْيَتْهُ الأدِلَّةُ والنُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ.

ويقولُ **القُشَيْرِيُّ** ـ بَعْدَ أنْ ساقَ جُملةً مِنْ تلك القصصِ والأكاذيبِ ـ: «ثُمَّ يَجِبُ على المُريدِ أنْ يَتأدَّبَ بشَيْخٍ، فإنْ لَمْ يَكُنْ لهُ أستاذٌ؛ لَا يُفْلِحُ

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة»، باب حفظ قُلوب المشايخ وترك الخلاف عَليهِم (٢/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤).
(٢) نفس المصدر (٢/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣).

أبدًا. وهذا أبو يَزِيدَ يقولُ: **مَنْ لَـمْ يَكُنْ لهُ أُستاذٌ؛ فإمامُهُ الشَّيْطَانُ**»[(١)].

إذًا؛ غايتُهُمْ في الاستدلالِ؛ قولٌ **لأبي يَزِيدَ** أو غيرِهِ مِنَ الْمُنحرفينَ الذين ضَلُّوا طريقَ العِلْمِ والحقِّ.

ويقولُ ـ في ذكرِ شَرْطِ الْمُريدِ مع شَيْخِهِ مَا نَصُّهُ ـ: «ومِنْ شَرْطِهِ أنْ لَا يكونَ بقَلبِهِ اعتراضٌ على شَيْخِهِ... ثُمَّ يَجِبُ عليهِ حِفْظُ سِرِّهِ... إلَّا عَنْ شَيْخِهِ. ولَوْ كَتَمَ نَفَسًا مِنْ أنفاسِهِ عَنْ شَيْخِهِ؛ فقَدْ خَانَهُ في حقِّ الصُّحْبَةِ. ولَوْ وَقَعَتْ لهُ مُخالفةٌ فيما أشارَ إليه شَيْخُهُ؛ فَيَجِبُ أنْ يُقِرَّ بذلك بَيْنَ يَدَيْهِ في الوَقْتِ، ثُمَّ يَستسلِمَ لِما يَحْكُمُ بهِ عليهِ شَيْخُهُ، عُقوبةً لهُ على جنايتِهِ ومُخالفتِهِ، إمَّا بِسَفَرٍ يُكَلِّفُهُ، أو أَمرٍ مَا يَراهُ. ولَا يَصِحُّ للشّيوخِ التَّجاوزُ عَنْ زَلَّاتِ الْمُريدِينَ؛ لأنَّ ذلك تَضييعٌ لِحُقوقِ اللهِ»[(٢)].

بمثلِ هذا الهراءِ، وهذه الدَّعاوَى؛ تَمكَّنَ الْمُنحرفونَ مِنِ استعبادِ النَّاسِ وإذْلالِهِمْ وتسخيرِهِمْ لِمصالِحهم. فالزَّلَّاتُ عِنْدَهُمْ لَا يُتجاوزُ عنها، ولَا بُدَّ مِنْ تَنفيذِ العُقوباتِ؛ لأنّها في حقِّ المشايخِ. ويَزْعُمُ **القُشَيْرِيُّ** أنَّ التَّجاوزَ عَن زَلَّاتِ المريدينَ فيهِ تَضييعٌ لحقوقِ اللهِ، والحقُّ أنَّ فيهِ تَضييعٌ لحقوقِ الشَّيْطَانِ والنّفسِ الْمُتَصَوِّفَةِ الخبيثةِ الْمُنحرفةِ.

■ ويقولُ **عبدُ القادرِ الجيلانيُّ** ـ فيما يَجِبُ على الْمُريدِ التأدّبِ بهِ مع شَيْخهِ ـ: «وأمَّا آدابهُ مع الشّيْخِ، **فالواجبُ عليهِ تَرْكُ مُخالفةِ شَيْخهِ في الظّاهرِ، وتَرْكُ الاعتراضِ عليهِ في الباطنِ**، فصاحبُ العِصيانِ بظاهرِهِ تَاركٌ لأَدَبِهِ، وصاحبُ الاعتراضِ بِسرِّهِ مُتعرِّضٌ لِعَطَبِهِ، بلْ يكونُ خَصْمًا على نَفْسِهِ لشَيْخهِ أبدًا.. وإذا ظهرَ لهُ مِنَ الشّيْخِ مَا يُكْرَهُ في الشَّرْعِ.. وإنْ رأى فيه عَيْبًا مِنَ العيوبِ سَتَرَهُ عليهِ ويَعودُ بالتُّهْمَةِ على نَفْسِهِ، ويَتأوّلُ للشّيْخِ في

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة»، باب حفظ قُلوب المشايخ وترك الخلاف عَليهم (٢/ ٧٣٥).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٣٦ ـ ٧٣٧).

الشَّرْعِ. **فإنْ لَمْ يجدْ لهُ عُذْرًا في الشَّرْعِ؛ استغفرَ للشّيْخِ ودَعا لهُ بالتّوفيقِ والعِلْمِ والتّيقُّظِ والعِصْمَةِ**.. ولَا يُخْبِرُ بِهِ أحدًا».

ثُمَّ يُبَيِّنُ أنَّ للشّيوخِ ـ في حالِ تَنقُّلِهِمْ مِنْ مقام إلى آخرَ ومِنْ مَنزلةٍ إلى أُخْرَى ـ حالًا وفصلًا، ورُجوعًا إلى رُخَصِ الشَّرْعِ وإباحتهِ، وتَركِ العزيمةِ، كالدّهليزِ بَيْنَ الدّارينِ، والمنزلةِ بَيْنَ المنزلتينِ... على حَدِّ تَعبيرِهِ.

ويقولُ: «إنَّ مِنَ الأدبِ أنْ يَجعلَهُ وَسيلَةً ووَاسِطَةً بينه وبَيْنَ رَبّهِ ﷻ».

ثُمَّ يُبَيِّنُ **الجيلانيُّ** لمُريديهِ ضرورةَ الالتزام بالشيوخِ؛ فيَزْعُمُ أنَّ اللهَ ﷻ أجرَى العادةَ بأنْ يكونَ في الأرضِ شيخٌ ومُريدٌ. ثُمَّ يَستدلُّ على قَولهِ الذي أَرادَ بهِ الباطلَ ويُبَيِّنُ: أَنَّ اللهَ تَعالَى كان مع آدمَ بَعْدَ خَلْقِهِ كالأُستاذِ مع التّلميذِ، وكالشّيْخِ مع المُريدِ. وكذلك الملائكةَ مع آدمَ، وجِبْريلَ مع أدمَ، وهكذا مع الأنبياءِ جميعًا، حتَّى ذكرَ مَشايخَ الصُّوفيَّةِ. ثُمَّ يَقولُ: «فالمشايخُ هُمُ الطريقُ إلى اللهِ ﷻ، والأدِلّاءُ عليهِ، والبابُ الذي يُدْخَلُ منهُ إليهِ؛ فلا بُدَّ لكُلِّ مُريدٍ للهِ ﷻ مِنْ شَيْخٍ». ويقولُ في الأدبِ أيضًا: «**ويَحْذَرُ مُخالفتَهُ جدًّا؛ لِأنَّ مُخالفةَ الشيوخِ سُمٌّ قاتلٌ، فيها مَضرّةٌ عَامَّةٌ، فلا يُخالِفُهُ بتصريحٍ ولَا بتأويلٍ**»[(١)].

▪ ويقولُ **شِهابُ الدِّينِ السهرورديُّ**: «فالمُريدُ الصَّادِقُ إذا دخلَ تحتَ حُكمِ الشّيْخِ وصُحْبَتِهِ، وتَأَدّبَ بآدابهِ؛ يَسري مِنْ باطنِ الشّيْخِ حالٌ إلى باطنِ المُريدِ كسراجٍ يَقتبسُ مِنْ سراجٍ. وكلامُ الشّيْخِ يُلَقِّحُ باطنَ المُريدِ... **ولَا يكونُ هذا إلّا لِمُريدٍ حَصَرَ نفسَهُ مع الشّيْخِ، وانسلخَ مِنْ إرادةِ نفسهِ**، وَفَنِيَ في الشّيْخِ بتركِ اختيارِ نفسهِ»[(٢)].

ويقولُ: «ولُبْسُ الخِرْقَةِ يُزِيلُ اتّهامَ الشّيْخِ عَنْ باطنهِ، وجميعِ تصاريفهِ.

---

(١) «الغنية لطالبي طريق الحق» (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٨).
(٢) «عوارف المعارف» للسهروردي (ص: ٩٣).

ويَحْذَرُ الاعتراضَ على الشيوخِ؛ فإنَّهُ السُّمُّ القاتلُ للمُريدينَ، وقَلَّ أنْ يَكونَ المُريدُ يَعترضُ على الشّيْخِ بِباطِنِهِ فيُفْلِحُ»[(١)].

ويقولُ: «فالطّالبُ الصَّادِقُ إذا دخلَ في صُحْبَةِ الشّيْخِ، وسَلَّمَ نفسَهُ؛ صارَ كالولَدِ الصّغيرِ مع الوالِدِ، يُرَبِّيهِ الشّيْخُ بِعِلْمِهِ المُستَمَدِّ مِنَ اللهِ»[(٢)].

▪ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ**: «يَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ ألَّا يَذُمَّ أحدًا مِنْ أهلِ البيْتِ مهما حَصلَتْ منهُ أُمُورٌ مُنْكَرةٌ مِنْ ظُلْمٍ وغيرِهِ، فإنَّ هذه تكونُ كذلك في ظاهرِ حُكمِ الشَّرْعِ وإلَّا في الحقيقةِ ليسوا كذلك». ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ إنْ صَحَّتْ مَحَبَّةُ المرءِ للهِ ولِرَسُولِهِ؛ لأَحَبَّ أهلَ البَيْتِ، ورأى كُلَّ مَا يَصدُرُ عنهم ـ مِمَّا لَا يُوافِقُ طَبْعَهُ ولَا أغراضَهُ ـ جمالًا يَتنعّمُ بهِ. ويَزْعُمُ أنَّ النَّاسَ في حاجةٍ إلى أهلِ البَيْتِ[(٣)].

وقَدْ بَيَّنَ حقيقةَ مُرادِهِ، وأفصحَ عَنْ مذهبِهِ المُنحرفِ الذي أشارَ إليه هنا؛ حيثُ **زَعَمَ أنَّ بعضَ الأولياءِ يُسْقِطُ اللهُ تَعَالَى عنهُمُ المؤاخذةَ في فعلِ المُحرّماتِ التي حُرِّمَتْ على غَيْرِهِمْ**، ولكنْ إنْ ظهرَ منهُ مَا يُوجِبُ حَدًّا أقامَهُ عليهِ عُلَماءُ الرُّسُومِ وأهلُ الفتوى؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَى إنَّمَا أسقطَ عنهُ المؤاخذةَ في الآخرةِ، ولَمْ يُسْقِطْ عنهُ الحدَّ في الدُّنيا. واستدلَّ قائلًا: «فإنَّهُ قالَ في أهلِ بدرٍ مَا قَدْ ثَبَتَ مِنْ إباحةِ الأفعالِ[(٤)] لَهمْ... **فالذي يُقِيمُ عليهِ الحدَّ؛ مَأجورٌ، وهو نفسُهُ [أيِ: المحدودَ] غيرُ مَأثومٍ، كالحلَّاجِ**

---

(١) المصدر السابق (ص: ٩٤).

(٢) «عوارف المعارف» للسهروردي (ص: ٩٦).

(٣) «الفتوحات المكية» (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٤) يُريدُ قولَهُ ﷺ: «**لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فقالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البخاريّ» ـ واللفظ لهُ، كتاب الجهاد والسّير، بَابُ الجَاسُوسِ (الفتح ٦/ ١٤٣ رقم: ٣٠٠٧) و«صحيح مُسْلِم»، كتاب فَضَائِلِ الصحابةِ، بَابُ مِن فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ... (٤/ ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ رقم: ٢٤٩٤/ ١٦١).

ومَنْ جرَى مَجراهُ»[1].

هذا هو **التَّصَوُّف**، وهذا مَا يُرِيدُهُ أربابُ هذا الدِّينِ المُنحرفِ؛ خروجٌ عَنْ حُدودِ الأمرِ والنّهي، وفعلُ المُحرّماتِ، واستباحةٌ مُطلقةٌ للحُرُمَاتِ باسم الوِلايَةِ والعِصْمَةِ والكرامةِ، قَبَّحَهُمُ اللهُ وأخزَاهُمْ. ثُمَّ حَثُّوا المُريدينَ والأتباعَ ـ مِمَّن قَدْ يَكتشفونَ تلك الجرائمَ ـ على السّتْرِ والكتمانِ على الشّيوخِ المزعومينَ. وهذا لَا شَكَّ هو الإفسادُ في دِينِ اللهِ، وبَثُّ الفوضَى في حياةِ النَّاسِ ومُجتمعاتِهِمْ.

▪ ويقولُ **ابنُ خلدونَ** ـ في ذكرهِ الشروطَ التي بِهَا يَتوصّلُ المُريدُ، ويَتمكنُ مِنْ مُجاهدةِ الكشفِ والاطلاعِ، حيثُ يَحصُلُ لهُ العِلْمُ الإلهاميُّ الذي يَحصلُ بالتّصفيَةِ بِزَعْمِهِ ـ يقولُ: «الشّرطُ الثّالثُ: الاقتداءُ بشَيْخٍ سَالِكٍ قَدْ خَبَرَ المجاهداتِ، وقطعَ طريقَ اللهِ وارتفعَ لهُ الحجابُ.. فإذا ظفرَ بالشّيْخِ فلْيُقَلِّدْهُ أَمرَهُ، ولْيَهْتَدِ بأقوالِهِ وأفعالِهِ، **ويَتَمَسَّكْ بهِ تَمسُّكَ الأعمَى على شاطئِ البحرِ بقائدِهِ، ويُلْقِ نفسَهُ بَيْنَ يديهِ كالميّتِ بَيْنَ يدي الغاسلِ، ويَعْلَمْ أنَّ نَفْعَهُ في خطأِ شيخهِ؛ أكثرُ مِنْ نَفْعِهِ في صوابِ نفسهِ**»[2].

▪ ويقولُ **ابنُ عَجيبةَ**: «على المُريدينَ تصديقُ الشيوخِ في كُلِّ مَا نطقوا بهِ؛ إِذْ هُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ، فهم على قَدَمِهِمْ، فللأنبياءِ وَحْيُ الأحكامِ، وللأولياءِ وَحْيُ الإلهامِ؛ لأنَّ القُلوبَ إذا صَفَتْ عَنِ الأكدارِ والأغيارِ ومُلِئَتْ بالأنوارِ والأسرارِ، لَا يَتجلّى فيها إلَّا الحقُّ. فإذا نطقوا بشيءٍ مِنْ وَعْدٍ أو وَعِيدٍ يَجِبُ على المُريدِ تَصديقُهُ، فإذا دَخَلَهُ تشكيكٌ أو تَرديدٌ فيما وعَدَهُ اللهُ على لسانِ نَبِيِّهِ أو شيخهِ قَدَحَ ذلك في نُورِ بَصيرتهِ»[3].

---

(١) «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٧٠)، وقَدْ تَبنّى هذه الفكرةَ الخبيثةَ مِنَ المعاصرينَ: يُوسُفُ بنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبَهَانِيُّ، حيثُ نقلَ قولَ ابنِ عَرَبِي في «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٣٩).

(٢) «شفاء السائل لتهذيب المسائل» (ص: ٤١).

(٣) «إيقاظ أولي الهمم في شرح الحكم» (ص: ٢٦ ـ ٢٧).

▪ ويقولُ **الشَّعرانيُّ**: «فَالْزَمِ الأدبَ مع الذّاكرينَ فإنَّهُ في الحقيقةِ أدبٌ مع اللهِ فافْهَمْ، ولَا تَكنْ مِنَ الغافلينَ، فإنَّ وَبَالَ ذلك يَرجِعُ عليك في الدُّنيا والآخرةِ بالمَقْتِ والطّردِ، كما هو مُشَاهَدٌ في أهلِ الإنكارِ على الأولياءِ. وقَدْ قال التّاجُ السُّبْكيُّ: مَا رَأَينا أحدًا مُبتلىً بالإنكارِ إلَّا وكانتْ خَاتمتُهُ خَاتمةَ سُوءٍ»[(١)].

وقَدْ أكثرَ الشَّعرانيُّ ـ في كتابهِ «الطبقات» في تراجمِ شيوخِ التَّصَوُّفِ ـ مِنْ نقلِ قصصٍ وحكاياتٍ تُحذِّرُ المُنْكِرينَ والمُعترضينَ، ويَذكرُ مَا حصلَ لَهمْ مِنْ أنواعِ الأمراضِ والهلاكِ في المالِ والوَلَدِ والنّفسِ، فمِن ذلك:

ـ ما ذكرَه في ترجمةِ **أبي العَبَّاسِ المُلَثّم** أنّهُ هَدَّدَ أحدَ القُضَاةِ ـ بَعْدَ كِتابتهِ مَحضرًا بتكفيرهِ ـ بسلبِ إيمانهِ مِنْ قَلبهِ[(٢)]. ودعا على أحدِ الأُمراءِ المُنْكِرينَ على الصُّوفيَّةِ فصارَ رَقّاصًا؛ لِسُوءِ أَدَبِهِ واعتقادهِ. على حَدِّ قولِ الشَّعرانيِّ[(٣)].

ـ وفي ترجمةِ **البدويِّ** ذكرَ عَمَّنْ أنكرَ المولدَ وما فيه مِنَ الفواحشِ والمُحرّماتِ أنّهُ غُصَّ بِشَوْكَةٍ بَقِيتْ في رَقَبَتِهِ تِسعةَ أشهرٍ[(٤)].

ـ وعن **آخرَ** أنّهُ سُلِبَ القُرآنَ والعِلْمَ والإيمانَ حتَّى صارَ لَا يدري شَيئًا[(٥)].

ـ وذكرَ عَمَّنْ أنكرَ ضريحَ ابنِ عَرَبِيٍّ وجاءَ لِيَحْرِقَهُ؛ أنّهُ خُسِفَ بهِ دونَ القَبْرِ بتسعةِ أذرعٍ فغابَ في الأرضِ[(٦)].

ـ ونقلَ عَنْ شَيْخِهِ **القُرَشيِّ** قولَهُ: «مَا رأينا أحدًا قَطُّ أنكرَ على الفُقراءِ وأساءَ بِهِمُ الظَّنَّ إلَّا وماتَ على أسوأِ حالةٍ». وقوله أيضًا: «احتقارُ الفقراءِ

---

(١) «الأنوار القُدُسيَّة في بيانِ آدابِ العُبوديَّةِ»، بهامش «الطبقات» (١/ ١٢٦).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥٧).
(٣) نفس السابق (١/ ١٥٨).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).
(٦) المصدر نفسه (١/ ١٨٨).

سَببٌ لارتكابِ الرّذائلِ»[(١)]. وغير هذا مِنَ القصصِ والأكاذيبِ التي يُخوّفُ بِهَا عَامَّةَ النَّاسِ والمُريدينَ.

ويُلحظُ أنَّ **الصُّوفيَّةَ** يلجؤونَ إلى التّخويفِ والتّهديدِ بِسُوءِ العاقبةِ والخاتمةِ في الدُّنيا والآخرةِ؛ لِيَضمنوا طاعةَ الأتباعِ والمُريدينَ، ويَعتمدون على القصصِ والحكاياتِ المكذوبةِ التي يذكرونَ فيها ما أصابَ المُنْكِرينَ والمُعترضينَ على الشيوخِ مِنَ العُلَمَاءِ والقضاةِ والأُمراءِ حتَّى العوامِّ. ويُشَدِّدون في هذا الأمرِ حتَّى إنَّ مُجرَّدَ إساءةِ الظَّنِّ بِهِمْ أَو الاعتراضَ القَلبيَّ عَليهِم قَدْ يكونُ مَدْعَاةً للنّقْمَةِ والطّردِ مِنْ رحمةِ اللهِ تَعَالَى. وهُمْ في أسلوبِهِمْ هذا زادوا على **الشِّيعَةِ** في هذا البابِ.

ولعلَّ السببَ؛ أنَّ **الصُّوفيَّةَ** لَمْ يَنُصُّوا ويُصرّحوا بِأنَّ طاعةَ شُيوخِهِمْ مِنْ طاعةِ اللهِ تَعَالَى وطاعةِ رَسُولِهِ ﷺ، وأنَّ شُيوخَهُمْ والرَّسُولَ ﷺ في الطاعةِ سواءٌ وشركاءُ، ولَمْ يُصرّحوا بأنّهم معصومون كعصمةِ الأنبياءِ والرُّسُلِ كما فَعلَتِ الرَّافِضَةُ.

فَلَمّا اختلفوا عَنْ شُيوخِهِمْ مِنْ أهلِ الرَّفْضِ في التّصريحِ بجعلِ أئِمَّتِهِمْ بمنزلةِ الرَّسُولِ، وخَشَوْا أنَّ ذلك قَدْ يُؤثّرُ في مِقدارِ طاعةِ شُيوخِهِمْ، أو أنْ يَفْهَمَ بعضُ الأتباعِ أنَّ الحِفْظَ أقلُّ درجةً مِنَ العِصْمَةِ في عدمِ حصولِ الذّنبِ والخطأِ والعصيانِ؛ لجؤوا إلى هذا الأسلوبِ وهو **التّخويفُ والتّهديدُ بِسُوءِ العاقبةِ**... لِيَضْمنوا عُبوديَّةَ مُريدِيهِمْ واستسلامَهُمْ لَهمْ في جميعِ أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ وأحوالِهِمْ.



---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥٩).




(٥)
قُدُرَاتُ الأَئِمَّةِ والأَولياءِ وتَصَرُّفُهُمْ في الأكوانِ

إنَّ مِنْ أَهَمِّ مظاهرِ الغُلُوِّ الذي يَتميّزُ بِهِ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ في تَعظيمِهِمْ لِأئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ هو مَا خَصُّوهُمْ بهِ مِنْ خصائصِ الرُّبُوبِيَّةِ التي تَتمثّلُ في تَصرُّفِهِمْ في الأكوانِ وطاعةِ الأشياءِ لَهُمْ، وما وَصَفُوهُمْ بِهِ مِنْ قُدُرَاتٍ خَارقةٍ تَفوقُ القُدُراتِ البَشريَّةَ، وما زَعَمُوهُ لَهم مِنْ عِلْمِهِمْ باسمِ اللهِ الأعظمِ الذي إذا دَعَوْهُ بِهِ أجابَهُمْ وحَقَّق رَغَبَاتِهِم.

□ أوّلًا: ما جاء عِنْدَ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• عقد **أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ الرّافِضيُّ** أبوابًا أكثرَ فيها مِنَ الحكاياتِ والرّواياتِ التي تُبَيِّنُ غُلُوَّهُمْ في أئِمَّتِهِمْ وقُدُرَاتِهِم وتَصرُّفَاتِهِمْ، **فمن ذلك:**

ـ قولُهُ: «بابٌ مِنَ القُدرةِ التي أُعْطِيَ النَّبِيُّ والأئِمَّةُ مِنْ بَعدِهِ أنَّ الشّجرَ يُطيعُهُمْ بإذنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». وضَمّنَهُ أحاديث يَأمرُ الأَئِمَّةُ فيها الأشجارَ الميتةَ أنْ تَعودَ مُخَضَّرَةً مُثمرةً وتساقطُ عَليهِم مِنْ ثَمَرِه، وتفعلُ الأشجارُ جميعَ مَا تأمُرُهُمْ بهِ الأَئِمَّةُ[(١)].

ـ وقال: «**بابٌ في الأئِمَّةِ أنّهم يُحيونَ الموتَى ويُبْرِءونَ الأكْمَهَ والأبرصَ بِإذنِ اللهِ**». وضَمّنَهُ أحاديثَ على مَذهبِهِمْ وطريقتِهِمْ تُبَيِّنُ أحوالًا لبعضِ شِيعَتِهِم: كأعمَى يعودُ بصيرًا بمسحةٍ مِنَ البَاقِرِ على عَيْنَيْهِ، وآخرَ أُصِيبَ بِبياضِ مَفْرِقِ رَأْسِهِ فيمسحُ عليهِ البَاقِرُ فيبرأُ، ومَسْخِ الصَّادِقِ للطّائفينَ

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٢٧٣ ـ ٢٧٧).

حَوْلَ الكعبةِ حتَّى صاروا قِرَدَةً وخَنازيرَ، وغير ذلك[١]، وفيه حديثُ أبي حمزةَ الثُّماليِّ يقولُ لعَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ: «أسألُكَ جُعِلْتُ فداكَ! عَنْ ثلاثِ خصالٍ أَنْفِي عَنِّي التَّقِيَّةَ! قال، فقال: ذلكَ لَكَ. **قُلْتُ: أَسألُكَ عَنْ فُلانٍ وفلانٍ**[٢]؟ قال: فعلَيْهما لَعْنَةُ اللهِ بِلَعَناتِهِ كُلِّها[٣]، مَاتَا واللهِ! وهُما كَافرانِ مُشركانِ باللهِ العظيمِ. ثُمَّ قُلْتُ: الأَئِمَّةُ يُحيونَ الموتَى ويُبْرِءونَ الأكْمَهَ والأبرصَ ويَمشونَ على الماءِ؟ قال: مَا أَعطى اللهُ نَبِيًّا شَيئًا قَطُّ إلَّا وقَدْ أعطاهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وأعطاهُ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ... فقَدْ أعطاه أميرَ المؤمِنينَ... ثُمَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ كُلِّ إمامٍ إمامًا إلى يوم القِيَامَةِ، مع الزّيادةِ التي تَحْدُثُ في كُلِّ سَنَةٍ وفي كُلِّ شهرٍ.. وفي كُلِّ ساعةٍ»[٤].

هذا هو دِينُ الشِّيعَةِ، يَلْعَنُونَ سَاداتِ الأُمَّةِ وصحابةَ الرَّسُولِ ﷺ وأحبَّ النَّاسِ إليه؛ إرضاءً لحقدِهِمْ الشُّعُوبيِّ الفارسيِّ المجوسيِّ. وإيغالًا في قَبُولِهِ؛ يَجعلونَ هذا اللَّعْنَ والتّكفيرَ على لِسانِ بعضِ أهلِ البَيْتِ ـ وهُمْ منه بَراءٌ ـ لِيَرُوجَ عِنْدَ أتباعِهِمْ، ثُمَّ يَدّعونَ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأهلِ بيتهِ. وفي هذه الرّوايةِ السّابقةِ الإشارةُ إلى أنَّ مَا أُعْطَى لِلأئمَّةِ مِنَ المُعجِزاتِ والكراماتِ والقُدراتِ؛ أعظمُ مِمَّا أُعْطَى حتَّى لِـمُحَمَّدٍ ﷺ.

ـ ثُمَّ يقولُ **الصَّفَّارُ**: «بابٌ في أنَّ الأئِمَّةَ أحيوا الموتَى بإذنِ اللهِ تَعالَى». وأوردَ فيه أحاديثَ وحكاياتٍ في إحياءِ الصَّادِقِ لِطِفْلٍ مَيّتٍ، وبَقَرةٍ ميتةٍ، وإخراجِ عَلِيٍّ لميتٍ مِنْ قَبْرِهِ بَعْدَ رَكْضِهِ لِقبرهِ برجلهِ[٥]، وغيرِ ذلك

---

(١) المصدر السابق (ص: ٢٨٩ ـ ٢٩٢).
(٢) يَقصدُونَ لَعَنَهُمُ اللهُ والملائكةُ والناسُ أجمعينَ الشَّيخَيْنِ الخليفتيْنِ الطّاهرينِ: (أبا بكرٍ الصّدّيقَ وعُمَرَ الفاروقَ).
(٣) بلْ لَعَنَاتُ اللهِ تعالَى كُلُّهَا على المجرمِ الأثيمِ الذي كَذَبَ على (عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى) واخترعَ هذا الزُّورَ.
(٤) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٢٨٩ ـ ٢٩٠).
(٥) المصدر السابق (ص: ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

مِنْ هُراءِ أهلِ الرَّفْضِ؛ لِيُضاهوا بذلك إحْيَاءَ عيسَى ابنِ مَريمَ للموتَى بإذنِ اللهِ تعالَى، وهكذا لا يَتركونَ فضيلةً لِأَحَدٍ إلَّا وجعلوها لِأَئِمَّتِهم، وبل ويزيدونَ فيها لِيكونَ الأَئِمَّةُ أفضلَ على الإطلاقِ مِن غيرِهم مِنَ الخَلْقِ أجمعينَ.

ـ ويقولُ: «**بابٌ في أنَّ الأَئِمَّةَ يَزورون الموتَى، وأنَّ الموتَى يَزورونَهُمْ**»، **وفيه زِيارةُ عَلِيٍّ وأبِي بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ موتِهِ في مسجدِ قُبَاءٍ** للتَّحاكُمِ إليهِ، حيثُ قَضَى ﷺ بِزَعمِهِمْ لِعَلِيٍّ على أبِي بَكْرٍ. وفيه أيضًا عَنِ **الصَّادِقِ** أنّهُ أدخلَ قومًا مِنْ شِيعَتِهِ على أبيهِ **البَاقِرِ** فرأوْهُ بَعْدَ موتِهِ. وآخرين دخلوا على **عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ** فرأوْهُ يُخَاطِبُ الرَّسُولَ ﷺ في قَبْرِهِ فَيَرُدُّ عليهِ بِصَوْتٍ يَسمعُهُ مَنْ حَضَرَ، ويَحتَجُّ على أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ فيُحضِرُهما عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فيخرجُ، ويُقِيمُ عَليهما الحُجَّةَ، ثُمَّ يَعودُ إلى قَبْرِهِ. **والصَّادِقُ** يَخرجُ بَعْدَ موتِهِ إلى قومٍ مِنْ شِيعَتِهِ يَزُورُهُمْ[(١)].

وغير ذلك مِنَ الأكاذيبِ والافتراءاتِ التي إنْ صَحَّ وُقُوعُها؛ فلا تَعْدُوا أنْ تَكونَ خَيالاتٍ شَيْطانيَّةً. وفيه رِوايةٌ عَنْ **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** ـ فيما نسبوه إليه ـ يقولُ فيها: «**يَموتُ مَنْ ماتَ مِنّا وليس بِمَيِّتٍ، ويَبقَى مَنْ بَقِيَ منا حُجَّةً عليكم**»[(٢)].

ـ ويقولُ **الصَّفَّارُ**: «بابٌ في الأَئِمَّةِ أنّهم يَعرفون مَنْطِقَ البهائم، ويَعرفونَهُمْ ويُجيبونَهُم إذا دَعَوْهُمْ». وفيه حكاياتٌ يُخاطبُ **الأَئِمَّةُ** فيها البهائمَ والدّوابَّ وتُخاطِبُهُمْ. وذكرَ عَنِ **البَاقِرِ** أنَّ **ذِئْبًا** جاءَهُ مِنْ رَأْسِ جَبلٍ حتَّى انتهى إليه، فمَدَّ عُنقَهُ إلى أُذُنِ البَاقِرِ يُسِرُّ إليه، ثُمَّ قال لهُ البَاقِرُ: «**امْضِ فقَدْ فَعَلْتُ**»، فرجعَ مُهَرولًا. ثُمَّ سَألهُ أصحابُهُ فقال: «إنّهُ قال لي: يا ابنَ رَسُولِ اللهِ! إنَّ زَوجتي في ذلك الجبلِ وقَدْ تَعَسّرَ عليها وِلَادَتُها، فَادْعُ اللهَ أنْ

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٢٩٤ ـ ٣٠٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٩٥).

يُخلِّصَها، ولَا يُسلِّط أحدًا مِنْ نَسْلِي على أحدٍ مِنْ شِيعتِكَ. قلتُ: قَدْ فَعَلْتُ»[١].

فهنيئًا للرَّافِضَةِ ولْتَأْمَنْ مِن افتراسِ الذِّئَابِ والوُحوشِ بِمثْلِ هذه الرّواياتِ.

ـ ويقولُ **الصَّفَّارُ**: «باب الأَئِمَّةِ أنّهم يَعرفون منطقَ المسوخ ويعرفونهم». وفيه عَنِ **الصَّادِقِ** أنَّ الوَزَغَ رِجْسٌ ومَسْخٌ ويَأْمرُ مَنْ قَتَلَهُ أنْ يَغْتَسِلَ. وفيه أَنَّ **البَاقِرَ** كان جالسًا مع رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِهِ يذكرونَ عُثْمَانَ فإذا وَزَغٌ قَدْ قرقرَ مِنْ فوقِ الحايطِ، فقال أبو جعفر: «أتدري مَا يقولُ؟ قلتُ: لَا. قال: يقولُ: لَتَكُفَّنَّ عَنْ ذِكْرِ عُثْمَانَ [أيْ: سَبِّهِ] أو لأَسُبَّنَّ عَلِيًّا»[٢].

يَعنون لعنَهمُ اللهُ تعالَى: أنَّ الوَزغَ مَسْخٌ مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، أو أنّه كان مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ثُمَّ مَسَخَهُ اللهُ تَعالَى. هذا هو دِينُ أهلِ الرَّفْضِ، وهذه هي عُقولُهُمْ ومُستوى تفكيرِهِمْ.

ـ ويقولُ **الصَّفَّارُ**: «بابٌ في الأئِمَّةِ أنّهم أُعْطُوا خزائنَ الأرضِ». ذكرَ في هذا البابِ رواياتٍ عَنْ **عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه، **والبَاقِرِ، والرِّضَا** في إخراجِهِمُ الجواهرَ والدّراهمَ والذَّهَبَ مِنْ باطنِ الأرضِ[٣]. وروى فيه بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قال: «**لنا خَزائنُ الأرضِ ومَفاتيحُها**، ولَوْ شِئْتُ أنْ أقولَ بإحدى رجليّ أخرجي مَا فيك مِنَ الذّهبِ لأَخْرَجَتْهُ، فقالَ بإحدى رِجليهِ فخطَّها في الأرضِ خطًّا؛ فانفجرتِ الأرضُ، ثُمَّ قال بيدِهِ فأخرجَ سبيكةَ ذهبٍ قَدْرَ شِبْرٍ فتناولَها فقال: أُنْظُروا فيها حسا حسنًا لَا تشكّوا، ثُمَّ قال: انظروا في الأرضِ، فإذا سبائكُ كثيرةٌ بعضُها على بعضٍ يتلألأُ»[٤].

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٣٧١).
(٢) المصدر السابق (ص: ٣٧٣ ـ ٣٧٤).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٣٩٤ ـ ٣٩٦).
(٤) «بصائر الدرجات» (ص: ٣٩٤)، ورواهُ بلفظهِ مُفيدُهم مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ في كتابهِ «الاختصاص» (ص: ٢٦٩).

ـ ويقولُ **الصَّفَّارُ**: «**باب مَا أُعطي الأَئِمَّةُ مِنَ القُدرةِ أنْ يَسيروا في الأرض**». وفيه رواياتٌ كثيرةٌ عَنْ **سَيْرِ الأَئِمَّةِ** في الأرضِ مِنْ مَشرقِها إلى مَغربِها في لَيْلةٍ وفي سَاعةٍ. وفيه عَنْ **الصَّادِقِ** أنَّ الإمامَ يَقدِرُ «أنْ يَسيرَ في صباح واحدٍ مَسيرةَ سَنَةٍ يَقطعُ اثْنَيْ عَشَرَ شَمسًا واثْنَيْ عَشَرَ قَمرًا واثْنَيْ عَشَرَ مَشرقًا واثْنَيْ عَشَرَ مَغربًا، واثْنَيْ عَشَرَ بَرًّا واثْنَيْ عَشَرَ بَحرًا، واثْنَيْ عَشَرَ عَالَمًا»(١). وعنهُ أيضًا قولُهُ: «يسيرُ في ساعةٍ مِنَ النّهارِ مسيرةَ شمس سنة حتَّى يَقطعَ اثْنَيْ عَشَرَ ألف مثلَ عالَمكم هذا»(٢). وعَنِ **الصَّادِقِ** أيضا قولَه: «إنَّ الأوصياءَ لَتُطْوَى لَهُمُ الأرضُ، ويَعلمون مَا عِنْدَ أصحابِهِمْ»(٣).

في ساعةٍ مِنْ نهارٍ يقطعُ اثْنَيْ عَشَرَ ألفَ عالَم، وفي نهارٍ كاملٍ يقطعُ اثْنَيْ عَشَرَ عالَم. ومثلُ هذا الخَلْطِ سائغٌ في دِينِ الرَّفْضِ. هكذا كُلُّ شَيْءٍ في الخَلْقِ والكونِ عِنْدَهُمْ يَتكوّنُ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ على عَدَدِ أئِمَّتِهِمْ يُريدونَ تأكيدَ هذا العَدَدِ، وإجراءَهُ على كُلِّ شَيْءٍ.

ـ ويقولُ **الصَّفَّارُ**: «بابٌ في الأئِمَّةِ أنّهم يُسَيِّرون في الأرضِ مَنْ شاءوا مِنْ أصحابِهِمْ بِقُدْرةِ اللهِ التي أعطاهُمْ». وفيه رواياتٌ تُبيِّنُ أنَّ **الأئِمَّةَ** قَدْ مَكَّنوا بعضَ أصحابِهِمْ مِنَ السّيرِ في الأرضِ، ومِنْ رُؤْيَةِ الحوْضِ وآنِيَتِهِ، وحُورِ الجَنَّةِ، وشَجرِها، ومِنَ الشُّربِ مِنَ الحوضِ، ومِنَ السَّيْرِ في مَلكوتِ السمٰواتِ والأرضِ، وبُلوغِ الظُّلْمَةِ التي سَلَكها ذُو القَرْنَيْنِ، وعَيْنِ الحياةِ التي شَرِبَ منها الخَضِرُ، وغيرِ ذلك مِنْ غرائبِ الخلْقِ فيما زَعموا(٤).

ـ ويقولُ **الصَّفَّارُ**: «**بابٌ في قُدرةِ الأَئِمَّةِ وما أُعطوا مِنْ ذلك**»، وفيه روايةٌ بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** فيما نَسَبَهُ إليهِ يقولُ: «إنَّ الدُّنيا تُمَثَّلُ للإمامِ في فَلقةِ الجوْزِ، فما تَعرّضَ لشيءٍ منها، وأنّهُ لَيَتناولُها مِنْ أطرافِها كما يَتناولُ

---

(١) «بصائر الدرجات» (ص: ٤٢١). (٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٣) المصدر نفسه (ص: ٤١٨). ورواه أيضًا مُفيدُهُمْ في كتابهِ «الاختصاص» (ص: ٣١٥ ـ ٣١٦).
(٤) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٤٢٢ ـ ٤٣٧).

أحدُكُمْ مِنْ فَوقِ مائدتهِ مَا يشاءُ، مَا يَعْزُبُ عنهُ منها شَيْءٌ»[(١)].

• وأوردَ **مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ شيخُ الشِّيعَةِ ومُفيدُهُمْ** رواياتٍ مُسندةً إلى الأئِمَّةِ في قُدْرَتِهِمْ وتَصرُّفِهم في الأكوانِ، منها مَا نَسَبَهُ إلى الصادق الذي ذكر عَنْ **عَلِيٍّ** رضي الله عنه قولَهُ: «**لَوْ شِئْتُ لَرَفَعْتُ رِجْلي هذه، فضَرَبْتُ بِهَا صَدْرَ [مُعاويةَ] ابنِ أبِي سُفْيَانَ بالشّامِ، فَنَكَسْتُهُ عَنْ سَريرِهِ**»[(٢)].

وَحُقَّ لنا أنْ نتساءَلَ ـ بناءً على صِحَّةِ هذه الرّوايةِ عِنْدَكُمْ ـ: لماذا لَمْ يَضْرِبْ عَلِيٌّ مُعَاوِيَةَ ضَرْبَةَ مَوْتٍ على الرَّغْمِ مِنِ اجتهادهِ ومُقاتلتِهِ في الحُروبِ التي جَرَتْ بينهما؟

لماذا لَمْ يَسْعَ ـ وهو الوَصِيُّ كما تَزعُمونَ المُكَلَّفُ بإقامةِ المِلَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ـ في قَتْلِ مُعَاوِيَةَ بهذهِ القُدْرةِ الخَاصَّةِ وهذا السِّلاحِ الخارقِ؛ لِيَحْسِمَ الأمرَ ويُقِيمَ دِينَ اللهِ في الأرضِ، بدلًا مِنْ إراقَةِ دِمَاءِ الآلافِ مِنْ شِيعتِهِ، وإيجادِ الأراملِ والثَّكالَى، وإشاعةِ الخرابِ والدّمارِ في دِيارِ الإسلامِ، وإضاعةِ مالِ المُسلمينَ على هذه الحُروبِ؟

تُرَى لماذا لَمْ يَفعَلْ؛ هل قَصَّرَ وخالفَ أمرَ رَبِّهِ، أم أنَّ هذا السّلاحَ الخارقَ مِنْ أَوْهَامِ الكَذَبَةِ الفَجَرةِ الذين ابتكَرُوا هذه الأكاذيبَ، أَم ماذا يا أهلَ الدَّجَلِ؟

والأدْهَى والأمرُّ: أنَّ **أوّلَ الأوصياءِ** المَعْصُومينَ وأحدُ الذين أُوتوا هذه الصِّفاتِ الخارقةَ ـ كما في هذه المرويّاتِ ـ وهو **عَلِيٌّ** رضي الله عنه يُقْتَلُ على يَدِ أحدِ أتباعهِ وأشياعهِ السّابقينَ قبلَ أنْ يُثَبِّتَ أمرَ خلافتهِ، فأينَ هذه القُدراتُ وأينَ هذه العِصْمَةُ؟!

أليسَ مِنَ المُفترضِ على **قَانونِ اللُّطْفِ** الذي أَلْزَمْتُمْ بهِ الرَّبَّ ـ تعَالَى

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٤٢٨). ورواها أيضًا المُفيدُ في «الاختصاص» (ص: ٢١٧).
(٢) «الاختصاص» (ص: ٢١٢ ـ ٢١٣).

عَمَّا تَصِفُونَ ـ أنْ يُحْفَظَ **أوّلَ الأوصياءِ** مِنْ كُلِّ شَرٍّ وأذًى حتَّى يقومَ بأمرِ الدّعوةِ ومصالحِ العبادِ ويُرسِّخَ دَوْلَةَ الأوصياءِ، فأينَ اللُّطْفُ؟ أليسَ مَنْ قَتَلَ عَلِيًّا ﵁ وجماعتُهُ **النّواصِبُ** أَوْلَى باللَّعْنِ والسَّبِّ مِنْ صَحَابةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الّذينَ جاهدوا بِكُلِّ غَالٍ ونَفِيسٍ **مِنْ نفسٍ ومَالٍ ووَلَدٍ وبَلَدٍ وعَشيرةٍ** في سبيلِ نصرةِ اللهِ ودِينهِ حتَّى شَهِدَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﷻ ورَضِيَ عَنْهم هو ورسُولُهُ ﷺ، فأينَ العَقلُ، وأينَ الإنصافُ؟ أَمْ أنَّ **الغَضْبةَ الفارسيّةَ واليهوديّةَ** تَأْبَى إلَّا النَّيْلَ مِنَ الرَّسُولِ العَرَبِيِّ ﷺ وأتباعِهِ ودِينهِم؛ عِقابًا وثَأْرًا لامتثالِهم أمرَ رَبِّهم بِجهادِكُمْ لإِخرَاجِكُمْ مِنْ عبادةِ النَّارِ والأَوْثانِ والشِّركِ إلى دِينِ الإسلامِ؟!

ـ وروَى **المفيدُ** أيضًا بإسنادِهِ إلى **عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ** ﵁ فيما نَسَبَهُ إليه قال: «أَتيتُ **فَاطِمَةَ** فقلتُ لها: أينَ بَعْلُكِ؟ فقالتْ: **عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إلى السّماءِ**. فقلتُ: في ماذا؟ فقالتْ: إنَّ نَفَرًا مِنَ الملائكةِ تشاجروا، فسألوا حَكَمًا مِنَ الآدميينَ، فأوحى اللهُ إليهم: أنْ تَخيّروا. فاختاروا عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ»[(١)].

وَحُقَّ لنا أيضًا أنْ نتساءَلَ: هل كان هذا **المعراجُ** في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ أم بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ وكيف يَتشاجَرُ الملائكةُ؟ وفيما؟ وهُمُ المَعْصومونَ! وكيف يَحتكِمُونَ إلى غيرِ الرَّبِّ الحَكمِ العَدْلِ وهم في ملكوتِهِ الأعلَى، تباركَ وتعالَى وتَقدّسَ وتنزَّهَ عن هذا الإلحادِ.

كُلُّ هذه القُدراتِ والتّصرفاتِ التي نَسبوها لأَئِمَّتِهِمْ، وأنّهم يتمتّعونَ بها كلٌّ منهم في زَمَنِهِ وعَهْدِهِ؛ لماذا لَمْ يستعملوا شَيئًا منها في إحقاقِ الحقِّ المسلوبِ، وإظهارِ العَدْلِ المزعومِ، وإقامةِ دَوْلَتِهِمْ وحُكومتِهِمْ، وحفظِ دِماءِ الأُمّةِ شيعةً وسُنَّةً، والتّغَلُّبِ على الكفارِ وفتحِ أمصارِهم ليدخُلوا في دِينِ اللهِ تَعالَى بدلًا مِنَ الجهادِ ومشاقّهِ؟

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٢١٣).

لقد أتعبوا عَلِيًّا والأَئِمَّةَ بهذه الخصائصِ المكذوبةِ، وحتَّى جِبْرِيلَ عليه السلام.

ثُمَّ عقدَ النُّعْمَانُ فصلًا في غرائبِ أحوالِ الأَئِمَّةِ وأفعالِهِمْ، ضَمّنهُ العديدَ مِنَ الرّواياتِ والعجائبِ مِنْ أحوالِ الأَئِمَّةِ وأقوالِهِمْ وتصرُّفَاتِهم(١)، **وفيه**: عَنِ **الصَّادِقِ** أنَّ الرَّعْدَ والبَرْقَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ(٢). وعن **عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ** أنّهُ دخلَ في أربعةَ عشرَ عَالَمًا كلُّ عَالَمٍ أكبرُ مِنَ الدُّنيا ثلاثَ مرّاتٍ(٣). وعن **الصَّادِقِ** قولَهُ: «إنَّ المؤمنَ إذا قال لهذه الجبالِ: أَقْبلي؛ أَقْبَلَتْ. **فإذا الجبالُ أَقْبَلَتْ، فقال لها: على رِسْلِكِ، إنّي لَمْ أُرِدْكِ**»(٤).

وقَدْ مَرَّ في مرويّاتِ **أبي جَعْفَرٍ الصَّفَّارِ** المتقدمةِ أنَّ العَوالِمَ التي دَخلَها الأَئِمَّةُ **اثْنَا عَشَرَ عَالَمًا**، وفي مَرويّاتِ **مُفيدِهِمُ النُّعْمَانِ** أنَّها **أربعةَ عشرَ عَالَمًا**، وقَدْ روى أيضًا مثلَ رواياتِ **الصَّفَّارِ** وَعَدَّ العَوالِمَ **اثْنَيْ عَشَرَ عَالَمًا، واثْنَيْ عَشَرَ ألفَ عَالَمٍ**. كُلُّ هذا؛ ولَا يَتنبّهونَ إلى **التَّناقُضِ والاختلافِ** الواقعِ في رواياتِهِمْ ومَذهبِهِمْ ودِينِهِمْ؛ لأنَّ عُقولَهُمْ تَقبَلُ كُلَّ شَيْءٍ.

• وروى شيخُ طائفتِهم مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الطُّوسِيُّ بإسنادِهِ إلى البَاقِرِ قال: «لمّا خرجَ أميرُ المؤمِنينَ إلى النّهروانِ، وطَعنوا في أرضِ بابلَ حينَ دخلَ وَقْتُ العصرِ، فلَمْ يَقطعوها حتَّى غَابتِ الشّمسُ، فنزلَ النَّاسُ يَميناً وشِمالًا يُصَلُّونَ إلَّا الأَشْتَرَ فإنَّهُ قال: لَا أُصلّي حتَّى أَرى أميرَ المؤمِنينَ قَدْ نزلَ يُصَلِّي، فَلَمّا نزلَ [عَلِيٌّ] قال: يا مَالِكُ! إنَّ هذه أرضٌ سَبِخَةٌ لَا تَحِلُّ الصّلاةُ فيها فَمَنْ كان صَلَّى فَلْيُعِدِ الصّلاةَ. ثُمَّ قال: **استقبلَ [عَلِيٌّ] القِبْلَةَ فتكلَّمَ بثلاثِ كلماتٍ مَا هُنَّ بالعربيَّةِ ولَا بالفارسيَّةِ، فإذا هو بالشّمسِ بيضاءَ نَقِيّةً، حتَّى إذا صلَّى بنا** سَمِعْنا **لها حين انقضتْ جريرًا**

(١) «بصائر الدرجات» (ص: ٣٢٠ ـ ٣٢٧).
(٢) المصدر السابق (ص: ٣٢٧).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٣٢٠).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٣٢٥).

كجريرِ المنشارِ»[(١)].

• ويقولُ إمامُهُمُ **الخُمَيْنِيُّ**: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَيَّدَ أنبياءَهُ وأولياءَهُ بالمُعجِزاتِ والكراماتِ، وهي فروعُ إظهارِ الرُّبُوبيَّةِ، والقُدرةِ والسّلطنةِ، والوِلايَةِ في العَوالِمِ العاليَةِ والسّافلةِ». ولكنهم رغْم جعلِ اللهِ هذه الرُّبُوبيَّةِ في أَيْدِيهِمْ؛ إلَّا أنّهم يَأبوْنَ إظهارَها إلَّا عِنْدَ الضّرورةِ وذلك «لِقُوَّةِ سُلوكِهِمْ، وطَهارةِ نُفوسِهِمْ، وعَدمِ ظُهورِهِمْ بالرُّبُوبيَّةِ التي هي شَأْنُ الرّبِّ المُطْلَقِ مع أنَّ هيولي عَالَمِ الإمكانِ مُسخَّرَةً تحتَ يَدَي الوَلِيِّ يُقَلِّبُها كَيف يشاءُ». ثُمَّ يَستدلُّ على كُفْرِهِ هذا بِمَا نَسَبَهُ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ فيما يرويهِ عَنْ رَبِّهِ مُخاطِبًا أهلَ الجَنَّةِ: «**مِنَ الحَيِّ القَيُّومِ الذي لَا يَموتُ إلى الحَيِّ القَيُّومِ الذي لَا يَموتُ، أَمَّا بَعْدُ؛ فإنّي أقولُ للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ، وقَدْ جَعلْتُكَ تقولُ للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ**». فقالَ ﷺ: «**فلا يقولُ أحدٌ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ للشَّيْءِ: كُنْ؛ إلَّا ويكونُ**»[(٢)].

- ويقولُ **الخُمَيْنِيُّ** أيضًا: «إنَّ العَالَمَ بجميعِ أجزائهِ وجُزئيّاتهِ مِنَ القُوى العلامة والعمالة للوليِّ الكاملِ»[(٣)].

- ويقولُ في (**تعريفِ الوَلِيِّ**) مَا نَصُّهُ: «**فإنَّ الوِلايَةَ هي القُرْبُ أَوِ المحبوبيَّةُ، أَوِ التصرفُ، أَوِ الرُّبُوبِيَّةُ، أَوِ النيابةُ**»[(٤)].

- ويقولُ أيضًا: «**إنَّ للإمامِ مقامًا محمودًا، ودرجةً ساميَةً، وخلافةً تكوينيّةً تخضعُ لولايتِها وسيطرتِها جميعُ ذَرّاتِ هذا الكونِ**»[(٥)].

- ويقولُ أيضًا: «إنَّ الحقَّ تَعَالَى يُنْفِذُ إرادةَ صاحبِ هذا القَلبِ في العَوالِمِ الغيبيَّةِ، ويجعلُهُ مثلًا أعلَى لِنفْسِهِ. فكما أنّهُ تَعَالَى وتقدّسَ يُوجِدُ كُلَّ

(١) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (٢/ ٢٨٤).
(٢) «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» (ص: ٩٠ ـ ٩٢).
(٣) «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» (ص: ١٣٠). كذا النّصّ في المصدر.
(٤) المصدر السابق (ص: ٥٧).
(٥) «الحكومة الإسلامية» (ص: ٥٢).

مَا أَرادَ بمُجَرّدِ الإرادةِ؛ يَجعلُ إرادةَ هذا العبدِ أيضًا كذلك. كما رواه بعضُ أهلِ المعرفةِ عَنِ النَّبيِّ». ثُمَّ ذكرَ النّصَّ المنسوبَ إليه ﷺ والمذكورَ آنفًا(١).

كانتِ النُّقولُ السّابقةُ خاصّةً بغُلُوِّ الشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ في أئِمَّتِهمُ المزعومةِ.

□ أمَّا الصُّوفيَّةُ فقَدْ فَاقُوا أَساتذَتَهم الرَّافِضَةَ في هذا البابِ، فمِن ذلك:

• قولُ **أبي طَالِبِ المَكِّيُّ**: «قالَ بَعضُ العُلَماءِ: **مَنْ طَوَى أربعينَ يومًا مِنَ الطّعامِ؛ ظَهرتْ لهُ قُدْرَةٌ مِنَ الملكوتِ**»(٢). ونسبَ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ قولَهُ: «**البَسوا الصُّوفَ، وشمّروا، وكُلُوا في أنصافِ البطونِ؛ تدخلوا في ملكوتِ السماءِ**»(٣). ونسبَ إلى **عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ قولَهُ: «أجيعوا أكبادَكم، واعروا أجسادَكم؛ لعلَّ قُلوبَكم ترى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ»(٤).

إنَّ **الصُّوفيَّةَ** تَتطلّعُ دائمًا إلى التَّمَكُّنِ مِنَ القُدراتِ الخارقةِ، والخروجِ عَنْ مُستوى البشريَّةِ والدُّخولِ في عَالَمِ المَلكوتِ، ويجعلون ذلك أَسمَى أهدافِهِمْ، وغايةَ خَلْقِهِمْ وإيجادِهِمْ. ويَسلُكون في سبيلِ بُلوغِ غَايتِهمْ كُلَّ مَسلكٍ، مهما خالفَ شرعَ اللهِ تَعالَى، وابتعدَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فـ**أبو طَالِبِ المَكِّيُّ** يَجعلُ مِنَ الجُوعِ سَبيلًا لِبُلوغِ هَدَفِ المُتَصَوِّفَةِ في الدّخولِ في الملكوتِ، والخُروجِ عَنِ الغايةِ التي خَلَقَهُمُ اللهُ تَعالَى مِنْ أجلِها وهي العُبوديَّةُ والطاعةُ، والدُّخولِ في خَصائصِ وصِفاتِ الرُّبُوبِيَّةِ مِنْ تَصرُّفٍ وقُدُراتٍ في الكَوْنِ.

ولتأكيدِ عبادةِ الجُوعِ وإنّها مِنْ أعظمِ الطّاعاتِ؛ يقولُ **أبو طَالِبٍ**:

---

(١) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٧٢).
(٢) «قوت القُلوب» (٢/ ١٦٦).
(٣) **حديثٌ ضعيف**؛ تقدم تخريجُهُ في (ص: ١٣٥).
(٤) «قوت القُلوب» (٢/ ١٦٧).

«رُوِّينا في حديثِ أُسامةَ بنِ زيدٍ وأبي يَزِيدَ الطّويلِ: **إنَّ أقربَ النَّاسِ مِنَ اللهِ ﷻ يومَ القِيَامَةِ مَنْ طالَ جُوعُهُ وعَطَشُهُ وحُزْنُهُ في الدُّنيا**»[(١)][(٢)].

ونسبَ إلى **عَائِشَةَ** ﵂ قولَها: «إنَّ أَوّلَ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ الشِّبَعُ»[(٣)].

• وذكرَ **أبو نُعَيْم الأَصْبَهانِيُّ** في ترجمةِ **إبراهيمَ بنِ أدهمَ** أنّهُ قَطَفَ الرُّطَبَ مِنْ شَجرِ البلوطِ وأمرَ بمائدةٍ لإفطارِهِ فنزلتْ مِنَ السماءِ. وروى عنهُ بإسنادِهِ إليه قوله: «لَوْ أنَّ وَلِيًّا مِنْ أولياءِ اللهِ قالَ للجبلِ زُلْ؛ لزَالَ. قال: **فتحرَّكَ الجبلُ مِنْ تحتهِ، فضرَبَهُ برجلِهِ فقال: اسْكُنْ، وإنّما ضَربتُكَ مَثَلًا لأصحابي**»[(٤)]. وذكرَ عَنْ **إبراهيمَ الهرويِّ** ـ وهو مِنْ أصحابِ ابنِ أدهمَ ومِنْ أقرانِ أبي يَزِيدَ ـ قولَهُ: «**لَوْ أَقْسَمْتُ على اللهِ أنْ يجعلَ هذا الشّجَرَ ذَهَبًا؛ لجعَلَهُ**»[(٥)].

▪ وروى **القُشَيْرِيُّ** بإسنادِهِ إلى **أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ** قال: «كان بعبادانَ رجلٌ أسودُ فقيرٌ يأوي إلى الخراباتِ، فَحَمَلْتُ شَيئًا وطَلبْتُهُ، فَلَمّا وَقَعتْ عَيْنُهُ عَلَيَّ تَبسّمَ، وأشارَ إلى الأرضِ، **فرأيتُ الأرضَ كُلَّها ذَهَبًا يَلمعُ**»[(٦)].

ـ وذَكَرَ عَنِ **الفُضيلِ بنِ عياضٍ** أنّهُ كانَ على جبلٍ مِنْ جبالِ مِنًى، فقال: «لَوْ أنَّ وَلِيًّا مِنْ أولياءِ اللهِ تَعالَى أمرَ هذا الجبلَ أنْ يَمِيدَ؛ لَمَادَ. **قال: فتحرّكَ الجبلُ، فقال: اسْكُنْ، لَمْ أُرِدْكَ بهذا. فسَكَنَ الجبلُ**»[(٧)].

---

(١) **حديثٌ موضوعٌ**: ذكرَهُ الغزاليُّ في «الإحياء، كتاب كسر الشهوتين» مُعلَّقًا عن أُسامةَ بن زَيْدٍ وأبي هُرَيْرَةَ [وليس أبي يَزِيدَ] مُختصرًا، وقال العراقيُّ في (تخريج الإحياء ٣/ ٧٩): «.. رواه ابنُ الجوزيِّ في (الموضوعات) وفيه حَيّانُ بنُ عبدِ الله بنِ جبلةَ أَحَدُ الكذّابينَ، وفيه مَنْ لا يُعرفُ، وهو مُنقطِعٌ أيضًا..».اهـ.

(٢) «قوت القُلوب» (٢/ ١٦٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٨).

(٤) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٨/ ٣ ـ ٤).

(٥) المصدر السابق (١٠/ ٤٣).
(٦) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٦٧٥).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٦٨٧).

ـ وذكرَ عَنْ **أبِي جَعْفَرٍ الأعورِ** قال: «كنتُ عِنْدَ ذي النّونِ المِصْرِيِّ، فتذاكرْنا حديثَ طَاعةِ الأشياءِ للأولياءِ، فقال ذو النونِ: مِنَ الطاعةِ أنْ أقولَ لهذا السّريرِ يَدورُ في أَرَبعِ زوايا البيتِ، ثُمَّ يَرجِعُ مَكانَهُ فيفعلُ. قال: فدارَ السّريرُ... وعادَ إلى مكانِهِ، وكان هناك شَابٌّ، فأخذَ يَبكي حتَّى ماتَ في الوقتِ»[(١)].

ـ وذكرَ عَنْ **إبراهيمَ بنِ أدهمَ** أنّهُ كان يَعملُ في بُستانٍ، فأخذهُ النّومُ، فنامَ، فإذا حَيَّةٌ عظيمةٌ في فِيِّها طاقةُ نَرجسَ تروحهُ بِهَا[(٢)].

ـ وذكرَ عَنْ بعضِهم أنّه مَشَى على الماءِ[(٣)].

ـ وعَنِ **الجُنَيْدِ** أنّهُ قالَ عَنْ فقيرٍ ـ يعني: عن صُوفيٍّ ـ قال لأسطوانةٍ وأمرَها أنْ يَتحوّلَ نِصْفُها إلى ذَهَبٍ، ونِصْفُها الآخرُ إلى فِضّةٍ، فكانت[(٤)].

ـ وعن **عَبدِ الواحدِ بن زيدٍ** أنه أخذَ حصًى مِنَ الأرضِ فصارتْ في يدهِ ذهبًا[(٥)].

ـ وأوردَ غيرَ ذلك مِنَ الرّواياتِ الكثيرةِ في هذا المَعنَى. وقال في آخرِ هذه الرّواياتِ المزعومةِ مَا نَصُّهُ: «واعْلَمْ أنَّ الحكاياتِ في هذا البابِ تَربو على الحَصْرِ»[(٦)].

■ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ**: «ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ رجالَ اللهِ على أربعِ مراتبَ: رِجَالٌ لَهُمُ الظّاهرُ، ورجالٌ لَهُمُ الباطنُ، ورجالٌ لَهُمُ الحَدُّ، ورجالٌ لَهُمُ المطلعُ... **فرجالُ الظاهرِ: هُمُ الذين لهَمُ التَّصرُّفُ في عَالَمِ المُلْك والشهادةِ**» ثُمَّ يذكرَ أنَّ شيخَهُ أبا السعودِ بنَ الشبلِ البغداديَّ مِنْ رِجَالِ هذه الطبقةِ، وأنّهُ أُعطيَ التّصرُّفَ مُنْذُ خمسَ عشرةَ سنةً، ولكنه تَركَهُ حيثُ يقولُ:

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٨).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٩).
(٣) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٦٩٠).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٩٠).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٩).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧١٣).

«**نحنُ تَركنا الحقَّ يَتصرّفُ لنا**». ويُعَلِّقُ ابنُ عَرَبِيٍّ أنّهُ امتثلَ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٩]؛ أَيْ أن شَيْخَهُ اتّخذَ اللهَ تَعَالَى وَكِيلًا عنهُ يتصرَّفُ لهُ في عَالَمِ المُلْكِ والشهادةِ. تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

- ثُمَّ يقول: «**وأمَّا رجالُ الباطنِ: فَهُمُ الذين لَهمُ التَّصرُّفُ في عَالَمِ الغيبِ والملكوتِ، وأمَّا رجالُ الحَدِّ: فهُمُ الذين لَهمُ التصرفُ في عَالَمِ الأرواحِ النّاريَّةِ عَالَمِ البرزخِ والجبروتِ وأمَّا رجالُ المطلعِ: فهُمُ الذين لَهمُ التصرفُ في الأسماءِ الإلٰهيَّةِ**»[(١)].

ويقولُ مُوضِّحًا حالَ شيخهِ **أبي السعودِ** أنّهُ تركَ التّصرُّفَ؛ لأنّهُ رَضِيَ باللهِ وَكِيلًا، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطبَهُ في سِرِّهِ: «مَنِ اتّخذني وَكِيلًا فقَدْ وَلَّانِي، ومَنْ وَلَّاني فلَهُ مُطالبتي، وعَلَيَّ إقامةُ الحسابِ فيما وَلَّاني». ثُمَّ يُعَلِّقُ: «**فانعكسَ الأمرُ، وتَبَدَّلَتِ المَراتِبُ**»[(٢)]. هذه عَقيدَتُهُمْ وهذا دِينُهُمْ، كُفْرٌ وزَنْدَقَةٌ وجُرْأَةٌ على اللهِ تَعَالَى.

- ويقولُ في تأويلِ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ قولَ: «بسمِ اللهِ» للعبدِ في التكوينِ؛ بمنزلةِ قولِ الحقِّ «كُنْ»، فبِبِسمِ اللهِ يَتكوّنُ عَنْ بعضِ النَّاسِ مَا شاءوا. واستشهدَ بقولِ **الحلَّاجِ** إمامِهِ وقُدْوتِهِ وحُجّتهِ: «**بسمِ اللهِ مِنَ العبدِ؛ بمنزلةِ كُنْ مِنَ الحقِّ**». ولهذا تُشيرُ الحكماءُ بأنَّ الغايةَ المطلوبةَ للعبدِ؛ التّشَبُّهُ بالإلٰهِ. وتقولُ الصُّوفيَّةُ: إنَّ الغايةَ؛ التَّخلُّقُ بالأسماءِ. فاختلفتِ العباراتُ وتوَحّدَ المَعنَى»[(٣)].

هكذا يُفْصِحُ بِكُلِّ وقاحةٍ عَنْ غَايتِهِمُ التي يَنشدُونها وهي بُلُوغُهُمْ مَرتبةَ الرُّبُوبِيَّةِ، والخروجُ عَنْ مَنازلِ العُبوديَّةِ التي خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لها.

---

(١) «الفتوحات المكية» (١/ ١٨٧ ـ ١٨٨). (٢) «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

ـ ويقولُ مُوَضِّحًا هذا الكُفْرَ: «الباب الأحدُ والستون وثلاثمائة في معرفةِ **منزلةِ الاشتراكِ مع الحقِّ في التّقديرِ**». ثُمَّ يقولُ: «لَمْ يَرِدْ في مَخلوقٍ أنّهُ أُعطي **(كُنْ)** سِوَى الإنسانِ خَاصَّةً، فظهرَ ذلك في وَقْتِ النَّبيِّ في غَزْوةِ تَبوكَ فقال: «**كُنْ أبا ذَرٍّ**»؛ فكان. ووَرَدَ الخبرُ في أهلِ الجَنَّةِ أنَّ المَلَكَ يأتي إليهم بكتابٍ فيه: «**مِنَ الحَيِّ القَيُّومِ الذي لَا يَموتُ**»[(١)]... الحديثَ»[(٢)].

هكذا يُحرّفونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ، فيستشهد بقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**كُنْ أبا ذَرٍّ**» على أنّهُ خَلْقٌ وتقديرٌ، وأنّهُ مِنْ بابِ الاشتراكِ مع الحقِّ ـ أي: ربِّ العالمينَ ـ في التّقديرِ.

ويَعلَمُ أهلُ الإيمانِ أنَّ قولَ الرَّسُولِ ﷺ لَا يَعْدُو كَوْنَهُ رَجاءً وطَلبًا مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَلكنَّ **الصُّوفيَّةَ** هذا دَأْبُهُمْ ومَنهَجُهُمْ في إثباتِ دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ وفَسادِهِمْ، **ويتّضِحُ بهذا التّوافقُ بَيْنَ مَذهبِ الصُّوفيَّةِ والشِّيعَةِ** كما نَقلَهُ عنهُمُ **الخُمَيْنِيُّ** فيما تقدم[(٣)].

ـ ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** أيضًا كاشفًا عَنْ زَندقَتِهِ وإلْحادِهِ: «**والعارفُ يَخلُقُ بالهِمّةِ مَا يكونُ لهُ وُجُودٌ مِنْ خارجِ مَحَلِّ الهِمّةِ ولكن لَا تَزالُ الهِمّةُ تَحفظُهُ**.. فمتى طَرأَ على العارفِ غَفلةٌ عَنْ حفظِ مَا خَلَقَ؛ عُدِمَ ذلك المخلوقُ». ثُمَّ يَقولُ: «وقَدْ **أوضحتُ هنا سِرًّا** لَمْ يَزلْ أهلُ اللهِ يَغارون على مثلِ هذا أنْ يَظهرَ لِما فيه مِنْ رَدِّ دَعْواهُمْ أنّهُمُ الحقُّ، فإنَّ الحقَّ لَا يَغْفلُ والعبْدُ لَا بُدَّ لهُ أنْ يَغْفَلَ عَنْ شَيْءٍ دونَ شَيْءٍ. فمِن حيثُ الحِفْظُ لِما خَلَقَ؛ لهُ أنْ يقولَ: «أنا الحقُّ»، ولكن مَا حفظهُ لهُ حفظ الحقّ، وقَدْ بيّنا الفرقَ. ومن حيثُ مَا غفلَ... فقَدْ تميّزَ العبدُ مِنَ الحقِّ... **وهذه مسألةٌ أُخْبِرْتُ أنّهُ مَا سَطَّرَها أحدٌ** في كِتابٍ لَا أنا ولَا غيري إلَّا في هذا الكتابِ، **فهي يَتيمةُ**

(١) حديثُ: «مِنَ الحَيِّ القَيُّومِ...»؛ **حديثٌ مَوضوعٌ**، والحديث تقدم (ص: ٥١٤).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٣٩٥).
(٣) انظر: (ص: ٥١٤، وما بعدها).

الدَّهْرِ وفَريدَتُهُ، فإيّاكَ أنْ تغفلَ عنها.. ولَا يَعرِفُ مَا قُلْنَاهُ إلَّا مَنْ كان قُرآنًا في نفسهِ، فإنَّ المُتّقي يَجعلُ اللهُ لهُ فُرقانًا، وهو مثلُ مَا ذكرناه في هذه المسألةِ فيما يَتميّزُ بهِ العبدُ مِنَ الرَّبِّ وهذا أرفعُ فُرْقَانٍ. [ثُمَّ أنشدَ]:

«فوقتًا يكونُ العبدُ ربًّا بِلَا شك ووَقتًا يكونُ العبدُ عبدًا بِلَا إفك
فإنْ كان عبدًا كان بالحقِّ واسعًا وإنْ كان ربًّا كان في عيشةٍ ضنك
فمن كونه عبدًا يرى عينَ نفسه وتتسع الآمال منهُ بِلَا شك
ومن كونه ربًّا يرى الخلق كله يطالبه مِنْ حضرة المُلْك والمَلْك
ويعجز عَمَّا طالبوه بذاته لذا ترى بعضَ العارفين يبكي»(١)

هذا الذي ما زالَ **الصُّوفيَّةُ** يُقَدِّسُونَهُ ويُعظِّمونهُ، ويُلقِّبونَهُ بالشّيْخِ الأكبرِ وغيرِ ذلك مِنْ أَلْقَابِ التّبجيلِ، ولَمْ يَتْرُكْ مِنْ أثَرٍ أو عِلْمٍ سِوَى الكُفْرِ والإلْحَادِ وهراءِ الصُّوفيَّةِ ودعاواهم، فهو يَزْعُمُ أنّهُ أوضح هنا سِرًّا، وهو في حقيقتهِ كفرٌ. ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ الصُّوفيَّةَ تَغَارُ على هذا السِّرِّ لكونهِ يُبْطِلُ دَعواهُمْ أنّهُمُ الحقُّ، **لأنّهُ بزَعْمِهِ كَشَفَ عَنْ فَرْقٍ بَيْنَ الخَلْقِ وبَيْنَ الحقِّ**(٢). وما كَشَفَهُ وبَيَّنَهُ هو الفارقُ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ، وما عَلِموا فَرْقًا سِوَى ذلك، قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى. وكما هو دَأْبُهُمْ؛ يَصِفُ ضَلالَهُ بأوصافٍ وكلماتٍ لها بَريقٌ لِيُزَيِّنَ بِهَا الباطلَ، ويُرَوِّجَ بِهَا دِينَهُ وكُفْرَهُ فيزعمُ أنَّها يَتيمةُ الدَّهْرِ، وهي عَيْنُ الكُفْرِ والضّلالِ والعياذُ باللهِ تَعَالَى.

▪ وأمَّا **الشَّعرانيُّ**؛ فقَدْ أكثرَ مِنْ ذكرِ حكاياتِ تَصرّفِ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ، ووَصَفَهُمْ بأنّهم أصحابُ التّصريفِ في «طبقاتهِ» التي ملأَها بالظُّلمِ والظُّلماتِ:

---

(١) «فصوص الحكم»، فص حكمة حقية في كلمة إسحاقية، «شرح الفصوص» (ص: ٩٩ ـ ١٠٣).

(٢) والفرقُ هو: أنَّ الحقَّ تَعالَى لا يَغفلُ عن حفظِ مَا خَلَقَ، وأمَّا الوليُّ فقَدْ يَغفلُ عَمَّا خَلَقَ، فيموتُ المخلوقُ وينعدمُ لتلك الغفلةِ بزعمهِ.

- فذكرَ عَنْ **عُثْمَانَ بنِ مَرزوقٍ القُرشيِّ** تَصرُّفَهُ بماءِ النِّيلِ نَقْصًا وزِيادةً[١]، وانتقالَهُ مِنْ مِصْرَ إلى مَكّةَ، ثُمَّ إلى المدينةِ، ثُمَّ إلى القُدْسِ، ثُمَّ عَوْدَتَهُ إلى مِصْرَ، وقَدْ رَافقَهُ خَادِمُهُ في هذه الأسفارِ التي لَمْ تَزِدْ على بعضِ ساعاتٍ مِنَ اللّيلِ[٢]. وذكرَ أنّهُ كان يَتْفُلُ في أَفْوَاهِ مُريديهِ، والتَّفْلَةُ الواحدةُ كانت بمثابةِ دَوْرةٍ في اللُّغاتِ، فالأعجميُّ يَتكلَّمُ العربِيَّةَ وكأنّها لُغَتُهُ، ثُمَّ بِتَفْلَةٍ أُخْرَى يَرجِعُ كما كان إلى لُغَتِهِ[٣].

- وذكرَ عَنْ **حياةِ بنِ قيسٍ الحرّانيِّ** أنّهُ «صَاحِبُ الفتحِ السَّنِيِّ والكشفِ الجليِّ، **وهو أحدُ الأربعةِ الذين يتصرّفون في قُبُورِهِمْ بأرضِ العراقِ**»[٤].

- وفي ترجمةِ **شيخهِ وسَيِّدِهِ مُحَمَّد وفا الشّاذليِّ** قال إنّهُ كان يَقولُ: «العارفُ يَتلَوَّنُ في اليومِ والليلةِ مائةَ مَرّةٍ، والعابدُ يُقِيمُ على حالةٍ واحدةٍ كذا وكذا سنة، وذلك **لأنَّ العارفَ مائلٌ إلى دائرةِ التّصريفِ، والعابدُ مَائِلٌ إلى دَائرةِ التّكليفِ**»[٥].

- وذكرَ عَنْ **سَيِّدِهِ عبدِ العزيزِ الدرينيِّ أنّهُ أحيا فَرْخَةً ذُبِحَتْ** وطُبِخَتْ وقُدِّمَتْ لهُ، فأحياها بقولِهِ: «هش»؛ لأنَّ زوجةَ مضيفهِ تشوشتْ على الفرخةِ[٦].

- وفي ترجمة **سَيِّدِهِ يُوسُفَ العجميِّ الكورانيِّ** ذكرَ أنّهُ أمرَ مَملوكًا عندَهُ أنْ يَقولَ للأسطوانةِ: «كوني ذَهَبًا»، **فصارتْ ذهبًا**[٧].

- وفي ترجمةِ **سَيِّدِهِ أبي بَكْرٍ الدقدوسيِّ** قال: «**إنّهُ مِنْ أصحابِ**

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥١).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٥١).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٥٢).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٥٣).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٠١).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٢٠٣).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ٦٦).

التّصريفِ النّافِذِ، وكانتِ الأعيانُ تُقْلَبُ لهُ». وذكرَ أنّهُ كان يَقترِضُ الأموالَ، فإذا طلبَها أصحابُها يَعُدُّ لَهمْ مِنَ الحصَى بقدرِ الدَّيْنِ ويُرْسِلُها إلى أصحابِ الدُّيونِ، فتنقَلِبُ دَنانيرَ وذَهَبًا»[1].

ـ وذكرَ عَنْ **سَيِّدِهِ وشَيْخِهِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ الفَرغلِ** قال: «كانَ مِنَ الرجالِ المتمكّنينَ أصحابِ التّصريفِ». وذكرَ أنَّ امرأةً اشتهتِ الجوزَ الهنديَّ، فقال للنّقيبِ: «أُدْخُلِ الْخَلْوَةَ» فوجدَ شجرةَ جوزٍ فقطعَ منها. وذكرَ أنَّ تمساحًا خَطَفَ طِفْلةً، فقال للنّقيبِ: «اذهبْ إلى مَكَانِهِ ونَادِ: يا تمساحُ! كَلِّم الفَرغلَ»، **فخرجَ التّمساحُ مِنَ البحرِ كالمركبِ يمشي**، والخَلْقُ بَيْنَ يَديهِ يَمينًا وشمالًا إلى أنْ وَقَفَ على بابِ الدَّارِ فأمرَ الشّيْخُ الحدّادَ أنْ يَقْلَعَ أسنانَهُ وأمرَهُ بلفظِها مِنْ بَطْنِهِ، فَلَفِظَ البِنْتَ حِيّةً مَدهوشةً، وأخذَ على التّمساحِ العَهْدَ أنْ لَا يَعودَ يَخطِفُ أحدًا مِنْ بَلَدِهِ مَا دامَ يعيشُ، ورجعَ التّمساحُ ودُموعُهُ تَسيلُ حتّى نزلَ البحرَ. وذكرَ عنهُ أنّهُ كان يَقولُ: «**كثيرًا مَا كنتُ أمشي بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى تحتَ العرشِ، وقال لي كذا، وقلتُ لهُ كذا**»[2].

إذنْ فليهنأِ **الصُّوفِيَّةُ** وأتباعُهُمْ ولْيَطْمَئِنّوا؛ فَلَنْ تَبتلِعَهُمُ التّماسيحُ ببركةِ شُيوخِهِمْ كما وقعَ لإخوانِهِمُ الرَّافِضَةِ مِنْ عَدَمِ افتراسِ الذِّئَابِ لهم ببركةِ أَئِمّتِهِمْ[3].

ـ وذَكرَ في ترجمةِ **سَيِّدِهِ إبراهيمَ المتبوليِّ** أنّهُ: «كانَ مِنْ أصحابِ الدّوائرِ الكُبرى في الوِلايَةِ ولَمْ يَكُنْ لهُ شيخٌ إلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ»[4]. وقال: إنّهُ «رأى يومًا شَخصًا كثيرَ العبادةِ والأعمالِ الصّالحةِ، فقال لهُ: يا وَلَدي! ما لي أراكَ كثيرَ العِبادةِ، ناقصَ الدّرجةِ، لعلَّ والِدَكَ غيرُ راضٍ عنكَ.

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ١٠٥).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ١٠٤).
(٣) انظر: (ص: ٥٠٨).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٨٣).

فقال: نَعَمْ. فقال: تَعرِفُ قَبْرَهُ؟ فقال: نَعَمْ. فقال: اِذْهَبْ بِنا إلى قَبْرِهِ لعلَّهُ يرضَى. قالَ **الشّيْخُ يُوسُفُ الكرديُّ**: فواللهِ! لقَدْ رأيتُ وَالِدَهُ **خرجَ مِنَ القَبْرِ يَنفُضُ التُّرابَ عَنْ رأسِهِ حين نَاداهُ الشّيْخُ**. فَلَمّا استوى قائمًا قالَ الشّيْخُ: الفقراءُ جاءوا شافعينَ، تُطيِّبُ خَاطِرَكَ على وَلَدِكَ هذا. فقال: أُشهِدُكُمْ أنّي قَدْ رَضِيتُ عنهُ. فقال: ارْجِعْ إلى مكانِكَ، فرجعَ». وذكرَ عنهُ؛ أنّهُ كان يَقبِضُ على لِحيتِهِ ويقولُ: «يا ما تُقاسي مِصْرُ بَعْدَ هذه اللّحيةِ، أنا أَمَانٌ لها»(١).

هذا بعضُ مَا زَعَمَهُ **الشَّعرانيُّ** لشيوخِهِ وشيوخِ الصُّوفيَّةِ عَامَّةً، وبعضُ مَا ملأَ بِهِ كتابَهُ «الطبقات» الذي شَحَنَهُ بأنواعِ الغُلُوِّ في تعظيمِ التَّصَوُّفِ ورجالِهِ؛ حيثُ خَصّصَهُ لِتَراجِمِهِمْ، وذِكْرِ أحوالِهِمْ، وعُلومِهِمْ.

ولَمْ ينسَ **الشَّعرانيُّ** نفسَهُ، فقَدْ أَلّفَ كتابًا يَقَعُ في ضعفي حجمِ «**الطبقات**» خصّصَهُ لذكرِ كَراماتِهِ هو وأحوالِهِ وصُوفِيّاتِهِ وسمَّاهُ: «**لطائف المِنَن والأخلاقِ في بيانِ وُجُوبِ التّحدُّثِ بِنعمةِ اللهِ على الإطلاقِ**» أو «**المنن الكبرى الجالبة للسُّرورِ والبُشْرَى**». مُشيرًا إلى أنّهُ سَطَّرَ مَا فيه مِنْ بابِ التَّحَدُّثِ بِنعمةِ اللهِ، وأنّهُ وَاجِبٌ. وعِنْدَ ذِكْرِ كُلِّ نِعمَةٍ يقولُ: «**ومِمَّا أَنْعَمَ**» أو «**ومِمَّا مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بهِ عليَّ**»، ثُمَّ يَذكرُ مَا يَزْعُمُهُ نِعمةً أو كرامةً أو حالًا مِنْ أحوالِهِ الخاصَّةِ.

ـ ومِمَّا ذكرَهُ قولُهُ: «ومِمَّا مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بهِ عَليَّ؛ كَشْفُ الحجابِ حتَّى سمعتُ تسبيحَ الجماداتِ والحيواناتِ مِنَ البهائمِ وغيرِها... أسمعُ مَنْ يَتكلَّمُ في أطرافِ مِصْرَ، ثُمَّ اتَّسَعَ إلى قُرَاها، ثُمَّ إلى سائرِ أقاليمِ الأرضِ، ثُمَّ البحرِ المحيطِ، فَصِرْتُ أسمعُ تسبيحَ السَّمَكِ»(٢).

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (٢/ ٨٥).
(٢) «لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بِنعمةِ اللهِ علَى الإطلاق» (١/ ١٧٦).

- ويقولُ: «ومِمَّا مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بِهِ عليَّ؛ الاطِّلاعُ على بعضِ المُنَعَّمِينَ والمعذَّبينَ في قُبورِهِمْ»(١).

▪ وأمَّا **عَبدُ الكريمِ الجيليُّ**؛ فإنَّهُ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِدَاوُدَ وسُلَيْمانَ عليهما السلام، وما اخْتُصُّوا بِهِ مِنْ مُعجزاتٍ وقُدُراتٍ، قال: «**وهذا الأمرُ الذي جَعلَهُ اللهُ لِدَاوُدَ وسُلَيْمَانَ** عليهما السلام؛ **غيرُ مَحصورٍ فيهما ولَا مَقصورٌ عليهما**، وإنّما هو أَمرٌ عَامٌّ في جميعِ الخُلَفاءِ أعني: الخلافةَ الكُبرى. وما اختُصّ دَاوُدُ وسُلَيْمَانُ إلَّا بظهورِ ذلك، والتّحدي بهِ، وإلَّا فكُلُّ واحدٍ مِنَ الأفرادِ والأقطابِ **لهُ التَّصرُّفُ في جميعِ المملكةِ الوُجُوديَّةِ**، ويَعْلَمُ كُلُّ واحدٍ منهم مَا اختلجَ في الليلِ والنهارِ، فضلًا عَنْ لُغَاتِ الطيورِ. وقَدْ قال **الشِّبْليُّ**: لَوْ دَبّتْ نَملةٌ سوداءُ على صَخْرةٍ صمّاءَ في ليلةٍ ظلماءَ ولَمْ أسمَعْها؛ لقلتُ إني مَخدوعٌ أو ممكورٌ بِي. وقال غيرُهُ: لَا أقولُ ولَمْ أشعرْ بِهَا؛ لأنّهُ لَا يَتهيّأُ لها أنْ تَدُبَّ إلَّا بِقُوَّتِي وأنا مُحرِّكُها، فكيف أقولُ: لَا أشعرُ بِهَا وأنا مُحرّكُها؟»(٢).

الحاصلُ؛ أنَّ الصُّوفيَّةَ رُبَّمَا فاقوا الشِّيعَةَ فيما أضافوه إلى شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ وأساطِينهم مِنَ القُدُراتِ والتَّصرُّفاتِ الخارقةِ للعادةِ.

اسمُ اللّهِ الأعظم بينَ الشّيعةِ والصُّوفيَّةِ

وإنَّ مِمَّا يُناسِبُ هذا البابَ؛ ذِكْرُ ما اتّفقَ عليهِ **الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ**، أَلَا وهو: **مَعْرِفَةُ اسمِ اللهِ الأعظم**، تلك **المعرفةُ** التي جعلوا منها أُسطورةً خَياليَّةً، تُوافِقُ مَناهِجَهُمْ وأساليبَهُمْ ودَعاوَاهُمْ في بابِ الكراماتِ والفضائلِ.

(١) «لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمةِ اللهِ علَى الإطلاق» (١/ ٨٢).
(٢) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (١/ ١٢٢).

□ أوّلًا: ذكرُ ما يَتعلّقُ بالرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• يقولُ **الْكُلَيْنِيُّ الرَّافِضِيُّ**: «**باب مَا أُعطِيَ الأَئِمَّةُ مِنَ اسمِ اللهِ الأعظمِ**». وساقَ فيهِ بإسنادِهِ روايةً عَنِ **البَاقِرِ** يقولُ فيها: «إِنَّ اسمَ اللهِ الأعظمَ على ثلاثةٍ وسبعينَ حرفًا، **وإنما كان عند آصف منها حرف واحد ونحنُ عندَنا مِنَ الاسمِ الأعظمِ، اثنانِ وسبعونَ حرفًا**، وحرفٌ واحدٌ عِنْدَ اللهِ تَعالَى استأثرَ بهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِندَهُ»[(١)]. وروَى بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قال: «إِنَّ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ أُعْطِيَ حَرْفينِ... وأُعطي مُوسَى أربعةَ أَحْرُفٍ، وأُعطي إبراهيمُ ثمانيةَ أحرفٍ، وأُعطي نوحٌ خمسةَ عشرَ حرفًا، وأُعْطِيَ آدمُ خمسةً وعشرينَ حَرْفًا... وأُعطي مُحَمَّدٌ اثنينِ وسبعينِ **حرفًا**»[(٢)].

• وروى **الكَشِّيُّ** بإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ** في حديثِ ارْتِدَادِ الصَّحابَةِ المشهورِ في دِينِ أهلِ الرَّفْضِ قال: «إِنَّ عِنْدَ أميرِ المؤمنينَ اسمَ اللهِ الأعظمَ، لَوْ تكَلَّمَ بهِ لأخذَتْهُمُ الأرضُ»[(٣)]. وروى أيضًا بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قال: «سَلْمانُ عَلِمَ الاسمَ الأعظمَ»[(٤)].

فالرَّافِضَةُ تَزعُمُ أَنَّ اللهَ تَعالَى مَكَّنَ عَلِيًّا مِنْ إقامةِ الحقِّ وإظهارِهِ ودَحْرِ الباطلِ وأهلِهِ بِزَعمِهِمْ، ثُمَّ هو لَمْ يَفْعَلْ. وقد زَعَموا فيما سبقَ **أنّهُ** أُوتِيَ القُدرةَ أنْ يَقولَ برجلِهِ هكذا ـ وهو في الكُوفَةِ ـ فيضربُ بِهَا صَدْرَ **مُعَاوِيَةَ** ويُسقِطُهُ مِنْ على سَريرِهِ وهو بالشَّامِ. وههنا يَزْعُمُونَ أنّهُ عَلِمَ الاسمَ الذي لَوْ تكَلَّمَ بهِ؛ لأَخَذَتِ الأرضُ أَعداءَهُ بِزَعْمِ أهلِ الرَّفْضِ. فاللهُ تَعالَى مَكَّنَهُ وآتاهُ القُوّةَ التي تُمَكِّنُهُ مِنْ إظهارِ دِينِهِ الحقِّ، ثُمَّ هو لَمْ يَفعلْ. إنَّ هذا لَوْ صَحَّ يا أهلَ الرَّفْضِ! لكان طَعْنًا في عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وتَواطؤًا منهُ في عَدَمِ إقامةِ دِينِكُمُ المزعومِ والموصوفِ عِندَكُمْ بأنّهُ الحقُّ والدِّينُ الذي أرادَهُ اللهُ تَعالَى.

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٣٠).
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ١١).
(٤) المصدر السابق (ص: ١٣).

• ويقولُ **الخُمَيْنِيُّ**: «اِعْلَمْ ـ هَداكَ اللهُ إلى الاسم الأعظم وعَلّمكَ مَا لَمْ تكنْ تَعْلَمُ ـ أنَّ للهِ تَبارَكَ وتَعالَى اسمًا أعظمَ، إذا دُعِيَ بهِ عَنْ مَغالقِ أبوابِ السماءِ للفتح بالرّحمةِ؛ اِنفَتَحتْ. وإذا دُعِيَ بهِ على مَضايقِ أبوابِ الأرضِ للفرجِ؛ انْفَرَجتْ»[1]. ثُمَّ ذكرَ مَا رواهُ الْكُلَيْنِيُّ عَنِ البَاقِرِ والصَّادِقِ كما تقدم قَبْلَ صحيفةٍ.

□ ثانيًا: ذكرُ ما يَتعلّقُ بالصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:

فكما ادَّعَتِ الرَّافِضَةُ مَعرفةَ أئِمَّتِهِمْ وغيرِهِمْ باسم اللهِ الأعظمِ على هذا النّحوِ المزعومِ؛ فقَدِ ادَّعَتِ الصُّوفيَّةُ ذلك لمشايخِها وأوليائِها:

▪ فذكرَ **أبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ** عَنْ **إبراهيمَ بنِ أدهمَ**؛ «أنّهُ الْتَقَى برجلٍ أثناءَ سِياحتهِ بَيْنَ الكُوفَةِ ومَكّةَ، وصَحِبَهُ مُدّةً، ورأى مِنْ كراماتهِ وعجائبهِ مَا رأى». ثُمَّ ذكرَ أنّهُ عَلّمَهُ اسمَ اللهِ الأعظمَ، فسألَهُ شيخٌ: وما هو؟ فقال إبراهيمُ: إنّهُ لَكبيرٌ في قَلبي أنْ أُنْطِقَ بهِ لساني، فإنّي سَألتُ اللهَ مَرّةً، وإذا برجلٍ يَحجُزُني، فقال: سَلْ تُعْطَهْ. فَرَاعَنِي ذلك، وفَزِعْتُ منهُ فَزَعًا شَديدًا، فقال: لَا بأسَ، ولَا رَوْعَ، أنا أَخوكَ الخَضِرُ. فقال: إنَّ أخي دَاوُدَ عَلَّمَكَ اسمَ اللهِ الأعظَمَ». ودَاوُدُ هو البلخيُّ، وَصَفَهُ أبو نُعَيْمٍ بأنّهُ مِنْ مُتقدِّمي شُيوخِ المَشْرِقِ[2].

ـ وروى **أبو نُعَيْم** بإسنادِهِ إلى **يُوسُفَ بنِ الحُسَيْنِ** أنه قال: «بلغني أنَّ ذا النون يَعْلَمُ اسمَ اللهِ الأعظمَ؛ فخرجتُ مِنْ مَكّةَ قاصدًا إليه»[3].

ـ وذكرَ عَنْ **أبي يَزِيدَ البِسْطَامِيِّ** أنّهُ كان يَعرِفُ الاسمَ الأعظمَ أيضًا[4].

(١) «شرح دعاء السحر» لِلْخُمَيْنِيِّ (ص: ٨٥).
(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠/ ٤٤ ـ ٤٥).
(٣) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩/ ٣٨٦).
(٤) المصدر السابق (١٠/ ٣٩).

▪ وذكرَ **ابنُ عَرَبِيٍّ** الاسمَ الأعظمَ، فقال: «**بالاسمِ الأعظم أَحْيَا أبو يَزِيدَ البِسْطَاميُّ نَمْلَةً، وأَحْيَا بِهِ ذو النون ابنَ المرأةِ الذي ابتلعَهُ التِّمساحُ**»[(١)].

▪ ويقولُ **الشَّعرانيُّ**: «ومِمَّا مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بهِ عليَّ؛ مَعرفتي باسمِ اللهِ الأعظم، الذي إذا دُعِيَ بهِ أجابَ... ولَا يَطّلِعُ أحدٌ عليهِ إلَّا مِنْ طريقِ الكَشْفِ»[(٢)].



(١) «الفتوحات المكية» (٣/ ٣٢٩).

(٢) «لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بِنعمةِ اللهِ علَى الإطلاق» ـ المسمَّى «بالمنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى» (٢/ ١٦٦).

(٦)
كَرامَاتُ الأَئِمَّةِ والأولياءِ ومُعْجِزَاتُهُمْ

□ أوّلًا: ما جاء عَنِ (الرَّافِضَةِ) في هذا الشَّأْنِ:

جعلَ **الرَّافِضَةُ** لِأئمَّتِهِمْ كُلَّ مَا جَعلَهُ اللهُ تَعَالَى للأنبياءِ والمُرْسَلينَ عليهم السلام. وخَصُّوهُمْ بِكُلِّ مَا خَصَّ اللهُ تَعالَى بهِ الأنبياءَ والمُرْسَلينَ مِنْ خصائصَ وأحوالٍ، بلْ زَعموا أنَّ مَنزلةَ الإمامةِ أعظمُ قدْرًا مِنْ مَنزلةِ النُّبُوّةِ والرّسالةِ. وقَدْ تقدمَ ـ في ثنايا هذه الرّسالةِ ـ ذِكرُ جُملةٍ ليستْ بالقليلةِ مِنْ مظاهرِ غُلُوِّهِم بأئِمَّتِهِمْ. **هذا؛ وقَدْ دَوَّنَ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ في كُتُبِهِمْ أبوابًا مِنَ الغُلُوِّ، منها:**

ـ **أبوابٌ** في أنَّ الأئِمَّةَ وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ، وجميعَ عِلْمِ الأنبياءِ والأوصياءِ[١].

ـ **وأبوابٌ** في كونِ الأئِمَّةِ وَرِثُوا جميعَ الكُتُبِ التي نزلتْ مِنْ عندِ اللهِ تَعَالَى، كالتّوراةِ، والإنجيلِ، والزَّبُورِ، وصُحُفِ إبراهيمَ[٢].

ـ **وأبوابٌ** في الأئِمَّةِ وما وَرِثُوهُ مِنْ سِلاحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وآياتِ الأنبياءِ مثل عَصَى مُوسَى وألواحِهِ وحَجَرِهِ، وقميصِ آدمَ، وخاتَمِ سُلَيْمَانَ والطّستِ والتّابوتِ والألواحِ، وثوبِ إبراهيمَ الذي نزلَ بهِ جِبْرِيلُ مِنَ الجَنَّةِ وأَلْبسَهُ إِيَّاهُ قُبَيْلَ إلقَائِهِ في النَّارِ لِئَلَّا تَضُرَّهُ بزَعمِهِمْ، وأنَّ ذلك كُلَّهُ يَتوارثُهُ أئِمَّتُهمْ حتَّى

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ١٣٨)، و«أصول الكافي» (١/ ٢٢٣).

(٢) البصائر (ص: ١٥٥)، الكافي (١/ ٢٢٧).

يَقومَ قائِمُهُم المزعومُ[(١)].

ـ **وأبوابٌ** في أنَّ الأعمالَ كما تُعْرَضُ على النَّبيِّ ﷺ فإنها تُعْرَضُ كذلك على أئِمَّتِهِمْ، مُستدلّينَ على دَعْوَاهُمْ بِقولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. زَاعمينَ أنَّ المرادَ **بالمؤمنينَ** في هذه الآيةِ هُم أئِمَّتُهُمُ المزعومونَ[(٢)].

ـ ولم يكتفوا بتحريفِ **معنَى** الآيةِ، بلْ حرَّفوا **المبْنَى** أيضًا على لسانِ **أبي عَبدِ اللهِ جعفرٍ الصَّادقِ** كذبًا وافتراءً، فروى **الكُلينِيُّ** بإسنادِهِ إلى أحدِ المجاهيلِ قال: «قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. فَقَالَ [أَبو عَبْدِ اللهِ]: لَيْسَ هكَذا هِيَ، إِنَّمَا هِيَ: **وَالمَأْمُونُونَ** فَنَحْنُ المَأْمُونُونَ»[(٣)].

ـ **وبَوّبَ أبو جَعْفَرٍ الصَّفَّارُ** أنَّ الأعمالَ تُعرَضُ على جميعِ الأَئِمَّةِ الأحياءِ منهم والأمواتِ[(٤)]. **وأنَّ** الإمامَ يرى مَا بَيْنَ المشرقِ والمغربِ[(٥)]. **وأنَّ** الإمامَ يُرْفَعُ لهُ في كُلِّ بَلَدٍ منارٌ يَنظرُ فيه إلى أعمالِ العبادِ[(٦)]. **وقَدْ** تقدم في هذه الرّسالةِ ذِكْرُ القُدراتِ والمُعجزاتِ التي وَصَفوا بِهَا أئِمَّتَهُمْ؛ مِنْ إحياءِ الموتى، وإبراءِ المرضَى، ومعرفتِهم مَنطقَ الطيورِ والبهائمِ والمسوخِ، وزيارتهم للموتى، ومعرفةِ أحوالِ أهلِ القُبورِ، بلْ وزيارةِ الموتى لَهمْ، حتَّى بَوّبَ **الصَّفَّارُ** في أنَّ الأئِمَّةَ عُرِضَ عَليهِم مَلكوتُ السمٰواتِ والأرضِ كما عُرِضَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ حتَّى نظروا إلى مَا فَوْقَ العرشِ[(٧)].

---

(١) البصائر (ص: ١٩٤)، الكافي (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).
(٢) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٤٤٤)، و«أصول الكافي» (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).
(٣) «أصول الكافي»، كتاب الحجة، باب فيه نُكتٌ ونتفٌ منَ التنزيلِ في الولايةِ (١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥).
(٤) «بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ٤٤٧).
(٥) المصدر السابق (ص: ٤٥٤).
(٦) المصدر نفسه (ص: ٤٥٥).
(٧) المصدر السابق (ص: ١٢٦).

الحاصلُ: أنّهم بَلَغوا الذِّرْوَةَ في غُلُوِّهِم بأئِمَّتِهِمْ حتَّى إنَّهُمْ لَمْ يتركوا شَيْئًا مِن خصائصِ وفضائلِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ وحتَّى الملائكةِ؛ إلَّا جعلوها لِأئِمَّتِهِمْ، وزادوا على ذلك بِمَا اخترعوهُ واصطنعوه لَهمْ في بابِ الفضائلِ والخصائصِ والمُعجِزاتِ.

إنَّ هذا الغُلُوَّ والكَذِبَ حملَ **الشِّيعَةَ** قاطبةً على الإيمانِ بأنَّ **الأئِمَّةَ** أعلَى مَقامًا مِنَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، وأعظمُ درجةً وأسمَى مكانةً منهم، وأنَّ مَا أُوتُوهُ مِنَ العِلْمِ والفضلِ والقُدُراتِ والمُعجِزاتِ يَفوقُ مَا أتاهُ اللهُ تَعالَى الأنبياءَ والمُرْسَلينَ عليهم السلام.

وهذا الغُلُوُّ أيضًا هو الذي جعلَ أَئِمَّةَ الرَّفْضِ يَنُصُّونَ على أنَّ أئِمَّتَهُمْ أُوتُوا المُعجِزاتِ، وتَرفّعوا عَنْ تَسميةِ مَا نسبوهُ إليهم مِنْ خَوارقِ العاداتِ بالكراماتِ؛ أيْ: أعرَضوا عَنْ تَسميةِ هذه القُدُراتِ بالكراماتِ وأَطلَقوا عليها اسمَ المُعجزاتِ، إيمانًا منهم بِأنَّ مَا خُصَّ بِهِ الأنبياءُ يَستحقُّهُ أَئِمَّتُهُمْ وزيادةً، فمِن ذلك:

• ما نَصَّ عليه **شَيخُهُمْ المُفيدُ مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** في «**كتابِهِ**» ـ الذيَ جمعَ فيه خصائصَ الأَئِمَّةِ وغرائبَ قُدُراتِهِمْ وأفعالِهِمْ وأقوالِهِمْ وأحوالِهِمْ ـ فقال مُعَنونًا: «معجزة لأميرِ المؤمِنينَ»[(١)]. وقال: «معجزة لأميرِ المؤمِنينَ في مسيرِهِ إلى كربلاءَ»[(٢)]. وقال: «معجزة لأبي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ»[(٣)]. وقال: «معجزة لعَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا»[(٤)]. وهكذا حتَّى ذكرَ أكثرَ الأَئِمَّةِ، وسمَّى مَا نَسَبَهُ إليهم مِنْ خوارقَ بالمُعجِزاتِ.

ويقولُ أيضًا ـ في بيانِ عَقائِدِهِمْ وأُصُولِهِمْ ـ: «القولُ في الإيحاءِ إلى الأئِمَّةِ وظهورِ الأعلامِ عَليهِم والمُعجِزاتِ». ثُمَّ قالَ: «إنَّ العقلَ لَا يَمنعُ مِنْ

---

(١) «الاختصاص» (ص: ٢١٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢١٩).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٢٤٦).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٢٧٠).

نُزولِ الوَحْيِ إليهم، وإنْ كانوا أَئِمَّةً غيرَ أنبياء... وأمَّا ظهورُ المُعجزاتِ على الأئِمَّةِ والأعلامِ؛ فإنَّهُ مِنَ المُمكنِ الذي ليس بواجبٍ عَقْلًا ولَا مُمتَنعٍ قياسًا، وقَدْ جاءتْ بكونهِ منهُمُ الأخبارُ على التظاهرِ والانتشارِ فَقَطَعَتْ عليهِ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ وصحيحِ الآثَارِ، ومعي في هذا البابِ جمهورُ أهلِ الإمَامِيَّةِ»[(١)]. ثُمَّ قال: «القولُ في ظُهورِ المُعجِزاتِ على المَنصُوبينَ مِنَ الخاصَّةِ والسُّفَراءِ والأبوابِ»[(٢)].

هكذا توسّعوا في إضافةِ المُعجِزاتِ حتَّى إلى مَنْ نَصَّبَهُمْ أئِمَّتُهُمُ المزعومون مِنَ السُّفراءِ والوزراءِ أثناءَ الغَيْبةِ الصُّغرى التي جعلوها لمُنْتَظَرِهِمْ حين زعموا أنّهُ اختفَى خشيةَ القتلِ على الرَّغْمِ ممَّا زَعَمُوهُ لهُ مِنَ القُدُراتِ والخوارقِ وعلى الرَّغْمِ مِنِ اعتقادِهِمْ بأنّهُ لَا يموتُ إلَّا باختيارهِ وأنّهُ يَعْلَمُ متى يَموتُ. **ثُمَّ لمَّا رأوا أنَّ الفوضى طَمَّتْ وعَمَّتْ في دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ؛ اخترعوا عقيدةَ الغَيْبَةِ الكُبْرَى لِيضعوا حَدًّا للدَّعَاوى التي كَثُرَتْ مِنَ الشِّيعَةِ**. حيثُ زَعَمَ كثيرٌ منهم أنّهُ مِنَ الأبوابِ أَوِ السُّفراءِ المزعومين. كُلُّ هذا التّناقُضُ والتّعارضُ يَجِدُهُ الباحثُ والقارئُ في كُتُبِ ومُصنّفَاتِ دينِ الشِّيعَةِ.

• ويَقولُ **عَبدُ اللهِ شُبَّر** في بيانِ عَقائِدِهِمْ وأُصُولِ مَذهبِهِمْ مَا نَصُّهُ: «**يَجِبُ الإيمانُ بِأنَّ نَبيَّنَا وآلَهُ المَعصُومينَ؛ أفضلُ مِنَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، ومِنَ المَلائكةِ المُقرّبينَ**؛ لتضافرِ الأخبارِ بذلك وتواترِها»[(٣)]. ثُمَّ ذكرَ نُصُوصًا وأخبارًا مِنَ الأكاذيبِ الموضوعةِ زَعَمَ أنَّها تؤيّدُهُ في دَعواهُ.

وذكرَ في كتابِ «**الإمامة**» شرائطَ الإمامةِ، فذكرَ الشَّرطَ الأوّلَ في مَعرفةِ وصِحّةِ الإمامِ وهو: «**العِصْمَةُ**». ثُمَّ ذكرَ الشَّرطَ السابعَ مِنْ هذهِ

(١) «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» (ص: ٧٥ ـ ٧٦).
(٢) المصدر السابق (ص: ٧٦).
(٣) «حق اليقين في معرفة أُصول الدِّينِ» (١/ ٢٠٩).

الشروطِ فقال: «أنْ تظهرَ منهُ المعاجزُ التي يَعجَزُ عنها غَيْرُهُ؛ لتكونَ دَليلًا على إمامتهِ»[(١)]. وقال تحتَ عنوان: «طريقِ معرفةِ الإمامِ» فذكرَ طُرُقًا، وقال في الثاني منها: «المُعجِز الخارق المقرون بدعوى الإمامة»[(٢)].

□ ثانيًا: ما جاء عَنِ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:

لمَّا تَمكَّنَ **الرَّافِضَةُ** مِنْ حملِ أتباعِهِمْ على الإيمانِ بأئِمَّتِهِمْ، وأنَّ لَهمْ مَا للأنبياءِ وزيادةً مِنَ اللهِ تَعَالَى في الفضائلِ والخصائصِ والمُعجِزاتِ والمكانةِ؛ لَمْ يحتاجوا أنْ يتوسّعوا في ذِكْرِ ونقلِ خَوارقِ عَاداتِهِمْ وغَرائبِ أحوالِهِم كما هو شَأْنُ أقرانِهِمُ المُتَصَوِّفَةِ.

فإنَّ أقطابَ المُتَصَوِّفَةِ لمّا حرَصوا أنْ يُظهِروا مَذهبَهُمْ ودِينَهُمْ بمَظْهَرٍ سُنِّيٍّ، ويُحافظوا على صِبْغَتِهِ السُّنِّيَّةِ المزعومةِ ومخالفتهِ لمذهبِ التَّشَيُّعِ؛ لَمْ يَجرؤوا على التّصريح بِعُلُوِّ شَأْنِ شُيوخِهِمْ ومَكانتِهِمْ على الأنبياءِ والمرسلينَ مثلَ مَا فعلَ الشِّيعَةُ بأئِمَّتِهِمْ، وإنْ كان قَدْ صَرَّحَ بِهِ بَعضُهُمْ كابنِ عَرَبِيٍّ وابنِ الفارِضِ وغيرِهِما كما تقدم[(٣)] مع إحاطتهِ بنوعٍ مِنْ رُموزِ الصُّوفيَّةِ وغُموضِهِمْ.

عِلْمًا بأنَّ واقعَ حالِ الصُّوفيَّةِ يُبرهِنُ على أنّهم يُبْطِنونَ هذه العقيدةَ الخبيثةَ، ويَتبيَّنُ ذلك مِنْ شِدَّةِ غُلُوِّهِم في طاعةِ شُيوخِهِمْ وتقديمِ أمرِهِمْ ونهيِهِمْ على أمرِ اللهِ تَعَالَى وأمرِ رَسُولِهِ ﷺ، والإذعانِ لَهمْ وتقديسِهِمْ، وغيرِ ذلك مِنْ أحوالِ التّعظيمِ والتّقديمِ، مِمَّا لَا يَفعلُهُ كثيرٌ منهم مع رَسُولِ اللهِ ﷺ ومع سُنَّتِهِ.

والصُّوفيَّةُ إنَّمَا يفعلون ذلك ويسترون حقيقةَ مَذهبِهِمْ وتوافقَهُمْ مع

---

(١) «حق اليقين في معرفة أُصول الدِّين» (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٥٧).

(٣) راجع: «أهمية الإمامِ والوَلِيِّ» (ص: ٥٠٧).

الشِّيعَةِ؛ حرصًا منهم على تضليلِ **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ**، لِقَبُولِ دِينِهِمْ وشرائِعهِم وعَقائِدِهِمْ، أو على الأقلِّ السُّكوتِ عنهم، وعَدَمِ الإنكارِ عَليهِم في مُمارسةِ طُقُوسِهِمْ وشَعائِرِهِمْ.

وهذا كُلُّهُ بلا شَكٍّ يَخدِمُ دِينَ الشِّيعَةِ والرَّفْضِ، لذلك احتاجَ **الصُّوفيَّةُ** في التَّوسّعِ في تأليفِ واختراعِ المئاتِ والآلافِ مِنَ القصصِ والحكاياتِ التي تَحْمِلُ أتباعَهُمْ على الإيمانِ بِأنَّ لشُيوخِهِمْ وأوليائِهِمْ مكانةً عظيمةً ومنزلةً لَا تُدانِيها مَنزلةٌ مِنْ حيثُ الفضائلُ والمُعجِزاتُ وطاعةُ الأشياءِ لَهمْ، وحتَّى التّصرُّفُ المباشرُ منهم في الأكوانِ والمخلوقاتِ، شَأْنُهم في ذلك شَأْنُ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، بلْ رُبَّمَا يفوقونَ عَليهِم في بعضِ الجوانبِ والخصائصِ.

إذنْ؛ فالتُّراثُ الصُّوفِيُّ يعتمدُ في مناهجِهِ على المبالغةِ في تعظيمِ الشيوخِ وإحاطتِهِمْ بقَصَصٍ خَياليَّةٍ وأساطيرَ كثيرةٍ؛ لحملِ الأتباعِ على الإذْعانِ لَهمْ وتقديسِهِمْ وتعظيمِهِمْ لدرجةِ العبادةِ. فإذا نظرَ الباحثُ في أَيِّ **كتابٍ صُوفِيٍّ** قديمًا كانَ أو حديثًا يَجِدُ ويَلْحَظُ الاعتمادَ على بابِ الكراماتِ اعتمادًا يَكادُ يكونُ كُلِّيًّا في إثباتِ ومعرفةِ الشيوخِ والأولياءِ وللدَّلَالةِ على صِحّةِ كَونِهم أولياءَ. وكلمّا كان الصُّوفِيُّ أكثرَ كرامةً واتصافًا بالخوارقِ؛ كان أعظمَ في بابِ الوِلايَةِ والقُرْبِ بِزَعمِهِمْ. هذا، وقَدْ تقدم قريبًا ذِكْرُ جُملةٍ مِنْ مَزَاعِمِ الصُّوفيَّةِ وأساطيرِهِمْ في بابِ الخوارقِ والكراماتِ، وأذكرُ هنا جُملةً أُخْرَى:

- عقدَ **السّرّاجُ الطُّوسِيُّ** في «**لُمَعِهِ**»: «كتابَ إثباتِ الآياتِ والكراماتِ»، ضَمّنهُ سبعةَ أبوابٍ في هذا الموضوعِ. وذكرَ عَنْ سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ قولَهُ: «**مَنْ زَهَدَ أربعينَ يومًا صادقًا مُخلصًا في ذلك؛ تَظهرْ لهُ الكراماتُ مِنَ اللهِ** ﷻ. ومَنْ لَمْ يَظهرْ لهُ ذلك؛ فلِمَا عَدِمَ في زُهْدِهِ مِنَ الصّدْقِ والإخلاصِ». ولمّا قِيلَ لهُ: كَيف يكونُ ذلك؟ أَيِ: الكراماتُ،

قال: «**يأخذُ مَا يشاءُ مِنْ حيثُ يشاءُ**»[(١)]. وذكرَ عَنِ **الجُنَيْدِ** قولَهُ: «مَنْ يتكلّمُ في الكراماتِ ولَا يكون لهُ مِنْ ذلك شَيْءٌ؛ مَثَلُهُ مَثَلُ مِنْ يَمضُغُ التِّبْنَ»[(٢)]. وذكرَ عَنْ **يَحْيَى بنِ معاذٍ الرازيِّ** قولَهُ: «إذا رأيتَ الرجلَ يُشيرُ إلى الآياتِ والكراماتِ فطريقُهُ طريقِ الأبدالِ»[(٣)].

على مِثْلِ هذه النُّصوصِ الصُّوفيَّةِ اعتمدَ القومُ في التّوسّعِ والاسترسالِ في بابِ الكراماتِ، وانفتحَ بابُ الدَّعوَى، فالنُّصوصُ صادرةٌ عَنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ وشُيوخِهِمْ، وهي عِنْدَهُمْ أقوى وأصَحُّ حتَّى مِنْ أحاديثِ «صحيحَي» الإمامَيْنِ البُخاريِّ ومُسْلِمٍ.

- وذكرَ **السّرّاجُ** عَنْ **سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ** أنّهُ قال لِشَابٍّ يَصحَبُهُ: «إنْ كنتَ تَخافُ مِنَ السّباعِ بَعْدَ ذلك فلا تَصْحَبْني». وزَعَمَ **السّرّاجُ** أنّهُ رأى قَصْرَ سَهْلٍ وفيه بَيْتٌ يُسَمَّى «بيت السباع»؛ لأنَّ السِّباعَ كما زَعَمَ كانت تَدخلُ عليهِ ويُضيّفُها ويُطعِمُها اللّحْمَ»[(٤)].

يَمنعُ الشَّابَّ مِنْ مُصاحبتهِ؛ لأنّهُ يَخافُ مِنَ السِّباعِ خَوفًا طَبيعيًّا، ثُمَّ يَعتزِلُ النَّاسَ لِما في مُخالطتِهِمْ مِنَ الوَحْشَةِ كما يَزْعُمُونَ، ثُمَّ يَأنسُ بالسِّباعِ والحيواناتِ، ويَفتَحُ بَيْتَهُ ويُعْلِنُ استضافتَهُ للسِّباعِ ويُطعِمُها اللُّحومَ. هذا هو دِينُ الصُّوفيَّةِ، وهذا هو مَبلغُ عَقلِهِمْ وعِلْمِهم!

- وذكرَ عَنْ **أبي عَبْدِ اللهِ الحصريِّ** قال: «**رأيتُ إنسانًا مِنَ الصُّوفيَّةِ مَكَثَ سَبْعَ سِنينَ لَمْ يَأكُلِ الخُبْزَ، ورأيتُ رَجُلًا مَكثَ سبعَ سنينَ لَمْ يَشْرَبِ الماءَ**، ورأيتُ رجُلًا إذا مَدَّ يدَهُ إلى طعامٍ فيه شُبْهةٌ جَفَّتْ»[(٥)]. لَعلَّ **الصُّوفِيَّ الأوّلَ** تركَ الخُبْزَ لِما هو أَلَذُّ وأَلْيَنُ. ولعلّ **الآخرَ** استغنَى

---

(١) «اللُّمَع» للسّرّاج (ص: ٣٩٠)، و«الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٦٧٣)، و«جامع كرامات الأولياء» (١/ ٣٣).

(٢) «اللُّمَع» (ص: ٣٩٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ٤٠٣).

(٤) المصدر نفسه (ص: ٣٩١).

(٥) «اللُّمَع» (ص: ٤٠٨).

عَنِ الماءِ بالخُمورِ وأنواعِ الشَّرابِ الأُخْرَى وإلَّا فهو كاذِبٌ؛ لأنّهُ لَا يستطيعُ أحدٌ العيشَ دونَ ماءٍ. وأمّا إنْ كان يُريدُ أنَّهما تركا الخُبْزَ والماءَ بِلَا بَديلٍ؛ فإنَّهُ مِنَ الكَذِبِ الذي تَعوَّدَهُ أهلُ التَّصَوُّفِ واستحلُّوهُ في تَرويجِ دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ.

▪ وقال **أبو بَكْرٍ الكلاباذِيُّ**: «البابُ السادسُ والعشرون: قولُهُمْ في كراماتِ الأولياءِ». ثُمَّ قال: «أجمعوا على إثباتِ كراماتِ الأولياءِ، وإنْ كانتْ تَدخلُ في بابِ المُعجِزاتِ: كالمشْيِ على الماءِ، وكلامِ البهائمِ، وطَيِّ الأرضِ، وظُهورِ الشّيءِ في غيرِ مَوضعِهِ ووَقْتِهِ، وقَدْ جاءتِ الأخبارُ بِهَا، وصَحّتِ الرّواياتُ»[1].

▪ وأمَّا **القُشَيْريُّ** فقَدْ عقدَ فصلًا طويلًا يَقعُ في نحوِ خمسينَ صَفحةً في «**رسالتِهِ**» شَحَنَهُ بذكرِ كراماتِ شُيوخِ الصُّوفيَّةِ وغرائبِ أحوالِهِمْ وقُدُراتِهِمْ، **فمِن ذلكَ**:

ـ ما ذكرَه عَنْ صُوفِيٍّ كان يَأوي إلى الخراباتِ أنه إذا أشارَ بيدِهِ هكذا تنقَلِبُ لهُ الأرضُ ذَهبًا[2]، ومنهُم مَنْ يُكَلِّمُهُ الحمارُ[3]، وآخرُ يُنادي بخُروجِ سَمَكةٍ بِوزنٍ مُعَيَّنٍ مِنَ البحرِ وإلَّا أَغرقَ نفسَهُ فتخرجُ كما أَرادَ[4]، ومنهم مَنْ يَنقَلِبُ لهُ البحرُ يَبَسًا[5]، ومنهم مَنْ تُطْوَى لهُ الأرضُ[6]، ومنهم مَنْ يمشي على الماءِ ويطيرُ في الهواءِ[7]، **ومنهم مَنْ يَضحَكُ بَعْدَ موتهِ وأثناءَ تغسيلِهِ**[8]، ومنهم مَنْ يَجلِسُ مُتربِّعًا في الهواءِ[9]، ومنهم مَنْ يُتَّهَمُ بسرقةِ جَوْهرةٍ فيأمرُ جميعَ حيتانِ البحرِ أنْ تخرجَ ومع كُلٍّ منها جَوْهرةٌ فخرجتْ

(١) «التَّعَرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصَوُّفِ» (ص: ٨٧ ـ ٨٨).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٦٧٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٧٦).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٧٦).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٦٧٨).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٦٧٨).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ٦٧٩).
(٨) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٦٨١).
(٩) المصدر السابق (٢/ ٦٨٢).

على وَجْهِ الماء كذلكَ[١]، **ومنهم مَنْ يَتّخذُ السِّباعَ دَوابًّا يَركبُها في المُدنِ والقُرَى بَيْنَ النَّاسِ، ومنهم مَنْ يأمرُها فتُطِيعُ**[٢] **وأحاديثُهُمْ عَنِ السِّباعِ كثيرةٌ، ومنهم مَنْ يرَى الخَضِرَ**[٣]، **ومنهم مَنْ يَشتهي سَمكةً مشويَّةً فإذا البحرُ يَقذِفُ سمكةً وإذا بإنسانٍ يَركُضُ يَشويها لهُ فيجلسُ ويأكلُ، ومنهم مَنْ يَموتُ في السّفينةِ فيتحَيّرُ الرُّكابُ في دَفْنِهِ فَيَجِفُّ البَحرُ لِيَحفروا لهُ قبرًا** ثُمَّ يُدْفَنُ فيه ثُمَّ يَرجِعُ البحرُ كما كان[٤].

ـ وذكرَ عَنِ **الفُضيلِ بن عياضٍ** أنّهُ كان على جبلٍ مِنْ جبالِ مِنًى فقال: «لَوْ أنَّ وَلِيًّا مِنْ أولياءِ اللهِ تَعالَى أمرَ هذا الجبلَ أنْ يَميدَ؛ لَمَادَ. قال: فتحرّكَ الجبلُ، فقال: اُسْكُنْ لَمْ أُرِدْكَ بهذا. فسَكَنَ الجبلُ»[٥].

ـ وذكرَ عَنْ **سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ** قوله: «إنَّ الذاكرَ للهِ على الحقيقةِ لَوْ هَمَّ أنْ يُحْيِيَ المَوتَى؛ لَفعَلَ». ثُمَّ ذكرَ أنّهُ مسحَ على عَليلٍ بَيْنَ يديهِ فبرِئَ وقامَ[٦].

■ وروى **أبو نُعَيْم** بإسنادِهِ إلى **الفُضيلِ بنِ عياضٍ** قال: «أمَا أنّكم لَوْ أطعتمُ اللهَ ثُمَّ شِئتُمْ أنْ تَزولَ الجبالُ مَعكم زَالتْ. ثُمَّ دَقَّ الجبلَ بيدهِ فرأينا الجبالَ أَوِ الجبلَ اهتزّتْ وتحرّكتْ»[٧].

ـ وذكرَ **أبو نُعَيم** عَنْ **أبي الخيرِ الأقطع**: أنَّ السِّباعَ والْهَوَامَّ يَأنسون بمُجَالَستهِ، ويَأوونَ إلَيهِ، ويَأنسُ هو بِهِمْ[٨]. هكذا يَهربون مِنْ واقعِهِمْ ومُجتمعاتِهِمْ ويعيشون مع الحيواناتِ والهوامِّ في أُنْسٍ ووِئَامٍ، إنْ صحَّتْ

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٣)، وانظر: «حِلْيَة الأولياءِ» (٩/ ٣٥٧)، و«كشف المحجوب» (١/ ٢٩٩).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٦٨٤).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٥).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٤).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٧).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٠٠).
(٧) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٨/ ١١٢).
(٨) المصدر السابق (١٠/ ٣٧٧).

عنهم هذه الحكاياتُ، وإلَّا فهي كَذِبٌ مِنْ بابِ الدِّعايةِ وتَرويجِ التَّصَوُّفِ لَا غيرَ.

ـ ونَقلَ نحو هذا عَنْ **إبراهيمَ بنِ أَدهمَ**، وزادَ بأنَّ السِّباعَ والحيواناتِ كانت تَفهمُ عنهُ وتَعقِلُ لُغَتَهُ[١]. وأنَّ الجِنَّ كانت تُؤْنِسُهُ، وتُعِينُهُ في أسفارِهِ وغيرِها[٢]. تمامًا مثلَ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ الذين يَزْعُمُونَ أنَّ الجِنَّ والملائكةَ تَخدِمُهُمْ وتَقضي حوائِجَهُمْ[٣]. ونَقل عنه: أنّهُ كان مع قَوم في سفينةٍ، فَعصَفَتْ بِهِمُ الرّيحُ، وأشرفوا على الغَرقِ فخافَ النَّاسُ جميعًا، ثُمَّ سَمِعوا هاتفًا بِصَوْتٍ عَالٍ يقولُ: «**تخافونَ وفيكم إبراهيمُ؟!**»[٤].

■ وصنَّفَ **الحُسَيْنُ بنُ جمالِ الدِّينِ الأنصاريُّ الخزرجيُّ** رسالةً عَدَّ فيها مشايخَ القرنِ السابعِ الهجريِّ وكراماتِهِمْ، **فمِن ذلك**:

ـ أنَّ **أبا العَبَّاسِ الحرار** كان يَجتمعُ بِالخَضِرِ[٥]، وبمُوسَى وعِيسَى عليهما السلام وحتَّى بمُحَمَّدٍ ﷺ، حيثُ رأى **الخَضِرَ** بِزَعْمِهِ وكذبه يَكتُبُ دِيوانًا يَضُمُّ أسماءَ أصحابِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ[٦]. وذكرَ أنّهُ كان يَمشي في المقابرِ وأَنَّ اللهَ تَعالَى يَكشفُ لهُ أحوالَ أهلِ القُبورِ المُنَعَّمِينَ منهم والمُعَذَّبِينَ[٧]. وأنَّ الحجارةَ كانتْ تُكَلِّمُهُ وتَسألُهُ بِاللهِ ألَّا يستنجيَ بِهَا[٨]. وذكرَ عَنِ الشَّيْخِ الوَلِيِّ العارفِ المُعَظّمِ بِزَعْمِهِ **العبّاسِ المرينيِّ**؛ أنّهُ كان عظيمَ السّياحاتِ، عظيمَ الكراماتِ وأنّهُ أقام اثنتي عشرةَ سنةً لَمْ يَحُلْ بينه وبَيْنَ السماءِ حجابٌ ولَا بينه وبَيْنَ الأرضِ، وكان لهُ صِلَةٌ بِالنَّبيِّ ﷺ يُحادِثُهُ ويُجاوِبُهُ[٩]. وزعمَ أنّهُ «**وجدَ مِنَ**

---

(١) المصدر نفسه (٧/ ٣٩٢)، (٨/ ٤). (٢) المصدر نفسه (٧/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).
(٣) «أصول الكافي» (١/ ٣٩٣، ٣٩٤ ـ ٣٩٥) و«بصائر الدرجات الكبرى» (ص: ١١٠، ١١٥).
(٤) «حِلْيَة الأولياءِ» (٨/ ٦).
(٥) «سير الأولياء في القرن السابع الهجري» (ص: ٢٤، ٢٥، ٢٩).
(٦) «سير الأولياء في القرن السابع الهجري» (ص: ٢٦).
(٧) المصدر السابق (ص: ٣٤). (٨) المصدر نفسه (ص: ٣٥ ـ ٣٦).
(٩) المصدر نفسه (ص: ٩١).

الحقِّ سُبْحانَهُ إِذْنًا بالاجتماعِ فمشَى إلى أنِ اجتمعَ بهِ»[١] .

ويقولُ الخبيثُ: «**مشَى**»، مُقَرِّرًا عَقيدتَهُ الخبيثةَ بأَنَّ اللهَ تَعالَى في كُلِّ مَكانٍ، ثُمَّ كأَنَّ اللهَ تَعالَى كانَ مُحتاجًا للاجتماعِ والتَّشَاوُرِ. تَعالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ ويعتقدونَ فيهِ عُلُوًّا عظيمًا.

ـ وذكرَ حكايةً عَنْ **شَيْخ** صَحِبَ **العباسَ المرينيَّ** في سياحةٍ لهُ قال: «فَغِبْتُ عنهُ وهو نَائِمٌ فجئْتُ إليه وإذا أَجِدُ حَيَّةً عظيمةً قَدْ تَطوّقتْ على حَلْقِهِ، ففتحَ العباسُ عَيْنَهُ فرآها، ثُمَّ نامَ إلى أنْ سَمِعْتُ غَطيطَهُ، فسمعتُ مُخاطبةً مِنَ السماءِ: لَقَدْ عَجِبَتْ مَلائكةُ السّماءِ مِنْ تَوكُّلِكَ. ثُمَّ تَحلَّلَتْ عنهُ وانصرفتْ»[٢] .

يُريدُ أنَّ الملائكةَ لَمْ تَبْلُغْ ولَمْ تَرَ مِثْلَ تَوكُّلِهِ المزعومِ.

ـ ثُمَّ قال: «جلسَ يومًا على قَرْنِ جبلٍ... فوجدَ حالَهُ وقَدْ رَمَى بنفسهِ مِنْ قَرنِ الجبلِ فنزلَ في البحرِ إلى أنْ وَصَلَ إلى قَرارهِ، فخرجَتْ لهُ مِنْ قَرنِ الجبلِ يَدٌ رَفَعَتْهُ إلى مكانهِ ثُمَّ قِيلَ لهُ مُخاطبةً مِنَ الجبلِ: لِمَ تُجرِّبُ نَفْسَكَ؟ لقَدْ جَرَّبْناكَ فوجدْناكَ صَادقًا»[٣] .

يَرْمِي بنفسهِ مِنْ أعلَى الجبلِ تَوكُّلًا على اللهِ، هذا هو التَّوَكُّلُ في دينِ الصُّوفيَّةِ، وكُلُّ شَيْءٍ يُخاطبُهُمْ: السّماءُ والجبالُ والحَجَرُ والدَّوابُّ، وكلٌّ منهم يَفهمُ عنِ الآخرِ.

هذا؛ وقَدْ أكثرَ الحُسَيْنُ بنُ جمالِ الدِّينِ في «رسالته» مِنْ ذِكْرِ الغرائبِ والطّرائفِ باسمِ الكراماتِ، فذكرَ عَنْ بعضِ شُيوخِهِمْ أنَّ شيخَهُ أدخلَهُ ثلاثمائةً وستّينَ عَالَمًا غَيْرَ عَوالِمِ السّمٰواتِ والأرضِ[٤] . كما زَعَمَتْهُ الرَّافِضَةُ

---

(١) المصدر نفسه (ص: ٩٢). (٢) المصدر نفسه (ص: ٩٤).
(٣) «سير الأولياء في القرن السابع الهجري» (ص: ٩٤).
(٤) المصدر السابق (ص: ٧٣).

لأئِمَّتِها تمامًا كما تقدم عنهم قريبًا[١].

وذكرَ عن شَيْخٍ آخرَ أنّهُ أحيا فِراخًا مَشويَّةً قُدِّمَتْ لهُ لِيَأكُلَها[٢]، وعن آخرَ كان يُضْرَبُ بالسّيوفِ الحادّةِ العظيمةِ فلا يَحِسُّ ولَا تُؤثِّرُ فيه[٣]، ومنهم مَنْ لَا ينامُ إلَّا في أرضٍ يَكثُرُ فيها الثّعابينُ والعقاربُ تَوكُّلًا على اللهِ بِزَعْمِهِمْ[٤]، ومنهم مَنْ أقامَ عشرَ سنينَ مَا شَرِبَ الماءَ أبدًا[٥]، ومنهم مَنْ يَأمرُ بِالنَّارِ العظيمةِ فتُوقَدُ ثُمَّ يَدخلُها ويُقِيمُ فيها ثُمَّ يخرجُ منها بَاردًا سَالِمًا، كُلُّ ذلك باسمِ التَّوَكُّلِ جُرْأَةً منهم على اللهِ تَعَالَى[٦]، ومنهم مَنْ لَا يَضْطَجِعُ ولَا يَجلِسُ ليلًا ولَا نهارًا ويَدورُ في الصّحاري والجبالِ[٧] سِياحةً للهِ بِزَعْمِهِمْ، ومنهم مَنْ كان صَاحِبَ مُكاشفاتٍ، قال عنه: «**لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي، وكان يُفْطِرُ في نَهارِ رمضانَ**»، ثُمَّ يَقولُ عنهُ: «**رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**»[٨]؛ أَيْ: أنّهُ مِمَّن خرجَ عَنِ التّكليفِ وعَنْ شَريعةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. نَعَمْ؛ خرجَ إلى جَهَنّمَ وبئسَ المصيرِ، ومنهم مَنْ كان يُصافِحُ النَّبيَّ ﷺ بَعْدَ كُلِّ صلاةٍ بِزَعْمِهِمْ[٩]، ومنهم مَنْ كان يَتكلَّمُ بَعْدَ مَوْتِهِ وهَلاكِهِ[١٠].

- وأمَّا **الشَّعرانيُّ**؛ فقَدْ أسرفَ في الغُلُوِّ في إضافةِ الخوارقِ المُخْتَلَقَةِ إلى مَنْ زَعَمَهُمْ أولياءَ وعارفينَ، فقَدْ شحنَ «طبقاتِهِ» بالقصصِ والحكاياتِ الخياليَّةِ؛ خدمةً منهُ للعقيدةِ الصُّوفيَّةِ، ومنهجِهِ في تعظيمِ الشيوخِ وتقديسِهِمْ.

- وكذلك أسرفَ **يُوسُفُ النَّبَهَانِيُّ** الذي سارَ على **منهجِ الشَّعرانيِّ**،

---

(١) انظر (ص: ٥٠٦).
(٢) «سير الأولياء في القرن السابع الهجري» (ص: ٩٦).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٠٣)
(٤) المصدر نفسه (ص: ١٠٣).
(٥) المصدر نفسه (ص: ١٠٩).
(٦) المصدر نفسه (ص: ١١٤).
(٧) «سير الأولياء في القرن السابع الهجري» (ص: ١٢٥).
(٨) المصدر السابق (ص: ١٣٢).
(٩) المصدر نفسه (ص: ١٤٠).
(١٠) المصدر نفسه (ص: ١٤٣).

ورُبَّمَا فاقَهُ في بعضِ الجوانبِ؛ فقَدْ صَنَّفَ «**جامعًا**» ضخمًا شَحَنَهُ بِمَا زعمَهُ كراماتِ الأولياءِ.

▪ ويقولُ **محمودُ المنوفيُّ**: «وفي الأخبارِ القُدُسيَّةِ يَقولُ اللهُ: **عبدي أنا الذي يقولُ للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ، فأطعْنِي أجعلْكَ بِقُدْرَتي رَبّانيًّا تقولُ للشَّيْءِ كُنْ فيكونُ**»[١].

هذا مَا تَصبُو إليه أفئدَتُهُمْ ونُفوسُهُمُ المَريضةُ الخبيثةُ يُريدون تسخيرَ الكَوْنِ والخَلْقِ لأوامرِهِمْ، دونَ الالتفاتِ إلى الوسائلِ الشَّرعيَّةِ مِنْ عِبادةِ اللهِ تَعَالَى وامتثالِ أوامرِهِ في سبيلِ غايتِهِمْ، بلْ بِمَا ابتدعوهُ مِنْ طُقوسٍ ورِياضاتٍ استفادوها مِنَ الدِّيانَاتِ الوَضْعِيَّةِ القديمةِ الجاهليَّةِ. **بتلك البِدَعِ يُريدون الخروجَ مِنْ دَائرةِ العُبوديَّةِ إلى مَراتبِ الرُّبُوبِيَّةِ.**

- ويقولُ أيضًا: «كُلُّ وَلِيٍّ أرادَ اللهُ أنْ يَنفعَ بهِ النَّاسَ؛ لَا يَتعجّلِ العقوبةَ والأذَى لعبادِ اللهِ اقتداءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حيثُ خَيّرهُ مَلَكُ الجبالِ أنْ يَجعلَ الأخْشَبَيْنِ أنْ يَنقَضَّا على أعدائِهِ مِنْ أهلِ مَكّةَ»[٢].

يُريدُ هذا الصُّوفِيُّ المُنْحَرِفُ: أنَّ مَنْ زَعَمَهُ وَلِيًّا في دِينِ الصُّوفيَّةِ يَمْلِكُ هذه القُدرةَ والاختيارَ في إنزالِ العُقوبةِ على الخَلْقِ في الدُّنيا أو تأخيرِها عنهم. والحقُّ أنّهُ هو وأهلُ مِلَّتِهِ أوْلَى بالعُقوبةِ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ عبادِ اللهِ، وهُمْ وبِدَعُهُم مِنْ أعظمِ أسبابِ غَضَبِ اللهِ تَعَالَى ونِقْمَتِهِ واستحقاقِ عِقابهِ في الدُّنيا قَبْلَ الآخرةِ.

إنَّ الكراماتِ والخوارقَ التي أضافَها الصُّوفيَّةُ إلى أنفسِهِمْ ونسبوها إلى شُيوخِهِمْ؛ لَمْ تَقْتَصِرْ على أيّامِ حَياتِهِمْ، بلْ تَعدَّتْها إلى مَا بَعْدَ مَماتِهِمْ وهلاكِهِمْ.

• وفي هذا يقولُ ابنُ عَرَبِيٍّ: «وأمَّا أحوالُهُمْ بَعْدَ مَوتِهِمْ فعلَى قَدْرِ مَا

---

(١) «جمهرة الأولياء» (١/١٠٦).
(٢) المصدر نفسه (١/١٠٩).

كانوا عليهِ في الدُّنيا.. ومن أحوالِهِمْ بَعْدَ الموتِ أنّهم أحياءٌ بالحياةِ النّفسيَّةِ التي بِهَا يُسَبِّحُ كُلُّ شَيْءٍ».

- ثُمَّ ذكرَ قصصًا وشواهدَ لِما زَعَمَهُ، منها: «أنَّ رجُلًا دَفَنَ رَجُلًا مِنَ الصّالحينَ، فَلَمّا جَعلَهُ في قَبْرِهِ نَزَعَ الكَفَنَ عَنْ خَدِّهِ، ووضعَ خَدَّهُ على التُّرابِ، **ففتحَ الميّتُ عَيْنَيْهِ وقال لهُ: يا هذا! أَتُذَلِّلُنِي بَيْنَ يَدَيْ مَنْ أعزَّني**».

- ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ رأى بنفسِهِ نحوَ ذلك في صَاحبٍ لهُ يُدْعَى **عَبْدَ اللهِ الحبشيَّ**، ورآه أيضًا مَنْ قامَ بِغَسْلِهِ، حيثُ إنَّ الغاسلَ هابَ أنْ يُغَسِّلَهُ لِمَا رأى فيهِ مِنَ الخوارقِ، ففتحَ الحبشيُّ عَيْنَيْهِ، وقال: اغْسِلْ؛ أَيْ: أمرَهُ بالغسلِ، مُؤَكِّدًا مَوْتَهُ ووُجُوبَ غَسْلَهُ، وإنْ كان يبدو غَيْرَ ميتٍ[1].

- ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ رأى نحوَ ذلك في **أبيهِ** الذي أخبرَ أنّهُ سيموتُ في يومِ الأربعاءِ، فكان كما أخبرَ، وأنّهُ ظهرَ على جَبينِهِ وبَدَنِهِ نُورٌ يَتَلألأُ عِنْدَ الاحتضارِ.

- وذكرَ قصّةً عجيبةً في مَوْتِهِ هو، نَسَجَها مِنْ خَيالِهِ الصُّوفِيِّ بأُسْلُوبِهِ الرّخيصِ[2].

هذا هو دَأْبُ الصُّوفيَّةِ؛ لَا يَنْسوْنَ نصيبَهُمْ مِنَ الفضلِ والكرامةِ، ولَا نصيبَ آبائِهِمْ بَعْدَ إضافةِ شَيْءٍ منها إلى شُيوخِهِمْ.

■ وأمَّا **الشَّعرانيُّ**؛ فقَدْ جعلَ لِنفْسِهِ الحظَّ الأوفرَ والنَّصيبَ الأكبرَ مِنَ الكراماتِ والخوارقِ فيقولُ: «ومِمَّا مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بهِ عَلَيَّ مَعرفتي بالوَلِيِّ إذا زُرْتُهُ في قَبْرِهِ هل هو حَاضِرٌ أو غائبٌ؟ **فإنَّ غالبَ الأولياءِ لَهمُ السّراحُ والإطلاقُ في قُبورِهِمْ فيذهبون ويجيئون**». ثُمَّ زَعَمَ أنَّ شيخَهُ **عَلِيًّا الخواصَ** كان كذلك «فكان إذا رأى إنسانًا عَازمًا على زِيَارَةِ بعضِ الأولياءِ يقولُ لهُ: اذهبْ بسرعةٍ فإنَّهُ عَازِمٌ على الذّهابِ إلى مَوْضعِ كذا وفي بعضِ الأوقاتِ يقولُ لهُ: لَا تَرُحْ لهُ فإنَّهُ مَا هو هناكَ اليومَ».

---

(١) «الفتوحات المكية» (١/ ٢٢١).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٢٢).

ـ ثُمَّ يقولُ: «وقَدْ زُرْتُ مرةً سيّدي عُمَرَ بنَ الفارضِ رضي الله عنه، فلمْ أَجِدْهُ في قَبْرِهِ فجاءَ إليَّ بَعْدَ ذلك، وقال: اُعْذُرْني فإنّي كنتُ في حاجةٍ».

ـ ثُمَّ ذكرَ عَنْ **بَعضِهم** مثلَ هذا الهراءِ في تحديدِ مَواعيدِ زِيارَةِ بعضِ الشيوخِ، ثُمَّ يَقولُ مَا نَصُّهُ: «وهذا أمرٌ لَا يَعرفُهُ إلَّا مَنْ كَشَفَ اللهُ تَعالَى عَنْ بَصيرتِهِ»[١].

ـ وذَكرَ في ترجمةِ **أحمدَ البَدويِّ** أنَّ شيخَهُ (**مُحَمَّدًا الشّناويَّ**) أَتَى بهِ إلى **ضريحِ البدويِّ** وسَلّمَهُ إليه، وقال لهُ: «يَكونُ خَاطِرُكَ عليهِ، واجعلْهُ تحتَ نَظَرِكَ». **فيَزْعُمُ الشَّعرانيُّ أنَّ يَدَ البدويِّ خَرجتْ مِنَ الضّريحِ وقَبضَتْ على يَدِهِ**، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَهُ مِنَ القَبْرِ يقولُ: «نَعَمْ».

ـ ويقولُ أيضًا: «إنَّ زَوجتَهُ فَاطِمَةَ مَكَثَتْ عندَهُ خمسةَ أَشهرٍ وهي بِكْرٌ، لَمْ يَتمكَّنْ مِنْ إزالةِ بكارتِها، حتَّى جاءَهُ البدويُّ وأخذَهُ وزَوْجَتَهُ، وفَرَشَ لهما فراشًا «فوقَ رُكْنِ القُبّةِ»، وطبخَ لهما حَلوى، ودعا الأحياءَ والأمواتَ، ثُمَّ قال لهُ: **أَزِلْ بَكارَتَها هنا**. فكانَ الأمرُ تلكَ الليلةِ»[٢].

هكذا، وبلا حياءٍ، ولَا خجلٍ، ولا رجولة، فضلًا عَنْ مخافةِ اللهِ عز وجل.

يُريدُ **الشَّعرانيُّ** بِمثْلِ هذه القصصِ والحكاياتِ تقريرَ: أنَّ شيوخَ الصُّوفيَّةِ لَهمْ مِنَ التّصرُّفاتِ حتَّى بَعْدَ هلاكِهِمْ، **وأنّهم يَخدمون مَنْ يَعتَقِدُ فيهم، ويقومونَ على مصالحِ وشؤونِ مُريدِيهم وأتباعِهِمْ حتَّى بَعْدَ الموتِ**. إنّها وَثَنيَّةٌ صُوفِيَّةٌ، وشِرْكٌ باللهِ عز وجل باسمِ الوِلايَةِ والكرامةِ، وغيرِ ذلك مِمَّا يُزَيِّنُ بهِ هؤلاءِ المُنحرفون دِينَهُمْ ومَذهبَهُمْ. ويُريدون إضافةَ القُدُسِيَّةَ إلى **شُيوخِهِمْ وأنفسِهِمْ**، ويُريدون جعلَ **المُريدينَ والأتباعَ** في طاعتِهِمْ وخِدمتِهِمْ وتعظيمِهِمْ

---

(١) «لطائف المنن والأخلاق...» ـ أو «المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى» (١/ ١٤٩).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٨٦).

أَحياءً وأمواتًا، الأمرُ الذي يَصْرِفُ النَّاسَ عَنْ دِينِهِمُ الحقِّ والصّراطِ المستقيم.

وأَختِمُ بما قَرَّرَهُ **البيجوريُّ** في حاشيتِهِ على «**جوهرةِ التوحيدِ**» - وهي خاتمةُ المتونِ في الاعتقادِ عندَ الأشاعرةِ، ومما يُقرِّرونَهُ على الطُّلّابِ في الدِّراساتِ الشّرعيّةِ في **الأزهرِ** وغيرِهِ منَ **الجامعاتِ** التي تَتبنَّى **مذهبَ الأشاعرةِ عَقيدَةً والصُّوفيَّةِ مَسْلكًا** - يقولُ **البيجوريُّ** عندَ قولِ صاحبِ الجوهرةِ: «وأثبتن للأوليا الكرامة» ما نصُّهُ:

«أيِ: اعتقدْ ثُبوتَ الكرامةِ للأولياءِ، بمعنَى: جوازِها ووقوعِها في الحياةِ وبعدَ الموتِ كما ذهب إليهِ جُمهورُ أهلِ السُّنَّةِ... بل ظهورُها حينئذٍ [أيْ: بعدَ الموتِ] أَوْلَى؛ لأنَّ النَّفْسَ حينئذٍ صافيةٌ مِنَ الأكدارِ، ولذا قيلَ: مَنْ لَمْ تظهَرْ له كرامةٌ بعدَ موتِهِ كما كانتْ في حياتِهِ فليسَ بصادقٍ. وقال الشَّعرانيُّ: ذكرَ لي بعضُ المشايخِ (أنَّ اللهَ تعالَى يُوكلُ بقبرِ الوَلِيِّ مَلَكًا يَقضي الحوائجَ، وتارةً يخرجُ الوَلِيُّ مِنْ قبرِهِ ويقضيها بنفسِهِ، واستدلُّوا على الجوازِ بأنّه لا يلزَمُ مِنْ فرضِ وقوعِها محالٌ...)». انتهى قولُه.

فانظرْ أخي المُنْصِف! كيف يستدلّونَ ويُقرِّرونَ؟! **يَردُّونَ أحاديثَ النَّبيِّ ﷺ التي يَرويها الآحادُ في الاعتقادِ بِحُجَّةِ أنّها ظَنّيّةُ الثُّبوتِ**، ثُمَّ يُقرِّرونَ ويعتقدونَ مسألةً غَيْبِيَّةً خطيرةً، مُتَعلِّقينَ بقيلَ، وقال فلانٌ، وبأنهُ لا يلزَمُ مِنْ وقوعِها محالٌ!!.



المبحث السادس

تقديسُ القُبورِ والأضرحةِ

وفيه تمهيدٌ وثلاثةُ مطالبَ:

- التمهيدُ: توحيدُ اللهِ ﷻ في رُبُوبيَّتِهِ وأُلوهيّتِهِ.
- المطلبُ الأول: الغُلُوُّ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفِيَّةِ. وفيه ثلاثةُ عناصرَ:

أ ـ غُلُوُّهُمْ في أئِمَّتِهم وشُيوخِهم.

ب ـ غُلُوُّهُمْ في أماكنِهِمْ ودِيارِهِمْ ومَساجدِهِمْ.

ج ـ غُلُوُّهُمْ في الأتباعِ والمُريدينَ.

- المطلبُ الثانِي: الشُّفَعَاءُ والوُسَطَاءُ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ.
- المطلبُ الثالث: تَعْظِيمُ القُبورِ وعِبَادتُها عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ.

* * *

تمهيد

توحيدُ اللَّهِ ﷻ في رُبُوبيَّتهِ وأُلوهيّتِهِ

جاء عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فقالَ: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ

الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[(١)].

وفي روايةٍ أُخْرَى قال ﷺ: «**يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ! أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟**». فَقُلْتُ: بَلَى. فقالَ ﷺ: «**اِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إليْهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هو كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عليهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عليهِ»**[(٢)].

لقد حرصَ الدِّينُ الإسلاميُّ غايةَ الحرصِ على تنظيمِ صِلَةِ العبدِ بربّهِ، وأَوْلَاها عِنايةً عظيمةً، وأقامَها على أساسِ إخلاصِ توحيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في رُبُوبيَّتِهِ وأُلوهيّتِهِ وأسمائِهِ وصِفاتِهِ، والبُعْدِ عَنْ جميعِ مظاهرِ الشِّرْكِ بهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأسبابِهِ ودواعيهِ، فلا عُبوديَّةَ إلَّا للهِ وَحْدَهُ، عُبوديَّةٌ تَرْبِطُ العبدَ بخالقِهِ ورازقِه دُونَ وَسيطٍ أو شفيعٍ.

فالإسلامُ يقومُ على **توحيدِ اللهِ تعالَى** توحيدًا خالِصًا مِنْ كُلِّ شَوائبِ الشِّرْكِ وألوانِهِ، ولَا يَتحقّقُ ذلك إلَّا بالكُفْرِ بجميعِ الوسطاءِ والشُّفعاءِ المَنصُوبةِ بَيْنَ العبدِ وربِّهِ. فليس في الإِسْلام مَكانٌ للأصنام والأَوْثَانِ التي يُصْرَفُ لها شَيْءٌ مِنَ العُبوديَّةِ، فيُرْجَى منها النَّفعُ وحُصولُ المأمولاتِ، أو دَفعُ الضُّرِّ والمَكروهاتِ. وليس في الإِسْلام خَلْقٌ يَمتازونَ عَنْ غيرِهِمْ في شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ والامتيازاتِ الخَلْقيَّةِ تُؤهِّلُهُمْ لمنزلةِ الوساطةِ، أو لمقامِ الشَّفاعةِ والوسيلَةِ بَيْنَ الحقِّ تَبارَكَ وتَعالَى وبَيْنَ بَقيَّةِ خَلْقِهِ في تَقَرُّبِهِمْ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو في تَوَجُّهِهِم إليه في طَلَبِ العَوْنِ والنّفعِ أو دفعِ الضُّرِّ.

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: رواه الإمامُ التِّرْمِذِيُّ في «سننه»، كتاب صفة القيامة، باب (رقم: ٥٩) (٤/ ٦٦٧ رقم: ٢٥١٦)، ورواه الإمامُ أحمدُ في «مسنده» (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧). وقال التِّرْمِذِيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(٢) انظرِ السابقَ، وهذا لفظُ الإمامِ أحمدَ (١/ ٣٠٧).

وتأكيدًا لهذا الأصلِ وحمايةً لهذه الصِّلَةِ المُباشرةِ بَيْنَ العبدِ وربِّهِ؛ حَذَّرَ الدِّينُ الإسلاميُّ في آياتٍ وأحاديثَ كثيرةٍ مِنَ **الغُلُوِّ** بجميعِ صُورِهِ وأشكالِهِ، وعَابَ على **أهلِ الكتابِ** غُلُوَّهُمْ في دِينِهِمْ. كما بَيَّنَ رَسُولُ الحقِّ والهدى ﷺ أنَّ **الغُلُوَّ** في الدِّينِ كانَ مِنْ أسبابِ هلاكِ الأُمَمِ السّابقةِ، مُحَذِّرًا أهلَ الإيمانِ مِنَ الوقوعِ فيه؛ فعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ غَدَاةَ العَقَبَةِ وَهُوَ على نَاقَتِهِ ـ: «**اُلْقُطْ لِي حَصًى**». فَلَقَطْتُ لهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ في كَفِّهِ وَيَقُولُ: «**أَمْثَالَ هؤلاءِ فَارْمُوا**». ثُمَّ قالَ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ في الدِّينِ**»(١).

وحمايةً منهُ ﷺ لجانبِ القَصْدِ في الدِّينِ، وإشفاقًا منهُ على أُمَّتِهِ أنْ تَنزلِقَ وتقعَ في شَيْءٍ مِنَ الغُلُوِّ ومُجاوزةِ الحدِّ حتَّى في حُبِّهِ وتَعظيمِهِ هو في ذاتِهِ أو بعضِ صِفَاتِهِ، فضلًا عَمَّنْ هو دونهُ مِنَ الأئِمَّةِ والصّالحينَ والأولياءِ؛ نَهَى ﷺ عَنْ إِطْرَائِهِ، والمبالغةِ في الثناءِ عليهِ، ومَدْحِهِ ـ لأَنَّهُ بَابٌ يَلِجُ منهُ المَرْءُ إلى الغُلُوِّ الذي يُنافي القَصْدَ والاعتدالَ في الدِّينِ بلْ هو مَطِيَّةُ الشِّرْكِ باللهِ، ولَا شَكَّ أنَّ الشِّرْكَ هو أَعظمُ مَا عُصِيَ اللهُ تَعالَى بهِ ـ فقال ﷺ مُحذِّرًا خُطورةَ الإِطْرَاءِ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٢).

فالإسلامُ يُريدُ عِبادًا صِلَتُهُمْ بِاللهِ مُباشرةٌ قَوِيَّةٌ، لَا تُضْعِفُها وَساطةُ وَثَنٍ أو مَخلُوقٍ مهما كان قُرْبُهُ مِنَ اللهِ تَعالَى * ويُرِيدُ عِبادًا يَتّصِلُونَ بِرَبِّهِمْ وخَالِقِهِمْ مُباشرةً في سُؤالِهِمْ واستعانَتِهِمْ واستغاثتِهِمْ وقضاءِ جميعِ حوائجِهِمُ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ * ويُريدُ أُمَّةً قَويَّةَ الصِّلَةِ بربِّها لَا مكانَ فيها لِوَثَنٍ أو صَنَمٍ أو أيَّةِ وساطةٍ ـ أو وسيلةٍ تَحولُ بينها وبَيْنَ مُباشرتِها لأنواعِ العباداتِ

(١) **حديثٌ صحيحٌ**؛ تقدم تخريجُهُ في (ص: ١٨).
(٢) «صحيح البخاريّ» (الفتح: ٦/٤٧٨ رقم: ٣٤٤٥). وتقدم في (ص: ١٨).

والطَّاعاتِ للهِ تباركَ وتَعالَى - مِنْ أُولَئِكَ المَزْعُومينَ بالأولياءِ والأئِمَّةِ الذينَ نَصَبُوا أنفُسَهم أو نَصبَهم أتباعُهُمْ شُفَعاءَ ووسائلَ تُقَرِّبُ بَيْنَ الحقِّ والخلْقِ بزَعْمِهِمْ * ويُريدُ أيضًا أُمَّةً لَا مكانَ فيها للخُرافاتِ والأساطيرِ التي تَجعلُ بَعضَ الخلْقِ يَتَعالَى على عبادةِ اللهِ سُبْحانَهُ ويَزْعُمُ لِنفْسِهِ خَصائصَ وامتيازاتٍ تَرفعُهُ عَنْ مُستوى البَشَرِ والخلْقِ والعبوديَّةِ * كما أنَّهُ يريدُ تحريرَ العِبَادِ مِنَ العُبوديَّةِ والخضوعِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى الخالقِ الرّازِقِ المُحْيِي المُمِيتِ * ويريدُ أُمَّةً تَحترمُ عُقولَ النَّاسِ، وحتَّى إنسانيَّةَ الإنسانِ، ولَا تَهْدِرُ شَيئًا مِنَ الطّاقاتِ التي خلقَها اللهُ ﷻ في الفَرْدِ؛ ليعيشَ الجميعُ حياةً حُرّةً كريمةً بَعيدةً عَنِ الرِّقِّ والذُّلِّ لأيِّ مَخلوقٍ. هذا صِراطُ اللهِ المستقيمُ، ودِينُهُ الحقُّ، وشَرْعُهُ القويمُ.

لقد أَبَى **الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ** إلَّا العملَ على إعادةِ الحياةِ الجاهليَّةِ بأعمالِها الشِّرْكِيَّةِ والوَثَنِيَّةِ باسمِ تعظيمِ الأَئِمَّةِ والأولِيَاءِ ومَحبّتِهِمْ، فشرعوا لأنفسِهِمْ وأتباعِهِمْ طُقوسًا شِرْكِيَّةً وأعمالًا بِدْعِيَّةً، وأحاطوها بِنُصُوصٍ مَوضوعةٍ وأدِلَّةٍ مَكذوبةٍ؛ بُغْيَةَ تَرويجِها وتَزْيينِها لأتباعِهِمْ، فاتّخذوا أَئِمّةً وأولياءَ مزعومينَ، ونَصَبُوهُمْ وُسَطاءَ وشُفعاءَ فيما بينَهُمْ وبَيْنَ اللهِ تَعالَى، وغَلَوْا فيهم غُلُوًّا جاوزوا بهِ حَدَّ العَقلِ والشَّرْعِ والفِطْرَةِ.

وقَدْ تَناولَ غُلُوُّهُمْ جوانبَ كثيرةً في **أئمّتِهم وشُيوخِهم** فَغَلوْا في ذَوَاتِهِمْ وصِفاتِهم وأعمالِهِمْ وخَصائِصِهِمْ، وغَلَوْا في دِيارِهِمْ وأماكنِ تواجدِهِمْ في حياتِهِمْ، وغَلَوْا في قُبورِهِمْ بَعْدَ مماتِهِمْ وهلاكِهِمْ. وقَدْ أَدَّى هذا الغُلُوُّ بهم إلى الاعتقادِ بأنّهم وَسطاءُ ووسائلُ لَا بُدَّ مِنِ اتِّخاذِها لدخولِ الجَنّةِ والنّجاةِ مِنَ النَّارِ، كما أدّى إلى تقديسِهِمْ بَعْدَ مماتِهِمْ واتّخاذِ قُبورِهِمْ أوْثَانًا وأصنامًا يَصرِفونَ لها أنواعًا مِنَ العباداتِ والطاعاتِ التي لَا يَنبغي صَرْفُها لغيرِ اللهِ الخالقِ الرّازِقِ ﷻ.

وقَدْ تقدمَ في ثنايا **المباحثِ المتقدمةِ** أنواعٌ مِنْ غُلُوِّهِمْ وأدِلَّتِهِمُ

المزعومةِ في استحقاقِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائهِم هذا الغُلُوَّ والتّعظيمَ، وسأذكرُ فيما يلي مَا يَزيدُ الأمرَ وُضُوحًا من أقوالِهِمْ ومذاهِبِهِمْ في اتّخاذِ الأَئِمَّةِ والأولِيَاءِ وُسطاءَ وشُفعاءَ، وفي عبادةِ قُبورِهِمْ وأَضْرِحَتِهِمْ بَعْدَ مَماتِهِمْ وهَلاكِهِمْ.

المطلبُ الأول

الغُلُوُّ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفِيَّةِ

وفيه ثلاثةُ عناصرَ:

(١) ـ غُلُوُّهُمْ في أئِمَّتِهِم وشُيوخِهِم

▫ إنَّ **الشِّيعَةَ** غَلَوْا في **عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ وذُرِّيَّتِهِ** حتَّى خَصُّوهُمْ بخصائصِ الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ، وقَدْ ذَكَرْتُ كَثيرًا مِنْ نُصوصِهِمُ التي تَدُلُّ على مذهبِهِمُ الفاسدِ فيما تقدم مِنْ مباحثَ وفصولٍ وأبوابٍ. وها هي جُملةٌ أُخرَى من نُصوصِهِم وأقوالِهِم:

• روى **مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الكَشِّيُّ** بِإسنادِهِ إلى **سعيدِ بنِ المسيبِ** أنّهُ ذكرَ أنَّ «عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ زَيْنَ العَابِدِينَ خرجَ مِنْ مَكَّةَ، ونزلَ في بعضِ المنازلِ، فصلّى رَكعتيْنِ، فسبّحَ في سُجودِهِ، **فَلَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ولَا مَدَرٌ إلَّا سَبّحوا معهُ**»[١]. وروى أيضًا بِإسنادِهِ إلى **الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ** رضي الله عنهما أنّهُ قال: «واللهِ! لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ أبدًا ولَوْ كان أَسيرًا في الدّيْلَمِ؛ إلَّا نَفعَهُ اللهُ بِحُبِّنا. **وإنَّ حُبَّنَا لِيُسَاقِطُ الذُّنوبَ مِنْ بني آدمَ كما تُساقطُ الرّيحُ الوَرَقَ مِنَ الشّجرِ**»[٢]. وروَى بِإسنادِهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قال: «**إلَيْنا الصّراطُ، وإلينا الميزانُ، وإلينا حِسابُ شِيعَتِنَا. واللهِ! لإنَّا لكم أَرحمُ مِنْ أحدِكم بنفسِه**»[٣].

• وروى شيخُ طائفتِهِم **مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الطُّوسِيُّ** بِإسنادِهِ إلى

---

(١) «اختيار معرفة الرجال» للطُّوسيِّ (ص: ١١٧).
(٢) المصدر السابق (ص: ١١٢). (٣) المصدر نفسه (ص: ٣٣٧).

حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديثًا مكذوبًا موضوعًا على **رَسُولِ اللهِ** ﷺ يقولُ فيه: «**مَا مِنْ عَبْدٍ ولَا أَمَةٍ يَموتُ وفي قَلْبِهِ مِثقالُ حَبّةٍ مِنْ خَردلٍ مِنْ حُبِّ عَلِيٍّ؛ إلَّا أدخلَهُ اللهُ الجَنَّـةَ**»[(١)].

• وروى **ابنُ أبي جمهورٍ الإحسائيُّ** عَنْ **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** قال: «**حُبُّ عَلِيٍّ حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ معها سَيِّئَةٌ، وبُغْضُ عَلِيٍّ سَيِّئَةٌ لَا تَنفعُ معها حَسنةٌ**». وعنهُ أيضًا قال: «**لَوِ اجتمعَ النَّاسُ على حُبِّ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ؛ لَما خَلَقَ اللهُ النَّارَ**»[(٢)].

• وجاءَ في نَصِّ «**الزِّيَارَةِ الجامعةِ**» المنسوبةِ إلى عَدَدٍ مِنَ الأئِمَّةِ والمنقولةِ عَنْ عَددٍ كبيرٍ مِنْ أئِمَّتِهِمْ وعُلمائِهِمْ قديمًا وحديثًا، وهي عُمْدَتُهُمْ في زِيارَاتِهم لِمشَاهِدِ أئِمَّتِهِمْ، جاءَ فيها: «... **وإيابُ الخَلْقِ إليكم، وحِسابُهُمْ عليكم، وفَصْلُ الخطابِ عندَكم..**».

• ويَقولُ **عَبْدِ اللهِ شُبَّر** في شرحِهِ لهذه الزِّيَارَةِ ذُكِرَ عَنِ **البَاقِرِ** أنّهُ قال: «إذا كان يومُ القِيَامَةِ جمعَ اللهُ الأوّلينَ والآخرينَ لِفصلِ الخطابِ، ودَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ودَعا أميرَ المؤمنينَ... **ثُمَّ يُدْعَى بِنَا فيُدفعُ إلينا حِسابُ النَّاسِ، فنحنُ واللهِ! نُدْخِلُ أهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وأهلَ النَّارِ النَّارَ**». وذكرَ عَنِ **الصَّادِقِ** في تَفسيرِ قولِ اللهِ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] أنّهُ قال: «**إذا كان يومُ القِيَامَةِ جَعلَ اللهُ حسابَ شِيعَتِنَا إلينا، فما كان بينهم وبَيْنَ اللهِ استوهبَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ اللهِ، وما كان فيما بينهم وبَيْنَ النَّاسِ مِنَ المظالمِ أدّاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ عنهم، وما كان بيننا وبينهم وَهَبْنَاهُ لَهمْ حتَّى يَدخلوا الجَنَّةَ بغيرِ حسابٍ**»[(٣)].

• وقال **الحسنُ بنُ المطهرِ الحليُّ**[(٤)]: روى أخطبُ خَوارزمَ عَنْ

---

(١) «أَمالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٣٣٩). (٢) «عوالي اللآلئ العزيزية» (٤/ ٨٦).
(٣) «الأنوار اللامِعَة في شرحِ الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ» (ص: ١٣٧).
(٤) هذا الرّافضيُّ هو الذي صنَّفَ كتابَ «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة»، فرَدَّ عليهِ =

عَبْدِ الله بنِ مَسعودٍ ﵁ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ والحديثُ مَكذوبٌ ـ: «لمّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ ونفخَ فيه مِن رُوحهِ عَطَسَ آدَمُ، فقالَ: الحمدُ للهِ. فأوحَى اللهُ تَعَالَى إليه: حَمدتَنِي عَبدي، وعِزّتِي وجَلالي لَوْلَا عَبدانِ أُريدُ أنْ أَخلُقَهُما في دَارِ الدُّنيا مَا خَلَقْتُك. قال: إلهي! فيكونانِ مِنّي؟ قال: نَعَمْ يَا آدمُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وانظُرْ. فرفعَ رَأْسَهُ، فإذا هو مَكتوبٌ على العرشِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، عَلِيٌّ مُقِيمُ الحُجَّةِ. ومَنْ عَرَفَ حَقَّ عَلِيٍّ زَكَا وطابَ، ومَنْ أنكرَ حَقَّهُ لُعِنَ وخابَ، أقسمتُ بِعِزَّتِي أنْ أُدْخِلَ الجَنَّةَ مَنْ أطاعَهُ وإنِ عصاني، أقسمتُ بِعِزَّتِي أنْ أُدْخِلَ النَّارَ مَنْ عَصَاهُ وإنْ أطاعني»[(١)].

• وذكرَ نِعْمَةُ اللهِ الجزائريُّ عَنْ عَلِيٍّ ﵁ أنّهُ قال: «واللهِ! لَقَدْ كنتُ مع إبراهيمَ في النَّارِ وأنا الذي جَعلْتُها بَردًا وسلامًا، وأنا الذي كنتُ مع نُوح في السَّفينةِ فأنجيتُهُ مِنَ الغرَقِ، وكنتُ مع موسَى فعلَّمْتُهُ التَّوْراةَ، وأَنْطَقْتُ عِيسَى في المَهْدِ وعَلَّمْتُهُ الإنجيلَ، وكنتُ مع يُوسُفَ في الجُبِّ فأنجيتُهُ مِنْ كَيْدِ إخوتِهِ، وكنتُ مع سُلَيْمَانَ على البِساطِ فسخَّرْتُ لَهُ الرّياحَ»[(٢)].

هذا هو دِينُ أهلِ الرَّفْضِ، وهذا بعضُ غُلُوِّهِمْ في أئِمَّتِهِمْ، ذَكَرْتُ منها مَا كان مَدارُهُ على حُصولِ النّفعِ لَهمْ كشِيعَةٍ وأتباعٍ، فالمُهِمُّ في دِينِهِمْ أنْ يموتَ أَحدُهُمْ على حُبِّ الأَئِمَّةِ، واعتقادِ أنّهم مِنْ أهلِ العِصْمَةِ، وأنّهم تميّزوا عَنِ الخلْقِ ببعضِ صِفاتِ وخصائصِ الرُّبُوبيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ. فالإيمانُ بهذا وغيرِهِ مِنْ عَقائِدَ فاسدةٍ؛ يكفلُ لَهُمُ الفوزَ بالجَنَّةِ، والدُّخولَ إليها بغيرِ حسابٍ بَعْدَ تَساقُطِ جميعِ الذّنوبِ عنهم. وسيأتي ـ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى ـ ذِكرُ بعضِ أَدِلَّتِهِمْ الداحضةِ في هذا الاعتقادِ الخبيثِ قريبًا في هذا المبحثِ.

= شَيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ ﵀ في كتابهِ العظيمِ المُباركِ: «مِنهاجِ السُّنَّةِ النّبويّةِ في نقضِ كلامِ الشّيعةِ القَدريّة».

(١) «كَشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين» (ص: ٧ ـ ٨)، الفصل الأول: في الفضائل الثابتة له قبل وجوده وولادته.

(٢) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة في معرفة النشأة الإنسانية» (١/ ٣٠).

□ **غُلُوُّ الصُّوفيَّةِ في شُيوخِهم: أمَّا الصُّوفيَّةُ فلَمْ ينسوا نَصيبَهُمْ مِنْ هذا النّوعِ مِنَ الغُلُوِّ؛ لأنّهم وجدوا فيه بُغيَتَهُمْ مِنَ السّيطرةِ على الأتباعِ، والتّحكُّمِ بِهِمْ:**

▪ يقولُ إمامُهُم **القُشَيْريُّ**: «**فإذا كان أُصُولُ هذهِ الطّائفةِ أصحَّ الأُصُولِ ومشايخُهُمْ أكبرَ النَّاسِ وعلماؤهم أعْلَمَ النَّاسِ؛ فالمُريدُ الذي لهُ إيمانٌ بِهِمْ إنْ كانَ مِنْ أهلِ السُّلوكِ والتّدرّجِ إلى مَقاصدِهِمْ، فهو يُساهِمُهُمْ فيما خُصُّوا بهِ مِنْ مُكاشفاتِ الغَيْبِ فلا يَحتاجُ إلى التّطفُّلِ على مَنْ هو خَارجٌ عَنْ هذه الطائفةِ**». ثُمَّ استدلَّ لمذهبِهِ الفاسدِ هذا بروايةٍ أسندَها إلى **الجُنَيْدِ** أنّهُ قال: «**لَوْ عَلِمْتُ أنَّ للهِ تحتَ أديمِ السماءِ أشرفَ مِنْ هذا العِلْمِ الذي نَتكلَّمُ فيه مع أصحابِنا وإخوانِنا؛ لَسَعَيْتُ إليه وقَصدْتُهُ**»(١).

هذا مَا يَسعى إليه **التَّصَوُّفُ**، كما هو الأمرُ في **التَّشَيُّعِ**؛ إحْكَامُ السّيطرةِ على الأتباعِ، **فالقُشَيْريُّ** يُؤكِّدُ استغناءَ الصُّوفيَّةِ عَمَّنْ هو خارجٌ عَنْ طائفتِهِمْ، **والجُنَيْدُ** وقولُهُ حُجَّةٌ عِنْدَهُمْ لَا يَعْلَمُ أشرفَ مِنَ التَّصَوُّفِ، وما دَرَى أنَّ عَدَمَ عِلْمِهِ ومعرفتِهِ لَا يَعني نَفْيَ وُجُودِ العِلْمِ الذي هو أَشْرَفُ مِنَ التَّصَوُّفِ والابتداعِ في دِينِ اللهِ تعالَى.

والتَّصَوُّفُ يَضْمَنُ لكُلِّ مَنْ سارَ في رَكْبِهِمْ ونهجَ منهجَهُمْ؛ أنّهُ سيشاركُ شُيوخَهم في مُكاشفاتِ الغَيْبِ، وسيحظَى بما يَتميّزُ بهِ أهلُ التَّصَوُّفِ عَنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى مِنْ خصائصَ وامتيازاتٍ يَزْعُمُونَها. وسيأتي قريبًا ذِكْرُ جُملةٍ مِنْ نُصوصِهِمُ التي تَبُثُّ في الأتباعِ الطّمأنينةَ والوَعْدَ بالفوزِ يومَ الحسابِ.

• ويذكرُ **أبو طَالِبٍ المَكّيُّ** روايةً تُبيِّنُ مَدَى تَعظيمِهِمْ لِأئِمَّتِهِمْ والغُلُوِّ فيهم فيقولُ ما نصُّهُ: «وقَدْ كان أبو تُرابٍ النّخشبيُّ مُعجَبًا ببعضِ المُريدينَ فكان يُؤْويهِ ويقومُ بمصالحِهِ، والمُريدُ مَشغولٌ بعبادتِهِ ومَواجِيدِهِ. **فقال لهُ**

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْريَّة» (٢/ ٧٣٤ ـ ٧٣٥).

أبو تُرابٍ يومًا: **لَوْ رأيتُ أبا يَزِيدَ؟! فقال المُريدُ: إني عنهُ مَشغولٌ. فَلَمّا أكثرَ عليهِ أبو تُرابٍ؛ هاجَ وَجْدُ المُريدِ فقال لهُ: وَيْحَك! مَا أصنعُ بأبي يَزِيدَ؟ وقَدْ رأيتُ اللهَ فأغناني عَنْ أبي يَزِيدَ. قال أبو تُرابٍ: فهاجَ طَبْعي ولَمْ أَمْلِكْ نفسي، فقلت لهُ: ويلك! لَوْ رأيتَ أبا يَزِيدَ مَرّةً واحدةً كان أنفعَ لك مِنْ أنْ ترى اللهَ ﷻ سبعينَ مرّةً. فبُهِتَ المُريدُ مِنْ قَوْلي**». ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ ذهبَ بهِ إلى **أبي يَزِيدَ** لِيَحْظَى برؤيتِهِ. ويَزْعُمُ أيضًا **أنّهُ بمُجرّدِ رؤيتِهِ لهُ صُعِقَ المُريدُ، وماتَ مِنْ لحظتِهِ**. ثُمَّ تعاونَ الإثنانِ على دَفْنِهِ[١].

وقَدْ ذكرَ هذه القصّةَ **أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ**[٢]، **وأبو بَكْرٍ بنُ عَرَبِيٍّ**، وعِندَ ابنِ عَرَبِيٍّ أنّهُ قال للمُريدِ: «**لَوْ رأيتَ أبا يَزِيدَ مَرّةً كان خيرًا لك مِنْ أنْ ترى اللهَ ألفَ مَرّةً**». ثُمَّ يَزْعُمُ أنّهُ ماتَ وَالْتَحَقَ بأهلِ المقاماتِ[٣]. وهذا مِنْ عِلْمِ الكَشْفِ الذي أُوتيه، فانكشفتْ لهُ حالُ المُريدِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وفي هذه القصّةِ إقرارٌ مِمَّن ذكرَها ونقلَها بهذا الفكرِ المُنحرفِ وهذا الغُلُوِّ العظيمِ بشخصِ **أبي يَزِيدَ طيفورَ بنِ عِيسَى البِسْطَامِيِّ**.

٢ ـ غُلُوُّهُمْ في أماكنِهِمْ ودِيارِهِمْ ومَساجدِهِمْ

يُعظّمُ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** ذَواتَ الأَئِمَّةِ والأولِيَاءِ المزعومينَ، ويَغْلُونَ في صِفاتِهِمْ وخَصائِصِهِمْ. فإنّهم يُعظّمون دِيارَهُمْ وأماكنَ وُجُودِهِمْ؛ مُضاهاةً منهم للدِّينِ الحقِّ الذي يُعَظِّمُ بعضَ الأماكنِ والبلادِ على غيرِها، وصَرْفًا للنَّاسِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى حتَّى في تعظيمِ الأماكنِ والبقاعِ.

وقَدْ شَرّعَ هؤلاءِ المُبتَدِعَةُ لأتباعِهِمْ تعظيمَ بلادِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ، والبقاعَ التي هي مَحَلُّ اجتماعِ طَواغيتِهِمْ، واجتهدوا في وَضْعِ واختلاقِ

(١) «قوت القُلوب» (٢/ ٧٠).
(٢) «الإحياء» كتاب المَحبَّة والشوق والأنس والرِّضا، باب بيان جملة مِنْ حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم (٤/ ٣٠٥).
(٣) «كتاب الكُتُبِ»، المطبوع ضمن مجموعة رسائل ابنِ عَرَبِي (ص: ٥).

الأحاديثِ المكذوبةِ في هذا الشَّأْنِ على رَسُولِ اللهِ ﷺ وعلى الصَّحابةِ رضي الله عنهم بل وعلى التّابعينَ، بِلَا حَيَاءٍ ولَا خَجَلٍ ولَا خَوْفٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ تَرويجًا لباطلِهِم.

فجعلَ **الشِّيعَةُ للكُوفةِ** وما جَاورَها مِنْ أرضِ **كَربلاءَ** وغيرِها مَنزلةً وحُرْمَةً عظيمةً لَا تَقِلُّ عَنْ حُرْمَةِ **مَكّةَ** و**المدينةِ** إنْ لَمْ تَزِدْ عليهما بَلْ زَادَتْ. كما جعلوا لمدينتِهِمْ **قُمّ** مكانةً دِينيَّةً مُقدّسَةً في نُفوسِ شِيعَتِهِم وأتباعِهِمْ. وجعلَ **الصُّوفيَّةُ** نحوَ ذلك لديارِ أوليائِهِمْ وشُيوخِهِمْ كما هو عِنْدَ **الصُّوفيَّةِ الرِّفَاعيَّةِ** مِنْ تعظيمِ **قرية أمّ عبيدةَ**، وقَدْ جعلوا مِنْ أَضْرِحَتِهِمْ أماكنَ ذَاتَ قُدُسِيَّةٍ وحُرْمَةٍ عظيمةٍ، وأماكنَ تُقْصَدُ للتَّبرُّكِ واستجابةِ الدُّعاءِ.

□ ما يتعلّقُ بالرّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

• روى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** فيما نسبوه إليه قال: «مَكّةُ حَرَمُ اللهِ، وحَرَمُ رَسُولِهِ وحَرَمُ أميرِ المؤمنينَ، الصّلاةُ فيها بمائةِ ألفِ صلاةٍ، والدّرْهَمُ فيها بمائةِ ألفِ دِرْهَم. والمدينةُ حَرَمُ اللهِ وحَرَمُ رَسُولِهِ وحَرَمُ أميرِ المؤمنينَ، الصّلاةُ فيها بعَشَرَةِ آلافِ صلاةٍ، والدِّرْهَمُ فيها بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَم. **والكُوفَةُ حَرَمُ اللهِ وحَرَمُ رَسُولِهِ وحَرَمُ أميرِ المؤمنينَ، الصّلاةُ فيها بألفِ صلاةٍ، والدِّرْهَمُ فيها بألفِ دِرْهَم**»(١).

• وبإسنادِهِ إليه قال: «تَتِمُّ الصّلاةُ في أربعةِ مواطنَ: في المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ رَسُولِ اللهِ، **ومسجدِ الكُوفَةِ، وحَرَمِ الحُسَيْنِ**». وفي روايةٍ: «**وعِنْدَ قَبْرِ الحُسَيْنِ**»(٢).

• وذكرَ **مُفيدُهُمْ مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** روايةً مسلسلةَ الإسنادِ بالأئمَّةِ مِنْ **عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ العسكريِّ** إلى **عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ** يقولُ فيها: قالَ

(١) «فروع الكافي»، كتاب الحج أبواب الزيارات (٤/ ٥٨٦).
(٢) نفس المصدر (٤/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لمّا أُسريَ بي إلى السماءِ الرابعةِ نظرتُ إلى قُبّةٍ مِنْ لُؤلؤٍ لها أربعةُ أركانٍ وأربعةُ أبوابٍ كلُّها مِنْ إستبرقٍ أخضرَ. قُلتُ: يا جبرئيلُ! **مَا هذه القُبّةُ التي لَمْ أرَ في السماءِ الرابعةِ أحسنَ منها؟ فقال: حبيبي مُحَمَّدُ! هذه صورةُ مدينةٍ يُقَالُ لها: قُمٌّ**، يَجتمعُ فيها عِبادُ اللهِ المؤمنون يَنتظرونَ مُحَمَّدًا وشفاعتَهُ للقيامَةِ والحسابِ، يَجري عَليهِمُ الغَمُّ والهَمُّ والأحزانُ والمَكارِهُ»[(١)(٢)].

حتَّى مَدينةُ **قُمَّ** لَمْ يَترُكْها **الدّينُ الشِّيعِيُّ**، وفي هذه الرّوايةِ يَظهرُ منها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَسمعْ باسمِها إلَّا بَعْدَ بُلوغِهِ السماءَ الرّابعةَ، وأنّها مَحَلُّ اجتماعِ المؤمنينَ، نَعَمْ هي مَحَلُّ اجتماعِ أساطينِ الشِّيعَةِ، وأَئِمَّةِ الرَّفْضِ، وأركانِ البدعةِ والضَّلالِ.

• ونسبَ مُحَدِّثُهُمْ **مُحَمَّدُ مَهدي الحائريُّ** إلى **الصَّادِقِ** أنّهُ ذكرَ **الكُوفَةَ** وقال: «سَتَخْلو الكُوفَةُ مِنَ المؤمنينَ، ويأرِزُ عنها العِلْمُ كما تأرزُ الحيَّةُ في جُحْرِها، **ثُمَّ يظهرُ العِلْمُ ببلدةٍ يُقَالُ لها: قُمُّ وتصيرُ مَعْدِنًا للعِلْمِ والفضلِ فيفيضُ العِلْمُ منهُ إلى سائرِ البلدانِ في المشرقِ والمغربِ**». ثُمَّ ذكرَ سببَ تسمِيتها **بقُم** فقال: «لأنَّ أهلَها يجتمعون مع قائم آلِ مُحَمَّدٍ، ويقومون معهُ، ويستقيمون عليهِ». وقال: وفي روايةٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ في ليلةِ المعراجِ رأى إبليسَ باركًا بهذه البُقعةِ يُريدُ أنْ يغويَ شِيعَةَ عَلِيٍّ ويَمنعَهُمْ عَنْ وِلايتِهِ ومَحبّتِهِ ويُحرّضَهُمْ على الفُجورِ، فقال لهُ: قُمْ يا ملعون! فليس لك عَليهِم مِنْ سلطانٍ. ومِن ذلك سُمِّيَتْ بقُم». وفي روايةٍ أنّهُ قال: «قُمْ يا ملعون! فشارِكْ أعداءَهُمْ في أموالِهِمْ وأولادِهِمْ ونسائِهِمْ، فإنَّ شِيعَتِي وشِيعَةَ عَلِيٍّ ليس لك عَليهِم سُلطانٌ»[(٣)].

---

(١) «الاختصاص»، باب في مدح مدينة قم (ص: ١٠١ ـ ١٠٢).
(٢) **حديثُ مكذوبٌ على النّبيِّ ﷺ**.
(٣) «شجرة طوبى»، المجلس الثامن في فضيلة (قُم) ووجه تسميتها (ص: ٢٠).

إنَّ رَائِحَةَ الوَضْعِ والكَذِبِ والافتراء تَفوحُ مِنْ هذهِ الرّوايةِ النتنة، ويُريدُ أساطينُ الكُفْرِ إثباتَ أنَّ التَّشَيُّعَ قَديمٌ في الإِسْلامِ، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ كان على عِلْمٍ ودِرايّةٍ بانقسامِ المُسلِمينَ إلى **شِيعَةٍ لعَلِيٍّ**، وإلى مَنْ يُسَمّونَهُمُ **أعداءَ آلِ البيْتِ؛ أي: أهلَ السُّنّة**، بلْ في زَعْمِهِمْ أنّ النّبيَّ ﷺ هو الذي غَرَسَ في النَّاسِ التَّشَيُّعَ لِعَلِيٍّ. ثُمَّ إنَّ العُنْصرَ الفارسيَّ المجوسيَّ وَاضِحٌ في هذه الرّوايةِ حيثُ يُريدُ دُعاةُ هذا المذهبِ نَقْلَ قِبلَتِهِمْ مِنَ **الكُوفَةِ** إلى بلادِهِمْ.

• ونسبَ **الحائريُّ** إلى **الصَّادِقِ** أنه قال: «إذا عَمَّتِ البلايا فالأمنُ في **الكُوفَةِ** ونواحيها مِنَ السّوادِ، و**قُمّ** مِنَ الجبلِ، ونِعْمَ الموضعُ **قُمّ** للخائفِ الطائفِ». وفي روايةٍ أنّهُ قال: «**إذا عَمّتِ البلدانَ الفِتَنُ فعليكم بقُمَّ وحَوالَيْها ونواحيها؛ فإنَّ البلاءَ مَدفوعٌ عنها**». وذكرَ عنهُ أيضًا أنه قال: «إنَّ للهِ حَرَمًا وهو **مَكّةُ**، وإنَّ للرَّسُولِ حَرَمًا وهو **المدينةُ**، **وإنَّ لأميرِ المؤمِنينَ حَرَمًا وهو الكُوفَةُ، وإنَّ لنا حَرَمًا وهو بَلدةُ قُمّ، وستدفنُ فيها امرأةٌ مِنْ أولادي تُسَمّى فَاطِمَةَ، فمَنْ زَارَها وَجَبَتْ لهُ الجَنَّـةُ**»[١].

فالكُوفَةُ حَرَمُ عَلِيٍّ، **وقُمّ** حرمُ الأَئِمَّةِ كما نَصَّ عليهِ شَيخُهُمْ ومُفيدُهُمْ **مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** وغيرُهُ. هذا هو دِينُ أهلِ الرَّفْضِ، جُرْأَةٌ مُتناهيةٌ في الوَضْعِ والكَذِبِ خِدمةً للمذهبِ وَصَدًّا للنَّاسِ عَنِ الدّينِ الحَقِّ.

• وذكرَ **الحُرُّ العَامِلِيُّ** في فضلِ **كَرْبَلاءَ** مِمَّا يَنْسُبُهُ أهلُ الرَّفْضِ إلى أئِمَّتِهِمْ قال: «**إنَّ اللهَ اتّخذَ كَرْبَلاءَ حَرَمًا آمنًا قَبْلَ أنْ يَتّخِذَ مَكّةَ حَرَمًا**». ويقولُ: «إنَّ اللهَ تَعالَى اتّخذَ مِنْ كَربلاءَ حَرَمًا قَبْلَ اتّخاذِ مَكّةَ حَرَمًا بأربعةٍ وعشرينَ ألفَ عام». ثُمَّ ذكرَ أنَّ الكُوفَةَ حَرَمُ اللهِ تَعالَى وحَرَمُ رَسُولِهِ وحَرَمُ عَلِيٍّ. ثُمَّ ذكرَ روايةً يُخاطِبُ اللهُ تَعالَى فيها **مَكّةَ** قال: «**مَا فُضِّلْتِ بِهِ فِيمَا أَعْطَيْتُ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْإِبْرَةِ غُمِسَتْ فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَتْ مِنْ مَاءِ**

(١) المصدر السابق (ص: ٢١).

الْبَحْرِ، ولَوْلَا تُرْبَةُ كَرْبَلَاءَ مَا فَضَّلْتُكِ، ولَوْلَا مَنْ ضَمَّتْهُ كَرْبَلَاءُ لَمَا خَلَقْتُكِ»[(١)]. وذكرَ أيضًا روايةَ: **«مَنْ زَارَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ، وأَقَامَ بِهَا حَتَّى يُعَيِّدَ ثُمَّ يَنْصَرِفَ؛ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ سَنَتِهِ»**[(٢)].

فأرضُ **كَرْبَلاءَ** عِنْدَهُمْ أَقْدَمُ وأَشَدُّ حُرْمَةً مِنْ **مَكّةَ المُكَرّمةِ** حَفِظَها اللهُ تَعالَى وحرسَها مِنْ أيدي **الرَّافِضَةِ** وغيرِهِمْ مِنْ أهلِ المذاهبِ الهدّامَةِ وبَعضِ المُنتسبينَ إلى الإسلامِ وأهلِهِ ودُعاتِهِ مِمَّن يَتباكوْنَ ويَتشدّقونَ بتطهيرِها مِنْ شَرَاذِمِ الخَلْقِ. رَدَّ اللهُ تعالَى كَيْدَهُمْ في نُحورِهِمْ ووَقَانَا ودِيَارَنا ومُقَدّسَاتِنا شُرورَهُمْ.

إنَّ غايةَ **أهلِ الرَّفْضِ** مِن هذه الرواياتِ المكذوبةِ هي صَدُّ المُسلِمينَ عَنْ قِبلتِهِمُ التي امْتَنَّ اللهُ بِهَا على رَسُولِهِ ﷺ وعَليهِم؛ تَمهيدًا لِصَدِّهِم عَنِ الدِّينِ كُلِّهِ، وإخراجِهِمْ عَنِ التّوحيدِ إلى الشِّرْكِ باللهِ، وحَمْلِهِمْ على تَعظيمِ الخلْقِ وعِبادتِهِمْ. وتَتَّضِحُ غَايتُهُمُ الخبيثةُ هذه بغُلُوِّهِم في **الكُوفَةِ** الذي فاقَ كُلَّ وَصْفٍ، **فمِن ذلك**:

• عَقدَ مُحَدِّثُهُمْ وشَيْخُهُمُ **الحائريُّ** بَابًا في ذِكْرِ الكُوفَةِ ومَسجدِها، نَسبَ فيه إلى **عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ** قولَهُ: «كَأَنّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وتُرْكَبِينَ الزَّلَازِلَ، وإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ **مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءًا؛ إِلَّا ابْتَلَاهُ اللهُ بِشَاغِلٍ ورَمَاهُ بِقَاتِلٍ»**[(٣)]. ويقولُ **الحائريُّ**: «ولَا يَخفَى أنَّ الكُوفةَ بَلْدَةٌ قَدْ شَرّفها اللهُ على كثيرٍ مِنَ البلادِ، وقَدْ جاءَ في فَضْلِها عَنْ أهلِ البَيْتِ شَيْءٌ كثيرٌ، منها مَا قال عَلِيٌّ: «**نِعْمَتِ المَدَرَةَ الكُوفةُ؛**

(١) «وسائل الشِّيْعَةِ» للحُرِّ العَامِلِيِّ (٥/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤) أَبْوَابُ المَزَارِ ومَا يُنَاسِبُهُ، بَابُ اسْتِحبابِ التّبرُّكِ بكَرْبَلَاءَ.

(٢) المصدر السابق (٥/ ٣٤٧)، أَبْوَابُ المَزَارِ ومَا يُنَاسِبُهُ، بَابُ تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ الحُسَيْنِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ ويَوْمَ عَرَفَةَ ويَوْمَ الْعِيدِ.

(٣) المصدر السابق: أَبْوَابُ المَزَارِ ومَا يُنَاسِبُهُ، بَابُ وُجُوبِ احْتِرَامِ مَكَّةَ والمَدِينَةِ والْكُوفَةِ...

يُحشَرُ مِنْ ظهرِها سبعون ألفًا وجُوهُهُمْ على صُورةِ القَمرِ». وقوله: «هذه مَدينتُنا ومَحلّتُنا ومَقَرُّ شِيعَتِنَا». وقال **جَعْفَرٌ الصَّادِقُ**: «**تُرْبَةٌ نُحِبُّها وتُحِبُّنا، اللَّهُمَّ ارْمِ مَنْ رَمَاهَا، وعَادِ مَنْ عَاداها**»[١].

وعن **مَسجدِ الكُوفةِ** ذكرَ عَنْ **عَلِيٍّ** قولَهُ: «يا أهلَ الكُوفَةِ! لقَدْ حَبَاكُمُ اللهُ ﷻ بِمَا لَمْ يَحْبُ بهِ أحدًا، ففَضّلَ مُصلّاكم، وهو بَيْتُ آدمَ ونوحٍ، وبيتُ إدريسَ، ومُصلَّى إبراهيمَ الخليلِ، ومُصلَّى أَخي الخَضِرِ، ومُصلّايَ. وإنَّ **مسجدَكم** هذا أحدُ **الأربعةِ المساجدِ** التي اختارها اللهُ ﷻ لأهلِها، وكأنّي بهِ يومَ القِيامَةِ في ثَوْبَيْنِ أبيضينِ شَبيهٌ بالمُحْرِمِ، يَشفَعُ لأهلهِ ولمنْ صلَّى فيهِ، ولَا تُرَدُّ شَفاعتُهُ، **ولَا تَذهبُ الأيّامُ حتَّى يُنْصَبَ الحَجَرُ الأسودُ فيه، ولَيَأْتِينَّ عليهِ زَمانٌ يكونُ مُصلَّى المهديِّ مِنْ وَلَدي، ومُصلَّى كُلِّ** مُؤمنٍ، **ولَا يبقَى على الأرضِ مُؤمنٌ إلَّا كان بهِ أو حَنَّ قَلبُهُ إليه**، فلا تَهجروهُ، وتَقَرَّبوا إلى اللهِ ﷻ بالصّلاةِ فيه، **فإنَّ النَّافلةَ فيه تعْدلُ بألفِ نَافلةٍ وعُمرةٍ مع رَسُولِ اللهِ، والفريضةُ فيه تعدلُ بألفِ فريضةٍ وحجّةٍ مع رَسُولِ اللهِ**. وارغبوا إليه في قضاءِ حوائجِكم، **ولَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فيه مِنَ البركةِ؛ لأَتَوْهُ مِنْ أقطارِ الأرضِ ولَوْ جَثوًا على الثّلجِ**»[٢].

ونقلَ **الحائريُّ** أيضًا عَنِ **الصَّادِقِ** قولَهُ في **مسجدِ الكُوفَةِ**: «**إنَّ مَيمنتَهُ لَروضةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وإنَّ وَسَطَهُ لروضةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وإنَّ مُؤخِّرَهُ لروضةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ. وما مِنْ عبدٍ صالحٍ ولَا نَبِيٍّ إلَّا وقَدْ صلَّى فيه، حتَّى إنَّ رَسُولَ اللهِ لما أُسرِيَ بِهِ إلى السماءِ**...». وذكرَ أنّهُ استأذنَ رَبَّهُ في الصّلاةِ فيه فأَذِنَ لهُ، ثُمَّ ذكرَ عنهُ: «**وفيه يُنْفَخُ في الصُّورِ، وإليه المحشرُ**». ونقلَ عنهُ أيضًا قولَهُ: «**نِعْمَ المسجدِ مسجدُ الكُوفةِ، صلَّى فيه ألفُ نَبِيٍّ وألفُ وَصِيٍّ**،

(١) المصدر السابق: أَبْوَابُ المَزَارِ ومَا يُنَاسِبُهُ، بَابُ وُجُوبِ احْتِرَامِ مَكَّةَ والمَدِينَةِ والْكُوفَةِ...
(٢) «شجرة طوبى» (ص: ١١ ـ ١٣).

ومنهُ فَارَ التَّنُّورُ، وفيه جَرَتِ السفينةُ، **الجلوسُ فيه بغيرِ عِبادةٍ وتِلاوةٍ وذِكْرٍ لَعِبادَةٌ، والصلاةُ فيه تعدلُ بألفِ صلاةٍ**»[1].

فالرَّافِضَةُ ينتظرون ويُخطِّطونَ ويَستعِدُّون لِغَزْوِ **الكعبةِ** لِتحقيقِ هذه النُّصوصِ المُلَفَّقَةِ المنسوبةِ إلى **عَلِيٍّ والأئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ** لِنَقْلِ **الحجرِ الأسودِ** إلى مَسجدِهِمْ في **الكُوفَةِ**. وقَدْ حاولوا قَبْلَ أعوام، أيَّامَ حُكْمِ **الخُمَيْنِيِّ** لِدَوْلَتِهِمْ، ولكنّ اللهَ تَعالَى خَذَلَهم وأذَلّهم. ثُمَّ **يَرَوْنَ أنَّ مَسجدَهُمْ أعظمُ فَضيلةً مِنْ مسجدِ رَسُولِ اللهِ** ﷺ؛ لأنَّ في مسجدِهِمْ عِدّةَ رِياضٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ بينما **المسجدُ النبويُّ** ليس فيه إلَّا رَوْضةٌ واحدةٌ، وفيهِ غيرُ ذلك مِنَ المزايا التي حُرِمَها المسجدُ النّبويُّ التي جاءتْ في رواياتِهِمُ السابقةِ.

□ **أمَّا ما يتعلّقُ بالصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:**

فَقَدْ شَارَكَ **الصُّوفيَّةُ** إخوانَهمُ الشِّيعَةَ في هذا الضَّلالِ والصَّدِّ عَنِ الحقِّ، وقَدْ تَمكَّنَ كُلٌّ منهما مِنْ جعلِ أتباعِهِمْ يُعظِّمون أماكنَ ودِيارَ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ، ويَقصدونَها بالزِّيَارَةِ والحجِّ بِقَصْدِ التَّبَرُّكِ وحُصُولِ النّفعِ الدُّنيويِّ والأُخرويِّ، وقَدْ نَجَحَ الفريقانِ في تَشْريعِ طُقوسٍ خَاصَّةٍ يَلْتَزِمُها الأتباعُ في زِياراتِهِمْ، وأورادٍ خَاصَّةٍ وقراءاتٍ يَتْلُونَها في زِياراتِهِمُ البِدْعِيَّةِ تلك. وها هو بعضُ ما جاءَ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:

• ذَكَرَ **عَبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ** في ترجمةِ **عبدِ القادرِ الجيلانيِّ** أنّهُ قال: «**أيّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ عَبَرَ على بابِ مَدرستي؛ خَفَّفَ اللهُ عنهُ العذابَ يومَ القِيَامَةِ**»[2].

إنَّ الكرمَ الصُّوفِيَّ قَدْ فاقَ الحُدودَ، فاللهُ تَعالَى لَمْ يَجعلْ لمنْ عَبَرَ على بابِ بيتِهِ الحرامِ أو مسجدِ رَسُولِهِ ﷺ شَيئًا، بلْ جعلَ الأعمالَ بالنِّـيَّاتِ.

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٣).
(٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ١٢٧).

بينما جعلَ الصُّوفيَّةُ هذا الكرمَ العظيمَ لمنْ عَبَرَ فقطْ أمامَ هذا المكانِ المُقدَّسِ في دِينِهِمْ، فما هو يا تُرَى ثَوابُ مَنْ دخلَ تلكَ المدرسةَ الصُّوفيَّةَ، واعتنقَ مذاهبَهُمْ، وآمنَ بِبِدْعَتِهِمْ؟

• ويقولُ **مُحَمَّدُ مَهدي الرَّوَّاسِيُّ الرِّفَاعِيُّ** يَصِفُ **قريةَ أُمِّ عبيدةَ**، وهي مَوْطِنُ قُطْبِهِمْ وغَوْثِهِمْ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ وفيها مدرستُهُ الصُّوفيَّةُ الشِّيعيَّةُ التي تَخرّجَ فيها أساطينُ التَّصَوُّفِ وأركانُ الشَّرِّ في الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ مثلَ أحمدَ البَدويِّ وغيرهِ ـ يقولُ: «هي دَارُ البُرهانِ والعِرفانِ، ومَحَلُّ نَفَحاتِ الرَّحمٰنِ، ومِضمارُ عُلومٍ انبجستْ مِنْ قَلْبِ سَيِّدِ الأكوانِ»[(١)]. ويَصِفُها أيضًا بأنّها: «**مَحْضَرُ التَّدَلّي، نَائِبَةُ أُمِّ القُرَى**»[(٢)]. ثُمَّ يَصِفُ دُخولَهُ فيها فيقولُ: «تقدّمْتُ على رُؤوسِ الأصابعِ، أتخطَّى إلى **أُمِّ عبيدةَ**، البُقْعَةِ المُقدّسةِ، طُورِ سَيْنَاءِ، قُلوبِ العارفينَ، كعبةِ هِمَمِ المُحقّقينَ، حَرَمِ الأمانِ للطالبين، مَدينةِ أفئدةِ المتمكّنينَ، البيتِ المُقدّسِ الأمينِ، إشارةِ **والتّينِ والزّيتونِ**، سرارةِ تدلّياتِ الإفاضةِ مِنْ شوارقِ أمرِ **كُنْ فيكونُ**، مَهْبَطِ الرّحماتِ، منبعِ الفُتوحاتِ، عنوانِ المنشورِ النّبويِّ، نمطِ الجَفْرِ العَلَويِّ»[(٣)].

هكذا يُبالغونَ في تعظيمِ آثارِهِمْ، وقَدْ أشارَ هذا المُنحرفُ إلى غَايَتِهِمْ مِنْ تعظيمِ تلكَ **القريةِ** المُهملةِ مِنْ بلادِ العراقِ بأنها نَائِبةُ أُمِّ القُرَى مَكَّةَ المُكَرّمةِ. ثُمَّ يَصِفُها بأوصافٍ وألفاظٍ قُرآنيَّةٍ شَرعيَّةٍ؛ لِتَجِدَ لها في قُلوبِ الأتباعِ مَهابةً وحُرْمَةً. ويَهتِكُ اللهُ تَعالَى أستارَهُمْ، ويظهرُ حقيقةَ طريقتِهِمْ، واتّصالِها بالرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ، وذلك في قولِ الرَّوَّاسِيِّ: «**نمطِ الجَفْرِ العَلَويِّ**». تُضَافُ هذه الإشارةُ إلى غيرِها مِمَّا تقدم في بيانِ وتأكيدِ صِلَةِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ وطريقتِهِ الرِّفَاعيَّةِ بِالشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ[(٤)].

---

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٢١٩).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٢٠).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٢٢١ ـ ٢٢٢).
(٤) راجع هنا: (الفصل الأوّلَ مِنَ الباب الثالث) في ذِكْرِ أعلام الصُّوفيَّةِ وعلاقتهم بالشيعة =

ويقولُ أيضًا **الرَّوَّاسِيُّ الرِّفَاعِيُّ**: «وإنَّ السَّلَفَ مِنْ مشايخِ الطّريقِ نَوّهُوا بذكرِ **أُمِّ عبيدةَ** وأعظموا شَأْنَها، وذكروا فضلَ زِيارتِها وما يَحصُلُ مِنَ البركةِ والخيرِ لِزَائرِها»[(١)].

وقال أيضًا: «مَرَّ سلطانُ الرّجالِ تاجُ العارفينَ أبو الوفا بأُمِّ عبيدةَ ـ وذلك قَبْلَ مَوْلِدِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ ـ فقال: **أُمُّ عبيدةَ** بُقعةٌ مُباركةٌ، سيقتتِلُ عليها العارفونَ بالسّلاحِ».

ثُمَّ ذَكَرَ تَنَبُّؤَهُ بميلادِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ وأنّهُ «يَتواضعُ لهُ كُلُّ صاحبِ سجّادةٍ على وَجْهِ الأرضِ... ودَولةُ هذه الطريقةِ المُحمّديَّةِ لهُ وذُرِّيَّتِهِ إلى يوم القِيَامَةِ»[(٢)]. وفي هذا إشارةٌ لمشابهتِهِمُ **الشِّيعَةَ** في تقديسِ ذُرِّيَّةٍ مُعَيّنةٍ، والغُلُوِّ فيها، وتَمييزِها على غيرِها، واستمراريّةِ الدّولةِ في هذه الذُّرِّيَّةِ.

وقال أيضًا: «وقال العارفُ باللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدٍ البَصْرِيُّ شيخُ العارفِ الشّهابِ السّهرورديِّ: الزَّائرُ إلى **أُمِّ عبيدةَ** يَروحُ ويأتي تَحتَ ظِلالِ أجنحةِ الملائكةِ». وقال أيضًا: «الزّائرُ **لأُمِّ عبيدةَ**؛ يمشي على أجنحةِ الملائكةِ، ولهُ بِكُلِّ نَفَسٍ ألفُ ألفِ حسنةٍ»[(٣)].

ونقلَ عَنْ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ شَيْخِهِمْ وسيّدِهِمْ قولَهُ: «وَعَدنِي العزيزُ سُبحانَهُ وتعالى أنْ يُدْخِلَ في هذه **البُقعةِ** في كُلِّ يَومٍ رَجُلًا مِنَ القومِ إلى قيامِ السّاعةِ، ويخرجَ وفي قَلبهِ حَسَراتٌ مِمَّا يرى مِنْ نِعَمِ اللهِ، ومواهبهِ، وعطاياهُ، وإحسانهِ، وبرّهِ المتواترِ»[(٤)].

وقال أيضًا: «يُوَاصِلُ هذه **البُقعةَ** الواويُّ [حيوان معروف]؛ فيصيرُ أسدًا. ويقاطِعُها الأسدُ؛ فيصيرُ واويًّا»[(٥)].

= والتَّشَيُّع في ترجمة أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ صاحبِ الطريقةِ، وترجمة مُجدّدِ الطّريقةِ الرِّفَاعيَّةِ مُحَمَّد مهدي الرَّوَّاسِيِّ.

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٢٢٤).
(٢) «بوارق الحقائق» (ص: ٢٢٤).
(٣) المصدر السابق (ص: ٢٢٤ ـ ٢٢٥).
(٤) المصدر السابق (ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٦).
(٥) المصدر السابق (ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

وقال أيضًا عَنْ **قَريتِهِ**: «وقَدْ جعلَها اللهُ مباركةً. . . وكُلُّ النَّوالِ يَنزِلُ مِنْ جَنَابِ العزيزِ ﷻ على مَكّةَ حرسَها اللهُ، ثُمَّ يَتفرّقُ باليدِ المُحمّديَّةِ على المملكةِ، ومِنَ اليدِ المُحمّديَّةِ يفرغُ إلى **أُمِّ عبيدةَ** ومنها بيدِ أهلِها يُفرّقُ على القُرَى والنّواحي. . اختارَ اللهُ لهذه **البقعةِ** زُبْدَةَ الوقتِ، فما يَقصِدُها إلَّا مَنْ للهِ فيه عِنايةٌ أزليَّةٌ؛ لأنّها مَقْصِدُ الأحبابِ، ومَحَلُّ الأبدالِ والأقطابِ. . . ومنها يحصلُ فتحُ البابِ، وكُلُّ خُطوةٍ إلى **أُمِّ عبيدةَ** يُمْنٌ ودَرجةٌ إلى العزيزِ سُبْحانَهُ»[١].

ونقلَ عنهُ قولَهُ أيضًا: «**وَعَدَنِي العزيزُ سُبْحانَهُ أنَّ النَّارَ لَا تَحرِقُ مَنْ دخلَ هذه البقعةَ، أو مَنْ لَمستهُ يدُهُ**»[٢]. ثُمَّ استشهدَ على هذا الوَعْدِ الصُّوفِيِّ بقصّةٍ يَزْعُمُ فيها أنَّ أحدَ المُريدينَ جاءَ إلى شيخِهِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ بسمكةٍ وأراهُ إيّاها فنظرَ الشّيْخُ إلى السّمكةِ ثُمَّ أمرَ مَنْ يَطبخُها. ثُمَّ أنَّ الطّابخَ لمّا عجزَ عَنْ طَبْخِها بَعْدَ تَرْكِها على النَّارِ مُدَّةً طويلةً أخبرَ الشّيْخَ الذي سجدَ للهِ شُكرًا وقال: «**الحمدُ للهِ الذي صَدَقَنا وَعْدَهُ**»، ثُمَّ ذَكَرَ الوَعْدَ المذكورَ[٣]؛ أيْ: ببركةِ البُقعةِ المُقدّسةِ وبركةِ شَيْخِ الطّريقَةِ الرِّفَاعيَّةِ كانتِ النَّارُ بَرْدًا وسلامًا على تلكَ السّمكةِ المُباركةِ التي أمرَ الشّيْخُ بِهَا فَدُفِنَتْ خَلْفَ رواقِ مَعبدِهِ المُقدّسِ في دِينِ الصُّوفيَّةِ. ولعلَّهُ أمرَ بالصلاةِ عليها قَبْلَ دَفْنِها إعظامًا لشأنِها حيثُ تحقّقَ فيها إنجازُ وَعْدِ اللهِ لهُ!

إنَّ هذه العطايا والمِنَحَ والهِباتِ بعضُ مَا يحصلُ **للرِّفَاعِيَّةِ** إنْ هُمْ آمنوا وصدّقوا واعتقدوا بهذه الطريقةِ، واتبعوا ذلك المنهجَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَى ـ كما زَعَمَ وكَذَبَ الأفّاكُ أحمدُ الرّفاعيُّ ـ قَدْ وَعَدَهُ لكُلِّ مَنْ يَدخلُ تلك **البقعةَ** بجُملةٍ عظيمةٍ مِنَ المواهبِ والعطايا والبِرِّ المتواترِ والنَّوالِ العظيمِ إلى يومِ القِيامَةِ، وأنَّ النّارَ لا تَمَسُّهُ.

---

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٦). (٢) المصدر السابق (ص: ٢٢٧).
(٣) المصدر السابق (ص: ٢٢٧).

(٣) ـ غُلُوُّهمْ في الأتباعِ والمُريدينَ

لَمْ ينسَ **أَتْباعُ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** أنفسَهُمْ مِنْ هذا الخيرِ في ذلك المهرجانِ العظيمِ الذي عَقدوهُ لتوزيعِ الخيراتِ والفضائلِ والبركاتِ، فقَدْ أعطوْا أئِمَّتَهُمْ وأولياءَهُمْ ودِيارَهُمْ ومَساجدَهُمْ مِنَ الغُلُوِّ الشّيءَ الكثيرَ حتَّى غَلَوْا في خصائصِهِمْ في الدُّنيا والآخرةِ، ثُمَّ كَالُوا لأنفسِهِمْ مِنْ بَحْرِ الوَضْعِ والكَذِبِ، فجعلوا لأنفسِهِمْ كأتباعٍ وأشياعٍ مَا تَقَرُّ بهِ العُيونُ، وتَطيبُ لهُ النُّفوسُ مِنْ خيراتِ الدُّنيا والآخرةِ.

□ ما جاء عَنِ الرَّافِضَةِ في هذا الشَّأْنِ:

لقد جعلَ **الشِّيعَةُ** أنفسَهُمْ هُمْ أهلَ الإسلامِ، وحُماةَ الدِّينِ، مِمَّن آمَنَ بِدَعوةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ورِسالتهِ دونَ غيرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وذلك بَعْدَ أنْ جعلوا دَعْوةَ الرَّسُولِ هي التَّشَيُّعُ؛ فالدِّينُ مَا هُمْ عليهِ، وما عِنْدَ النَّاسِ باطلٌ لَا أصلَ لهُ، واللهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ صَرْفًا ولَا عَدْلًا إلَّا مِنَ الشِّيعَةِ، والجَنَّةُ ليستْ إلَّا لَهمْ، بلْ حتَّى في الدُّنيا لَوْلَاهُمْ لَما نزلَ الغَيْثُ مِنَ السماءِ... إلى غيرِ ذلك مِنْ كَذِبِهِمْ، وقَدْ تقدم في المباحثِ المتقدمةِ أشياءُ كثيرةٌ مِنْ هذا الغُلُوِّ والكَذِبِ، ويضافُ إلى ذلك:

• ما روى **الْكُلَيْنِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** حديثًا طويلًا وفيه: «أنَّ للهِ ﷻ ملائكةً يُسقطون الذُّنُوبَ عَنْ ظُهورِ **شِيعَتِنَا** كما يُسْقِطُ الرّيحُ الورقَ... وما مِنْ آيةٍ نزلتْ تَقودُ إلى الجَنَّةِ وتَذْكُرُ أهلَها بخيرٍ إلَّا وهي فِينا وفي **شِيعَتِنَا**، وما مِنْ آيةٍ نزلتْ تَذْكُرُ أهلَها بِشَرٍّ وتَسوقُ إلى النَّارِ إلَّا وهي في عَدُوِّنا ومَنْ خالَفَنا»[(١)]. وروى عنه أيضًا قولَهُ مُخاطبًا الشِّيعَةَ: «**أمَا واللهِ! لَا يَدخلُ النَّارَ مِنكُمُ اثنانِ، لَا واللهِ! ولَا واحدٌ**»[(٢)].

ومعلومٌ في دِينِ الرَّافِضَةِ أنَّ مُرادَهُمْ بالأعداءِ والمُخالفينَ **نحنُ أهلَ**

---

(١) «روضة الكافي» (٨/ ٢٩ ـ ٣١).
(٢) «روضة الكافي» (٨/ ٦٥).

السُّنَّةِ على اختلافِ مَذاهبِنا. وعلى رَأْسِ قَائمةِ الأعداءِ والمخالفينَ: أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وأجلّاءُ الصَّحَابَةِ الآخرون ﵃ جميعًا. فطُوبَى للشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ بهذهِ الوُعُودِ والأماني والآمالِ التي لَنْ تَتحقّقَ ولَن تكونَ إلَّا في خِيالاتِ وعُقولِ الرَّافِضَةِ النَّتِنَةِ.

وروى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** مُخاطبًا الشِّيعَةَ قائلًا: «أَنْتُمْ **شِيعَةُ** اللهِ، وأَنْتُمْ **أَنْصَارُ** اللهِ، وأَنْتُمُ **السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ**... **قَدْ ضَمِنَّا لَكُمُ الجَنَّةَ** بِضَمَانِ اللهِ ﷿ وضَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ... فَوَاللهِ! لَقَدْ **مَاتَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **وهُوَ على أُمَّتِهِ سَاخِطٌ إلَّا الشِّيعَةَ**، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عِزًّا **وعِزُّ الْإِسْلَامِ الشِّيعَةُ**، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةً **ودِعَامَةُ الْإِسْلَامِ الشِّيعَةُ**، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ذِرْوَةً **وذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ الشِّيعَةُ**، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا **وشَرَفُ الْإِسْلَامِ الشِّيعَةُ**، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّدًا **وسَيِّدُ المَجَالِسِ مَجَالِسُ الشِّيعَةِ**، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ إِمَامًا **وإِمَامُ الْأَرْضِ أَرْضٌ تَسْكُنُهَا الشِّيعَةُ**، واللهِ! لَوْلَا مَا في الْأَرْضِ **مِنْكُمْ**؛ مَا رَأَيْتُ بِعَيْنٍ عُشْبًا أَبَدًا، واللهِ! لَوْلَا مَا في الْأَرْضِ **مِنْكُمْ**؛ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى أَهْلِ **خِلَافِكُمْ** ولَا أَصَابُوا الطَّيِّبَاتِ، مَا لَهُمْ في الدُّنْيَا ولَا لَهُمْ في الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»(١).

وبإسنادِهِ إليه أيضًا قال: «أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرًا وجَوْهَرُ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدٌ ﷺ ونحنُ **وشِيعَتُنَا** بَعْدَنَا... مَا أَقْرَبَهُمْ مِنْ عَرْشِ اللهِ ﷿، و[مَا] أَحْسَنَ صُنْعَ اللهِ إليهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واللهِ! لَوْلَا أَنْ يَتَعَاظَمَ النَّاسُ ذلك أَوْ يَدْخُلَهُمْ زَهْوٌ **لَسَلَّمَتْ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ قُبُلًا**... وإِنَّ **لِلصَّامِتِ مِنْ شِيعَتِنَا لَأَجْرُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ مِمَّنْ خَالَفَهُ**. أَنْتُمْ واللهِ! على فُرُشِكُمْ نِيَامٌ لَكُمْ أَجْرُ المُجَاهِدِينَ»(٢).

وفي قوله: «**إِنَّ لِلصَّامِتِ مِنْ شِيعَتِنَا لَأَجْرُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ مِمَّنْ خَالَفَهُ**»؛

(١) «روضة الكافي» ـ حديثُ الصَّيْحَةِ (٨/ ١٨٠ ـ ١٨١).
(٢) «روضة الكافي» (٨/ ١٨١).

إقرارٌ بأنَّ المُخالِفينَ **أيْ**: **أهلَ السُّنَّةِ** يُثابونَ على أعمالِهِمْ وطَاعاتِهِمْ كقِراءَةِ القُرآنِ والجِهادِ وغيرِهِ. وهذا يَتناقَضُ مع ما جاء عَنهم بأنَّ اللهَ تَعالَى لا يَقْبَلُ مِنَ المُخالِفينَ صَرْفًا ولا عَدْلًا، وأنَّ الجَنَّـةَ لَيْسَتْ لَهُم؛ لأَنَّهُمْ ليسوا على دِينٍ بَلْ هُمْ على باطِلٍ، والدِّينُ الحقُّ هو ما عليهِ الشَّيعَةُ فقط. هكذا يَتناقضُونَ، ولكن عُقولَهُم أصبحتْ مَحَلًّا وموطِنًا يَقْبَلُ جميعَ المُحالاتِ، ويُوفِّقُ بينَ المُتناقُضاتِ والمُتضادّاتِ، فهنيئًا لَهم ذلكَ الدِّينُ وتلكَ العُقولُ!

وروَى بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنّهُ قال للشِّيعَةِ: «أَنْتُمْ أَهْلُ تَحِيَّةِ اللهِ بِسَلَامِهِ... لَا حِسَابٌ عَلَيْكُمْ، ولَا خَوْفٌ، ولَا حُزْنٌ، أَنْتُمْ لِلْجَنَّةِ والْجَنَّـةُ لَكُمْ... دِيَارُكُم لَكُمْ جَنَّةٌ، وقُبُورُكُم لَكُمْ جَنَّـةٌ، لِلْجَنَّةِ خُلِقْتُمْ، وفي الْجَنَّةِ نَعِيمُكُمْ، وإلى الْجَنَّةِ تَصِيرُونَ»[(١)].

وروى عَنِ **البَاقِرِ** روايةً فيها أنَّ دَعْوَةَ نَبِيِّ اللهِ إبراهيمَ للمُذْنِبينَ مِنْ أهلِ الإيمانِ بالمغفرةِ والرِّضا؛ خَاصَّةً للشِّيعَةِ دونَ مَنْ سُواهم مِنَ الخلقِ وأهلِ المللِ والأديانِ[(٢)].

وروَى بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنّهُ قالَ مُخاطبًا الشِّيعَةَ بِزعمِهِمْ: «مَنْ أَحبّكمْ على مَا أَنتم عليهِ دَخَلَ الجَنَّةَ وإنْ لَمْ يَقُلْ كما تقولونَ»[(٣)].

فمَنْ أَحَبَّ الشِّيعَةَ لتَشَيُّعِهِم ورَفضِهِمْ ـ وهو ليسَ على مَذهبِهِمْ ـ ولَمْ يُنْكِرْ شَيئًا مِنْ مذاهِبِهِمْ وعَقائِدِهِمْ الشِّركيَّةِ؛ فإنَّهُ مَشمولٌ بالبركاتِ والرّحماتِ والخيراتِ الشِّيعِيَّةِ، شُمولًا يَدخلُ بهِ مداخلَهُمْ ويَرِدُ بِهِ مَوارِدَهُمْ. تلك المواردُ التي لَا نَحسُدُهُمْ عليها لَا واللهِ! ولَا نَغْبطُهُمْ ولَا نرجوها لمنْ نُحِبُّ؛ لِتَبْقَى خَالصةً لَهمْ يومَ القِيَامَةِ بِمَا كَذَّبوا اللهَ تَعالَى وخالفوا أمرَهُ، وبما امتلأتْ بهِ قُلوبُهُمْ مِنْ حِقْدٍ وبُغضٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وآلِهِ وصحابتِهِ الذين

(١) المصدر السابق (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١). (٢) المصدر نفسه (٨/ ٣٢٢).
(٣) المصدر نفسه (٨/ ٢١٣).

نَصَروهُ في سَاعةِ العُسْرَةِ، وبَذلوا الأموالَ والأنفسَ في سبيلِ رَبِّهِمْ ودينِهِمْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمْ وأقرَّ عُيونَهُمْ يومَ القِيَامَةِ وقُلوبَهُمْ بِمَا أَعَدَّهُ ﷻ لمَنِ اتّخذَ دِينَهُ مَطيَّةً لِسَبِّ وتكفيرِ أُولَئِكَ الرجالِ الأبرارِ والطّعنِ فيهم بِكُلِّ أنواعِ القبائحِ. وأقرَّ عيونَنا وشفَا غَيْظَ قُلوبِنا مِنْ هؤلاءِ الأقزامِ أعداءِ الدِّينِ والبشريَّةِ.

• وروى **الصَّفَّارُ** بإسنادِهِ إلى **عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ** قولَهُ: «وإنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إذا رَأَيْناهُ بحقيقةِ الإيمانِ وحقيقةِ النّفاقِ، وإنَّ شِيعَتَنَا لَمكتُوبونَ بأسمائِهِمْ وأسماءِ آبائِهِمْ، أَخَذَ اللهُ علينا وعَليهِمُ الميثاقَ، يَرِدُونَ مَورِدَنا، ويَدخُلُون مَدْخَلَنا نحنُ النُّجَباءُ»(١).

• ويتبجّحُ الرَّافِضَةُ بِلَا حياءٍ ولَا خجلٍ ويُقرّرونَ أنّهُمُ الفِرْقةُ النّاجيةُ مِنْ بَيْنِ الثلاثِ والسّبعينَ فِرْقَةٍ التي ذكرها النَّبيُّ ﷺ؛ نقلَ **مُحَمَّد بَاقِر الموسويُّ الخوانساريُّ** عَلَّامَةُ أهلِ الرَّفْضِ في ترجمةِ **الخواجةِ نَصير دِينِهِمْ ومِلّتِهِمْ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الطُّوسِيِّ**، قولَهُ في شرحِ الحديثِ، فقال: «الفِرقةُ النّاجيةُ هي الإِمَامِيَّةُ، وذلك إني اعتبرتُ جميعَ المذاهبِ ووَقَفْتُ على أُصُولِها وفُروعِها فوجدتُ مَنْ عدَا الإِمَامِيَّةِ مُشتركينَ في الأُصُولِ المعتبرةِ في الإيمانِ وإنِ اختلفوا في أشياءَ.. ثُمَّ وَجَدْتُ أنَّ الطائفةَ الإِمَامِيَّةَ يُخالفون الكُلَّ في أُصُولِهِمْ، فلو كانتْ فِرْقَةٌ مِمَّن عَدَاهُمْ نَاجيةً لكان الكُلُّ نَاجينَ، فَدَلَّ على أنَّ النّاجيَ هو الإِمَامِيَّةُ لَا غيرَ»(٢).

هكذا يَستدِلُّ **نَصيرُ الشِّرْكِ والإلحادِ** على نجاةِ الرَّفْضِ وأهلِهِ! وهيهاتَ هيهاتَ لَما تَعِدُونَ بهِ أنفسَكم وأتباعَكم مِنَ الفوزِ والنّجاةِ، واختصاصِكم بِكُلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرةِ. هيهاتَ أنْ تجدوا رِيحَ الجَنَّةِ وأنتم على مَا أنتم عليهِ مِنَ الرَّفْضِ لِدِينِ اللهِ الحقِّ، ومِنَ الطّعنِ والتّجريحِ في سَاداتِ هذه

---

(١) «بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آلِ مُحَمَّدٍ» (ص: ١٣٨ ـ ١٣٩).
(٢) «روضات الجنات في أحوال العُلَمَاءِ والسادات» (٨/ ٣٠٦).

الأُمَّةِ **الصّحابةِ** ﷺ الذين اختارهُمُ اللهُ تَعَالَى واصطفَاهم لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ونُصْرَةِ دِينهِ.

□ **ما جاء عَنِ الصُّوفيَّةِ في هذا الشَّأْنِ:**

أمّا هؤلاءِ فيَزْعُمونَ أنّهم صَفْوةُ أهلِ الإيمانِ مِمَّن اصطفاهُمُ اللهُ تَعالَى واختارَهُمْ لِنفْسِهِ، فلا الجَنَّةَ يطلبونَ ولَا النَّارَ يَرهبونَ، وعِبادَتُهُمْ عِبادةُ مَحبّةٍ لذاتِ اللهِ لَا تَشوبُها الرّغبةُ ولَا الرّهبةُ، فهم قَدْ سَمَوْا بأرواحِهِمْ وأنفسِهِمْ عَنِ المطامعِ والملذّاتِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، فدِينُهُمْ كما يَزْعُمونَ هو الدِّينُ الحقُّ، ولذلك خَصّهُمُ اللهُ بمصادرَ يَتلقّوْنَ منها دِينَهُمْ وشَرعَهُمْ في حالِ يَقَظَتِهِمْ ومَنامِهِمْ، فالنَّاسُ جميعًا مشغولونَ بالجَنَّةِ والنَّارِ وهُمْ مشغولون بِاللهِ وَحْدَهُ بِزَعمِهِمْ.

ويَزْعُمُونَ أنَّ منهُمُ الأبدالَ والأقطابَ والأغواثَ الذين خَصّهُمُ اللهُ تَعالَى بأنواعٍ مِنَ التّصاريفِ وأحوالِ الخلْقِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ويَزْعُمونَ أنَّ **التَّصَوُّفَ** هو حقيقةُ وباطنُ دَعْوةِ الرَّسُولِ ﷺ ورسالتِهِ، وأنّهُ هو الغايةُ مِنْ بعثَتِهِ؛ فقَدْ نقلَ **أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانِيُّ** فيما نَسَبَهُ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ قولَهُ: «مَنْ عاشَ في ظاهِرِ الرَّسُولِ فهو سُنّيٌّ، ومَنْ عاشَ في باطنِ الرَّسُولِ فهو صُوفِيٌّ»[(١)]. وهذه الدَّعوَى يستوي فيها **الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ** فكلاهما يجعلُ مِنْ دِينهِ ومَذهبِهِ أمرًا يُقابِلُ ما عليهِ **أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ** مِن اعتقادٍ ومَنْهَجٍ، فالشِّيعَةُ تَزْعُمُ أنَّ حقيقةَ دَعْوةِ الرَّسُولِ هي التَّشَيُّعُ وظاهرُها التَّسَنُّنُ، وكذلك الصُّوفيَّةُ يزعمونَ ذلك حذوَ القُذَّةِ بالقُذّةِ.

ولقَدْ شَرّعَ الصُّوفيَّةُ لأنفسِهِمْ طُقوسًا وشَرائعَ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللهُ تَعالَى، وجعلوها مَدارَ الأمرِ في دِينِ اللهِ ﷻ، وأحاطوها بفضائلَ مِنْ صُنعِ أنفسِهِمْ

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» لأبِي نُعَيْم (١/ ٢٠).

تَرويجًا لها، وصبغوها بالصّبغةِ الشَّرعيَّةِ الدّينيَّةِ. أذكرُ بعضًا منها لبيانِ حقيقةِ دِينِهِمْ وشَرعِهِمْ:

- جعلوا لِبَاسَ الصُّوفِ والمرقعةِ غايةً شرعيةً عظيمةً لها أهميتُها حتَّى في زِيادةِ الإيمانِ، فزعموا كَذِبًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**عَليكم بِلبِاسِ الصُّوفِ تجدوا حلاوةَ الإيمانِ في قُلوبِكم**». وفي روايةٍ: «**عليكم بلباسِ الصُّوفِ لتدركوا حلاوةَ الإيمانِ**»[(١)]. وقَدِ اختَلَقُوا هذا الحديثَ لإثباتِ أنَّ لُبْسَ الصُّوفِ على طَريقتِهِمْ مشروعٌ في دِينِ اللهِ.

- وزعموا كَذِبًا أنّهُ ﷺ قال لعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**لَا تُضَيّعي الثّوبَ حتَّى تُرَقِّعِيهِ**»[(٢)].

- ونسبوا إليه ﷺ كَذِبًا وزُورًا: أنّهُ كان يَلْبسُ الصُّوفَ على وَجْهِ التَّأْبيدِ[(٣)].

- وجعلوا مِنَ الجوعِ والفقرِ غايةً في شَرعِهِمْ ودِينِهِمْ، فنسبوا كَذِبًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «**بَطْنٌ جَائعٌ أَحَبُّ إلى اللهِ مِنْ سبعينَ عَابِدًا غَافلًا**»[(٤)]. وقولَهُ: «**أجيعوا بطونَكم واظمئوا أكبادَكم وأعرَوا أجسادَكم لعلَّ قُلوبَكم**

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويريِّ (١/ ٢٤١). **والحديثُ مَكذوبٌ**؛ انظر: (الضعيفة: ١/ ٢٠٦ رقم: ٩٠).

(٢) «كشف المحجوب» (١/ ٢٤١)، وقال مُحقّقُ الكتابِ: جاء في «تلبيس إبليس»: «لا تخلعي الثوبَ حتَّى ترقعيه» **والحديثُ ضعيفٌ جدًّا**؛ رواه التِّرْمِذِيُّ في «الجامع»، كتاب اللباس بَابُ مَا جَاءَ في تَرْقِيعِ الثَّوْبِ (حديث ١٧٨٠)، بلفظ: «..وَلَا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ..». وقال التِّرْمِذِيُّ عقبه مُشيرًا لضعفهِ: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَالِحِ بنِ حَسَّانَ، وسَمِعْت مُحَمَّدًا [يعني الإمامَ البُخاريَّ] يَقُولُ: صَالِحُ بنُ حَسَّانَ مُنْكَرُ الحَدِيثِ، وَصَالِحُ بنُ أَبِي حَسَّانَ الَّذِي رَوَى عَنْهُ ابنُ أَبِي ذِئْبٍ ثِقَةٌ». اهـ. وانظرْ للمزيدِ تخريجَ هذا الحديثِ في: (سلسلة الأحاديثِ الضعيفة والموضوعة: ٣/ ٤٥٧ رقم: ١٢٩٤) للإمامِ الألبانيِّ.

(٣) «كشف المحجوب» (١/ ٤٣١).

(٤) «كشف المحجوب» (٢/ ٥٦٩).

ترى اللهَ عِيانًا في الدُّنيا»[(١)].

ـ ويقولُ **الهُجْويريُّ** عَنِ الجوعِ أنّهُ «شَرَفٌ كَبيرٌ وهو مَحمودٌ عِنْدَ الأُمَمِ والمِلَلِ»، ويَزْعُمُ أنَّ مِنْ ثِمارِ الجوعِ المُشَاهَدَةَ وهي غَايةُ الغاياتِ ومُنتهى الآمالِ عِنْدَ المُتَصَوِّفَةِ[(٢)].

ـ ونقلَ عَنْ **سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ** قولَهُ: «المعدةُ المملوءةُ بالخمرِ أحبُّ إليَّ مِنَ المعدةِ المُمتلئَةِ بالطعامِ»[(٣)].

وأمَّا السّماعُ والرّقصُ والطّربُ؛ فهي وَسيلَتُهُمُ التي لَا بُدَّ منها للوصُولِ إلى ذِروةِ سَنام دِينِهِمْ وشَرعِهِمْ مِنْ مُشاهدةِ الحقِّ التي يَزْعُمُونها، ومِنَ الوصُولِ إلى الحَضْرَةِ المزعومةِ، بِمَا يَحصُلُ لَهمْ مِنْ حالاتِ الغشي والصّعقِ والسُّكرِ والجنونِ، وكُلُّ ذلك شَرعٌ ودِينٌ عِنْدَهُمْ، ولَا يتورّعون عَنْ نسبةِ هذا الباطلِ إلى الدِّينِ ترويجًا لهُ؛ فمن ذلك:

ـ ما نسبَه **الهُجْويريُّ** كاذِبًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قولَهُ: «**مِنْ سَمِعَ صَوْتَ أهلِ التَّصَوُّفِ فلا يُؤَمِّنُ على دُعائِهِمْ؛ كُتِبَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الغافلين**»[(٤)].

ـ وعقدَ **الهُجْويريُّ** بَابًا في السّماعِ وأنواعِهِ، وما يَترتّبُ عليهِ مِنْ وَجْدٍ وغشيٍ وغيرِهِ مِنَ الحالاتِ التي يَزْعُمُونها مقاماتٍ في شَريعتِهِمْ[(٥)]. ونسبَ زُورًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُ كان يُغْشَى عليهِ، فزعمَ «أنّهُ حينَ قُرِأَ عليهِ قولُ اللهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٦٩). والحديث أوردهُ (الغزاليُّ) في كتابه «الإحياء: كتاب كسر الشهوتين» وقال: «رُوي ذلك عن نبيّنا رواه طاووس».اهـ. **يعني هو مُرْسَلٌ؛ أي: ضعيفٌ** على اعتبارَ أنّ له إسنادًا. ولكن قال السبكيُّ في (الطبقات ٦/ ٣٣٤): «لم أجدْ لهُ إسنادًا».اهـ. وكذا قال العراقيُّ في «تخريجِ الإحياءِ»: **وعليه فهو باطلٌ**.

(٢) «كشف المحجوب» (٢/ ٥٦٩، ٥٧٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٩٣).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٢٧). **والحديثُ مكذوبٌ موضوعٌ**.

(٥) «كشف المحجوب» (٢/ ٦٣٨ ـ ٦٦٧).

[المزمل: ١٢، ١٣]؛ وَقَعَ مَغشيًّا عليهِ»[١]. وزَعَمَ أيضًا: «أنَّ رَجُلًا قرأَ أمامَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [الطور: ٧]؛ فصرخَ ووقعَ مغشيًّا عليهِ فرفعوه وحملوه إلى منزلِهِ»[٢].

ـ ثُمَّ ذكرَ عَنْ أَئِمَّةِ المُتَصَوِّفَةِ مَا حصلَ لَهمْ مِنْ ذلك بَعْدَ أنْ مَهّدَ بِمَا نَسَبَهُ كاذبًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وإلى عُمَرَ ترويجًا لِبِدْعَتِهِمْ، وأنّها سُنَّةٌ قديمةٌ وشَرْعٌ ودِينٌ. فَزَعَمَ أنَّ الدّوابَّ والحيواناتِ تُظْهِرُ الطّربَ بِأَلْحانِ الصُّوفيَّةِ وأناشيدِهِمْ، حتَّى ذكرَ أنَّ المُتَصَوِّفَةَ يَصطادونَ الغزلانَ في خُراسانَ والهندَ بالغناءِ والألحانِ، فتسمَعُ الغزلانُ أناشيدَهُمْ، فتقصدُهُمْ، ثُمَّ يغمضون أَعْيُنَهُمْ في اللّذّةِ وينامونَ، فيمسكهُمُ الصّيّادونَ[٣].

ـ ثُمَّ ذكرَ أحوالَ المُريدينَ مع مَشايخِ الصُّوفيَّةِ، خَاصَّةً الذين أسلموا أرواحَهُمْ بِزَعمِهِمْ للهِ تَعالَى. فذكرَ عَنِ **الجُنَيْدِ** أنّهُ يَنصحُ أَحَدَ مُريديهِ فقال: «إذا أَرَدْتَ سَلامةَ الدِّينِ ورعايةَ التوبةِ؛ لَا تُنْكِرُ السّماعَ الذي يُقِيمُهُ الصُّوفيَّةُ»[٤].

ـ ثُمَّ تكَلَّمَ عَنِ الوَجْدِ فقال: «وَصِفَةُ الوَاجِدِ: إمَّا حركةُ غليانِ الشوقِ في حالِ الحجابِ، وإما سُكُونٌ في حالِ المشاهدَةِ في حالِ الكَشْفِ، إمَّا زَفيرٌ وإمّا نفيرٌ، وإمّا أَنينٌ وإما حَنينٌ، إمَّا عيشٌ وإما طيشٌ، إمَّا كَرْبٌ وإما طَرَبٌ»[٥].

ـ وذكرَ أنَّ **الجُنَيْدَ، ومُحَمَّدَ بنَ مسروقٍ، وأبا العباسِ بنَ عطاءٍ** اجتمعوا، فأنشدَ القوَّالُ، فتواجدوا والجُنَيْدُ سَاكنٌ فقالا لهُ: أليس لك نَصيبٌ مِنْ هذا السّماعِ؟ فقرأَ قولَهُ تَعالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]»[٦].

---

(١) «كشف المحجوب» (٢/ ٦٤١).
(٢) «كشف المحجوب» (٢/ ٦٤١).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٤٨).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٦٠).
(٥) «كشف المحجوب» (٢/ ٦٦١).
(٦) «كشف المحجوب» (٢/ ٦٦٣).

إنَّ هذا بعضُ مَا عِنْدَ **هؤلاءِ المُبتدِعَةِ** مِنْ غُلُوٍّ في شَعائِرِهم وطُقوسِهِمُ التي شَرَعُوها لأنفسِهِمْ وأتباعِهِمْ، مُستبدلينَ الذي هو أدنَى بالذي هو خيرٌ مِمَّا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى وشرَعَهُ رَسُولُهُ ﷺ. ويَظهرُ مِنْ هذا أنَّ الصُّوفيَّةَ كالشِّيعَةِ تمامًا لَا تُعْجِزُهُمُ الأدِلَّةُ والنُّصوصُ في إثباتِ مَا يُريدونَ إضافتَهُ إلى الشَّرْعِ والدِّينِ، فمَعِينُ نُصوصِهِمْ لَا يَنْضَبُ وبُحورُ أدِلّتِهِمْ لَا تَجِفُّ، مَا داموا قَدْ فارقوا الحياءَ والخجلَ، واستحلّوا التّبديلَ والتّحريفَ والكَذِبَ على اللهِ تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ وعلى الصّحابةِ والصّالحينَ.

وأمَّا غُلُوُّهُمْ في أنفسِهِمْ وأتباعِهِمْ وما أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لَهمْ بِزَعْمِهِمْ مِنَ المنزلةِ والجاهِ والكرامةِ فكثيرٌ جدًّا، من ذلك مَا نقلَهُ **أبو نُعَيْم الأصبهانيُّ** عَنِ **الحارثِ المُحَاسِبِيِّ** أنّهُ قال: «أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إلى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ... يا دَاوُدُ! تَواضَعْ لمنْ تُعلِّمُهُ ولَا تَطاولْ على المُريدينَ، فلو يَعْلَمُ أهلُ مَحبّتي مَا قدْر المُريدين عِندي لكانوا للمُريدين أرضًا يَمشون عليها ولَلَحَسُوا أقدامَهُمْ»(١).

يُريدونَ بهذه الأقوالِ المختلَقَةِ الرّخيصةِ والأساليبِ الخبيثةِ إثباتَ ألفاظِهِمْ واصطلاحاتِهِمْ وأنّها مِنَ الشَّرْعِ، فضلًا عَنِ الفضائلِ والدّرجاتِ المزعومةِ.

وقَدِ اشتهرتِ الطُّرُقُ الصُّوفيَّةُ جميعًا بالكَذِبِ في فضائلِ أتباعِهِمْ ومُريدِيهم، وأنَّ ذلك خَاصٌّ بتلك الطريقةِ وأهلِها دونَ غيرِها؛ تَرغيبًا للغَوغَاءِ مِنَ النَّاسِ في البقاءِ في حَظيرتِهِمْ وتحتَ سُلطانِهِمْ، فمِن ذلك:

- ما ينقلُهُ عَلِيّ **حرازم بن العربي التجانيُّ** عَنْ **شَيْخِهِ أبي العَبَّاسِ التجانيِّ** أَنَّ **رَسُولَ اللهِ** ﷺ أخبرهُ أنَّ: «**كُلّ مَنْ أحبَّ التّجانيَّ فهو حَبيبُ النَّبيِّ** ﷺ، **ولَا يَموتُ حتَّى يَكونَ وَلِيًّا قطعًا**»(٢).

هكذا يَكذِبُ على الرّسُولِ الكريمِ ﷺ ويَزْعُمُ أنّهُ أخبرَهُ مُباشرةً. وهذا

(١) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

الأُسلوبُ مَقبولٌ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ، بلْ هو مِنْ أقوى أنواعِ الأدِلَّةِ الشَّرعيَّةِ والمصادرِ الدّينيَّةِ.

ـ ويَنقُلُ عَنْ **شَيْخِهِ** أيضًا أَنَّ **رَسُولَ اللهِ** ﷺ أخبرهُ يَقظةً لَا منامًا وقال لهُ: «**أنت مِنَ الآمنينَ، وكُلُّ مَنْ رَآكَ مِنَ الآمنينَ إنْ ماتَ على الإيمانِ، وكُلُّ مَنْ أحسنَ إليك بخدمةٍ أو غيرِها وكُلُّ مَنْ أَطعمَكَ؛ يَدْخُلونَ الجَنَّـةَ بِلا حِسابٍ ولَا عِقابٍ**»[1].

هكذا جعلَ **الصُّوفيَّةُ** مِنَ الجَنَّةِ سِلْعَةً رَخيصةً ـ كإخوانِهُمُ **الشِّيعَةِ** ـ تُنالُ بأقلِّ الأعمالِ والمجهوداتِ والتّكاليفِ، مثلَ خدمةِ الشيوخِ وإطعامِهِم، بلْ ومُجرّدِ رؤيتِهم، أوْ قَبُولِهِمْ، وعَدَمِ الإنكارِ عليهِمْ أوْ مُعَادَاتِهِمْ.

ويؤكِدُ هذا **المُنحرفُ** على بِدْعَةٍ صُوفِيَّةٍ أُخْرَى وهي: رُؤيتُهُمْ للنَّبيِّ ﷺ حتَّى في حالِ يَقَظَتِهِمْ، وأَخذُهُمْ عنهُ الأَدِلَّةَ والنُّصُوصَ المزعومةَ مُباشرةً. وبهذه البِدْعَةِ فتحوا لأنفسِهِمْ ومَنْ وافقَهُمْ بَابًا عظيمًا مِنْ أبوابِ الوَضْعِ والكَذِبِ، ومصدرًا كبيرًا مِنْ مَصادرِ تشريعِ دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ ونِحْلَتِهِمْ.

ـ ثُمَّ يُتابعُ **التّجانيُّ** هذا المزادَ الرّخيصَ في الجَنَّةِ ومقاماتِها ودَرجاتِها فيقولُ:

«فَلَمّا رأيتُ مَا صَدَرَ لي منهُ ﷺ مِنَ المَحَبَّةِ وصَرّحَ لي بِهَا تَذَكّرْتُ الأحبابَ ومَنْ وَصَلَني إحسانُهُمْ ومَنْ تَعَلّقَ بي بخدمةٍ، وأنا أسمعُ أكثرَهُمْ يقولون لي: نُحاسِبُكَ بَيْنَ يَدَي اللهِ إنْ دَخَلْنَا النَّارَ وأنت ترَى. فأقولُ لَهمْ: لَا أَقْدِرُ لكم على شَيْءٍ. فَلَمّا رَأيتُ منهُ ﷺ هذه المحبّةَ سَألْتُهُ لِكُلِّ مَنْ أَحبّني ولَمْ يُعادِني بعدَها، ولِكُلِّ مَنْ أحسنَ إليَّ بشيءٍ مِنْ مِثقالِ ذَرّةٍ فأكثرَ ولَمْ يُعادني بَعْدَها... كُلُّهم يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولَا عِقابٍ، وسَألْتُهُ ﷺ لِكُلِّ مَنْ أَخَذَ عنّي ذِكْرًا أنْ تَغفرَ لَهمْ جميعَ ذُنوبِهِمْ مَا تقدّمَ منها

(١) المصدر السابق (١/ ١٠٩).

وما تأخّرَ، وأنْ تُؤدّيَ عنهم تبعاتِهِمْ مِنْ خَزائنِ فضلِ اللهِ لَا مِنْ حسناتِهِمْ، وأنْ يَرفعَ اللهُ عنهم مُحاسبتَهُ على كُلِّ شَيْءٍ، وأنْ يَكونوا آمنينَ مِنْ عَذابِ اللهِ مِنَ الموتِ إلى دُخولِ الجَنَّةِ، وأنْ يَدخلوا الجَنَّةَ بلا حِسابٍ ولَا عِقابٍ في أَوّلِ الزّمرةِ الأُولى، وأنْ يَكونوا كُلُّهُمْ معي في عِلِّيينَ في جوارِ النَّبِيِّ ﷺ. فقال لي ﷺ: **ضَمِنْتُ لَهمْ هذا كُلَّهُ ضمانةً لَا تَنقطِعُ حتَّى تُجاورَني أنتَ وهُمْ في عِلِّيينَ**»[(١)].

كُلُّ هذه المُحاورةِ حَصلَتْ يَقظةً بَيْنَ **التّجانيِّ** وبَيْنَ مَنْ زَعَمَهُ **الرَّسُولَ**. وهذا أَمرٌ مُسَلَّمٌ في دِينِ الصُّوفيَّةِ؛ لأنّهم يؤمنون بالدَّعوَى والتّداعي، فكُلُّ مَنْ كان صُوفِيًّا يَحِقُّ لهُ أنْ يدّعيَ مَا يشاءُ.

أمَّا أهلُ الإيمانِ؛ فإنّهم لَا يَشُكّونَ في كُفرِ هذا المُدّعي وبُطْلانِ دَعواهُ، وأنَّ هذه القصّةَ ـ التي جَرَتْ بينهُ وبَيْنَ **أحدِ الشّياطينِ** الذي صُوّرَ لهُ أنّهُ رَسُولُهُ ونَبِيُّهُ ـ مِنَ الوقاحةِ وسُوءِ الأدبِ، بلْ والشِّرْكِ باللهِ تَعالَى، كقولِهِ عَنْ مُريديهِ إنَّهُمْ يُحاسبونَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ إنْ هُمْ دَخلوا النَّارَ وهو يَراهُمْ. وقولِهِ لنَبِيِّهِ ورَسُولِهِ وطلبِ المغفرةِ منهُ مُباشرةً والأداءِ عَنْ مُريديهِ استقلالًا.

هذا هو دِينُ هؤلاءِ **الصُّوفيَّةِ** الذين يَزْعُمُونَ أنّهُمُ الصّفوةُ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعالَى، فها هُمْ قَدْ أَغْوَتْهُمُ الشياطينُ، وأَعْمَتْهُمُ الأهواءُ، وأسكرتهُمُ الشّهواتُ عَنِ الدِّينِ الحَقِّ كما هو الحالُ في أساتِذَتِهِمُ **الشِّيعَةِ** مِنْ قَبْلِهِمْ.

إنَّ ضَلالَهُمْ وأهواءَهُمْ أعْمَتْهُمْ عَنْ نُورِ الوَحْيِ، وصَرَفَتْ أبْصارَهُمْ عَنِ الهُدَى، فأينَ هؤلاءِ جميعًا مِن قَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأحبِّ وأقربِ النّاسِ إليهِ: «**اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[(٢)].

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١٠٩).

(٢) **متّفقٌ عليهِ**: أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ =

فرَسُولُ الهُدَى والرَّحْمَةِ ﷺ لَا يُغْنِي عَنْ أَحَدٍ شيئًا، وهؤلاءِ الغَوْغاءُ الخُرافِيُّونَ يَزْعُمُونَ ويُوعدونَ أتباعَهم ومُريديهم ـ إِفْكًا وزُورًا وتَشَبُّعًا ـ أنّهمْ يَفعلونَ ويَفعلونَ وسيفعلونَ، فإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

المطلبُ الثاني

الشُّفَعَاءُ والوُسَطَاءُ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ

تمهيد:

ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشَّفاعةَ والشُّفَعَاءَ في آياتٍ كثيرةٍ، وذكرَها رَسُولُهُ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ، وخُلاصةُ مَا جاءَ في **الكِتابِ والسُّنَّةِ** أنَّ الشَّفاعةَ نوعانِ:

• **الأوّلُ الشَّفاعةُ المنْفِيَّةُ**: وهي التي تَمسّكَ بِهَا المشركون الجاهليّون ومَن ضَاهَاهُمْ مِنْ جُهّالِ هذه الأُمَّةِ وضُلَّالهِم، أو مِمَّن يَنتسبون إلى الإسلام وأهلهِ؛ حيثُ يَعتقدونَ أنَّ هؤلاءِ الشُّفعاءَ شُركاءُ للهِ سُبْحانَهُ في المُلْكِ والتّصريفِ والتّدبيرِ. وهذه الشَّفاعةُ شِرْكٌ باللهِ تَعَالَى، لذلك جاءت نُصوصٌ كثيرةٌ بَنَفْيِها مثل قوله تَعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]. مِمَّا يُبيِّنُ ويُؤكِّدُ أنَّ حقيقةَ هذه الشَّفاعةِ هو الشِّرْكُ باللهِ تَعَالَى. والنُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ تُقَرِّرُ بهذا النَّفْيِ تَوحيدَ اللهِ تَعَالَى الذي هو أَجَلُّ الأعمالِ والطّاعاتِ بلْ هو أَصلُها.

• **والثاني الشَّفاعةُ المُثْبَتَةُ**: وقَدْ أثبتَها اللهُ تَعَالَى في آياتٍ كثيرةٍ، منها قولُهُ تعالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]. كما ذكرَها رَسُولُهُ ﷺ في أحاديثَ بَلَغَتْ بِمجموعِها حَدَّ التّواترِ.

= في الأَقَارِبِ، (الفتح: ٥/ ٣٨٢ رقم٢٧٥٣)، وأخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» كتاب الإيمانِ، بَابٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣ رقم: ٢٠٦/ ٣٥١).

وحقيقةُ هذه **الشَّفاعةِ** أنْ يشفعَ الشّفيعُ بإذنِ اللهِ تَعَالَى فِيمَن يَحدُّهُمُ اللهُ تَعَالَى ويُعيِّنُهُمْ لهُ مِمَّنِ ارتضَاهُمْ تباركَ وتَعَالَى مِنْ أهلِ التّوحيدِ والإخلاصِ، فهي تَفَضُّلٌ وإنعامٌ مِنَ اللهِ ﷻ على أهلِ التوحيدِ والإخلاصِ، فَيغفِرُ لَهمْ ذُنوبَهُمْ بِدُعَاءِ الشَّافعِ الذي أَرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَرامتَهُ في ذلك الموقفِ العظيمِ.

هذه هي عَقيدةُ **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** في هذه المسألةِ، إنّهم وَسَطٌ بَيْنَ الوَعِيدِيَّةِ الجُفَاةِ مِنَ **الخَوارجِ والمُعتَزِلةِ** الذين تَجرّأوا على النُّصُوصِ فأنكروا مَا أَثبتَهُ الشَّرْعُ لِيُؤَكِّدوا مذهبَهُمُ الفاسدَ القائلَ بِخُلُودِ عُصَاةِ الموحِّدينَ ـ الذين يَدخُلُونَ النَّارَ ـ في النَّارِ وأنّهُ لَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةٌ أبدًا. وبذلك أنكروا حَقًّا مِنْ حُقوقِ المصطفى ﷺ، وكَرامةً أكرمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا.

فالعُصاةُ وأهلُ الكبائرِ مِنَ الموحِّدينَ عِنْدَ هؤلاءِ يُخَلَّدُون في النَّارِ سواء شَأْنُهم وشَأنُ فِرعونَ وهَامَانَ وأضرابِهما، هكذا يَجحدونَ قولَ اللهِ تباركَ وتعالَى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]، وقولَهُ ﷻ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، ويَجحدونَ غيرَ ذلك مِنَ الآياتِ والنُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ التي جاءتْ في هذا البابِ.

وهم أيضًا ـ أي: **أهل السُّنَّةِ والجَماعَةِ** ـ وَسَطٌ بَيْنَ **الخَوارجِ والمُعتَزِلةِ** وبَيْنَ **المُرْجِئَةِ الغُلاةِ** الذين تَوسّعوا فيما نَفَاهُ أُولَئِكَ وضَيّقُوهُ؛ حيثُ أثبتَ **المُرْجِئَةُ** مَا نَفاهُ اللهُ تَعَالَى ورَسُولُهُ ﷺ مِنَ الشَّفاعةِ الشِّرْكِيَّةِ مُضاهاةً ومُحاكاةً لِلنّصارى ومُشْرِكي الجاهليَّةِ. ويُمثّلُ هؤلاءِ ـ أعنيك المُرجئةَ ـ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** المحسوبون على الإسلامِ وأهلِهِ؛ فقَدْ جعلوا لمنْ يُعظِّمُونَهُمْ ـ مِنَ الأئِمَّةِ والأولياءِ المزعومينَ ـ حَقًّا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى في الشَّفاعةِ، فيَشفعون لمنْ عَظَّمَهُمْ في الدُّنيا وأحبَّهُمْ، واعتقدَ فيهِمُ الإمامةَ والولايَةَ، ثُمَّ أَفْنَى عُمُرَهُ في تلكَ المحَبَّةِ الشِّرْكِيَّةِ وتلك الطَريقةِ البِدْعِيَّةِ، وقامَ بأداءِ حُقُوقِهِمْ المزعومةِ وخِدْمتِهِمْ، وسكتَ عن مُنكراتِهم وبِدَعِهِمُ الشّركيّةِ، ثُمَّ ماتَ على ذلك.

وبهذه العقيدةِ في أئِمَّتِهِمْ وأَوْلِيائِهِمْ؛ أشغلَ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** أنفسَهُمْ عَنْ طاعةِ اللهِ ﷻ وطاعةِ رَسُولِهِ ﷺ، وعَنْ مَحَبَّةِ اللهِ تَعالَى ومَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، الطاعةَ والمَحَبَّةَ الشَّرعيَّةَ، اعتمادًا منهم على تلك **الشَّفاعةِ** التي ستكونُ خالصةً لَهمْ مِنْ دونِ النَّاسِ يومَ القيامةِ، والتي ستجعَلُهُمْ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِلا حِسابٍ ولَا عِقابٍ، وتجعلُ لَهمْ مَقامًا عظيمًا في تلكَ الجَنَّةِ التي يَحلُمُون بِهَا، وأَنّها لَمْ تُخْلَقْ إلَّا لَهمْ ولِمنْ أَحبَّهُمْ ووافَقَهُمْ على بِدَعِهِمْ ومُنكراتِهِمْ.

وأظنُّهُمْ قَدْ صدقوا في هذا الحُلمُ؛ فإنَّ لَهمْ جَنَّةً خَاصَّةً كجَنَّةِ الدَّجَّالِ ـ سيدخُلونها مع الطّواغيتِ والأصنامِ التي يَعكِفُونَ عليها ـ التي جَعَلَها رَبُّنا وخَالِقُنا دَارَ قَرَارٍ لَهمْ يَذُوقونَ فيها مَا أَعَدَّهُ ﷻ لَهمْ مِنْ أَلوانِ العذابِ في نَارِ جهنّمَ، ولِيَجتهِدْ أساطينُهُمْ وطَواغيتُهُمْ في جَعْلِ نَارِ اللهِ تَعالَى بَرْدًا وسَلامًا عَليهِم كما يَزْعُمُونَ ويعتقدون ونقولُ: يا أهلَ الزّيغِ والضَّلالِ! انتظروا فإنّا مُنتظرونَ.

وها هو سَرْدٌ لبعضِ ما جاءَ عِنْدَ طّائفتي الشِّرْكِ والضَّلالِ في الشَّفاعَةِ والشُّفعاءِ:

▫ الشَّفَاعَةُ والشُّفَعَاءُ عِنْدَ الشِّيعَةِ:

• يقولُ شَيخُهُمْ ومُفيدُهُمْ **مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ** في بيانِ عَقائِدِهِمْ وأُصُولِ مَذهبِهِمْ ما نصُّهُ: «القولُ في الشَّفاعةِ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشفعُ يومَ القِيَامَةِ في مُذْنِبي أُمَّتِهِ مِنَ الشِّيعَةِ خَاصَّةً... ويشفعُ أميرُ المؤمنينَ في عُصَاةِ شِيعَتِهِ... وتَشفعُ الأَئِمَّةُ في مثلِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ شِيعَتِهِم... وعلى هذا القولِ إجماعُ الإِمَامِيَّةِ»(١).

ويروي بِإسنادِهِ إلى **مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ** أنّهُ قال: «مَنْ كانتْ لهُ إلى اللهِ

(١) «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» (ص: ٩٠).

حَاجَةٌ، وأرادَ أنْ يَرانا وأنْ يَعرِفَ مَوْضِعَهُ مِنَ اللهِ؛ فَلْيَغْتَسِلْ ثَلاثَ لَيالٍ، يُناجي بِنَا، فإنَّهُ يَرانا ويُغفَرُ لهُ بِنا... ثُمَّ قِيلَ لهُ: إنَّ رَجُلًا رَآكَ في مَنامهِ وهو يَشْرَبُ النّبِيذَ. فقال: ليس النّبيذُ يُفْسِدُ عليهِ دِينَهُ، إنَّما يُفسِدُ عليهِ تَرْكُنا وتَخلُّفُهُ عنّا... إنَّ أشقَى أشقيائِكم مَنْ يُكَذِّبُنا في الباطنِ بِمَا يُخْبَرُ عنّا... نحنُ أبناءُ نَبِيِّ اللهِ... وأحبابُ رَبِّ العالمينَ، نحنُ مِفتاحُ الكتابِ.. نحنُ حَجَرُ البيتِ في السماءِ والأرضِ، بِنا غُفِرَ لآدمَ، وبِنا ابتُلي أيّوبُ، وبِنا افْتَقَدَ يَعقوبُ، وبِنا حُبِسَ يُوسُفُ، وبنا دُفِعَ البلاءُ، وبِنا أضاءتِ الشَّمْسُ»[(١)].

إنَّ **شَيْخَهُمْ** هذا الذي أوردَ هذه الأخبارَ مِمَّن يُحتجُّ بهِ في أخبارهِ وتقريرهِ لعقائِدِهِمْ وقَدْ لَقَّبُوهُ **بالشّيْخ وبالمُفيدِ**، وهو يُقَرِّرُ هنا اختصاصَ شَفاعةِ النبيِّ وغيرهِ مِنَ الشُّفعاءِ بِالشِّيعَةِ دونَ غيرِهِمْ؛ وذلك لأنّهُ قَدْ تَقرَّرَ عندَهم أنَّ الشَّفاعةَ يَستَحِقُّها مَنْ أشركَ بِاللهِ تَعالَى وجعلَ لهُ أندادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ أوْ أشَدَّ حُبًّا.

ويُقَرِّرُ أيضًا أنَّ مُناجاةَ اللهِ تَعالَى إنْ كانتْ بالوسطاءِ؛ فإنَّهُ أحرَى للوصُولِ والبُلوغِ إلى أهدافِهِمْ وغَايَاتِهِمْ.

كما يُقَرِّرُ مَبدَأً مُهِمًّا مِنْ مَبادئِ التَّشَيُّعِ، وهو: الخضوعُ والانقيادُ والإذعانُ ظاهرًا وباطنًا لِكُلِّ مَا يُنْسَبُ إلى مَنْ زَعَمُوهُمْ أَئِمَّةً، فالوَيْلُ حتَّى لمنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بتكذيبِ شَيْءٍ مِمَّا نُسِبَ إليهم فضلًا عَنْ رَدِّ مَا كان مِنْ جِنْسِ الخرافاتِ والأساطيرِ.

• وكذلك فعل **أحمدُ بنُ عَلِيٍّ الطَّبرسيُّ** ـ مِنْ علمائِهِمْ في القرنِ السادسِ ـ؛ فقدَ أوردَ نَصًّا مكذوبًا نَسَبَهُ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ، يُبيِّنُ فيه حاجةَ النَّاسِ عَامَّةً إلى شَفاعةِ مَنْ يَزْعُمُونَهُمْ أَئِـمَّـةَ أهلِ البَيْتِ، وحتَّى الأنبياءِ ذَكَرَ

(١) «الاختصاص» للمُفيدِ (ص: ٩٠ ـ ٩١).

حاجتَهُمْ لتلكَ الشَّفاعةِ؛ فآدمُ لمّا عصَى اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى تواضعَ لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ودَعا اللهَ بِهِمْ، فأفلحَ كُلَّ الفلاحِ ببركةِ تَمسُّكِهِ بِعُرْوةِ أهلِ البَيْتِ[(١)].

• وأوردَ **الجزائريُّ الرَّافِضِيُّ** نَصًّا يَراهُ هو وأمثالُهُ دَليلًا وحُجَّةً، فيَزْعُمُ أنَّ حَوتَ يُونُسَ خرجَ أيّامَ زَيْنِ العَابدِينَ وقالَ بِلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبيًّا مِنْ آدمَ إلى مُحَمَّدٍ إلَّا وقَدْ عَرَضَ عليهِ وِلايةَ الإمامةِ، فمَنْ قَبْلِها منهم سَلِمَ، ومَنْ تَوقَّفَ عنهُ وتَتَعْتَعَ لَقِيَ مَا لَقِيَ مِنَ المصيبةِ». ثُمَّ ذكرَ هذا الرَّافِضِيُّ مَا لاقاه آدمُ، ونوحٌ، وإبراهيمُ، ويُوسُفُ، وأيّوبُ، ودَاوُدُ، ويُونُسُ مِنَ البلايا والمصائبِ، وأنّهم مَا سَلِمُوا مِمَّا لَاقوهُ إلَّا بالتّمسُّكِ بأَئِمَّةِ أهلِ البَيْتِ[(٢)].

• وأوردَ **الحُرُّ العَامِلِيُّ الرَّافِضِيُّ** نُصُوصًا عَنِ الشَّفاعةِ، منها مَا نَسَبَهُ إلى الصَّادِقِ أنّهُ قال: «شَفاعَتُنا لأهلِ الكبائرِ مِنْ شِيعَتِنَا»[(٣)]. ونسبَ إلى **عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا** أنّهُ قال: «مَنْ زَارَ قُبورَ الأَئِمَّةِ رَغْبةً وتصديقًا كانوا شُفعاءَهُ يومَ القِيَامَةِ»[(٤)].

• وذُكِرَ في «**الزِّيَارَةِ الجامعةِ**» ـ المتلقاةِ بالقَبولِ عِنْدَ جميعِ أئِمَّتِهِمْ قديمًا وحديثًا ـ مَا نَصُّهُ: «أَنْتُم السبيلُ الأعظمُ، والصّراطُ الأقومُ، وشُهداءُ دَارِ الفناءِ، وشُفعاءُ دارِ البَقاءِ، والرّحمةُ الموصولةُ».

• وجاءَ في شَرْحِ «الزِّيَارَةِ الجامعةِ» المُسَمَّى «الأنوار اللامِعَةِ» لعَبْدِ اللهِ شُبَّر مَا نقلَهُ عَنِ البَاقِرِ والصَّادِقِ قولهما: «واللهِ لَنَشْفَعَنَّ في المُذْنِبينَ مِنْ شِيعَتِنَا حتَّى يَقولَ أعداؤُنا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]. ونسبَ إلى **الصَّادِقِ** قولَهُ: «الشَّافِعونَ: الأَئِمَّةُ... ولنا شَفاعةٌ في شِيعَتِنا، ولِشِيعَتِنَا شَفاعةٌ في أهلِ بَيْتِهِمْ». وعَنهُ أيضًا قولَهُ: «مَنْ

(١) «الاحتجاج» للطَّبرَسِيِّ (١/ ٥٣).
(٢) «الأنوار النُّعْمانِيَّة» (١/ ٢٤ ـ ٢٥).
(٣) «وسائلُ الشِّيْعَةِ» (٥/ ٣٢٢).
(٤) المصدر السابق (٥/ ٣٢٢).

أنكرَ ثلاثةَ أشياءَ فليسَ مِنْ شِيعَتِنَا: المِعْرَاجَ، والمساءلةَ في القَبْرِ، والشَّفاعةَ»[(١)].

• ويقولُ إمامُهُمْ **الخُمَيْنِيُّ** ـ مُبيّنًا التّوسُّلَ البِدْعِيَّ الشِّرْكِيَّ ـ مَا نَصُّهُ: «فيتوسّل بأولياءِ الأمرِ، وخفراءِ الزمانِ، وشُفعاءِ الإنسِ والجانِّ؛ يَعني: الرَّسُولَ والأئمّةَ المَعصُومينَ، ويَجعلُ تلك الذّواتِ الشَّريفةَ شَفيعًا وواسطةً. وحيثُ إنَّ لِكُلِّ يومٍ خفيرًا ومُجيرًا فيَتعلَّقُ يومَ السبتِ بالوجودِ المباركِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ويومَ الأحدِ لأميرِ المؤمِنينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويومَ الإثنينِ للإمامينِ الهمامينِ السِّبْطَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ويومَ الثلاثاءِ لِلْحَضَرَاتِ: السَّجَّادِ والبَاقِرِ والصَّادِقِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويومَ الأربعاءِ للحضراتِ: الكَاظِمِ والرِّضَا والتّقِيِّ والنَّقِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويومَ الخميسِ للعَسْكريِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويومَ الجُمُعةِ لِوَلِيِّ الأمرِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّريفَ... ويسألُ الحقَّ تَعَالَى رفعَ شَرِّ الشَّيْطَانِ والنّفسِ الأمارةِ بالسُّوءِ بشفاعتِهِمْ، فإنّهم مُقرَّبون لجنابِ القُدُسِ والمحارمُ لخلوةِ الأنسِ. ويجعلُهُمْ وسائطَ في الإتمامِ وقبولِ العباداتِ النّاقصةِ والمناسكِ غيرِ اللائقةِ. فالحقُّ تَعَالَى كما جعلَ مُحَمَّدًا وأهلَ بيتهِ وسائطَ الهدايةِ... وعَيَّنَهُمُ الهداةَ لنا... فيُرَمِّمُ بشفاعتِهِمْ قُصورَنا ويُتَمِّمُ نَقْصَنا ويَقبلُ طاعاتِنا وعباداتِنا غيرَ اللّائقةِ»[(٢)].

لقد جعلَ **الخُمَيْنِيُّ** لِكُلِّ يومٍ مِنْ أيّامِ الأسبوعِ ذَاتًا يَتعلَّقُ هو وأمثالُهُ بِهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِيَشْفِيَ غَلِيلَ نَفسِهِ التَّوَّاقةِ إلى الشِّرْكِ باللهِ تَعالَى، واتّخاذِ الأندادِ والأوثانِ في دِينِ اللهِ تَعالَى.

وتسويغًا للأعمالِ الشِّرْكِيَّةِ والوَثَنِيَّةِ التي يَدعو لها هو وغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الرَّفْضِ؛ فإنَّهُ يُفَسِّرُ الشِّرْكَ تَفسيرًا يُوافِقُ طَبْعَهُ وهَوَاهُ، فيقولُ: «إنَّ الشِّرْكَ هو طَلَبُ الشّيءِ مِنْ غَيْرِ رَبِّ العالمينَ على أساسِ كَوْنِهِ إِلٰهًا، وأمَّا ما دُونَ

(١) «الأنوار اللامِعَة في شرحِ الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ» (ص: ١٤٥ ـ ١٤٦).
(٢) «الآداب المعنوية للصلاة» (ص: ٥٦٩ ـ ٥٧٠).

ذلك؛ ليس بِالشِّرْكِ»[١].

هكذا انطلقَ **الخُمَيْنِيُّ** مِنْ خلالِ هذا التَّفسيرِ يَدعو إلى تَعظيمِ الأشخاصِ، وتَقديسِهِمْ، وطَلَبِ الحوائجِ مِنهم، مُدَّعِيًا بأنَّهُ يَكفي لِعَدَمِ الوقوعِ في الشِّرْكِ عَدَمُ اعتقادِ الألوهيَّةِ فيمَنْ يُطْلَبُ منهُ قَضاءَ الحوائجِ. ويقولُ نتيجةً لهذا التَّفسيرِ الشَّيْطانِيِّ الخبيثِ: «إنَّ طَلَبَ الحاجةِ مِنَ الرَّسُولِ والإمامِ وأيِّ شَخْصٍ ليس بِشركٍ، وأنَّهُ يَستوي في ذلك الحيُّ والميّتُ بلْ حتَّى الحَجَرُ والصّخْرُ، وإنْ كان بَاطِلًا لِعَدَمِ مَنْحِ اللهِ تَعَالَى إيّاها القُدرةَ على قَضاءِ الحوائجِ، بِخلافِ مَنْ نطلبُ مِنهُمُ المَدَدَ مِنَ الأرواحِ المُقَدّسَةِ للأنبياءِ والأئِمَّةِ مِمَّن قَدْ مَنَحَهُمُ اللهُ القُدْرَةَ»[٢].

هذا هو دِينُ **الرَّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ**، وما زالوا مُتمسّكينَ بهذه الشِّرْكِيّاتِ والوَثَنِيّاتِ إلى يَوْمِنا هذا، فها هُمْ يَزورون الأَئِمَّةَ والأولِيَاءَ المزعومينَ، الأحياءَ منهم والأمواتَ بِقَصْدِ التَّبَرُّكِ وحُصولِ المنافعِ وطَلبِ الحوائجِ الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ منهم، لِما زَعَمُوا أنَّ لِأئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمُ القُدرةَ والتَّصَرُّفَ أحياءً وأمواتًا.

ولـمَّا لَمْ يَجِدِ **الخُمَيْنِيُّ** ـ ولَنْ يَجِدَ الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ ولوِ اجتمعوا ـ دَليلًا شَرعيًّا يُسْعِفُهُ في كُفْرِهِ ومذهبِهِ الباطلِ؛ لجأَ إلى مَنْ زَعَمَهُمُ العُلَمَاءَ وكبارَ الفلاسفةِ، فاستشهدَ بِتُرّهاتِهِمْ، واستدلَّ بأقوالِهِمُ السّاقطةِ، بِحُجَّةِ أنَّ هذه المسألةَ تُعْتَبَرُ مِنَ المسائلِ الفلسفيَّةِ الحَتْمِيَّةِ فيقولُ: «نكتَفي هنا بِنقلِ آراءِ بعضِ كِبارِ الفلاسفةِ الموثوقِ بآرائِهِمْ»[٣]. فذكرَ رَأْيَ ثاليس المالطيّ، وأنكيسماسَ، وأنبذقلسَ الذي زَعَمَ أنَّ لُقْمانَ الحكيمَ أَخَذَ عنهُ الحِكْمَةَ، وفيثاغورسَ الحكيمِ بِزَعْمِهِ، وسقراطَ الفيلسوفِ الكبيرِ على حَدِّ قولِهِ،

(١) «كشف الأسرار» لِلْخُمَيْنِيِّ (ص: ٤٩). (٢) المصدر السابق (ص: ٤٦ ـ ٤٩).
(٣) «كشف الأسرار» (ص: ٥٠).

وأفلاطونَ العظيمِ، وأرسطوطاليسَ، وقَدْ ذكرَهُمْ بالتّعظيمِ والثّناءِ والتّمجيدِ.

ثُمَّ ذكرَ آراءَ مَنْ زَعَمَهُمْ فلاسفةَ الإسلامِ، فذكرَ رأيَ ابنِ سينا، وشهابِ الدِّينِ السهروردِيِّ المقتولِ زَنْدَقَةً، ومُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ الشيرازيِّ الرَّافِضِيِّ الصُّوفِيِّ المُلَقَّبِ عِنْدَ الشِّيعَةِ بِصَدْرِ المتألّهينَ، وأخيرًا استشهدَ واستدلَّ بِرأْيِ ديكارات الفيلسوفِ الفرنسيِّ المُلْحِدِ(١). إنَّ أقوالَ ومذاهبَ هؤلاءِ هي أَدِلَّتُهُ في الشَّفاعةِ، وغيرِها مِنْ أبوابِ العقائدِ المُنحرفةِ، فهؤلاءِ هُمْ قُدْوتُهُ وأَساتذَتُهُ، حَشَرَهُ اللهُ تَعَالَى مَعهم.

ثُمَّ يقولُ **الخُمَيْنِيُّ**: «يقولون: طَلَبُ الشَّفاعةِ مِنَ الأمواتِ شِرْكٌ(٢)». يُورِدُ هذه الحقيقةَ على أنَّها شُبْهةٌ وأنّهُ سَيَرُدُّ عليها فيَزْعُمُ أنَّ مَصدرَ هذه الشُّبْهةِ «الوَهَّابِيُّونَ»(٣)، ولقَدْ كَذَبَ، بلْ هو مذهبُ أهلِ الحقِّ أتباعِ الرَّسُولِ ﷺ ومُقتضَى النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ.

ثُمَّ يَقولُ في رَدِّهِ على مَا زَعَمَهُ شُبهةً: «بأنَّ الشفعاءَ لَنْ يكونوا بَعْدَ تَوديعهِمُ الحياةَ أمواتًا، بَلْ إنَّ مَوتَهُمْ؛ يَعني: خُلُودَ أرواحِهِمْ في العَالَمِ الآخرِ، ووُقُوفَهُمْ على كثيرٍ مِنَ الأُمُورِ المُسَلَّمِ بِهَا». ويقولُ أيضًا: «واستنادًا إلى فلاسفةِ الرّوحِ القُدَامى؛ فإنَّ طَلَبَ الشَّفاعةِ مِنَ الإمامِ وَالنَّبِيِّ الذي يُصْبِحُ بَعْدَ مَوْتِهِ كَقِطْعَةِ خَشَبٍ أو حَجَرٍ أو أَيِّ جمادٍ آخرَ... لَنْ يُعَدَّ شِرْكًا»(٤).

ثُمَّ راحَ بَعْدَ إثباتهِ لهذا المذهبِ ـ مُستَنِدًا على أقوالِ مَنْ زَعمَهُمْ فلاسفةَ الرّوحِ القُدماءَ ـ يَستشهِدُ ببعضِ الآياتِ القُرآنِيَّةِ زَاعِمًا أنَّها تَشهَدُ لعقيدتهِ في الشَّفاعةِ.

إنَّ في ذكرِ أقوالِ **الخُمَيْنِيِّ الرَّافِضِيِّ المُتَصَوِّفِ**؛ بيانًا ودليلًا على أنَّ الرَّفْضَ والتَّشَيُّعَ مَا زالَ كما كان قديمًا مِعْوَلَ هَدْمٍ لأركانِ الإسلامِ والإيمانِ

(١) المصدر السابق (ص: ٥٠ ـ ٥٦).
(٢) المصدر نفسه (ص: ٩٤).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٩٤).
(٤) «كشف الأسرار» (ص: ٩٤).

والتوحيدِ، ولَا فرقَ بَيْنَ رَافِضَةِ الأمسِ واليومِ، ولَا يَنبغي الاغترارُ بالشّعاراتِ والهتافاتِ التي يَرفَعُها الرَّافِضَةُ في وسائلِ إعلامِهِمْ ومُؤلَّفاتِهِمُ التي يَكتُبونَها لأهلِ السُّنَّةِ تَقِيَّةً بُغْيَةَ إضلالِ عَامَّتِهِمْ، وتَمييعِ مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في مَوْقفِهِمْ مِنَ الرَّفْضِ وأهلِهِ، وفي تَحقيقِهِمُ الولاءَ والبَراءَ أَوْثَقَ عُرَى الإيمانِ في دِينِ اللهِ تَعالَى.

▫ الشَّفَاعَةُ والشُّفَعَاءُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ:

■ روى **القُشَيْرِيُّ** بإسنادِهِ إلى أحدِ الصُّوفِيَّةِ يقولُ: «كُنَّا قُعُودًا في مَجلسِ أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ، فقال: قوموا بنا نستقبلُ وَلِيًّا مِنْ أولياءِ اللهِ تَعالَى. فَقُمْنا مَعهُ، فَلَمّا بَلَغْنَا الدَّرْبَ فإذا إبراهيمُ بنُ شَيْبَةَ الهرويُّ. فقال لهُ أبو يَزِيدَ: وَقَعَ في خاطري أنْ أَستقبِلَكَ وأشفعَ لك إلى رَبِّي. فقال إبراهيمُ: ولَوْ شَفَعْتَ في جميعِ الخلْقِ لَمْ يَكُنْ بكثيرٍ إنَّمَا هُمْ قِطْعَةُ طِينٍ! فتحَيَّرَ أبو يَزيدَ مِنْ جَوابِهِ».

ثُمَّ يُعَلِّقُ **القُشَيْرِيُّ** على الرّوايةِ قائلًا: «وكَرامَةُ إبراهيمَ في استصغارِ ذلك أَتَمُّ مِنْ كَرامةِ أبي يَزِيدَ فيما حصلَ لهُ مِنَ الفَراسَةِ وصدقَ لهُ مِنَ الحالةِ في بابِ الشَّفاعةِ»[١]. مقرِّرًا مَا في هذه الرّوايةِ الصُّوفيَّةِ مِن انحرافاتٍ: فأبو يَزِيدَ يَعْلَمُ الغيْبَ، والهرويُّ يُزَكَّى على أنّهُ مِنَ الأولياءِ، والشَّفاعةُ التي نَفَاها اللهُ تَعالَى ونَفاها رَسُولُهُ ﷺ يُقَرِّرُها هؤلاءِ. فأبو يَزِيدَ عِنْدَهُمْ يَمْلِكُ الشَّفاعَةَ ويَستحِقُّها ولهُ أنْ يَضَعَها فِيمَنْ يَختَارُهُمْ هوَ، بلْ يَمْلِكُها في مَذهبِهِمْ مَنْ هو دُونَ أبي يَزِيدَ الذي يُعَدُّ مِمَّن يُقتدَى بهِ في التَّصَوُّفِ.

■ ويَزْعُمُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** أنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّةِ الدَّعوةِ الذين بُعِثَ إليهم مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يُكْتَبُ شَقِيًّا، ولَا يَبْقَى في النَّارِ، بلْ يَخرجون جميعًا منها، وإنْ بَقِيَ أَحَدٌ منهم فيها فإنّها تكونُ عليهِ بَرْدًا وسَلامًا بِبَركةِ أهلِ البَيْتِ.

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٧٠٦).

ويَزْعُمُ أنَّ هذا تَحقيقٌ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**أهلُ بَيتي أَمَانٌ لأُمَّتِي**»[١]. فأهلُ البَيْتِ يشفعونَ في هذه الأُمَّةِ، وبِبركةِ شَفاعتِهِمْ ودُعائِهِمْ يَخرجُ النَّاسُ مِنَ النَّارِ، أو تكونُ عَليهِم بَرْدًا وسلامًا إنْ هُمْ بَقوْا فيها. وهذا مِنْ مُوافقاتِ ابنِ عَرَبِيٍّ الصُّوفِيِّ للشِّيعَةِ والتَّشَيُّعِ.

■ ويقولُ **أحمدُ مبارك السلجماسيُّ** عَنْ شَيْخِهِ **الدَّبَّاغِ**: «ولمّا ماتَ الشّيْخُ كنتُ أَتكلَّفُ الذَّهابَ إلى زِيارَةِ قَبْرِهِ كثيرًا فوقفَ عَلَيَّ في المنامِ وقال لي: إنَّ ذَاتِي لَيْسَتْ بِمحجُوبةٍ في القَبْرِ بلْ في العَالَمِ كُلِّهِ عَامرةً لهُ ومالئة وفي أَيِّ مَوْضعٍ تَطْلُبُني تَجدُني، حتَّى إنّكَ لَوْ قُمْتَ إلى سَاريَةٍ في المسجدِ وتَوسَّلْتَ بي إلى اللهِ فإنّي أكونُ معك حينئذٍ.. وإيّاك أنْ تَظُنَّ أنِّي أنا رَبُّكَ ﷻ فإنَّ رَبَّكَ غَيْرُ مَحصورٍ في العَالَمِ وأنا مَحصورٌ فيه». وقال عنهُ أيضًا: «وكذا سَمِعْتُهُ في حياتِهِ يقولُ: إنَّ العَالَمَ كُلَّهُ قَدْ يكونُ أحيانًا في وَسَطِ جَوْفي»[٢].

إنّها زَنْدَقَةٌ صُوفِيَّةٌ وكُفْرٌ بِاللهِ تَعالَى؛ فـ**الدّبّاغُ** يُحَذِّرُ مُريديهِ أنْ يَظُنُّوا أنَّ فيه شَيئًا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ فالرَّبُّ غَيْرُ مَحصورٍ في العَالَمِ وهو مُحصورٌ فيه. وقَدْ سَبقَ أنْ أخبرَهُ بأنَّ العَالَمَ كُلَّهُ أحيانًا يكونُ في جَوْفِهِ؛ أَيْ: أنّهُ أَعَمُّ وأعظمُ مِنَ العَالَمِ وأنّهُ غَيْرُ مُنْحَصِرٌ في العَالَمِ تَعالَى اللهُ ﷻ عَمَّا يَقولُ الظّالمونَ عُلُوًّا كبيرًا. أمَّا **التّوسُّلُ** بِهِ وجَعْلُهُ وساطَةً وشفيعًا بينهُ وبَيْنَ رَبّهِ ﷻ فإنَّهُ أَمرٌ مَفروغٌ منهُ وهو مِنْ ضَروريّاتِ مَذهبِ الصُّوفيَّةِ والشِّيعَةِ، وكأنَّ دُعاءَ اللهِ ﷻ مُباشرةً وبِلا وساطةٍ أمرٌ ممنوعٌ في دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ.

■ وهذا **الشَّعرانيُّ** ـ صاحبُ الصَّوْلَةِ والجَوْلَةِ في هذا البابِ بلْ وفي

---

(١) «الفتوحات المكية» السؤال الخمسون ومائة: «أهل بيتي أمان لأمتي» (٢/ ١٢٧).
والحديث ضعيفٌ؛ انظر: (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للمُحدِّثِ الألبانيِّ: ١٠/ ٢٣٤ القسم الأول حديث رقم: ٤٦٩٩).

(٢) «الإبريز» للدباغ (ص: ٤٠٧).

جميعِ أبوابِ التَّصَوُّفِ والضَّلالِ ـ يقولُ كاشفًا عَنْ عَقيدتهِ فيما يَنْقُلُهُ عَنْ سَيِّدِهِ **إبراهيمَ الدّسوقيِّ**: «إذا صَدَقَ المُريدُ مع شَيْخِهِ ونادَى شَيْخَهُ مِنْ مَسيرةِ ألفِ عام؛ أجابَهُ حَيًّا كانَ الشّيْخُ أو مَيّتًا، فَلْيَتوجَّهِ الصَّادِقُ بقَلبِهِ إلى شَيْخِهِ في كُلِّ أَمْرٍ دَهَمَهُ في دَارِ الدُّنيا، فإنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَ شَيْخِهِ ويُغِيثُهُ مِمَّا هو فيه. ومهما وَرَدَ عليهِ مِنْ مُشكلاتِ سِرِّهِ يُطْبِقْ عَيْنَيْهِ ويَفتحْ عَيْنَ قَلبهِ فإنَّهُ يَرى شَيْخَهُ جهارًا، فإذا رآه فَلْيسألْهُ عَمَّا شاءَ وأرادَ»[(١)].

إنّها دعوةٌ صُوفِيَّةٌ للتّوَجُّهِ إلى المخلُوقِ حَيًّا كان أو مَيّتًا، حتَّى في حالاتِ الشِّدّةِ والكربِ وهذا كُلُّهُ لَا يُسَمَّى عِنْدَهُمْ شِرْكًا بلْ هو مِنْ أرفعِ الأعمالِ وأعظمِها وأَحرَاها للقَبولِ، وما على المُريدِ إلَّا أنْ يُغمِضَ عَيْنَيْهِ عَنْ جميعِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ التي تَدعو إلى توحيدِ اللهِ ﷻ في العبادةِ والطّلبِ والشّدَّةِ والرَّخَاءِ، وإلى نَبْذِ الشِّرْكِ في جميعِ صُوَرِهِ وأشكالهِ مهما قلَّ أو دَقَّ في عُرْفِ النَّاسِ لخطورتِهِ، ثُمَّ يَفتحُ عَيْنَ قَلبهِ؛ أَيْ: مَا أملاهُ عليهِ أئِمَّةُ التَّصَوُّفِ مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ والوَثَنِيَّاتِ؛ لِيَرى بتلكَ العَيْنِ العَوْراءِ الخبيثةِ شيطانًا مَريدًا على صُورةِ شيخهِ أو رَبِّهِ الذي يَتَوجَّهُ إليه بالسُّؤالِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.

▪ ويَنقُلُ **الشَّعرانيُّ** عَنْ شَيْخِهِ وَسَيّدِهِ **أبي مُحَمَّدٍ الكتّانيِّ** قولَهُ: «مِنَ الشُّيوخِ مَنْ يَنتفِعُ بهِ مُريدُهُ الصَّادِقُ بَعْدَ موتهِ، أكثرَ مِنَ انتفاعهِ بهِ حالَ حياتهِ، وبَعضُهُمْ سَمِعَ نُطْقَ شيخهِ مِنْ قَبرهِ، يَأمرُهُ وينهَاهُ»[(٢)].

إنّهم يُريدون بَقَاءَ المُريدِ في عُبوديَّةٍ وخُضوعٍ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى حتَّى بَعْدَ مَوْتِ شَيْخِهِ، أَمَلًا في حُصولهِ على المنافعِ بَعْدَ هلاكِ ذلك الشّيْخِ، وإلَّا: فأَيُّ خيرٍ مَنعَكَ نَفْعَهُ حينَ كان يَمْلِكُهُ، حتَّى تَرجوهُ منهُ يومَ لَا يَمْلِكُ نَفْعَ نفسهِ.

▪ ولقَدْ بَالغَ **الشَّعرانيُّ** في غُلُوِّهِ بشيوخهِ فزَعَمَ أنَّ منهم مَنْ يَشفَعُ

---

(١) «الأنوار القُدُسيَّة في مَعرفةِ قواعدِ الصُّوفيَّةِ» (١/ ١٨٩).

(٢) «الأنوار القُدُسيَّة في مَعرفةِ قواعدِ الصُّوفيَّةِ» (١/ ١٨٩).

عِنْدَ اللهِ تَعَالَى لِيَغْفِرَ للملائكةِ الذين يَقعونَ في المعاصي والذُّنوبِ، مُكَذِّبًا قولَ اللهِ ﷻ عَنْ ملائكتهِ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]، تَرويجًا لِبِدْعَتِهِمْ، وإضلالًا للمُريدينَ والأتباعِ والغوغاءِ مِنَ النَّاسِ. فقَدْ ذكرَ في ترجمةِ سَيِّدِهِ **عبدِ الرَّحيمِ المغربيِّ القناويِّ**: أنّهُ كان يومًا في حَلقتهِ فنزلَ شَبَحٌ مِنَ الجوِّ لَا يَدري الحاضرون مَا هو؟ فأطرقَ الشّيْخُ ساعةً، ثُمَّ ارتفعَ الشَّبَحُ إلى السَّماءِ، فسألوه عنهُ؟ فقال: هذا مَلَكٌ وَقَعَتْ مِنهُ هَفْوَةٌ، فسقطَ علينا يَستشفِعُ بِنَا، فَقَبِلَ اللهُ شفاعتَنا فيه فارتفعَ»[(١)].

هنيئًا لهذا المَلَكِ بتوفيقهِ بالسّقوطِ على هذا الشّيْخِ الذي لَا تُرَدُّ شَفاعتُهُ ووساطتُهُ، وهَنيئًا لمُريديهِ وأتباعهِ فقَدْ قُبِلَتْ شفاعتُهُ في العفوِ عَمَّنْ لا يقعُ منهم إلَّا الطّاعةُ، فكيف إنْ شَفَعَ فيمَنْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى فيه الخيرَ والشّرَّ وتقعُ منهُ الطَّاعاتُ والمعاصي.

▪ ويقولُ **مُحَمَّدُ مَهدي الرَّوَّاسِيُّ الرِّفَاعِيُّ** فيما نقلَهُ عَنْ **عَلِيِّ بنِ عُثْمَانَ الرِّفَاعِيِّ** القُطْبِ المزعوم أنّهُ قالَ لأصحابهِ ومُريديهِ ـ ناصحًا إيّاهُمْ ودَالَّهم على مَا يَنفَعُهُمْ ـ: «إذا طَلبتُمُ الحقَّ فاطلبوه بَيْنَ سواري رواقِ **أُمِّ عبيدةَ**، وإذا كانت لكمْ إلى اللهِ حَاجةٌ فاضْرَعُوا إليه بساكِنِها؛ **تُقْضَ حَوائِجُكم**»[(٢)].

ونقولُ لهذا المُخَرِّفِ المُبتَدِعِ: أينَ هذه النّصيحةُ مِنْ نَصيحةِ النَّبِيِّ ﷺ لابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «... **إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**...»[(٣)]؟ إنَّهُمْ يُريدونَها عَوْدةً إلى مَا كان عليهِ أهلُ الجاهليَّةِ الأولى، إنَّهُمْ يُريدون صَرْفَ النَّاسِ عَنِ الإخلاصِ والتوحيدِ.

• ويقولُ **عُمَرُ بنُ سَعيدٍ الفوتيُّ الطوريُّ عَنْ شَيْخِهِ التّجانيِّ**: «وأمَّا

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) «بوارق الحقائق» (ص: ٢٢٧).

(٣) انظر: الحديث (ص: ٥٤٥).

كيفيَّةُ التّوسُّلِ بهِ وبِجَدِّهِ ﷺ فهي إنّك مَهما أردْتَ حاجةً مِنْ حَوائجِ الدُّنيا والآخرةِ فَصَلِّ على رَسُولِ اللهِ بصلاةِ الفاتح مائةَ مَرّةٍ، واهْدِ ثَوابَها لِرَسُولِ اللهِ بِنِيَّةِ الحاجةِ التي تُريدُها ثُمَّ تقولُ: **يا ربِّ تَوسّلْتُ إليكَ بحبيبِكَ ورَسُولِكَ وعظيمِ القَدْرِ عِنْدَكَ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ في قضاءِ الحاجةِ التي أُريدُها** مائةَ مَرّةٍ. ثُمَّ تقول: **اللَّهُمَّ إني أَسألُكَ وأتوجَّهُ إليك بِجَاهِ القُطْبِ الكاملِ سَيّدي أحمدَ بنِ التّجانيِّ وجَاهِهِ عِنْدَكَ أنْ تُعطِيَني كذا وكذا**. وتُسَمِّي حَاجتَكَ بِعينِها عَشْرًا، ثُمَّ تُصلِّي على رَسُولِ اللهِ بصلاةِ الفاتحِ مَرّةً، ثُمَّ تقول: **اللَّهُمَّ أعطني كذا وكذا**. وتُسَمِّي حَاجتَكَ بعينِها. ثُمَّ تُصلّي على رَسُولِ اللهِ بصلاةِ الفاتحِ أيضًا ثلاثًا»[(١)].

هذا المُنحرفُ يجعلُ التّوسُّلَ بِقُطْبهِ الكاملِ المزعومِ أحمدَ التّجانيِّ **مَرّةً واحدةً** تُغْني عَنِ التّوسُّلِ بالرَّسُولِ ﷺ وبالصّلاةِ عليهِ **مائةَ مَرّةٍ**، فَلَمْ يكتفِ ببدعةِ التّوسُّلِ بالذواتِ والجاهِ حتَّى جعلَ تَوسُّلَهُ بالتجانيِّ مرةً تساوي التّوسُّلَ بِرَسُولِ اللهِ مائةَ مَرّةٍ، وما ذلك إلّا لِماَ قَدِ استقرَّ في قَلْبِهِ وقُلوبِ أمثالِهِ؛ أنَّ عَظَمَةَ الشّيْخِ وجَاهَهُ أَعظمُ مِنْ جَاهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

▪ وأمَّا **مُحَمَّدٌ التّجانيُّ** مَجنونُ التجانيَّةِ وحاملُ لِوائِها والدَّاعي إلى كُلِّ بِدْعَةٍ وضلالٍ؛ فقَدْ زَعَمَ مِنْ فَرطِ عِشْقِهِ لطريقتهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَراءَى لهُ ومَكّنَهُ مِنْ تَقبيلِ يَدَيْهِ في مَسجدِهِ بالمدينةِ النَّبَويَّةِ[(٢)]. وأنَّه ﷺ زَارهُ في مَنزلِهِ وجَلَسَ معهُ وشَرِبَ القهوةَ[(٣)]، وأنّهُ ﷺ بَشَّرَهُ بالسّعادةِ وأنّها قَدْ سَبَقَتْ لهُ وكُتِبَتْ[(٤)]، وأنّهُ ﷺ قَدْ أنكرَ على مَنْ لَمْ يَأخُذِ الطّريقةَ التّجانيَّةَ، وأنّهُ ﷺ دَعا النَّاسَ إليها بأذكارِها وأَورادِها[(٥)].

---

(١) «رماح حزب الرحيم علَى نحور حزب الرجيم» ـ مطبوع بهامش «جواهر المعاني» (١/ ٢٥٨).
(٢) «الفوز والنجاة في الهجرة إلَى اللهِ» (ص: ١٨٢).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٨٢).
(٤) المصدر نفسه (ص: ١٨٣).
(٥) المصدر نفسه (ص: ١٨٤).

ـ يقولُ هذا **التجانيُّ** أيضًا: «إنَّ شيوخَ الصُّوفيَّةِ يشفعون في مُقلِّدِيهم وأتباعِهِمْ كما يُلاحِظُونَهُمْ عِنْدَ خُروجِ أرواحِهِمْ، وعِنْدَ السُّؤالِ في القَبْرِ، وعِنْدَ النَّشْرِ والحسابِ والميزانِ والصّراطِ، ولَا يَغفلون عنهم في مَوْقفٍ مِنَ المواقفِ»[(١)].

ـ ويقولُ في بابِ «الكلامِ على التّوسُّلِ والاستغاثةِ» مَا نَصُّهُ: «اِعْلَمْ أنَّ التّوسُّلَ بالأنبياءِ والمُرْسَلينَ والأولياءِ والصالحينَ وشَدَّ الرّحالِ إليها؛ سَبَبٌ في قضاءِ الحاجاتِ ونَيْلِ الكراماتِ... فما بَالُكَ بِمَنِ اجتمعَ فيه الوِلايَةُ ـ بلْ خَتَمَها ـ واللُّحْمَةُ النَّبَوِيَّةُ، أُستاذي وشيخي غَوْثُ البرايا قُطْبُ الأقطابِ سَيِّدي الشّيْخُ أحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ التّجانيُّ... فاستَشْفِعْ بهِ، بَلِ استَغِثْ بِمَدَدِهِ؛ تَرَى الألطافَ الخفيَّةَ والإمداداتِ الرّبّانِيَّةَ». ثُمَّ نقلَ عَمَّنْ قال مُستشفيًا في مَرَضِهِ:

أمولاي يا قُطبَ الوجودِ وغوثها … وحامي الحمى أنَّى يضيع جاره
أمولاي جُدْ لِي بالدواءِ معجلًا … لَعَلّي أرى دائي استحال عقارا[(٢)]

ـ ثُمَّ نقلَ مَا يراهُ هو وأمثالُهُ دَليلًا وحُجَّةً على هذا الشِّرْكِ والكُفْرِ فقال: قالَ **الشّيْخُ زرّوق** في قَواعدهِ عِنْدَ ذِكْرِ المقابرِ: كُلُّ مَنْ جَازَ التّبرُّكُ بهِ حَيًّا جَازَ التّبرُّكُ بهِ مَيّتًا». ونقلَ عنه أيضًا قولَهُ: يقولُ **أحمد زروق**: «إنَّ المقابرَ تُزارُ للانتفاعِ بِها؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ يُتبرّكُ بهِ في حياتهِ يجوزُ التّبرّكُ بهِ بعدَ مَوتهِ».

ـ وأجازَ شدَّ الرِّحَالِ لهذا الغرضِ خَاصَّةً: «لمنْ ظهرتْ كَرامتُهُ بعدَ موتهِ، أو مَنْ جُرِّبَتْ إجابةُ الدُّعاءِ عندَ قَبْرِهِ، وهو غيرُ واحدٍ في الأقطارِ».

(١) «الفوز والنجاة في الهجرة إلَى اللهِ» (ص: ١٢٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ١٩٧ ـ ١٩٨).

ـ ثُمَّ نسبَ إلى الإمامِ الشَّافعيِّ قولَهُ: «قَبْرُ مُوسَى الكَاظِمِ التّرياقُ المُجرَّبُ»[(١)].

ـ ثُمَّ استدلَّ بِمَا نقلَهُ **الشَّعرانيُّ** عَنْ بعضِ مشايخِهِ أنّهُ ذكرَ لهُ: «أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى يُوكِّلُ بِقَبْرِ كُلِّ وَلِيٍّ مَلَكًا يَقضي حوائجَ مَنْ تَوسّلَ بِهِمْ، وتارةً يَخرجُ الوَلِيُّ مِنْ قَبْرِهِ ويقضي الحاجةَ؛ لأنَّ لِلأولياءِ الانطلاقَ في البَرْزَخِ والسّراحَ لأرواحِهِمْ، فربّما خَرَجَ الشّخصُ منهم مِنْ قَبْرِهِ على صُورتِهِ وقضى حوائجَ المتوسّلينَ بهِ»[(٢)].

ـ ثُمَّ نقلَ عَنْ **أبِي عَبْدِ اللهِ بنِ النُّعْمَانِ** في كتابِهِ «سفينة النجاة»: «إنَّ زِيَارَةَ قُبورِ الصَّالِحينَ والتَّشَفُّعَ بِهِمْ مَعْمُولٌ بهِ عِنْدَ عُلَمَائِنا المُحَقِّقينَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ، فمَنْ أرادَ حَاجةً فَلْيَتوسَّلْ بِهِمْ إلى اللهِ تَعَالَى فإنّهُمُ الواسِطَةُ بَيْنَ اللهِ وخَلْقِهِ»[(٣)].

ـ ثُمَّ ذكرَ عَنْ غيرِ هؤلاءِ مِنَ الأقوالِ السّاقطةِ نَظْمًا ونَثْرًا وكأنّها حُجَجٌ وبَراهينُ على مذهبِهِ فنقلَ عَنْ **شَيْخِهِمْ زرّوق** في كتابِهِ «بذل المناصحة» عَنْ شَيْخِهِ **الحضرميِّ** قال: «رأى بعضُ الصّالحينَ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ ﷺ في النّومِ، فسألَهُ عَنْ أفضلِ الأعمالِ؟ فقالَ ﷺ: **وُقُوفُكَ بَيْنَ يدي وَلِيٍّ مِنْ أولياءِ اللهِ تَعَالَى قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ أو نَاقةٍ**. قال: قلتُ: حيًّا أو مَيّتًا؟ فقال ﷺ: **حيًّا كان أو ميّتًا**»[(٤)].

هكذا يَكذِبُ هذا المجرمُ الدّجّالُ على الرَّسُولِ ﷺ. وبهذا خَتَمَ أقوالَ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ، والتي هي مِنْ أقوى الأدِلَّةِ على مَا ذهبوا إليه، فالدَّعاوَى في دِينِ الصُّوفيَّةِ هي نفسُها عَيْنُ الأدِلَّةِ والحُجَجِ، فقد خَتَمَ الأدِلَّةَ المزعومةَ بأقواها حُجّةً في دِينِهِمْ، وأكثرها قَبولًا فيما بينهم، ألَا وهي أنَّ هذا المُدَّعِي

---

(١) راجع: «قواعد التَّصَوُّفِ» لزروق. (القاعدة رقم: ١٥٤، ص: ٩٦ ـ ٩٧).
(٢) «الفوز والنجاة في الهجرة إلَى اللهِ» (ص: ١٩٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٩٩).
(٤) المصدر نفسه (ص: ٢٠٠).

زَعَمَ أنّهُ أخذَها عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُباشرةً بِلَا واسطةٍ ولَا إسنادٍ. ومثلُ هذه الدَّعاوَى مِنْ أَهَمِّ وأقوى مصادرِ التّشريعِ عِنْدَهُمْ بَعْدَ الأخذِ عَنِ اللهِ تَعَالَى مُباشرةً كما تقدّمَ في الكلامِ على مصادرِ تلقّيهِم.

▪ ويقولُ **مُحَمَّد زكي إبراهيم** ـ رَائِدُ العشيرةِ المُحمَّديَّةِ وشَيْخُ الطّريقَةِ الشَّاذِليَّةِ كما يَصِفُ نفسَهُ ـ مُبيِّنًا مَعنَى قولِهِمْ: «مَدَدٌ يا سَيّدِي»، فيقول: «والقائلُ: مَدَدٌ يا سَيِّدي فُلانٌ؛ إمَّا إنّهُ يَطْلُبُ المددَ مِنَ الحَيِّ أوْ مِنَ المَيّتِ. **فَطَلَبُ المَدَدِ مِنَ الحَيِّ مَعناهُ**: طَلَبُ دُعائِهِ وإرشادِهِ ورَوْحَانِيّتِهِ وتَوجيهِهِ وتَربيتِهِ وبَرَكَةِ صَلاحِهِ وتَقْواهُ وسِرِّهِ مع اللهِ وما هو مِنْ هذا السّبيلِ. **وطَلَبُ المَدَدِ مِنَ الميّتِ معناه**: التّوسُّلُ بِهِ إلى اللهِ والاستشفاعُ بِهِ إليه تَعَالَى في قضاءِ الحوائجِ ودَفْعُ الحوائجِ والتماسُ بَركةِ مَقامِهِ عِنْدَ اللهِ والاستمدادُ مِنْ مَدَدِ اللهِ وسِرِّهِ، **وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا**»[(١)].

إنَّ هذا التّوسُّلَ عِنْدَ **شيخِ الشّاذليَّةِ** شَرْعٌ مَنصُوصٌ وأَمرٌ متّفقٌ عليهِ، حيثُ يقولُ: «ولَمْ يَكَدْ يَختلِفُ على جَوازِهِ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ... إلى القرنِ السّابعِ حيثُ ابتدعَ ابنُ تَيْمِيَّةَ هذا الخلافَ الفَتَّانَ، ولَمْ يَكُنْ لِيَهْتَمَّ بِهِ أَحَدٌ حتَّى تَبَنَّاهُ الوَهَّابِيَّةُ مُنْذُ القرنِ الثالثَ عشرَ لأسبابٍ سياسيَّةٍ وعَصَبيَّةٍ قَبَلِيَّةٍ، فمنعوا التّوسُّلَ إلى اللهِ بصالحي الموتَى، وتَسَتَّروا باسمِ التوحيدِ المظلومِ»[(٢)].

إنَّ هذا المُخَرِّفَ المُبْتَدِعَ **والصُّوفيَّةَ عَامَّةً** لَا يَعتبرون طَلَبَ المَدَدِ مِنْ فُلانٍ أو فُلانٍ ـ مِنْ مشايخِهِمُ الأمواتِ ـ مِنْ أُمُورِ الشِّرْكِ، ولَقَدْ سَبقَهُمُ **الشِّيعَةُ الرَّافِضَةُ** إلى هذا المذهبِ، فالشِّرْكُ عِنْدَهُمْ أَمرٌ آخرُ. وقد بَيَّنَ هذا **الشَّاذليُّ** بجلاءٍ وكشفَ عن مذهبِهِ فيقولُ: «إنَّ الدُّعاءَ لَا يكونُ عِبادةً إلَّا حينَ

---

(١) «الإفهام والإفحام» ـ أو «قضايا الوسيلة والقُبور» (ص: ٣٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ٧).

يَعتَقِدُ الدَّاعِي رُبُوبِيَّةَ المَدْعُوِّ... فإنْ تَخلَّفَ اعتقادُ الرُّبُوبِيَّةِ مِنَ الدَّاعي؛ استحالَ أنْ يَكونَ الدُّعاءُ عِبادةً»(١).

فالصُّوفِيُّ الذي لَا يَعتَقِدُ الرُّبُوبِيَّةَ في شَيْخِهِ وَسَيِّدِهِ لَا يُعْتَبَرُ مُشْرِكًا بِاللهِ إنْ تَوجَّهَ بالدُّعاءِ وطَلَبِ المَدَدِ مِنْ ذلك الشَّيْخ. مَا أقربَ مقالةَ هذا الصوفي **الشَّاذليِّ** هذه وأَشْبَهَهَا بمقالةِ إمامِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ **الخُمَيْنِيِّ** الصُّوفِيِّ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣](٢)؟!

فرَحِمَ اللهُ تعالَى شَيْخَي الإسلام الإمامَيْنِ بِصِدْقٍ والوَلِيَّيْنِ بِحَقٍّ **ابنَ تَيْمِيَّةَ وابنَ عَبدِ الوَهَّابِ**، وجَزاهما عَنَّا وعَنْ دِينهِ خَيْرَ الجزاءِ لِتَمَسُّكِهِما بالحقِّ، والذَّبِّ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى، وحمايةِ أركانِ التَّوحيدِ ورفع منارِه، وكفَاهُما فَخْرًا وعِزًّا مُنَاصَبَةُ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالِ لهما العداءَ، فلَعْنَةُ اللهِ ﷻ على مَنْ نَاصَبَهُمَا العَدَاءَ مِنْ أجلِ ذلكَ.

إنَّ الشَّفاعةَ في دِينِ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ مِنْ أَهَمِّ الأُصُولِ التي يَتَبَنَّوْنَها، وتُمثِّلُ مَوقعًا مُهمًّا في حياتِهِمُ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، وتُعَدُّ مِنْ أعظمِ المسوّغاتِ التي يَتعلّقونَ بِهَا في تَرْكِهِمُ الفرائضَ والواجباتِ الدِّينيَّةَ وارتكابِهِمُ المحذوراتِ الشَّرعيَّةَ:

ـ فيرى **الشِّيعَةُ** أنَّ **الأئِمَّةَ** هُمُ الشُّفعاءُ دونَ غيرِهِمْ؛ لأنّهم وُلَاةُ أمرِ اللهِ في خَلْقِهِ كما يَزْعُمُونَ، وَهُمُ الوسيلةُ بينهُ وبَيْنَ خَلْقِهِ، ولَا نجاةَ مِنْ عَذابِ اللهِ لأحَدٍ مِنَ الخَلْقِ إلَّا بِمعرفَتِهِمْ ومعرفَةِ حُقوقِهِمْ وأدائِها.

ـ وكذلك **الصُّوفيَّةُ** يَرَوْنَ في **أئِمّتِهِم وشُيوخِهِم** أنّهُمُ الأولياءُ المقرّبونَ، المخصوصونَ بالألطافِ والكراماتِ والتّصرُّفاتِ، وأنّهُ لَا يُمكِنُ لأحَدٍ مِنَ

(١) «الإفهام والإفحام» ـ أو «قضايا الوسيلة والقُبور» (ص: ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) راجعْ: قولَ الزنديقِ الخُمَيْنِيِّ قبلَ وريقاتٍ (ص: ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، وتأمّلْ مَدَى مُطابقتهِ لقولِ الشَّاذليِّ في تفسيرِ الشِّرْكِ والكُفْرِ، وكذلك طعنه في أهلِ الحقِّ ونبزهم بالألقابِ الشّنيعةِ.

الخَلْقِ أنْ يَعرِفَ رَبَّهُ ودِينَهُ إلّا عَنْ طريقِهِمْ، وأنّهُ مَنْ لَا شَيْخَ لهُ فإنَّ الشَّيْطَانَ شَيْخُهُ وسيقودُهُ بِزَعمِهِمْ إلى الضَّلالِ في الدُّنيا وإلى عذابِ اللهِ تَعَالَى في الآخرةِ. فالدِّينُ عِنْدَهُمْ: طاعةُ رَجُلٍ طاعةً عمياءَ، لَا يُعمِلُ عَقْلَهُ في كُلِّ مَا يُرَادُ منهُ أو يُؤْمَرُ بهِ، بلْ يَخضعُ ويَذِلُّ ويَسمعُ ويُطيعُ.

وقَدْ آمَنَ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** أنَّ مَنْ أَسْلَمَ أمرَهُ ودِينَهُ لإمامهِ أو وَلِيِّهِ، وعَرَفَ حُقوقَهُ وأَدّاها، وماتَ على ذلك لَا يَهُمُّهُ أنْ يَصنعَ بَعْدَها مَا يَشاءُ، أو أنْ يُقصِّرَ في بَعضِ الفرائضِ والواجباتِ، أو يَقعَ في بعضِ المعاصي والسّيّئاتِ تَبعًا لِهواهُ، فإنَّ الإمامَ والوَلِيَّ سَيَجْبُرَانِ النّقْصَ، ويَشفعانِ لِكُلِّ مَنْ تَعلّقَ بِهما وتَابَعَ هَواهُما ومذهبَهُما.

إنَّ هذا الأمرَ وهذه النّتيجةَ تُفَسِّرُ لنا إيمانَ **الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** الأعمَى ـ بجميعِ أنواعِ الأساطيرِ والغرائبِ والأعمالِ والطُّقُوسِ والخرافاتِ التَّاريخيَّةِ والعقائديَّةِ والاجتماعيَّةِ في مذاهِبِهم ونِحْلَتِهم ـ ذلك الإيمانَ المطلقَ والتّسليمَ الكاملَ، الذي يجعلُ مَنْ كان لهُ قَلْبٌ أو عَقْلٌ يَكادُ يموتُ تعجُّبًا واستغرابًا أو خَجَلًا وحياءً.

المطلبُ الثالث

تَعْظِيمُ القُبورِ وعِبَادتُها عِنْدَ الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ

إنَّ الغُلُوَّ الذي يَدِينُ بهِ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ**، وتَعظيمَهُمْ وطاعتَهُمُ العَمْياءَ لبعضِ الخَلْقِ واعتقادَ أنّهُمُ الوَسِيلةُ بَيْنَ اللهِ وخَلْقِهِ ـ فلا يُتَوَجه إليه تَعَالَى ولَا يُطْلَبُ منهُ شَيْءٌ إلَّا بواسطةِ هؤلاءِ ـ والإيمانَ بِأنَّ لَهمْ جَاهًا ومنزلةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى تُخَوِّلُهُمْ وتَمْنَحُهُمْ حَقَّ التَّصَرُّفِ في الكَونِ بأمرِ اللهِ وإِذْنِهِ وأنَّ شَفاعتَهُمْ لَا تُرَدُّ فيما يشفعون فيه؛ إنَّ هذا الغُلُوَّ جعلَ **الشِّيعَةَ والصُّوفيَّةَ** يَتتبَّعونَ **قُبُورَ** أئِمَّتِهِمْ ومَنْ يُعظِّمونَهُمْ مِمَّن يَروْنَ فيهِمُ العِلْمَ والفضلَ والخُصوصيَّةَ الخَلْقية أو الدِّينيَّةَ الشَّرعيَّةَ فيما يَزْعُمُونَ. ثُمَّ رَاحوا يُشَيِّدونَ على تلكَ **القُبورِ** الأبنيَةَ

والقِبَابَ العظيمةَ ويَجعلونَها صُروحًا ويُسَمُّونَها **المَشَاهِدَ والمَزَارَاتِ والعتباتِ المقدّسَةَ**، ويتّخِذُونَها مَلاذًا يَلُوذُونَ بِهَا في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، ومَحَلًّا لِمُمارسةِ أنواعِ الطُّقُوسِ البِدْعِيَّةِ والشِّرْكِيَّةِ، ويَحُجُّونَ إليها المرّةَ بَعْدَ المرّةِ، ويَشُدُّون إليها الرِّحَالَ مِنْ مُختلَفِ البلادِ والأمصارِ؛ طَلَبًا لِنَيْلِ الحُظوظِ الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ. وقَدْ جعلوا لُزُومَ تلكَ المَشَاهِدِ والاعتكافَ حَوْلَ تلكَ الأضْرِحَةِ وتقديمَ أنواعِ النُّذُورِ لها؛ مِنْ أَهَمِّ الشِّعاراتِ الدِّينيَّةِ في مَذهبِهِمْ ودينِهِمْ. ويُعْتَبَرُ **الشِّيعَةُ** أَوّلَ مَنْ بنَى المَشاهِدَ والمساجِدَ والقِبابَ على القُبُورِ في الإِسْلامِ؛ فأَحدَثُوا في دِينِ اللهِ شَرْخًا عَظيمًا، وأعادوا عِبادةَ الأوْثَانِ إلى دِيارِ الإسلامِ واتّخاذَ الأندادِ التي كانت أيّامَ الجاهليَّةِ الأولى.

ولقدْ جَاهَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَقَّ الجهادِ في هَدْمِ الأوْثَانِ وتَحطيمِ الأصنامِ وإزالةِ جميعِ الذَّرَائعِ والوسائلِ التي قَدْ تكونُ بَابًا للشِّرْكِ باللهِ تَعالَى، فَحَذَّرَ ﷺ مِنَ الغُلُوِّ عَامَّةً ومِنْ تعظيمِ شَخْصِهِ وإطرائهِ خَاصَّةً؛ خَشْيَةَ وقوعِ أُمَّتِهِ فيما وَقَعَ فيه أهلُ الكتابِ مِنْ قَبْلِهِمْ. ولقَدْ بالغَ ﷺ في التّحذيرِ مِنَ البناءِ على قُبورِ الصَّالِحينَ وتعظيمِهِمْ؛ خَشْيَةَ الوقوعِ في الشِّرْكِ بِاللهِ تَعالَى. فَمِنْ ذلكَ:

ما رواه ابنُ عَبَّاسٍ وعَائِشَةُ رضي الله عنهم قَالَا: «لمّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لهُ على وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا؛ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فقالَ ﷺ وَهُوَ كذلكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ على اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. وفي روايةِ مُسْلِمٍ: **يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا**[1].

وما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ؛**

(١) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريّ»، كتاب الصّلاة، باب: ٥٥، (الفتح: ١/ ٥٣٢ رقم: ٤٣٦)، و«صحيح مُسْلِم»، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ علَى القُبُورِ، وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا، وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ (١/ ٣٧٧ رقم: ٥٣١/ ٢٢).

اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[(١)].

وما روتْهُ عَائِشَةُ ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّهُ قالَ ـ عَنْ أهلِ الكتابِ ـ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ؛ بَنَوْا على قَبْرِهِ مَسْجِدًا... أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

ففي هذه **(الأحاديثِ)** نَجِدُ رَسُولَ الله ﷺ يُحَذِّرُ أُمَّتَهُ أنْ تفعلَ مَا فعلَهُ اليهودُ والنّصارَى مِنَ الغُلُوِّ في تَعظيمِهِ، والبناءِ على قَبْرِهِ، فضلًا عَنِ الغُلُوِّ فيمَنْ هو دُونَهُ مِنْ أهلِ الصّلاحِ والفضلِ. وفي **(الأحاديثِ)** أيضًا دَلَالَةٌ على عَظيمِ شَفَقَتِهِ ﷺ على أُمَّتِهِ مِنْ مُشَابَهَةِ أهلِ الكتابِ، فها هو يُحَذِّرُ ويَنصَحُ وهو يُعاني مِنْ شِدَّةِ مَا نزلَ بهِ في مَرَضِ مَوتِهِ ﷺ، وهذا يُؤكِّدُ مَدَى خُطورةِ هذا الفعلِ.

ولقَدْ دعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ اللهَ ﷻ ألَّا يجعلَ مِنْ قَبرِهِ وَثَنًا يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تعالَى، كما هو حالُ قُبورِ أنبياءِ بني إسرائيلَ؛ فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٣)]، وفي لفظٍ: «**اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٤)].

---

(١) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريّ»: الكتاب والباب السابقين (الفتح ١/ ٥٣٢ رقم: ٤٣٧)، و«صحيح مُسْلِم»: الكتاب والباب السابقين (١/ ٣٧٧ رقم: ٥٣٠/ ٢١).

(٢) **متّفقٌ عليهِ**: «البُخاريّ» كتاب الصّلاة باب الصّلاة في البِيْعَةِ (الفتح ١/ ٥٣١ رقم: ٤٢٧) و«مُسْلِم» كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ علَى القُبُورِ وَاتِّخَاذِ (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ رقم: ٥٢٨/ ١٦).

(٣) رواه الإمامُ أحمدُ في «المسند» (٢/ ٢٤٦). **وصحّحهُ العلّامَةُ الألبانيُّ** في كتابِ (تحذير الساجد ص: ١٧ ـ ١٨).

(٤) رواه الإمامُ مَالِكٌ في «الموطأ»، كتاب قصر الصّلاة في السفر، باب جامع الصّلاة (١/ ١٧٢)، عن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ـ مُرسَلًا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ... بهِ. قال الإمامُ ابنُ عبدِ البَرِّ في (التّمهيد: ٥/ ٤٣): «لا خِلافَ عن مَالكٍ في إرسالِ هذا الحديثِ... ومَالِكٌ عِندَ جميعِهِمْ حُجّةٌ فيما نَقلَ، وقَدْ [تابعَهُ و] أسندَ حديثَهُ هذا عُمرُ بنُ مُحمّدٍ =

لقد أخبرَ ﷺ عَنْ شِدَّةِ غَضَبِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنَتِهِ على مَنْ يَبني المساجدَ على القُبورِ؛ لأنَّ البناءَ على القَبْرِ بَابٌ مِنْ أبوابِ الوُلوجِ في الغُلُوِّ في تعظيمِ صاحبِ القَبْرِ، غُلُوًّا يُفضي إلى الشِّرْكِ بِصَرْفِ أنواعٍ مِنَ العباداتِ لهُ؛ ولأنّها مَطِيَّةُ الوُقُوعِ في اتّخاذِ القَبْرِ والمَوْضِعِ وَثَنًا، واتّخاذِ صَاحِبِهِ مَعبودًا مِنْ دونِ اللهِ تَعَالَى.

ولقَدْ حرصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في حَياتهِ على إزالةِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنهِ أنْ يَكونَ سَببًا في غُلُوٍّ أصحابهِ ومَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّتهِ في تعظيمِ الأنبياءِ والصالحينَ؛ حمايةً منهُ ﷺ لجانبِ الاعتدالِ في جميعِ أُمُورِ الدِّينِ وأعمالهِ، وحمايةً للتوحيدِ الذي جاءَ بهِ وبُعِثَ مِنْ أجلهِ.

فكان ﷺ يَأْمُرُ أصحابَهُ في عِدَّةِ مُناسباتٍ بِتَسْوِيَةِ القُبورِ ويُوصِيهم عِنْدَ بَعْثِهِمْ وإرسالِهِمْ إلى المُدُنِ والأمصارِ بذلك أيضًا؛ فقد ثبتَ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه أرسلَ أبا الهَيَّاجِ الأَسَدِيَّ إلى اليَمَنِ وقالَ لهُ: «**ألَا أَبْعَثُكَ على مَا بَعَثَنِي عليهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ** «**أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»، وزاد في روايةٍ أُخْرَى: «**وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا**»[(١)]. وثَبتَ عن جَابِرٍ رضي الله عنه قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عليهِ، وَأَنْ يُبْنَى عليهِ**»[(٢)]. وثَبتَ أنَّ فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ الأنصاريَّ رضي الله عنه تُوُفِّيَ صَاحِبٌ لهُ

= [عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ عَنِ النّبيِّ ﷺ بهِ] وهو مِنْ ثِقاتِ أشرافِ أهلِ المدينةِ... فهذا الحديثُ صَحيحٌ عِنْدَ مَنْ قال بمراسيلِ الثّقاتِ، [وهو صَحيحٌ أيضًا] عِندَ مَنْ قال بالمُسندِ [أي: مَن قال برفعه]؛ لإسنادِ عُمَرَ بنِ مُحّمدٍ لهُ، وهو ممن تُقْبَلُ زِيادتُهُ». اهـ. باختصارٍ، وما بين الأقواس المعكوفة زيادةٌ للإيضاحِ. وذكرَ مثلَهُ الإمامُ ابنُ عبدِ البرِّ في كتابهِ (الاستذكار: ٦/ ٣٣٩).

(١) رواه الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحه»، كتاب الجنائز، بَابُ الأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ القَبْرِ (٢/ ٦٦٦ رقم: ٩٦٩/ ٩٣).

(٢) المصدر السابق، كتاب الجنائز، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ القَبْرِ وَالبِنَاءِ عليهِ، (٢/ ٦٦٧ رقم: ٩٧٠/ ٩٤).

بِأَرْضِ الرُّوم بِرُودِسَ فَأَمَرَ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ بالأرضِ ثُمَّ قالَ: «**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا**»[(١)]. وفي روايةٍ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَأْمُرُنَا بِتَسْوِيَةِ القُبُورِ**»[(٢)]. وفي لفظٍ آخرَ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**سَوُّوا قُبُورَكُمْ بِالأَرْضِ**»[(٣)].

يَتبيّنُ مِنْ هذه النُّصوصِ مَدَى اهتمامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بتحطيمِ وإزالةِ الأَوْثَانِ مِنْ حياةِ المُسلِمينَ، وكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكونَ ذَريعةً للوقوعِ في الغُلُوِّ وتعظيمِ الرِّجالِ. كما تَبيّنَ أيضًا مَدَى فَهْمِ الصَّحَابَةِ ﭫ لهذا الجانبِ مِنَ الدِّينِ، ومَدَى امتثالِهِمْ وحِرصِهِمْ على طاعةِ رَبّهم تَبَارَكَ وتَعَالَى، وطاعةِ رَسُولِهِمْ ﷺ.

وعلى الرَّغْمِ مِنْ هذا الوضوحِ في هذه المسألةِ ـ حيثُ جاءَ النّهيُ عَنِ اتّخاذِ القُبورِ مساجدَ، وعنِ البناءِ عليها، وعَنْ تَجْصيصِها وإيقادِ السّرجِ عليها والعُكوفِ عندَها والجلوسِ عليها وغيرِ ذلك مِنْ صُورِ تعظيمِها ـ فقَدْ أبَى **الرَّافِضَةُ** إلَّا رفضَ هذا الحقِّ، فراحوا يتتبّعونَ **قُبورَ** مَنْ زَعَمُوهم أَئِمَّةَ الدِّينِ ومَنْ يُعظّمونَهم؛ يَبنونَ عليها المساجدَ والمشاهِدَ، ويُشيِّدون عليها الصُّروحَ العظيمةَ، وأَلْزَموا أنفسَهُمْ تعظيمَها، وممارسةَ أنواعٍ مِنَ الطُّقوسِ والعباداتِ عندَها، سواءٌ كانت **قوليَّةً** تتضمّنُ عِباراتٍ بِدْعِيَّةً وشِركيَّةً تُمثّلُ قِمَّةَ الغُلُوِّ في تعظيمِ الرجالِ واعتقادِ قُدرتِهمْ على النّفعِ والضُّرِّ أحياءً وأمواتًا، أَمْ **فِعليَّةً** تَتضمّنُ الذُّلَّ والخضوعَ لِغَيْرِ اللهِ تَعالَى كشَدِّ الرِّحالِ إليها والطّوافِ بها والاعتكافِ فيها وعَقْدِ النُّذُورِ والصَّدَقَاتِ والأوقَافِ عليها واعتقادِ وُجُوبِ تَعظِيمِها وتقدِيسِها وغير ذلك مِمَّا لَا ينبغي أنْ يُصْرَفَ لِغَيْرِ اللهِ تعالَى.

---

(١) المصدر السابق، كتاب الجنائز، بَاب الأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ القَبْرِ (٢/ ٦٦٦ رقم: ٩٦٨/ ٩٢).
(٢) رواه الإمامُ أحمد «المسند» (٦/ ١٨). (٣) المصدر السابق (٦/ ٢١)

جاءَ **الصُّوفيَّةُ** فوجدوا في مذهبِ **أهلِ الرَّفْضِ** بُغيتَهُمْ وضالّتَهُمْ، حيثُ إنّها تقومُ على مَا فُطِرَتْ عليهِ نُفوسُهُمْ وقُلوبُهُمْ بفعلِ أنفسِهِمْ وشُيوخِهِمُ الذين أَبَوْا فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها، فتعرَّضوا لها بالتّبديلِ والتَّحريفِ حتَّى أُشْرِبَتْ قُلوبُهُمْ حُبَّ تعظيمِ الرّجالِ وتقديسِهِمْ، فوجدوا في دِينِ (**الرَّافِضَةِ**) مَا يَروي هذا المَشْرَبَ، فباركوا ذلك المنهجَ وامتثلوا خُطَاهُمْ واقتدوا بِهِمْ وساروا على خُطَاهم؛ إشباعًا لِغَرَائِزِهِمُ المريضةِ وعَقائِدِهِمْ وأهوائِهِمُ الفاسدةِ.

فجعلَ **الصُّوفيَّةُ** مِنَ البناءِ على القُبورِ وإقامةِ الأضرحةِ والقِبَابِ لِكُلِّ مَنْ يَزْعُمُونَهُ وَلِيًّا أو صالحًا؛ مِنْ أَعظمِ القُرباتِ والطاعاتِ في دِينِهِمْ وشَريعتِهِمْ. كما اتّخذوا مِنْ عِمارتِها وزِيارتِها وشَدِّ الرِّحالِ إليها والطوافِ بِهَا والعُكوفِ عليها الأيّامَ والليالِيَ وتخصيصِها بأنواعٍ مِنَ الأذكارِ والأورادِ والطاعاتِ القوليَّةِ والفعليَّةِ؛ اتّخذوا مِنْ ذلكَ أَهَمَّ شعاراتِهِمُ الدّينيَّةِ، فخصّصوا لذلك أعيادًا ومُناسباتٍ دِينيَّةً صُوفِيَّةً يُمارسون فيها أَلْوَانَ الكُفْرِ والشِّرْكِ باسمِ مَحبّةِ الأولياءِ والصّالحينَ وتعظيمِهِمْ.

وإنْ كان **الرَّافِضَةُ** هُمْ أَساتذةَ هذا المَيْدَانِ الشِّرْكِيِّ، فإنَّ **الصُّوفيَّةَ** قَدْ فاقُوهم في هذا الأمرِ، فملأوا الدُّنيا شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا بتلك الأَوْثَانِ، ورَفعوا عليها المساجدَ والقِبابَ حتَّى غَدَتِ الدّيارُ الإسلاميَّةُ ليس فيها قَرْيةٌ ـ إلَّا مَا رَحِمَ اللهُ تَعَالَى ـ إلَّا وقَدْ شَيَّدوا فيها وَثَنًا أو أَكثرَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعَالَى، فأعادوها هُمْ وأسيادُهم مِنَ الرَّافِضَةِ حَياةً جاهليَّةً مُشْرِكَةً كما كانتْ قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبيِّ ﷺ أو أَشَدَّ منها والعياذُ باللهِ.

□ تَعظيمُ القُبورِ وعِبادَتُها مِن دونِ اللهِ تعالَى عِنْدَ الشِّيعَةِ:

• روى **الْكُلَيْنِيُّ** بإسنادِهِ **حديثًا مَوْضُوعًا** كما هي عَادَتُهُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وفيه أنّهُ ﷺ قال: «**يَا عَلِيُّ! مَنْ زَارَنِي في حَيَاتِي أَوْ بَعْدَ مَوْتِي، أَوْ زَارَكَ في حَيَاتِكَ أَوْ بَعْدَ مَوْتِكَ، أَوْ زَارَ ابْنَيْكَ في حَيَاتِهِمَا أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؛ ضَمِنْتُ لَهُ**

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ أُخَلِّصَهُ مِنْ أَهْوَالِهَا وَشَدَائِدِهَا حَتَّى أُصَيِّرَهُ مَعِي فِي دَرَجَتِي»[(١)].

وبَوَّبَ **الْكُلَيْنِيُّ** في «الكافي» أبوابًا في ذِكْرِ فضائلِ زِيَارَةِ الأَئِمَّةِ، وروى بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنّهُ قال: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَارِفًا بِحَقِّهِ فِي غَيْرِ يَوْمِ عِيدٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَجَّةً وَعِشْرِينَ عُمْرَةً مَبْرُورَاتٍ مَقْبُولَاتٍ وَعِشْرِينَ حَجَّةً وَعُمْرَةً مَعَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ إِمَامٍ عَدْلٍ، وَمَنْ أَتَاهُ فِي يَوْمِ عِيدٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ مائةَ حَجَّةٍ ومائةَ عُمْرَةٍ ومائةَ غَزْوَةٍ مَعَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ إِمَامٍ عَدْلٍ.. إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَاغْتَسَلَ مِنَ الْفُرَاتِ ثم تَوَجَّهَ إِلَيْهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّةً بِمَنَاسِكِهَا.. وَغَزْوَةً»[(٢)].

ورَوَى بإسنادِهِ إليه أنه قال: «إِنَّ مَنْ أَتَى قَبْرَ الحُسَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[(٣)]. وقولَهُ أيضًا: «إذا أَرَدْتَ زِيَارَةَ الحُسَيْنِ؛ فَزُرْهُ وأنتَ حَزِينٌ مَكروبٌ أَشعَثٌ مُغْبَرٌّ جَائِعٌ عَطْشَانٌ، وسَلْهُ الحوائجَ، وانصَرِفْ عنهُ»[(٤)].

كما روى فيما نَسَبَهُ إلى **أئِمَّتِهِمْ**: «إِنَّ مَوْضعَ قَبْرِ الحُسَيْنِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، ومنهُ مِعْرَاجٌ يُعْرَجُ منهُ بأعمالِ زُوَّارِهِ إلى السَّماءِ، وليس مِنْ مَلَكٍ ولَا نَبِيٍّ في السمٰوات إِلَّا وَهُمْ يَسألونَ اللهَ أنْ يَأْذَنَ لَهمْ في زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ، فَفَوْجٌ يَنزِلُ وفَوجٌ يَعرُجُ»[(٤)].

وروى عَنْ **أبي جَعْفَرٍ الثَّاني** قولَهُ: «إِنَّ مَنْ زَارَ قَبْرَ عَلِيٍّ الرِّضَا بِطُوسَ [وهو ثَامِنُ أئِمَّتِهِمُ المزعومينَ المدفونُ في إيرانَ]؛ غَفَرَ اللهُ لهُ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ وما تَأَخَّرَ، وبنَى لهُ مِنْبَرًا في حِذَاءِ مِنْبرِ مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ، حتَّى يَفرُغَ اللهُ مِنْ حِسَابِ الخلائقِ»[(٥)].

---

(١) «فروع الكافي»، كتاب الحج، أبواب الزيارات، باب فضل الزيارات وثوابها (٤/ ٥٧٩).
(٢) «فروع الكافي»، كتاب الحج، أبواب الزيارات، باب فضل الزيارات وثوابها (٤/ ٥٨٠).
(٣) المصدر السابق (٤/ ٥٨٢).
(٤) المصدر السابق، كتاب الحج، أبواب الزيارات، باب النوادر (٤/ ٥٨٧).
(٥) المصدر السابق (٤/ ٥٨٥).

وروى عَنْ **مُوسَى الكَاظِمِ سَابِعِ أئِمَّتِهِمْ** أنّهُ قال: «مَنْ زَارَ قَبْرَ وَلَدِي عَلِيٍّ [وهو الرِّضَا ثامِنُهُمْ المذكور في الرِّوايةِ السّابقةِ] كان لهُ عِنْدَ اللهِ كسبعينَ حَجَّةً مَبرورةً... وسبعين ألفَ حَجَّةٍ... ومَنْ زَارهُ وبَاتَ عِنْدَهُ لَيْلَةً كان كَمَنْ زَارَ اللهَ في عَرْشِهِ»(١).

وبإسنادِهِ إلى **مُحَمَّدِ بنِ أبي العَلاءِ** قال: «سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ أكثمَ قَاضِيَ سَامَرَّاءَ بَعْدَمَا جَهَدْتُ بِهِ وَنَاظَرْتُهُ وَحَاوَرْتُهُ وَوَاصَلْتُهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ عُلُوم آلِ مُحَمَّدٍ. فقَالَ: بَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلْتُ أَطُوفُ بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ الرِّضَا [وهو إِمَامُهُمُ التَّاسعُ المَزْعُومُ] يَطُوفُ بِهِ، فَنَاظَرْتُهُ فِي مَسَائِلَ عِنْدِي، فَأَخْرَجَهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ مَسْأَلَةً وَإِنِّي وَاللهِ! لَأَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ. فقَالَ لِي: أَنَا أُخْبِرُكَ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي: تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِمَامِ؟ فَقُلْتُ: هُوَ وَاللهِ! هذا. فقَالَ: أَنَا هُوَ. فَقُلْتُ: عَلَامَةً؟ فكَانَ فِي يَدِهِ عَصًا فَنَطَقَتْ وَقَالَتْ: إِنَّ مَوْلَايَ إِمَامُ هذا الزَّمَانِ وَهُوَ الْحُجَّةُ»(٢).

هكذا يُقدّمون بَيْنَ يَدَيِ الكُفْرِ والشِّرْكِ باللهِ تَعَالَى بِمثْلِ هذه الرِّواياتِ التي يَخترعونَ لها الأسانيدَ التي تَنتهي بِمَنْ جَعَلُوا أقوالَهُمْ وأحوالَهُمْ مِنَ الحُجَجِ القَاطعاتِ في دِينِهِمْ؛ مُبالغةً في فضائلِ زُوَّارِ قُبورِهِمْ، وسُؤالِ غيرِ اللهِ قضاءَ الحوائجِ.

وفي قِصّةِ قاضي سامَرَّاءَ تَقريرُ عِدَّةِ مسائلَ مِنْ عَقائِدِهِمْ منها: ادّعاؤُهُمْ عِلْمَ أئِمَّتِهِمُ الغَيْبَ ومَعرفةَ مَا في النُّفوسِ والصُّدورِ، والغُلُوُّ في إثباتِ المُعجزاتِ والكراماتِ لِأئِمَّتِهِمْ، وتقريرُ عَقيدَتِهِمُ الخبيثةِ في تَقديسِ القُبورِ وعِبادتِها وهو الشَّاهدُ مِنْ إيرادِ هذه الرِّوايةِ في هذا المبحثِ، ففيهِ أنَّ **الطَّوافَ حَوْلَ قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ أَمْرٌ مَشروعٌ**، فقَدْ كان القاضي يَفْعَلُهُ،

(١) «فروع الكافي»، كتاب الحج، أبواب الزيارات، باب فضل الزيارات وثوابها (٤/ ٥٨٥).
(٢) «أصول الكافي»، كتاب الحُجَّة، باب مَا يُفصل بهِ بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة (١/ ٣٥٣).

وتَرويجًا وإقناعًا لِشيعَتِهِم بهذه البِدْعَةِ زَعَمَ الرُّواةُ والوَضّاعُونَ أنَّ **إمامَهُمُ التَّاسِعَ كان يَطوفُ بقَبْرِ** الرَّسُولِ أيضًا، وفي دِينِهِمْ يَعتبرون أقوالَ الأَئِمَّةِ وأفعالَهم وأحوالَهم مِنَ الأدِلَّةِ الدّينيَّةِ والحُجَجِ الشَّرعيَّةِ التي لَا تَحتاجُ في إثباتِها إلى الأسانيدِ، وذلك لِمَا زَعَمُوهُ مِنْ عِصْمَتِهمْ واصطفائِهِمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ.

• وروى صَدوقُ الشِّيعَةِ **ابنُ بَابَوَيْهِ القُمِّيُّ (ت٣٨١هـ)** بِإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنه قال: «إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يَبْدَأُ بالنَّظَرِ إلى زُوَّارِ قَبرِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ. فقِيلَ لهُ: وكيفَ ذاكَ؟ قال: لِأنَّ في أُولَئِكَ أولادَ زِنَا، وليس في هؤلاءِ أولادُ زِنَا»(١).

يَأْمَلُ **الشِّيعَةُ** في تَحويلِ النَّاسِ وصَرْفِهِمْ عَنِ المناسكِ والشعائرِ الإسلامِيَّةِ إلى أُخْرَى بِدْعِيَّةٍ شِرْكِيَّةٍ، وحرصوا قديمًا على إيجادِ بدائلَ لِشِيعَتِهِم عَنِ الحَجِّ المشروعِ إلى المُقدّساتِ الإسلامِيَّةِ وما زالوا يَفعلونَ؛ فقَدْ حاولَ **الخُمَيْنِيُّ** وزُمْرَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ صَرْفَ أَنظارِ الشِّيعَةِ عَنْ مَكّةَ والمدينةِ إلى مَعابِدِهِمْ الوَثَنِيَّةِ في بِلادِ الفُرسِ والمجوسِ وغَيْرِها.

وفي روايةِ صَدُوقِهِمُ الآنفةِ: قِلَّةُ حَيَاءٍ، وأُسلوبٌ رَخيصٌ في قَلبِ الحقائقِ والوقائعِ. ولعلَّهُ أصابَ فيما ذهبَ إليه أنّ الشِّيعَةَ ليس فيهم أولادُ زِنَا، وذلك بِبركةِ دِينِهِمْ ومذهبِهِمُ الذي أباحَ الزِّنَا واللِّواطَ باسم **المُتْعَةِ**. وقَدِ اجتهدَ دُعَاةُ الرَّفْضِ في التَّوسُّعِ في المُتْعَةِ للمُسَاهمةِ في كَثْرةِ الإنجابِ للأولادِ الشَّرعِيِّينَ في دِينِهِمْ، أولادِ المُتْعَةِ الدّينيَّةِ. ولقَدْ صَدَقَ **الصّدوقُ**؛ فإنَّ الشِّيعَةَ لَا يَعرفونَ الزِّنَا في حياتِهِمُ الاجتماعيَّةِ، ولَا مَحلَّ لهُ فيما بينَهُمْ، الأمرُ الذي يَجعلُ مُصْطَلحَ **أولادِ الزِّنَا** لا وُجودَ لهُ بينَهم؛ لأنّهم ـ في دِينِهِمْ

(١) «معاني الأخبار» لابن بابوية القُمِّيِّ (ص: ٣٩١ ـ ٣٩٢)؛ أي: أنّ أولادَ السُّنّةِ أولادُ زِنا، أمّا هم فلا!

ـ شَرْعِيُّونَ مُباركونَ، لَا يَعرفونَ لَهمْ آباءً، فالأَئِمَّةُ أَباؤُهُمْ، وعُلَماءُ الرَّفْضِ آباؤُهُمْ، وبذلكَ يفتخرونَ، وبِوسَامِ المُتْعَةِ يَعْتَزُّونَ، فهنيئًا لأُمَّةٍ ليس فيها أولادُ زِنَا، في حينِ أنّها تَعُجُّ وتَكتَظُّ بأولادِ المُتْعَةِ المُباركةِ في هذا الدِّينِ الرّافضيِّ.

• وروى **مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الطُّوسِيُّ** بإسنادِهِ إلى **البَاقِرِ والصَّادِقِ** أنهما قالا: «إِنَّ اللهَ عَوَّضَ الْحُسَيْنَ مِنْ قَتْلِهِ: أَنَّ الْإِمَامَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلَا تُعَدُّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ ـ جَائِيًا وَرَاجِعًا ـ مِنْ عُمُرِهِ»[(١)].

هَنِيئًا للشِّيعَةِ في زِيادةِ أيّامِ أَعمارِهِمْ، فمهما رَاحَ الشِّيعِيُّ وجاءَ قَاصدًا زِيَارَةَ قَبْرِ الحُسَيْنِ وصَرَفَ فيها الأيّامَ والليالِيَ فإنّها لَا تُعَدُّ مِنْ عُمُرِهِ، وهَنيئًا لَهمْ **التّربة الحُسَيْنِيّة** ذلك الدَّواءُ الشَّافي مِنْ جميعِ الأمراضِ، وهنيئًا لَهمْ ذلك الموضعُ المُقدّسُ المُباركُ الذي لَا يُرَدُّ فيه الدُّعاءُ، وأخيرًا هنيئًا لَهمْ دِينُهُمْ ومذهبُهُمْ.

وروى **الطُّوسِيُّ** بإسنادِهِ إلى **عَمّارِ بنِ أبي عمّارٍ** أنّهُ قال: «أَمْطَرَتِ السّماءُ يومَ قُتِلَ الحُسَيْنُ دمًا عَبيطًا»[(٢)].

وبإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** قال: «مَنْ كانتْ لهُ إلى اللهِ حَاجةٌ؛ فلْيَقْصِدْ إلى مسجدِ الكُوفةِ ولْيَسبغْ وُضُوءَهُ ويُصَلِّي في المَسجدِ ركعتينِ... فإذا فرغَ مِنَ الرّكعتينِ وتَشهّدَ وسَلّمَ، سألَ اللهَ حَاجَتَهُ؛ فإنها تُقضَى»[(٣)].

وبإسنادِهِ إلى **إمامِهِمُ الرِّضَا** أنّهُ سُئِلَ عَنْ أكلِ الطِّينِ، فقال: «كُلُّ طِينٍ حَرَامٌ كالمَيْتَةِ والدَّمِ ومَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بهِ ما خلا طِينَ قَبْرِ الحُسَيْنِ؛ فإنَّهُ شفاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»[(٤)].

---

(١) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٣٢٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٣٩).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

وروَى بإسنادِهِ إلى **الصَّادِقِ** أنَّهُ قال: «إنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ تُرْبَةَ جَدِّي الحُسَيْنِ شفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ وأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، فإذا تناولَها أحدُكم فَلْيُقَبِّلْهَا ولْيَضَعْها على عَينيهِ ولْيُمِرَّهَا على سَائرِ جَسدهِ وليقلْ: اللَّهُمَّ بحقِّ هذه التُّربةِ وبحقِّ مَنْ حَلَّ بِهَا.. وبحقِّ أبيهِ وأُمِّهِ وأخيهِ والأئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ وبحقِّ الملائكةِ الحافِّينَ بهِ؛ إلَّا جَعَلْتَها شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ، وبَرْءًا مِنْ كُلِّ مَرضٍ، ونجاةً مِنْ كُلِّ آفةٍ، وحرزًا مِمَّا أخافُ وأحذرُ. ثُمَّ يستعمِلُها»[(١)].

• وذكرَ **الجزائريُّ** عَنِ الرَّيَّانِ بنِ شَبيبٍ في دُخولهِ على **إمامِهِمُ الرِّضَا** حديثًا طويلًا عَنْ مَقْتَلِ الحُسَيْنِ فيه: «ولقَدْ بَكَتِ السمٰواتُ السّبعُ والأرضون لِقَتْلِهِ، لقَدْ نزلَ إلى الأرضِ مِنَ الملائكةِ أربعةُ آلافٍ لِنَصْرِهِ فوجدوهُ قَدْ قُتِلَ فَهُمْ عِنْدَ قَبْرِهِ شُعْثٌ غُبْرٌ [يَبْكُونَ] إلى أنْ يَقُومَ القائمُ فيكونون مِنْ أنصارِهِ وشِيعَتِهِ وشعارُهُمْ: يا لَثَارَاتِ الحُسَيْنِ. **يا ابنَ شَبيبٍ!** لقَدْ حدَّثَني أبي عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ أنّهُ لمّا قُتِلَ جَدِّي الحُسَيْنُ أَمطرتِ السمٰواتُ دَمًا وتُرابًا أحمرَ. **يا ابنَ شَبيبٍ!** إنْ بكيتَ على الحُسَيْنِ حتَّى تَصيرَ دُموعُكَ على خَدّيْكَ غفَرَ اللهُ كُلَّ ذَنبٍ أَذْنَبْتَهُ صَغيرًا كان أو كبيرًا قليلًا كان أو كثيرًا. **يا ابنَ شَبيبٍ!** إنْ سَرَّكَ أنْ تَلْقَى اللهَ ﷻ ولَا ذَنْبَ عليكَ فَزُرِ الحُسَيْنَ.. **يا ابنَ شَبيبٍ!** إنْ سَرَّكَ أنْ تكونَ معنا في الدّرجاتِ العُلَى في الجنّاتِ فاحْزَنْ لِحُزْنِنا وافرَحْ لِفَرَحِنا»[(٢)].

مَساكينُ هؤلاءِ **الملائكةُ**؛ لَقَدْ تَباطؤا عَنِ النُّزولِ لِنُصْرَةِ الحُسَيْنِ حتَّى فَاتَ الفَوْتُ[(٣)] وقُتِلَ رضي الله عنه. وها هُمْ يُكَفِّرونَ عَنْ تَأخُّرِهِمْ ذلك وعَدَمِ

---

(١) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٣٢٦). (٢) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٣) وقد تنبّه بعضُهم لِسقطةِ مَنِ اخترعَ هذه الرّواية فأرادَ أن يُصْلِحَ الأمرَ؛ فَزَعَمَ أنّهم تَباطأوا عَنِ النُّزولِ لِأنهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهم. إذنْ قد نَزلوا ابتداءً دُونَ أمرِ رَبِّهِم تباركَ وتَعالَى، واللهُ تعالَى يقولُ في مُحكَمِ كتابِهِ عَنْ ملائكتِهِ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التَّحْرِيم: ٦]. فَمَنْ نُصَدِّقُ يا أهلَ الرَّفضِ: أأنتمُ أمِ اللهَ تَعَالَى؟

امتثالِهِمْ؛ بالبقاءِ عِنْدَ قَبرِهِ، وعَدَمِ العُروجِ إلى السّماءِ حتَّى يَقومَ **قائمُهُمُ المزعومُ مَهدِيّهُمُ المنتظَرُ** مِنْ عَميقِ سُبَاتِهِ، ولَقَدْ تَأخَّرَ عنهم كثيرًا هو الآخرُ، فَلْيبحثْ أَئِمَّةُ الرَّفْضِ ودُعاتُهُ عَنْ عَمَلٍ يُكَفِّرُ بِهِ هو أيضًا عَنْ عَدَمِ خُروجِهِ مِنْ ذلك **السّردابِ** المزعومِ.

والشَّاهدُ مِنْ هذهِ الرّوايةِ: استشهادُهُمْ بفعلِ الملائكةِ المزعومينَ وتَعظيمُهُمْ للقَبْرِ والعُكوفِ حَوْلَهُ؛ تسويغًا لأفعالِهِمُ الشَّنيعةِ حَوْلَ القُبورِ والأضرحةِ. وأمرٌ آخرُ حَرِصَ الرَّافِضَةُ عليهِ قديمًا وحديثًا وهو: شَحْنُ الجوانبِ العاطفيَّةِ والمشاعرِ الوجدانيَّةِ في حياةِ شِيعَتِهِم بالطُّقوسِ الخاصَّةِ التي تَتمثّلُ بـ: العزاءِ، والنّياحةِ، والبُكاءِ، وتِلاوةِ الأورادِ والملاحمِ المأساويَّةِ، والأَدْعِيَةِ الخاصَّةِ التي شَرَّعوها لِشِيعَتِهِم ومَلؤوها بالبِدَعِ، وأعمالِ الشِّرْكِ مِنْ دُعاءِ غيرِ اللهِ والاستغاثةِ بالأمواتِ وطلبِ شَفاعتِهِمْ بأسلوبٍ درامي جنائزيٍّ يُثِيرُ في نُفوسِ الشِّيعَةِ والأتباعِ الأحزانَ، ويَملأُ قُلوبَهُمْ بالأحقادِ، ويَشْحَنُ صُدورَهُمْ بالكراهيَةِ للإسلامِ وأهلِهِ وخَاصَّةً صَحابةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ والتّابعينَ لَهم بإحسانٍ.

ولقَدْ شَرَّعَ **دُعاةُ الرَّفْضِ** لِشِيعَتِهِم إقامةَ مجالسِ العَزَاءِ والبُكاءِ والنّياحةِ وضربِ الصُّدورِ وشَقِّ الجيوبِ، وجَعَلُوها مِنْ أعظمِ الطّاعاتِ والقُرباتِ في دِينِهِمْ ومَذهبِهِمْ، وحرصوا على عَدَمِ انقطاعِها على مَدارِ السَّنَةِ في مُناسباتٍ مُختلِفةٍ، لَا سيما مع بِدايةِ كُلِّ عامٍ في **شهرِ مُحَرَّم** إحياءً لِذِكْرَى استشهادِ الحُسَيْنِ بزَعمِهِمْ. وروّجُوا لأعمالِ الجاهليَّةِ في تلكَ الأيّامِ والمناسباتِ بأنّها مِنْ أعظمِ القُرَبِ إلى اللهِ تَعَالَى ومِنْ أعظمِ مُكفّراتِ الذُّنوبِ والخطايا، وحَرّمُوا الأعمالَ والمكاسبَ في يومِ استشهادِهِ. كُلُّ هذا حِرصًا منهم على إحياءِ هذه المأساةِ وإشعالِ نَارِها في النُّفُوسِ، وقَدْ زادوا في تفاصيلِ تلك الحادثةِ التَّاريخيَّةِ الأليمَةِ فكَذَبوا وغَلَوْا ليجعلوا منها نقطةَ انطلاقٍ إلى شَحْنِ صُدورِ الشِّيعَةِ بالبُغضِ والحقدِ على **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** وعلى الدّينِ وأهلِهِ

عَامَّةً، ولِتَدْفَعَ بِالشِّيعَةِ إلى الخروجِ والثَّوْرَةِ الدَّائِمةِ بالسِّلاحِ على دَوْلَةِ الإسلامِ وتَفريقِ كَلِمَةِ المُسلِمينَ وتَبديدِ قُوّتِهمْ بُغْيَةَ الوصولِ إلى أهدافِهِمُ الخبيثةِ وتَنفيذِ مخطّطَاتِهمُ العُدوانيَّةِ.

ويَذْكُرُ هذا الجزائريُّ أيضًا روايةً يَزْعُمُ إسنادَها إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ يقولُ فيها:

- «مَنْ أنْشَدَ في الحُسَيْنِ شِعْرًا فأبْكَى (خَمسينَ) فَلَهُ الجَنَّةُ،
- ومَنْ أنْشَدَ في الحُسَيْنِ شِعْرًا فأبْكَى (ثلاثينَ) فَلَهُ الجَنَّةُ،
- ومَنْ أنْشَدَ في الحُسَيْنِ شِعْرًا فأبْكَى (عِشرينَ) فَلَهُ الجَنَّةُ،
- ومَنْ أنْشَدَ في الحُسَيْنِ شِعْرًا فأبْكَى (عشرةً) فَلَهُ الجَنَّةُ،
- ومَنْ أنْشَدَ في الحُسَيْنِ شِعْرًا فأبْكَى (واحدًا) فَلَهُ الجَنَّةُ،
- ومَنْ أنْشَدَ في الحُسَيْنِ شِعْرًا (فتباكَى) فَلَهُ الجَنَّةُ»[(١)].

مَا أرخصَ الجَنَّةَ في دِينِ الشِّيعَةِ، وما أعظَمَ فضلَ البُكاءِ والنِّياحةِ، وعُلُوَّ منزلةِ البَكّائينَ والنائحينَ والمُتَباكينَ فطُوبَى لَهمْ هذا الدّين الدرامي الحزين، وجَعلهُمُ اللهُ مِنْ أهلِ البُكاءِ والحُزنِ في الدُّنيا والآخرةِ إشباعًا لِنفوسِهِمْ وقُلوبِهِمُ التي تَعْشقُ الحزنَ والبكاءَ.

• ويَستَحِثُّ (**الخوانساريُّ الرَّافِضِيُّ**) هِمَمَ الشِّيعَةِ في الحُزنِ والبُكاءِ فيقولُ نَاظِمًا:

«ألَا نُوحوا وضجّوا بالبكاء ... على السّبطِ الشهيدِ بكربلاء
ألَا نوحوا بسَكْبِ الدّمعِ حزنًا ... عليه وامزجوه بالدّماء
ألَا نُوحوا على مَنْ قَدْ بكاه ... رَسُولُ اللّهِ خيرُ الأنبياء»[(٢)]

(١) «الأنوار النُّعْمَانِيَّة» (٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٢) «روضات الجنات في أحوال العُلَمَاء والسادات» (١/ ٧٠).

• وجاءَ في «**الزِّيَارَةِ الجامعةِ**» ـ المرويَّةِ عَنْ **عاشرِ أئِمَّتِهِمْ** بزَعمِهِمْ، والتي تلقّاها جمعٌ كبيرٌ مِنْ عُلمائِهِمْ وأَئِمَّةِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ بالقَبولِ ـ مَا نَصُّهُ: «أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكُمْ أنِّي مُؤمِنٌ بكم... مُؤمِنٌ بإيَابِكم، مُصَدِّقٌ برجعَتِكُمْ، مُنتظِرٌ لأَمرِكم، مُرتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ، آخِذٌ بِقولِكم، عَاملٌ بأمرِكم، مُستجيرٌ بِكُمْ، زَائِرٌ لكم، لائِذٌ عَائِذٌ بقُبورِكم، مُستشفِعٌ إلى اللهِ ﷻ بِكُمْ ومُتقرّبٌ بِكُمْ إليه، ومُقدِّمُكُمْ أمامَ طِلبتي وحوائجي وإرادتي في كُلِّ أحوالي وأُموري....»[(١)].

• وفي «عُمدةِ الزَّائِرِ» لِآيتِهِمْ **حيدر الحُسَيْنِيِّ الكَاظِمِيِّ**، أوردها بِلَفْظِها إلَّا أنّهُ قال: «.. زَائِرٌ لكم، عَائِذٌ بكم، لائِذٌ بقُبورِكم..»[(٢)].

• ويَقولُ **عَبدُ اللهِ شُبَّر** ـ بَعْدَ إيرادِهِ لبعضِ النُّصوصِ الشِّيعِيَّةِ في فضلِ زِيَارَةِ أئِمَّتِهِمُ المزعومينَ ـ: «ومِنَ الطبيعيِّ أَنَّ الإنسانَ إذا زَارَ عَظيمًا مِنْ أمثالِ المَعصُومينَ عليهم السلام أنْ يَتَأَثَّرَ بروحِهِمْ ويَتغَيَّرَ مِنْ سَيِّئٍ إلى حَسَنٍ ومِنْ حَسَنٍ إلى أحسنَ. وهذا مَا نجِدُهُ في غَالبِ أُولَئِكَ الذين يُوفَّقُونَ لزِيَارَةِ النَّبِيِّ وأهلِ بيتِهِ الكرامِ، وكَمْ رأينا عُصاةً آثمينَ تَغيّرَ مَسيرُهُمْ بزِيَارَةِ أهلِ البَيْتِ، وانقَلبوا نَفسيًّا وفِكريًّا مِنَ الشُّذوذِ إلى الصّراطِ المستقيم»[(٣)]. ويقولُ أيضًا: «وإنَّ شعائرَ الحجِّ إلى الضّرائحِ القُدُسيَّةِ المنورةِ بتلكَ الأجسادِ الطّيّبةِ والهياكلِ الملكوتيَّةِ ومناسكِ الزِّيَارَةِ للمَشاهِدِ المُشرَّفةِ بِمضَاجعِ أُمناءِ اللهِ على وَحْيِهِ وودائعِ سِرِّهِ؛ لَمِنْ أفضلِ مَا نَدَبَ إليه الأَئِمَّةُ الأطهارُ... فإنَّ فيها تتّجهُ أَلْبَابُ شِيعَتِهِم وتَنصَرِفُ قُلوبُ مَوَالِيهِم إلى مَا يَلُمُّ شَعَثَهُمْ، ويُؤلِّفُ شَتَاتَهُمْ، ويَجمعُ كَلِمَتَهُمْ، ويَشُدُّ عُرَى جماعتِهِمْ....»[(٤)].

---

(١) «الأنوار اللامِعَة في شرحِ الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ» (ص: ٢٥ ـ ٢٦).
(٢) «عمدة الزائر في الأدعية والزيارات» (ص: ٣٧٤).
(٣) «الأنوار اللامِعَة في شرحِ الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ» (ص: ١٠).
(٤) المصدر السابق (ص: ١٧).

لقَد دَأَبَ أهلُ البِدَعِ والضَّلالِ على تَزْيينِ بَاطلِهم بزخارفِ القولِ والعبارةِ، وهنا يَصِفُ عِبادةَ الأوثانِ وتعظيمَ الأضرحةِ والقُبورِ بأنّها شعائرُ الحجِّ إلى الضّرائحِ القُدُسيَّةِ المنورةِ؛ تَرويجًا لمذهَبِهم وصَرْفًا للنَّاسِ عَنْ شَعائرِ الحجِّ الحقيقيَّةِ في دِينِ اللهِ تَعالَى. وها هو يُشيرُ إلى هَدَفِ دُعاةِ الرَّفْضِ مِنْ تعظيمِ قُبورِ الأئِمَّةِ وزيارتِها، وهو أنَّها أماكنُ تَجَمُّعٍ لَهمْ يَتألّفون فيما بينَهُمْ ويَستعيدون قُوّتَهُمْ وشَوكَتَهُمْ ويُخطِّطُونَ لِضَرْبِ الإسلامِ وأهلِهِ.

يقولُ **شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللهُ: «وقَدْ صَنَّفَ شَيْخُهُمُ ابنُ النُّعْمَانِ ـ المعروفُ عِنْدَهُمْ بالمُفيدِ وهو شيخُ الموسويِّ والطُّوسِيِّ ـ كتابًا سَمّاهُ «مَناسِكَ المشاهدِ»، جعلَ قُبورَ المَخْلُوقِينَ تُحَجُّ كما تُحَجُّ الكعبةُ البَيتُ الحرامُ»[1] الطُّوسِيِّ هو: محمد بن الحسن الطُّوسِيِّ (شيخ الطائفة).

فهذا إمامٌ مِنْ أئِمَّتِهِمْ في العِلْمِ والدِّينِ الرَّافِضِيِّ تُوفِّيَ (٤١٣هـ) كتبَ قديمًا ودَعَا النَّاسَ إلى الحجِّ وأداءِ مَناسِكِ المشاهدِ والقُبورِ والأضرحةِ، فهُمْ دُعَاةُ شِرْكٍ وعَوْدةٍ للأوثانِ والجاهليَّةِ الأولى، مِنْذُ نشأتِهم وما زالوا على عَهْدِ الأوائلِ ودِينِهِمْ في جميعِ الأُصُولِ والفروعِ.

ولقَدْ تَتبّعَ الكاتبُ الإسلاميُّ **مُحَمَّدٌ البنداريُّ** الرّواياتِ الشِّيعِيَّةَ في زِيَارَةِ وتعظيمِ القُبورِ، ودَرَسَها وقَارنَ بينها وكَشَفَ مَا فيها مِنَ التّناقُضِ[2] والغُلُوِّ، ويقولُ: «**بَلَغَ عَدَدُ الأحاديثِ المرويَّةِ في هذا المجالِ مَا يُقاربُ (٤٥٨) حديثًا، منها (٣٣٨) في زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ، والبَقِيَّةُ (١٢٠) حديثًا في زِيَارَةِ قُبورِ الأَئِمَّةِ عَامَّةً**»[3]. فجزاهُ اللهُ خيرَ الجزاءِ على دِراستهِ وكَشْفِهِ لباطلِ هؤلاءِ المُتستّرينَ بهذا الدِّينِ العظيمِ.

---

(١) «مِنهاج السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (١/٤٧٦).

(٢) المقصودُ بالتّناقضِ: أنّ أقوالَهم في الفضائلِ والجزاءِ والثّوابِ في هذا الشّأنِ قد تضمّنتِ الكثيرَ مِنَ التضادِّ والاختلافِ؛ لأنّهم يقولونَ اليومَ قولًا ثُمَّ يقولونَ بعدَ ذلك خِلَافَهُ وضِدّهُ وهم لا يشعرونَ؛ لأنّ موردَ الوَضْعِ والكَذِبِ قد كَثُرَ فأنّى يُضْبَطُ؟!

(٣) «التَّشَيُّع بين مفهوم الأَئِمَّةِ والمفهوم الفارسي» (ص: ٢٥٥).

• وقَدْ صَنَّفَ المَدْعُو **عَلِيٌّ الأحمديُّ** مُصَنَّفًا يَقعُ في قُرابةِ خمسمائةِ صفحةٍ بعنوان: «التّبرُّكُ، تَبرُّكُ الصَّحَابَةِ والتابعينَ بآثَارِ النَّبِيِّ والصالحينَ» مُتسائِلًا: «هل هو شِرْكٌ في الدِّينِ أو دَليلُ إيمانٍ ويقينٍ؟». وقَدْ شَحنَهُ بالرّواياتِ الشِّيعِيَّةِ والآثَارِ الأُخْرَى السّاقطةِ مُتَّخِذًا مِنَ الطَّعْنِ في الخُلَفاءِ الرّاشدينَ وبَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ وجميعِ عُلَماءِ الدِّينِ والسُّنَّةِ وسَبِّهِمْ وسَبِّ كُلِّ مَنْ سارَ على مَنهجِهِمْ في التّوحيدِ والإيمانِ، مُتَّخِذًا مِن ذلك سَبيلًا لإثباتِ مَا تَغَلْغَلَ في قَلبِهِ مِنْ حُبِّ وتعظيمِ القُبورِ والأضرحةِ، والتّوسُّلِ بِهَا، والاستشفاعِ والاستشفاءِ بِهَا، والطّوافِ حولَها، والاستغاثةِ بالأمواتِ، مِنْ أنَّ ذلك عندَه وعِندَ أهلِ الرَّفْضِ دِينٌ وإيمانٌ وسُنَّةٌ قديمةٌ مشروعةٌ.

وقَدْ أكثرَ مِنَ النَّقلِ عَنِ الأئِمَّةِ فيما نسبوهُ إليهم مِنَ الرّواياتِ التي تَفوحُ منها رَائِحَةُ الشِّرْكِ وعِبادةُ القُبورِ والأَوْثَانِ باسمِ الإيمانِ واليقينِ المزعومِ، وقَدْ جعلَ الطَّوافَ حَوْلَ قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ السُّنَنِ التي كان عليها سَلَفُ الأُمَّةِ فيقولُ: «ومِمَّا يُمَثِّلُ لنا احترامَ المُسلِمينَ لقَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وآلِهِ وتَوسُّلَهُمْ وتَبَرُّكَهم وطَوافَهُم حَوْلَ قَبْرِهِ....»[(١)].

وأمَّا **قَبْرُ الحُسَيْنِ**؛ فقَدْ جعلَ منهُ قِبْلَةً لَهمْ، ومَلاذًا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، ودَواءً وشِفاءً مِنْ كُلِّ سَقَمٍ، وأَمَانًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وأنَّ تُرْبَتَهُ وطِينَهُ لِمَا أُخِذَ لهُ، وأنَّ السُّجودَ على تُرْبَةِ قَبْرِهِ يَخرِقُ الحُجُبَ السَّبعةَ، وأنّهُ يُستحبُّ السُّجودُ عليهِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الفوائدِ المزعومةِ التي نقلَ في إثباتِها الأحاديثَ والرّواياتِ الشِّيعِيَّةَ، وقَدْ أكثرَ حيثُ صَدَّرها بقولِهِ: «وَرَدَتْ أحاديثُ كثيرةٌ في التَّبرُّكِ والاستشفاءِ بِتُرْبَةِ الحُسَيْنِ... في السُّجودِ عليها، وأَكْلِها للاستشفاءِ، وفي تَجهيزِ الميّتِ ودَفْنِهِ... مِنها»[(٢)]. ثُمَّ رَاحَ يُورِدُها وخَتَمَها بقولِهِ: «هذا قِسْمٌ مِنَ الرّواياتِ الكثيرةِ الواردةِ في التّبرُّكِ بتُربةِ الحُسَيْنِ... وفيما ذكرْنَا

(١) «التّبرُّك» (ص: ١٦١).

(٢) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (ص: ٢٩٥).

كفايةٌ لمنْ أنصفَ وتَدبّرَ»[(١)].

إنَّ هذا «**الكتابَ**» شَاهِدٌ على مُؤلِّفِهِ ومَنْ شَاكَلَهُ مِنَ المُبتدِعَةِ ومَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ المُتَصَوِّفَةِ في تعظيمِهِمُ القُبورَ وعِبادتِها، وإنَّ مُؤلِّفَهُ في ثنايا كتابهِ هذا يتباكَى هو وأئمَّتُهُ الذين يَنقُلُ عنهم ويندبونَ حَظَّهُمْ على مَا فعَلَهُ أهلُ التوحيدِ والإخلاصِ مِنْ هَدْمٍ للقُبورِ والأضرحةِ وإزالةٍ لتلك المشاهدِ والمزاراتِ التي كانتْ بلادُ الحجازِ تَغصُّ بِهَا، فيقولُ ـ مثلًا عِنْدَ ذكرهِ لبعضِ تلكَ الآثَارِ والأبنيةِ التي كانت مَحَلَّ عِبادةٍ وتَبَرُّكٍ لَهمْ ـ مَا نَصُّهُ: «ولما أخذَ الوَهَّابيون مَكَّةَ في عَصْرِنا هذا، هَدَمُوهُ ومَنعوا مِنْ زِيارتهِ على عَادَتِهمْ في المنعِ مِنَ التّبرُّكِ بآثَارِ الأنبياءِ والصّالحينَ»[(٢)].

وقَدِ استعملَ هذا **المُبتَدِعُ** في حقِّ أهلِ التوحيدِ عباراتٍ شَنيعةً وأوصافًا تَدُلُّ على مَا في قَلبهِ مِنَ الحقْدِ والبُغضِ للحقِّ وأهلهِ، وهذه عَادةُ أهلِ البِدَعِ والأهواءِ في وَصْفِ أهلِ الحقِّ بالألقابِ التي لَا تَلِيقُ إلَّا بِهِمْ أنفسِهِمْ وأمثالِهِمْ مِنَ المُبتدِعَةِ والمارقينَ.

• ويقولُ مُحَدِّثُهُمْ وشَيْخُهُمْ **مُحَمَّد مَهدي الحائريُّ**: «ويَنبغي لِكُلِّ مَنْ يَتقربُ إلى اللهِ تَعَالَى... أنْ لَا يَترُكَ زِيارتَهُمْ، وحضورَ مشاهدِهِمُ الشَّريفةَ، والتَّوسُّلَ بِهِمْ والاستشفاعَ بِهِمْ... وتعظيمَهُمْ، إِذْ هو تعظيمٌ لشعائرِ اللهِ وتعميرُ قُبورِهِمْ....»[(٣)].

ثُمَّ يَتذَكّرُ مَا فَعَلَهُ أهلُ التوحيدِ بامتثالِهِمْ أوامرَ اللهِ تَعَالَى ورَسُولِهِ ﷺ فيقولُ: «آه آه آه الأسف كلَّ الأسفِ على قُبورِ أئِمَّتِنا وسَادتِنا في البقيعِ وغيرِ البقيعِ مضَى عليها سنونٌ وهي مَهدومة.. فاسمعْ هذه الثُّلْمَةَ التي ثُلِمَتْ في الإِسْلامِ في هذا العصرِ المشؤومِ مِنْ هذهِ الطَّائفةِ الوَهَّابِيَّةِ وانظرْ مَا صَدَرَ

(١) «التّبرُّك» (ص: ٣٠٤).
(٢) المصدر نفسه (ص: ٢٤٤).
(٣) «شجرة طوبى» (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

منهم في الطَّائفِ ومَكَّةَ المُشرّفةِ والمدينةِ المُعظَّمَةِ....». ثُمَّ ذكرَ هَدْمَهُمْ للقِبَابِ المُتبركةِ بِزَعْمِهِ كقُبَّةِ أبِي طَالِبٍ وعبدِ المطلبِ...[١]. ثُمَّ يَقولُ: «ثُمَّ مَنعوا النَّاسَ قولَ: **يَا رَسُولَ اللهِ** ويَضربونَهم وجَعلوا يُنادونَ غَيْرَهُمْ بِلَفْظِ: **يا مُشْرِكُ ويا كافرُ**، ويَرمونَ مَنْ قال: **يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ** بالكُفْرِ والشِّرْكِ.. ومنعوا مِنْ مَسْحِ قَبْرِ النَّبِيِّ للتّبرُّكِ والالتصاقِ بهِ والتّوجُّهِ إليه حالَ الدُّعاءِ»[٢].

إنّها شهادةٌ مِنْ عَدُوٍّ وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ، إنّهُ يَشهَدُ على نفسهِ وأهلِ مِلَّتِهِ أنّهم يقولونَ في دُعائِهِمْ: «يَا رَسُولَ اللهِ» و«يَا مُحَمَّدُ»، وأنّهم يَتوجَّهون إليه حالَ الدُّعاءِ. ويَتباكَى على الإسلامِ بِزَعْمِهِ أنْ قَيّضَ اللهُ مَنْ يَذُبُّ عنهُ مَا نُسِبَ إليه مِنْ أنواعِ الضَّلالاتِ وأعمالِ الشِّرْكِ التي مَا جاءَ الإسلامُ إلَّا لِيُحَارِبَها لِيَتحقَّقَ التوحيدُ ويَخْلُصَ للهِ ﷻ.

• وذكرَ **الحُرُّ العَامِلِيُّ الرَّافِضِيُّ** رواياتٍ كثيرةً نسبَها إلى الأئِمَّةِ المزعومينَ في تعظيمِ القُبورِ، فنسبَ إلى **البَاقِرِ** قولَهُ: «إنَّ زِيَارَةَ قَبرِ الحُسَيْنِ فَرِيضَةٌ على كُلِّ مُؤمِنٍ». ونسبَ إلى **البَاقِرِ وابنه الصَّادِقِ** قولَهما: «تَارِكُ الزِّيَارَةِ يَموتُ مُنتَقَصَ الإيمانِ منتقصَ الدِّينِ». وغيرِ ذلك مِنَ الرّواياتِ الكثيرةِ المكذوبةِ في فضلِ ومكانةِ زِيَارَةِ القُبورِ وتعظيمِها[٣].

وروى عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الحُسَيْنِ يومَ عَرَفَةَ كَتَبَ اللهُ لهُ ألفَ ألفِ حَجَّةٍ مع القَائِمِ، وألفَ ألفِ عُمْرَةٍ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعِتْقَ ألفِ رَقَبَةٍ، وحَمْلَ ألفِ فرسٍ في سبيلِ اللهِ». وأيضًا: «إنَّ اللهَ يَتجَلَّى لِزُوّارِ الحُسَيْنِ قَبْلَ أهلِ عَرَفَاتٍ»[٤].

• وهذا إمامُهُمُ **الخُمَيْنِيُّ** يَزْعُمُ أنَّ إقامةَ القُبَبِ والمراقدِ والأضرحةِ

---

(١) «شجرة طوبى» (١/ ١٥٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٥).
(٣) «وسائلُ الشِّيْعَةِ» للحُرِّ العَامِلِيِّ (٥/ ٣٣٣) وما بعده.
(٤) المصدر السابق (٥/ ٣٤٧) وما بعده.

شَرْعٌ ودِينٌ ثُمَّ ساقَ بعضَ الآياتِ القُرآنِيَّةِ زَاعِمًا أنَّها تُؤيِّدُهُ في مَذهبِهِ الدَّاعِي إلى الشِّرْكِ باللهِ، فذكرَ قولَهُ تعالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج: ٣٢]. وقولَهُ تعالَى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦﴾ [النور: ٣٦] مُدَّعِيًا أنَّ البناءَ على القُبورِ مِنْ تعظيمِ شَعَائرِ اللهِ لأنّها أماكنُ عِبادةٍ وأنّها مِنَ البُيوتِ التي أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُهُ ويَتوجَّهُ النَّاسُ فيها إليه بالعبادةِ والتّسبيحِ والابتهالِ(١).

ثُمَّ وعلى عَادةِ أهلِ البِدَعِ تَعرَّضَ لأهلِ الحقِّ الذين يُنكِرونَ هذه الأعمالَ الشِّرْكِيَّةَ نُصْحًا للهِ تَعالَى ولرَسُولِهِ ﷺ ولأَئِمَّةِ المُسلِمينَ وعامَّتِهِمْ؛ فيُلقِّبُهُمْ بالمُشاغبين، ويَصِفُهُمْ بأنّهم مِنْ شتاتِ الوَهَّابيّينَ(٢)، ويَزْعُمُ أنَّ أهلَ الحقِّ لَمْ يُهاجموا الشِّيعَةَ وَحْدَهُمْ، بلْ هاجموا «جميعَ المُسلِمينَ مِنَ الشِّيعَةِ وأهلِ السُّنَّةِ، بلْ وجميعَ الفِرَقِ الدِّينيَّةِ مُشْرِكينَ وكفارًا»، مُحتَجًّا على صِحّةِ مَا ذَهَبَ إليه الرَّافِضَةُ والقُبوريَّةُ بِأنَّ جميعَ هؤلاءِ قَدِ اتّفقوا على مَشروعيَّةِ إقامةِ القُبَبِ والأضرحةِ الضّخمةِ، وأنّهم قَدْ شَيَّدوا الكثيرَ منها على قُبورِ الأنبياءِ والأئِمَّةِ والأولياءِ والصالحينَ بزعمِهِ.

ثُمَّ وَصَفَ مَنْ سَمَّاهُمْ بالمُشاغبينَ بأنّهم «يحَصرون التوحيدَ بِحِفْنَةٍ مِنْ رُعاةِ الإبلِ المحرومينَ مِنَ الحضارةِ، وزُمْرَةٍ مِنْ شُذَّاذِ الآفاقِ مِنَ السَّائرينَ خَلْفَ هؤلاءِ»(٣).

وقال أيضًا: «في كُلِّ عَامٍ يَتوجّهُ مئاتُ الآلافِ مِنَ الإيرانيّينَ إلى العراقِ والحجازِ ويَجدون أنَّ قَبْرَ الرَّسُولِ يُقَامُ في وسطِ بلدٍ سَيِّئِ المذهبِ»(٤).

---

(١) «كشف الأسرار» لِلْخُمَيْنِيِّ (ص: ٧٩ ـ ٨٠).
(٢) المصدر السابق (ص: ٧٩).
(٣) المصدر السابق (ص: ٨١).
(٤) المصدر السابق والصفحة.

ثُمَّ راحَ يَذكرُ حالَ المُنتسبينَ إلى الإسلامِ في كثيرٍ مِنْ بلادِ المُسلِمينَ ووَاقِعَهُمُ السَّيِّئَ في تعظيمِ القُبورِ، زَاعِمًا ـ كَذِبًا وزُورًا ـ أنَّ مِئاتَ الآلافِ مِنْ «أهلِ السُّنَّةِ» يَزورون قَبْرَ الرَّسُولِ ﷺ ويُؤدُّون نفسَ الشَّعائرِ التي يُؤدِّيها الشِّيعَةُ[(١)].

ثُمَّ ذكرَ مشروعيَّةَ الطّوافِ حَوْلَ الكعبةِ، وتقبيلِ الحجرِ الأسودِ، والسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا والمروةِ، مُدَّعِيًا أنَّ ذلك مَا هو إلَّا طَوافٌ وتَقبيلٌ لبعضِ الأحجارِ، ثُمَّ يَقولُ: «فالأجدرُ بكم أنْ تطالبوا بِهَدْمِ الكعبةِ»[(٢)].

ثُمَّ ذكرَ حديثًا طويلًا في فضلِ زِيَارَةِ قُبورِ الأَئِمَّةِ والبناءِ عليها فقال: «يَنقُلُ الشّيْخُ الطُّوسِيُّ عَنْ أبي عامرٍ واعظِ أهلِ الحجازِ قولَهُ: إنني ذَهبتُ إلى الصَّادِقِ وسألْتُهُ: مَا هو أجرُ مَنْ يَزورُ أميرَ المؤمِنينَ ويَبني قَبْرَهُ؟ فَرَدَّ عليهِ فيما رَفَعَهُ إلى رَسُولِ اللهِ يقولُ لِعَلِيٍّ: «إنَّ اللهَ جعلَ قَبْرَكَ وقُبورَ أَولَادِكَ بُقعَةً مِنْ بِقَاعِ الجَنَّةِ وصَحْنًا مِنْ صُحونِها، وأنَّ اللهَ أدخلَ في قُلوبِ المختارينَ مِنْ خَلْقِهِ حُبَّكُم، وجعَلَهُمْ يَتحمَّلون الأذى والذُّلَّ مِنْ أجلِكم، ويقومونَ بإعادةِ قُبورِكم ويأتون لِزيارَتِكم تَقرُّبًا إلى اللهِ وزُلْفَى إلى رَسُولِ اللهِ، وهؤلاءِ مشمولون بشفاعتي يَا عَلِيُّ... إنَّ مَنْ يبني قُبورَكم ويأتي إلى زيارَتِها يكون كمَنْ شاركَ سُلَيْمَانَ بنَ دَاوُدَ في بناءِ القُدْسِ، ومَنْ يَزورُ قُبورَكم يُصِيبُهُ ثَوابُ سبعين حَجَّةٍ غيرَ حَجَّةِ الإسلامِ، وتُمحى خطاياهُ، ويصبح كمَن وَلَدَتْهُ أمُّهُ تَوًّا. إنني أُبشِّرُكَ بذلك، وبَشِّرْ أنت مُحبّيكَ بهذه النِّعمةِ التي لَمْ ترَها عَيْنٌ ولَمْ تسمَعْها أُذنٌ ولَمْ تطرأْ على بالِ أحدٍ. إلَّا أنَّ هناك تَوافِهَ مِنَ النَّاسِ يَلومون زائري قُبورِكم كما يلومونَ المرأةَ الزَّانيَةَ، إنَّ هؤلاءِ شِرارُ أُمّتي، واللهُ لَا يَشملُهُمْ بشفاعتي»[(٣)].

---

(١) «كشف الأسرار» لِلْخُمَيْنِيِّ (ص: ٨١).

(٢) المصدر السابق (ص: ٨١).

(٣) المصدر السابق (ص: ٨٣ ـ ٨٤). والحديث بلا ريب **موضوعٌ مكذوب**.

إنَّ الأسلوبَ الشِّيعِيَّ الرَّافِضِيَّ يَتجلَّى في هذا النَّصِّ الذي نَسبوهُ كَذِبًا وزُورًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ يُريدون إقناعَ الغوغاءِ مِنَ النَّاسِ بِأنَّ عِبادةَ القُبورِ وتَعظيمَها سُنَّةٌ وشَرْعٌ ودِينٌ. ولَمْ يَغفلوا عَنِ الطَّعْنِ في أهلِ الحقِّ مِنْ دُعاةِ التوحيدِ الذين امتثلوا أمرَ اللهِ تَعَالَى وأمرَ رَسُولِهِ ﷺ في هَدْمِ قِلاعِ الشِّرْكِ وصُروحِ الوَثَنِيَّاتِ الجاهليَّةِ حين مَكَّنَهُمُ اللهُ تَعَالَى في بعضِ أرضِهِ. الأمرُ الذي ما زالَ المُبتدِعَةُ وعُبّادُ القُبورِ مِنَ **الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** يَتباكوْنَ عليهِ ويَتحسّرون ويَتألّمون عِنْدَ ذِكْرِهِمْ تلك الأفعالَ التي كان يأمرُ بِها الرَّسُولُ ﷺ، ويَبْعَثُ بِها رُسُلَهُ إلى البلادِ والأمصارِ، وهي أيضًا أفعالُ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه نفسِهِ حين كان يَبعثُ قُوَّادَهُ، كما جاءَ في قَوْلِهِ لأبي الهيّاجِ الأسديِّ المتقدمِ[(١)].

فأين أنتم مِنَ التّأسِّي بعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه في أفعالِهِ وأقوالِهِ يا مَنْ تَتبجّحون وتَتظاهرونَ بمحَبَّتِهِ ومُوالاتِهِ والاقتداءِ بِهِ والائتمامِ بأفعالِهِ وأقوالِهِ وأحوالِهِ؟!

وأَخْتِمُ ذِكْرَ مذهبِ **الرَّافِضَةِ** في تعظيمِهِمُ القُبورَ وصَرْفِ أنواعِ مِنَ العباداتِ لأهلِها مِنَ المقْبورينَ الذين يُعظّمُونَهُمْ سَواءٌ كانوا مِنَ الأئِمَّةِ المزعومين، أمْ غيرِهِمْ مِنْ أهلِ البيْتِ، أمْ حتَّى مَنْ كان مِنْ غيرِ أهلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ مِمَّن يَصِفُونَهُمْ بالعِلْمِ والفضلِ مِمَّن خَدَمَ دِينَهُمْ ومَذهبَهُمْ؛ أختمُ بذكرِ مَا جاءَ فيما يُسَمُّونَهُ: «دعاءَ الفرَجِ لصاحبِ الأمرِ»، وهو دُعَاءٌ تَلْهَجُ بِهِ أَلْسِنَةُ أهلِ الرَّفْضِ قديمًا وحديثًا، يَستحثُّون بهِ غَائِبَهُمُ ـ **إمامَهُمْ الثَّاني عَشرَ** الذي طالَ انتظارُهُمْ لهُ ـ أنْ يخرجَ مِنْ **سردابِهِ**. وقَدْ جاءَ في هذا الدُّعاءِ: «اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ أُولي الأمرِ الذين فَرَضْتَ علينا طاعتَهُمْ... فَفَرِّجْ عنّا بِحَقِّهِمْ فَرَجًا عَاجِلًا قَرِيبًا كَلَمْحِ البَصرِ أو هو أقربُ. يَا مُحَمَّدُ! يَا

(١) تقدم في: (ص: ٥٩٣).

عَلِيُّ! **يَا عَلِيُّ! يَا مُحَمَّدُ!** اكفياني فإنكما كافيانِ، وانصراني فإنكما نَاصرانِ، يا مَولاي يا صاحبَ الزمانِ! الغوثَ الغوثَ الغوثَ، أَدْرِكْنِي أدركني أدركني، الساعةَ الساعةَ الساعةَ، العجلَ العجلَ العجلَ، يا أرحمَ الراحمينَ، بِحقِّ مُحَمَّدٍ وآلهِ الطاهرينَ»[(١)].

لَقَدْ أَبَى **الرَّافِضَةُ** تقديمَ اسمِ مُحَمَّدٍ ﷺ على عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ تقديمًا مُطلقًا ـ كما في الرِّوايةِ السّابقةِ « **يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ**» ـ حتَّى في الذِّكْرِ، فقَدْ جعلوهما في مَنزلةٍ واحدةٍ مِنْ حيثُ الفضلُ والمكانةُ الدّينيَّةُ الشّرعيَّةُ. ولا نَجِدُ تَقديمَ اسمِهِ ﷺ إلَّا في النُّصُوصِ التي مَلؤوا بِهَا بعضَ كُتُبِهِمْ ومُؤلَّفَاتِهِمُ التي كَتَبُوها **تَقِيَّةً** وصَنَّفوها لغيرِ أهلِ التَّشَيُّعِ، وإلا فحقيقةُ مَذهبِهِمْ أنّهم يَغْلُونَ في عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ غُلُوًّا يَرفعونَهُ بهِ حتَّى على مَقامِ النُّبُوّةِ والرّسالةِ التي جَعَلَها اللهُ تَعالَى لِنَبِيِّهِ ورَسُولِهِ ﷺ. لقَدْ جعلوا مِنْ بِعْثَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ودَعْوتِهِ التي جاءَ مِنْ أجلِها؛ هي دَعوةُ النَّاسِ إلى التَّشَيُّعِ لِعَلِيٍّ ووَلَدِهِ مِنْ بعدِهِ.

وها هُمْ في هذا الدُّعاءِ المُبْتَدَعِ يُقَدِّمونَ مُحَمَّدًا تَارةً وعَلِيًّا تارةً أُخْرَى، ويَتوجَّهونَ بِصَرْفِ العباداتِ لهما والاستغاثةِ بهما وطَلَبِ النُّصْرَةِ منهما. وكُلُّ هذا الشِّرْكِ يَفعلونهُ باسمِ مَحبَّةِ آلِ البَيْتِ وتَعظيمِهِمْ ومَعرفةِ حُقوقِهِمُ المفروضةِ بِزَعمِهِمْ وأدائِها.

▫ تَعظيمُ القُبورِ وعِبادَتُها من دون الله عِنْدَ (الصُّوفِيَّةِ):

• يقولُ (**أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ**): «زِيَارَةُ القُبورِ مُستحبَّةٌ على الجُملةِ للتَّذَكُّرِ والاعتبارِ وزِيَارَةُ قُبورِ الصَّالِحينَ مُستحبَّةٌ لأجلِ التّبرُّكِ مع الاعتبارِ»[(٢)].

---

(١) جاء نَصُّ هذا الدعاءِ ضمنَ نشرةٍ توضيحيةٍ عَنِ المَعصُومين المزعومين، وبعضِ سِيَرِهم وأحوالِهم، وبذيلِ النشرةِ جاء ذكرُ «دعاء الفرج». نشر وتوزيع مكتبة الماحوزي في دَولَة البحرين.

(٢) «إحياء علوم الدِّينِ»، بيان زِيَارَةِ القُبورِ والدعاءِ لِلمَيّتِ وما يَتعلَّقُ بهِ (٤/ ٤١٨).

هكذا يَدُسُّونَ السُّمَّ في العسلِ، يَذكرون مذاهبَ الفُقهاءِ مُقدَّمَةً؛ تَمويهًا لِباطِلِهِمْ ومذهبِهِمُ الفاسدِ، الذي يجعلونهُ كالمقدّمةِ الفِقهيَّةِ أو نتيجةٍ لها، وشَتَّانَ بَيْنَ هذا وذاك.

فما هي علاقةُ التّبرُّكِ بقُبورِ الصَّالِحينَ بِمَا ذَكرهُ مِن استحبابِ زِيَارَةِ القُبورِ التي شَرَّعَها رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ نَهْيِهِ عنها؛ لِيَتَذكَّرَ بِهَا المُسْلِمُ الحيُّ آخرتَهُ ومَوتَهُ، ويَتَّعِظَ مِنْ تَذَكُّرِ الأمواتِ ورُؤيةِ القُبورِ؛ عَسَاهُ يَنتفِعُ بذلك في حياتهِ، فيجتهدُ في فعلِ الطّاعاتِ وتركِ المُنْكراتِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا**»[1]، وقال ﷺ حينَ زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ: «**زُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ**»[2]، وقالَ ﷺ: «**زُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[3].

تُفيدُ هذه النُّصوصُ مَشروعيَّةَ زِيَارَةِ القُبورِ وسُنِّيَّتِها، وتُرَغِّبُ في فِعْلِها بَعْدَ أنْ كانتْ مُحَرّمةً، كما تُبيِّنُ العِلّةَ والغايةَ مِنْ زِيَارَةِ القُبورِ، وهي لَا تَتعدّى كونَها تُذَكِّرُ الزَّائرَ الموتَ والآخرةَ وتُزَهِّدُهُ في الدُّنيا. الأمرُ الذي سيحملُهُ بَعْدَ توفيقِ اللهِ تَعَالَى لهُ على العَمَلِ لَما بَعْدَ الموتِ، والاستعدادِ لِدَارِ البَرْزَخِ الذي هو أَوّلُ مَنزلٍ مِنْ مَنازلِ الآخرةِ.

وقَدْ كان مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ أنّهُ يَخرجُ إلى البَقِيعِ[4]، ويُسَلِّمُ على أهلِها مِنَ المُسلِمينَ، ويَدعو لَهُمْ بالمغفرةِ والرّحمةِ، فعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قالتْ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إلى البَقِيعِ فَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ،**

---

(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ ﷻ في زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٢/ ٦٧٢ رقم: ٩٧٧/١٠٦).

(٢) «صحيح مُسْلِم» ـ الكتاب والباب السابقين ـ (٢/ ٦٧١ رقم: ٩٧٦/١٠٨).

(٣) «سنن ابن مَاجَه»، كتاب الجنائز، باب مَا جاء في زِيَارَةِ القُبور (١/ ٥٠٠ رقم: ١٥٦٩). والحديثُ أصلُهُ في «صحيح مُسْلِم» انظر: الحاشيةَ السابقة رقم: (٢).

(٤) بَقِيعُ الغَرْقَدِ؛ هو مَوضِعُ مَقابرِ المسلمين بالمدينةِ النبويَّةِ علَى عهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

اللَّهُمَّ! اِغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ»(١).

وكان ﷺ يُعَلِّمُ أصحابَهُ وأُمَّتَهُ مَا يُسْتَحَبُّ لَهم فِعْلُهُ عِنْدَ زِيارتِهِمْ للمَقابرِ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ مَنزلِها حتَّى جاءَ البقيعَ، فَقَامَ فأَطَالَ فيه القِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ... وفيه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْبَرَها أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتاهُ وقالَ لهُ: «إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهمْ». فسألَتْهُ عَائِشَةُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «قُولِي: السَّلَامُ على أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلِمينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ»**(٢).

وجاءَ أيضًا مِنْ حديثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذَا خَرَجُوا إلى المَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلِمينَ، وَإِنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بكم لَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ»**(٣).

ومِنْ هَدْيِهِ ﷺ أيضًا في هذا البابِ مَا جاءَ مِنْ حديثِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عليهِ فقالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»**(٤). هذا هو هَدْيُ رَسُولِ الهُدَى وخَيْرِ البَرِيَّةِ ﷺ في زِيَارَةِ القُبورِ، وهذا مَا عَلَّمَ أصحابَهُ وأَرْشَدَهُمْ إلى فِعْلِهِ؛ إنْ هُمْ زَاروا القُبورَ أو مَرّوا عليها.

---

(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ القُبُورِ وَالدُّعَاءِ لأَهْلِهَا (٢/ ٦٦٩ رقم: ٩٧٤/ ١٠٢).

(٢) المصدر السابق ـ والكتاب والباب السابقين ـ (٢/ ٦٦٩ ـ ٦٧١ رقم: ٩٧٤/ ١٠٣).

(٣) المصدر السابق نفسه ـ والكتاب والباب السابقين ـ (٢/ ٦٧١ رقم: ٩٧٥/ ١٠٤).

(٤) «سنن أَبِي دَاوُدَ»، كتاب الجنائز، بَابُ الاسْتِغْفَارِ عِنْدَ القَبْرِ لِلْمَيِّتِ في وَقْتِ الانْصِرَافِ (٣/ ٥٥٠ رقم: ٣٢٢١). والحاكمُ في «المستدرك» (١/ ٣٧٠) وقال: «صحيحُ الإسنادِ». ووافقهُ الذهبيُّ. وصحّحهُ الألبانيُّ في كُلٍّ مِن: «صحيح سنن أبي داود» و«أحكامِ الجنائز» (ص: ١٩٨).

والنُّصوصُ تُفيدُ مَشروعيَّةَ الدُّعاءِ للأمواتِ وطَلَبِ المغفرةِ لَهمْ والرّحمةِ والثّبَاتِ على الحقِّ عِنْدَ السُّؤالِ في البَرْزَخِ.

إنَّ مَا جاءَ في نُصُوصِ الشَّرْعِ يُبَيِّنُ ويُفِيدُ افتقارَ المَيّتِ وحاجتهِ لِدُعاءِ الأحياءِ، وتَرحُّمِهِمْ عليهِ، وطَلَبِ المغفرةِ لهُ مِنَ اللهِ ﷻ الغَفورِ الرَّحيم. فالميّتُ هو الذي يَنتفِعُ بزِيَارَةِ إخوانهِ الأحياءِ إنْ هُمُ اقتدوا وتَمسّكوا بِهَدْيِ رَسُولِهِم ﷺ في هذا البابِ.

ولكنَّ **الصُّوفيَّةَ** قَدْ قَلبوا هذه الحقيقةَ، فجعلوا الأحياءَ يَفتقرون لِزِيَارَةِ أمواتِهِمْ ومَشايِخهم ومَنْ يَزْعُمُونَ فيهِمُ الصّلاحَ والوِلايَةَ، ويُقَرِّرون انتفاعَ الحَيِّ بِزِيَارَةِ الأمواتِ وتَعظيمِ قُبُورِهِمْ، ولَا يَستَنِدُونَ في تقريرِ هذه البِدْعَةِ إلى نَصٍّ شَرْعِيٍّ مِنْ كِتَابٍ أو سُنَّةٍ إلَّا بعضَ مَا يَذكرونهُ مِنَ «السُّنَنِ» التي يَسوقونَها تَلْبيسًا وتَمويهًا للحقِّ بالباطلِ. كما يَتَّضِحُ مِنْ قولِ **أبي حَامِدٍ الغَزاليِّ** المتقدمِ في ذِكْرِهِ وخلطهِ مذهبَهُ مع المذهبِ الحقِّ، وكما هو فِعْلُ الصُّوفيَّةِ والمُبْتَدِعَةِ عَامَّةً في تَرويجِ باطلِهِمْ ومذاهبِهِمْ.

ولقَدْ تَقرَّرَ في شَرْعِ اللهِ ﷻ وكذلك في العُقولِ والفِطَرِ السَّلِيمةِ أنَّ الإنسانَ إذا ماتَ انقطعَ عَمَلُهُ وإحسانُهُ إلَّا مِمَّا استثناهُ الشَّرْعُ الحنيفُ، كما في حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

ولكنَّ **الصُّوفيَّةَ** تُقرِّرُ أنَّ أعمالَ أَوْلِيائِهِمْ وصَالِحيهم المزعومينَ لَا تَنقطِعُ بِموتِهِمْ بلْ إنَّهُمْ يُؤمنونَ أنَّ الشّيْخَ قَدْ لَا يَنفَعُ مُريديهِ في حياتهِ مَهما بَقَوْا في خدمتهِ وطاعتهِ، ولكنهُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَفتَحُ لَهمْ مِنْ خَزائنهِ وفَيْضِهِ.

---

(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (٣/ ١٢٥٥ رقم: ١٦٣١/ ١٤).

ويُؤمنون أنَّ نَفْعَ شُيوخِهِمْ وإِمْدَاداتِهِمْ ومَعارِفَهُمْ لَا تَنقطِعُ بِموتِهِمْ، بلْ إنَّهُمْ لَا يَستقرُّونَ في قُبورِهِمْ بلْ ولَا في بِلادِهِمْ، وأنّهم يَخرجون يَغيثُونَ العِبادَ والبلادَ، إلى غَيْرِ ذلك مِنَ العقائدِ والأفكارِ المخالفةِ للإسلامِ بلْ والأديانِ عَامَّةً وكذا العقولِ.

إنَّ جميعَ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ تُؤكِّدُ حاجةَ المَيِّتِ للأَحْيَاءِ مِنْ أَوَّلِ لحظةٍ يَنتقِلُ فيها مِنْ دَارِ الحياةِ الدُّنيا إلى دَارِ البَرْزَخِ، فالصّلاةُ على المَيِّتِ قَدْ شُرِعَتْ لاجتماعِ النَّاسِ والتَّضَرُّعِ إلى اللهِ للْمَيِّتِ الذي انقطعَ حَبْلُ عَملِهِ أنْ يَغْفِرَ لهُ ويَرْحمَهُ مِنْ ذُنوبِهِ وخطاياهُ.

ولقَدْ حَثَّ الشَّرْعُ المُسلِمينَ أنْ يُخْلِصوا في الدُّعاءِ للْمَيِّتِ رَجَاءَ رَحمةِ اللهِ تَعَالَى لهُ ومع كَثْرةِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ في هذا المَعنَى، إلَّا أنَّ المُبتدِعَةَ أَبوْا إلَّا المخالفةَ والتّنكُّرَ لهذا الهَدْيِ العظيمِ؛ لِيُمارسوا حياةَ الجاهليَّةِ الأولَى مِنْ تَعظيمِ القُبورِ، والوقوفِ عليها بالخُشوعِ والخُضوعِ والذُّلِّ رَجَاءَ الانتفاعِ بِهَا في الدُّنيا والآخرةِ في جَلْبِ المنافعِ والمصالحِ، ودفعِ الضُّرِّ والشَّرِّ.

الأمرُ الذي حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأجلهِ زِيارَةَ القُبورِ في أوّلِ الأمرِ، ومَنَعَ مِنَ الوقوفِ عليها؛ لِيَخْرُجَ تَعظيمُها ومَهابتُها مِنْ قُلوبِ المُسلِمينَ، لأنّهُ ذَريعةٌ لِتعظيمِ غيرِ اللهِ تَعَالَى، وصَرْفِ الخوفِ والرَّجَاءِ لغيرِه، وهذا لَا شَكَّ أنّهُ مِنَ الأُمُورِ التي تُفْضِي إلى الشِّرْكِ بِاللهِ، أو هي مِنَ الشِّرْكِ الخالصِ، ومِنْ مَوانعِ إخلاصِ التّوحيدِ للهِ تَعَالَى.

ثُمَّ لمّا تَقرَّرَ إخلاصُ العُبوديَّةِ للهِ تَعَالَى، ونَبْذُ الشِّرْكِ ووسَائلِهِ في نُفوسِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ نُسِخَ ذلك التَّحريمُ والنَّهيُ بالأمرِ والحثِّ على زيارَتِها، مع النَّصِّ على العِلّةِ والغايةِ مِنَ الزِّيَارَةِ كما تقدّم(١)، ولكنّ

(١) في (ص: ٦١٢).

المُبْتَدِعَةَ مِنَ **الرَّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ** أبوْا إلَّا العودةَ إلى الوَثَنيَّةِ والشِّرْكِ والجاهليَّةِ الأولَى.

▪ يقولُ **الهُجْويريُّ الصُّوفِيُّ**: «وَقَعتْ لي أنا واقعةٌ ذاتَ مَرّةٍ، وقُمْتُ بكثيرٍ مِنَ المُجاهدةِ، على أَمَلٍ أنْ تُحَلَّ تلك الواقعةُ فلمْ تُحَلَّ. وكانتْ قَدْ وَقَعَتْ لي مثلُ تلك الواقعةِ مِنْ قَبْلُ، فأَقَمْتُ مُجَاوِرًا على قَبْرِ الشّيْخ أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ إلى أنْ حُلَّتْ، فقصَدْتُ هنالك هذه المرّةَ أيضًا، وبَقَيْتُ على قَبْرِهِ مُجاوِرًا ثلاثةَ أشهرٍ، وكنتُ أغتسلُ كُلَّ يومٍ ثَلاثَ مرّاتٍ، وأتوضّأُ ثلاثينَ مرّةً»[١].

والهُجْويريُّ هذا إمامٌ مِنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ في **القرنِ الخامسِ الهجريِّ**، وقَدْ بَنَى لِنفْسِهِ مَسجِدًا قَبْلَ وَفَاتِهِ طمعًا في إنشاءِ ضَريحٍ لهُ لِيُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ تَأَسِّيًا بأبي يَزِيدَ، حيثُ كان يَتوجَّهُ إليه عِنْدَ نُزولِ الشّدائدِ بهِ ويَعتكِفُ طَمَعًا في كَشْفِ الضُّرِّ وحُصولِ النّفعِ في ذلك الموضعِ.

وقَدْ أَنشأَ لهُ مُريدوهُ ضَريحًا ضَخْمًا في مدينةِ **لاهورَ جمهورية باكستان**، وبَنَوْا لهُ قُبَّةً عَظيمةً. وتَصِفُ هذا القَبْرَ الدكتورة إسعاد قنديل في دراسةٍ أَعدَّتْها لهذهِ الشّخصيَّةِ الصُّوفيَّةِ، وتَصِفُ الكتاباتِ المُنحرفةَ التي كُتِبَتْ على جُدرانِ الضّريحِ أَوِ المعبدِ الصُّوفِيِّ فتقول: «**كُتِبَ في البَوّابةِ عِبارةٌ ترجمتُها: مَن جاءَ إلى بَابِهِ لَمْ يَذْهَبْ مَحرومًا**»[٢]. لَقَدِ اعتقدَ فيه الأتباعُ كما اعتقدَ هو بأبي يَزِيدَ، هذه هي الصُّوفيَّةُ وهؤلاءِ هُمْ أَئِمَّةُ ودُعَاةُ التَّصَوُّفِ.

وتقولُ في نهايةِ الدّراسةِ مَا نَصُّهُ: «ولَا يَزالُ قَبْرُ الهُجْويريِّ مَطافًا لمئاتِ الآلافِ مِنَ الرّجالِ والنّساءِ والأطفالِ، ومَوضعًا لعبادةِ الأولياءِ، وخَلْوةَ وَرَعٍ للنُّسّاكِ، يتّجهون إليه لِيَعتكفوا فيه فَتْرةَ الأربعينيّةِ... وقَدِ اشتهرَ عَنْ قَبْرِ الهُجْويريِّ تحقيقُ حاجةِ كُلِّ ذي حاجةٍ إنْ هو طافَ بروضتِهِ المنوّرةِ

---

(١) «كشف المحجوب» (١/ ٢٦٦).
(٢) المصدر السابق ـ المقدمة (١/ ٩٣).

أربعينَ لَيلةَ جُمُعَةٍ، أو أربعينَ يَومًا على التَّوالي. ويَحتفلُ أهلُ (باكستانَ) حُكومةً وشَعْبًا بمَوْلِدِ الهُجْويريِّ كُلَّ عَامٍ، ويَمتَدُّ الاحتفالُ بالعُرْسِ سبعَ ليالٍ»[١].

هكذا يتّخذونَ مِنْ قُبورِ المُنحرفينَ مَكانًا للعبادةِ، ومَلاذًا عِنْدَ الشّدائِدِ، ويطوفون حَوْلَ القَبْرِ والرّوضةِ المُظْلِمَةِ الأيّامَ والليالِيَ، ويَطلبون قضاءَ الحوائجِ، ثُمَّ كُلُّ هذا لَا يَعُدُّونَهُ شِرْكًا أو عبادةً لِغَيْرِ اللهِ تَعالَى؛ بِحُجَّةٍ شَيْطانيَّةٍ خَبيثةٍ أَلقاها إبليسُ في أُمْنِيَّةِ أَكابرِهِمْ وسَدَنَتِهِمْ، فأقنعوا عَوامَّهُمْ والغوغاءَ بِهَا، وهي: **إنّهم إنْ فعلوا ذلك كُلَّهُ دونَ اعتقادِ الرُّبوبيّةِ في صاحبِ القَبْرِ والضَّريحِ فإنَّ ذلكَ ليسَ شِرْكًا**، هكذا يُوهِمونَ النَّاسَ أنّهم حَريصون على إخلاصِ التوحيدِ والبُعْدِ عَنِ الشِّرْكِ، وهُمْ فيه غارقونَ وإليه يَدْعُونَ، قَاتلهُمُ اللهُ.

▪ وهذا شَيْخُهُمْ **أبو العَبَّاسِ أحمدُ زرّوق** الذي وَضعَ لَهمْ قواعدَ في التَّصَوُّفِ وتَلَقَّوْها بالقَبولِ، يَذكرُ جوازَ زِيَارَةِ المقابرِ للانتفاعِ بِهَا بِحُجَّةِ أنَّ كُلَّ مَنْ يُتَبرَّكُ بهِ في حياتهِ يَجوزُ التّبرُّكُ بهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، مُستَدِلًّا لقولهِ هذا بالحُجَّةِ عِنْدَهُمْ وصاحبِ القولِ الفصلِ **أبي حَامِدٍ الغَزاليِّ** في كتابِ «آدابِ السّفرِ» ويقولُ: «إنَّ ذلك يُعرَفُ في الوَلِيِّ مِنْ مَعرفةِ كراماتهِ... ومَنْ جُرِّبَتْ إجابةُ الدُّعاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وهو غَيْرُ واحدٍ في الأقطارِ»[٢].

يُسَوِّقونَ المناهجَ الشِّرْكِيَّةَ وكأنّها مُسلّماتٌ، وكأَنَّ اللهَ تَعالَى لَمْ يُشَرِّعْ لعبادهِ التَّوجُّهَ إليه إلَّا بواسطةِ أهلِ الكراماتِ المزعومينِ، الذين نَصَّبَهُمْ وَسَائِطَ بينهُ وبَيْنَ عَامَّةِ خَلْقِهِ وعبادهِ. تَعالَى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

(١) «كشف المحجوب» (١/ ٩٤).
(٢) «قواعد التَّصَوُّفِ»، القاعدة: ١٥٤ (ص: ٩٦ ـ ٩٧).

■ ويقولُ كَبيرُهُمْ وإمامُهُمْ في القرنِ العاشرِ **عَبدُ الوَهَّابِ الشَّعرانيُّ** فيما نَقلَهُ عَنْ شَيْخِهِ وَسَيّدِهِ **عَلِيٍّ الخواصِ** ما نصُّهُ: «مِنْ آدابِ المُريدِ إذا زَارَ شَيْخًا في قَبْرِهِ أنْ لَا يعتَقِدَ أنّهُ مَيِّتٌ لَا يَسمعُهُ... بلِ الأدبُ أنْ يَعتَقِدَ حياتَهُ البَرزخيَّةَ لِينالَ بَركَتَهُ. فإنَّ العبدَ إذا زَارَ وَلِيًّا وذَكرَ اللهَ عِنْدَ قَبرهِ فلَا بُدَّ أنَّ ذلك الوَلِيَّ يَجلِسُ في قَبرِهِ ويَذكرُ اللهَ معهُ، كما شَهِدْنَا ذلك مرارًا مع الإمامِ الشافعيِّ ومع ذي النُّونِ المِصْريِّ ومع جماعةٍ مِنْ مشايخِ القَرَافَةِ»[(١)].

إنَّ أُسلوبَ التّلبيسِ الصُّوفِيِّ والدَّجَلِ الشَّيْطَانِيِّ واضحٌ في هذه الأقوالِ:

- فالحياةُ البرزخيَّةُ مُقرَّرةٌ عِنْدَ الجميعِ، ولكن أنْ يَسْمَعَ المَيِّتُ مُطلقًا ويَجْلِسَ ويَذكرَ مع الذَّاكرِ؛ فمِنْ دَسائسِ الصُّوفيَّةِ.

- وكذا ذِكْرُهُ **الإمامَ الشافعيَّ** رَحِمَهُ اللهُ؛ تَلبيسًا وإيهامًا منهُ أنَّ عُلَماءَ الأُمَّةِ وفقهاءَها على هذا المنهجِ والمعتقدِ الخبيثِ.

- ثُمَّ يذكرُ **ذا النُّونِ** مُساويًا إيَّاهُ بالإمامِ الشَّافعيِّ، وشَتَّانَ بَيْنَ إمامٍ مِنْ أَئِمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ، وإمامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الضَّلالِ والانحرافِ.

- كما أنَّ دليلَ **الشَّعرانيِّ** هو عَيْنُ دَعواهُ كما هو شَأْنُ المُتَصَوِّفَةِ وأسيادِهِمُ الشِّيعَةِ وعَامّةِ أهلِ البِدَعِ والضَّلالِ؛ تتساوى عِنْدهُمُ الأدِلَّةُ والدَّعاوَى، فدليلُ الشَّعرانيِّ ـ الذي أقنعَ بهِ أهلَ التَّصوُّفِ وصدّقوهُ وآمنوا بمقالاتهِ ومذاهبِهِ ـ هو مَا شَاهَدَهُ مِرارًا، يُرِيدُ أنّهُ شَاهَدَ جُلوسَ بعضَ شُيوخهِ وأوليائِهِ الأمواتِ وذِكْرَهُمْ وسماعَهُمْ عِنْدَ زِيارتهِ لَهمْ في قُبورِهِمْ على حَدِّ زَعْمِهِ ودعواهُ.

ويقولُ أيضًا في كتابهِ «**اللطائف**»: «ومِمَّا مَنَّ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى بِهِ عَلَيَّ مَعرفتي بالوَلِيِّ إذا زُرْتُهُ في قَبْرِهِ هل هو حَاضِرٌ أو غَائِبٌ؟ فإنَّ غَالِبَ الأولياءِ

(١) «الأنوار القُدُسيَّة في مَعرفةِ قواعدِ الصُّوفيَّةِ» (١/ ١٦١).

لَهُمُ السّراحُ والإطلاقُ في قُبورِهِمْ فيذهبون ويجيئون». ثُمَّ زَعَمَ أنَّ شيخَهُ الخوّاصَ كان كذلك أيضًا فقال عنهُ: «فكان إذا رأى إنسانًا عَازِمًا على زِيَارَةِ بعضِ الأولياءِ يقولُ لهُ: اِذْهَبْ بِسرعةٍ؛ فإنَّهُ عَازِمٌ على الذَّهابِ إلى مَوضع كذا. وفي بعضِ الأوقاتِ يقولُ لهُ: لَا تَرُحْ لهُ فإنَّهُ مَا هو هناك اليومَ»(١).

ويقولُ أيضًا: «وقَدْ زُرْتُ مَرّةً سيِّدي عُمَرَ بنَ الفارضِ فلمْ أَجِدْهُ في قَبْرِهِ، فجاء إليَّ بَعْدَ ذلك وقال: اُعْذُرْني فإنّي كنتُ في حاجةٍ». ثُمَّ ذكرَ عَنْ بَعضِ الصُّوفيَّةِ مثلَ هذا الهراءِ في تحديدِ مواعيدَ لِزياراتِ بعضِ شُيوخِهِمْ، ويَختِمُ ذلك قائلًا: «وهذا أمرٌ لَا يَعرِفُهُ إلَّا مَنْ كَشَفَ اللهُ تَعالَى عَنْ بصيرتهِ»(٢).

ويُقَرِّرُ **الشَّعرانيُّ** هنا عَقيدةً صُوفِيَّةً خَبيثةً، وهي تَصَرُّفُ الشيوخِ حتَّى بَعْدَ مَوْتِهِمْ واستمرارُ نَفعِهِمْ لمُريدِيهِمْ ومُحبِّيهِمْ وقضاءُ حَوائجِهِمْ وإغاثتُهُمْ؛ لِيُؤَكِّدَ للصُّوفيَّةِ صِحَّةَ تَوجُّهِهِمْ إلى **قُبورِ** مَشايخِهِمْ والاستغاثةِ بِهِمْ وعِبادتِهِمْ مِنْ دونِ اللهِ تَعَالَى. ويستدِلُّ على مَذهبِهِ هذا بِدعواهُ رُؤيتُهُ ذلك مِنْ بَعضِ مشايخِهِ وأسيادِهِ في قُبورِهِمْ، حتَّى إنَّ **ابنَ الفارضِ** اعتذرَ لهُ عَنْ عَدَمِ تَواجُدِهِ في قَبْرِهِ حين زَارَهُ. وتأكيدًا منهُ في تضليلِ عبادِ اللهِ؛ يَدَّعي أنَّ هذا الأمرَ لَا يَعرِفُهُ ولَا يُؤمِنُ بهِ إلَّا مَنْ كَشَفَ اللهُ عَنْ بصيرتهِ. والحقُّ أنّهُ لَا يُؤمِنُ بهذا الهراءِ وغيرِهِ مِنْ عَقائِدِ المبتدِعةِ إلَّا مَنْ كَشَفَ اللهُ عنهُ سِترَ الإيمانِ وسِترَ الحياءِ والعقلِ، ومِنْ ثَمَّ غَرِقَ في أَوْحَالِ الكُفْرِ والزَّنْدَقةِ، وغاصَ في أعماقِ الرِّدَّةِ والضَّلالِ، وتخَبَّطَ في ظُلماتِ الجهلِ والهوى، والعياذُ بِاللهِ تَعَالَى.

إنَّ **الشَّعرانيَّ** صَنّفَ كتابَهُ «**اللطائفَ**» مُستدرِكًا على نفسِهِ، فقَدْ صَنّفَ

---

(١) «لطائف المنن والأخلاق...» (١/ ١٤٩).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

«الطّبقاتِ» وشَحَنَها بكراماتِ وفضائلِ غيرِهِ مِنَ الأولياءِ المزعومينَ؛ بُغْيَةَ تعظيمِهِمْ، وتعظيم قُبورِهِمْ، ثُمَّ تداركَ نَفْسَهُ في هذا **الكتابِ** فشَحنَهُ بكراماتِهِ المزعومةِ وأحوالِهِ المكذوبةِ ومقاماتِهِ المفتراةِ، مُدّعيًا أنَّ ذلك كُلَّهُ مِمَّا مَنَّ اللهُ تَعالَى بهِ عَليهِ وخَصَّهُ بهِ دونَ غيرِهِ تكريمًا لهُ واصطفاءً. وسمَّى كتابَهُ هذا **«لطائفَ المِنَنِ والأخلاقِ في بيانِ وُجُوبِ التَّحَدُّثِ بِنعمةِ اللهِ على الإطلاقِ»**، وجعلَ لهُ اسمًا آخرَ فقال: **«المِنَن الكبرى الجالبةُ للسّرورِ والبُشْرَى»**؛ لِيُوهِمَ عبادَ اللهِ أنّهُ إنَّمَا تكَلَّمَ وأشاعَ مَا حصلَ لهُ مِنَ الكراماتِ المزعومةِ واللّطائفِ المكذوبةِ مِنْ بابِ بيانِ الواجبِ في التَّحدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ وإظهارِها لخلْقهِ، وأنّهُ لَا يُريدُ شُهْرَةً ولَا سُمْعَةً بذلك.

▪ ويقولُ **أحمدُ بنُ مبارك القطبُ المزعومُ** عَنْ شَيْخِهِ الذي يَصِفُهُ بأنّهُ غَوْثُ الزّمانِ **عبدِ العزيزِ الدّبّاغ** عندما ذكرَ بعضَ الموتَى مِنْ ساداتِهِمْ مِمَّن يُكثِرُ النَّاسُ زيارتَهُمْ، وقَدْ ظهرَ بزَعمِهِمْ انتفاعُ النَّاسِ بِهِمْ وشِفَاءُ مَرضاهُمْ عِنْدَ تلكَ الأضرحةِ، قال: «إنَّ قُلوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لها شَأْنٌ عَظيمٌ عِنْدَ اللهِ، ولَوْ أنَّها اجتمعتْ على مَوضعٍ لَمْ يُدْفَنْ فيه أَحَدٌ وظَنَّتْ فيه وَلِيًّا، وجَعلَتْ تَرْغَبُ إلى اللهِ في ذلك الموضعِ؛ فإنَّ اللهَ يُسْرِعُ لها بالإجابةِ....»[1].

هكذا يزينون الشرك لأهل الإسلام ويرغبونهم ويحضونهم على الشِّرْكِ باللهِ ﷻ، وألَّا يَتَوَجَّهوا إليه إلَّا بوسيلةٍ يُحْسِنُون الظَّنَّ بِهَا، ويُعَلِّقُون قُلوبَهُمْ بتلكَ الوسيلةِ حتَّى ولَوْ كانتْ عَدَمًا أو حَجَرًا أو وَثَنًا. مَا أقربَ هذا القولَ الساقطَ مِنْ قولِ **الخُمَيْنِيِّ** المتقدمِ ذكرُهُ[2]. فالمهمُّ عِندَهُمْ أنْ تُحسِّنَ الظَّنَّ بأيِّ شَيْءٍ، ثُمَّ تَتعَلَّقَ بهِ وتَجعلَهُ وسيلةً لك في قضاءِ الحوائجِ، شَريطَةَ عَدَمِ اعتقادِ رُبوبيَّةِ ذلك المَدْعُوِّ أَوِ المُتوسّلِ بهِ. والمهمُّ في دِينِ الرَّافِضَةِ والصُّوفيَّةِ ألَّا يُعْبَدَ اللهُ تَعالَى، ولَا يُطْلَبَ منهُ نَفعٌ دنيويٌّ أو أخرويٌّ، ولَا

(١) «الإبريز» مِنْ كلام عبد العزيز الدباغ (ص: ٤٢٧).
(٢) راجع هنا: «الشَّفاعة والشفعاء عند الشِّيعَةِ» (ص: ٥٧٥، وما بعدها).

يُستغاثَ بهِ حتَّى في الشَّدائدِ والمُلِمَّاتِ، إلَّا بوساطةٍ ووَسِيلَةٍ مِنَ الأئِمَّةِ والأولياءِ والصَّالحينَ المزعومينَ.

▪ وذكرَ **أحمدُ بنُ مباركٍ** عَنْ **شُيوخِ الصُّوفيَّةِ** مَا نَصُّهُ: «وَلْيَعتَقِدِ المُريدُ أنَّ الشَّيْخَ بَابٌ فَتحَهُ اللهُ إلى جَنابِ كَرمِهِ، منهُ يَدْخُلُ ومنهُ يَخرُجُ وإليه يَرجِعُ، وينزلُ بالشَّيْخِ حوائجَهُ ومهمّاتِهِ الدّينيَّةَ والدُّنيويَّةَ. ويَعتَقِدْ أنَّ الشّيْخَ يُنزِلُ بِاللهِ الكريم مَا يُنزِلُ المُريدُ بِهِ، ويرجِعُ في ذلك إلى اللهِ للمُريدِ كما يرجعُ المُريدُ إليه. وللشّيْخِ بَابٌ مفتوحٌ مِنَ المكالمةِ والمحادَثةِ في النوم واليقظةِ، فلا يَتصرَّفُ الشّيْخُ في المُريدِ بِهواهُ، فهو أَمانةُ اللهِ عِنْدَهُ، ويَستغيثُ إلى اللهِ بحوائجِ المُريدِ كما يَستغيثُ بحوائجِ نفسهِ ومهامِّ دِينهِ ودُنيَاهُ»[(١)].

فالشّيْخُ ـ عندَهم ـ هو الذي يَرفعُ إلى اللهِ حَوائجَ المُريدينَ الدِّينيَّةَ والدُّنيويَّةَ، المُهِمُّ ألَّا يَتوجَّهَ المُريدُ ولَا يَستغِيثَ إلى اللهِ بِنفسهِ دُونَ واسطةٍ مِنْ أُولَئِكَ الخُرافيّينَ الذينَ دَأبُوا على صَرْفِ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ الحقِّ، ونَصبوا أنفسَهُمْ آلهةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى.

وقَدْ نقلَ **أحمدُ بنُ مباركٍ** مُحاورةً جَرَتْ بَينهُ وبَيْنَ شيخهِ الغَوْثِ المزعوم **عبدِ العزيز الدَّبَّاغِ** فيقولُ: «قُلْتُ لهُ ذاتَ يوم: إني أخافُ مِنَ اللهِ تَعالَى مِنْ أُمورٍ فَعَلْتُها. فقال لي: مَا هيَ؟ فذكرْتُ لهُ مَا حصلَ. فقال لي: لَا تَخَفْ مِنْ هذهِ الأشياءِ، ولكن أكبرَ الكبائرِ في حَقِّكَ أنْ تَمُرَّ عليك ساعةٌ ولَا أكونُ في خَاطِرِكَ، فهذه هي المعصيةُ التي تَضُرُّكَ في دينِكَ ودُنياكَ»[(٢)]. ويقولُ أيضًا: «وقُلْتُ لهُ مَرّةً: يا سيِّدي! إني بَعيدٌ مِنَ الخيرِ. فقال: اِطْرَحْ عَنْكَ هذا، وانظُرْ إلى مَنزلتِكَ عِندي، فعليها تُحْمَلُ»[(٣)].

فأكبرُ الكبائرِ في دِينِ الصُّوفيَّةِ أنْ يَغيبَ تعظيمُ الشّيْخِ ومَهابتُهُ مِنْ قُلوبِ العبادِ، أو أنْ يَغفلوا عَنْ ذكرهِ ومَحبّتهِ. فغيابُ الشّيْخِ عَنْ خَاطِرِ المُريدِ

---

(١) «الإبريز» مِنْ كلام الدباغ (ص: ٤٢٢).
(٢) «الإبريز» مِنْ كلام الدباغ (ص: ٤٢٣).
(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.

وعَدَمُ استحضارهِ لهُ في لحظةٍ مِنْ حياتهِ؛ هي الحالقةُ التي تَحْلِقُ الدِّينَ والإيمانَ، وتُؤدِّي إلى خَسارتهِ وهَلاكهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ثُمَّ مَا أقربَ هذا المنهجَ مِنْ كلامِ **الرَّافِضَةِ** ونَظَرِيَّتِهِمُ المتقدّمِ ذكرُها، والتي تُفيدُ بأنَّ إِيَابَ الأتباعِ سيكونُ للأئِمَّةِ وحِسابَهُمْ عَليهِم. فالصُّوفيَّةُ عَليهِم أنْ يراعوا منزلَتَهُمْ عِنْدَ شُيوخِهِمْ ويَهتمُّوا بإرضاءِ الشيوخِ لِيَفوزوا يومَ الحسابِ. فإنّهم إنَّمَا يُحملونَ على مَنازِلِهِمْ مِنْ شُيوخِهِمْ لَا على قَدْرِ إيمانِهِمْ وتقواهُمْ للهِ تَعَالَى. فالصُّوفِيُّ إنْ رَضِيَ عنهُ شَيخُهُ؛ فهو في الجَنَّةِ مهما اقترفَ السَّيّئاتِ وقصَّرَ في الواجباتِ كالشِّيعِيِّ تمامًا، كما روَى الكَشِّيُّ الرَّافِضِيُّ بِإسنادِهِ إلى **عُبَيْدِ بنِ زُرَارَةَ** قال: دَخَلْتُ على أبِي عَبْدِ اللهِ؛ يَعني: **الصَّادِقَ** قال: «قُلْتُ: رَجُلٌ أَحَبَّكُمْ أهوَ مَعَكُمْ؟ قال: نَعَمْ. قُلْتُ: وإنْ زَنَا وإنْ سَرَقَ؟.. فأومأَ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ»[(١)]. وكذلك ما تقدم مِنْ روايتِهِمْ أنَّ مَنْ أطاعَ اللهَ وعصَى عَلِيًّا ففي النَّارِ، ومَنْ عصَى اللهَ وأطاعَ عَلِيًّا ففي الجَنَّةِ.

▪ وأمَّا الصُّوفِيُّ **مُحَمَّدُ مَهدي الرَّوَّاسُ الرِّفَاعِيُّ**؛ فقَدْ صَنَّفَ كِتابًا ضَخْمًا سَمَّاهُ: «بَوارقَ الحقائقِ»، يَصِفُ فيه مَا لَاقَاهُ في رَحَلاتِهِ الطّويلةِ في زِياراتِ مَشَاهِدَ وقُبورِ مَنْ يُعظِّمُهُمْ أو يَعبُدُهُمْ مِنَ المقْبورينَ في مُختلفِ البلادِ الإسلامِيَّةِ. وكثيرًا مَا يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أو غيرَهُ يَأمرُهُ بزِيَارَةِ قَبْرِ فلانٍ وفلانٍ، فَينطلِقُ مُمْتَثِلًا ذلك الأمرَ، ويَشُدُّ الرِّحَالَ إلى حَيْثُ أُمِرَ، ويَصِفُ تلك الزّياراتِ بعباراتٍ **صُوفِيَّةٍ شِيعِيَّةٍ** يَفوحُ منها نَتَنُ الغُلُوِّ والشِّرْكِ باللهِ تَعَالَى بأساليبَ وألفاظٍ مُبْتَدِعَةٍ. ويَزْعُمُ أنّهُ في تلك الزّياراتِ استمَدَّ مِنْ أُولَئِكَ الأمواتِ إمداداتٍ روحانيَّةً وفُيوضاتٍ عِرْفَانِيَّةً وكُشوفاتٍ نُورانيَّةً وعُلُومًا لَدُنِّيَّةً، وأنّهُ بالجُملةِ قَدِ انتفعَ بِرحلاتهِ وزِياراتهِ انتفاعًا عَظيمًا على حَدِّ زَعْمِهِ[(٢)].

(١) «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي» للطُّوسيِّ (ص: ٣٣٦ ـ ٣٣٧).
(٢) «بوارق الحقائق» (ص: ٢١٤).

ويَفتخِرُ **الرَّوَّاسِيُّ** بكتابهِ هذا، كما يتباهَى بهِ الصُّوفيَّةُ عَامَّةً على أنَّهُ مِنْ أحسنِ مَا صُنِّفَ في الحثِّ والتّرغيبِ بدِينِ الصُّوفيَّةِ عَامَّةً، وبعبادةِ القُبورِ وتعظيمِها خَاصَّةً.

ويستعملُ **الرَّوَّاسِيُّ** في كتابهِ هذا أُسْلُوبًا يَجمعُ فيه بَيْنَ **التَّصَوُّف** الذي يتظاهرُ بهِ ويتّقي، وبَيْنَ **التَّشَيُّع** الذي هو حَقيقةُ دِينهِ ومذهبِهِ، يقولُ مثلًا في زيارتهِ لقَبْرِ **مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ الكَاظِمِ الإمامِ السّابعِ عِنْدَ الرّافِضَةِ** مَا نَصُّهُ: «صباحَ يوم الجُمُعةِ، انكشفَ لي مع حُضوري حِجابُ الإسدالِ عَنْ عَوالِمِ الأرواحِ، فَأَحْدَقَتْ بي مِنْ كُلِّ جَانبٍ أرواحُ الأَئِمَّةِ الطاهرينَ، والآلِ المرضيين والمشايخ العارفين، والمحبين والمقربين، وعباد الله الصالحين، وأعظمُ روحٍ قامَ... هي رُوحُ سَيّدِنا ومَولانا بابِ الحوائجِ إلى حَضرةِ الصِّدْقِ في مَقامِ التَّوَكُّلِ المَحْضِ بِمَشْهَدِ التّسليم، الإمامِ مُوسَى الكَاظِمِ، فَحُبِّي مظهر مطافي مِنْ حنانِ رُوحهِ الطّاهرةِ الإِمَامِيَّةِ»[(١)].

وفي زيارتهِ لقَبْرِ **الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ** رضي الله عنهما يقولُ: «فدَخَلْتُ المشهدَ الأنورَ الحُسَيْنِيَّ، فحَفَّتْ بي شُهَدَاءُ الحَضْرَةِ مِنْ كُلِّ جانبٍ، ورأيتُ لامِعَةَ نورِ النَّبِيِّ تَنْجلي في ذلك المشهدِ، ورأيتُ الخَضِرَ عليه السلام يَطوفُ بالمرقدِ، ورَأَيْتُ القُطْبَ الغَوْثَ صَاحِبَ الوَقْتِ بِيدهِ مِكْنَسَةٌ ويَكنُسُ حَائِطَ القُبَّةِ»[(٢)].

يُوهِمُ هذا الصُّوفِيُّ الشِّيعِيُّ المُنْحَرِفُ بهذا النَّصِّ ما يلي:

ـ أنَّ مِنْ أَدِلَّةِ صِحَّةِ مَذهبِهِمْ في تعظيمِ القُبورِ: أنَّ أرواحَ مَنْ زَعَمَهُمْ بالأَئِمَّةِ الطّاهرينَ والآلِ المرضيينَ، والمشايخِ العارفينَ، والمُحِبِّينَ والمُقَرَّبينَ، وعِبادِ اللهِ الصَّالحينَ؛ كُلُّ هؤلاءِ عَاكفون حاضرونَ في ذلك الضّريحِ الذي زَارَهُ، لَمْ يَتْرُكْ أحدًا أبدًا إلَّا وَحَشَرَهُ في ذلك الموضعِ.

ـ ثُمَّ يَصِفُ مُوسَى الكَاظِمَ بأنّهُ بابُ الحوائجِ، فإليه تُرْفَعُ وبهِ يُستغاثُ في قضائِها.

---

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٢١٣).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢١٦ ـ ٢١٧).

ـ ولَمْ يَنْسَ الرَّوَّاسُ نَصِيبَ (شِيعِيَّتِهِ وإماميّتِهِ الرَّافِضِيَّةِ) مِنْ نفسهِ ومُعتقدِهِ، فدَسَّ في ثنايا كلامهِ تلكَ الألفاظَ والعباراتِ التي كَشَفَتْ عَنْ حقيقةِ مَا يُخفيهِ في بَطْنِهِ مِنَ الأفكارِ والمذاهبِ العَفِنَةِ النَّتِنَةِ.

ـ وفي **مَشهدِ الحُسَيْنِ** المزعومِ؛ زَعَمَ أيضًا أنّهُ كان مَلِيئًا بالأولياءِ والأصفياءِ العاكفينَ في ذلك المقامِ، ولَمْ يكتفِ بذلك حتَّى حَشَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ معَهُمْ؛ لِيُؤكِّدَ ـ كذبًا وافتراءً ـ إقرارَهُ ﷺ على مَذهبِهِمْ بلْ ومُشاركتَهُ لهم بفعلِهِ.

ـ ثُمَّ جاءَ بالخَضِرِ؛ لِيُؤكِّدَ جوازَ صَرْفِ العباداتِ لمن يُعظِّمُونَهُمْ، فهذا الخَضِرُ الصالحُ العالمُ يَطوفُ بالقبرِ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ شَاهِدٌ يَرَاهُ ويُقِرُّهُ على ذلك؛ مَنْعًا لِقَائِلٍ أنْ يَقولَ ـ مُتنازِلًا لَهمْ بوجودِ الخَضِرِ حَيًّا ـ: إنَّ ذلك ليس في شَرْعِنا. فها هو رَسُولُ اللهِ ﷺ في دُنيا التَّصَوُّفِ يُقِرُّ ذلك كُلَّهُ، ولَا يَعُدُّ ذلك شِرْكًا في **دِينِ الصُّوفيَّةِ والشِّيعَةِ** مَا دَامَ ـ كما تقدم ـ لَا يَعتَقِدُ فَاعِلُهُ رُبوبيَّةَ وأُلوهيَّةَ مَنْ يَصْرِفُ لهُ تلكَ العباداتِ.

ـ ثُمَّ ها هو القُطْبُ الغَوْثُ يقومُ بعمليَّةِ كَنْسِ المقامِ وتَنظيفِهِ، يَستحِثُّ بفعلِهِ ذلك هِمَمَ المُتَصَوِّفَةِ في بَذْلِ المزيدِ مِنَ الغالي والنفيسِ ونذرِ الأنفُسِ وحَبسِها ووقفِها لخدمةِ الأضرحةِ والقبابِ.

ويستمرُّ الرَّوَّاسُ في ذكرِ زِياراتِهِ لمراقدِ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ المزعومينَ، ويَنقُلُ عَنْ مُعْظَمِهِمُ الاستبشارَ بهِ كمُجَدِّدٍ لطريقةِ **ثالثَ عشرَ الأَئِمَّةِ المزعومينَ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ**، وذكرَ أنَّ بَعضَهُمْ كان يَحثُّهُ على زِيَارَةِ قريةِ **أُمِّ عبيدةَ** حيثُ قَبْرُ الوَلِيِّ والغوثِ المزعومِ **أحمدَ الرِّفَاعِيِّ** صاحبِ الطريقةِ الشِّيعِيَّةِ المُتَصَوِّفَةِ.

وقَدْ حرصَ على زِيَارَةِ قُبورِهِمْ جميعًا، وحتَّى **ثاني عشرِهِم المُنتَظَرِ**. ولمّا كان في عقيدتِهِمْ ودِينِهِمْ أنه لَا قَبْرَ لهُ ولَا ضريحَ لإيمانِهِمْ بحياتهِ وبقائهِ؛ فزَعَمَ أنّهُ التقَى بهِ في **مَشْهدِ عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا الإمامِ الثَّامنِ عندَ**

الشّيعةِ ـ الذي وَصَفَهُ بأنّهُ «الإمامُ الهمامُ، قِبلةُ أهلِ الباطِنِ، وَلِيُّ اللهِ، العظيمُ المنزلةِ والجاهِ، نائبُ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ»، فيقولُ مُبيِّنًا لِقاءَهُ بمُنتظَرِهِمْ مَا نَصُّهُ: «وتَصَدّرَ على مَنَصّةِ البُروزِ **مِنْ بُطونِ الغيابِ** سِيّدُنا الإمامُ الحُجَّةُ المهديُّ... فرَجَفَتْ فرائصي لِرؤيتِهِ، فقال: مَرحبًا بمُنتَظِرِنا»[1].

أمَّا قولُهُ: «**مِنْ بُطونِ الغيابِ**»؛ فهو إشارةٌ لِعقيدتِهِمْ بغَيْبةِ **الإمامِ الثّاني عَشَرَ**، واختفائهِ في **السّردابِ**، وكذلك التّرحيبُ، ووَصْفُهُ بأنّهُ مِنَ المنتظِرِينَ خُروجَهُ مِنْ ذلك السّردابِ، وانتهاءِ غَيْبتِهِ لإقامةِ دَولَةِ الشِّيعَةِ المزعومةِ. هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعَدونَ، وانتظروا إنّا منتظِرُونَ.

وقَدْ ذكرَ الرَّوَّاسُ بعضَ أَدِلَّتِهِمْ التي يَحتجّونَ بِهَا لِتأكيدِ مَذهبِهِمْ:

ـ فذكرَ عَنْ **عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ زَيْنِ العَابدِينَ** فيما نَسَبَهُ إليه أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيتهِ لزِيَارَةِ وَلِيٍّ للهِ تَعَالَى؛ لَمْ يَزَلْ يَخوضُ في الرَّحْمةِ حتَّى يَرجِعَ إلى مَكانهِ، ويُغْفَرُ لهُ ذُنوبُ ألفِ عامٍ[2]، ويكونُ غدًا في جُوارِ الرّحمٰنِ»[3].

ـ وذكرَ فيما نَسَبَهُ إلى **البَاقِرِ** قولَهُ: «لَوْ عَلِمَ الزَّائرُ لمن يَزورُ ومَا لَهُ مِنَ الأجرِ؛ لَمشَى ولَوْ على أَجفانِ عَيْنيهِ عِوَضًا عَنْ قَدَمَيْهِ»[4].

ـ ثُمَّ زَعَمَ أنَّ عَارِفًا يُقَالُ لهُ: **البَجَليُّ** «رأى رَسُولَ اللهِ ﷺ في المنام، فقال لهُ: عَلِّمْني شَيئًا! فقال [ﷺ]: وُقوفُكَ بَيْنَ يَدَي وَلِيٍّ للهِ كحلبِ شاةٍ أو كشيِّ بَيْضةٍ خَيْرٌ لك مِنْ أنْ تَعْبُدَ اللهَ حتَّى تنقطعَ إربًا إربًا. قال: حَيًّا كان أو مَيِّتًا؟ قال [ﷺ]: حَيًّا كان أو مَيّتًا»[5]. **هكذا يكذبونَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ دونَ خجلٍ أو حياءٍ.**

---

(١) «بوارق الحقائق» (ص: ٣١٨).

(٢) إنّ مَنْ كذبَ على (عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ) وافترى عليه هذا الكلامَ الشركيَّ؛ قد تركَ ما يَدلُّ على كذبِهِ حيثُ قال: «ألف عام»؛ فهل يعيشُ الرّافضيُّ ألفَ عامٍ؟!

(٣) «بوارق الحقائق» (ص: ٢٢٣).

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) «بوارق الحقائق» (ص: ٢٢٣).

إنَّ النُّصوصَ عَنِ **الأئِمَّةِ المَعصُومينَ** بِزَعمِهِمْ مِنْ أقوَى الحُجَجِ والأدِلَّةِ، ولَا يَحتاجُ في صِحَّتِها وحُجِّيَّتِها إلى معرفةِ أسانيدِها ونَاقِليها. وأمَّا الأخذُ المُباشرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فهو مِن أقوى أَدِلَّتِهمْ بَعْدَ الأخذِ المُباشرِ عَنْ رَبِّ العِزّةِ والجلالِ، سواءٌ زَعمَ الرَّائِي أنَّ ذلك كانَ في حالِ يَقَظَتِهِ أوْ مَنامهِ. وهذا الأخذُ المباشرُ المزعومُ أهمُّ مصادرِ التّشريعِ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ بلْ إنَّ هذا المصدرَ جَعَلَهُمْ يَسخَرونَ مِنْ طريقةِ العُلَماءِ والمُحَدِّثِينَ في نَقْلِ السُّنَّةِ وقواعدِهِمْ وأُصُولِهِمُ التي اعتمدوها في إثباتِ النُّصوصِ وقَبولِها.

ولقَدْ دَأَبَ **الصُّوفيَّةُ** على تَعظيمِ القُبورِ والاستغاثةِ بِهَا سيّما في الشّدائِدِ، وشَدِّ الرحالِ إليها، وقَصْدِها خَاصَّةً في قضاءِ الحوائجِ، والاستشفاءِ مِنْ أنواعِ الأمراضِ. ويُرَدِّدُونَ أنَّ قَبْرَ فُلانٍ مُجَرَّبٌ في كذا وكذا، وقَبْرَ فُلانٍ مُجَرَّبٌ في كذا وكذا:

- فذكرَ ذلك مِنَ القُدماءِ إمامُهُمُ **القُشَيْرِيُّ** حيثُ يقولُ في ترجمةِ **مَعروفِ بن فيروزِ الكَرْخيِّ** ما نصُّهُ: «كانَ مِنَ المشايخِ الكبارِ، مُجَابَ الدَّعْوةِ، يُستشْفَى بِقَبْرِهِ. يقولُ البغداديون: قَبْرُ مَعروفٍ تِرياقٌ مُجَرَّبٌ»[(١)].

ونقلَ عنهُ قولًا فيه مِنَ الوقاحةِ والجُرْأَةِ على اللهِ تَعَالَى مَا فيه، فذكرَ أنّهُ «كان أُستاذَ السّرّيّ السَّقَطِيّ. وقَدْ قال لهُ يومًا: إذا كانت لك حَاجةٌ إلى اللهِ؛ فأقسمْ عليهِ بي»[(٢)].

- وينقل **عبدُ الحليم محمود مِنَ المعاصرينَ** عَمَّنْ وَصَفَهُ **بقاضي القضاةِ** أنّهُ قال عَنْ **قَبْرِ وضَريحِ أبي العَبَّاسِ المُرسي** ما نصُّهُ: «قَبْرُ سيّدي أبو العَبَّاسِ عِندَنا ترياقٌ مُجَرَّبٌ، مَا قصدَ اللهَ عِندهُ أحدٌ في شَيْءٍ إلَّا استجابَ لهُ، كما قال أهلُ بغدادَ في قَبْرِ سيّدِنا مَعروفٍ الكَرْخيِّ»[(٣)].

---

(١) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٧٤). (٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (١/ ٧٥).
(٣) «العارف بِاللهِ أبو العَبَّاسِ المُرسي» (ص: ١٧٢).

ثُمَّ أخذ **الدكتور عبدُ الحليم** يَصِفُ **القَبْرَ** وما كُتِبَ فيه مِنَ الآياتِ وغيرِها، وذكرَ مَنْ بنَى على القَبْرِ «بِنَاءً عَظِيمًا، ومَسْجِدًا للصّلاةِ، وصَومعةً للأذان مِنْ أحسنِ صوامعِ الإسكندريّةِ، وحَبَسَ عليها حَبْسًا كبيرًا... وصار رَمزًا عظيمًا، ومَقامًا كريمًا». ثُمَّ يَقولُ الدكتور: «نَفَعَنَا اللهُ ببركاتهِ في الدُّنيا والآخرةِ»[(١)].

وذكرَ أيضًا **ضريحَ أبي مَدْينَ** فقال: «وقَبْرُ الشّيْخِ أبي مَدْيَنَ مَعهودٌ مَشهودٌ وحَوْضٌ للزّائرين، رَأيتُ قُبورَ الأولياءِ كثيرًا فما رأيتُ أَنْوَرَ مِنْ قَبرِهِ، ولَا أَشْرَقَ ولَا أظهرَ مِنْ سِرِّهِ، وليس الخبرُ كالعيانِ، والدُّعاءُ عِنْدَهُ مُستجابٌ، قالهُ الأعيانُ. وقَدْ وَقفتُ على ذلك غيرَ مَا مَرّةٍ، وأخبرني بهِ مَنْ جَرّبَهُ، واختبرتُهُ»[(٢)].

فالقُبورُ عِنْدَهُمْ مواضعُ مُباركةٌ يُستجابُ فيها الدُّعاءُ، ويَنتفِعُ بِهَا العِبادُ، وسُوقٌ عظيمةٌ للبركاتِ والنفحاتِ الروحانيَّةِ التي يَتعرّضُ لها الزّائرونَ المُعَظِّمونَ للأولياءِ في دُنيا الصُّوفيَّةِ.

▪ ويقولُ **مُحَمَّدْ السّيّد التجانيُّ** نَاصِحًا الصُّوفيَّةَ عِنْدَ نُزولِ الشّدائدِ بِهِمْ ومُرشدًا إيّاهُمْ، فيقولُ: «ومِمَّا جُرِّبَ لِدَفْعِ كُلِّ شِدَّةٍ هذَانِ البَيْتَانِ، فاتّخذْهُما لك عُدّةً:

إليك رَسُولَ اللَّهِ أشكو نَوائبا ... مِنَ الدّهرِ لَا يقوَى لها المُتَحَمِّل
وإني لَأرجو أنَّها بِكَ تَنْجَلي ... فإنّك لي جَاهٌ وحِصنٌ ومَعقل»[(٣)]

ونقلَ عَنْ بعضِ عُلمائِهِمْ قولَهُ: «إنَّ زِيَارَةَ قُبورِ الصَّالِحينَ والتَّشَفُّعَ بِهِمْ مَعْمُولٌ بهِ عِنْدَ عُلَمَائِنَا المُحَقِّقينَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ، فمَنْ أرادَ حَاجةً فَلْيَتوسَّلْ بِهِمْ إلى اللهِ تَعَالَى؛ فإنّهُمُ الواسِطَةُ بَيْنَ اللهِ وخَلْقِهِ»[(٤)].

---

(١) نفس المصدر والصفحة. (٢) «أبو مدين الغوث» (ص: ١٤٩).
(٣) «الفوز والنجاة في الهجرة إلى اللهِ، والهنا والغنى لمن اصطفاه» (ص: ١٨٠ ـ ١٨١).
(٤) المصدر السابق (ص: ١٩٩).

▪ ويقولُ **مُحَمَّد زكي إبراهيم** رَائِدُ العشيرةِ المُحمّديَّةِ وشَيْخُ الطّريقَةِ الشَّاذِليَّةِ: «وقَصْدُ الأماكنِ والمعالم المباركةِ التي يُرجَى فيها استجابةُ الدُّعاءِ والتَّوسُّلِ كالمساجدِ والأضرحةِ؛ شَرْعٌ مَنصوصٌ»[(١)].

نَعَمْ، شَرْعٌ مَنصُوصٌ في دِينِ **الصُّوفيَّةِ والشِّيعَةِ** حيثُ تَستوي حُرْمَةُ المساجدِ والمقابرِ، بل الأضرحةُ والقُبورُ أعظمَ بَرَكةً وأرجَى لإجابةِ الدّعاءِ مِنَ المساجدِ السُّنِّيَّةِ المُجرّدةِ التي لَا قَبْرَ فيها.

ثُمَّ يَتحدَّثُ عَنْ بَرَكةِ قُبورِ الصَّالِحينَ ـ فيما ينقلُهُ عَنْ أئِمَّةِ التَّصَوُّفِ ـ: في «**الحصنِ الحصينِ**» فيقولُ: «وقد جربت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين»، وفي سفينة النجاة يقول: «تَحقَّقَ ذَوو البصائرِ والاعتبارِ أنَّ زِيَارَةَ قُبورِ الصَّالِحينَ والتَّشَفُّعَ بِهِمْ مَعمولٌ بهِ عِنْدَ عُلمائِنا». وفي «شَرحي الشّفا»: «وقَبْرُ الإمامِ الجليلِ ابنِ فَوْركَ يُزَارُ ويُستجابُ عِندَهُ الدُّعاءُ». وفي «الرسالةِ القُشَيْريّةِ» يقولُ: «قَبْرُ مَعروفٍ الكَرْخيِّ تِرياقٌ مُجرّبٌ». وفي «عمدة المُريد» يقولُ: «مَدَدُ الميّتِ أَقْوَى مِنْ مَدَدِ الحيِّ، فزِيَارَةُ القُبورِ اعتبارًا وتَبرُّكًا شَيْءٌ مِنْ مَعالمِ الإسلامِ»[(٢)].

ثُمَّ نقلَ نُصُوصًا مَنسوبةً إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَستدِلُّ بِهَا على باطلهِ، مثل: «**مَنْ زارَ قبري وجبت لهُ شفاعتِي**»، و«**مَنْ زارَ قَبري كنتُ لهُ شفيعًا وشهيدًا**»،

---

(١) «الإفهام والإفحام»، أو «قضايا الوسيلة والقُبور» (ص: ٤٨).

(٢) «الإفهام والإفحام»، أو «قضايا الوسيلة والقُبور» (ص: ٦٧ ـ ٦٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٧). قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيْميَّةَ في «قاعدةٍ جليلةٍ في التّوسُّلِ والوسيلةِ» (ص: ١٣٣ ـ ١٣٤): «أحاديثُ زِيارةِ قَبرهِ ﷺ كُلُّها ضَعيفةٌ، لا يُعتمَدُ علَى شيءٍ منها في الدِّينِ، ولهذا لَمْ يروِ أهلُ الصّحاحِ والسُّنَنِ شيئًا منها، وإنما يرويها مَنْ يَروي الضّعافَ كالدّارقُطنيِّ والبزّارِ وغيرِهما، وأجوَدُ حَديثٍ فيها ما رواه عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ العُمَريُّ وهو ضَعيفٌ والكَذِبُ عليهِ ظَاهِرٌ».اهـ. وانظر لزامًا تعليق المحقِّقِ على: «القاعدة». وقَدْ أوردَ الألبانِيُّ هذه الأحاديثَ وبَيّنَ أسبابَ ضَعْفِها في: (الضعيفة: ١/ ١٢٠ ـ ١٢٤ رقم: ٤٧)، و(إرواء الغليل: ٤/ ٣٣٣ ـ ٣٤١ رقم: ١١٢٧ و١١٢٨)، و(ضعيف الترغيب: ١/ ٣٨٣ رقم: ٧٦٦ و٧٦٧ و٧٦٨).

و«مَنْ زَارني كان في جواري يومَ القِيَامَةِ»[١]. ثُمَّ يَختِمُ بحثَهُ قائلًا: «اللَّهُمَّ! إنا نُحِبُّ نَبِيَّنَا بِمَا هو أَهلُهُ، فلا تَحرمْنا بَركةَ زِيَارَةِ قَبرِهِ الشّريفِ مَرّاتٍ ومرّاتٍ؛ لِنَقْتَبِسَ النّفحاتِ والبركاتِ والأسرارَ والأنوارَ والفيوضاتِ»[٢].

ثُمَّ ذكرَ فلسفةً **صُوفِيَّةً شِيعِيَّةً** تُحَدِّدُ الشِّرْكَ وعِبادةَ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى، فيقولُ: «إنَّ الدُّعاءَ لَا يَكونُ عبادةً إلَّا حين يَعتَقِدُ الدَّاعي رُبُوبيَّةَ المَدْعُوِّ... فإنْ تَخلَّفَ اعتقادُ الرُّبُوبِيَّةِ مِنَ الدَّاعي؛ استحالَ أنْ يَكونَ الدُّعاءُ عِبادةً لَا عَقْلًا ولَا شَرْعًا، فاعتقادُ الأُلوهيَّةِ في المدْعوِّ... هو العبادةُ، ولَوْ لَمْ يَقْتَرِنْ ذلك بقولٍ ولَا عَملٍ وإلا فلا، هذا هو القانونُ والأصلُ الأوّلُ»[٣].

نَعَمْ، هذا هو الأصلُ الذي اخترعوهُ لِيَتسنّى لَهمْ ترويجُ الشِّرْكِ بِاللهِ عَنْ طريقِهِ. وما أقربَ هذا الأصلَ وهذا القولَ مِنْ قولِ **الخُمَيْنِيِّ** المتقدمِ[٤] حيثُ يَنُصُّ على أنَّ الشِّرْكَ هو طَلَبُ الشّيءِ مِنْ غَيْرِ رَبِّ العالمينَ على أساسِ كونهِ إلهًا. وهذا **رائدُ العشيرةِ** يقولُ إنَّ دُعاءَ غَيْرِ اللهِ لَا يكونُ عبادةً للمدعوِّ وشِرْكًا بِاللهِ إلَّا حين يَعتَقِدُ الدّاعي رُبوبيَّةَ وأُلوهيَّةَ المدعوِّ، فإنْ تَخلَّفَ هذا الاعتقادُ فليس مِنَ الشِّرْكِ مِنْ شَيْءٍ. مُتناسيًا هو والخُمَيْنِيُّ وغَيْرُهُما مِنَ الطّواغيتِ أنَّ مُشْرِكي الجاهليَّةِ الذين جاءَ الإسلامُ يُكفِّرُهُمْ ويحاربهم، مَا كانوا يعتقدون رُبوبيَّةَ وأُلوهيَّةَ أصنامِهِمْ وأوثَانِهِمْ، بلْ كانوا يُؤمنونَ بِرَبِّ العِزَّةِ خالقًا ورازقًا كما قال تعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال تعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٣٨). (٢) المصدر نفسه (ص: ١٤٩ ـ ١٥٠)
(٣) راجع هنا: «الشَّفاعة والشفعاء عند الشِّيعَةِ» (ص: ٦٣٦، وما بعدها).

فالشّاهدُ أنّهم كانوا يَتوسّلونَ بتلكَ الأوثَانِ ويَصرفونَ لها مِنْ أنواعِ العباداتِ التي لَا يَنبغي صَرْفُها لِغَيْرِ اللهِ رَجاءَ النّفعِ ودَفْعِ الضُّرِّ؛ لمّا اعتقدوا أنَّ لها جَاهًا ومَنزلةً عِنْدَ اللهِ تعالَى، فتوسَّلوا بِهَا، واستشفعوا بِهَا، وجَعلُوها وَسِيلتَهُمْ إلى اللهِ ووَسَاطتَهُمْ فيما بَينهم وبَيْنَ ربِّهِمْ تَبَارَكَ وتَعَالَى، ولَمْ يَعتقدوا فيها الرُّبوبيّةَ مُطْلقًا.

وهَا هُمُ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ القُبوريّون الوَثَنِيُّونَ قَدْ أعادوها جَاهِليَّةً وَثَنِيَّةً؛ فأحيَوْا عِبادةَ القُبُورِ، وجَعلوها مِنْ أعظم أُصُولِهِمْ، وأَهَمِّ شعاراتِهِمْ، واخترعوا لها مِنَ الأدِلَّةِ العقليَّةِ التي فَلْسَفَتِ الشِّرْكَ والكُفْرَ وجعلَتْهُ مِنْ أهمِّ الطاعاتِ والقُرباتِ، بلْ لَا يَتقرَّبُ المرءُ إلى رَبِّهِ إلَّا مِنْ هذا الطريقِ. كما اختلقوا لها أَدِلَّةً زَعمُوها شَرعيَّةً نَقلِيَّةً لَفَّقُوها تَرويجًا للشِّرْكِ ونشرًا لهُ، بالإضافةِ إلى بابِ الدَّعوَى التي هي أعظمُ أصلٍ شَرعيٍّ عِنْدَهُمْ. وصوّروا أنَّ مَا ذهبوا إليه هو الدِّينُ والشَّرْعُ، وشنّعوا على مَنْ خالفَهُمْ مِنْ دُعاةِ التوحيدِ، وخوّفوا العَامّةَ مِنَ التّعرُّضِ للأئِمَّةِ والأولياءِ حتَّى شاعَ في مُختلفِ البلادِ الإسلامِيَّةِ نَصْبُ الأوثانِ والبناءُ على القُبورِ، ثُمَّ تعظيمُها، وشَدُّ الرّحالِ إليها، والاستغاثةُ بِهَا، واللجُوءُ إليها حتَّى في المُلِمَّاتِ والشَّدائِدِ، وعبادتُها، وطلبُ قضاءِ الحوائجِ الدُّنيويَّةِ والدّينيَّةِ منها، والاستشفاءُ بِهَا، والطوافُ حولَها، والنّذْرُ لها، إلى غيرِ ذلك مِنَ الصُّورِ الجاهليَّةِ التي عَمَّتْ أرجاءَ البلادِ الإسلامِيَّةِ حتَّى اعتادَ على هذا الأمرِ الشيوخُ وشابَ عليهِ الأطفالُ، فغَدَتْ وكأنّها مِنَ المُسَلَّماتِ الدّينيَّةِ لِتَلَقِّي الناسِ لها بالقَبولِ والعياذُ باللهِ تعالَى. فلا تكادُ قريةٌ مَهما صَغُرَتْ وقَلَّ سُكّانُها تَخْلُو مِنْ ضَريحٍ لِوَلِيٍّ مَزعومٍ أو إمامٍ مَنصُوبٍ مَقهورٍ لمْ يرضَ برفعِ قبرهِ وما يقعُ عِندَهُ مِن شِرْكٍ وبِدَعٍ، إلَّا مَا رَحِمَ اللهُ تَعالَى.



المبحثُ السابعُ

الحُلُولُ والاتِّحادُ

وفيه تمهيدٌ ومطلبانِ:

- التمهيدُ: في بيانِ حقيقةِ التّوحيدِ عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ وغيرهِم من أهلِ البدعِ، مع التعريفِ بمعنى الحُلُولِ والاتِّحـادِ.
- المطلبُ الأوّلُ: الحُلُولُ والاتِّحـادُ عندَ الصُّوفِيَّةِ.
- المطلبُ الثاني: الحُلُولُ والاتِّحـادُ عندَ الشِّيعةِ.

* * *

تمهيد

حقيقةُ التّوحيدِ

عندَ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ وغيرِهم من أهلِ البدعِ

بَعَثَ اللهُ تَعالَى مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا ونَبِيًّا إلى الثَّقَلَيْنِ، على فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، بَعْدَ أنْ مَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ إلَّا بَقايا مِنْ أهلِ الكتابِ وغَيْرِهِمْ مِمَّن كانوا على التوحيدِ. وكان عَامَّةُ الخَلْقِ يَتخبّطونَ في ظُلماتِ الجَهْلِ وضَلالاتِ الشِّرْكِ وخُرافاتِ الوَثَنِيَّةِ التي جَعلَتهُمْ يَخلطون بَيْنَ الحقِّ تَعالَى وخَلْقِهِ ويُسوّونَ بينهُ سُبْحانَهُ وبَيْنَ بعضِ خَلْقِهِ في الحُقوقِ والواجباتِ والطاعةِ والامتثالِ، فجعلوا لهُ شُرَكاءَ مِنَ الجِنِّ والإنسِ بِزَعمِهِمْ، وصَرَفوا لَهمْ أنواعًا مِنَ العباداتِ لِما زَعَموهُ أنَّها تَمْلِكُ وتَقْدِرُ وتَتصرَّفُ وتَنفَعُ وتَضُرُّ.

إنَّ التوحيدَ هو حَقُّ اللهِ تَعالَى على جميعِ خَلْقِهِ إنسِهِمْ وجِنِّهِمْ، وهو الغايةُ التي مِنْ أجلِها بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَلْ رُسُلَهُ جميعًا، وهو

أيضًا الغايةُ مِنْ خَلْقِ الخَلْقِ في هذه الحياةِ الدُّنيا، وقَدْ تَضافَرَتِ الأدِلَّةُ والبراهينُ على هذه الغايةِ في كتابِ اللهِ تَعَالَى وفي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ بأفصحِ بيانٍ وأوضحِهِ بما لا يَدَعُ مجالًا للتَّفَلُّتِ مِنَ القيامِ بهذا الحقِّ:

• ذكرُ ما جاءَ في كِتابِ اللهِ مِن حقِّ اللهِ تعالَى على خلْقِهِ والغايةِ مِنْ خَلْقِهم:

ـ قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أَيْ: لِيَعبُدوهُ ويُطيعوهُ ويَمتثلوا جميعَ أَمرِهِ ونَهيهِ ﷻ، فهي حِكْمَةُ الخَلْقِ وعِلَّتُهُ.

ـ وقال تباركَ وتعالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالَى على **لسانِ مُحَمَّدٍ** ﷺ في وَصِيَّتِهِ التي يُوصِي بِهَا أُمَّتَهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

ثُمَّ قال بَعْدَ ذِكْرِ المُحرّماتِ الأُخْرَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وغيرِ ذلك مِنَ **الآياتِ الكثيرةِ** التي تَنُصُّ على التوحيدِ وإخلاصِهِ للهِ تَعَالَى باجتنابِ الطّواغيتِ وعدمِ إِشْرَاكِ غَيْرِ اللهِ معهُ في شَيْءٍ مِنَ الأفعالِ أَوِ الصِّفَاتِ.

• ذكرُ ما جاءَ في السُّنّةِ النّبويّةِ من حقِّ اللهِ تعالَى على خلْقِهِ والغاية مِنْ خَلْقِهم:

حَفَلَتِ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ** بالأحاديثِ الكثيرةِ التي بَيَّنَ فيها الرَّسُولُ ﷺ حقيقةَ التّوحيدِ، كما اشتملَتْ على صُوَرٍ عِدّةٍ يَتجلَّى فيها حِرْصُهُ ﷺ عليه،

وحمايتُهُ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، وسَدُّهُ لجميعِ الأبوابِ والمنافذِ التي قَدْ تكونُ ذَريعَةً للوقوعِ فيما يُنافيهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى، **فمِن ذلك**:

ـ نَهيُهُ ﷺ أُمَّتَهُ عَنِ الغُلُوِّ عامّةً وتَحذيرُها منهُ، وحرصًا منه ﷺ على عدم وقوعهم في الغلو، فنَهاهُمْ ﷺ عَنْ مَدْحِهِ وإطْرَائِهِ وتَعظيمِهِ بِمَا يُجاوِزُونَ بهِ الحَدَّ الشَّرعِيَّ كما تقدّم ذكرُهُ[١].

ـ كما زَجَرَهُمْ ﷺ عَنِ التّشبُّهِ باليهودِ والنّصارَى في تَعظيمِ أنبيائِهِمْ وغُلُوِّهِمْ فيهم، فنهَاهُمْ أنْ يَبْنُوا على قَبْرِهِ خَشْيَةَ وُقُوعِهِمْ في الشِّرْكِ، وخشيةَ استحقاقِهِمْ لَعْنَةَ اللهِ تَعَالَى وغَضَبَهُ على ذلك الفعلِ، كما تقدم بيانُهُ وتفصيلُهُ[٢].

ـ كما نَهاهُمْ ﷺ عَنْ قَوْلِهِمْ لَهُ: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**»[٣]؛ لِما فيها مِنَ التَّسويَةِ اللّفظيَّةِ بينَ مَشيئةِ اللهِ تَعَالَى ومَشيئَتِهِ ﷺ. وجاءَ في حديثِ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنه بيانُ خُطورةِ هذه الكلمةِ وما شابَهها، حيثُ ذكرَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ المُسلِمينَ رَأى في النَّوْمِ أنّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فقالَ: نِعْمَ القَوْمُ أَنْتُم لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقالَ: «**أَمَا وَاللهِ! إِنْ كُنْتُ لأَعْرِفُهَا لَكُمْ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»[٤]. وفي هذا؛ تَحذيرٌ مِن اعتقادِ مُساواةِ مَشيئةِ النَّبِيِّ ﷺ بمشيئةِ اللهِ جَلَّ وعلَا، فضلًا عَنِ التَّصَرُّفِ في الكَوْنِ، وغيرِ ذلك مِنَ الأُمُورِ التي تُفضِي بصاحبِها إلى الشِّرْكِ بِأنَّ يجعلَ للهِ تَعَالَى نِدًّا في شَيْءٍ مِنْ أفعالِهِ أو صفاتِهِ.

---

(١) انظر: «تقديس القُبور والأضرحة»، التمهيد (ص: ٦٠٤ ـ ٦٠٥).

(٢) راجع: «تعظيمَ القُبور وعبادتَها عِندَ الشِّيعةِ والصُّوفيَّةِ»، التمهيد (ص: ٥٩٠، وما بعدها).

(٣) **حديثٌ حَسَنٌ**: مِنْ رِوايةِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ». رواه ابنُ مَاجَه في «سُننهِ»، كتاب الكفارات، بَابُ النَّهْيِ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ (١/ ٦٨٤ رقم: ٢١١٧). انظر: (الصحيحة: ٣/ ٨٥ رقم: ١٠٩٣) و(١/ ٢٦٦ رقم: ١٣٩).

(٤) **حديثٌ صحيحٌ**: رواه ابنُ مَاجَه في «سننه» (١/ ٦٨٥ رقم: ٢١١٨). انظر: (الصحيحة: ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥، رقم: ١٣٧ و١٣٨).

- وفي حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إنَّ رجُلًا قال: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا شَاءَ اللهُ وشِئْتَ. فقال ﷺ: «**جَعَلْتَنِي للهِ عَدْلًا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(١)، وفي روايةٍ قال: «**جَعَلْتَ للهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(٢). أين هذه اللّفظةُ التي اعْتبرَها رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعني جَعْلَ النِّدِّ والعَدْلِ والكُفْءِ للحقِّ تَعَالَى وقَدْ لَا يَقصِدُ قَائِلُها ذلك المعنَى؛ فأينَ هذا مِنْ فِعْلِ المُنحرفينَ الذين يَعزمون العقدَ على الاستغاثةِ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وطَلَبِ قضاءِ الحوائجِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ منهُ، وغيرِ ذلك مِنَ الأفعالِ الشِّرْكِيَّةِ.

- وروى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] قالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا عَبَّاسُ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْك مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(٣). يُرِيدُ ﷺ أنْ تَتعلَّقَ قُلوبُ العبادِ بِربِّها وخَالِقِها، فلا تَرجو نَفْعًا أو تَخافُ ضَرًّا إلَّا منهُ وحدَهُ سُبْحانَهُ، ولَا تستغيثُ إلَّا بهِ، ولَا تَسألُ إلَّا إِيَّاهُ، ولَا تَستعينُ إلَّا بهِ وحدَهُ في جميعِ أمورِها. فَخَصَّ ﷺ بالذِّكرِ أقربَ النَّاسِ إليه لِيدخُلَ في هذا الإنذارِ مَنْ سُواهم مِنْ بابِ أوْلَى.

---

(١) **حديثٌ حَسنٌ**: رواه الإمامُ أحمدُ «المسند» (١/ ٢٨٣، ٣٤٧) واللّفظُ لهُ، وابنُ مَاجَه: انظرِ: التعليقَ قبلَ السابقِ.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**: رواه الإمامُ البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ»، باب قولِ الرجل: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. انظر: (صحيح الأدب المفرد ص: ٢٩٢ رقم: ٦٠١) و(الصحيحة: ١/ ٢٦٦ رقم: ١٣٩) كلاهما للعلامة الألبانيِّ.

(٣) **متّفقٌ عليهِ**: «صحيح البُخاريِّ»، كتاب الوصايا، بَابُ هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ في الأَقَارِبِ، (الفتح: ٥/ ٣٨٢ رقم: ٢٧٥٣)، «صحيح مُسْلِم»، كتاب الإيمان، بَابٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (١/ ١٩٢ رقم: ٢٠٤/ ٣٤٨).

ففي هذه النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ ـ وغيرِها كثيرٌ مِنْ كِتابٍ وسُنَّةٍ ـ بيانٌ كافٍ في التّفريقِ بَيْنَ الخَلْقِ والخالقِ، ونَفْيُ أيَّةِ مُشابهةٍ بَيْنَ الخالقِ والمخلوقِ، وإعطاءُ الحقِّ حَقَّهُ، وعَدَمُ صَرْفِ شَيْءٍ مِنْ حُقوقهِ تَقَدَّسَ وتَعالَى لأحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مهما عَظُمَ شأنُهُ وعَلَتْ مَكانتُهُ.

إذِ الفصلُ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ في الأسماءِ والصِّفَاتِ والأفعالِ والحقوقِ؛ هو أصلُ الدِّينِ والتوحيدِ، بلْ أصلُ الدِّياناتِ جميعًا، فاللهُ تَعالَى وَاحِدٌ في ذَاتِهِ وأسمائهِ وصفاتهِ وجميعِ أفعالهِ، لَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، ولَا يُشركُهُ أَحَدٌ في خَلْقِهِ وفعْلهِ وأَمرهِ ونَهْيِهِ وحتَّى مُلْكِهِ. وهو سُبْحانَهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأرضِ ولَا في السماءِ، فلا يَحتاجُ إلى شُركَاءَ في التّدبيرِ والتّصريفِ. ولَازِمُ هذا أنَّ الشِّرْكَ بِاللهِ تَعالَى ـ مَهما دَقَّ أو قَلَّ في نَظَرِ فَاعِلِهِ ـ فهو أَعظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ تعالَى بهِ، وهو سُبْحانَهُ لَا يَرْضَى لعبادهِ الشِّرْكَ أبدًا، بلْ إنّهُ لَا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بهِ ويَغْفِرُ مَا دونَ ذلك مِنَ الذُّنوبِ والمعاصي لمنْ يَشاءُ تبارك وتعالى.

هذا هو التوحيدُ الذي يُريدُهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِبادِهِ، يقومُ على الفصْلِ التَّامِّ والتّمييزِ الكاملِ بَيْنَ الحقِّ تَبارَكَ وتَعالَى وبَيْنَ الخَلْقِ، فما كان مِنْ حُقوقِ اللهِ تَعالَى لَا يُصْرَفُ منها شَيْءٌ لأحَدٍ مِنَ الخَلْقِ كائنًا مَنْ كانَ. **وأمَّا توحيدُ المُبتدِعَةِ؛** فإنَّهُ شَيْءٌ آخرُ يَقومُ أساسًا على التَّعدِّي على حُقوقِ رَبِّ العِزَّةِ والجلالِ وإشراكِ غَيْرهِ معهُ ﷻ في كُلِّ شَيْءٍ، ابتداءً مِنَ المُلْكِ وحتَّى التَّصرُّفِ والتَّدبيرِ في الكونِ والعبادِ في الدُّنيا والآخرةِ. فالتوحيدُ في أعلَى مراتبِهِ وأرقَى مَقاماتهِ عِنْدَهُمْ هو (**اتِّحادُ الخالقِ بالمخلوقِ واشتراكُهما في كُلِّ شَيْءٍ**). فشَتَّانَ بَيْنَ توحيدِ **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ** لِرَبِّهِمْ وخالقِهِمْ وإلهِهِمْ، وبَيْنَ توحيدِ المُبتدِعَةِ المارقينَ مِنْ أهلِ **التَّشيُّعِ والتَّصَوُّفِ**.

معنَى الحُلولِ والاتّحادِ

• **الحُلُولُ**: المرادُ بِهِ عِنْدَ المبتدعةِ؛ حُلُولُ شَيْءٍ مِنْ خصائصِ الرُّبُوبِيَّةِ أَوِ الأُلوهيَّةِ في بعضِ المخلوقينَ، فيعتقدونَ أنَّ شَيئًا مِنْ ذَاتِ اللهِ تعالَى قَدْ حَلَّ في بعضِ خَلْقِهِ مِمَّا يُمَكِّنُهُ مِنْ مُشاركةِ اللهِ تَعالَى في الأمرِ أَوِ الخَلْقِ أَوِ التَّصْريفِ والتّدبيرِ.

• **الاتّحـادُ**: هو اعتقادُهُمْ بأَنَّ اللهَ تَعالَى عمَّـا يَصِفونَ قَدْ يَتَّحِدُ كُلِّيَّةً مع بعضِ خَلْقِهِ اتِّحادًا تامًّا. ويَغْلُو غُلاتُهُمْ فيعتقدون أنَّ كُلَّ شَيْءٍ في الوُجُودِ هو اللهُ. فالكلُّ عِنْدَهُمْ خَالِقٌ وإنْ تَعَدَّدَتِ الأشكالُ والصُّوَرُ واختلفتِ الأسماءُ والأوصافُ مِنْ حيثُ الحقيقةُ والأصلُ بِزَعمِهِمْ. تَعَالَى اللهُ وتَنزَّهَ عَمَّا يَظُنُّ بهِ الظالمونَ الجاحدونَ عُلُوًّا كبيرًا.

وبَعْدَ هذا **التَّمهيدِ** سأذكرُ فيما يلي أَدِلَّةَ وأقوالَ هَاتَيْنِ الفِرقَتَيْنِ الضَّالَّتيْنِ في **الحُلولِ والاتِّحادِ**، ذاكرًا ابتداءً **مذهبَ الصُّوفيَّةِ** مُثَنِّيًا بذكرِ **مذهبِ الشِّيعةِ**.

مع ملاحظةِ أني قَدْ قَدَّمتُ الكلامَ على **الصُّوفيَّةِ** خلافًا لجميعِ المباحثِ السابقةِ؛ لأنني لَمْ أجدْ في **مذهبِ أهلِ الرَّفْضِ** الشّيْءَ الكثيرَ في هذه المسألةِ خَاصَّةً عَنْ قُدمائِهِمْ كما هو الحالُ في مذهبِ المُتَصَوِّفينَ. وعسى أنْ يتيسَّرَ لي الوقوفُ في المُستقبلِ على بعضِ مُصنّفاتِهِمُ القديمةِ لمَنِ اشتَهرَ منهم بالتَّصوّفِ خاصّةً؛ لأتمكّنَ مِنْ جَمعِ المادَّةِ التي تَتعلَّقُ بِوِحْدَةِ الوُجُودِ عِنْدَ قُدَمائِهِمْ وأوائِلِهِمْ.

المطلبُ الأول

الحُلُولُ والاتِّحادُ عندَ الصُّوفيَّةِ

مِنَ المَعلومِ الثَّابِتِ عِنْدَ الدَّارسينَ لهذهِ النِّحْلَةِ أنَّ دُعَاةَ التَّصَوُّفِ قَدِ اندَسُّوا أَوّلَ أمرِهِمْ في صُفوفِ الزُّهّادِ والعُبَّادِ، مُتظاهرينَ بالدّعوةِ إلى حملِ

النُّفُوسِ على الزُّهْدِ والعبادةِ التي لَا تُطاقُ، الأمرُ الذي أدَّى إلى الغُلُوِّ في الزُّهْدِ والعبادةِ ومُجاوزةِ الحدِّ الشَّرعِيِّ فيهما، حتَّى اشتهرَ عَنْ كثيرٍ مِنهم الزُّهْدُ في المُباحاتِ والسُّنَنِ الفِطْرِيَّةِ كالتَّبَتُّلِ وتَرْكِ النّومِ، وغيرِ ذلك مِنَ الأُمُورِ التي كانوا يَقهرونَ أنفسَهُمْ على فِعْلِها وتَحمُّلِها.

كما اشتهرَ عَنْ طائفةٍ منهم كَثْرَةُ العبادةِ مِنْ صلاةٍ وذِكرٍ وغيرِهِ، فكانوا يَزْعُمُونَ أنَّ فلانًا يُصَلِّي كذا وكذا رَكعةً، وفلانا يَذْكُرُ اللهَ كذا وكذا مَرّةً، ويَذكرون أعدادًا مِنَ الرَّكعاتِ والختماتِ والأذكارِ التي لَوْ قُسِّمَتْ على ساعاتِ الليلِ والنّهارِ مَا كانت لِتَسَعَ نِصْفَها أو أقلَّ مِنْ ذلك.

ثُمَّ أخذَ الصُّوفيَّةُ يَرْتَقُونَ في مَذهبِهِمْ رُوَيْدًا رويدًا، فظهرَ فيهم مَنْ يَزْعُمُ أنَّ مِنْ عَظائمِ الذُّنوبِ أنْ يُعْبَدَ اللهُ تَعالَى طَمَعًا في جَنَّتِهِ أو خَوْفًا مِنْ نارِهِ، بِدَعْوَى أنّهُ يَستحِقُّ العبادةَ استحقاقًا ذَاتِيًّا مِنْ دَافِعِ المحبّةِ الصّادقةِ. وزعموا أنَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ تَعالَى رَجاءَ الجَنَّةِ أو مَخافةَ النَّارِ؛ فإنَّهُ يُعَدُّ مُشْرِكًا بِاللهِ في مَحبّتِهِ غيرَ صادقٍ فيها.

- ولعلَّ **رابِعَةَ العدويَّةَ** هي مِنْ أوائلِ مَنْ نَقَلَ التَّصَوُّفَ في جميعِ أفعالِهِ واجتهاداتِهِ مِنْ تَأثُّرِهِ بعواملِ الخوفِ والرَّجاءِ ـ وهما أصلُ الدِّينِ وأُسُّ العبادةِ ورُكْنَاهُ العظيمانِ ـ إلى إخضاعِهِ وتأثّرِهِ بعاملِ الحُبِّ والعِشْقِ الإلٰهِيِّ المزعومِ.

ثُمَّ بدؤوا بَعْدُ التَّغَنِّي والتَّبَجُّحَ بالحبِّ والعِشْقِ، وأكثروا مِنْ ذلك حتَّى غَدَا مِنْ أعظمِ سِماتِهِمْ وشِعاراتِهِمْ، ثُمَّ غَلَوْا في هذا الجانبِ وجَاوزوا ليس حَدَّ الشَّرْعِ فحسبُ، بلْ حتَّى حَدَّ العقلِ والحياءِ. وفي ذلك تقولُ **رابِعَةُ** فيما نُسِبَ إليها:

«أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبَّ الهوى وحبًّا لأنكَ أهلٌ لذاكا
فأمّا الذي هو حُبُّ الهوى فَشُغْلِي بذكرِكَ عَمَّنْ سواك

وأمَّا الذي أنتَ أهلٌ لهُ   فكشفك لي الحُجْبَ حتَّى أراكا»[(١)]

ثُمَّ شَاعَتْ لَفْظَةُ الحُبِّ، وتَوسّعوا كثيرًا في ادِّعَائِها، وكَثُرَتْ عِبارات المَحَبّةِ المزعومةِ وما يَترتَّبُ عليها مِنَ الآثَارِ والنّتائج مِنْ كَراماتٍ وغيرِها مِمَّا يَزْعُمُونَ. فنَظَمُوا أشعارًا ودَوَاوِينَ، وكَتبوا نَثْرًا ورَسائلَ لَا تُحصَى، والفضلُ في ذلك لَعلَّهُ يَرجِعُ **لِرَابِعَةَ** التي فَتحَتْ لَهمْ هذا البابَ، وسَنَّتْ لَهمْ هذه السُّنَّةَ السَّيِّـئَةَ التي انطلقَ منها الدُّعاةُ والكاذبون، وتَستّرَ بِهَا الزَّنَادِقَةُ والمُلْحِدونَ.

▪ ثُمَّ جاءَ **أبو يَزِيدَ البِسْطَامِيُّ** فأَوْغَلَ في تلكَ الأوحالِ الصُّوفيَّةِ وجاءَ بِكَمٍّ هَائِلٍ مِنَ الأقوالِ المُنحرفةِ والأفعالِ المشينةِ وتَلقَّاها عنهُ المُنحرفونَ زَاعِمينَ صُدورَها عنهُ في حالِ الفناءِ والاتّحادِ وسَمُّوها باسم **الشَّطَحَاتِ**، مُدَّعِينَ أنَّها مِنْ وراءِ العقلِ والشَّرْعِ، وأنَّ أحوالَهُمْ لَا يَنبغي أَنْ تُعْرَضَ على الشَّرْعِ وحُدودِهِ لأنّها مِنْ بابِ الفَناءِ والمَحْوِ وغيرِها مِنَ الألفاظِ والعباراتِ التي اصطلحوا عليها؛ سِتْرًا على مذاهِبِهِمْ وأحوالِهِمُ الفاسدةِ وقبائِحها وتَزْيينًا لباطِلِهِمْ ودَرْءًا لِرِقَابِهِمْ مِنْ إقامةِ الحُدودِ والقَصَاصِ عليها.

▪ ثُمَّ جَاء **الحَلَّاجُ** ـ الذي دَأَبَ أوائِلُهُمْ وما زالَ أَذنابُهُمْ يَتباكوْنَ على مَقْتَلِهِ، ويَصِفُونَهُ بأنّهُ شَهيدُ الحُبِّ الإِلٰهيِّ على الرَّغْم مِنْ إجماعِ عُلَماءِ عَصْرِهِ على وُجُوبِ قَتْلِهِ كُفْرًا وَرِدَّةً عَنْ دِينِ اللهِ تَعالَى كما تقدمَ ـ فقال في الاتِّحادِ بَيْنَ الخالقِ والمخلوقِ والمُحبِّ والمحبوبِ نَظْمًا ونَثْرًا وفَتَقَ هذا المذهبَ وصَبَغَهُ بعباراتٍ مِنَ الغُموضِ والسِّرِّيَّةِ بدعوى أنَّها مِمَّا خُصَّ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ، فقالَها وهو في حَالِ القُرْبِ والتَّمْكِينِ مع مَحبوبِهِ بِزَعمِهِمْ.

• ثُمَّ جاءَ **ابنُ الفارضِ الذي لَقَّبَ نَفْسَهُ بِسُلطانِ العاشقينَ**؛ فأَلَّفَ **دِيوانًا** اختَصَّ بالحُبِّ والوِحْدَةِ والاتِّحادِ بَيْنَ المُحِبِّ ومَحبوبِهِ والعاشقِ

---

(١) تقدمت هذه الأبيات في (ص: ١٨٢) نقلًا عَنِ الغزالِيِّ في «الإحياء» (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

ومَعشوقِهِ، واستعملَ في ذلك عباراتٍ يَنْدَى لها جَبِينُ مَنْ كان فيهِ ذَرَّةٌ مِنَ الحياءِ فَضْلًا عَنِ الإيمانِ. ثُمَّ تَبِعَهُ مِنَ الزّنادقةِ والمُلْحدينَ مَنْ أَمِنَ جانبَ الدّولةِ والسلطانِ وارتفعَ عنهُ الخوفُ مِنَ القُضاةِ والفُقهاءِ وأَحكامِهِمْ؛ إِمَّا لِضَعْفِ السُّلْطانِ الدِّينيِّ، أو لِقُرْبِهِمْ مِنَ الحُكَّامِ والسلاطينَ وتَفَشّي التَّصوُّف في صُفوفِ الأمراءِ، أو غيرِ ذلك مِنَ الأسبابِ التي جَعَلَتْهُمْ يَنتقِلُونَ مِنْ حياةِ السِّرِّيَّةِ والكتمانِ والغُموضِ إلى البَوْحِ بالكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ والإلْحَادِ، كابنِ عَرَبيٍّ وعبدِ الحقِّ بنِ سبعينَ، وعفيفِ الدِّينِ التلمسانيِّ، وعبدِ الكَريمِ الجيليِّ.

ولمعرفةِ مَدَى التَّطَوّرِ في هذا المَذْهَبِ المُنْحَرِفِ؛ أَذكرُ أقوالَ بَعضِهِمْ للمُقارنةِ والوقوفِ على مَراحلَ التَّرَقِّي في الكُفْرِ والإلحَادِ في الوِحْدَةِ والاتِّحادِ:

- فبَعْدَ أقوالِ **رَابِعَةَ** وأبياتِها السّابقةِ؛ جَاءَتْ شَطَحَاتُ **أبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ**، ومِنْ أعظمِها قولُهُ: «سُبحاني سبحاني، مَا أعظمَ شأني»[١].
- ثُمَّ جاءَ **الحَلَّاجُ** فقال مَثلًا: «أنا الحقُّ». وقال: «مَا في الجُبَّةِ غَيْرُ اللهِ». وقال أيضًا:

«أنا مَنْ أهوى ومَنْ أهوى أنا ... نحنُ روحانِ حَلَلْنَا بَدَنا
فإذْ أَبْصَرْتَنِي؛ أَبْصَرْتَهُ ... وإذا أَبْصَرْتَهُ؛ أَبْصَرْتَنَا»[٢]

- وجاءَ **ابنُ الفارضِ** سُلْطانُهُمْ في العِشْقِ المزعومِ، فقال:

«كِلَانا مُصَلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى ... حَقيقةٍ بالجمعِ في كُلِّ سَجْدَةَ
وما كان لي صَلَّى سوايَ ولَمْ تَكُنْ ... صَلاتي لغيري في أَداءِ كُلِّ رَكْعَة
....
أفاد اتّخاذي حبّها لاتِّحادنا ... نوادر عَنْ عاد المُحبِّينَ شَذَّت
....

(١) سيأتي ذكره قريبًا (ص: ٦٤٤).

(٢) انظر: في «أخبار الحلَّاج» وطواسينه.

وعانقت مَا شاهدت في محو شاهدي بمشهده للصّحو مِنْ بعـد سكرتـي
ففي الصّحوِ بعد المحو لَمْ أكُ غيرها وذاتي بذاتي إذا تَحلَّت تجلَّت»[(١)]

وابنُ الفارضِ يَتغَنَّى ويَتغزَّلُ بِرَبِّهِ ومَعبودهِ في هذه **القصيدةِ** الخبيثةِ التي صَوَّرَ فيها رَبَّهُ وإلهَهُ ومَعبودَهُ على أنّهُ أُنثَى، ويُخاطِبُهُ بصيغةِ الأُنُوثَةِ، بعباراتٍ تَفتقرُ إلى أَقَلِّ مَقاماتِ الحياءِ والخجلِ.

الحاصل، أنَّ دَعْوَى المحبّةِ هذه مَرّتْ بمراحلَ، وتَطوَّرَتْ مِنْ خِلالِهِ تَطوُّرًا جَعَلَتْهم يُؤمنون ويعتقدون إيمانَ إبليسَ وفِرعونَ وتوحيدَهُما، فزَعَمَ **الحَلَّاجُ** قائلًا: «وما كان في أهلِ السماءِ مُوَحِّدٌ مثلَ إبليسَ»[(٢)]. وقال أيضًا: «**فصاحبيَّ وأستاذيّ إبليسُ وفرعونُ، وإبليسُ هُدِّدَ بالنَّارِ وما رَجَعَ عَنْ دَعْواهُ، وفرعونُ أُغْرِقَ في اليَمِّ وما رَجَعَ عَنْ دَعواهُ**، ولَمْ يُقِرَّا بالواسطةِ البَتّة... وإنْ قُتِلْتُ أو صُلِبْتُ أو قُطِّعَتْ يَداي ورجلاي مَا رَجَعْتُ عَنْ دَعْواي»[(٣)].

ويُكَذِّبُ دعواهُ ـ **(أنَّ فِرعونَ لم يرجعْ عن قولهِ وعقيدتِهِ أنه هو الرَّبُّ الأعلَى)** ـ ما جاء في **(كتابِ اللهِ)** أنَّ فِرعونَ قال عندَ الغَرَقِ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠]، ويُكَذِّبُهُ أيضًا حديثُ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يَقُصُّ على النَّبيِّ ﷺ اللَّحظاتِ الأخيرةَ في حياةِ فِرعونَ، قائلًا: «**يَا مُحَمَّدُ! فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِن حَالِ البَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ**»[(٤)]. ولكنّ القومَ مِن فرطِ جهلِهم وبُعدِهم عن نورِ الوَحْيِ عَمِيتْ أبصارُهم وبصائرُهم عنِ الواضحاتِ الجليّاتِ في

---

(١) «ديوان ابن الفارض»: القصيدة التائية الكبرى المسمى بنظم السلوك (ص: ٣٥ ـ ٣٩).
(٢) كتاب «الطواسين»، المطبوع مع «أخبار الحلَّاج» (طاسين الأزل والالتباس) (ص: ٩٦).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٠٠).
(٤) أخرجه التِّرْمِذِيُّ في «سُنَنِهِ»، كتاب التفسير، بَاب وَمِن سُورَةِ يُونُسَ (رقم: ٣١٠٧)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

القُرآنِ والسُّنَّةِ، وأظُنُّ السببَ في هذا الجهالاتِ ـ كما تقدم ـ أنّهم استغنوا عَنْ نورِ الوَحْيِ واستبدلوا به الذي هو أدْنَى مما يلقيه عليهم **إبليسُ** مِن خيالاتٍ وظُنونٍ فاسدةٍ وأوهامٍ شيطانيّةٍ حسبوها وَحْيًا وإلهامًا وعِلمًا لَدُنِّيًّا والعياذُ باللهِ تعالَى.

• ثُمَّ جاءَ **عبدُ الكَريم الجيليُّ** وأخلصَ لفكرةِ الدّفاعِ عَنْ **إبليسَ** إخلاصًا عظيمًا، فصَوَّرَ الفكرةَ والنّظريَّةَ تَصويرًا دَقيقًا، وتَعادَلَتْ عِندهُ الفضائلُ والرَّذَائِلُ، وتَداخَلَتْ عِنْدَهُ الجَنَّةُ والنَّارُ، ولَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ عبادةِ اللهِ تَعَالَى وعبادةِ الأوثانِ[1]. كما تَلَقَّى فكرةَ الحُبِّ ووِحْدَةِ الأديانِ عَنْ شَيْخِهِ **ابنِ عَرَبِيٍّ**، وبَلْوَرَها وزَخْرَفَها بزَخَارِفِ الأقوالِ تَزْيينًا وتَرويجًا لها.

كُلُّ هذا الفسادِ باسمِ الحُبِّ والمَحَبَّةِ ولوازِمِها ونتائجِها، فالغُلُوُّ ومُجاوزةُ الحدِّ في حُبِّ الصُّوفيَّةِ المزعومِ للهِ تَعَالَى قادَهُمْ إلى ادِّعاءِ مُشاركتِهِ في رُبوبيَّتِهِ وأُلوهيَّتِهِ، بلْ إلى الاتِّحادِ بَيْنَ المُحِبِّ والمحبوبِ، والمخلوقِ والخالقِ، حتَّى آمنوا أنّهُ لَا مَوجودَ على الحقيقةِ إلّا اللهَ تَعَالَى وأنَّ العالَمَ كُلَّهُ خيالٌ لَا حقيقةَ لهُ، فتوحّدَتْ عِنْدَهُمْ ذَاتُ الإنسانِ المخلوقِ بِذَاتِ اللهِ الخالقِ. تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

يُقَسِّمُ الصُّوفيَّةُ التوحيدَ إلى أقسامٍ:

▪ **فالسّرّاجُ الطُّوسِيُّ** مَثَلًا عَقَدَ بَابًا في «**كتابِهِ**» عَنِ التوحيدِ **باب التوحيد، وصفة الموحد، وحقيقة كلامهم في مَعنَى ذلك**، ثُمَّ ذكرَ أقوالًا لذي النُّونِ المِصْرِيِّ وجُنَيْدٍ البغداديِّ يَتَّفِقُ مع مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ. ثُمَّ عَلَّقَ قائلًا: «فالجوابانِ اللّذانِ لذي النونِ والجُنَيْدِ في التّوحيدِ ظاهرانِ، أجابَا عَنْ توحيدِ العَامّةِ»[2]. ثُمَّ قال: «وقَدْ سُئِلَ الجُنَيْدُ عَنْ توحيدِ الخاصَّةِ

---

(١) راجع كتابه: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (٢/ ١٢٢) وما بعده.
(٢) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ٤٩).

فقال: أنْ يكونَ العبدُ شَبَحًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ﷻ، تَجري عليهِ تَصاريفُ تَدْبِيرِهِ في مَجاري أحكامِ قُدْرَتِهِ في لُجَجِ بِحَارِ توحيدِهِ بالفناءِ عَنْ نفسِهِ... بذهابِ حِسِّهِ وحَركتِهِ، لقيامِ الحقِّ لهُ فيما أَرادَ منهُ، وهو أنْ يَرْجِعَ آخرُ العَبْدِ إلى أوّلِهِ، فيكون كما كانَ قَبْلَ أنْ يَكونَ». وقال أيضًا: «التوحيدُ هو الخروجُ مِنْ ضِيقِ الرُّسُومِ الزّمانيَّةِ، إلى سَعَةِ فَنَاءِ السَّرْمَدِيَّةِ»[(١)].

فتوحيدُ خاصَّتِهم؛ الإيمانُ بأنّهُ لَا فاعلَ إلَّا اللهُ، ولَا موجودَ بحقٍّ إلَّا هو. وبذلك يَخرُجُ العبدُ مِنْ طَوْرِ البَشَرِيَّةِ الفَانِيَةِ وضِيقِها، إلى سَعَةِ فَنَاءِ الأُلوهيَّةِ، يَنتقِلُ بِزَعمِهِمْ مِنْ دَائِرَةِ الخَلْقِ والفناءِ إلى الاتِّحادِ بالحقِّ.

ثُمَّ ذكرَ عَنْ أَحَدِ شُيوخِهِم، لمّا سُئِلَ عَنِ التوحيدِ، أنّهُ أجابَ بثلاثةِ أجوبةٍ:

١ ـ «جَوابٌ منها في توحيدِ العَامّةِ، وهو الانفرادُ بالوحدانيَّةِ بذهابِ رُؤيةِ الأضدادِ والأندادِ والأشباهِ والأشكالِ، مع السُّكونِ إلى مُعارضةِ الرّغبةِ والرّهبةِ»[(٢)].

يُرِيدُ أنَّ سُكونَ الإنسانِ في عِبادتهِ وتوحيدِهِ للهِ تَعَالَى إلى جانبِ الرَّغبةِ والرَّهبةِ ـ فيَرْغَبُ في الجَنَّةِ ونعيمِ اللهِ، ويَرْهَبُ مِنَ النَّارِ وعقابِ اللهِ تَعَالَى ـ يتعارضُ مع بُلوغِ مراتبِ التوحيدِ العاليةِ أَوِ الخاصَّةِ. هكذا تغافلَ ويتغافلونَ عَنْ أنَّ اللهَ تَعَالَى شَرَعَ لعبادِهِ التّقرُّبَ إليه بالرّغبةِ والرّهبةِ.

٢ ـ ثُمَّ قال: «والجوابُ الثاني: توحيدُ أهلِ الحقائقِ على الظاهرِ، وهو الإقرارُ بالوحدانيَّةِ... بإزالةِ مُعارضةِ الرّهبةِ والرّغبةِ»[(٣)].

أَيْ: يَعبُدُ اللهَ تَعَالَى بِلَا خوفٍ ولَا رَجاءٍ، ويَعبدُهُ بالحُبِّ على زَعْمِهِمْ، تمهيدًا للوقوعِ في الفَنَاءِ الذي هو مَطِيَّةُ الاتِّحادِ ـ بِزَعمِهِمْ ـ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ.

(١) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ٤٩). (٢) المصدر السابق (ص: ٥٠).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٥١).

٣ ـ ثُمّ قال: «والجوابُ الثالثُ: توحيدُ الخاصَّةِ، وهو أنْ يَكونَ العَبْدُ بِسرِّهِ ووَجْدِهِ وقَلْبِهِ كأنهُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى تَجري عليهِ تَصاريفُ تدبيرِهِ، وأحكامُ قُدْرَتِهِ في بِحارِ توحيدِهِ بالفَنَاءِ عَنْ نفسِهِ، وذِهابِ حِسِّهِ بقيامِ الحقِّ لهُ في مُرادِهِ منهُ»[(١)].

المُهِمُّ؛ أنْ توحيدَ الخاصَّةِ لَا يَذكرونَ فيهِ أَيَّ لفظٍ يَدُلُّ على توحيدِ اللهِ تَعَالَى أو نَفْيِ الأضدادِ والأندادِ عنهُ سُبْحانَهُ، بلْ يُرَكِّزونَ على أنَّ الفاعلَ هو اللهُ تَعَالَى، فالوجودُ الحقيقيُّ هو وُجُودُهُ، وعلى الخواصِّ السَّعْيُ للاتِّحادِ بهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى بالفَنَاءِ عَنْ أنفسِهِمْ وما حولَهُمْ.

■ ثُمَّ ذكرَ عَنْ **رويمَ بنِ أحمدَ البغداديِّ** حين سُئِلَ عَنِ التوحيدِ أنّهُ قال: «مَحْوُ آثَارِ البشريَّةِ، وتَجرُّدُ الأُلوهيَّةِ»[(٢)]. يُرِيدُ أنَّ على المرءِ أنْ يَمْحُوَ عَنْ نفسهِ آثَارَ البشريَّةِ والخَلْقِ بالفَنَاءِ؛ لِتَتَجَلَّى فيه آثَارُ وصِفَاتُ الأُلوهيَّةِ والرُّبُوبِيَّةِ، فلا يرى في نفسِهِ البشريَّةَ المخلوقةَ الفَانِيَةَ غيرَ اللهِ بزَعمِهِمْ، ولقَدْ وضَّحَ هذا المَعنَى بقولهِ: «لِلْعارفِ مِرآةٌ إذا نظرَ فيها؛ تَجلَّى لهُ مولاهُ جلَّ وعَلَا»[(٣)].

فالحاصلُ أنَّ التوحيدَ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ شَيْءٌ آخرُ غير مَا هو معروفٌ عِنْدَ أهلِ السُّنَّةِ، فالصُّوفيَّةُ إذا ذكروا التوحيدَ فَسَّرُوهُ بأنّهُ اعتقادُ أنَّ الفاعلَ الحقيقيَّ لجميعِ الأفعالِ هو اللهُ ﷻ، وأنَّ هذا الاعتقادَ لَا يَتحقَّقُ إلَّا بالفَنَاءِ عَنِ النّفسِ والذَّاتِ المخلوقةِ حتَّى لَا يَبْقَى لها وُجُودٌ حَقيقيٌّ في ذِهْنِ ذلك المُوَحِّدِ بِزَعمِهِمْ، فلا يَرى غَيْرَ اللهِ تَعَالَى في الوُجُودِ كُلِّهِ، حتَّى يَنظُرَ إلى جميعِ الموجوداتِ حولَهُ على أنَّها خَيالٌ بِلَا حقيقةَ.

وَيتّضِحُ هذا المَعنَى مِنْ خلالِ أقوالِ أئِمَّتِهِمْ في هذا الموضوعِ:

---

(١) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ٥١).
(٢) المصدر السابق والصفحة، و«الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٨٧).
(٣) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٨).

▪ روى أبو نُعَيْم الأصْبَهانِيُّ بِإسنادِهِ إلى **أبي يَزِيدَ البِسْطَامِيِّ** أنّهُ قال: «لَـمْ أَزلْ أَجُولُ في مَيْدانِ التوحيدِ حتَّى خَرجْتُ إلى دَارِ التّفريدِ، ثُمَّ لَمْ أزلْ أجولُ في دارِ التفريدِ حتَّى خرجتُ إلى الدَّيْمومِيَّةِ، فَشَرِبْتُ بكأسهِ شَرْبَةً لَا أظمأُ مِنْ ذِكْرِهِ بعدَها أبدًا»(١).

ـ وروى عنهُ أيضًا بِإسنادِهِ قال: «غِبْتُ عَنِ اللهِ ثلاثينَ سنةً، وكانت غَيْبَتِي عنهُ ذِكْرِي إِيَّاهُ، فَلَمّا خَنَسْتُ عنهُ وَجَدْتُهُ في كُلِّ حَالٍ حتَّى كأنهُ أنا»(٢).

فأبو يَزِيدَ كان على التوحيدِ وذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وتَنْزِيهِهِ ثلاثينَ سنةً على مَنهجِ أهلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ خرجَ بتَصَوُّفِهِ إلى دارِ التَّفريدِ فصارَ لَا يرى غَيْرَ اللهِ تَعالَى، فالذَّاكرُ والمذكورُ واحدٌ، فحينئذٍ خَنَسَ عَنْ ذِكْرِهِ، ثُمَّ ارْتَقَى في سُلَّمِ التَّصَوُّفِ إلى الاتِّحادِ بِزَعْمِهِ بِاللهِ تَعالَى حتَّى كأنّهُ هو، فاستغنَى عَنْ ذِكْرِهِ وتوحيدِهِ.

ـ لذلك روَى عنهُ أيضًا بالإسنادِ قولَهُ: «عَجِبْتُ لمن عَرَفَ اللهَ كَيف يَعبدُهُ؟»(٣). هكذا يقولُ؛ لأنّهُ قَدْ تَساوى عِنْدَهُ العابدُ والمعبودُ واتّحدَا معًا.

ـ وقولَهُ: «أَوّلُ حَجٍّ لي لَمْ أرَ غَيْرَ البيتِ، وفي المرّةِ الثانيةِ رأيتُ البيتَ ورَبَّ البيتِ، وفي المرّةِ الثالثةِ رأيتُ الكلَّ رَبَّ البيتِ ولَمْ أرَ أَيَّ بيتٍ»(٤).

ـ وقولَهُ: «رأيتُ رَبَّ العِزَّةِ في النَّومِ، فقلتُ: يا رَبِّ! كَيف أجِدُكَ؟ فقال: فَارِقْ نفسَكَ وتعالى إليّ»(٥).

فأبو يَزِيدَ يَعْجَبُ مِمَّن عَرَفَ اللهَ تَعَالَى ويَعبُدُهُ؛ لأنّهُ يَعْبُدُ نَفسَهُ في دِينِ

(١) «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥).
(٢) المصدر السابق والصفحة.
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣٧).
(٤) «كشف المحجوب» (٢/ ٥٧٣).
(٥) «الطّبقات الكبرى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٧٦).

أهلِ وِحْدَةِ الوجُودِ. ثُمَّ يَتكلَّمُ عَنْ نفسهِ في رحلاتهِ إلى الحجِّ، حيثُ في المرّةِ الثالثةِ عندما بَلَغَ مبلغَ الرِّجالِ في دِينِ الصُّوفيَّةِ؛ رأى رَبَّ البَيْتِ ولَمْ يرَ بَيتًا بزعْمِهِ، لأنّهُ قَدْ فارقَ نفسَهُ واتَّحَدَ بِربِّهِ ومعبودهِ. الأمرُ الذي حملَهُ على قِلَّةِ الأدبِ في أقوالِهِ وأفعالِهِ مع اللهِ تَعَالَى، فصدرَتْ عنهُ جُملةٌ عَظيمةٌ مِنْ أنواعِ الوقاحاتِ التي تكفي الواحدةُ منها للحُكْمِ على صاحبِها بالكفرِ والمُروقِ مِنْ دِينِ الإسلامِ. تلك التي يُزيّنُها الصُّوفيَّةُ ويَصِفُونَها بالشَّطَحَاتِ، فقَدِ اشتهرَ بِهَا أبو يَزِيدَ شُهرةً عظيمةً، حتَّى صَنَّفَ أَحَدُ مُحبّيهِ ومُريديهِ كِتابًا جَمَعَ فيه تلكَ الطَّامَّاتِ وسَمّاه «النورَ مِنْ كلماتِ أبي طيفور»[1].

وقَدْ دَأَبَ **الصُّوفيَّةُ** على الاعتمادِ على تلك الكلماتِ والشَّطَحَاتِ يَنهلونَ منها عَقائِدَهُمْ وأَخلاقَهُمْ وأحوالَهُمْ، يَتأَسُّوْنَ بأبي يَزِيدَ في طَريقِهِمُ المزعومِ إلى الاتِّصالِ والاتِّحادِ بِربِّهِمْ ومَعبودِهِمْ، وها هي طائفةٌ مِن أقوالِهِ وشَطحاتِهِ:

- فرُوِيَ بالإسنادِ إلى رجلٍ مِنْ أصحابهِ دَقَّ عليهِ بابَ دارِهِ، فقال **أبو يَزِيدَ**: «مَنْ تَطْلُبُ؟ فقال: أَطلبُ أبا يَزِيدَ. فقال: مُرَّ وَيْحَكَ! فليسَ في الدَّارِ غيرُ اللهِ»[2].

- وأنّهُ قال: «**سُبحاني سبحاني مَا أعظَمَ شأني. حسبي مِنْ نفسي حسبي، تراني عيونُ الخَلْقِ أني مثلهم، ولَوْ رأوني كَيف صِفَتِي في الغيبِ لماتوا دهشًا**»[3].

---

(١) هكذا عنوان الكتابِ، والصواب أن اسم أبي يزيد: طيفور. ولعلَّهُ يريدُ وصفَ طيفورَ بأنّهُ أبوه. والصُّوفيَّةُ ترى أنَّ الأبَ الحقيقيَّ هو الشّيْخُ؛ لأنه أبٌ روحيٌّ للمُريدِ، وحقُّهُ أعظمُ مِنْ حقِّ الأبِ في الدّمِ والنّسَبِ.

(٢) «النور مِنْ كلمات أبي طيفور» ـ المطبوع ضمن «شَطَحَات الصُّوفيَّةِ» (ص: ٨٤).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٠١).

ـ وقال أيضًا: «أَدْخَلَني مدخلًا أراني الخَلْقَ كلَّهُمْ بَيْنَ أصبعيَّ»[١].

ـ وقال أيضًا: «سُبحاني سبحاني مَا أعظمَ سُلطاني»[٢].

ـ وقال أيضًا لمّا قرأ رَجُلٌ عِنْدَهُ قولَهُ تعالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑫﴾ [البروج ١٢]؛ قال: «وحياتِهِ! إنَّ بَطْشِي أَشَدُّ مِنْ بَطْشِهِ»[٣].

ـ وقال أيضًا: «**أَدْنَى صِفَةِ العارِفِ: أنْ تَجريَ فيه صِفَاتُ الحقِّ، ويجري فيه جِنْسُ الرُّبُوبيَّةِ**»[٤].

ـ وقال أيضًا: «رُفِعْتُ مرّةً حتَّى أُقِمْتُ بَيْنَ يديهِ، فقال لي: يا أبا يَزِيدَ! إنَّ خَلْقِي يريدون أنْ يَروْكَ. قال أبو يَزِيدَ: يا عزيزي! إني لَا أُحِبُّ أنْ أَراهم، فإنْ أحببتَ ذلك مني فإنّي لَا أَقْدِرُ أنْ أُخالِفَكَ؟ فزَيِّنّي بوحدانيّتِكَ حتَّى إذا رآني خَلْقُكَ، قالوا: رَأيناك. فتكون أنتَ ذاكَ، ولَا أكون أنا هناك. قال أبو يَزِيدَ: ففعلَ ذلك، فأقامني، وزَيَّنَنِي، ورَفَعَني. ثُمَّ قال: اُخرجْ إلى خَلْقِي. فخطوتُ مِنْ عِندهِ خُطوةً إلى الخَلْقِ، فَلَمّا كان الخطوةُ الثانيةُ غُشي عليَّ، فنادى: رُدّوا حبيبي فإنَّهُ لَا يَصْبِرُ عنّي»[٥].

ـ ولما سُئِلَ: «بِمَ نِلْتَ مَا نِلْتَ؟ قالَ: انسلختُ مِنْ نفسي كما تَنسلِخُ الحيَّةُ مِنْ جِلْدِها، ثُمَّ نظرتُ إلى نفسي، فإذا أنا هو»[٦].

هذه بعضُ أقوالِهِ التي ما زال المُتَصَوِّفَةُ يَتغَنَّونَ بِهَا ويَجعلونها مثلًا أَعْلَى لَهمْ زاعمينَ أنّهُ قَدْ بَلَغَ مَقامًا عظيمًا ومنزلةً رفيعةً بمُجاهداتِهِ وسُلوكيَّاتهِ، وهُمْ على سُنَّتِهِ مَاضُونَ، رجاءَ البلوغِ والوصولِ لتلكَ المنزلةِ. وأقوالُهُ هذه واضحةٌ في بيانِ مَقْصَدِهِ ومَقْصِدِ أهلِ التَّصَوُّفِ، ومَدارُها كُلُّها على هَدْمِ دِينِ الإسلامِ وأركانِ التوحيدِ مِنْ أساسِه.

---

(١) «الطّبقات الكبرَى» (ص: ١٠٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٣).
(٣) «الطّبقات الكبرَى» (ص: ١٤٣).
(٤) المصدر السابق (ص: ١٤٤).
(٥) المصدر نفسه (ص: ١٤٩). وذكره الطُّوسِيُّ في «اللُّمَع» (ص: ٤٦١).
(٦) «الطّبقات الكبرَى» (ص: ١٥١).

وقَدِ اختصرَها **أبو يَزِيدَ** وبَيَّنَ زُبْدَتَها أنّهُ يَهدِفُ أنْ تَجريَ فيه صِفَاتُ الحقِّ وخَصائصُ الرُّبُوبِيَّةِ. لذلك فقَدْ روى عنهُ صاحبُ «**كتابِ النور**» المزعومِ بإسنادِهِ إليه أنّهُ قال: «وَدِدْتُ أنْ قَامَتِ القِيَامَةُ حتَّى أنصبَ خَيمتي على بابِ جَهَنَّمَ. فسأله رجلٌ: ولِـمَ ذلك يا أبا يَزِيدَ؟ قال: إني أَعلمُ أنَّ جَهَنَّمَ إذا رَأَتْني تَخْمِدُ، فأكونُ رحمةً لِلْخَلْقِ»(١).

إنَّ هذه **الشَّطَحَاتِ** مِنْ أعظمِ تُراثِ الصُّوفيَّةِ ونِبْراسِها في طَريقِها لِمُحَارَبَةِ الإسلامِ، ولقَدْ جَنَّدَ بعضُ شُيوخِهِمْ نفسَهُ في إيجادِ تأويلاتٍ لها؛ دِفاعًا عَنْ هذا الـمُجْرِمِ الذي أظهرَ الجُرْأَةَ على اللهِ تَعَالَى والوقاحةَ في حَقِّهِ سُبْحانَهُ، **فمن ذلكَ**:

- خَصَّصَ السّرّاجُ الطُّوسِيُّ بَابًا في ذلك، فقال: «بابٌ في كلماتٍ شطحياتٍ تُحكى عَنْ أبي يَزِيدَ قَدْ فَسَّرَ الجُنَيْدُ طرفًا منها»(٢).

وقَدْ بذلَ سَيّدُ الطائفةِ المزعومةِ **الجُنَيْدُ** جُهْدَهُ في الدِّفَاعِ عَنْ **أبي يزيدَ طيفور**، واعتذرَ عنهُ بالجُملةِ، فقال: «وكان مِنْ كَلامِ أبي يَزِيدَ لِقُوَّتِهِ وغَوْرِهِ وانتهاءِ معانيهِ مُغْتَرَفٌ مِنْ بَحْرٍ قَدِ انفردَ بهِ، وجُعِلَ ذلك البَحْرُ لهُ وَحْدَهُ»(٣). ثُمَّ أخذَ في الاعتذارِ عَنْ بعضِ أقوالِهِ وأحوالِهِ على التفصيلِ.

- ويقولُ أبو نُعَيْم بَعْدَ إيرادِهِ لجُملةٍ مِنْ شَطَحيَّاتِهِ وأحوالِهِ مَا نَصُّهُ: «اقتصرْنَا على هذا القَدْرِ مِنْ كلامِهِ؛ لِما فيه مِنَ الإشاراتِ العميقةِ التي لَا يَصِلُ إلى الوقوفِ على مودِعها إلّا مَنْ غاصَ في بحرِهِ، وشَرِبَ مِنْ صافي أمواجِ صَدْرِهِ، وفَهِمَ نافثاتِ سِرِّهِ الـمُتولدةِ الـمُنتشرةِ مِنْ سُكْرِهِ»(٤).

- ويقولُ الشَّعرانيُّ: وسُئِلَ أبو عَلِيٍّ الجوزجانيُّ عَنِ الألفاظِ التي

(١) «الطّبقات الكبرَى» (ص: ١٤٧).
(٢) «اللُّمَع» للسّرّاج الطُّوسِيِّ (ص: ٤٥٩ ـ ٤٧٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ٤٥٩).
(٤) «حِلْيَة الأولياءِ» (١٠/٤١).

تُحكَى عَنْ أبي يَزِيدَ، فقال: «أبو يَزِيدَ نُسَلِّمُ لهُ حَالَهُ، ولَعَلَّهُ تكَلَّمَ بِهَا على حَدِّ غَلَبَةٍ أو حالِ سُكْرٍ، ومَنْ أَرادَ أنْ يَرتَقيَ إلى مَقام أبي يَزِيدَ فلْيُجَاهِدْ نفسَهُ كما جَاهدَ أبو يَزِيدَ، فهناك يَفْهَمُ كلامَ أبي يَزِيدَ»[(١)].

فأبو يَزِيدَ يَغْرِفُ مِنْ بحرِ وِحْدَةِ الوجُودِ، ذلك البحرُ الذي هو مُنتهى الصُّوفيَّةِ في توحيدِهِمْ ودِينِهِمْ، وهو مَقامٌ لَا يَليقُ إلَّا بالخواصِّ منهم أو خاصّتِهِمْ أيضًا.

▪ ويقولُ الجُنَيْدُ مُبيِّنًا توحيدَهُمْ: «التوحيدُ الذي انفردَ بِهِ الصُّوفيَّةُ هو إفرادُ القِدَمِ عَنِ الحَدَثِ، والخروجُ عَنِ الأوطانِ، وقَطْعُ المَحَابِّ، وتركُ مَا عُلِمَ وجُهِلَ، وأنْ يَكونَ الحقُّ مكانَ الجميعِ»[(٢)].

إنَّ هذا القولَ يَحتاجُ إلى وَقْفَةٍ وتَأمُّلٍ؛ فإنَّ كثيرًا مِنْ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ وعَامّتِهِمْ يُرَدِّدون الشَّطْرَ الأوّلَ منهُ «إفرادُ القِدَمِ عَنِ الحَدَثِ» أو «إفرادُ القديمِ عَنِ الحادِثِ»، ويَحتجُّونَ بهذا القولِ على أنَّ صَاحِبَهُ مُوَحِّدٌ، ومُوافِقٌ لمَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ؛ لأنّهُ يَرى أنَّ المرءَ لَا يكونُ مُوحِّدًا إلَّا إذا نَزَّهَ وأفردَ الحقَّ عَنِ الخَلْقِ.

والمتأمِّلُ لِنَصِّ كلامِ **الجُنَيْدِ** بكاملهِ؛ يرى أنَّ مذهبَهُ في التوحيدِ هو عَيْنُ وِحْدَةِ الوجُودِ، فهو يُرِيدُ بالإفرادِ مَا ذَكَرَهُ في نهايةِ قولِهِ: «وأنْ يَكونَ الحقُّ مكانَ الجميعِ»، فيُحمَلُ مُرادُهُ بإفرادِ القِدَمِ عَنِ الحَدَثِ بِأنْ يُؤمِنَ المرءُ بأنَّ الحقيقةَ واحدةٌ، فلا يَجوزُ أنْ يُؤمِنَ الموحِّدُ عِنْدَهُمْ بِأنَّ للحقِّ حقيقةً، وللخلقِ حقيقةً. ويَجِبُ إفرادُ الحقِّ والقديمِ بالحقيقةِ والوجودِ. وأمَّا الحَدَثُ والخَلْقُ؛ فلا حقيقةَ لوجودِهِمْ. وبهذا يكونُ قَدْ أُفْرِدَ القديمُ عَنْ مُشابهةِ الحَدَثِ في عَقيدتِهِمْ ودِينِهِمْ. ويؤيّدُ هذا المَعنَى ويُؤكِّدُهُ مَا جاءَ في تفسيرِهِ

(١) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٧٧).
(٢) «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦)، و«الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٥).

للتوحيدِ كما تقدمَ ذكرُهُ[(١)].

• وأمَّا **الحَلَّاجُ**؛ فقَدِ استفادَ مِنْ أقوالِ مَنْ سَبَقَهُ، مِمَّن ذَكَرَ حالَ الفَنَاءِ والاتِّحادِ مع اللهِ تَعَالَى، وبَلْوَرَها بِزندقَتِهِ، وأظهرَ مَا كَتَمَهُ غَيْرُهُ، وكَشَفَ مَا سَتَرَهُ مَنْ كان قَبْلَهُ حتَّى فضحَ التَّصَوُّفَ والصُّوفيَّةَ، ومِن أقوالِهِ:

ـ «يا إلٰهَ الآلهةِ، ويا رَبَّ الأربابِ... رُدَّ إليَّ نفسي لِئَلَّا يَفتَتِنَ بي عِبادُكَ، يا مَنْ هو أنا وأنا هو»[(٢)].

ـ وفي رسالةٍ كَتبَها لأحَدِ تلامذتِهِ يقولُ فيها: «سَتَرَ اللهُ عنك ظاهرَ الشَّريعةِ، وكشفَ لك حقيقةَ الكُفْرِ، **فإنَّ ظاهرَ الشَّريعةِ كُفْرٌ خَفِيٌّ وحقيقةُ الكُفْرِ مَعرفةٌ جَلِيَّةٌ**». حتَّى يَقولَ في ختامِها: «وإيّاكَ والتوحيدَ. والسلام»[(٣)].

ـ وقال لهُ تلميذُهُ: دُلَّنِي على التوحيدِ. فقال: «التوحيدُ خَارِجٌ عَنِ الكلمةِ حتَّى يُعَبَّرَ عنهُ». قلتُ: فما مَعنَى **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**؟ قال: «كَلِمَةٌ شَغَلَ بِهَا العَامّةَ لِئَلَّا يختلطوا بأهلِ التوحيدِ...»، وقال: «**مَنْ زَعَمَ أنّهُ يُوَحِّدُ اللهَ فقَدْ أَشْرَكَ**»[(٤)].

فتوحيدُ أهلِ الحقِّ عِنْدَهُمْ حِجَابٌ وشَاغِلٌ للعَامَّةِ مِنَ النَّاسِ لِئَلَّا يَبلُغوا توحيدَ الصُّوفيَّةِ، وفي هذا دَلالةٌ قاطعةٌ على أنَّ مُرادَهُمْ مِنَ التوحيدِ أمرٌ آخرُ يَختلِفُ عما جاءَ بِهِ الإسلامُ وعَمَّا يَعتقِدُهُ أهلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، لذلك جاءَ عنهُ قولُهُ:

«كفرتُ بدينِ اللَّهِ والكُفْرُ واجب   لَدَيَّ وعِندَ المُسلِمينَ قَبيح»[(٥)]

فالكُفْرُ عِنْدَهُمْ بتوحيدِ المُسلِمينَ ودِينِهِمْ هو أَوّلُ دَرجاتِ الطَّريقِ في وُصولِهِمْ إلى اتِّحادِهِمْ مع رَبِّهِمْ. لذلك فإنَّهُ يفتخرُ بتأسِّيهِ **بإبليسَ وفِرعونَ**،

---

(١) راجع: (ص: ٦٤١، وما بعدَها) حيثُ ذكرَ السّرّاجُ الطُّوسِيُّ عَنِ الجُنَيْدِ توحيدًا للعَامَّةِ، وآخرَ للخاصّةِ. فتوحيدُ العَامّةِ يوافقُ في ظاهرهِ ولفظِهِ أهلَ السُّنَّةِ، وأمَّا توحيدُهُمْ فهو وِحْدةُ الوجودِ.

(٢) «أخبار الحلَّاج» (ص: ٢٩).

(٣) «أخبار الحلَّاج» (ص: ٥٠).

(٤) المصدر السابق (ص: ٥٦).

(٥) المصدر نفسه (ص: ٨٦).

وأنّهما مِنْ أعظمِ أهلِ التوحيدِ؛ حيثُ يقولُ: «وما كان في أهلِ السماءِ مُوَحِّدٌ مثلَ إبليسَ»[(١)]. ومعلومٌ أنَّ مُرادَهُ بالتوحيدِ هو مَا عليهِ أهلُ التَّصَوُّفِ والانحرافِ مِنْ وِحْدَةِ الوجُودِ.

- وجاءَ في شِعرهِ المُنحرفِ:

«سُبْحَانَ مَنْ أظهرَ نَاسُوتَه سِرُّ سنا لاهوته الثاقب
ثُمَّ بدا في خَلْقِهِ ظاهرًا في صُورة الآكل والشّارِب
حتَّى لقَدْ عاينهُ خَلْقُه كلحظةِ الحاجب بالحاجب»[(٢)]

- وقال أيضًا:

«أنا أنت بِلَا شك فسبحانك سبحاني
فتوحيدك توحيدي وعصيانك عصياني
وإسخاطك إسخاطي وغُفرانك غفراني
ولِمَ أُجلَدُ يا ربّي إذا قِيلَ هو الزّاني»[(٣)]

فالحاصلُ: أنَّ **الحَلَّاجَ** المُلْحِدَ قَدْ أظهرَ مَذهبَهُ الحُلُوليَّ في كثيرٍ مِنْ أقوالهِ نَظْمًا ونَثْرًا بصُورةٍ وَاضِحَةٍ لَا تَحتمِلُ أيَّ تأويلٍ، فقَدْ كَشَفَ السِّرَّ الصُّوفِيَّ المزعومَ في وَقْتٍ مُبكِّرٍ فاستحقَّ القتلَ بزعمِ أكثرِهِمْ.

▪ وسُئل **أبو بَكْرٍ الشِّبْليُّ** عَنِ التوحيدِ عِنْدَهُمْ، فقال: «ويحك! مَنْ أجابَ عَنِ التوحيدِ بالعبارةِ فهو مُلْحِدٌ، ومَنْ أشارَ إليه فهو ثَنويٌّ، ومَنْ أَوْمَأَ إليه فهو عَابِدُ وَثَنٍ، ومَنْ نَطَقَ بهِ فهو غَافِلٌ، ومَنْ سَكَتَ عنهُ فهو جَاهِلٌ»[(٤)].
وقال أيضًا: «التوحيدُ حِجابُ الموحّدِ عَنْ جمالِ الأَحَدِيَّةِ»[(٥)].

---

(١) «الطواسين» المطبوع ضمن «أخبار الحَلَّاج» (ص: ٩٦).
(٢) مجموعة مِنْ شعر الحَلَّاج ـ مطبوع ضمن «أخباره» و«طواسينه» (ص: ١٢٧).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٤٤).
(٤) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٤)، والرسالة القشيرية (٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).
(٥) «كشف المحجوب» (٢/ ٥٢٦).

إنّ توحيدَ **أهلِ الحقِّ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ** حِجابٌ لأهلهِ؛ لِئَلَّا يَختلطوا بأهلِ التوحيدِ **الصُّوفيّةِ** على حَدِّ قولِ **الحَلَّاجِ** المتقدمِ، ولئلا يُشاهِدوا جمالَ الأَحَدِيَّةِ؛ أَي: الاتِّحادَ بِاللهِ تَعَالَى بِزَعمِهِمْ. تَعَالَى اللهُ رَبُّنَا العظيمُ عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

• ثُمَّ جاءَ إمامُهُمْ **أبو حَامِدٍ الغَزاليُّ** الذي آمَنَ بأنَّ المُنْقِذَ مِنَ الخُسْرَانِ في الدَّارينِ يَكمُنُ في كُشوفاتِ الصُّوفيَّةِ وأنوارِهِمُ المزعومةِ، حيثُ يَنُصُّ على ذلك فيقولُ في مُقدّمةِ كتابهِ «الإحياء»: «العِلْمُ الذي يُتوجّهُ بهِ إلى الآخرةِ يَنقسمُ إلى قسميْنِ: عِلْمُ المُعاملةِ، وعِلْمُ المُكاشفةِ»[(١)]. ثُمَّ يُوضِّحُهُ فيقولُ: «وهو عِلْمُ الصّدّيقينَ والمُقرّبينَ، أعني عِلْمَ المُكاشفةِ، فهو عِبارةٌ عَنْ نُورٍ يَظهَرُ في القَلبِ... ويَنكشِفُ مِنْ ذلك النُّورِ أُمورٌ كثيرةٌ كان يَسْمَعُ مِنْ قَبْلُ أسماءَها، فيتوهَّمُ لها مَعانيَ مُجملةً غيرَ مُتَّضِحَةٍ، فتَتَّضِحُ إذْ ذاك حتَّى تحصلَ المعرفةُ الحقيقيَّةُ بذاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبصفاتهِ... وبأفعالهِ وبحِكَمِهِ في خَلْقِ الدُّنيا والآخرةِ... والمعرفةِ بِمعنَى النُّبُوّةِ وَالنَّبِيِّ ومعنى الوَحْيِ ومعنى الشَّيْطَانِ ومعنى لَفْظِ الملائكةِ..والمعرفةِ بملكوتِ السمٰواتِ والأرضِ..ومعرفةِ الآخرةِ والجَنَّةِ والنَّارِ وعَذَابِ القَبْرِ والصّراطِ والميزانِ والحسابِ... فنَعْني بِعِلْمِ المُكاشفةِ أنْ يَرْتَفِعَ الغَطاءُ حتَّى تَتَّضِحَ لهُ جَلِيَّةُ الحقِّ في هذه الأُمُورِ اتِّضَاحًا يَجري مَجرَى العِيَانِ»[(٢)].

إنَّ نَظَرِيَّةَ **الكَشْفِ** المزعومةَ قَدْ دَندَنَ الغَزاليُّ حولَها كثيرًا، ورَبَطَها بالعُلوم الشَّرعيَّةِ وبالأديانِ حتَّى جَعَلَها أَرْقَى العُلوم وأعظمَها وأهمَّهَا. وهذه النظريَّةُ الخبيثةُ هي التي شَجَّعَتِ التَّصَوُّفَ الفلسفيَّ بَعْدَ **الغَزاليِّ** على التَّطَرُّفِ والغُلُوِّ دُونَ حَرَجٍ بِدعوى وكُلُّهُمْ يَدَّعِي أنّهُ تَوصَّلَ إلى مَا يَزْعُمُهُ مِنْ نَتائجَ وعُلُومٍ لَدُنّيَّةٍ ومعرفةٍ حقيقيَّةٍ بالكشفِ والمُشاهدةِ لِعَالَمِ الغَيْبِ والملكوتِ.

(١) «إحياء علوم الدِّين» (١/ ٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٨).

والحقُّ أنّهم وَجَدُوا بَابًا عظيمًا وَلَجُوا فيه ومارسوا أنواعَ الغُلُوِّ باسمِ عِلْمِ المُكاشفةِ الذي عَدُّوه أَعظمَ العُلومِ الموصِّلَةِ إلى الجَنَّةِ والنّعيم.

فالغَزاليُّ شَجَّعَ مَنْ جاءَ بعدَه وأَحرزَ للتَّصَوُّفِ مكانةً مرموقةً في التُّراثِ الإسلاميِّ عِنْدَ العَامّةِ مِنَ المُسلِمينَ مِمَّن يَجهلون حقائقَ التَّصَوُّفِ وانحرافاتهِ وبِدَعَهُ. وما زالَ كثيرٌ مِنْ عَوامِّ المُسلِمينَ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ ـ بلْ وحتَّى بعضِ طَلَبَةِ العِلْمِ منهم ـ يُرَدِّدُ عباراتِ الصُّوفيَّةِ بحُسْنِ نِـيَّـةٍ على أنَّها مِنَ التُّراثِ الإسلاميِّ الذي يَجِبُ الاعتزازُ بِهِ؛ لأنّهُ صَدَرَ عَنْ أُناسٍ بَلغوا القِمَّةَ في الزُّهْدِ والعبادةِ بِزَعمِهِمْ، الأمرُ الذي أَوصلَهُمْ لمعرفةِ كثيرٍ مِنَ الأُمُورِ الغَيبيَّةِ بالكشفِ والاطلاعِ والمُشاهدةِ التي أَكرمهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهَا.

ويَتخوّفُ الكثيرُ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ أنْ يُطْعَنَ فيهم وفي أقوالِهِمْ بهذهِ الحُجَّةِ الشَّيْطَانيَّةِ التي يُخوِّفُ دُعَاةُ التَّصَوُّفِ بِهَا العَامّةَ. فيقولُ **الغَزاليُّ** مثلًا مُخوّفًا مَنْ يُنكِرُ هذا العِلْمَ، أو يُنْكِرُ على أهلِهِ: «وأقلُّ عُقوبةِ مَنْ يُنْكِرُهُ أنّهُ لَا يَذوقُ منهُ شَيئًا»[(١)]. وهذا أقلُّ مَا قيلَ فيمَن يُنكِرُ هذا الباطلَ وهذه البِدْعَةَ. وقَدْ تقدم ذكرُ شَيْءٍ كثيرٍ مِمَّا يَزْعُمُهُ الظالمون تخويفًا للعَامَّةِ مِنَ التّصدي لَهمْ ولباطِلِهِمْ[(٢)].

ـ ويقولُ **الغَزاليُّ** مُبيِّنًا هذه العقيدةَ بعنوان «حقيقة الحقائق». فيقولُ: «مِنْ هنا تَرَقَّى العارفون مِنْ حَضيضِ المجازِ إلى يفاعِ الحقيقةِ، واستكملوا مِعْرَاجَهُمْ، فرأوا بالمُشاهدةِ العيانِيَّةِ أنْ ليس في الوجودِ إلَّا اللهُ تَعالَى»[(٣)]. ثُمَّ أخذَ يُدَافِعُ عَنْ أهلِ الباطلِ وأقوالِهِمُ المُنحرفةِ وأحوالِهِمُ المُنْكرةِ على ضَوْءِ مَا قَرَّرَهُ مِنْ نَظرِيَّاتِ الكشفِ والاطلاعِ والمعراجِ؛ لِيَفْتَحَ بذلك بابَ شَرٍّ عظيمٍ على الإسلامِ وأهلِهِ، فيقولُ: «العارفون بَعْدَ العُروجِ إلى سماءِ الحقيقةِ

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (١/ ١٨).
(٢) انظر: (ص: ٣٩٣، وما بعدها) و(ص: ٥٠٤).
(٣) «مِشكاة الأنوار» للغَزاليِّ (ص: ٥٥).

اتّفقوا على أنّهم لَمْ يَروْا في الوجودِ إلّا الواحدَ الحقَّ. . وانتَفَتْ عَنهُمُ الكَثْرةُ بالكُلّيَّةِ، واستغرقوا بالفردانيَّةِ المحضةِ، واستوفيت فيها عقولُهم، فصاروا كالمبهوتينَ فيهِ. . . فلَمْ يَكُنْ عِندَهُمْ إلّا اللهُ، فسَكَروا سُكْرًا رُفِعَ دُونَهُ سُلطانُ عُقولِهم، فقال أحدُهُمْ: «أنا الحقُّ»، وقال الآخرُ: «سُبحاني مَا أعظمَ شأني»، وقال آخرُ: «مَا في الجُبَّةِ إلّا اللهُ»، وكلامُ العُشّاقِ في حالِ السُّكْرِ يُطوى ولَا يُحكى»[(١)].

فالغَزاليُّ استخدمَ اصطلاحاتِ الفلاسفةِ والمُتَصَوِّفَةِ، وصَبَغَها بصبغةٍ شَرعيَّةٍ دِينيَّةٍ، وهذا شَجَّعَ مَنْ جاءَ بَعْدَهُ مِنَ **الباطنيَّةِ** على بَثِّ سُمُومِهِمْ ونَظَرِيَّاتِهمُ الخبيثةِ، حتَّى جعلَ **ابنُ عَرَبِيٍّ والجيليُّ** مِنْ نظريَّةِ وِحْدَةِ الوجُودِ الكُفْرِيَّةِ مُنتهى دَعْوةِ الرُّسُلِ جميعًا وغَايةَ الأديانِ وأصلَ الشَّرْعِ. ويقولُ أحمدُ بنُ يحيى الجلاءُ: «مَنْ رَأى أنَّ الأفعالَ كُلَّها مِنَ اللهِ فهو مُوحّدٌ»[(٢)]. هذا هو المُوحِّدُ في دِينِ هؤلاءِ المُنحرفينَ.

■ وقَدْ كتبَ **ابنُ عَرَبِيٍّ** رسالةً إلى الرازيِّ، جاء فيها: «قيلَ إنَّ بعضَ الصّادقينَ دَعَا إلى اللهِ ﷻ بحقيقةِ التوحيدِ، فلمْ يَسْتَجِبْ إلّا الواحدُ بَعْدَ الواحدِ، فعجبَ مِنْ ذلك، فأوحَى اللهُ تَعَالَى إليه: تُرِيدُ أنْ تَستجيبَ لك العُقولُ؟ قال: نَعَمْ. قال: أُحْجُبْني عنهم»[(٣)].

حَقيقةُ التوحيدِ هي نَظَرِيَّتُهُمُ الخبيثةُ التي تَزْعُمُ وِحْدَةَ الوجُودِ، والحجابُ المقصودُ هنا هو التوحيدُ الحقُّ الذي عليهِ أهلُ الإسلامِ. وقوله

(١) «مِشكاة الأنوار» للغَزالِيِّ (ص: ٥٧). (٢) «الطّبقات الكبرَى» للشَّعْرَانِيِّ (١/ ٨٨).
(٣) «رسالة الشّيْخ إلى الإمامِ الرازي» ـ ضمن مجموعة رسائل ابنِ عَرَبِي، الجزء الأول (ص: ٩). يريدُ أنه دعاهم إلى الوحدةِ وجمالِ الأحديَّةِ المزعومةِ ـ أي: توحيدَ الصُّوفيَّةِ ـ فأمرَهُ رَبُّهُ أنْ يحجبَهُ عَنِ الخلقِ، أي: أمره أنْ يدعوَهُمْ إلى توحيدِ أهلِ السُّنَّةِ والعَامَّةِ بِزَعمِهِمْ، فتوحيدُ أهلِ السُّنَّةِ هو الحجابُ عن جمالِ الأحديَّةِ بِزَعمِهِمْ؛ أي: أنْ أردتَ استجابةَ النَّاسِ فادعُوهم إلى توحيدِ أهلِ السُّنَّةِ. انظر: (ص: ٤١٧) «التوحيد حجاب الموحد».

هذا مُستفادٌ مِنْ أقوالِ المُتَصَوِّفَةِ المتقدمينَ مثل الحَلَّاجِ[(١)] والشِّبْليِّ[(٢)].

- ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** أيضًا: «وحقيقةُ عِلْمِ التوحيدِ بَاطِنُ المعرفةِ... ولَا يَسَعُ معرفةَ ذلك الكافّةُ، وإفشاءُ سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ كُفْرٌ... عِلْمُ التوحيدِ، الاسمُ منهُ وَحْدَانِيٌّ، فالتوحيدُ وَصْفُهُ، وفَوْقَهُ عِلْمُ الاتِّحادِ، فالوَصْفُ منهُ مُتّحِدٌ، وفوقُهما عِلْمُ الوحدانيَّةِ، فالاسمُ منهُ وَاحِدٌ، وفوقَ ذلك عِلْمُ الأَحَدِيَّةِ، الاسمُ منهُ أَحَدٌ. هذه أَسماءٌ لها صِفاتٌ وأَوصافٌ لها أنوارٌ»[(٣)].

فالتوحيدُ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَا يَسَعُ مَعرفتُهُ عَامَّةَ النَّاسِ، فيَجِبُ سِتْرُهُ عنهم؛ لأنَّ في كَشْفِهِ لغيرِ أهلِهِ إفشاءً لِسِرِّ الرُّبُوبِيَّة المُفْضِي إلى الكُفْرِ بزَعمِهِمْ.

- ويقولُ **ابنُ عَرَبِيٍّ** - مُتلَاعِبًا بنُصُوصِ القُرآنِ الكريم بالتأويلِ والتحريفِ تَرويجًا لمذهبِهِ الفاسدِ - في تَفسيرِ قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٣٠]، يقولُ: «ادْخُلِي جَنَّتِي التي بِهَا سِتْرِي، وليستْ جَنَّتي سواك. فأنت تَستُرُني بِذَاتِكَ، فلا أُعْرَفُ إلَّا بِكَ... فمَن عَرفَكَ عَرَفَني... فإذا دَخَلْتَ جَنَّتَهُ، دَخلتَ نفسَكَ، فتعرفُ نفسَكَ مَعرفةً أُخْرَى غيرَ المعرفةِ التي عَرفْتَها حين عَرَفْتَ رَبَّكَ بمعرفتِكَ إيّاها. فتكون صاحبَ معرفتينِ: مَعْرِفَةٌ بِهِ مِنْ حيثُ أنتَ، ومَعرفةٌ بِهِ بِكَ مِنْ حيثُ هو لَا مِنْ حيثُ أنتَ:

فأنتَ عَبدٌ وأنتَ رَبٌّ ... لمن لهُ فيه أنت عبد
وأنتَ رَبٌّ وأنتَ عَبدٌ ... لمن لهُ في الخطاب عهد

[ثُمَّ يقولُ:] فرَضِيَ اللهُ عَنْ عَبيدِهِ، فهم مَرضيّونَ، ورَضوا عنهُ فهو مَرْضِيٌّ. فتقابلتِ الحضرتانِ تقابلَ الأمثالِ، والأمثالُ أضدادٌ، لأنَّ المثلينِ لَا يجتمعانِ إِذْ لَا يتميّزانِ. وما ثَمَّ إلَّا متميز، فما ثَمّ مثل، فما ثَمَّ في الوجودِ مثل، فما في الوجودِ ضِدٌّ، فإنَّ الوجودَ حقيقةٌ واحدةٌ، والشيءُ لَا يضادُّ نفسَهُ، [ثُمّ أنشدَ قائلًا]:

---

(١) تقدم قوله في (ص: ٦٤٩). (٢) تقدم قوله في (ص: ٦٥٠).

(٣) «رسالة الشّيْخِ إلى الإمامِ الرازي» - ضمن مجموعة رسائل ابنِ عَرَبِي - (١/ ١٠ - ١١).

فلمْ يبق إلَّا الحقّ لَمْ يبق كائن ... فما ثمّ موصول وما ثمّ بائن
بذا جاءَ برهان العيان فما أرى ... بعيني إلَّا عينه إذْ أعاين»[(١)]

فالوجُودُ عِنْدَه وعِنْدَ مَنْ على شَاكِلَتِهِ في الضَّلالِ حَقيقةٌ واحدةٌ؛ لأنَّ إثباتَ حقيقةِ الحقِّ وحقيقةِ الخَلْقِ يُؤدِّي عِنْدَهُمْ إلى اجتماعِ المِثْلَيْنِ والضِّدَّيْنِ، وهذا محالٌ على حسبِ بُنيانِهِمُ الذي بَنوْا عليهِ عَقائِدَهُمْ ونظريَّاتِهِمُ المُنحرفةَ. وقَدْ بَنوْا أصلَهُمُ الفاسدَ على مُقدمةٍ فاسدةٍ تَخمَّرتْ في عُقولِهِمْ وقُلوبِهِمُ المريضةِ حيثُ إنَّهُمْ زَعموا أنَّ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩][(٢)] تعني: أنَّ الحقَّ مَرْضِيٌّ والخَلْقَ مَرضيّونَ، فالكُلُّ عِنْدَهُمْ مَرْضِيٌّ، فإذًا الحقُّ والخَلْقُ يَتقابلانِ تقابلَ المِثْلَيْنِ أوِ الضِّدَّيْنِ. وهذا غَيْرُ لَازمٍ إلَّا في عُقولِ الذين استبدلوا الذي هو أَدْنَى بالذي هو خَيْرٌ، وابتعدوا عَنِ الوَحْيِ وعَنِ الشَّرْعِ واتّباعِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

■ ثُمَّ جاءَ (**عبدُ الكَريم الجيليُّ**) وتَبَنَّى عَقيدةَ التوحيدِ الصُّوفيَّةِ وفَصَّلَها وجَعَلَها أصلَ الشَّرْعِ، وحَرَّفَ جُملةً عَظيمةً مِنَ الآياتِ القُرآنِيَّةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ لِتَشْهَدَ لهُ على مَذهبِهِ ومذهبِ قَوْمِهِ، ولَوَى الألفاظَ الشَّرعيَّةَ لِتُوافِقَ اصطلاحاتِهِمْ لإيهامِ الغوغاءِ مِنْ شِيعَتِهِ أنَّ مَذهبَهُمْ هو أصلُ دِينِ اللهِ تَعالَى وشَرْعِهِ، **فمن ذلك**:

ـ يقولُ: «فإنَّ العبدَ إذا أَرادَ الحقُّ ﷻ أنْ يَتجلَّى عليهِ باسمٍ أو صِفَةٍ فإنَّهُ يُفني العبدَ فَناءً يُعْدِمُهُ عَنْ نفسهِ ويَسْلُبُهُ عَنْ وُجودِهِ، فإذا طُمِسَ النُّورُ العَبْدِيُّ وفَنَى الرُّوحُ الخَلْقيُّ أقامَ الحقُّ ﷻ في الهيكل العبديِّ مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ... فإذا أقامَ الحقُّ لَطيفةً مِنْ ذَاتهِ عِوَضًا عَنِ العبدِ كان التَّجلِّي على تلكَ اللَّطيفةِ فما تَجلَّى إلَّا على نفسهِ لَكنّا نُسمِّي تلك اللَّطيفةَ الإلٰهيَّةَ عَبْدًا

(١) شرح الفصوص: الفص السابع، فص حكمه علية في كلمة إسماعيلية (ص: ١٠ ـ ١١٥).
(٢) وقَدْ تكرر قولُهُ تعالى في مواضعَ أُخرَ مِنَ «القُرآنِ الكريم».

باعتبارِ أنَّها عِوَضٌ عَنِ العَبْدِ، وإلّا فلا عَبْدَ ولَا رَبَّ، إذْ بانتفاءِ المربُوبِ انتفَى اسمُ الرَّبِّ، فما ثَمَّ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ الواحدُ الأحدُ»(١).

يَبْنُونَ نظريَّاتِهِمْ على مُقدماتٍ فاسدةٍ يخترعونَها، ويَبنونَ عليها الأحكامَ الفاسدةَ والنتائجَ المُنحرفةَ، يَزْعُمُ أنَّ الحقَّ يَقومُ في الهيكلِ العَبْدِيِّ بِلَا حُلُولٍ، فلسفةٌ صُوفِيَّةٌ تَعتمِدُ على الرُّموزِ والغُموضِ لِتقريرِ الكُفْرِ والضّلالِ وصبغِهما بصبغةٍ شَرعيَّةٍ.

ـ ويقولُ: «﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦]. لَا تَتقيّدُ باسمِ العبدِ، فلولا الرَّبُّ مَا كان العبدُ، أنت أَظهرَتْني كما أنا أَظهرتُك، فلولا عُبوديَّتُكَ لَمْ تَظهرْ لي رُبُوبِيَّةٌ، أنت أَوْجَدْتَني كما أنا أَوجدْتُكَ، فلولا وُجُودُكَ مَا كان وُجُودِي. حَبيبي: الدُّنُوّ الدنو، حبيبي: العلو العلو... حبيبي: كُلْنِي في المَطْعُومِ، تَخيَّلْنِي في المَهمومِ... حبيبي: شَاهِدْنِي في المَحسُوسِ، حَبيبي: اِلْمِسْنِي في المَلمُوسِ... حبيبي: إنيَّتُكَ هي هويّتِي وأنتَ عَيْنُ هو وما هو إلَّا أنا. حبيبي: بَسَاطَتُكَ تَرْكِيبي وكَثْرَتُكَ واحديتي... حبيبي: أنت نقطةٌ عليها دَائرةُ الوجودِ، فكنتَ أنتَ العابدَ فيها والمعبودَ»(٢).

ـ ويَستمِرُّ في التَّلاعبِ بِالنُّصوصِ على هذا النحوِ فيُصَوِّرُ أنَّ رِسالةَ **مُوسَى** ﷺ كانت على قِسمَيْنِ: **قِسْم للعَامَّةِ** وهو مَا أُمِرَ مُوسَى بِتبليغهِ للنَّاسِ عَامَّةً. **وقسم خاصٍّ** وقَدْ أُمِرَ بِكَتْمِهِ فَكَتَمَهُ عَنْ قَوْمِهِ، وهو الذي أظهرهُ **(فِرْعَوْنُ)** بِدعواه الأُلوهيَّةَ والرُّبُوبِيَّةَ لاتِّحادِ الحقِّ بالخَلْقِ عِنْدَهُمْ. لذلك حُكِمَ عليهِ بالكُفْرِ؛ لأنَّ إفشاءَ سِرِّ الرُّبُوبيَّة كُفْرٌ، وقَدْ أفشاها فِرعونُ ولهذا قُتِلَ، وظَلَّ مُوسَى كَاتِمًا ذلك السِّرَّ، ولَوْ أفشاهُ لاتَّهَمَهُ النَّاسُ بِقتلِ فِرعونَ. **أَيْ: أنَّ مُوسَى كان على عقيدةِ فِرعونَ على حَدِّ تَعبيرِهِ.**

(١) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (١/ ٦٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ٦٥ ـ ٦٦).

ـ ثُمَّ يَزْعُمُ أنَّ **عِيسَى** ﷺ جاءَ وزَادَ على رسالةِ مُوسَى أنْ أباحَ السِّرَّ، فلذلك ضَلَّ قَوْمُهُ مِنْ بَعدِهِ وكفروا. ثُمَّ جاءَ **مُحَمَّدٌ** ﷺ فَبَلَّغَ عِلْمَ العَامّةِ للعَامَّةِ، وأشارَ إلى سِرِّ الرُّبُوبيَّةِ على حَدِّ زَعْمِهِ بإشاراتٍ لَا يَعقِلُها إلَّا الخاصَّةُ مِنَ النَّاسِ وهُمُ الصُّوفيَّةُ(١).

ـ ثُمَّ يَشْرَحُ **حديثَ النُّزولِ** على حَسَبِ مَشْرَبِهِ المُنحرفِ فيقولُ: «والمعرفةُ الثالثةُ هو الذَّوْقُ الإلٰهيُّ الذي يَسْري في وُجُودِ العَبْدِ، فينزلُ بِهَا في حَقِّهِ مِنْ غَيْبِهِ إلى شَهادَتِهِ؛ يَعني: تَظهرُ آثَارُ الرُّبُوبِيَّةِ في جَسَدِهِ فيكون يَدُهُ لها القُدْرَةُ، ولِسانُهُ لهُ التَّكوينُ، ورِجْلُهُ لها الخُطْوَةُ، وعَيْنُهُ لَا يُحْجَبُ عنها شَيْءٌ، وسَمْعُهُ يصْغِي بهِ إلى كُلِّ الوجودِ. وإلى هذا المَعنَى أشارَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بقولِهِ: **حتَّى أكونَ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ**، فيكونُ الحقُّ ظاهرُه وهو البَاطنُ، فالحاصلُ أنَّ المُرادَ بِنُزولِ الرَّبِّ ظُهورُ آثارهِ وصِفَاتِهِ التي هي مِنْ مُقتضياتِ الرُّبُوبيَّةِ، والمرادُ «بسماءِ الدُّنيا» ظاهرُ جِسْمِ الوَلِيِّ»(٢).

ـ ثُمَّ يَتكلَّمُ عَنْ فاتحةِ الكتابِ فيقولُ: «وقال ﷺ: **إنَّ اللهَ قَدْ قسّمَ الفاتحةَ بَيْنَ عَبْدِهِ وبَيْنَهُ**؛ إشارةٌ إلى أنَّ الوجودَ مُنقسمٌ بَيْنَ الخَلْقِ والحقِّ، فالإنسانُ الذي هو الخَلْقُ باعتبارِ ظاهرِهِ هو الحَقُّ باعتبارِ بَاطنِهِ. فالوجودُ مُنقسمٌ بَيْنَ باطنٍ وظاهرٍ. ألَا ترى إلى الصِّفَاتِ النّفسيَّةِ إنَّمَا هي نَفْسُها وعَيْنُها صِفَاتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وكما يُقَالُ في الحقِّ إنّهُ حَيٌّ عَالِمٌ، يُقَالُ في مُحَمَّدٍ إنّهُ حَيٌّ عَالمٌ... فهذه هي انقسامُ الفاتحةِ بَيْنَ الحقِّ تَعَالَى وبَيْنَ عَبدِهِ. فالفاتحةُ بِمَا دَلَّتْ عليهِ؛ إشارةٌ إلى هذا الهيكلِ الإنسانيِّ الذي فَتَحَ اللهُ بِهِ أقفالَ الوجودِ، وانقسامُها بَيْنَ العبدِ وربِّهِ إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ ولَوْ كان خَلْقًا فالحقُّ حقيقتُهُ، فكما أنّهُ حَاوٍ لأوصافِ العُبوديَّةِ كذلك هو حَاوٍ لأوصافِ الرُّبُوبيَّةِ».

---

(١) «الإنسان الكامل»، الباب السادس والثلاثون: في التوراة (١/ ١١٤ ـ ١١٨).
(٢) المصدر السابق للجيليّ (١/ ١٢٩).

ـ وهكذا يَستمِرُّ في أُسْلُوبِهِ الصُّوفِيِّ المُنْحَرِفِ في التَّعرُّضِ للآياتِ والأحاديثِ حتَّى يَقولَ: «فاستفتحَ فاتحةَ الوجودِ وتحقَّقَ العابدُ أنّهُ عَيْنُ المعبودِ»[(١)].

هذه هي غَايَتُهُمْ؛ حَمْلُ النَّاسِ على اعتقادِ أنَّ العابدَ هو عَيْنُ المعبودِ، وأنّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ، فالكلُّ واحدٌ. فالعابدُ ماذا يَعبدُ، ومَنْ يعبدُ؟ وبهذا تَتعطّلُ الأحكامُ وتَبْطُلُ الشَّريعَةُ والدِّينُ.

ـ وقَدْ صَرَّحَ **الجيليُّ** أنَّ «مُداومةَ المرءِ على الكُفْرِ الصَّحيحِ، وإقلالِ الطَّعامِ، والمَنامِ والكلامِ»، وغيرِ ذلك مِنَ الرّياضاتِ الصُّوفيَّةِ؛ هي سَبَبُ حُصُولِ الكراماتِ مِنَ المشيِ على الماءِ، والطّيَرانِ في الهواءِ، وغيرِ ذلك[(٢)].

ـ وعلى هذه النَّظَرِيَّةِ الكُفْرِيَّةِ يَرى الجيليُّ أنَّ أفلاطونَ مِنْ أعاظمِ الأولياءِ، وأنّهُ قُطْبُ الزّمانِ وواحِدُ الأَوَانِ[(٣)]، كما يَزْعُمُ أنّهُ حَيٌّ بَاقٍ إلى يومِ القِيَامَةِ مثلَ الخَضِرِ لأنّهما قَدِ اشتركا في الشُّرْبِ مِنْ ماءِ الحياةِ المزعومِ[(٤)].

ـ وزعمَ أنَّ أهلَ النَّارِ يَتنعَّمُونَ في نَارِ جَهَنَّمَ ويَتلذَّذُونَ فيها، شَأْنُهم في ذلك شَأْنُ أهلِ الجَنَّةِ[(٥)]، كما زَعَمَ أنَّ فيهم مَنْ هو أفضلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ كَثيرٍ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ[(٦)]، وأنّهُ إِنَّمَا أَدخلَهُمْ فيها لِيَتجلَّى عَليهِم فيها. هكذا يَدَّعِي ويُقَرِّرُ باسمِ الكَشْفِ والاطلاعِ المزعومِ. حَشَرَكَ اللهُ مع أفلاطونَ وأهلِ النارِ الذين يَتنعّمون لِتكونَ مَحَلًّا لِلتَّجَلِّي.

ـ ثُمَّ يَستَمِرُّ في تَقْرِيرِ كُفْرِهِ وزَندَقَتِهِ فيقولُ مُعتذِرًا عَنْ إبليسَ الذي كان

---

(١) «الإنسان الكامل» (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٤).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٢).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٢ ـ ٦٣).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٥٣).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٥٤).

اسمُهُ عزازيلَ، إنّهُ امتنعَ عَنِ السّجودِ لآدمَ مُعتقدًا أنّهُ إنْ فعلَ فيكونُ قَدْ سَجَدَ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى فالتبسَ الأمرُ عليهِ، لذلك سُمِّيَ إبليسَ. وأمَّا اللَّعْنُ المذكورُ؛ فإنَّهُ يُلْعَنُ قَبْلَ يومِ الدِّينِ ولأجلٍ مَحدودٍ، ثُمَّ يَرجِعُ بِزَعْمِهِ إلى القُرْبِ المَحْضِ مِنَ الحضرةِ الإلٰهيَّةِ، وذلك بَعْدَ زَوالِ جَهَنَّمَ بِزَعْمِهِ(١).

ـ وحتَّى الكفار على اختلافِهِمْ في الكُفْرِ والضّلالِ عَدَّهُمْ مِنَ العُبَّادِ، وساواهم بأهلِ الأديانِ عَامَّةً، وبأُمّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً. فيَزْعُمُ أنَّ الكفارَ وعُبّادَ الأوثانِ إِنَّمَا يَعبدون اللهَ تَعَالَى في حقيقةِ أمرِهِمْ، فيقولُ مُقَرِّرًا الكُفْرَ: «مَنْ عَبَدَ منهُمُ الوَثَنَ فَلِسِرِّ وُجودهِ سُبْحانَهُ بكمالهِ بِلَا حُلُولٍ ولَا مَزْجٍ في كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أفرادِ ذَرَّاتِ الوجودِ، فكان اللهُ تَعَالَى حقيقةَ تلكَ الأوثانِ التي يَعبدونَها، فما عبدوا إلَّا اللهَ»(٢).

ـ ثُمَّ هكذا يُفَسِّرُ عبادةَ الفلاسفةِ والطّبيعيينَ والثنويَّةِ والمجوسِ وعُبّادِ الكواكبِ، وحتَّى الدَّهْرِيَّةِ والبراهمةِ، فضلًا عَنْ أهلِ الدّياناتِ السّماويَّةِ المُحرّفَةِ، ويَستدِلُّ بِصحَّةِ مَذاهبِهِمْ بِقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣]؛ يَعني: في الدُّنيا والآخرةِ. كما يُفَسِّرُهُ هو لِيوافقَ نَظرِيَّةَ الصُّوفيَّةِ.

ـ ويُقَرِّرُ أنَّ الحيواناتِ في عِبادةٍ للهِ فيقولُ: «كالحرباء فإنها تَعبدُ الشّمسَ، والجُعْلِ يَعبُدُ النّتَانَةَ، وغيرِهما مِنَ الحيواناتِ، فما في الوجودِ حَيوانٌ إلَّا وهو يعبدُ اللهَ تَعَالَى»(٣).

ـ ثُمَّ يَقولُ مُقَرِّرًا أنَّ الكُلَّ في عبادةِ اللهِ: «فمَنْ عَبَدَهُ على الإطلاقِ فهو مُوحّدٌ، ومَنْ عَبَدَهُ على التَّقييدِ فهو مُشْرِكٌ، وكُلُّهُمْ عِبادُ اللهِ على الحقيقةِ لأجلِ وُجودِ الحقِّ فيها، فإنَّ الحقَّ تَعَالَى مِنْ حيثُ ذاتُهُ يقتضي أنْ لَا يَظْهَرَ

(١) «الإنسان الكامل» (٢/ ٦١ ـ ٦٣). (٢) المصدر نفسه (٢/ ١٢٢).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ١٢٤).

في شَيْءٍ إِلَّا ويُعبدُ ذلك الشَّيْءُ، وقَدْ ظهرَ في ذَرَّاتِ الوجودِ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ عَبَدَ الطبائعَ وهي أصلُ العَالَمِ، ومنهم مَنْ عَبَدَ الكواكبَ، ومنهم مَنْ عَبَدَ المَعْدِنَ، ومنهم مَنْ عَبَدَ النَّارَ، ولَمْ يَبْقَ شَيْءٌ في الوجودِ إلّا وقَدْ عَبَدَ شَيئًا مِنَ العَالَمِ، إلَّا المُحمَّديُّونَ فإنّهم عَبدُوهُ مِنْ حيثُ الإطلاقُ بِغَيْرِ تَقييدِهِ بشيءٍ مِنْ أجزاءِ المُحْدَثَاتِ... فلهذا فازوا بدرجةِ القُرْبِ مِنْ قِدَم، فهؤلاءِ الذين أشارَ إليهِمُ الحقُّ بقولهِ: «**أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مكانٍ قَرِيبٍ**»[(١)]. بخلافِ مَنْ عَبَدَهُ مِنْ حيثُ الجِهَةُ وقَيَّدَهُ بمظهرٍ كالطبائعِ أو كالكواكبِ أو كالوَثَنِ أو غيرِهِمْ، فإنهُمُ المشارُ إليهم بقولهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت: ٤٤]... وبَعْدَ الوصولِ إلى المَنزلِ يَتَّحِدُ مَنْ نُودِيَ مِنْ قَرِيبٍ ومَنْ نُودِيَ مِنْ بَعيدٍ، فَافْهَمْ»[(٢)].

فالفَرقُ عندَهُ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وجميعِ الكفارِ وعُبّادِ الأوثانِ؛ أنَّ هؤلاءِ يُنَادَوْنَ لِدُخُولِ الجَنَّةِ والمنزلِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ، وأُولَئِكَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ، ثُمَّ يَتَساوون جميعًا بَعْدَ دُخولِ الجَنَّةِ في دِينِ الصُّوفيَّةِ. والتَّفريقُ بينهم في مَكانِ النِّدَاءِ؛ استدلَّ عليهِ بِمَا نَسَبَهُ إلى الحقِّ سبحانه وتعالى، ولَعَلَّ النِّداءَ مِنْ مَكانٍ قَريبٍ هو مِمَّا أُوْحِيَ إليهِ، أو سَمِعَهُ عَنِ اللهِ تَعالَى مُباشرةً، أو لَعَلَّهُ في بعضِ **(مَصَاحِفِ الصُّوفيَّةِ أو أَسيادِهِمُ الشِّيعَةِ)؛ لأنَّ هذه الآيَةَ المزعومةَ ـ «أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مكانٍ قَرِيبٍ» ـ ليستْ مَوجودةً في كِتابِ اللهِ تَعالَى الذي أنزلَهُ اللهُ عز وجل على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ.**

ـ وعلى هذا الأساسِ يَشْرَحُ ويُفَسِّرُ الشَّهادَتَيْنِ فيقولُ: «كَلِمةُ الشَّهادةِ مَبْنِيَّةٌ على سَلْبٍ وهي «لَا» وإيجابٍ وهي «إلَّا»، معناهُ: لَا وجودَ لشيءٍ إلَّا اللهُ. ولفظ «إلٰه» في قوله: «لَا إلٰه» يُرَادُ بهِ تلكَ الأوثانُ التي يَعبدونَها، سَمَّاها اللهُ تَعَالَى إلٰهًا كما سَمُّوها، وموافقةً لَهمْ لِسِرِّ وُجُودِهِ في أعيانِها،

(١) لعل هذه الآية في مصاحف الصوفية المبتدعة خاصة مما أُوحي به إليهم خاصة.
(٢) «الإنسان الكامل» (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

فهي بِوُجُودِهِ آلهةٌ حقًّا، فكُلُّ مَعْبُودٍ منها بِظُهورِ الحقِّ في عَيْنِهِ إِلَهٌ؛ لأَنّهُ تَعَالَى عَيْنُها، وهو اللهُ حيثما ظهرَ مُسْتَحقّ الألوهيَّةِ... فما في الوُجُودِ شَيْءٌ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، فهو تَعَالَى عَيْنُ جميع الموجوداتِ. ولمّا كان الأمرُ موقوفًا على الشُّهودِ والكَشْفِ؛ قُرِنَتْ بهِ لَفْظَةُ الشَّهادةِ، فقيل «أَشْهَدُ»؛ بِمعنَى: أَنظرُ بعيني شُهودًا أنْ لَا في الوجودِ شَيْءٌ إِلَّا اللهُ»(١).

هذا غَيْضٌ مِنْ فيضٍ مِنْ أقوالِ الكُفْرِ والإِلْحَادِ في **مذهبِ الصُّوفيَّةِ**، بدعوى أنّهُ التوحيدُ الخاصُّ الذي جَاءَتْ بهِ الرُّسُلُ ونَزَلَتْ بهِ الكُتُبُ. وقَدْ أكونُ أَطَلْتُ في النَّقْلِ مِنْ نُصوصِهِمْ في هذا البابِ خَاصَّةً عَنِ المُلْحِدِ الزِّنْدِيقِ **الجيليِّ** الذي فَصَّلَ مَذهبَهُمْ غايةَ التّفصيلِ وبَيَّنَهُ غايةَ البيانِ، رَاجِيًا التوفيقَ في كَشْفِ اللِّثَامِ عَنْ هؤلاءِ اللِّئَامِ، وتبصيرِ الغافلينَ مِنْ أهلِ الحقِّ بكفرِ هؤلاءِ المُتستِّرينَ بالإسلامِ والصَّفاءِ، وبيانِ أنّهم مَارقونَ عَنْ دِينِ الإسلامِ على الرَّغْمِ مِنِ انتسابِهِمْ إليهِ، وكشفِ حَقائِقِهِمْ وغاياتِهِمُ الخبيثةِ التي تُؤدِّي إلى هَدْمِ هذا الدِّينِ وتقويضِ أركانهِ.

وحتَّى لَا يقولَ قائلٌ: **تلك أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، وصُوفِيَّةُ اليومِ لَا تَعتقِدُ هذه العقيدةَ الكُفريَّةَ؛ أَذْكُرُ ما يلي:**

- قولَ **أبي الفيضِ المنوفيِّ** في تَعريفهِ حقيقةِ الوِلايَةِ ـ قال ـ: «وأمَّا الذين تَولَّاهُمُ اللهُ مِنْ تِلْقَائِهِ، فهُمُ الذين صَلحوا لحضرتهِ، وفُطِرُوا على مَحبّتهِ، وغابوا عَنْ حُظوظِهِمْ وحظوظِ خَلِيقَتِهِ، فلا يَرَوْنَ في الوجودِ غيْرَهُ، ولَا يشهدون سواهُ»(٢).

غيابُهُمْ عَنْ حُظُوظِهِمْ وحُظُوظِ الخَلْقِ هو الفَنَاءُ المزعومُ المُفْضِي بِصاحِبِهِ أَلَّا يرَى في الوجودِ شَيئًا غيرَ الحقِّ، وأنَّ عليهِ بَعْدَ فَنَائِهِ عَنِ الخَلْقِ ونَفْسِهِ أنْ يَتَّحِدَ بِربِّهِ.

---

(١) «الإنسان الكامل» (٢/ ١٣٤).
(٢) «جمهرة الأولياء» (١/ ١١٧).

ـ قولُ **عَبدُ السلامِ بنُ بشيش** في صلاتهِ ووردهِ المزعومِ مَا نَصُّهُ: «واقذفْ بي على الباطلِ فأدْمغْهُ، وزُجَّ بي في بحارِ الأَحَديَّةِ، وانشِلْني مِنْ أوحالِ التوحيدِ، وأَغرقْني في عَيْنِ بحرِ الوِحْدَةِ حتَّى لَا أرى ولَا أسمعُ ولَا أَحُسُّ إلَّا بِهَا، واجعلِ الحجابَ الأعظمَ حياةَ روحي... وانصرْني بكَ لكَ، وأَيّدْني بكَ لكَ، واجمعْ بيني وبينكَ، وحُلْ بيني وبَيْنَ غَيْرِكَ، اللهْ اللهْ اللهْ»[(١)].

فالتوحيدُ أَوْحَالٌ عِنْدَ القومِ؛ لِأنّهُ في دِينِهِمْ حِجابٌ يَحجُبُ صَاحِبَهُ عَنْ بُلُوغِ أَرْقَى المقاماتِ وهو الاتِّحادُ بِاللهِ على زَعْمِهِمْ. تَعَالَى اللهُ عِن كُفْرِهِمْ وزَندقَتِهِمْ عُلُوًّا يَلِيقُ بِذَاتِهِ ﷻ.

المطلبُ الثاني

الحُلُولُ والاتِّحادُ عندَ الشِّيعَةِ

لَمْ يَشْتَهِرِ **المذهبُ الشِّيعِيُّ** بَتبَنِّي فِكْرَةِ أو نَظَريَّةِ الحُلولِ ووِحْدَةِ الوجُودِ، كما هو الحالُ عِنْدَ الصُّوفيَّةِ الذين جَعَلُوا مِنَ الكُفْرِ توحيدًا خالصًا، ولكنَّ **الشِّيعَةَ** تُؤمِنُ بالحُلُولِ؛ حيثُ إنَّهُمْ يَعتقدونَ أنَّ في أئِمَّتِهِمْ بعضَ خصائصِ الرُّبُوبيَّةِ والأُلُوهيَّةِ، فالشِّيعَةُ هُمْ أصحابُ النُّورِ الإلٰهيِّ الذي هو أصلُ الوُجُودِ، ويعتقدون أنَّ الأئِمَّةَ خُلِقُوا مِنْ ذلك النُّورِ، وها هي بعضُ نُصوصِهِم الدَّالّةُ على ذلك:

• روى **مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ المُفيدُ** بإسنادِهِ إلى **جَعْفَرِ الصَّادِقِ** حديثًا طويلًا يقولُ فيه: «إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، وصَنَعَنَا بِرَحْمتِهِ»[(٢)].

• وروى **أبو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ** بِإسنادِهِ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ حديثًا مكذوبًا

---

(١) «الصّلاة العطرية في الصّلاة علَى خير البرية في الوظائف الشَّاذِلِيَّةِ» (ص: ٣).

(٢) «الاختصاص» (ص: ٢١٦).

فيما نَسَبَهُ إليه، يقولُ فيه: «**يا عَلِيُّ! خَلَقَني اللهُ تَعَالَى وأنتَ مِنْ نُورِ اللهِ حينَ خَلَقَ آدمَ، وأَفْرَغَ ذلك النُّورَ في صُلْبِهِ، فأَفْضَى بِهَا إلى عَبْدِ المُطّلِبِ، ثُمَّ افترَقَا مِنْ عَبْدِ المُطّلِبِ: أنا في عَبْدِ اللهِ، وأنت في أبي طَالبٍ**»(١).

لذلك تُؤمِنُ الشِّيعَةُ بإسلام عَبْدِ المُطّلِبِ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ، وأبي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ بل وإسلام جميعِ آبائِهِمْ وأجْدَادِهِمْ؛ لأنَّ ذلك النُّورَ المزعومَ كان يَنتقِلُ في أَصلابِهِمْ.

ثُمَّ إنَّهُمْ يُؤمِنونَ بأنَّ الطِّينَةَ التي خُلِقُوا منها طِينَةٌ خاصَّةٌ.

• فروى **أبو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ** بإسنادِهِ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ حديثًا مكذوبًا فيما نَسَبَهُ إليه، يقولُ فيه لِعَلِيٍّ وهو يُبشِّرُهُ: «**إني خُلِقْتُ أنا وأنت مِنْ طِينَةٍ واحدةٍ، وفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فخَلَقَ اللهُ منها شِيعَتَنَا**»(٢).

• وأيضًا نسبَ كذبًا إلي **رَسُولِ اللهِ** ﷺ قولَهُ: «**إنَّ في الفِرْدَوْسِ لَعَيْنًا أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ وأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ وأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وأَطيبُ مِنَ المِسْكِ. فيها طِينَةٌ خَلَقَنا اللهُ** ﷻ منها، وخَلَقَ منها شِيعَتَنَا، فمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ تلك الطِّينَةِ فليس مِنَّا ولَا مِنْ شِيعَتِنا»(٣).

فالمسألةُ عِنْدَهُمْ بأَصلِ الخِلْقَةِ وليستْ بالأعمالِ، فمَنْ كان مَخلُوقًا مِنْ تلكَ **الطِّينةِ الخاصَّةِ** فهو مُؤهَّلٌ للفَوْزِ والفلاحِ ودُخُولِ الجَنَّةِ، ومن كان مَخلوقًا مِنْ عَامَّةِ الطّينِ ورَديئِهِ فلا عِبْرَةَ بأعمالهِ وتقواهُ. إنّها نَظْرَةٌ **مَجوسِيَّةٌ** بغيضةٌ؛ حيثُ كانوا يعتقدون أنَّ مُلُوكَهُمْ مَخلوقونَ مِنْ مَادّةٍ أَرْقَى مِنْ مَادّةٍ بقيّةِ عَامّتِهِمْ، وأنَّ دِماءَهُمُ التي تَجري في عُروقِهِمْ أَرْقَى كذلك مِنْ دِمَاءِ عَامّتِهِمْ.

إنَّ هذه العقيدةَ في خَلْقِ الأَئِمَّةِ مِنْ هذه **الطِّينِ الخاصَّةِ**؛ هي التي جَعَلَتْهم يَغْلُونَ فيهم وفي صِفَاتِهِمْ وخصائِصهِم غُلُوًّا جَاوزوا بِهِمْ حُدودَ

(١) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (١/ ٣٠١).
(٢) «أَمَالِي» الطُّوسِيِّ (٢/ ٧١).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٦٩).

المخلوقينَ، في قُدُراتِهمْ وتَصَرُّفِهِمْ وعُلُومِهِمْ وأحوالِهِمْ كما مَرَّ في مَواضعَ عَديدةٍ مِنْ هذا البحثِ، **والحاصلُ؛ أنَّ هذا الغُلُوَّ سَببُهُ أنّهُمُ اعتقدوا حُلُولَ بعضِ خصائصِ وصفاتِ الإلٰهيَّةِ والرُّبُوبِيَّةِ في أئِمَّتِهِمُ المزعومينَ. فالحُلولُ عِنْدَ الشِّيعَةِ خاصٌّ بالأئِمَّةِ دونَ غيرِهِمْ، فهو أخصُّ منهُ في مذهبِ الصُّوفيَّةِ.**

• وقَدْ روَى شَيْخُهُمْ وصَدوقُهُمُ **ابنُ بَابَوَيْهِ القُمِّيُّ** بإسنادهِ إلى **رَسُولِ اللهِ** ﷺ حديثًا مكذوبًا يقولُ فيه ـ لمّا دَخلَ عليهِ مَلَكٌ لهُ أربعةٌ وعشرونَ وَجْهًا ـ: «حبيبي جِبْرِيلَ، لَمْ أركَ في مثلِ هذه الصورةِ! فقال المَلَكُ: لستُ بجبرائيلَ أنا محمودٌ، بَعثَني اللهُ ﷻ أنَّ أُزَوِّجَ النُّورَ مِنَ النُّورِ. قال: مَنْ مِنْ مَنْ؟ قال: فَاطِمَةُ مِنْ عَلِيٍّ»[(١)].

وروى بإسنادهِ إلى **جَعْفَرٍ الصَّادِقِ** حديثًا طويلًا، يقولُ فيه: «أَمَّا علمتَ أنَّ مُحَمَّدًا وعَلِيًّا صلواتُ اللهِ عليهما كانا نورًا بَيْنَ يَدَي اللهِ ﷻ قَبْلَ خَلْقِ الخَلْقِ بألفي عام، وأنَّ الملائكةَ لمّا رَأَتْ ذلك النورَ... فأوحى اللهُ ﷻ إليهم هذا نُورٌ من نُوري أَصْلُهُ نُبُوّةٌ وفَرْعُهُ إمَامَةٌ»[(٢)].

فالنُّورُ عِنْدَهُمْ هو جُزْءٌ مِنَ الإلٰهِ، منهُ كان النَّبيُّ ﷺ وعَلِيٌّ وأولادُهُ وحتَّى فَاطِمَةُ، وقَدْ روى ابنُ بَابَوَيْهِ أنَّها كانتْ نورًا قَبْلَ خَلْقِ الخَلْقِ[(٣)]، وأنّها حوراءُ إنْسِيَّةٌ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الهراءِ والكلامِ السّاقطِ الذي يُزَيّنون بهِ عَقيدتَهُمْ في حُلُولِ الإلٰهِ أو جُزْءٍ منهُ في بعضِ خَلْقِهِ، تَعالَى اللهُ وتَقَدَّسَ عَمَّا يَزْعُمُهُ الظالمون عُلُوًّا كبيرًا.

وأمَّا عَنْ نظريَّةِ وِحْدَةِ الوجُودِ؛ فقَدْ تقدم في مباحثِ هذهِ الرّسالةِ[(٤)] ذِكْرُ بعضِ أعلامهم الذين اجتمعتْ فيهم جُملةٌ عظيمةٌ مِنْ خِصَالِ الشَّرِّ والفسادِ في الفكرِ والاعتقادِ، وفي الغايةِ والأهدافِ. فذكرتُ بعضَ مَنْ

---

(١) «معاني الأخبار»، باب معنى تزويج النور مِنَ النور (ص: ١٠٣ ـ ١٠٤).
(٢) المصدر السابق، باب معنى حمل النَّبيِّ لِعَلِيٍّ... (ص: ٣٥١).
(٣) المصدر نفسه (ص: ٣٩٦).
(٤) راجع البحث الثاني والثالث من هذه الرسالة.

جَمَعَ بَيْنَ **التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ**، وبَيْنَ **الرَّفْضِ والفلسفةِ**، وفيهم مَنِ اشتهرَ بإيمانهِ بعقيدةِ **وِحْدَةِ الوجُودِ** الخبيثةِ، فمنهمُ:

١ ـ **الحُسَيْنُ بنُ مَنصورٍ الحَلَّاجُ**: الشِّيعِيُّ، المُتَصَوِّفُ، الدّاعيةُ إلى مذهبِ الحُلولِ وَوِحْدَةِ الوجُودِ. والحَلَّاجُ ـ وإنْ أوردتُ ذِكْرَهُ في عِدَادِ الصُّوفيَّةِ ـ فقَدْ ثَبَتَ أنّهُ مِنْ كبارِ أهلِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ والدُّعَاةِ إلى مَذهبِهِمْ، حتَّى إنَّ خَواجَتَهُمْ ونَصِيرَ دِينِهِمْ ومِلّتِهِمْ مُحَمَّدَ بنَ الحَسَنِ الطُّوسِيَّ قَدْ أَنْكَرَ قَتْلَهُ وصَلْبَهُ ودَافعَ عنهُ، وتَأَوَّلَ كُلَّ أقوالِهِ ومذهبِهِ في الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ والحُلولِ[(١)].

٢ ـ **مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشلمغانيُّ المعروفُ بابنِ أبِي العزاقرَ**: وقَدْ كان مِنْ غُلَاةِ الرَّافِضَةِ الدُّعاةِ، مِمَّن صَنَّفَ في مَذهبِهِمْ فُرُوعًا وأُصُولًا، واشتهرَ بالدَّعوةِ إلى مَذهبِ الحُلُولِ، وادَّعَى حُلولَ الإلٰهيَّةِ فيه، فأُخِذَ وقُتِلَ كسَلَفِهِ الحَلَّاجِ. وقَدْ قال فيه الإمامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وكان هذا الشَّقِيُّ قَدْ أَظْهَرَ الرَّفْضَ ثُمَّ قالَ بالتَّنَاسُخِ والحُلُولِ»[(٢)].

٣ ـ **الخاجةُ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الطُّوسِيُّ نَصيرُ دينِهِمْ ومِلّتِهِمُ**: الذي يَصِفُونَهُ بأنّهُ كان جَامِعًا بَيْنَ مَسلكي الاستدلالِ والعِرفانِ؛ أيْ: بَيْنَ الفلسفةِ والكلامِ والتَّصَوُّفِ، وقَدِ اشتهرَ بمُراسلاتهِ ومُكاتباتِهِ لِصَدْرِ الدِّينِ القونويِّ الفيلسوفِ المُتَصَوِّفِ تلميذِ ابنِ عَرَبِيٍّ ورَبيبِهِ، وكانتِ المراسلاتُ في قضايا التَّصَوُّفِ ووِحْدَةِ الوجُودِ. وقَدْ أشارَ إلى عَقيدتهِ هذه في بعضِ مُصَنَّفاتِهِ مثل «الفصول» و«أوصاف الأشراف»[(٣)].

٤ ـ **حَيْدَرُ بنُ عَلِيٍّ العبيديُّ الآمليُّ**: وقَدِ اشتهرَ أنّهُ مِنْ أصحابِ الكشفِ الحقيقيِّ، وقَدْ رَدَّ على الأشاعرةِ ومَذهبِهِمْ، وزَعَمَ أنّهم لَمْ يُحقِّقوا التوحيدَ، ولَمْ يَتخَلَّصُوا مِنَ الشِّرْكِ الخفيِّ؛ بِحُجَّةِ أنّهم لَمْ يَصِلُوا إلى مُشَاهَدَةِ جَمالِ الحقِّ في الوُجُودِ كُلِّهِ، على مذهبِ وِحْدَةِ الوجُودِ. وقَدْ

---

(١) راجع: (ص: ٢٢٨، وما بعدها) و(ص: ٢٢١، وما بعده).
(٢) راجع: (ص: ٢٦٧، وما بعدها). (٣) راجع: (ص: ٢٧٠، وما بعدها).

صَنّفَ شَرحًا لـ«فصوصِ» ابنِ عَرَبيٍّ[١].

٥ ـ مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ الشِّيْرازيُّ، المشهورُ بِصَدْرِ المُتألّهينَ، وبكثرةِ تَصانيفهِ في الرَّفْضِ والتَّصَوُّفِ. وقَدِ اشتهرَ بالتّصريحِ والدَّعوةِ لِنَظَريَّةِ وِحْدَةِ الوجُودِ، وصَنّفَ فيها رسالةَ: «طرح الكونين في وِحْدَةِ الوجُودِ»، حيثُ زَعَمَ أنّهُ هو التوحيدُ الحقيقيُّ الذي لَا يُشَابُ بالشِّرْكِ. وهو مِمَّن يُعظِّمُ ابنَ عَرَبيٍّ ويُقدِّسُهُ في مُصَنَّفاتِهِ ورسائلهِ[٢].

٦ ـ إمامُهُمْ في هذا القَرْنِ، ومُوحِّدُ شَتَاتِ الرَّفْضِ وأَلْوِيَةَ الكُفْرِ والإلحَادِ تَحتَ سَقْفِ التَّشَيُّعِ المزعومِ: الخُمَيْنِيُّ بنُ مُصطفَى، وقَدْ صَرَّحَ بهذه العقيدةِ في عِدّةِ مُصنّفاتٍ لَهُ[٣].

الحاصلُ؛ أنَّ أهلَ **الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ** فيهم مَنِ اشتهرَ بالتّصريحِ والدَّعوةِ لهذه العقيدةِ الخبيثةِ وصَنَّفَ فيها تمامًا كما هو الحالُ عِنْدَ **الصُّوفيَّةِ**، فهم جميعًا مُتّفِقُون على أنَّ هذه العقيدةَ هي أَصْلُ التوحيدِ والشَّرْعِ في مذاهبِهِمْ، ومُتّفِقون أيضًا على أنّها تَخُصُّ الخواصَّ مِنْ أهلِ مذاهبِهِمْ ولَا تَصلُحُ لعامَّتِهِمْ لأنّها أَرْقَى مَقام في الدِّينِ والتوحيدِ.

ولعلّ اشتهارَ **الصُّوفيَّةِ** بهذه العقيدةِ أكثرَ مِنْ أسيادِهِمُ **الرَّافِضَةِ** يَرجِعُ إلى وَفْرَةِ مَصادِرِهم في هذه النّظريَّةِ، ولكَثْرةِ قِراءتي لمُصَنّفَاتِهمْ لانتسابِهِمْ إلى أهلِ السُّنَّةِ الذين هُمْ بُرَءَاءُ منهم بَراءةَ الذّئبِ مِنْ دَمِ يُوسُفَ ﷺ. ولِعَلِيٍّ أتمكّنُ في المستقبلِ مِنَ الحُصولِ على الكثيرِ مِنْ مَراجعِ **الرَّافِضَةِ** الأصليَّةِ والقديمةِ في العرفانِ والفلسفةِ؛ لِيتّضحَ أَنَّهم الأصلُ في بَثِّ هذه النَّظَرِيَّةِ أيضًا، كما هو شَأْنُهُمْ في جَميعِ الضَّلالاتِ والشُّرورِ التي أصابتْ بعضَ المُنتسبينِ لهذه الأُمّةِ. فهم أصلُ كُلِّ كُفْرٍ، ومَعْدِنُ كُلِّ إلحادٍ في دِينِ اللهِ تَعَالَى.

---

(١) راجع: (ص: ٢٧٦، وما بعدها). (٢) راجع: (ص: ٢٨٧، وما بعدها).
(٣) راجع: (ص: ٢٨٩) للوقوفِ على مَا يَتعلّقُ بالخُمَيْنِيِّ ووحدةِ الوجود.

الخاتمةُ

وأخيرًا وبعدَ توفيقِ اللهِ تَعَالَى إيّايَ في إتمامِ هذا البحثِ؛ أَذكرُ أَهَمَّ النّتائجِ والمسائلِ التي توصَّلتُ إليها فيه، فأقولُ مُستعينًا بِاللهِ تَعَالَى وحدَهُ:

■ **أولًا: إنَّ التَّشَيُّعَ والتَّصَوُّفَ لَمْ يَكُنْ لهما أَيَّ وُجُودٍ في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وأنهما مِمَّا حَدَثَ وطَرَأَ على الإسلامِ وأهلِهِ:**

ـ **فالتَّشَيُّعُ**: نَشَأَ تَحتَ سِتارِ مَحبّةِ أهلِ البَيْتِ، وانْدَسَّ دُعَاةُ الرَّفْضِ بَيْنَ صُفوفِ المُحبّينَ لِعَلِيٍّ وأهلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ والمُتَشَيِّعينَ لَهم تَشَيُّعًا لَمْ يَكُنْ إلَّا على صُورتِهِ الظاهرةِ ومعناهُ البسيطِ. واستغلَّ أُولَئِكَ المُنْدَسُّونَ مَا تَعَرَّضَ لهُ بعضُ أهلِ البَيْتِ مِنَ الاضطهادِ ونُزولِ البَلاءِ مِنْ قِبَلِ بعضِ الظَّالمينَ ـ بَعْدَ عَهْدِ الخلافةِ الرّاشدَةِ ـ الأمرُ الذي جَعَلَ العَامّةَ تَزدادُ في حُبِّها لأهلِ البَيْتِ. أقولُ: استغلَّ هؤلاءِ المُجرمونَ تلك الحوادثَ والأحوالَ استغلالًا بَشِعًا في بَثِّ رَفْضِهِمُ الذي أَدَّى إلى تَطوُّرِ التَّشَيُّعِ مِنْ مَعناهُ اللُّغَويِّ البسيطِ إلى المَعنَى الاصطلاحِيِّ المُستشنعِ، والغُلُوِّ شَيئًا فشيئًا بِدَعْوَى مَحبّةِ آلِ البَيْتِ والدِّفَاعِ عنهم ورَدِّ مظالِمهم مِنْ ظَالِميهم وحُقوقِهِمْ مِنْ مُغتصبِيهم.

ـ وأمَّا **التَّصَوُّفُ**: فقَدْ نَشَأَ أوّلًا على أيدي أُناسٍ مِنَ **الشِّيعَةِ** اندسُّوا في صُفوفِ الزُّهّادِ والعُبَّادِ والصَّالحينَ لِبَثِّ سُمُومِهِمْ وتحقيقِ أهدافِهِمْ، وتَهيّأَتْ لَهُمُ الأجواءُ، وسَاهَمَ في ظُهورِهِمْ مَا كان مِنْ إقبالِ العَامّةِ على مَحبّةِ مَظاهرِ الزُّهْدِ والعبادةِ وتَعَلُّقِهِمْ بالزُّهَّادِ والعُبَّادِ والصَّالحينَ لِما رأَوْا مِنْ شِدَّةِ انغماسِ النَّاسِ في المَلَذَّاتِ وتَوسُّعِ الكثيرِ مِنَ الحُكَّامِ والوُلاةِ في المُباحاتِ والشَّهواتِ وزِينَةِ الدُّنيا، فاستغلَ هؤلاءِ المُنحرفون هذه الأجواءَ وتَسَتَّروا

بالزُّهْدِ والتَّقَشُّفِ والعبادةِ ومُحاربةِ المَلذَّاتِ والشَّهواتِ المُباحَةِ، ثُمَّ أخَذَ تَصَوُّفُهُمْ يَتطوَّرُ مِنَ الدَّعْوةِ إلى الزُّهْدِ والعبادةِ بمعناها البسيطِ الجميلِ إلى المعاني المُنحرفةِ المُخالفةِ للشَّرعِ والدِّينِ الحنيفِ، وإلى الفلسفاتِ الفِكريَّةِ الغَريبةِ عَنِ الإسلامِ وأهلهِ.

■ **ثانيًا: اشتركَ التَّشَيُّعُ والتَّصَوُّفُ في التَّسَتُّرِ والتَّظَاهُرِ والعَملِ تَحتَ مَظلَّاتِ أُصُولٍ دِينيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ عَظيمةِ المحبّةِ في نُفوسِ المُسلِمينَ عَامَّةً:**

- فتَستَّرَ **الشِّيعَةُ الرَّافِضَةُ** وتظاهروا بُحِبِّهِمْ آلَ البَيْتِ.

- وتَستّرَ **الصُّوفيَّةُ الخُرافِيُّونَ** وتظاهروا بالزُّهْدِ والوَرَعِ.

ولكن وكما أنَّ الفَرْقَ بَيْنَ التَّشَيُّعِ في أَوَّلِ أمرهِ وبينَ التَّشَيُّعِ على ما استقرَّ عليهِ في أواخرِ العصرِ الأُمَويِّ وأوائلِ العصرِ العباسيِّ؛ فَرْقٌ عَظيمٌ. كذلك كانَ الفَرْقُ بَيْنَ الزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ وإنِ ادَّعَى كُلُّ فَريقٍ منهم مَا ادَّعاهُ مِنَ الأصالةِ والتاريخِ.

فأين تَشَيُّعُ أُولَئِكَ المناصرينَ لِعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهُ وعنهم في آرائِهِمْ وعَقائِدِهِمْ وحتَّى إسلامِهِمْ؟ وأين التَّشَيُّعُ كعقيدةٍ وفِكْرٍ ومَنهجٍ كما رَسَمَهُ وخَطَّطَهُ **هِشَامُ بنُ الحكمِ وزُرارةُ بنُ أَعينَ ومَيْثَمٌ التّمّارُ** وغيرُهُمْ مِنَ المُنحرفين والزّنادقةِ قديمًا وحديثًا؟ وأينَ كذلك زُهْدُ رجالِ الرّعيلِ الأوّلِ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابعينَ ووَرَعُهُمْ وإيمانُهُمْ؛ أينَ هذا مِنْ زُهْدِ هؤلاءِ المُنحرفينَ الضَّالِّينَ الخُرافيّينَ وعباداتِهِمْ وأذكارِهِمْ وأورادِهِمُ التي شَرعوها لأنفسِهِمْ وأتباعِهِمْ مِمَّا لَا تَسَعُها سَاعاتُ اللَّيلِ والنَّهارِ؟

■ **ثالثًا: يشتركُ التَّشَيُّعُ والتَّصَوُّفُ في كثيرٍ مِنَ المناهجِ التعليميَّةِ والطُّرقِ التّربويَّةِ المُتّبعَةِ في تَربيةِ أفرادِهِمْ وأتباعِهِمْ وتضليلِهِمْ عَنِ الحقِّ وأهلهِ:**

فقَدِ اعتمدَ كُلُّ فَريقٍ منهم على **الدَّعاوَى**، وجعلوا منها أَدِلَّةً ونُصُوصًا

يَستدلون بِهَا على أنَّها وَقَائِعُ تَاريخِيَّةٌ وأدِلَّةٌ شَرْعِيَّةٌ تُؤيِّدُ مَزاعِمَهُمْ في نَشْأَتِهم وأصالتِهم، وصِحَّةِ المناهجِ والمبادئِ العلميَّةِ والعمليَّةِ.

كما اعتمدَ كلاهما على التَّزويرِ والكَذِبِ؛ فَكَمْ زَوَّروا في الوقائعِ التَّاريخيَّةِ، وكَمْ كَذَبوا على اللهِ تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ بلْ وعلى الرُّسُلِ والأنبياء عليهمُ الصَّلاةُ السَّلامُ وعلى سَلَفِ هذه الأُمَّةِ، بَلْ حتَّى على الملائِكَةِ الكرامِ، والخَضِرِ، وإبليسَ، وبعضِ الجِنِّ؛ في سبيلِ غَايتِهِمْ وأهدافِهِمْ.

كما اعتمدوا على اختراعِ بعضِ الأُسُسِ العَقْليَّةِ والنَّظريَّاتِ الفِكريَّةِ، وزَعمُوها مُسلَّماتٍ عَقليَّةً وشَرعيَّةً، وانطلقوا مِنْ خلالها في ترويجِ مذاهبِهِمْ المُنحرفةِ. فزعمَ **الرَّافِضَةُ والصُّوفيَّةُ** ـ كَذِبًا وافتراءً ـ أنَّ مَا هُمْ عليهِ مِنْ تَشَيُّعٍ ورفضٍ وتَصَوُّفٍ؛ هو روحُ الإسلامِ وَلُبُّهُ، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ كان الدَّاعي لذلك، وأنه المصدرُ الأوّلُ لِشَرائعِهِمْ ومُعتقداتِهِمْ. **فالشِّيعَةُ** ما زالتْ تَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هو غَارِسُ بَذْرَةَ التَّشَيُّعِ والرَّفْضِ، ويَنْسُبُون سَلْمَانَ وعَمَّارًا وغيرَهما مِنْ ساداتِ سَلَفِ الأُمَّةِ إلى مذاهبِهِمْ. وكذلك **الصُّوفيَّةُ** ما زالوا يَزْعُمُونَ كَذِبًا وافتراءً نسبةَ تَصَوُّفِهِمْ وانحرافِهِمْ إلى سَاداتِ الصَّحَابَةِ وسَلَفَ الأُمَّةِ مِنْ أمثالِ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعَلِيٍّ وغيرِهما رضي الله عنهم.

وزعموا أيضًا بأنَّ النُّصوصَ الشَّرعيَّةَ لها ظَاهرٌ وباطنٌ، وجعلوها نَظَريَّةً مُسلَّمَةً يَلْجَأونَ إليها عِنْدَ تعارُضِ بعضِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ الثَّابتةِ ببعضِ مَذاهِبِهِمْ وعَقائِدِهِمْ فيَزْعُمُونَ أنَّ لها تفسيرًا غير ظاهرِها المتبادرِ إلى الأذهانِ والعُقولِ، تفسيرًا باطنًا لَا يُدْرِكُهُ إلَّا أهلُهُ مِمَّن وقعَ في أوحالِ **الرَّفْضِ والتَّصَوُّفِ** وشَرِبَ مِنْ نَتَنِ منابعِها.

وأضافوا إلى بِدْعَتِهِمْ هذه مَا يَتأيَّدُ بِهِ بَاطلُهُمْ بزَعمِهِمْ؛ فأعلنوا نَظَريَّةَ **العِلْم اللَّدُنِّيِّ**، فقالوا بأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّهُمْ بِعِلْمٍ لَا يُكْتَسَبُ ولَا يُؤْخَذُ بالتَّعلُّمِ والتَّلَقِّي، وإنّما هو مِنْ لَدُنِ المَوْلَى تَبَارَكَ وتَعَالَى يَخُصُّ بهِ مَنْ يَشاءُ

مِنْ عبادِهِ مِنْ أهلِ الرَّفْضِ أَوِ التَّصَوُّفِ بزَعمِهِمْ. وقَدْ جعلَ المُنحرفون مِنْ هذهِ النَّظَرِيَّةِ مَأْوًى لجميعِ مُخالفاتِهِمُ الشَّرعيَّةِ في العقائدِ والعباداتِ، بِمَا زَعمُوهُ لأنفسِهِمْ مِنْ مَصادرَ تشريعيَّةٍ خَاصَّةٍ، كـ:

- **الأخذِ عَنِ اللهِ تَعَالَى مُباشرةً يَقَظَةً ومنامًا، وَحْيًا أو هاتفًا أو إلهامًا.**
- **وكذلك الأخذِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.**
- **وعَنِ الكُتُبِ السماويَّةِ.**
- **وعَنِ الملائكةِ والأنبياءِ.**
- **وعَنِ الخَضِرِ.**
- **وحتَّى عَنْ إبليسَ؛ فقَدِ اشتركَ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ في الأخذِ عنهُ والتَّلقِّي مِنْ عُلُومِهِ وفُيوضِهِ التي استفادوا منها في العِلْمِ والفضائلِ في مذاهِبِهِمْ.**

■ رابعًا: **اشتركَ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ جميعًا بالأخذِ بمبدأِ التَّقِيَّةِ في دِينِهِمْ ومناهِجِهِمْ:**

فوَجَدُوا في هذا المبدأِ النِّفَاقِيِّ الخِدَاعِيِّ المَلْجَأَ والمَنْجَا لجميعِ فَضائِحِهِمْ وقَبائِحِهِمْ والمُنْقِذَ لَهمْ مِمَّا يَقعون فيه مِنْ أَخطاءٍ وتناقُضَاتٍ.

كما وجدَ المُنحرفون فيه مَهربًا مِنْ مُسَاءَلَةِ الحُكَّامِ والقُضاةِ والفُقهاءِ مِنْ أهلِ الحقِّ الذين كانوا لَهمْ ولجميعِ أهلِ الزيغِ والضَّلالِ بالمرصادِ، واستطاعَوا تحتَ ظِلالِ **التَّقِيَّةِ** وما يُلْحَقُ بِها مِنَ الكتمانِ والسِّرِّيَّةِ العملَ بِحُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ.

كما كَثُرَ أتباعُهُمْ وانتشرتْ ضلالاتُهُمْ بَعْدَ تَبَنِّي هذا المنهجِ الخبيثِ؛ حيثُ صَوَّروا لعامّتِهِمْ أنَّ **التَّشَيُّعَ والتَّصَوُّفَ** مِمَّا يَنبغي كَتْمُهُ عَنْ عَامَّةِ النَّاسِ، لِصُعوبتهِ وثِقَلِهِ على القُلوبِ والنُّفوسِ، وأنّهُ لَا يَتَحمَّلُهُ إلَّا مَنِ امتَحَنَ اللهُ تَعالَى قَلْبَهُ ووَجَدَهُ أهلًا لذلك.

وزَيَّنُوا لأتباعِهِمْ صِحَّةَ مَذاهِبِهِمْ ونَظَرِيَّتِهِمْ هذه خَاصَّةً بِمَا كذبوا على اللهِ

تَعَالَى وعلى رَسُولِهِ ﷺ، فنسبوا إلى رَسُولِ الهُدَى وأَئِمَّةِ الدِّينِ مِنْ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ أنّهم عَمِلوا بالتَّقِيَّةِ، وانتهجوا الكتمانَ والسِّرِّيَّةَ في حياتِهِمُ العمليَّةِ وفي رواياتِهِمُ القوليَّةِ، حتَّى آمَنَ الأتباعُ بأنَّ **التَّقِيَّةَ** دِينٌ وشرعٌ، وأنّهُ **لَا إيمَانَ لِمَن لَا تَقِيَّةَ لهُ**، وأنَّ القَتْلَ والقصاصَ واجبٌ في حقِّ مَنْ باحَ بالأسرارِ ولَمْ يَكْتُمْ مَا ائْتُمِنَ عليهِ.

■ خامسًا: **اشتركَ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ واتّفقوا في موقِفِهِمُ الخبيثِ مِنْ كِتابِ اللهِ تَعَالَى، ومِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ:**

فحاربوا أهلَ الحقِّ **أهلَ السُّنّةِ والجماعةِ** ووَصَفُوهُمْ بأقبحِ الأوصافِ، ولقّبُوهُمْ بأشنعِ الألقابِ، وحذّروا النَّاسَ والعَامَّةَ مِنْ أتباعِهِمْ مِنَ الجلوسِ إليهم والاستماعِ إلى مَواعظِهِمْ، فضلًا عَنِ الأخذِ والتّلقّي مِنْ عُلومِهِمْ، كُلُّ ذلك محاربةً منهم **للكتابِ والسُّنَّةِ** في صُورةِ مُحاربتِهِمْ لأهلِهِ وحمَلَتِهِ ورُواتِهِ مِنْ أهلِ الحقِّ والفضلِ، بحُجَجٍ اخترعوها وأَلْقَابٍ وَضَعُوها.

كما قلَّلَ الفريقانِ مِنْ شَأْنِ العِلْمَ عَامَّةً؛ لِما وَجَدُوا في الجهلِ مِنْ مَكَاسِبَ وفوائدَ في نشرِ باطلِهم وتَحقيقِ غاياتِهِمْ.

وقَدِ اجتهدَ دُعَاةُ المذهَبَيْنِ في صَرْفِ أتباعِهِمْ عَنِ الحقِّ وأهلِهِ وتقليلِ شَأْنِهما، حتَّى لَا يبقَى في قُلُوبِ الأتباعِ والمُريدينَ مَحَلًّا إلَّا لتعظيمِ هُرَائِهِمْ الذي زعموه **علومًا خاصّةً**، وتقديسِ طَواغيتِهِمْ - **الأئِمَّةَ والأولياءَ** - الذين جعلوا منهم حَملةً للعِلْمِ وخَزائنَ للمعرفةِ دُونَ غيرِهِمْ، وأنّهُمُ المخصوصونَ بالأخذِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وعَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وبالفَهْمِ لِنُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ الظاهرةِ والباطنةِ.

■ سادسًا: **يُبالغُ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ بِأنّهُمُ المُتميّزُونَ عَنْ سائرِ النَّاسِ والفِرَقِ في الدُّنيا والآخرةِ:**

فَزعموا أنّهم عِزُّ الإسلامِ ودِعَامتُهُ وذَرْوتُهُ، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَا بعثَهُ اللهُ تَعالَى إلَّا لِيَدْعُوَ لِما هُمْ عليهِ مِنَ التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ.

وصَوّروا لأتباعِهِمْ أنّهم سببُ كُلِّ خَيْرٍ ونعمةٍ في هذه الدُّنيا؛ فلولاهم لَما أَمطرتِ السماءُ، ولَما نَبَتَ العُشْبُ، ولَما كان في الدُّنيا شَيْءٌ مِنَ الطّيّباتِ، وأنَّ البلاءَ والفِتَنَ والمصائبَ إِنَّمَا تُدْفَعُ عنهم خَاصَّةً وعَنْ أهلِ الأرضِ عَامَّةً بأئِمَّتِهمْ وأوليائِهِمْ.

▪ **سابعًا: تَمَكَّنَ الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ مِنْ إِحْكَامِ القُيودِ العظيمةِ حَوْلَ أعناقِ أتباعِهِمْ، فساقوهُمْ إلى مَا يُرِيدُ الطَّواغيتُ والسَّدَنَةُ سَوْقَ البهائم، وزَجُّوا بِهِمْ في المهالِكِ كَقَرَابِينَ في سبيلِ تحقيقِ غَايَاتِهم وأَهدافِهِمْ. ولقَدْ سلكَوا في سبيلِ تحقيقِ هذه الغايةِ مناهجَ شَتَّى مَكَّنَتْهم مِنَ التّحَكُّمِ والتّصرّفِ في الأتباعِ والمُريدينَ، وجعلَتْ منهم أتباعًا يَتلذَّذُونَ بتقديم الغالي والنفيسِ قُربانًا وتضحيةً لأساطينِهِمْ، وقد رأيتُ من خلالِ دراستي أنَّ أهمَّ تلك المناهجِ تتلخّصُ فيما يلي:**

١ ـ تَمكَّنَ الدُّعَاةُ مِنَ الفريقينِ مِنْ إحكامِ أُصُولِ مَذاهِبِهِمْ وعَقائِدِهِمْ بِمَا لَا يَدَعُ لأحَدٍ مِنَ الأتباعِ مَجالًا للبحثِ والنّظرِ، ومناقشةِ الأُصُولِ والفروعِ، مِمَّا قَدْ يُؤدِّي إلى التّعرُّفِ على بُطْلانِ مَذاهِبِهِمْ وفَسادِها.

٢ ـ جعلَ كُلُّ فَريقٍ منهم مِنْ أتباعِهِمْ أدواتٍ طَائِعَةً، تَتقبَّلُ كُلَّ مَا يُمْلِيهِ المذهبُ بِلَا تَمييزٍ بَيْنَ حقٍّ وباطلٍ، فأصبحوا يُؤمنونَ إيمانًا مطلقًا بِكُلِّ مَا يُنْسَبُ إلى مذاهبِهِمْ مِنْ تُرّهاتٍ وخُرافاتٍ، مهما كانت مُناقضةً للعَقْلِ والنَّقلِ وأُصُولِ الشَّرائعِ الإلٰهيَّةِ.

٣ ـ كما حَرَّموا على أتباعِهِمْ إعمالَ عُقولِهِمْ حتَّى في فَهْمِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ، وفيما يَنفعُهُمْ ويَضُرُّهُمْ مِنْ أُمُورِ دينِهِمْ ودُنياهُمْ.

٤ ـ وأشاعَ كُلُّ فَريقٍ منهم ـ قديمًا وحديثًا ـ بينَ أتباعِهِمْ أنَّ مَا هُمْ عليهِ هو رُوحُ الإسلامِ وعَصَبُهُ، وما زَوَّرُوهُ لأتباعِهِمْ مِنْ نُصوصٍ تزعمُ أنَّ الرَّسُولَ ﷺ كان الدَّاعي إلى أفكارِهِمْ وعَقائِدِهِمْ.

٥ ـ ويَزْعُمُ كُلُّ فريقٍ منهم أنّهم قَبِلُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ ﷺ، خِلَافًا لمن عَداهُمْ مِمَّن انتكبَ عَنِ الصراطِ المستقيمِ بزَعمِهِمْ وعَنْ دعوةِ الرَّسُولِ ﷺ.

٦ ـ ثُمَّ أَوَّلُوا جميعَ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ ـ التي تُبيِّنُ الإسلامَ الصحيحَ، والدِّينَ الحنيفَ، وصراطَ اللهِ المستقيمَ ـ بالتأويلاتِ الفاسدةِ والتّحريفاتِ المُنْكرةِ؛ فما تركَ **الشِّيعَةُ** آيةً تَدُلُّ على الحقِّ والخيرِ والفوزِ والنجاحِ إلَّا وزَعمُوا أنّها نزلتْ فيهم وفي أئِمَّتِهِمْ وما هُمْ عليهِ مِنْ مذاهبَ وعَقائِدَ. ولَا آيةً تَدُلُّ على الباطلِ والشَّرِّ والشِّرْكِ والفسادِ إلَّا وجعلوها في أعدائِهِمُ الذين هُمْ أهلُ الحقِّ وحملةُ الشَّرْعِ والدِّينِ وأنصارُ اللهِ تَعَالَى ورَسُولِهِ ﷺ. وكذلك **الصُّوفيَّةُ** تلاعبوا بِالنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ تَلاعُبًا عَظيمًا حتَّى جَعلوا مِنْ نُصُوصِ التوحيدِ أَدِلَّةً على بَاطِلِهِمْ واعتقادِهِم **عقيدةَ وِحْدَةِ الوجُودِ**، وأنَّ **فِرعونَ وإبليسَ** أَساتذةً ودُعَاةً للحقِّ والتوحيدِ والإيمانِ.

٧ ـ اخترعوا فضائلَ عظيمةً زَعَموها لأنفسِهم عِنْدَ اللهِ تَعَالَى في الدُّنيا والآخرةِ، فالطّاعاتُ والقُرُباتُ والصّالحاتُ هي مَا تَفعلُهُ **الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ** فقط، وحَسناتُهُمْ تتضَاعفُ وسيِّئَاتُهُمْ تُمْحَى وتتساقطُ وذُنوبُهُمْ تُغْتَفَرُ بفضلِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ. وبالغَ **الصُّوفيَّةُ** فزعموا أنَّ الذُّنوبَ والمعاصي لَا يُتصوّرُ وقوعُها مِنْ أوليائِهِمْ، فأعمالُهُمْ وإنْ ظهرتْ في صُوَرِ المعاصي والذُّنوبِ إلَّا أنّها في حقيقتِها قُرُباتٌ وطاعاتٌ. حتَّى زَعَمَ **الفريقانِ** أنَّ الجَنَّـةَ إنَّما خُلِقَتْ لَهمْ، وأنّهُ لنْ يَدخُلَها أحدٌ مَا لَمْ يَشْفَعْ لهُ بدخولِها **الأَئِمَّةُ والأولِيَاءُ**. وبهذا أَحْكَمَ الأفّاكونَ قَيْدًا عظيمًا حَوْلَ أعناقِ أتباعِهِمْ وغَوْغَائِهِمْ بِمَا اخترعوه لَهمْ مِنَ السُّيولِ الكثيرةِ فما اخْتُصُّوا بهِ مِنْ فَضْلٍ ومنزلةٍ دونَ غيرِهِمْ، مِمَّا تُؤَهِّلُهُمْ لِبُلوغِ الدَّرجاتِ العُلَى في دُنياهُمْ وأُخراهم إذْ أنَّ غايةَ كُلِّ امرئٍ أنْ تُغْتَفَرَ ذُنُوبُهُ وتُمْحَى سِيِّئَاتُهُ وتتضاعَفَ حسناتُهُ وتُقْبَلَ أعمالُهُ وطاعتُهُ؛ لِيَفُوزَ بالجَنَّةِ ويَنْجُوَ مِنَ النَّارِ.

٨ ـ جَاوزوا حَدَّ المَعقولِ في نظريّةِ **الإمامةِ والوِلايَةِ**، فجعلوهما أَهَمَّ

مَسائلِ الدِّينِ والإيمانِ، وبَنوْا عليهما أكثرَ مسائلِ مذاهبِهِمْ ونظريّاتِهِمْ، وانطلقوا مِنْ خلالِ هذه النظريَّةِ ـ التي أَحْكَموا صِياغتَها ـ في نَشْرِ الباطلِ والفسادِ في الفكرِ والاعتقادِ، وفي الفروعِ والعباداتِ، وفي نَشْرِ الشَّرِّ والرَّذِيلةِ في السُّلوكِ والأخلاقِ. فزعموا أنَّ **الإمامةَ والوِلايَةَ** منصبٌ إلٰهيٌّ واصطفاءٌ رَبَّانيٌّ واختيارٌ لَدُنِّـيٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَى ليس للمرءِ فيه كَسبٌ ولَا اختيارٌ.

وزعموا أنَّ الدِّينَ والإسلامَ لَا يَقومُ بَعْدَ النُّبُوّةِ إلَّا بالإمامةِ والوِلايَةِ المزعومتينِ، ولهذا رفعَ الرّافضةُ **أئِمَّتَهُمْ** والصُّوفيّةُ **أولياءَهُمْ** عَنْ مستوى الخَلْقِ، وخصُّوهما بخصائصَ وفضائلَ تفوقُ مَا للبشرِ مِنْ خَصائصَ وصِفاتٍ وقُدراتٍ، وغَلَوْا في ذلك حتَّى فضّلَوا **أئِمَّتَهُمْ وأولياءَهُمْ** على الملائكةِ والمُرْسَلينَ، واخترعوا نُصوصًا كثيرةً في فضائلِهم وما لَهمْ مِنَ المنزلةِ والزُّلْفَى والحقوقِ والخصائصِ والعُلومِ والقُدُراتِ مَا هي أقربُ إلى الخُرافةِ منها إلى الوقائعِ والحقائقِ فضلًا عَنِ العقائدِ والأديانِ.

ولقَدْ ساهمَ هذا الغُلُوُّ في اعتقادِ حُلُولِ اللَّاهوتِ في النّاسُوتِ؛ فعَبَّرتِ **الرَّافِضَةُ** عَنْ هذا الكُفْرِ بقولِهِمْ إنَّ أئِمَّتَهُمْ خُلِقُوا مِنْ نُورِ اللهِ تَعَالَى، وعَبّرتِ **الصُّوفيَّةُ** عنهُ بشُهودِ الحقِّ، تعبيرًا منهم عَنِ **الحُلولِ** الذي تَطَوّرَ فيما بَعْدُ على أيدي غُلاتِهِمْ وفلاسفتِهِمْ ومُتكلِّمِيهم، فأعلنوا وصَرَّحُوا بعقيدةِ **وِحْدَةِ الوجُودِ** التي تَوَّجَتْ كُلَّ ضَلالاتِهِمْ وبِدَعِهِمْ ومُنكراتِهِمْ.

وقَدْ جعلتْ هذه النُّصوصُ المزعومةُ كُلَّ **شِيعِيٍّ وصُوفِيٍّ** يُؤمِنُ بإمامِهِ ووَلِيّهِ ذلك الإيمانَ الذي أرادَهُ طَواغيتُهُمْ ورَسمُوه لَهمْ، وجعلتْ منهم أدواتٍ طائعةً في أيدي الأفاكينَ الوضَّاعينَ الذين لَا يتورّعونَ عَنْ أيِّ شَيْءٍ مِمَّا حَرّمَهُ اللهُ تَعَالَى. فإذا أرادوا مِنْ أتباعِهِمْ فعلَ شَيْءٍ أو تَرْكَ شَيْءٍ؛ مَا عَليهِم إلَّا إضافةَ ذلك الشَّيْءِ ـ أمرًا كان أو نَهْيًا ـ إلى الرَّسُولِ ﷺ والأئِمَّةِ والأولياءِ. الأمرُ الذي لَا يَسَعُ أَيَّ **شِيعِيٍّ أو صُوفِيٍّ** إلَّا الإيمانُ بهِ والانقيادُ

لهُ مع التَّسليم والإِذْعَانِ؛ لأنّهُ مِنَ الحُجَجِ الشَّرعيَّةِ الصادرةِ عَمَّنْ يَزْعُمُونَ فيهِمُ العِصْمَةَ والحِفْظَ، فلا يَصْدُرُ عنهم خَطأٌ أو بَاطلٌ ولَا يأمرونَ إلَّا بحقٍّ وشرعٍ، فهُمُ المَعصُومونَ المحفوظونَ بِعصْمَةِ اللهِ تَعَالَى وحِفْظِهِ، وهُمُ الذين يُؤيِّدُهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بالوَحْيِ والإلهامِ والإخبارِ، فلا يقولونَ إلَّا صِدْقًا ولَا يأمرون إلَّا بالحقِّ.

٩ ـ اخترعوا مَبدأً خبيثًا ظاهرَ الفسادِ والبُطلانِ؛ صَوْنًا منهم لمكانةِ **الإمامِ والوَلِيِّ** وعِلْمِهما وإخبارِهما بالغَيْبِ وغيرِهِ؛ حتَّى لَا يُتَّهَمَ أَحَدٌ منهم بالجهلِ أوِ الخطأِ ومُجانبةِ الصَّوابِ والوقوعِ في التَّناقُضِ والتَّضادِّ في الأقوالِ والأحكامِ والأحوالِ. ذلك أنَّ كِلا الفريقينِ لمّا زَعموا لِأئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ عِصْمَةً تُجنِّبُهُمُ الخطأَ والزَّلَلَ والوقوعَ في المعائبِ مِنْ صَغائرَ وكبائرَ، ولمّا كان حقيقةُ أمرِهِمْ أنّهم بَشَرٌ مِمَّن خَلْقَ اللهُ تَعَالَى تَجري عَليهِم سُنَنُهُ ﷻ؛ ظَهَرَ منهم مَا تَعارضَ مع مَا زعموهُ، مثل وقوعِهم في بعضِ الأخطاءِ في المسائلِ العِلْمِيَّةِ أَوِ الشُّذُوذِ في بعضِ الأفعالِ والأحوالِ.

فعندَ ذلك تنبّهَ لهذه الأخطاءِ والهفواتِ بعضُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى وأرادَ هِدايتَهُ، فتوقّفَ عَنِ الاستمرارِ في الغوغائيَّةِ وصرّح بِمَا رآهُ واكتشفَهُ؛ الأمرُ الذي جعلَ **الدُّعَاةَ مِنَ الفريقينِ** ـ تَدارُكًا لأمرِهِمْ وأمرِ أئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ ـ يخترعون مَبْدَأَ **التَّقِيَّةِ والبَدَاءِ** لِيَصُونوا بهما أخطاءَهُمْ واختلافَهُمْ في الفتاوى والأحكامِ ودَعَاوى عِلْمِ الغَيْبِ. ثُمَّ أحاطوا مذاهبَهُمْ بالسّرّيَّةِ والكِتمانِ، واستعملوا الرموزَ والإشاراتِ الغامضةَ إخفاءً لِعُيوبِهِمْ وسِتْرًا لقبائِحهم وتَرويجًا لمذاهبِهم.

وبالغوا في مزاعمِهِمْ حتَّى جعلوا **التَّقِيَّةَ** دِينَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ جميعًا، وأنّهم أَخذوا بِها وعملوا بِها وأمروا النَّاسَ بِها. وزَعَمَتِ **الرَّافِضَةُ** أنّهُ لَا دِينَ لِمَن لَا تَقِيَّةَ لهُ، وقالتِ **الصُّوفيَّةُ** بِوجُوبِ قَتْلِ مَنْ باحَ بالأسرارِ وما يَجِبُ كَتْمُهُ، وزَعموا أنّ ما هم عليهِ سِرٌّ مِنْ أسرارِ الرُّبُوبِيَّةِ يَجِبُ صَوْنُهُ.

ثُمَّ ستروا بِدَعَهُمْ ومُنكراتِهِمْ وأهدافَهُمُ الحقيقيَّةَ الخبيثةَ وراءَ هذه النّظرياتِ والمبادئِ، وإذا مَا بَلَغَتْهُمُ النُّصوصُ الشَّرعِيَّةُ التي تَتعارضُ ومذاهبِهِمْ زَعموا أنَّها مِنْ بابِ **التَّقِيَّةِ**.

١٠ ـ مَلأوا حياةَ أتباعِهِمْ بالمُناسباتِ الدّينيَّةِ الشَّرعيَّةِ المَزعومةِ؛ فأشغلوا سَاعاتِ أيَّامِهِمْ في سَائرِ الأيّامِ والشُّهورِ بِمَا شَرعوهُ لَهمْ مِنَ الأعيادِ والاحتفالاتِ الخاصَّةِ والأذكارِ والأورادِ التي تُتْلَى في أماكنَ زَعَمُوها مُقَدّسَةً. ذلك أنَّ **الشِّيعَةَ والصُّوفيَّةَ** أقاموا مذاهبَهُمْ على تَقديسِ أئِمَّتِهِمْ وشُيوخِهِمْ في حَياتِهِمْ وبَعْدَ مماتِهِمْ.

الأمرُ الذي جَعَلَهُمْ يُبالغونَ في قُدُراتِهِمْ وخَصائِصِهِم وتَصرُّفِهِمْ في الأكوانِ، وفي مُلْكِ اللهِ تَعَالَى ومَلَكوتِهِ، ويَنْسُبُونَ لَهُمُ المُعجِزاتِ والكراماتِ التي لَا تُعَدُّ ولَا تُحْصَى، وغير ذلك مِنْ أنواعِ الغُلُوِّ الذي حملَ الأتباعَ على اعتقادِ أنَّ **أئِمَّتَهُمْ وأولياءَهُمْ** قَدْ خُصُّوا ببعضِ صِفاتِ الرُّبُوبِيَّةِ والإلٰهيَّةِ، فتهيَّأوا لِتقديسِهِمْ وعِبادَتِهِمْ في حَياتِهِمْ وبَعْدَ مَماتِهِمْ رَجَاءَ كسبِ رِضَاهُمْ والفوزِ بالحُسْنَى؛ لأنّهم آمنوا بأنَّ الوَيْلَ والهلاكَ لمن خَالَفَ الإمامَ والوَلِيَّ، والخسارةَ والبوارَ لمن غَضِبَ عليهِ أُولَئِكَ المُقَدَّسُون ولَمْ يرضوْا عنهُ. وقَدْ حملَهُمْ هذا التَّقديسُ على ارتكابِ الكثيرِ مِنَ المُنكراتِ والبدعِ والضلالاتِ، فـ:

ـ شَيّدوا المشاهِدَ وبنوا القِبَابَ على قُبورِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ، وبَنَوْا عليها المساجدَ والمَزاراتِ.

ـ عَظَّمُوا تلك الأماكنَ وخَصُّوها بأنواعٍ مِنَ الأذكارِ والأورادِ والطُّقوسِ التي زَعمُوها مَناسكَ لتلك المشاهدِ، وقَدْ مُلِئَتْ بالبِدَعِ وأعمالِ الشِّرْكِ: مِنْ دُعاءِ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى، والاستغاثةِ والاستشفاءِ والاستشفاعِ بالمخلوقينَ، والتَّوسُّلِ بِهِمْ وجَعْلِهِمْ وسائطَ بَيْنَ الحقِّ والخَلْقِ، والطَّوافِ حَوْلَ تلك القُبورِ والأضرحةِ، وغيرِ ذلك مِنَ المُنْكراتِ الشَّرعيَّةِ والعقليَّةِ.

- شَرّعوا لأتباعِهِمُ الحجَّ والزِّيَارَةَ إلى تلك المشاهدِ وتعظيمَها، وجَعْلَها أماكنَ مُقدَّسَةً مُباركةً يُستجابُ فيها الدُّعَاءُ، وتُقبلُ فيها الأعمالُ والطَّاعاتُ والنُّذُورُ وغيرِ ذلك مِنَ الأقوالِ والأفعالِ التي هي إلى الشِّرْكِ والوَثَنِيَّةِ أقربُ منها إلى الإسلامِ والإيمانِ.

- كما شَرّعوا لَهمْ تعظيمَ تلك البلادِ والبِقاعِ التي هي مَحَلُّ اجتماعِ طَواغيتِهِمْ، ووَكْرُ شياطينِهِمْ، بِمَا اخترعوهُ لَهمْ مِنْ نُصوصٍ شَرعيَّةٍ في أديانِهِمْ ومذاهبِهِمْ، ونسبُوها إلى مَنْ زَعمُوهم أَئِمَّةً وأولياءَ وحتَّى إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، نُصوصٌ ورواياتٌ تَفوحُ منها رَائِحَةُ الشِّرْكِ والدَّعوةُ إلى عبادةِ القُبورِ وتعظيمُ الأوثانِ باسمِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ، ثُمَّ اعتقدوا أنَّ ذلك مِنْ مُكفِّرَاتِ الذُّنوبِ والسَّيّئاتِ والخطايا، وهو الأمرُ الذي مَا جاءَ الإسلامُ بلْ والأديانُ جميعًا ولَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رُسُلَهُ إلَّا لمحاربتهِ وإزالتهِ مِنْ حياةِ الخَلْقِ والعبادِ.

- وشَرعوا إقامةَ الأعيادِ والموالدَ العظيمةَ التي يَحُجُّونَ إليها مِنْ مُختلِفِ البلادِ، ويَتوافدون عليها مِنْ جميعِ الآفاقِ، أَعيادًا ومَوَالِدَ لَا تنقطعُ طِوالَ أيّامِ السَّنَةِ، حرصًا مِنَ الأفّاكينَ والدُّعَاةِ الوضّاعينَ على بَقَاءِ شِيعَتِهِم ومُريديهِمْ في شُغلٍ تَامٍّ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ غيرِ مذاهبِهِمْ، مِمَّا قَدْ يكونُ سَبَبًا في فَتْحِ أبصارِهِمْ وإنارةِ بَصائرِهِمْ ومعرفةِ الحقِّ مِنَ الباطلِ والشِّرْكِ مِنَ التوحيدِ.

ويَحرصُ دُعاةُ **الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** أَشَدَّ الحرصِ على إحياءِ تلك المُناسباتِ التي شَرّعوها لأتباعِهم. **فالرَّافِضَةُ** تَستغِلُّ إحياءَ مُناسباتِهِمُ التي صَبغوها بصبغةٍ مأساويَّةٍ، كمأساةِ قتلِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويشعلونَ نارَها في نُفوسِ الشِّيعَةِ بِمَا زادوه فيها وفي غيرِها مِنْ مناسباتٍ مِنَ الكَذِبِ والغُلُوِّ؛ لِيجعلوا منها نُقطةَ الانطلاقِ إلى شَحْنِ صُدورِهم بالحقدِ والكراهيَةِ للمُسلمينَ عَامَّةً ولرجالِ الإسلامِ الأوائلِ خَاصَّةً، ولْيَدفعوا بِهِمْ إلى الثَّوْرَةِ الدّائمةِ على دَولَةِ الإسلامِ وتفريقِ كلمةِ المُسلِمينَ وتشتيتِ جمعِهِمْ وتبديدِ قُوَّتِهمْ لِيَصِلوا

مِنْ خلالِ ذلك كُلِّهِ إلى تحقيقِ غاياتِهِمُ الخبيثةِ وتَنفيذِ مُخطّطاتِهِمُ العُدْوانيَّةِ.

وكذلك **الصُّوفيَّةُ** يَحرِصُ دُعاتُهُمْ على المشاركةِ في مُناسباتِهِمْ ومَوالِدِهِمُ التي يَحجُّونَ إليها ويَشدّون إليها الرِّحالَ مِنْ كُلِّ فجٍّ وصَوْبٍ، ويَستغلون تلك التَّجمعاتِ العظيمةِ في إحياءِ الشِّركيَّاتِ والوَثَنِيَّاتِ في نُفوسِ وقُلوبِ مُريدِيهم، ويَحرصون كُلَّ الحرصِ على عَزْلِهِمْ عَنْ أهلِ الحَقِّ، وبَثِّ رُوحِ العَدَاوةِ بَيْنَ أتباعِهِمْ وبَيْنَ عَامَّةِ المُسلِمينَ وأهلِ الحقِّ منهم خَاصَّةً، بِحُجَّةِ أنَّ أهلَ الإيمانِ والتوحيدِ يبغضون الأولياءَ. وعَلِمَ اللهُ أنّهم لَا يبغضون إلَّا مَا يبغضُهُ خَالِقُهُمْ ومَولاهُمْ مِنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ والبِدَعِ والأهواءِ المُنحرفةِ. وهكذا يُزيّنونَ لمُريدِيهم وأتباعِهِمْ مَا يُنَفِّرُهُمْ عَنْ أهلِ الإسلامِ والتوحيدِ والعِلْمِ والفضلِ.

ولقَدْ ساهمتْ هذه **المناسباتُ** في تمكينِ دُعاةِ **التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ** مِنْ وَضْعِ مَنهجٍ مُتكاملٍ يَستغرِقُ أعمارَ أتباعِهِمْ، وقَدْ شَرّعوا فيها تعظيمَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ تَعَالَى مِنْ قُبورٍ وأماكنَ وبقاعٍ مِنَ الأرضِ، واستبدلوا بِهَا تعظيمَ بُيوتِ اللهِ تَعَالَى، وما عَظّمَهُ اللهُ تَعَالَى ورسُولُهُ ﷺ، وشَرّعوا لَهمْ تلكَ الأورادَ والأدعيَةَ واحتفالاتِ العزاءِ والموالِدِ التي شَحَنَتْ صُدورَ شِيعَتِهِم، وحَملَتْهم على الاستماتَةِ في حُبِّ مَذاهبِهِمْ والانحرافِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى، وعلى التّضحيَةِ في سبيلِ أُصُولِهِمْ وعَقائِدِهِمْ وأفكارِهِمْ، وعلى الولاءِ والامتثالِ والإذعانِ لِكُلِّ طَواغيتِهِمْ ولِما يُمْلُونَهُ عَليهِم مِنْ أمرٍ ونَهْيٍ باسمِ المذهبِ وَلَاءً وامتثالًا أعظمَ مِنْ ولائِهِمْ وامتثالِهِمْ لأمرِ اللهِ تَعَالَى وأمرِ رَسُولِهِ ﷺ، حتَّى آلَ أَمرُهُمْ جميعًا إلى اتّخاذِ أئِمَّتِهِمْ وأوليائِهِمْ أربَابًا مِنْ دونِ اللهِ تَعَالَى، يَستحلّون مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى ورسُولُهُ ﷺ، ويُحرِّمون مَا أحلَّ اللهُ تَعَالَى ورَسُولُهُ ﷺ، طاعةً منهم لأربابِهِمْ وسَدَنَتِهِمْ وطَواغيتِهِمْ.

وبهذه **الطُّقُوسِ الشّيطانيّةِ المُقدّسةِ عندَهم** تَمكَّنَ الزَّنَادِقَةُ مِنِ امتلاكِ مَشَاعِرِ أَتباعِهِمْ وتَوجِيهِ عَاطفتِهِمْ وإشباعِها، ونَجَحَ دُعاةُ الضَّلالةِ في تعطيلِ

عُقولِ أتباعِهِمْ وأفكارِهِمْ، وعَدَم اعتراضِهِمْ على شَيْءٍ مِمَّا تُمْليهِ أساطينُهُمْ حتَّى مِمَّا ظهرَ فيه الخطأُ والتَّنَاقُضُ والتَّضادُّ ومعارضةُ العقلِ والواقعِ والنُّصوصِ.

وهذا كُلُّهُ جعلَ مِنَ **الشِّيعَةِ والصُّوفيَّةِ** أُمَّةً تَعتمِدُ على مَا يُشْحَنُ بهِ وِجْدَانُها مِنَ العواطفِ التي تُلامِسُ قُلوبَهُمْ ومَشَاعِرَهُمْ دُونَ العُقولِ، وقَدْ أحكم وتمكن الدُّعَاةُ المُنحرفون في إشباعِ هذه الرَّغْبَةِ مَا يَكْفُلُ لَهمْ عَدَمَ إعمالِ العقلِ والفكرِ، وكَفَلَ لَهمْ بَقَاءَ أتباعِهِمْ في حظيرَتَي **التَّشَيُّعِ والتَّصَوُّفِ** كالأنعامِ ـ بل هم أضل سبيلا ـ لَا يَفقهون مَا يُدارُ حَوْلَهُمْ، ولَا يَعرفون مَا يُرادُ بِهِمْ، ويَتَّبِعون كُلَّ نَاعِقٍ، مُستبدلينَ حَيَاتَهُمُ العقليَّةَ والفكريَّةَ بالعواطفِ والمشاعرِ الوِجْدَانيَّةِ التي لَا يَهتدون بِهَا إلى سَبيلٍ، ولَا يُميِّزون بِهَا بَيْنَ الحَقِّ والباطلِ، ولَا بَيْنَ النُّورِ والظُّلماتِ.



نَصيحةٌ

وأخيرًا؛ أتوجَّهُ بهذه الكلمةِ إلى أهلِ الحقِّ عَامَّةً، وإلى طَلَبةِ العِلْمِ منهم وأصحابِ الأقلامِ خَاصَّةً؛ نَاصِحًا لَهمْ ومُحَذِّرًا مِنَ الانخداعِ بأساليبِ هاتينِ الفِرقتَيْنِ الضَّالّتَيْنِ شيعةً وصُوفيّةً ومن مناهجِهِمُ التي يَستدرجون بِهَا عَامَّةَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وكُتَّابَهُمْ وطَلَبَةَ العِلْمِ منهم وخاصة دعاة الجمع والتقريب بين المسلمين، فأقولُ:

أولًا: ما يتعلّقُ بأهلِ الرّفضِ والتَّشَيُّعِ

لقَدْ دَأَبَ **دُعاةُ التَّشَيُّعِ وعلماؤُهُمْ** على تَرديدِ الشِّعاراتِ البَرَّاقَةِ والهتافاتِ والصَّيْحَاتِ في مُؤلَّفَاتِهمْ وخُطَبِهِمْ، وإقامةِ مَهرجاناتٍ كَلاميَّةٍ خَطَابيَّةٍ يَتباكوْنَ فيها على حالِ المُسلِمينَ، وتمزُّقِهِمْ إلى أَحزابٍ وفِرَقٍ شَتَّتَتْ جمعَهُمْ وبَدَّدَتْ قُوَّتَهُمْ ومَزَّقَتْ كَيانَهُمْ ودَوْلَتَهُمْ. ثُمَّ يُظهرون لأتباعِهِمْ خَاصَّةً، وللسُّذَّجِ مِنْ عَامَّةِ أهلِ الإسلامِ، بأنّهم كانوا وما زالوا الدُّعاةَ الحقيقيين لإعادةِ المُسلِمينَ إلى وِحْدَتِهمْ وجَمْعِ كَلِمَتِهمْ أمامَ أَعدائِهِمْ.

ولقَدْ أكثرَ **دُعاةُ الرَّفْضِ** في هذه الأيّامِ مِنْ رَفْعِ هذه الشِّعاراتِ الكاذبةِ والكلماتِ الجوفاءِ؛ سِترًا لباطلِهِمْ، وإخفاءً لمساوئِهِمُ التَّاريخيَّةِ والاجتماعيَّةِ والدِّينيَّةِ، وتَرويجًا لمعتقدَاتِهمُ الفاسدةِ بَيْنَ عَامَّةِ المُسلِمينَ.

وقَدِ اجتهدوا في سبيلِ هذه المكيدةِ، وواصلوا عَمَلَهُمْ دونَ كَلَلٍ أو مَلَلٍ، حتَّى تمكّنوا ونَجحوا في كَسْبِ عَدَدٍ مِنَ العُلَمَاءِ وكُتَّابِ المُسلِمينَ، بَعْدَ أنْ خَدَعُوهُمْ بتلك الشِّعاراتِ الكاذبةِ والدُّموعِ الباردةِ التي يَسكُبونَها بِلَا حَياءٍ عِنْدَ التَّباكي على وِحْدَةِ المُسلِمينَ وعِزَّتِهمْ وما آلَ إليه أَمرُهُمْ مِنَ التَّفَرُّقِ

والتَّمَزُّقِ والضَّعْفِ. وسَقَطَ مَنْ سَقط مِنْ هؤلاءِ العُلَمَاءِ والكُتَّابِ في مَصائدِ ومكائدِ الرَّافِضَةِ؛ لغفلَتِهِمُ العظيمةِ، وجَهْلِهِمُ المُرَكَّبِ في معرفةِ حقيقةِ الرَّفْضِ والتَّشَيُّعِ وأهلِهِ، ولجِهلِهِمْ بمعرفةِ وَسَائِلِهِمُ الخبيثةِ في نَشْرِ دِينِهِمُ الباطلِ.

إنَّ **عُلَماءَ الرَّافِضَةِ** قَدْ طَربوا فَرَحًا بهذا الكَسْبِ لهذا العَدَدِ مِنْ هؤلاءِ المُغفّلينَ الذين انخدعوا بشعاراتِهم في **دَعوى التّقريبِ** وغيرِها مِنَ الدَّعاوَى؛ فعَقدوا عِدّةَ اجتماعاتٍ ولقاءاتٍ معهم تَمخّضَتْ عَنْ إنشاءِ **جمعيّةٍ** اعتبروها كَسْبًا عظيمًا وفَوْزًا وانتصارًا لَهمْ على أهلِ السُّنَّةِ، وهي في حقيقتِها ووَاقِعِها مَهْزَلَةٌ دِينيَّةٌ وتَاريخيَّةٌ، ولكنهم أضافوها إلى رَصيدِهِمْ في أساليبِ تَضليلِ عُلَماءِ السُّنَّةِ وكُتَّابِهِمْ وأصحابِ الأقلامِ منهم، وفي التّعْمِيَةِ الشَّاملةِ على مَساوئِ الشِّيعَةِ في التَّاريخِ الإسلاميِّ كُلِّهِ.

وقَدْ وَضعوا لهذه **الجمعيَّةِ** اسمَ «**جمعية التّقريبِ بَيْنَ المذاهبِ الإسلامِيَّةِ**»؛ لِيروجَ على أهلِ الإسلامِ، وكأنَّ الفَرْقَ بَيْنَ الشِّيعَةِ والسُّنَّةِ كالفَرْقِ بَيْنَ المذهبِ الشَّافِعيِّ والمذهبِ الحنبليِّ مِنْ مذاهبِ أهلِ السُّنَّةِ. وهي في وَاقِعِها **جَمعيَّةٌ** تَهْدُفُ إلى تَمييعِ مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ وخُروجِ أهلِهِ منهُ شَيئًا فشيئًا والدُّخولِ في حَظيرةِ التَّشَيُّعِ والرَّفْضِ.

إنَّ اتّحادَ المُسلِمينَ واجتماعَ كَلِمَتِهِمْ وإعادةَ عِزَّتِهِمْ هو مَا يَجِبُ أنْ يَسْعَى إليه كُلُّ مُسْلِمٍ غَيورٍ على دِينِهِ ومُخلصٍ لهُ، وأنْ يجتهدَ في سبيلِ تحقيقِ هذه الغايةِ بِكُلِّ مَا يَستطيعُهُ، وأنْ يبذُلَ مَا أمكنَهُ مِنْ جُهْدٍ ونَفْسٍ ومَالٍ.

ويجبُ أنْ يَكونَ هذا الاتّحادُ على الحقِّ والهدى، وعلى أساسِ التّمسُّكِ بكِتابِ اللهِ تَعالَى وسُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺ، اتّحادٌ يقومُ على عقيدةِ الصحابة الكرام، سَلَفِ هذه الأُمَّةِ ومنهجِها في الدِّينِ والحياةِ كما أمرَ اللهُ تَعالَى في كتابِهِ العزيزِ فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وكما قال تعالى أيضًا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا

ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وكما بَيّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بقولِهِ: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنِ اعتصمتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أبدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»**(١). وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا في حديث الافتراق: «**...كلها في النار إلا واحدة.... من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي....**»(٢) وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ....**»(٣)

وِحْدَةٌ لَا تُفَرِّطُ بشيءٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وما عُلِمَ منهُ بالضَّرورةِ ولَا تَتنازلُ عنهُ، لَا وَحْدَةٌ تَقومُ على الطَّعْنِ في كِتابِ اللهِ تَعَالَى وفي سُنَّةِ حبيبهِ ومُصْطَفاهُ ﷺ، ولا تقومُ على الشِّركِ باللهِ، ودُعاءِ غيرِه مِنَ المخلوقينَ في السّرّاءِ والضّرّاءِ، وتعظيمِ القُبورِ والسُّجودِ لها والطّوافِ بها، وسؤالِ الأمواتِ ما لا يقدرُ عليه إلّا اللهُ تباركَ وتعالَى، وتقديسِ البَشَرِ واتّخاذِهم أربابًا وأندادًا من دونِ اللهِ تعالَى، ولَعْنِ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ وأُمَّهَاتِ المؤمنينَ وتَكفيرِهِمْ والبراءةِ منهم، ولا تقومُ على الغُلُوِّ العظيمِ في عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ وبعضِ وَلَدِهِ ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ وغيرِ ذلك مِنَ العظائمِ والمُوبقاتِ مما فَصَّلتُهُ في ثنايا هذه الرِّسالةِ.

إنَّ هذه دَعْوةٌ إلى الانسلاخِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى والكُفْرِ بِمَا جاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وليستْ دَعْوةً إلى وِحْدَةٍ إسلاميَّةٍ كما يَزْعُمُ أهلُها. فلا تَغترّوا بِبُكائِهِمْ ودُمُوعِهِمْ، ولَا بِصراخِهِمْ وعَويلِهِمْ على مَا حَلَّ بالإسلامِ وأهلِهِ. فإنّهم واللهِ! سَبَبُ كُلِّ بَلاءٍ وكَارِثَةٍ حَلَّتْ بالإسلامِ وأهلِهِ، وإنهم أُمَّةٌ تُجِيدُ

---

(١) **حديث حسنٌ بشواهدِهِ**: رواه الحاكمُ في «المستدرك»، كتاب العِلْم، في خطبته ﷺ في حجة الوداع (١/ ٩٣) مِنْ حديثِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه. انظر: (السّلسلة الصّحيحة للإمام الألبانيِّ: ٤/المقدمة: الصفحة: ط، وأيضًا: ٤/ ٣٥٧ سطر ٩)، وتعليقَ الألبانيِّ: أيضًا على (هِدايةِ الرّواة لابنِ حَجرٍ ١/ ١٤٠ ـ ١٤١ حاشية رقم: ٥).

(٢) صحيح الترمذي للألباني (رقم/ ٢٦٤١) وقال: حسن أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم.

(٣) صحيح الترمذي للألباني (رقم/ ٢٦٧٦) وقال: صحيح: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

التَّمثيلَ **والنِّفَاقَ** وتُتْقِنُ الأدوارَ المُتعارضةَ المُتناقضةَ، فهم أَحْفَادُ مَنْ قَتَلَ الحُسَيْنَ وأهلَ بَيْتِهِ ثُمَّ بَكَى عليهِ، فقد قال لَهمْ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ: «**هؤلاءِ يَبْكِينَ علينا! فمَنْ قَتَلَنا؟**».

ثُمَّ إنَّ هذه أُمَّةٌ تُؤمِنُ وتُدِينُ **بالتَّقِيَّةِ** التي تُوجِبُ ـ نَعَمْ تُوجِبُ ـ عَليهم إظهارَ خِلافَ مَا يُبْطِنونَهُ خَاصَّةً عِنْدَ الاجتماعِ بِمَنْ يُخالِفُهُمْ في الفِكْرِ والاعتقادِ، وتُوجِبُ عَليهِمُ التظاهرَ بموافقةِ المُخالفينَ في سبيلِ الوصولِ إلى غَاياتِهِمُ الخبيثةِ، فالتَّقِيَّةُ هي التي أنقذَتْهم في تأويلِ وتفسيرِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ والاجتماعيَّةِ والدِّينيَّةِ التي تَهدِمُ مَذهبَهُمْ وأُصُولَهُمْ **كبَيْعَةِ عَلِيٍّ** للخُلفاءِ قبلَهُ **أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ** ﭫ، وعَدَمِ خُروجهِ عَليهِم، واحترامهِ لَهمْ، وحتَّى تَزويجهِ ابنتَهُ مِنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وكذلك تَنازلِ الحَسَنِ لِمُعَاوِيَةَ ﭬ، وغيرِها مِنَ الأحداثِ التي لَوْ لَمْ تُفسَّرْ بالتَّقِيَّةِ لكانتْ مِنْ أوضحِ الأدِلَّةِ على بُطلانِ هذا المَذهَبِ المُنْحَرِفِ.

فكيف نتَّحِدُ مع مَنْ هذا حَالُهُمْ وهذا دِينُهُمْ؟ وعَلَامَ نَتّحِدُ؟ هل على **كِتابِ اللهِ** الذي بَيْنَ أيدينا الذي يَعتقدونَ تَحريفَهُ، أَمْ على **مُصحفِ فَاطِمةَ** الذي يَزْعُمونَ أنَّهُ عِنْدَهُمْ؟ أَلَا فانتبهوا واستيقظوا يا قوم قَبْلَ الفوتِ!

إنَّ **دُعاةَ الرَّفْضِ** يُريدونَ مِنْ **أهلِ السُّنَّةِ** التّنازلَ عَنْ مُعتقداتِهِمْ وأُصُولِهِمُ التي جاءَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. ويُريدوننا مَعْشَرَ أهلِ السُّنَّةِ أنْ نُؤْمِنَ أوّلًا بأنَّ التَّشَيُّعَ كالمذاهبِ الإسلامِيَّةِ في الفروعِ. ثُمَّ بَعْدَ ذلك يَكشفون عَنْ غَايَةٍ أُخْرَى، وهي أنَّ هذه المذاهبَ المعروفةَ بَيْنَ أهلِ السُّنَّةِ هي مِنِ اجتهاداتِ بعضِ الفُقَهاءِ والعُلَمَاءِ الذين يَصِحُّ منهُمُ الوقوعُ في الخطأِ، في حين أنَّ التَّشَيُّعَ هو مذهبُ أهلِ البَيْتِ وليس فيه إلَّا اجتهاداتُ الأَئِمَّةِ، وهُمُ الذين عَصَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بزَعمِهِمْ، فلا يَصدُرُ منهم إلَّا الحقُّ والصوابُ، وما كان حَقًّا وصوابًا أحقُّ أنْ يُتَّبَعَ، ومَنْ كان مَعصومًا عَنِ الخطأِ والزَّلَلِ أحقُّ أنْ يُقتدَى بهِ ويُتَّخَذَ إمَامًا.

هذه هي غَايتُهُمْ وهَدَفُهُمْ، وهذا مَا يُريدُهُ هؤلاءِ الدَّجَّالون الذين

أَفادَتْهم هذه الدَّعوَى في كَسْبِ بعضِ أهلِ الغَفْلَةِ مِنْ كُتَّابِ أهلِ السُّنَّةِ وحَمَلَةِ أَقلامِهِمْ. كما نَجَحَ **الرَّافِضَةُ** في إِقْناعِ عَوامِّهِمْ وغَوْغَائِهِمْ بِأَنَّ مَذهبَهُمْ هو الدَّاعي إلى الوِحْدَةِ الإسلامِيَّةِ، وأنَّ أَهلَ السُّنَّةِ لَا يستجيبونَ، ولَا يُريدون للإسلامِ والمُسلِمينَ العِزَّ والمَجْدَ والاتِّحادَ، بلْ يُريدون لَهُ التَّمَزُّقَ والتَّفَرُّقَ.

وقَدْ قام **الدكتور عِزُّ الدِّينِ إبراهيم** ـ وهو مِنْ أتباعِ **حِزبٍ** يَزْعُمُ أهلُهُ أنّهم نَذَروا أنفسَهم للدّعوةِ إلى دِينِ اللهِ ونَشْرِ الإسلامِ في أرضِ اللهِ تَعالَى ـ بتأليفِ رسالةٍ بعنوانِ «**موقِف عُلَماءِ المُسلِمينَ مِنَ الشِّيعَةِ والثَّوْرَةِ الإسلامِيَّةِ**»، تَلَقَّفَتْها **الحكومةُ الإيرانيَّةُ** وطَبَعَتْ منها آلافَ النُّسَخِ ووزَّعَتْها في أوساطِ **أهلِ السُّنَّةِ**؛ تَرويجًا لمذاهبِهِم وتَمييعًا لمواقفِ أهلِ الحقِّ.

- كتبَ **الدكتورُ** يَتباكى ويرثي حالَ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ وتَفرُّقَها وضَعْفَها، ثُمَّ عقدَ جميعَ آمالِهِ وأحلامِهِ وخيالاتِهِ على ما زَعَمَهُ قيامَ الثَّوْرَةِ الإسلامِيَّةِ في **إيرانَ**، حيثُ أنّها زَلزلتِ الغربَ والأمبرياليَّةَ والصُّهيونيَّةَ العالميَّةَ التي اجتمعتْ على وَأْدِ هذه الحركةِ وإيقافِ مَدِّهَا بما أُوتِيَتْ مِنْ قُوّةٍ ومَكْرٍ ودَهَاءٍ ومَالٍ وغيرِهِ، فجنَّدَتْ لذلك خُططًا شَيطانيَّةً كثيرةً.

منها على حَدِّ زَعْمِ **الدكتورِ** ما قامَ ويقومُ بهِ «**طابورٌ ضَخْمٌ مِنْ وُعَّاظِ السَّلاطينِ الذين جَنَّدَتْهُمُ الأنظمةُ الطَّاغُوتِيَّةُ في هذه المؤامرةِ الصهيونيَّةِ**»، فتَوَلَّوْا كِبْرَ الفِتْنَةَ ـ على حَدِّ زَعْمِهِ ـ وهي بيانُ المفارقةِ والمخالفةِ بَيْنَ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ، واختلافِ أُصُولِ كُلِّ فريقٍ مِمّا هو على حَدِّ فَهْمِهِ وعِلْمِهِ وزَعْمِهِ تَفريقٌ للأُمَّةِ الواحدةِ وإضعافٌ لقُوَّتِها ووِحْدَتِها، الأمرُ الذي حَملَهُ على تأليفِ رسالتهِ التي سَوّدَ بِها أوراقًا كشفَ فيها عَنْ جَهْلٍ عظيمٍ مُرَكَّبٍ في دِينِ اللهِ تَعالَى، فَضَحَ بهِ نفسَهُ، وفضحَ أعلامًا وقادةً في حركتِهِ وحزبِهِ الذي يَنتمي إليه.

لقَدْ كتبَ كتابَهُ هذا دفاعًا عَنِ **الثَّوْرَةِ الخُمَيْنِيَّةِ** وعَنْ مذهبِ التَّشَيُّعِ ودِينِ الشِّيعَةِ الإِمَاميَّةِ الرَّافِضَةِ.

- ذكرَ الدكتورُ جُهودَ قادةِ **حركةِ الإخوانِ المُسلمينَ** في التَّقريبِ بَيْنَ

المذاهبِ الإسلامِيَّةِ بزعمهِ وبزَعمِهِمْ، وإنَّ أَوّلَ مَنْ أَسَّسَ هذه الجماعةَ أَوِ الجمعيةَ اثنان: هما **حَسَنٌ البَنّا** رئيسُ حركةِ الإخوانِ المُسلمينَ، **ومُحَمَّدٌ القُمِّيُّ أَحَدُ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ** الذي كان يَنْزِلُ ضَيْفًا على **مَركزِ الإخوانِ** في القاهرةِ.

• وذكرَ الدكتورُ في (ص١٥ مِنْ رسالتِهِ) أقوالًا لإمام حَرَكَتِهم وحِزْبِهم **حَسَنٌ البَنّا**، منها قولُه: «**اعْلَمُوا أنَّ أهلَ السُّنَّةِ والشِّيعَةَ مُسلمونَ تَجمعُهُمْ كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وهذا أصلُ العقيدةِ، والسُّنَّةُ والشِّيعَةُ فيه سَواءٌ وعلى الْتِقاءٍ، أمَّا الخلافُ بينهما فهو في أُمُورٍ مِنَ المُمْكِنِ التقريبُ فيما بينهما**».

• وذكرَ في (ص١٦) أنَّ الشِّيعَةَ كانت تَنتمي إلى حَرَكَتِهم كما كان الأمرُ في العراقِ وغيرِه، وأنَّ **نَوّابَ صَفوي أَحَدَ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ** التَقى **بمصطفى السِّباعي** الذي اشتَكى الجفوةَ بَيْنَ [جماعة] الإخوانِ والشِّيعَةِ في سُوريا، فقام **نوابُ** خَطيبًا في أبناءِ مِلَّتِهِ قائِلًا: «مَنْ أَرادَ أنْ يَكونَ جَعفريًّا حقيقيًّا فلْيَنضَمَّ إلى صُفوفِ الإخوانِ المُسلِمينَ».

• وفي (ص٢١) احتجَّ **بمُحَمّدٍ الغَزاليِّ الأزهريِّ العقلانيِّ المُعاصرِ** الذي قال ما نَصُّهُ: «**فإذا المُسلِمونَ قِسمانِ كبيرانِ شِيعةً وسُنَّةً، مع أنَّ الفريقينِ يُؤمنانِ باللهِ وَحْدَهُ، وبرسالةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ولَا يَزِيدُ أحدُهما على الآخرِ في استجماعِ عناصرِ العقائدِ التي يَصْلُحُ بِها الدِّينُ وتلتمسُ النّجاة**».

• وذكرَ عَنِ **الغَزاليِّ** في **(ص٢٢)** أنّهُ كان لهُ عملٌ دؤوبٌ ومُتَّصِلٌ في **دارِ التّقريبِ** في القاهرةِ حيثُ صَادَقَ كُلًّا مِنْ **مُحَمَّد تقي القُمّيَّ ومُحَمَّد جواد مغنية**. فهنيئًا لَهُ ولأتباعهِ هذه الصَّداقةُ والأخوّةُ.

• وذكرَ عنهُ أيضًا في (ص٢١) قولَهُ: «**فإنَّ الفريقينِ يُقيمانِ صِلَتَهما بالإسلامِ على الإيمانِ بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِه، ويَتَّفقانِ اتفاقًا مُطلقًا على الأُصُولِ الجامعةِ في هذا الدِّينِ، فإذا اشتجَرَتِ الآراءُ بَعْدَ ذلك؛ فإنَّ مذاهبَ المُسلِمينَ كُلَّها سواءٌ في أنَّ للمجتهدِ أَجْرُهُ إنْ أخطأَ أم أصابَ**».

ولَا أدري هل يَجهلُ أم يَتجاهَلُ **الغَزاليُّ**؛ فيَزْعُمُ أنَّ **السُّنَّةَ والشِّيعَةَ** يتّفقانِ في الأُصولِ الجامعةِ، وأنَّ الخلافَ بينهما مِنْ بابِ الاجتهادِ المأجورِ عليهِ المخطئُ منهما؟

أينَ **الغَزاليُّ** مِنْ عَقائِد الشِّيعَةِ وأُصُولِ الشِّيعَةِ في الإمامَةِ ومصادرِ التّشريعِ مِنْ كتابٍ وسُنَّةٍ، وغيرِها مِنْ مسائلِ الإيمانِ والاعتقادِ التي قَدْ ذَكَرْتُ طَرَفًا منها في رسالتِي هذه وأشرتُ إلى حقيقتِها ودورِها الخطيرِ في الإجهازِ على الإسلامِ والمُسلمينَ؟

• ثُمَّ ذكرَ الدكتور في (ص٢٧ ـ ٢٨) عَنْ أُستاذِهِ **سميح عاطف الزين** الذي أَلَّفَ كتابًا ناقشَ فيه هذه المسألةَ فيقولُ: «ولَا أُخفي عليك أيها القارئ الكريم أنَّ الذي دَعانا لتأليفِ هذا الكتابِ هو التّفرقةُ العمياءُ الحاصلةُ في مُجتمعِنا اليومَ، **وأخصّها التّفرقةُ الواقعةُ بَيْنَ المُسْلِمِ الشِّيعيِّ والمُسْلِمِ السُّنِّيِّ، والتي يَجِبُ أنْ يَكونَ قَدْ تبخّرتْ مع تَبخُّرِ الجهلِ، ولكن مع الأسفِ ما زال لها بعضُ الجذورِ في النُّفوسِ المريضةِ**».

هكذا يرى هذا **الأستاذُ** أنَّ التّفرقةَ نشأتْ مع الجهلِ الذي تَبَخَّرَ بِزَعْمِهِ، ولَا أدري هل يَعْلَمُ هذا **المخدوعُ** أنَّ عُلَماءَ الأُمّـةِ الأعلامَ هُم مَنْ أحدثوا هذه **التّفرقةَ** في القُرونِ الأولى مِنْ دَولَةِ الإسلامِ وعزِّهِ لمّا رأوا مُفارقةَ ومُباينةَ **دينِ أهلِ الرّفضِ** لدينِ الإسلامِ والتّوحيدِ. ولكنّنا نعلمُ أنَّ **دُعاةَ التّقريبِ** ما ظهروا إلَّا في هذا القَرْنِ الذي عَزَّ فيه وجودُ العُلَماءِ وقَلَّ، وسَادَ الجهلُ والهوى، واتَّخَذَ غالبُ النَّاسِ ـ وخَاصَّةً الجماعاتِ الإسلامِيَّةَ ـ رُؤوسًا جُهَّالًا يَقودون الأُمَّةَ والشَّبابَ إلى ما لَمْ يَكُنْ عليهِ سَلَفُ هذه الأُمَّةِ وأئمَّتُها الأعلامُ.

• ويختمُ الدكتورُ هذه النُّقولاتِ فيقولُ في **(ص٣٤ ـ ٣٥)**: «وبعدُ: فإذا كان هذا رأيُ: **البَنَّا، وشَلتوت، وأبي زهرةَ، والغَزاليِّ، والتِّلمسانيِّ، وفتحي يَكَنْ، وأنور الجنديّ، وعَبدِ الكَريم زيدان، والشّكعة، وخلّافٍ، والبهنساويِّ، وسعيد حَوّى، ووافي، والأعظميّ، والمودوديِّ، وحسن أيوبَ، ومشايخِ الأزهرِ،**

وغيرِهم مِنْ أعلامِ المُسلِمينَ وقادَتِهم؛ فماذا تَعني الأصواتُ الغريبةُ التي نَسمَعُها مِنْ وقتٍ لآخرَ تدعو للتَّكْفيرِ وإشعالِ نارِ الفِتْنَةِ».

• ثُمَّ نقلَ في **(ص٣٥)** عَنْ شيخِهِ **الغَزاليِّ** قولَهُ: «**لحسابِ مَنْ تُفتعلُ هذه الإشاعاتُ وتُلْقَى بَيْنَ الأغرارِ؛ ليسوءَ ظَنُّهُمْ بإخوانِهم، وقَدْ يسوءُ ظَنُّهُمْ بكتابِهم**».

• وفي الصّفحةِ نفسِها ينقلُ عَنْ أستاذهِ **راشدٍ الغنوشيّ** زعيمِ الحركةِ الإسلاميَّةِ في تُونسَ قولَهُ: «**وأنْ يستعاضَ بالمشاكلِ الحقيقيّةِ الواقعيّةِ بمشكلاتٍ وَهْميَّةٍ كالصِّراعِ بَيْنَ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ، والمذهبيّةِ واللا مذهبيّةِ، والخَلَفِ أم السَّلَفِ، عَلِيٍّ أم مُعَاوِيَةَ؟**».

نعم واللهِ! إنّها **أصواتٌ غريبَةٌ** تلك التي تَصْدَعُ بالحقِّ، وتُبيِّنُ خُبْثَ وكُفْرَ **الرَّافِضَةِ** وسلسلةَ مؤامراتِهم ضِدَّ **أهلِ السُّنَّةِ** ودينِ اللهِ تَعالَى، وأنّها مِنْ غُرْبَةِ الإسلامِ التي أَخْبَرَ عنها رَسُولُ اللهِ ﷺ بقولِهِ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»(١)، وصدقَ ﷺ؛ فلقَدْ عَادَ الإسلامُ غريبًا كما بَدَأَ، فالحقُّ غَريبٌ ومُنْكَرٌ، والباطلُ هو المعروفُ لِكَثْرةِ أهلِهِ وحِزبِهِ.

• ثُمَّ رَدَّ في **(ص٣٦)** على مَنْ يَزْعُمُهُمْ أصحابَ الأصواتِ الغريبةِ، أو كما يَرى شَيْخُهُ **الغَزاليُّ** أنّهُم يفتعلونَ الإشاعاتِ ويَلقونها على الأغرارِ، أو شيخُهُ **الغنوشي** أنّهم أصحابُ إثارةِ المشكلاتِ الوهميَّةِ مِنْ أمثالِ **مُحبِّ الدّينِ الخطيبِ، وإحسان إلٰهي ظهير** رَحمةُ اللهِ عليهما.

وهذه هي مِحْنَةُ الإسلامِ والمُسلِمينَ، رُؤوسٌ جُهَّالٌ لَا يُفرِّقونَ بَيْنَ الحقِّ والباطلِ، ولَا يُميّزون بَيْنَ الطَّيِّبِ والخبيثِ، ولَا بَيْنَ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ. فإنّا للهِ وإنا إليهِ راجعونَ.

(١) «صحيح مُسْلِمٍ»، كتاب الإيمانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا... (١/ ١٣٠ رقم: ١٤٥/ ٢٣٢).

• ثُمَّ انتقلَ الدكتورُ في **(ص٤٢)** إلى بيانِ موقفهِ وموقفِ أَساتذتِهِ وزُعمائهِ مِنَ **الثَّوْرَةِ الإيرانيَّةِ** التي وَصَفَها بقولهِ: «**فأيقظتْ رُوحَ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ**».

• وذكرَ في الصّفحةِ نفسِها عَنْ أستاذهِ **عصامِ العطارِ** أَحَدِ الزُّعماءِ التّاريخيّينَ لحركةِ الإخوانِ المُسلِمينَ أنّهُ كتبَ كتابًا كاملًا عَنْ تاريخِ الثَّوْرَةِ، ووقفَ بجانبِها مُؤَيِّدًا وأنّهُ أرسلَ بَرقيَّاتِ التَّأْييدِ والتَّهْنِئَةِ مِرارًا **للخُمَيْنِيِّ**.

• ثُمَّ بَيَّنَ في **الصفحةِ نفسِها** موقفَ **جماعةِ الإخوانِ المُسلمينَ** في **السُّودانِ** الذي وَصَفَهُ بأنّهُ كان مِنْ أروعِ المواقفِ التي شهدتْها العَواصِمُ الإسلامِيَّةُ؛ حيثُ خرجَ **الإخوانُ** بمظاهراتِ التأييدِ، وأنَّ زَعيمَهُمُ **الدكتورَ حَسَنًا التُّرَابِيَّ** سافرَ وقابلَ إمامَهُ **الخُمَيْنِيَّ** وأَعْلَمَهُ تَأييدَهُ لهُ.

• ثُمَّ ذكرَ في **ص٤٣** ما كان مِنْ زَعيمِ الحركةِ الإسلامِيَّةِ في **تُونس** الأستاذِ **الغنوشيِّ** الذي كتبَ مُرشِّحًا إمامَهُ **الخُمَيْنِيَّ** لإمامةِ المُسلِمينَ، والذي كتبَ بقلمهِ عَنِ الاتّجاهِ الإسلاميِّ الحديثِ ما نَصُّهُ: «**تبلورَ وأخذَ شَكْلًا واضحًا على يَدِ: الإمامِ البَنَّا، والمودوديِّ، وقطبٍ، والخُمَيْنِيِّ مُمثّلي أَهَمِّ الاتجاهاتِ الإسلامِيَّةِ في الحركةِ الإسلامِيَّةِ المعاصرةِ**».

• ثُمَّ بَيَّنَ في **الصفحة السابقة** موقفَ **الإخوانِ** في **لبنانَ** والذي وَصَفَهُ بقولهِ: «**كان مِنْ أكثرِ المواقفِ وُضُوحًا وعُمْقًا، فقَدْ وقفَ الأستاذُ فتحي يكن ومجلةُ الحركةِ «الأمان» مَوقِفًا إسلاميًّا مُشَرِّفًا، وزارَ الأستاذُ يَكَنُ إيرانَ أكثرَ مِنْ مَرّةٍ، وشاركَ في احتفالاتِها، وألْقَى المحاضراتِ في تأييدها**».

• ثُمَّ نقلَ في **ص٤٤ قصيدةً** لأُستاذهِ **يُوسُفَ العظمِ** يدعو فيها إلى **(مُبايعةِ الخُمَيْنِيِّ)**، فيقولُ:

«**بالخُمَيْنِيِّ زعيمًا وإمامْ ... هَدَّ صَرْحَ الظُّلمِ لَا يخشى الحمامْ**
قد مَنحناهُ وشاحًا ووسامْ ... مِنْ دِمَانَا ومضينا للأمامْ
نُدَمِّرُ الشِّرْكَ ونجتاحُ الظلامْ ... لِيَعودَ الكونُ نورًا وسلامْ»

• وفي (ص٤٤) بَيَّنَ موقفَ **حركةِ الإخوانِ المُسلمينَ** في مِصْرَ، وهو لَا يختلفُ عَنِ المواقفِ السابقَةِ.

• ثُمَّ بَعْدَ ذلك في (ص٤٦ ـ ٤٧) بَيَّنَ موقفَ **التَنظيم الدّوليِّ للإخوانِ** الذي أصدرَ بيانًا **مُؤيِّدًا للخُمَيْنِيِّ وثَوْرَتِهِ**، والذي صَنَّفَ فيه غيرَ المؤيّدينَ للثَّورَةِ الخُمَيْنِيَّةِ إلى أربعةٍ لَا خامسَ لهم: «**إمَّا مُسْلِمٌ لم يَستَطِعْ أنْ يستوعبَ عَصْرَ الطُّوفانِ الإسلاميِّ وما زال يعيشُ زمنَ الاستسلام.. وإمَّا عميلٌ يتوسّطُ لمصلحةِ أعداءِ الإسلامِ... وإمَّا مُسْلِمٌ إِمّعَةٌ يُحرِّكُهُ غَيْرُهُ... وإمَّا مُنَافِقٌ يُدَاهِنُ بَيْنَ هؤلاءِ وهؤلاءِ**».

ولَا أدري ما الفرقُ بَيْنَ الصِّنْفِ الثاني والرابعِ؟ هكذا يَزْعُمُ أنّهُ لَا خامسَ لهؤلاءِ؛ لأنَّ عقلَهُ وفَهْمَهُ وعِلْمَهُ لَا يستوعبُ **صِنْفًا خامسًا** يَعْلَمُ خَطَرَ هذه **الثَّوْرَةِ المشبوهةِ** على الإسلامِ الحقِّ، وخطرَ **التَّشَيُّعِ** على الإسلام وأهلِهِ، صِنْفٌ يَعلمُ عَقائِدَ الشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ ودسائسَها، ويرى التاريخَ الإسلاميَّ أمامَهُ بما فيه مِنَ الويلاتِ والفِتَنِ التي تَولَّى كِبرَها الشِّيعَةُ الرَّافِضَةُ على مَرِّ التاريخِ.

• ثُمَّ بَيَّنَ في (ص٤٨) موقفَ **الجماعةِ الإسلامِيَّةِ في باكستانَ** حيثُ نقلَ فتوى علَّامتِهم **أبي الأعلَى المودودي** التي يقولُ فيها: «**وثَوْرَةُ الخُمَيْنِيِّ ثَوْرَةٌ إسلاميَّةٌ، والقائمونَ عليها هُمْ جماعةٌ إسلاميَّةٌ، وشبابٌ تَلَقّوا التّربيَةَ في الحركاتِ الإسلامِيَّةِ، وعلى جميعِ المُسلِمينَ عَامَّةً والحركاتِ الإسلامِيَّةِ خَاصَّةً أنْ تُؤَيِّدَ هذه الثَّوْرَةَ وتتعاونَ معها في جميعِ المجالاتِ**».

• ويُعَلِّقُ **الدكتورُ** رَافِعًا عَقيرتَهُ قائلًا: «**إِذَنْ هذا هو الموقفُ الشّرعيُّ مِنَ الثَّوْرَةِ الإسلامِيَّةِ كما يطرحهُ المودوديُّ، وليس ما يطرحُهُ وعّاظُ السَّلاطينِ السّعوديينَ وغيرُهم مِنْ آراءٍ مُخالفةٍ لِفَتْوَى المجتهدِ الكبيرِ**». اهـ.

فالمودوديُّ عِنْدَهُ **مُجْتهدٌ كبيرٌ**، وموقفُهُ هو **الموقفُ الشّرعيُّ** الذي يَدعو فيه جميعَ المُسلِمينَ لتأييدِ **ثَوْرَةِ الخُمَيْنِيِّ** والتعاونِ معها؟

والحمدُ للهِ تَعَالَى الذين خَذَلَهُ وخذلَ أصحابَ هذا الفكرِ الظَّلامِيِّ بالموقفِ الحقِّ الذي وقفَهُ العُلَماءُ الأعلامُ في أرضِ الإسلامِ والسُّنَّةِ أرضِ **الحَرَمَيْنِ الشَّريفَيْنِ المملكةِ** وغيرِها مِنَ البلادِ الإسلامِيَّةِ الذين أَيَّدَ اللهُ بِهِمْ دِينَهُ ورفعَ بِهِمْ كَلِمَتَهُ ورَدَّ كَيْدَ الخُمَيْنِيِّ وأبواقَهُ مِنَ المودوديِّ وغيرِهِ في نُحُورِهِم وكَشَفَ ضَلالَهم وانحرافَهم.

إنَّ هؤلاءِ العلماءَ مِنَ «**الطائفةِ الظاهرةِ المَنصُورةِ التي لَا يَضُرُّها مَنْ خَالفَها ولَا مَنْ خَذَلَها**»(١) التي أخبرَ عنها رَسُولُ اللهِ ﷺ، أمّا أمثالُ هذا **الدكتورِ الجاهلِ** ومَنْ نقلَ عنهم مِنْ أساطينِ وقادةِ **حركةِ الإخوانِ**؛ فقد تسلَّطوا على الشبابِ المُسْلِمِ في أنحاءِ العَالَمِ يَقودُونَهم إلى مهاوي الرَّدَى والهلاكِ ومُخالفةِ الحقِّ والهُدى.

وسوف يأتي اليومُ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ الذي يَثُورُ فيه الشَّبابُ المُسْلِمُ على هذه الرؤوسِ الخاويَةِ مِنَ العِلْمِ الشّرعيِّ الحقِّ ومِنْ مِيراثِ النُّبُوّةِ الصَّافيَةِ ويُحَطِّمُونَها، لِيَتولَّى قيادةَ الشبابِ والأُمَّةَ أئِمَّةٌ أعلامٌ يقولون بالحقِّ وبهِ يَعدلونَ، ويكونونَ على نُورٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وبُرهانٍ مِنْ دِينِهِ وشَرْعِهِ، ويومئذٍ يَنْصُرُ اللهُ تَعَالَى دِينَ الإسلامِ وأُمَّةَ الإسلام.

كَيف يُرِيدُها **الرَّافِضَةُ** وِحْدَةً إسلاميَّةً بينهم وبَيْنَ **أهلِ السُّنَّةِ** في حين أنّهم مُتفرِّقون فيما بينهم إلى فِرَقٍ وأَحزابٍ تَعْصِفُ بِهَا الأهواءُ والشَّهواتُ والبِدَعُ والرَّذَائِلُ، ويُكَفِّرُ بَعضُهُمْ بعضًا، ويَلْعَنُ بَعضُهُمْ بعضًا؟

وكيف يَدْعُوننا إلى الوِحْدَةِ وهُمْ عَاجزون عَنْ تَوْحِيدِ صُفُوفِهِمْ وتجميعِ فِرَقِهِمْ وشَرَاذِمِهم؟ فهلَّا اتحَّدَتِ **الشِّيعَةُ الرَّافِضَةُ** فيما بينها على **كِتابٍ وسُنَّةٍ وإمامٍ مَعْصُوم وشَرعٍ دِينِيٍّ بأُصُولِهِ وفُروعِهِ**، قَبْلَ تَصديرِ هذه الدَّعوَى إلى خَارجِ حُدودِ التَّشَيُّعِ؟

(١) والحديث في الصحيحين: البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث حديث ثابت متواتر من جهة استفاضة ثبوته عند الأئمة، ومخرج في الصحيحين من غير وجه، وفي غيرهما. محموع الفتاوى.

وهل مَنْ فَقَدَ الوِحْدَةَ والاتِّحادَ وتَمزَّقَ إلى أكثرَ مِنْ **سَبْعينَ فِرْقَةٍ** يُكَفِّرُ بعضُها بعضًا؛ هل يَمْلِكُ أنْ يُعْطِيَ الوِحْدَةَ إلى غَيْرِهِ مِمَّن يُخالِفُهُ في المِلَّةِ والدِّينِ والنِّحْلَةِ؟

ألَا فَلْينتبهِ الغافلون ويَستيقظِ النَّائمون قَبْلَ الوقوعِ في أَوْحَالِ الكُفْرِ والنِّفَاقِ.

ثانيًا: ما يتعلّقُ بالتَّصَوُّفِ

أمَّا **الصُّوفيَّةُ**؛ فإنّهم يَعتبرون أنفسَهُمْ مِنْ **أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ**، وهكذا يُصوّرونَ للنّاسِ، فلا حاجةَ لَهمْ إلى مُشاركةِ إخوانِهِمْ في الدَّعوةِ إلى الوِحْدَةِ والاتِّحادِ. وإنْ مِمَّا يَحُزُّ في النفسِ أنَّ الكثيرَ مِن أهلِ العِلْمِ والفضلِ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ يَعتبرونَهُمْ كذلك، فإنّا للهِ وإنا إليه راجعونَ.

ولقَدْ تَمكَّنَ **دُعَاةُ التَّصَوُّفِ** مِنْ إجادةِ دَوْرِهِمْ في التَّظاهُرِ بأنّهم مِنْ **أهلِ السُّنَّةِ**، بلْ مِنْ زُهَّادِهِمْ وعُبَّادِهِمْ وصَفْوَتِهِمْ؛ فاخترعوا بعضَ الرّواياتِ السُّنِّيَّةَ التي تُوهِمُ انتسابَهُمْ إلى **السُّنَّةِ والجَماعَةِ**، والتّقيدَ بالكتابِ والسُّنَّةِ.

وقَدْ تمكّنوا أيضًا مِنِ استدراجِ كثيرٍ مِنَ العُلَماءِ والكُتّابِ وخِداعِهِمْ، الأمرُ الذي يَتَجَلَّى في تَجاهُلِ كثيرٍ منهم أقاويلَ الصُّوفيَّةِ الواضحةَ الكُفْرِ، ويُرَكِّزُ على الأقوالِ الأُخْرَى في الحِكَمِ والمواعظِ والزُّهْدِ والوَرَعِ وغيرِها مِمَّا قالَهُ المُنحرفون مِنْ بابِ التَّقِيَّةِ والخداعِ والتّمويهِ.

ثُمَّ إنَّ الحِكَمَ والمواعظَ والنُّصْحَ والإرشادَ فِكْرٌ إنسانيٌّ عَامٌّ يَقولُهُ جميعُ أهلِ المِلَلِ والأديانِ ويَهتمُّون بهِ ويَتناقلونهُ عَنْ أحبارِهِمْ ورُهبانِهِمْ وصَالحِيهم في كُلِّ عَصْرٍ، فلماذا يَتناقَلُ هؤلاءِ العُلَماءُ والكُتَّابُ أقاويلَ الصُّوفيَّةِ وكأنّها فَريدةُ عَصْرِها ووَحِيدَةُ دَهْرِهَا، حتَّى إنَّ بَعضَهُمْ عِنْدَ اضطرارِهِ

لِذْكِرِ بعضِ أقوالِهِمُ المُنحرفةِ يَلجأُ إلى التأويلِ والتسويغ ويبحثُ عَنْ وُجُوهِ المعاذيرِ؛ تَعظيمًا منهم لأهلِ التَّصَوُّفِ، ورُبَّمَا أَعْلَنَ بَعضُهُمْ بسذاجَةٍ وغَفْلَةٍ أنْ تلكَ الأقوالَ لَمْ يَقُلْها أصحابُها وإنّما هي مِمَّا دُسَّتْ عَليهِم وأُضِيفَتْ إلى التُّراثِ الصُّوفِيِّ تشويهًا وتنفيرًا. وهذه هي الطَّامَّةُ الكُبرَى حيثُ قَدِ استقرَّ في نُفوسِ هؤلاءِ أنَّ المُتَصَوِّفَةَ أَجَلُّ قَدْرًا وأعظمُ حالًا مِنَ الوقوعِ في بعضِ الأخطاءِ صغيرةً كانت أم كبيرةً؛ لاعتقادِهِمْ أنَّ أهلَ التَّصَوُّفِ أُنَاسٌ مُصْلِحُون لَا يَصْدُرُ منهم إلَّا مَا فيه الخيرُ والصّلاحُ والواقعُ أنّهم هُمُ المفسدون الضَّالُّون، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لَا يعلمون.

ثُمَّ لَا أدري لماذا تُوصَفُ كُفْرِيّاتُهُمْ وزَنْدَقَاتُهُمْ وَحْدَها بأنّها مَدسوسةٌ، مع أنَّ الانحرافَ والكُفْرَ الذي يَصِفُونَهُ بالشَّطحِ ظاهرةٌ أساسيَّةٌ في الفكرِ الصُّوفِيِّ قديمهِ وحديثهِ. وما الشَّطْحُ في واقعهِ وحقيقتهِ إلَّا الكُفْرُ الصّريحُ والجرأةُ العظيمةُ في دِينِ اللهِ تَعَالَى. وقَدْ زَعَمَ الصُّوفيَّةُ أنَّ الشَّطْحَ والكُفْرَ أحوالٌ تَصدُرُ عنهم في حالِ مَحْوِهِمْ وغَيْبَتِهِمْ وسُكْرِهِمْ وفَنَائِهِمْ وفُقدانِ شُعورِهِمْ تلبيسًا وتمويهًا لِترويجِ الكُفْرِ والضّلالِ.

والذي يُؤْسَفُ لهُ حَقًّا أنْ يَعتذِرَ بعضُ عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ وكُتّابِهِمْ عَنْ أُولَئِكَ المُنحرفينَ بِمِثْلِ هذه الاعتذاراتِ الشَّيْطَانيَّةِ التي رَوَّجَ لها دُعَاةُ التَّصَوُّفِ. ولِمَ لَا تكونُ أقوالهُمُ المستقيمةُ في ظاهرِها قَدْ قِيلَتْ في حالِ سُكرِهِمْ وغَيْبَتِهِمْ، أو تكونُ قَدْ دُسَّتْ في تُرَاثِهِمُ العَفِنِ، ونُسِبَتْ إلى شُيوخِهِمْ وأوليائِهِمُ المُنحرفين.

ثُمَّ هلِ الدَّسُّ والزَّيْفُ قَدْ نَالَ أشهرَ مُؤلَّفَاتِهِمْ «كاللُّمَعِ» و«التَّعْرُّفِ» و«الرسالةِ القُشَيْرية» و«طبقاتِ الصُّوفيَّةِ» للسُّلَمِيِّ و«إحياءِ عُلومِ الدِّينِ» للغزاليِّ، وغَيرِها مِمَّا يُعَدُّ مِنْ أعظمِ الأُصُولِ والتُّراثِ عِنْدَهُمْ، والتي صُنِّفَتْ للدِّفاعِ عَنِ التَّصَوُّفِ وقامَ عليها سوقُهُ، وروّجوا بها التّصوُّفَ أنّهُ مِنْ مذاهبِ أهلِ السُّنَّةِ وأنّهُ مُتَّصِلٌ بالإسلامِ وأهلهِ؟

إنَّ هذه الكُتُبَ نفسَها هي التي اعتمدَها أهلُ العِلْمِ والفضلِ في بيانِ التّضادِّ والتَّناقُضِ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وبَيْنَ الدِّينِ الإسلاميِّ عَامَّةً، ومنهجِ أهلِ السُّنَّةِ خَاصَّةً.

وأرجو مِنَ اللهِ تَعَالَى ألَّا يكونَ هؤلاءِ العُلَمَاءُ والكُتّابُ ـ **أعني: أصحابَ مدرسةِ تأويلِ الشَّطْحِ الصُّوفِيِّ وتسويغِهِ** ـ قَدْ أثّرتْ فيهم أساليبُ التّخويفِ والتّحذير، وتلك الأساطيرُ الخُرافيَّةُ والهواجسُ الشَّيْطَانيَّةُ التي أشاعَها دُعَاةُ التَّصَوُّفِ حَوْلَ الشيوخِ والأولياءِ وتَصَرُّفِهم في الأكوانِ، وقُدْرَتِهِمْ على جَلْبِ النَّفْعِ ودَفْعِ الضُّرِّ، أو إيصالِ الضَّرَرِ والأذى بِمَنْ يتعرَّضُ لَهمْ ولِمقاماتِهمْ ومنازِلِهِمْ؛ تخويفًا وتَهديدًا لِكُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لهُ نفسُهُ الاعتراضَ والإنكارَ عَليهِم، فضلًا عَمَّنْ يُضْمِرُ الشَّرَّ وسُوءَ النِّيَّةِ لَهمْ، أو مَنْ يُصَرِّحُ بِكُفْرِهِمْ ومُروقِهِمْ مِنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى.

بمثلِ هذه المناهجِ تَمكَّنَ **الصُوفِيُّونَ** مِنْ إيجادِ مَنْ يَخدِمُهُمْ وَيخدِمُ أهدافَهُمْ ومصالَحهم ومذاهبَهُمْ مِنْ غيرِهِمْ، خَاصَّةً مِنْ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ.

والحقُّ أنَّ **التَّصَوُّفَ** أبعدُ مَا يكونُ عَنِ الدِّينِ الإسلاميِّ، فضلًا عَنْ مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وأنّهُ أَحَدُ الأوجُهِ الكثيرةِ للشِّرْكِ والكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ والإلْحَادِ. فالصِّراعُ بَيْنَ أهلِ السُّنَّةِ وبَيْنَ الصُوفِيِّينَ هو صِراعٌ بَيْنَ التّوحيدِ والشِّرْكِ أو بَيْنَ الإيمانِ والكُفْرِ، وحلْقَةٌ مِنْ حَلقاتِ الصّراعِ المستمرِّ بَيْنَ التّوحيدِ والشِّرْكِ مِنْ أَوّلِ مَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رُسُلَهُ وأنبياءَهُ، فإنّهم مَا بُعِثُوا وما أُرْسِلوا إلَّا لبثِّ الإسلام والتوحيدِ ومحاربةِ الشِّرْكِ في هذه الدُّنيا؛ قال اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فدعوةُ الرُّسُلِ واحدةٌ ورسالتُهُمْ واحدةٌ.

وكذلك كان أقوامُهُمْ مُتّفقينَ فيما يُواجهونَ بهِ رُسُلَهُمْ وأنبياءَهُمْ؛ قال اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [فصلت: ٤٣]،

فالدَّعوةُ واحدةٌ، والصِّراعُ واحدٌ، توحيدٌ وشِرْكٌ، وإيمانٌ وكُفْرٌ، ثُمَّ يَنتصِرُ التوحيدُ والإيمانُ بفضلِ اللهِ تَعَالَى وحدَهُ.

ولكن يَعودُ الشِّرْكُ، وتعودُ الأُمَمُ إلى مَا كانتْ عليهِ، وهكذا حتَّى جاءَ رَسُولُنا مُحَمَّدٌ ﷺ، وجاءَ كِتابُ اللهِ الذي كَشَفَ دَعاوى أهلِ الشِّرْكِ والكُفْرِ، وما تَتستَّرُ بهِ مِنْ أفعالٍ وأقوالٍ قَدْ تَرُوجُ على البعضِ، كتعظيمِ الرَّسُولِ ﷺ، ومَحبّةِ آلِ بَيْتِهِ، وتعظيمِ الأولياءِ ومَحبّتِهم، والتَّوسُّلِ بصلاحِهِمْ وأعمالِهِمْ وذَوَاتِهِمْ، وغيرِ ذلك مِمَّا يَتذرّعُ بهِ المشركونَ ويَسترون بهِ كُفرَهُمْ وزندقَتهم.

ولقَدْ أخبرَ رَسُولُنا ﷺ أنَّ الأمرَ سيعودُ كما كان قَبْلَ مَبعثِهِ، التوحيدُ فيه غَريبٌ، والموحِّدُون فيه غُرَبَاءُ؛ لِقِلَّتِهِمْ وضَعْفِهِمْ وهَوانِهِمْ على النَّاسِ، ولِانتشارِ الشِّرْكِ والأوثانِ، وتعظيمِ وعبادةِ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى؛ روى الإمامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحِهِ» عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَـدَأَ الإِسْـلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَـا بَدَأَ غَرِيبًا؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[(١)].

ولكن على الرَّغْمِ مِنْ ذلك؛ قَدْ بشّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بأنَّ طَائفةً ستظَلُّ على الحقِّ والأمرِ العتيقِ، وأنّهُ لَا يَضُرُّهُمْ كَثْرةُ مُخالِفيهم وخُذْلانُهُمْ لَهمْ حتَّى يَأتيَ أمرُ اللهِ، فقالَ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[(٢)].

ولقَدْ بَدَأَتْ حَركةُ الشِّرْكِ المتستّرةِ بالدِّينِ وأُصُولهِ وآثارهِ أَوّلَ مَا ظهرَتْ في الإِسْلام على أيدي **دُعَاةِ الرَّفْضِ** باسمِ التَّشَيُّعِ لآلِ البَيْتِ ومَحبَّتِهمْ ونُصرتِهمُ التي تَطوّرتْ إلى تَقديسِ الرّجالِ وتعظيمِهِمْ وعِبادَتِهمْ. ثُمَّ تولَّى كِبْرَ

(١) «صحيح مُسْلِم»، كتاب الإيمانِ بَابُ بَيَانِ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا.. (١/ ١٣٠ رقم: ١٤٥/ ٢٣٢).

(٢) «صحيح مُسْلِم» كتاب الإمارة بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ..**» (٣/ ١٥٢٣رقم: ١٩٢٠/ ١٧٠).

هذا الشِّرْكِ ونَشْرِهِ وبَثِّهِ في مُختلِفِ بلادِ الإسلامِ وأهلِهِ أُولَئِكَ **الصُّوفِيُّونَ** المتسترون بثيابِ الزُّهْدِ والوَرَعِ.

والصُّوفيَّةُ على الرَّغْمِ مِنْ تَعَدُّدِ طُرُقِها، وتَشَعُّبِ مناهجِها؛ ليستْ إلَّا فُروعًا مُرتبطةً بأصلٍ وأساليبَ، يَجمعُها مَبْدَأٌ ويُوحِّدُها هَدَفٌ، وهو الاتِّحادُ بِاللهِ في هذا العَالَمِ اتحَّادًا حقيقيًّا، وذلك بمحوِ الشَّخصيَّةِ الإنسانيَّةِ، والفَنَاءِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إلَّا اللهَ تَعَالَى بِزَعمِهِمْ، حتَّى يُدْرِكَ الصُّوفِيُّ رَبَّهُ بالمُكاشفةِ والمُشاهَدَةِ المزعومتيْنِ لَا بِالبُرْهانِ، ويتَّصِلُ بِهِ بالجَذْبِ والشَّوْقِ والعِشْقِ والذَّوْقِ، لَا بالأعمالِ والطاعاتِ والتّقوى؛ وتقريرًا لهذه الحقيقةِ يقولُ **القُشَيْرِيُّ**: «**الصُّوفِيُّونَ هُمْ قَوْمُ الوصالِ، لَا قومَ الاستدلالِ، يَعرفون اللهَ بالمشاهدةِ**». ويقولُ **الجُنَيْدُ**: «**التَّصَوُّفُ أَنْ تَكونَ مع اللهِ بِلَا علاقةٍ**».

والطُّرُقُ الصُّوفيَّةُ المتعددةُ في أقطارِ العالمِ الإسلاميِّ لَا تَخرُجُ عَنْ هذا الفكرِ المُنحرفِ، وتقومُ أساسًا على تعظيمِ المَخْلُوقِينَ وعِبادتِهِمْ، وتَشتهِرُ ببعضِ الشَّعوذاتِ التي يُنْكِرُها الدِّينُ الحنيفُ والعَقلُ السَّوِيُّ، فما هي إلَّا صورةٌ أُخْرَى **للتَّشَيُّعِ والرَّفْضِ**، ولَا يَقصدون مِنْ تعدُّدِ أساليبِهِمْ وطُرُقِهِمْ إلَّا التَّمويهَ على **أهلِ التّوحيدِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ**، والتَّظاهرَ بأنّهم منهم.

أقولُ هذا؛ ليستجمعَ **أهلُ الحقِّ** هِمَمَهُمْ في معرفةِ الحقِّ مِنَ الباطلِ، وذَبِّ كُلِّ غَريبٍ عَنْ دِينِهِمْ وشَرعِهِمْ، ورَفْضِهِ ومُحاربتِهِ؛ مُحافظةً على صَفَاءِ دِينِهِمْ، وتَنقيتِهِ مِنَ الشَّوائِبِ والأكدارِ **الصُّوفيَّةِ والشِّيعِيَّةِ** وغيرِها.

والحمدُ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وعلى آلِهِ الطَّيِّبين وصَحَابَتِهِ الصَّادِقِينَ، ومَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُمْ وسَارَ على نَهجِهِمْ إلى يومِ الدِّينِ.

(تَمَّ بتوفيقِ اللّهِ تعالَى وإعانتهِ وبرجاءِ تسديدهِ وقَبولِهِ)

المدينة النّبويّة في غرّة المُحَرّم
عام (١٤١١هـ)

فهرس المصادر والمراجع[(١)]

١ ـ أبحاث في التصوف: د. عبد الحليم محمود، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط٢)، (١٩٨٥م). (■)

٢ ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ: أحمد بن المبارك، طبعة دار الفكر، بيروت. (■)

٣ ـ أبو مدين الغوث: د. عبد الحليم محمود، طبع دار المعارف بمصر. (■)

٤ ـ الإثنا عشرية في الرد على الصوفية: محمد بن الحسن الحر العاملي، مطبعة دار الكتب العلمية، قم، إيران (١٤٠٠هـ). (●)

٥ ـ الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)

٦ ـ أحمد البدوي: د. عبد الحليم محمود.

٧ ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، عالم الكتب ـ دمشق. (■)

٨ ـ أخبار الحلاج: الناشر عبد الحفيظ مدني طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة (١٩٧٠م)، نشر مكتبة الجنيدي مصر. (■)

٩ ـ الاختصاص: محمد بن النعمان المفيد، منشورات جماعة المدرسين الحوزة العلمية، قم إيران. (●)

١٠ ـ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، طبعة إيران، مشهد (١٣٤٨هـ). (●)

١١ ـ الآداب المعنوية للصلاة: الخميني بن مصطفى، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). (●)

١٢ ـ الأدب المفرد: الإمامُ البخاريُّ.

١٣ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: مُحمد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، (ط٢)، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (❊)

(١) علامة مصادر أهل السُّنّة = (❊)   علامة مصادر الشيعة = (●)   علامة مصادر الصوفية = (■)

١٤ ـ **الاستذكار**: الإمامُ أبو عمر بنُ عبدِ البَرِّ الأندلسيّ، تحقيق: عبد المُعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دار الواعي (ط١)، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م). (❋)

١٥ ـ **استشهاد عُثمانَ ﷺ ووقعة الجَمل في مرويات سيفِ بن عُمرَ في تاريخ الطّبريِّ**: دراسة نقدية: د. خالد بن محمد الغيث. دار الأندلس الخضراء، الرياض (ط٢)، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م). (❋)

١٦ ـ **اصطلاحات الصوفية**: عبد الرزاق القاشاني طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨١م). (■)

١٧ ـ **أصل الشيعة وأصولها**: محمد الحسين آل كاشف الغطاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٤)، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). (●)

١٨ ـ **أصول التشيع**: هاشم معروف الحسيني، دار القلم، بيروت. (●)

١٩ ـ **أصول مذهبِ الشِّيعةِ الإماميةِ الإثنَا عشريّةِ، عرض ونقد**: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، مصر، (ط٣)، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م). (❋)

٢٠ ـ **الأعلام**: خير الدين الزِّرِكْلِيّ، دار العلم للملايين، (ط٦)، (١٩٨٤م). (❋)

٢١ ـ **أعيان الشيعة**: محسن أمين، دار التعارف للمطبوعات بيروت (ط٥)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)

٢٢ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: الإمام ابن القيم، دار المعرفة، بيروت. (❋)

٢٣ ـ **الإفهام والإفحام، أو قضايا الوسيلة والقبور**: محمد زكي إبراهيم، منشورات العشيرة المحمدية، القاهرة، (ط٣)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (■)

٢٤ ـ **اقتضاء الصّراطِ المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: شيخُ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، (ط٣)، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م). (❋)

٢٥ ـ **آمالي الشيخ الطوسي**: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مطبعة النعمان النجف (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) (●)

٢٦ ـ **الأنساب**: عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، (ط١)، (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). (❋)

٢٧ ـ **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**: عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، دار الفكر، بيروت، (ط٤)، (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م). (■)

٢٨ ـ **الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية**: عبد الوهاب الشعراني، مطبوع بهامش الطبقات الكبرى، دار الجيل، بيروت، (ط١)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). (■)

٢٩ ـ **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية:** عبد الوهاب الشعراني، مطبعة نصر، القاهرة، نشر المكتبة العلمية ومطبعتها، (ط١)، (١٩٦٢م). (■)
٣٠ ـ **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة:** شرح عبد الله شبر، طبع مؤسسة الوفاء، بيروت، (ط١)، ونشر مكتبة الألفين، الكويت، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)
٣١ ـ **الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية:** نعمة الله الموسوي الجزائري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (ط٤)، بيروت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). (●)
٣٢ ـ **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات:** شيخ الشيعة محمد بن النعمان المفيد، طبع دار الكتاب الإسلامي، بيروت (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)
٣٣ ـ **إيقاظ الهمم في شرح الحكم:** أحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني، مطبعة السعادة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). (■)
٣٤ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار:** محمد باقر المجلسي. (●)
٣٥ ـ **البدء والتاريخ:** مطهر بن طاهر المقدسي، طبع في باريس، فرنسا (١٩١٦م). (❋)
٣٦ ـ **البداية والنهاية في التاريخ:** الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة. (❋)
٣٧ ـ **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد:** محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، مطبعة الأحمدي، طهران، نشر مؤسسة الأعلمي، طهران (١٤٠٤هـ). (●)
٣٨ ـ **بوارق الحقائق:** محمد مهدي الرواسي الرفاعي الصيادي، نشر مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا. (■)
٣٩ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس:** محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. (❋)
٤٠ ـ **تاريخ ابن خلدون:** عبد الرحمٰن بن خلدون، طبع في (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م). (❋)
٤١ ـ **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:** حسن إبراهيم حسن، دار النيل للطباعة، نشر مكتبة النهضة المصرية، (ط٢)، (١٩٤٨م). (❋)
٤٢ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، (ط١)، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). (❋)
٤٣ ـ **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة:** د. عبد الله فياض، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٣)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). (●)

٤٤ ـ تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).(*)

٤٥ ـ تاريخ الحكماء: علي بن يوسف القفطي، طبع لابزيك بألمانيا (١٩٠٣م).(*)

٤٦ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١)، (١٩٤٩م)، والخامسة (١٩٦٨م).(*)

٤٧ ـ تاريخ الشيعة: محمد حسين مظفر، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط٢) (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).(•)

٤٨ ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية: هنري كوربان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، (ط٣)، (١٩٨٣م).(*)

٤٩ ـ تاريخ المدينة المنورة: عُمَر بن شَبَّةَ، دار الأصفهاني للطباعة، جده (١٣٩٩هـ).(*)

٥٠ ـ تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر دار صادر، بيروت (١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م).(•)

٥١ ـ تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.(*)

٥٢ ـ تاريخ خليفة بن خيّاط: تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة الرياض، ط٢، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).(*)

٥٣ ـ تبديد الظلام وتنبيه النيام في خطر التشيع على المسلمين والإسلام: إبراهيم بن سليمان الجبهان، (ط٣)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) بإذن إدارات البحوث بالرياض.(*)

٥٤ ـ التبرك: علي الأحمدي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (ط١) (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).(•)

٥٥ ـ التجليات: أبو بكر بن عربي، مطبوع ضمن رسائل ابن عربي.(■)

٥٦ ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: مُحمد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط٤)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).(*)

٥٧ ـ تحقيق موقف الصحابة في الفتنة: من روايات الإمام الطّبريِّ والمُحدِّثينَ: د. محمد أمحزون، دار طيبة ومكتبة الكوثر، الرياض، (ط١)، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).(*)

٥٨ ـ تخريج الإحياء: العراقيّ، مطبوع بحاشية إحياء علوم الدين.

٥٩ ـ تخريج شرح العقيدة الطّحاوية: مُحمد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (ط٩)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).(*)

٦٠ ـ تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله الذهبي، دار الفكر العربي، (١٣٨٤هـ).(❋)

٦١ ـ التراجم: أبو بكر بن عربي، مطبوع ضمن رسائل ابن عربي.(■)

٦٢ ـ التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي: محمد البنداري، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، (ط١)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).(❋)

٦٣ ـ تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، أو شرح عقائد الصدوق: شيخ الشيعة محمد بن النعمان المفيد، دار الكتاب الإسلامي، بيروت (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).(●)

٦٤ ـ التصوف الإسلامي: د. رينولد نيكلسون، ترجمة: نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجي بمصر، (١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م).

٦٥ ـ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، (ط١)، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).(■)

٦٦ ـ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق: د. زكي مبارك، دار الجيل للنشر، بيروت.(■)

٦٧ ـ التصوف الثوري الروحية في الإسلام: د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت (■)

٦٨ ـ التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، نشر دار ترجمان السنة لاهور باكستان، (ط١)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).(❋)

٦٩ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف: أبو بكر محمد الكلاباذي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط٢)، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).(■)

٧٠ ـ تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).(❋)

٧١ ـ التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، طبع مطبعة السعادة، نشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، (ط٢)، (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).(❋)

٧٢ ـ تقريب التهذيب: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة الرياض، (ط١)، (١٤١٦هـ).(❋)

٧٣ ـ تلبيس إبليس: عبد الرحمٰن بن الجوزي، تحقيق: د. الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٣)، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).(❋)

٧٤ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: الإمامُ أبو عمر بنُ عبدِ البَرِّ الأندلسيّ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).(❋)

٧٥ ـ **التنبيه والإشراف:** علي بن الحسين بن علي المسعودي، مكتبة خياط، بيروت، (١٩٦٥م). (●)

٧٦ ـ **تنقيح المقال في علم الرجال:** الحسن بن عبد الله النجفي المامقاني، طبع إيران (١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م). (●)

٧٧ ـ **تهذيب الأحكام:** شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (١٣٦٥هـ). (●)

٧٨ ـ **تهذيب اللغة:** محمد بن أحمد أبو منصورٍ الأزهري، مطابع سجل العرب بالقاهرة، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ودار الكتاب العربي (١٩٦٧م). (❋)

٧٩ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م). (❋)

٨٠ ـ **جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد:** محمد بن علي الأردبيلي الحائري، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران (١٤٠٣هـ). (●)

٨١ ـ **الجامع الصحيح (سنن التِّرْمِذِي):** أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد شاكر، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط٢)، (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). (❋)

٨٢ ـ **جامع بيان العلم وفضله:** الإمام يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، (ط٢)، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م). (❋)

٨٣ ـ **جامع كرامات الأولياء:** يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: إبراهيم عطوة، المكتبة الثقافية، بيروت (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). (■)

٨٤ ـ **الجامع لشعب الإيمان:** الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، رسالة ماجستير في مكتبة الجامعة الإسلامية قسم الدراسات العليا (١٤٠٦هـ)، إعداد: الطالب فلاح إسماعيل مؤلف هذه الرسالة. (❋)

٨٥ ـ **جريدة الشرق الأوسط:** عدد (٣٨٥٢، تاريخ ١٢/١١/١٤٠٩هـ ـ الموافق ٥/٦/١٩٨٩م). (❋)

٨٦ ـ **جمهرة الأولياء:** محمود المنوفي الحسيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط١)، (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م). (■)

٨٧ ـ **جمهرة اللغة:** أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، (ط١)، (١٣٤٥هـ) ـ وطبعة دار صادر، بيروت. (❋)

٨٨ ـ **جواهر المعاني**: علي حرازم المغربي الفاسي، دار الجيل، بيروت، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). (■)
٨٩ ـ **الحُجَّة البيضاء في تهذيب الإحياء**: .
٩٠ ـ **حق اليقين في معرفة أصول الدين**: عبد الله شبز، دار الأضواء، بيروت، (ط١)، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م). (●)
٩١ ـ **حقائق عن التصوف**: عبد القادر عيسى، مطبعة الديوان، (ط٢)، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م). (■)
٩٢ ـ **الحقائق في محاسن الأخلاق**: محمد مرتضى المشهور بمحسن الفيض الكاشاني، مكتبة الألفين، الكويت، (ط٢)، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (●)
٩٣ ـ **الحكومة الإسلامية**: الخميني بن مصطفى، مطابع صوت الخليج، الكويت. (●)
٩٤ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. (■)
٩٥ ـ **الحور العين**: أبو سعيد نشوان الحميري، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط٢) (١٩٨٥م). (❋)
٩٦ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**: نقلها إلى العربية مجموعة من الكتاب، دار المعرفة، بيروت. (❋)
٩٧ ـ **درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص**: عبد الوهاب الشعراني، مطبوع بهامش كتاب الإبريز للدباغ، (ط١)، بالمطبعة الأزهرية المصرية (١٣٠٦هـ). (■)
٩٨ ـ **دعاء الفرج**: نشر وتوزيع: مكتبة الماحوزي في دَولَة البحرين. (●)
٩٩ ـ **ديوان ابن الفارض**: عمر بن أبي الحسن بن مرشد، المعروف بابن الفارض، طبع المركز الإسلامي للطباعة والنشر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. (■)
١٠٠ ـ **ديوان الأدب**: إسحاق بن إبراهيم الفارابي، مطبعة الإمامة بمصر (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م). (❋)
١٠١ ـ **رجال الطوسي**: محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة الشيعية، منشورات المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف (ط١)، (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م)، وطبعة مؤسسة الوفاء بيروت، (ط٣)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)
١٠٢ ـ **رجال الكشي**: مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ الكَشِّيُّ، مؤسسة النشر في جامعة مشهد، (١٣٤٨هـ). وانظر: (اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي للطوسي. (●)
١٠٣ ـ **رسائل ابن عربي**: أبو بكر بن عربي الحاتمي، دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، (ط١)، (١٣٦١هـ). (■)

١٠٤ ـ **رسالة الإسراء إلى مقام الأسرى:** أبو بكر بن عربي، ضمن رسائل ابن عربي. (■)

١٠٥ ـ **رسالة الشيخ إلى الإمام الرازي:** أبو بكر بن عربي، ضمن رسائل ابن عربي. (■)

١٠٦ ـ **الرسالة القشيرية:** عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار الكتب الحديثة، القاهرة. (■)

١٠٧ ـ **الرسالة اللدنية:** أبو حامد الغزالي، ضمن مجموعة رسائله، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). (■)

١٠٨ ـ **رسالة شكوى الغريب:** عبد الله بن محمد الميانجي الهمذاني، الملقب بعين القضاة الهمذاني، طبع مطبعة جامعة طهران، تحقيق: عفيف عسيران، (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م). (■)

١٠٩ ـ **الرفاعية:** عبد الرحمٰن دمشقية، (ط١)، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، الرياض. (❊)

١١٠ ـ **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم:** عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بهامش جواهر المعاني، دار الجيل، بيروت، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). (■)

١١١ ـ **روح التشيع:** عبد الله نعمة، دار الفكر اللبناني (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (●)

١١٢ ـ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات:** محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني (ط٢)، طبعة إيران (١٣٤٧هـ). (●)

١١٣ ـ **روضة الكافي:** الْكُلَيْنِيّ، انظر: (الكافي، الأصول والفروع والروضة). (●)

١١٤ ـ **رياض العلماء وحياض الفضلاء:** عبد الله أفندي الأصبهاني، مطبعة الخيام، قم، إيران، (١٤٠١هـ). (●)

١١٥ ـ **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية:** ملحقٌ ضمنَ كتابِ (الغُلُوّ والفِرَق الغاليَةِ)، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، تحقيق: عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، لندن، بغداد، (ط٢)، (١٩٨٢م). (●)

١١٦ ـ **سر الصلاة وصلاة العارفين:** الخميني بن مصطفى، ترجمة: أحمد الفهري، مؤسسة الإعلام الإسلامي. (●)

١١٧ ـ **السُّنَّة:** أحمد بن عَمرو بن أبي عاصم الضّحاك بن مخلد الشيباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (ط٣)، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م). تحقيق: وتخريج مُحمد ناصر الدّين الألباني. (❊)

١١٨ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:** ـ الطبعة الكاملة ٧ مجلد، مُحمد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض. (❊)

١١٩ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأُمّة: ـ الطبعة الكاملة ١٤ مجلد ـ مُحمد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض. (❋)

١٢٠ ـ سنن ابن ماجه: الحافظ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر. (❋)

١٢١ ـ سنن أبي داود: الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس. نشر وتوزيع: محمد علي السيد، حمص، (ط١)، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م). (❋)

١٢٢ ـ سنن الدارمي: الحافظ عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، تحقيق: عبد الله هاشم يماني، نشر حديث أكاديمي، فيصل آباد ـ باكستان. (❋)

١٢٣ ـ سنن النسائي (المجتبى): الحافظ أحمد بن شعيب النسائي، (الطبعة المصرية بحاشية السيوطي والسندي) المطبوعة بالمكتبة التجارية الكبرى القاهرة (١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م) تصوير دار الريان. (❋)

١٢٤ ـ سنن النسائي الكبرى: الحافظ أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المُنعم شلبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط١)، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م). (❋)

١٢٥ ـ السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة: د. أحمد صبحي منصور، مطبعة الدعوة الإسلامية، (ط١)، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). (❋)

١٢٦ ـ سير أعلام النبلاء: الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). (❋)

١٢٧ ـ سير الأولياء في القرن السابع الهجري: حسين بن جمال الدين الأنصاري الخزرجي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط١). (■)

١٢٨ ـ شجرة طوبى: محمد مهدي الحائري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. (●)

١٢٩ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، (ط٢)، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (❋)

١٣٠ ـ شرح العقيدة الأصفهانية: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب الحديثة بالقاهرة (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م). (❋)

١٣١ ـ شرح دعاء السحر: الخميني بن مصطفى، تقديم أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء، بيروت (ط٢)، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). (●)

١٣٢ ـ شرح صحيح مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام النّوويّ، (١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م). (❋)

١٣٣ ـ شرح عَقائِد الصدوق: المُفيد النُّعْمَان = انظر: (تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد). (●)
١٣٤ ـ شرح فصوص الحكم: أبو بكر بن عربي، تحقيق: محمود محمد غراب، مطبعة زيد بن ثابت (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (■)
١٣٥ ـ شطحات الصوفية: د. عبد الرحمٰن بدوي، نشر وكالة المطبوعات الكويت، (ط٢)، (١٩٧٦م). (❋)
١٣٦ ـ شُعَب الإيمان: البيهقي، انظر: (الجامع لشعب الإيمان). (❋)
١٣٧ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الفكر بيروت (❋)
١٣٨ ـ شفاء السائل لتهذيب المسائل: عبد الرحمٰن بن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، طبع استانبول، تركيا (١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٧م). (■)
١٣٩ ـ الشيعة في التاريخ: محمد حسين الزين، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط٢)، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (●)
١٤٠ ـ الشيعة في الميزان: د. محمد يوسف النجرامي، طبع مطبعة المدني بمصر، نشر دار المدني بجدة، (ط١)، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). (❋)
١٤١ ـ الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، دار الجواد ودار التيار الجديد، بيروت، (ط٦)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). (●)
١٤٢ ـ الشيعة والسُّنَّة: إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، باكستان، (ط٤)، والعشرون (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). (❋)
١٤٣ ـ الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السنَّة لاهور، باكستان. الطبعة الرابعة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م). (❋)
١٤٤ ـ الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٢)، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، و، (ط٣)، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). (❋)
١٤٥ ـ صحيح ابن حبّانَ بترتيب ابن بلبان: الأمير علاء الدين بن بلبان، تحقيق: شُعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٣)، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م). (❋)
١٤٦ ـ صحيح ابن خُزَيْمَةَ: تخريج مُحمد ناصر الدّين الألباني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (ط٢)، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م). (❋)
١٤٧ ـ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاريِّ: مُحمد ناصر الدّين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، (ط١)، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م). (❋)

١٤٨ ـ **صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري:** خدمه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية بالرياض. (*)

١٤٩ ـ **صحيح سُنَنِ أبي دَاودَ الكبير:** مُحمد ناصر الدّين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع الكويت، (ط١)، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م) ومرفق معه (ضعيف سُنَنِ أبي دَاودَ الكبير). (*)

١٥٠ ـ **صحيح مسلم:** الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط١)، (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م). (*)

١٥١ ـ **صفة صلاة النبيِّ ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنّك تراها (الكتاب الأصل، ٣ مجلد):** مُحمد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، (ط١)، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م). (*)

١٥٢ ـ **الصلاة العطرية في الصلاة علي خير البرية في الوظائف الشاذلية:** مطابع سحر، (ط١)، (١٤٠٢هـ). (■)

١٥٣ ـ **الصلة بين التصوف والتشيع:** د. مصطفى كامل الشيبي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، (ط٣)، (١٩٨٢م). (●)

١٥٤ ـ **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة:** أحمد بن حجر الهيتميِّ المكي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (*)

١٥٥ ـ **الصوفية في الإسلام:** د. رينولد نيكلسون، ترجمة: نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجي بمصر، (ط١)، (١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م). (*)

١٥٦ ـ **ضعيف الترغيب والترهيب:** مُحمد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، (ط١)، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م). (*)

١٥٧ ـ **ضعيف سُنَنِ أبي دَاودَ الكبير:** مُحمد ناصر الدّين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع الكويت، (ط١)، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م) ومرفق معه (صحيح سُنَنِ أبي دَاودَ الكبير). (*)

١٥٨ ـ **طبقات الأولياء:** ابنِ الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، مكتبة الخانجي مصر، (ط٣)، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م). (*)

١٥٩ ـ **طبقات الشافعية:** عبد الوهاب السبكي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، (ط١)، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م). (*)

١٦٠ ـ **طبقات الصوفية:** أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي، مطبعة المدني، القاهرة، نشر مكتبة الخانجي بمصر، (ط٣)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). (■)

١٦١ ـ **الطبقات الكبرى**: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، دار الجيل، بيروت، (ط١)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).(■)

١٦٢ ـ **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.(❋)

١٦٣ ـ **طرائق الحقائق**: معصوم عَلِيّ شاه.(●)

١٦٤ ـ **الطواسين**: الحسين بن منصور الحلاج، مطبوع ضمن أخبار الحلاج.(■)

١٦٥ ـ **ظِلال الجنة في تخريج السُّنَّة؛ أي**: كتاب السُّنَّةِ لابنِ أبي عاصم: مُحمد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (ط٣)، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).(❋)

١٦٦ ـ **العارف بالله أبو العباس المرسي**: د. عبد الحليم محمود، نشر وتوزيع مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.(■)

١٦٧ ـ **عبد الله بن سبأٍ وأثره في أحداثِ الفِتْنةِ في صدرِ الإسلام**: سُليْمان بن حمد العودةِ، دار طيبة الرياض، (ط٤)، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).(❋)

١٦٨ ـ **العبر في خبر من غبر**: الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مطبعة حكومة الكويت، (ط٢)، مصورة عن (ط١).(❋)

١٦٩ ـ **عصر الخلافة الراشدة**: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المُحدِّثين: أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط٤)، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).(❋)

١٧٠ ـ **عقائد الإمامية**: محمد رضا المظفر، طبع دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، (ط٤)، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).(●)

١٧١ ـ **عقائد الثلاث والسبعين فِرْقة**: أبو مُحمدٍ اليمنيّ من علماء القرن السادس، تحقيق: مُحمد بن عبد الله زربان الغامدي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، (ط١)، (١٤١٤هـ).(❋)

١٧٢ ـ **عَقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الصّحابةِ الكِرام** ﭬ: ناصر بن عليّ الشيخِ، مكتبة الرشد الرياض، (ط٣)، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).(❋)

١٧٣ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام**: أغناس جولد تسيهر، دار الرائد العربي ـ بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري (١٩٤٦م)، القاهرة.(❋)

١٧٤ ـ **عمدة الزائر في الأدعية والزيارات**: حيدر الحسني الكاظمي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (ط٣)، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).(●)

١٧٥ ـ **عوارف المعارف**: عمر بن محمد السهروردي، مكتبة القاهرة بمصر.(■)

١٧٦ ـ **عواطف اللطائف مِن أحاديث عوارف المعارف**: وهو تخريج لكتاب (عوارف المعارف) لأحمد الغماريّ، اعتناء المبتدع: محمود سعيد ممدوح ورفاقه، المكتبة المكية مكة المكرمة (ط١)، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).(■)

١٧٧ ـ **عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية**: محمد بن علي بن إبراهيم الإحسائي، المعروف بابن أبي جمهور، مطبعة سيد الشهداء قم، إيران، (ط١)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)

١٧٨ ـ **العين**: أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الرشيد للنشر، طبعة وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، وطبعة دار الحرية ببغداد (١٩٨٤م). (❋)

١٧٩ ـ **الغُلُوّ والفِرَق الغاليَةِ**: عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، لندن بغداد، (ط٢)، (١٩٨٢م). (❋)

١٨٠ ـ **الغنية لطالبي طريق الحق**: عبد القادر الجيلاني المسني، المكتب الثقافية، بيروت. (■)

١٨١ ـ **الغيبة**: شيخ الطائفة محمد بن الحسن، أبو جَعْفَرٍ الطوسي، مكتبة الألفين، الكويت. (●)

١٨٢ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: انظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (❋)

١٨٣ ـ **الفتوحات المكية**: أبو بكر بن عربي، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) بالقاهرة، بإشراف المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون ـ فرنسا. (■)

١٨٤ ـ **فجر الإسلام**: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، (ط١١)، (١٩٧٥م). (❋)

١٨٥ ـ **فرق الشيعة**: الحسن بن موسى النوبختي، منشورات دار الأضواء، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). (●)

١٨٦ ـ **الفرق بين الفرق**: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة، بيروت. (❋)

١٨٧ ـ **فِرَق معاصرة تنتسبُ إلى الإسلامِ وبيان موقف الإسلام منها**: د. غالب بن عليّ العواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، (ط٥)، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م). (❋)

١٨٨ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**: شيخ الإسلام ابن تيمية، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية، بالرياض. (❋)

١٨٩ ـ **فروع الكافي**: الْكُلَيْنِيّ، انظر: (الكافي، الأصول والفروع والروضة). (●)

١٩٠ ـ **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**: أبو محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهري، دار الجيل، بيروت (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (❋)

١٩١ ـ **الفصول المهمة في أصول الأئمة**: محمد بن الحسن الحر العاملي، المطبعة الحيدرية بالنجف العراق، (ط٢)، (١٣٧٨هـ). (●)

١٩٢ ـ **فضائح الباطنية**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت. (❋)

١٩٣ ـ **فضائل الصّحابة**: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وَصِيّ الله بن مُحمد عباس، دار ابن الجوزي، الدمام، (ط٢)، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م). (❋)

١٩٤ ـ **الفناء في المشاهدة**: أبو بكر بن عربي، مطبوع ضمن رسائل ابن عربي. (■)

١٩٥ ـ **الفهرست**: أبو الفرج محمد بن إسحاق، المعروف بابن النديم، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). (❋)

١٩٦ ـ **الفهرست**: شيخ الطائفة محمد بن الحسن أبو جَعْفَرٍ الطوسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)

١٩٧ ـ **الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله والهنا والغنى لمن اصطفاه واجتباه**: محمد السيد التيجاني مكتبة القاهرة. (■)

١٩٨ ـ **في ظلال التشيع**: محمد علي الحسني، مكتبة الألفين، الكويت، (ط١)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، بإذن من مؤسسة الوفاء، بيروت. (●)

١٩٩ ـ **قاعدة جليلةٌ في التّوسُّلِ والوسيلةِ**: شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، تحقيق: د. ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة لينا للنشر والتوزيع مصر، (ط١)، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م). (❋)

٢٠٠ ـ **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (ط٢)، (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م)، وطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) (في مجلد واحد). (❋)

٢٠١ ـ **قرة العيون في المعارف والحكم**: محسن الفيض الكاشاني، مطبوع مع كتاب (الحقائق في محاسن الأخلاق). (●)

٢٠٢ ـ **قضايا الوسيلة والقُبور** انظر: (الإفهام والإفحام). (■)

٢٠٣ ـ **قواعد التصوف**: أبو العباس أحمد بن محمد بن زروق، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط٢)، (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م). (■)

٢٠٤ ـ **قوت القلوب**: أبو طالب محمد بن علي المكي، طبعة دار صادر، بيروت، وطبعتها المصورة عن طبعة المطبعة الميمنية بمصر (١٣٠٦هـ). (■)

٢٠٥ ـ **الكافي، الأصول والفروع والروضة**: محمد بن يعقوب الْكُلَيْنِيّ، دار الأضواء، بيروت، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (●)

٢٠٦ ـ **الكامل في التاريخ**: علي بن محمد الشيباني ابن الأثير، دار صادر، بيروت (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (❋)

٢٠٧ ـ **كتاب التراجم**: ابن عَرَبِي ضمن رسائله. (■)

٢٠٨ ـ **كتاب العين**: أبو عبدِ الرَّحْمَنِ الخليلُ بنُ أحمدَ. (❋)

٢٠٩ ـ **الكتب**: أبو بكر بن عربي، مطبوع ضمن رسائل ابن عربي. (■)

٢١٠ ـ **كُتبٌ حذَّرَ منها العُلماءُ**: أبو عبيدةَ مَشهور بن حسن آل سَلمان، (دار الصميعي ـ دار ابن حزم)، الرياض، (ط١)، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م). (❋)

٢١١ ـ **كشف الأسرار**: الخميني بن مصطفى، طبع دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (١٩٨٧م). (●)

٢١٢ ـ **كشف المحجوب**: علي بن عثمان الغزنوي الهجويري، مطابع الأهرام التجارية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام بالقاهرة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). (■)

٢١٣ ـ **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين**: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي العلامة، تحقيق: حُسين الدركاهي، مؤسسة الطبع والنشر إيران، (١٤١١هـ). (●)

٢١٤ ـ **الكشف عن حقيقة الصوفية**: محمود عبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة للطباعة والنشر، بيروت، (ط١)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م). (❋)

٢١٥ ـ **كنز العمال**: علاء الدين علي المتقي الهندي، اعتناء بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م). (❋)

٢١٦ ـ **الكني والألقاب**: الأحقر عباس القمي، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان (١٣٥٧هـ). (●)

٢١٧ ـ **الكواكب الدرية في تراجم الصوفية**: عبد الرؤوف المناوي (ط١)، (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م). (■)

٢١٨ ـ **لسان العرب**: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت. (❋)

٢١٩ ـ **لسان الميزان**: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٢)، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م). (❋)

٢٢٠ ـ **لطائف المنن في مناقب أبـي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن**: أحمد بن عطاء الله السكندري، مطبوع بهامش كتاب (لطائف المنن والأخلاق). (■)

٢٢١ ـ **لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، أو المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى**: عبد الوهاب الشعراني، المطبعة الميمنية بمصر (١٣٢١هـ). (■)

٢٢٢ ـ **اللمع**: أبو نصر السراج الطوسي، طبع ونشر دار الكتب الحديثة بمصر (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م)، تحقيق: عبد الحليم محمود. (■)

٢٢٣ ـ **مجمل اللغة**: أحمد بن فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١)، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). (❋)

٢٢٤ ـ **المجموع شرح المهذب**: الإمام النَّوَوِيّ. (❋)

٢٢٥ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن قاسم وابنه محمد طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ـ السعودية. (❋)

٢٢٦ ـ **مجموعة الرسائل والمسائل**: شيخ الإسلام ابن تيمية، لجنة التراث العربي، توزيع دار الباز بمكة المكرمة، تخريج وتعليق محمد رشيد رضا. (❋)

٢٢٧ ـ **المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الحليم محمود**: دار الكتاب اللبناني ط٢، (١٩٨٥م). (■)

٢٢٨ ـ **مجموعة من شعر الحلاج**: الحسين بن منصور الحلاج، مطبوع ضمن أخبار الحلاج والطواسين. (■)

٢٢٩ ـ **محاسن التأويل (المشهور بتفسير القاسمي)**: محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية. (❋)

٢٣٠ ـ **المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء**: محمد بن مرتضى المشهور بمحسن الفيضي الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)

٢٣١ ـ **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**: علي بن إسماعيل بن سيده، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق: عبد الستار فرج، (ط١)، (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٩م). (❋)

٢٣٢ ـ **مختصر التحفة الإثني عشرية**: الشاه عبد العزيز الدهلوي، ترجمة: علام الأسلمي، اختصار الألوسي، وتحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٧٣هـ). (❋)

٢٣٣ ـ **مختصر السنن أي سنن أبي داود**: المنذري، تحقيق: حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت. (❋)

٢٣٤ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان**: عبد الله بن أسعد اليافعي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، (ط٢)، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، مصورة عن (الطبعة الأولى)، طبع دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن (١٣٧٧هـ). (❋)

٢٣٥ ـ **المراجعات:** عبد الحسين الموسوي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط٣)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). (●)

٢٣٦ ـ **المستدرك على الصحيحين:** أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت. (❋)

٢٣٧ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** المكتب الإسلامي، بيروت، (ط٢)، (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م)، وطبعة دار المعارف بمصر، تحقيق: أحمد شاكر (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م). (❋)

٢٣٨ ـ **مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب:** عبد الرحمٰن بن محمد الأنصاري المشهور بابن الدباغ، تحقيق: (هـ. رتير)، دار صادر، بيروت. (■)

٢٣٩ ـ **مشكاة الأنوار:** أبو حامد الغزالي، تحقيق: د. أبو العلا عفيفي، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٤م). (■)

٢٤٠ ـ **مشكاة المصابيح:** تخريج مُحمد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط٣) (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (❋)

٢٤١ ـ **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية:** الخميني بن مصطفى، تقديم: أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء، بيروت، (ط١)، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (●)

٢٤٢ ـ **معاني الأخبار:** محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق، دار المعرفة للطباعة والنشر، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (●)

٢٤٣ ـ **معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين:** د. مُحمد بن عبد الوهّاب العقيل، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م). (❋)

٢٤٤ ـ **مُعجم البلدان:** ياقوت الحمويّ، دار صادر، بيروت، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). (❋)

٢٤٥ ـ **المعجم الوسيط:** بإشراف مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف بمصر، (ط٢)، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م). (❋)

٢٤٦ ـ **مُعجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع:** عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م). (❋)

٢٤٧ ـ **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط١)، وطبعة مصطفى البابي الحلبي (ط٢)، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م). (❋)

٢٤٨ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** الإمام ابن القيم، مطبعة الإمام بمصر، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة.(*)

٢٤٩ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع ونشر: مكتبة النهضة المصرية، (ط٢)، (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).(*)

٢٥٠ ـ **المقالات والفرق:** سعد بن عبد الله الأشعري القمي، مركز انتشارات علمي إيران، (ط٢)، (١٣٦٠هـ).(●)

٢٥١ ـ **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمٰن بن خلدون، طبع بمطبعة دار العلم بتونس، نشر الدار التونسية، (ط١)، (١٩٨٤م).(*)

٢٥٢ ـ **الملل والنحل:** محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار صعب بيروت، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).(*)

٢٥٣ ـ **المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى:** انظر: (لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق).(■)

٢٥٤ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية:** شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبع ونشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (ط١)، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).(*)

٢٥٥ ـ **موسوعة المستشرقين:** عبد الرحمٰن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٣)، (١٩٩٣م).(*)

٢٥٦ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب المعاصرة:** إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة، (ط٣)، (١٤١٨هـ).(*)

٢٥٧ ـ **الموضوعات في الآثار والأخبار عرض ودراسة:** هاشم معروف الحسيني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).(●)

٢٥٨ ـ **الموضوعات من الأحاديث المرفوعات:** أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: نور الدين بن شكري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، (ط١)، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).(*)

٢٥٩ ـ **الموطأ:** الإمام مالك بن أنس، تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.(*)

٢٦٠ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (ط١)، (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م).(*)

٢٦١ ـ **الميم والواو والنون:** أبو بكر بن عربي، مطبوع ضمن رسائل ابن عربي.(■)

٢٦٢ ـ **نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية**: عبد الله بن أسعد اليافعي. (■)

٢٦٣ ـ **نص الوصية الإلهية السياسية للإمام القائد الخميني بن مصطفى الموسوي**: نشر وطبع: مؤسسة سولنا للطباعة، الولايات المتحدة الأمريكية، بإشراف: سفارة الجمهورية الجزائرية في أمريكا، قسم العناية بالجمهورية الإسلامية الإيرانية. (●)

٢٦٤ ـ **النفحات الغزالية**: (■)

٢٦٥ ـ **نقش النصوص**: أبو بكر بن عربي، مطبوع ضمن رسائل ابن عربي. (■)

٢٦٦ ـ **نهج البلاغة**: اختيار الشريف الرضى وشرح محمد عبده، بتحقيق: صبحي الصالح، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، وطبعة دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، (ط٢)، (١٩٨٢م). (●)

٢٦٧ ـ **نهج البلاغة**: بشرح مُحَمَّدْ عبده، اختيار الشريف الرضي. منشورات المكتبة الأهلية بيروت. (●)

٢٦٨ ـ **النور من كلمات أبي طيفور البسطامي**: أحد تلامذة طيفور لا يعرف اسمه، مطبوع بذيل كتاب (شطحات الصوفية)، وكالة المطبوعات، (ط٢)، (١٩٧٦م). الكويت. (■)

٢٦٩ ـ **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة للحافظ ابن حجر**: تخريج: مُحمد ناصر الدّين الألباني، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن القيم وابن عفان، (ط١)، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م). (❋)

٢٧٠ ـ **هوية التشيع**: د. أحمد الوائلي، مؤسسة أهل البيت، بيروت، (ط٢)، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). (●)

٢٧١ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة**: محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي، (ط٥)، (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). (●)

٢٧٢ ـ **ولاة مصر، أو كتاب الولاة وكتاب القضاة**: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، (١٩٠٨م)، والطبعة المصورة عنها (١٩٨٥م). (❋)

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة